تاريخ الأمم والملوك

للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

[قوبلت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة]
[بمطبعة «بريل» بمدينة ليدن في سنة ١٨٧٩ م]

راجعه وصححه وضبطه

نخبة من العلماء الأجلاء

منشورات مكتبة ارومية

دورهٔ هشت جلد £120-

تاريخ الأمم والملوك

للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الجزء السادس

[قوبلت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة]
[بمطبعة « بريل » بمدينة ليدن فى سنة ١٨٧٩ م]

راجعه وصححه وضبطه
نخبة من العلماء الأجلاء

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة الاستقامة بالقاهرة
شارع نوبار باشا ١٢

١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة

فمما كان فيها من الأحداث قتل الحارث بن سريج بخراسان

ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك

قد مضى ذكر كتاب يزيد بن الوليد للحارث بأمانه وخروج الحارث من بلاد الترك إلى خراسان ومصيره إلى نصر بن سيار وما كان من نصر إليه واجتماع من اجتمع إلى الحارث مستجيبين له * فذكر علىّ بن محمد عن شيوخه أن ابن هبيرة لما ولى العراق كتب إلى نصر بعهده فبايع لمروان فقال الحارث إنما آمنى يزيد بن الوليد ومروان لا يجيز أمان يزيد فلا آمنه فدعا إلى البيعة فشتم أبو السليل مروان فلما دعا الحارث إلى البيعة أتاه سلم بن أحوز وخالد بن هريم وقطن بن محمد وعباد بن الأبرد بن قرة وحماد بن عامر وكلموه وقالوا له لم يصيّر نصر سلطانه وولايته فى أيدى قومك ألم يخرجك من أرض الترك ومن حكم خاقان وإنما أتى بك لئلا يجترئ عليك عدوّك نخالفته وفارقت أمر عشيرتك فأطمعت فيهم عدوهم فنذكرك الله أن تفرق جماعتنا فقال الحارث إنى لا أرى فى يدى الكرمانى ولاية والأمر فى يد نصر فلم يجبهم بما أرادوا وخرج إلى حائط لحمزة بن أبى صالح السلمىّ بإزاء قصر بخاراخذاه فعسكر وأرسل إلى نصر فقال له اجعل الأمر شورى فأبى نصر نخرج الحارث فأتى منازل يعقوب بن داود وأمر جهم بن صفوان مولى بنى راسب فقرأ كتابا سيّر فيه سيرة الحارث على الناس فانصرفوا يكبرون وأرسل الحارث إلى نصر اعزل سلم بن أحوز عن شُرطك واستعمل بشر بن بسطام البرجمىّ فوقع بينه وبين مغلس بن زياد كلام فقرت قيس وتميم فعزله واستعمل إبراهيم بن عبد الرحمن فاختاروا رجالا يسمون لهم قوما يعملون بكتاب الله فاختار نصر مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان واختار الحارث المغيرة بن شعبة الجهضمى

ومعاذ بن جبلة وأمر نصر كاتبه أن يكتب مايرضون من السنن ومايختارونه من العمال فيوليهم الثغرين ثغر سمرقند وطخارستان ويكتب إلى من عليهما مايرضونه من السيَر والسنن فاستأذن سلم بن أحوز نصرا فى الفتك بالحارث فأبى وولى إبراهيم الصائغ وكان يوجه ابنه إسحاق بالفيروزج إلى مرو وكان الحارث يظهر أنه صاحب الرايات السود فأرسل اليه نصر إن كنت كما تزعم وأنكم تهدمون سور دمشق وتزيلون أمر بنى أمية فخذ منى خمسمائة رأس ومائتى بعير واحمل من الأموال ماشئت وآلة الحرب وسر فلعمرى لئن كنت صاحب ماذكرت إنى لفى يدك وإن كنت لستَ ذلك فقد أهلكت عشيرتك فقال الحارث قد علمت أن هذا حقٌ ولكن لا يبايعنى عليه من صحبنى فقال نصر فقد استبان أنهم ليسوا على رأيك ولا لهم مثل بصيرتك وانهم فساق ورعاع فاذكر الله فى عشرين ألفا من ربيعة واليمن سيهلكون فيما بينكم وعرض نصر على الحارث أن يوليه ماوراء النهر ويعطيه ثلثمائة ألف فلم يقبل فقال له نصر فإن شئت فابدأ بالكرمانى فإن قتلتَه فأنا فى طاعتك إن شئت فخلِّ بينى وبينه فان ظفرتُ به رأيتَ رأيك وإن شئت فسِرْ بأصحابى فاذا جزت الرىّ فأنا فى طاعتك قال ثم تناظر الحارث ونصر فتراضيا أن يحكم بينهم مقاتل بن حيان وجهم بن صفوان فحكما بأن يعتزل نصر ويكون الأمر شورى فلم يقبل نصر وكان جهم يقص فى بيته فى عسكر الحارث وخالف الحارث نصرا ففرض نصر لقومه من بنى سلمة وغيرهم وصير سلما فى المدينة فى منزل ابن سوّار وضمّ اليه الرابطة وإلى هدبة بن عامر الشعراوى فرسانا وصيّره فى المدينة واستعمل على المدينة عبد السلام بن يزيد بن حيان السُّلمى وحوّل السلاح والدواوين إلى القهندز واتهم قوما من أصحابه أنهم كاتبوا الحارث فأجلس عن يساره من اتهم ممن لا بلاء له عنده وأجلس الذين ولاهم واصطنعهم عن يمينه ثم تكلم وذكر بنى مروان ومن خرج عليهم كيف أظفر الله به ثم قال احمدُ الله وأذمُّ مَن على يسارى وليتُ خراسان فكنت يايونس بن عبد ربه ممن أراد الهرب من كلف مؤونات مرو وأنت وأهل بيتك ممن أراد

أسد بن عبد الله أن يختم أعناقهم ويجعلهم فى الرجالة فوليتكم إذ وليتكم وأصنعتكم وأمرتكم أن ترفعوا ما أصبتم إذا أردتُ المسير إلى الوليد فمنكم من رفع ألف ألف وأكثر وأقل ثم ملأتم الحارث علىّ فهلا نظرتم إلى هؤلاء الأحرار الذين لزمونى مؤاسين على غير بلاء وأشار إلى هؤلاء الذين عن يمينه فاعتذر القوم اليه فقبل عذرهم وقدم على نصر من كورخراسان حين بلغهم ما صار اليه من الفتنة جماعة منهم عاصم بن عمير الصريمى وأبو الذيال الناجى وعمرو والقاوسان السغدىّ البخارىّ وحسان بن خالد الأسدىّ من طخارستان فى فرارس وعقيل بن معقل الليثى ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم وسعيد الصغير فى فرسان وكتب الحارث بن سريج سيرته فكانت تقرأ فى طريق مرو والمساجد فأجابه قوم كثير فقرأ رجل كتابه على باب نصر بماجان فضربه غلمان نصر فنابذه الحارث فأتى نصرا هبيرة بن شراحيل ويزيد أبو خالد فأعلماه فدعا الحسن ابن سعد مولى قريش فأمره فنادى ان الحارث بن سريج عدو الله قد نابذ وحارب فاستعينوا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وأرسل من ليلته عاصم بن عمير إلى الحارث وقال لخالد بن عبد الرحمن ما نفعل شعارَنا غدا فقال مقاتل بن سليمان إن الله بعث نبيا فقاتل عدوا له فكان شعاره حمٓ لا يُنْصَرون فكان شعارهم حمٓ لا ينصرون وعلامتهم على الرماح الصوف وكان سلم بن أحوز وعاصم بن عمير وقطن وعقيل بن معقل ومسلم بن عبد الرحمن وسعيد الصغير وعامر بن مالك والجماعة فى طرف الطخارية ويحيى بن حضين وربيعة فى البخاريين ودلّ رجل من أهل مدينة مرو الحارث على نقب فى الحائط فمضى الحارث فنقب الحائط فدخلوا المدينة من ناحية باب بالين وهم خمسون ونادوا يامنصور بشعار الحارث وأتوا باب نيق فقاتلهم جهم بن مسعود الناجىّ فحمل رجل على جهم فطعنه فى فيه فقتله ثم خرجوا من باب نيق حتى أتوا قبّة سلم بن أحوز فقاتلهم عصمة بن عبد الله الأسدى وخضر بن خالد والأبرد بن داود من آل الأبرد بن قرّة وعلى باب بالين حازم بن حاتم فقتلوا كل من كان يحرسه وانتهبوا

منزل ابن أحوز ومنزل قديد بن منيع ونهاهم الحارث أن ينتهبوا منزل ابن أحوز ومنزل قديد بن منيع ومنزل إبراهيم وعيسى ابنى عبد الله السلمى الا الدواب والسلاح وذلك ليلة الاثنين لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة قال وأتى نصرا رسول سلم يخبره دنوّ الحارث منه وأرسل اليه أخره حتى نصبح ثم بعث اليه أيضا محمد بن قطن بن عمران الأسدى انه قد خرج عليه عامة أصحابه فأرسل اليه لا تبدأهم وكان الذى أهاج القتال أن غلاما للنضر بن محمد الفقيه يقال له عطية صار الى أصحاب سلم فقال أصحاب الحارث ردوه الينا فأبوا فاقتتلوا فرُمى غلام لعاصم فى عينه فمات فقاتلهم ومعه عقيل بن معقل فهزمهم فانتهوا إلى الحارث وهو يصلى الغداة فى مسجد أبى بكرة مولى بنى تميم فلما قضى الصلاة دنا منهم فرجعوا حتى صاروا الى طرف الطخارية ودنا منه رجلان فناداهما عاصم عَرْقِبا برذونه فضرب الحارث أحدهما بعَمُوده فقتله ورجع الحارث الى سكة السغد فرأى أعين مولى حيان فنهاه عن القتال فقاتل فقُتل وعَدَلَ فى سكة أبى عِصمة فأتبعه حماد بن عامر الحمانى ومحمد بن زرعة فكسر رمحيهما وحملَ على مرزوق مولى سلم فلما دنا منه رمى به فرسه فدخل حانوتا وضرب برذونه على مؤخره فنفق قال وركب سلم حين نفق إلى باب نيق فأمرهم بالخندق فخندقوا وأمر مناديا فنادى من جاء برأس فله ثلثمائة فلم تطلع الشمس حتى انهزم الحارث وقاتلهم الليل كله فلما أصبحنا أخذ أصحاب نصر على الرزيق فأدركوا عبد الله بن مجاعة بن سعد فقتلوه وانتهى سلم إلى عسكر الحارث وانصرف إلى نصر فنهاه نصر فقال لست منتهيا حتى أدخل المدينة على هذا الدبوسى فمضى معه محمد بن قطن وعبيد الله بن بسام إلى باب دَرْسنكان وهو القهندز فوجده مردوما فصعد عبد الله بن مزيد الأسدى السور ومعه ثلاثة ففتحوا الباب ودخل ابن أحوز ووكل بالباب أبا مطهر حرب ابن سليمان فقتل سلم يومئذ كاتب الحارث بن سريج واسمه يزيد بن داود وأمر عبد ربه ابن سِيسن فقتله ومضى سلم الى باب نيق ففتحه وقتل رجلا من الجزارين كان دلّ الحارث على النقب فقال المنذر الرقاشى ابن عم يحيى بن حضين يذكر

صبر القاسم الشيباني

ماقاتلَ القومَ منكمْ غيرُ صاحِبِنا في عُصْبَةٍ قاتلوا صبرًا فما ذعِروا

هُمُ قاتلوا عِندَباب الحصنِ ماوَهَنُوا حتى أتاهُمْ غِياثُ اللهِ فانتصَروا

فقاسِمٌ بَعدَ أمْرِ اللهِ أحرزَها وأنتَ في معزِلٍ عن ذاكَ مقتصِرُ

ويقال لما غلظ أمر الكرماني والحارث أرسل نصر إلى الكرماني فأتاه على عهد وحضرهم محمد بن ثابت القاضي ومقدام بن نعيم أخو عبد الرحمن بن نعيم الغامدي وسلم بن أحوز فدعا نصر إلى الجماعة فقال للكرماني أنت أسعد الناس بذلك فوقع بين سلم بن أحوز والمقدام كلام فأغلظ له سلم فأعانه عليه أخوه وغضب لهما السغدي بن عبد الرحمن الحزمي فقال سلم لقد هممتُ أن أضرب أنفك بالسيف فقال السغدي لو مسستَ السيف لم ترجع إليك يدك فخاف الكرماني أن يكون مكراً من نصر فقام وتعلقوا به فلم يجلس وعاد إلى باب المقصورة قال فتلقوه بفرسه فركب في المسجد وقال نصر أراد الغدر بي وأرسل الحارث إلى نصر أنا لا نرضى بك اماما فأرسل إليه نصر كيف يكون لك عقل وقد أفنيت عمرك في أرض الشرك وغزوتَ المسلمين بالمشركين أتراني أتضرّع إليك أكثر مما تضرّعت قال فأسر يومئذ جهم بن صفوان صاحب الجهمية فقال لسلم إن لي ولياً من ابنك حارث قال ما كان ينبغي له أن يفعل ولو فعل ما آمنتك ولو ملأت هذه الملاءة كواكبَ وأبرأك إليّ عيسى ابن مريم ما نجوت والله لو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك والله لا يقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت وأمر عبد ربه بن سيسن فقتله فقال الناس قتل أبو محرز وكان جهم يكنى أبا محرز وأسر يومئذ هبيرة بن شراحيل وعبد الله بن مجاعة فقال لا أبقى الله من استبقاكما وان كنتما من تميم ويقال بل قُتل هبيرة لحِقَتْهُ الخيل عند دار قُديد بن منيع فقتل قال ولما هزم نصر الحارث بعث الحارث ابنه حاتما إلى الكرماني فقال له محمد بن المثنى هما عدواك دعهما يضطربان فبعث الكرماني السغدي بن عبد الرحمن الحزمي معه فدخل السغدي المدينة من ناحية باب ميخان فأتاه الحارث فدخل فازة

الكرمانى ومع الكرمانى داود بن شعيب الحدانى ومحمد بن المثنى فأقيمت الصلاة فصلى بهم الكرمانى ثم ركب الحارث فسار معه جماعة بن محمد بن عزيز أبو خلف فلما كان الغد سار الكرمانى إلى باب ميدان يزيد فقاتل أصحاب نصر فقتل سعد ابن سلم المراغى وأخذوا علم عثمان بن الكرمانى فأول من أتى الكرمانى بهزيمة الحارث وهو معسكر بباب ماسرجسان على فرسخ من المدينة النضر بن غلاق السغدى وعبد الواحد بن المنخل ثم أتاه سوادة بن سريج وأول من بايع الكرمانى يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانى فوجه الكرمانى إلى الحارث بن سريج سورة ابن محمد الكندى . . . والسغدى بن عبد الرحمن أبا طعمة وصعبا أو صعيبا وصباحاً فدخلوا المدينة من باب ميخان حتى أتوا باب ركك وأقبل الكرمانى إلى باب حرب بن عامر ووجه أصحابه إلى نصر يوم الأربعاء فتراموا ثم تحاجزوا ولم يكن بينهم يوم الخميس قتال قال والتقوا يوم الجمعة فانهزمت الأزد حتى وصلوا إلى الكرمانى فأخذ اللواء بيده فقاتل به وحمل الخضر بن تميم وعليه تجفاف فرموه بالنشاب وحمل عليه حبيش مولى نصر فطعنه فى حلقه فأخذ الخضر السنان بشماله من حلقه فشب به فرسه وحمل فطعن حبيشا فأذراه عن برذونه فقتله رجالة الكرمانى بالعصى قال وانهزم أصحاب نصر وأخذوا لهم ثمانين فرسا وصرع تميم ابن نصر فأخذوا له برذونين أخذ أحدهما السغدى ابن عبد الرحمن وأخذ الآخر الخضر ولحق الخضر بسلم بن أحوز فتناول من ابن أخيه عموداً فضربه فصرعه فحمل عليه رجلان من بنى تميم فهرب فرمى سلم بنفسه تحت القناطر وبه بضع عشر ضربة على بيضته فسقط فحمله محمد بن الحداد إلى عسكر نصر وانصرفوا فلما كان فى بعض الليالى خرج نصر من مرو وقتل عصمة بن عبد الله الأسدى وكان يحمى أصحاب نصر فأدركه صالح بن القعقاع الازدى فقال له عصمة تقدم يا مزونى فقال صالح اثبت يا حصى وكان عقيما فعطف فرسه فشب فسقط فطعنه صالح فقتله وقاتل ابن الديليمرى وهو يرتجز فقتل إلى جنب عصمة وقتل عبيد الله بن حوتمة السلمى رمى مروان البهرانى بجرزه فقتل فأتى الكرمانى برأسه فاسترجع وكان له

صديقا وأخذ رجل يمانى بعنان فرس مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم فعرفه فتركه
واقتتلوا ثلاثة أيام فهزمت آخر يوم المضريّةُ اليمن فنادى الخليل بن غزوان
يا معشر ربيعة واليمن قد دخل الحارثُ السوق وقُتل ابن الأقطع ففتّ فى
أعضاد المضرية وكان أول من انهزم ابراهيم بن بسام الليثىّ وترجل تميم بن
نصر فأخذ برذونه عبد الرحمن بن جامع الكندى وقتلوا هَيَّاجًا الكلبىّ
ولقيط بن أخضر قتله غلام لهانىءٍ البزار قال ويقال لما كان يوم الجمعة تأهبوا
للقتال وهدموا الحيطان ليتّسع لهم الموضع فبعث نصر محمد بن قطن إلى الكرمانىّ
إنك لست مثل هذا الدبوسىّ فاتق الله لا تشرع فى الفتنة قال وبعث تميم بن نصر
شاكريته وهم فى دار الجنوب بنت القعقاع فرماهم أصحاب الكرمانىّ من السطوح
وندروا بهم فقال عقيل بن معقل لمحمد بن المثنى علام نقتل أنفسنا النصر والكرمانىّ
هلمّ نرجع إلى بلدنا بطخارستان فقال محمد ان نصرا لم يف لنا فلسنا ندَع حربه
وكان أصحاب الحارث والكرمانى يرمون نصرا وأصحابه بعرادة فضرب سرادقه
وهو فيه فلم يحوله فوجه اليهم سلم بن أحوز فقاتلهم فكان أول الظفر لنصر
فلما رأى الكرمانىّ ذلك أخذ لواءه من محمد بن محمد بن عميرة فقاتل به حتى كسره
وأخذ محمد بن المثنى والزاغ وحطان فى كارابكل حتّى خرجوا على الرزيق وتميم
ابن نصر على قنطرة النهر فقال محمد بن المثنى لتميم حين انتهى اليه تنحّ ياصبىّ وحمل
محمد والزاغ معه راية صفراء فصرعوا أعين مولى نصر وقتلوه وكان صاحب دواة
نصر وقتلوا نفراً من شاكريته وحمل الخضر بن تميم على سلم بن أحوز فطعنه فمال
السنان فضربه بجرز على صدره وأخرى على منكبه وضربه على رأسه فسقط
وحمى نصر أصحابه فى ثمانية فمنعهم من دخول السوق قال ولما هزمت اليمانية مضراً
أرسل الحارث إلى نصر إن اليمانية يعيروننى بانهزامكم وأنا كاف فاجعل حماة
أصحابك بإزاء الكرمانىّ فبعث اليه نصر يزيد النحوىّ وخالداً يتوثق منه أن
يفى له بما أعطاه من الكف ويقال إنما كف الحارث عن قتال نصر أن عمران
ابن الفضل الأزدىّ وأهل بيته وعبد الجبار العدوىّ وخالد بن عبيد الله بن حية

العدوى وعامة أصحابه نقموا على الكرمانى فعله بأهل التبوشكان وذلك أن أسداً وجهه فنزلوا على حكم أسد فبقر بطون خمسين رجلا وألقاهم فى نهر بلخ وقطع أيدى ثلثمائة منهم وأرجلهم وصلب ثلاثا وباع أثقالهم فيمن يزيد فنقموا على الحارث عونه الكرمانى وقتاله نصرا فقال نصر لأصحابه حين تغير الأمر بينه وبين الحارث إن مضراً لاتجتمع لى ماكان الحارث مع الكرمانى لايتفقان على أمر فالرأى تركهما فانهما يختلفان وخرج إلى جُلْفَر فيجد عبدالجبار الأحول العدوى وعمر بن أبى الهيثم الصغدىّ فقال لهما أيسعكما المقام مع الكرمانى فقال عبد الجبار وأنت فلاعدمت آسياً ماأحلك هذا المحلّ فلما رجع نصر إلى مرو أمر به فضرب أربعمائة سوط ومضى نصر إلى خرق فأقام أربعة أيام بها ومعه مسلم بن عبدالرحمن ابن مسلم وسلم بن أحوز وسنان الأعرابى فقال نصر لنسائه إن الحارث سيخلفنى فيكنّ ويحميكنّ فلما قرب من نيسابور أرسلوا اليه ماأقدمك وقد أظهرت من العصبية أمرا قدكان الله أطفأه وكان عامل نصر على نيسابور ضرار بن عيسى العامرى فأرسل اليهم نصر بن سيار سنانا الأعرابى ومسلم بن عبد الرحمن وسلم ابن أحوز فكلموهم فخرجوا فتلقوا نصراً بالمواكب والجوارى والهدايا فقال سلم جعلنى الله فداك هذا الحى من قيس فإنما كانت عاتبة فقال نصر

أنا ابنُ خِندِفَ تَنْمِينِى قبائلُها للصَّالحاتِ وعمى قيسُ عَيلانَا

وأقام عند نصر حين خرج من مرو يونس بن عبدربه ومحمد بن قطن وخالد ابن عبد الرحمن فى نظرائهم قال وتقدم عباد بن عمر الأزدىّ وعبد الحكيم بن سعيد العَوْذى وأبو جعفر عيسى بن جرز على نصر من مكة بأبرشهر فقال نصر لعبد الحكيم أماترى ماصنع سفهاء قومك فقال عبد الحكيم بل سفهاء قومك طالت ولايتها فى ولايتك وصيرت الولاية لقومك دون ربيعة واليمن فبطروا وفى ربيعة واليمن علماء وسفهاء فغلب السفهاء العلماء فقال عباد أتستقبل الأمير بهذا الكلام قال دعه فقد صدق فقال أبو جعفر عيسى بن جرز وهو من أهل قرية على نهر مرو أيها الأمير حسبك من هذه الأمور والولاية فانه قد أطلّ أمر

عظيم سيقوم رجل مجهول النسب يظهر السواد و يدعو الى دولة تكون فيغلب على الأمر وأنتم تنظرون و تضطربون فقال نصر ما أشبه أن يكون لقلة الوفاء واستجراح الناس وسوء ذات البين وجّهتُ إلى الحارث وهو بأرض الترك فعرضت عليه الولاية والأموال فأبى وشعث وظاهر عليّ فقال أبو جعفر عيسى إن الحارث مقتول مصلوب وما الكرماني من ذلك ببعيد فوصله نصر قال وكان سلم بن أحوز يقول ما رأيت قوما أكرم إجابة ولا أبذل لدمائهم من قيس قال فلما خرج نصر من مرو غلب عليها الكرماني وقال للحارث إنما أريد كتاب الله فقال قحطبة لو كان صادقا لأمددته ألف عنان فقال مقاتل بن حيان أفي كتاب الله هدم الدور وانتهاب الأموال فحبسه الكرماني في خيمة في العسكر فكلمه معمر بن مقاتل بن حيان أو معمر بن حيان فخلاه فأتى الكرماني المسجد ووقف الحارث فخطب الكرماني الناس وآمنهم غير محمد بن الزبير ورجل آخر فاستأمن لابن الزبير داود بن أبي داود بن يعقوب ودخل الكاتب فآمنه ومضى الحارث الى باب دوران وسرخس وعسكر الكرماني في مصلى أسد وبعث إلى الحارث فأتاه فأنكر الحارث هدم الدور وانتهاب الأموال فهمّ الكرماني به ثم كف عنه فأقام أياما وخرج بشر ابن جدموز الضبي بخرقان فدعا إلى الكتاب والسنة وقال للحارث إنما قاتلت معك طلب العدل فأما إذ كنت مع الكرماني فقد علمت أنك إنما تقاتل ليقال غلب الحارث وهؤلاء يقاتلون عصبية فلستُ مقاتلا معك واعتزل في خمسة آلاف وخمسمائة ويقال في أربعة آلاف وقال نحن الفئة العادلة ندعوا إلى الحق ولا نقاتل إلا من يقاتلنا وأتى الحارث مسجد عياض فأرسل إلى الكرماني يدعوه إلى أن يكون الأمر شورى فأبى الكرماني وبعث الحارث ابنه محمدا نقله من دار تميم بن نصر فكتب نصر إلى عشيرته ومضر أن الزموا الحارث مناصحة فأتوه فقال الحارث إنكم أصلُ العرب وفرعها وأنتم قريب عهدكم بالهزيمة فاخرجوا إليّ بالأثقال فقالوا لم نكن نرضى بشيء دون لقائه وكان من مدبري عسكر الكرماني مقاتل بن سليمان فأتاه رجل من البخاريين فقال أعطي أجر المنجنيق التي نصبتها

فقال أقم البينة أنك نصبتها من منفعة المسلمين فشهد له شيبة بن شيخ الأزدى فأمر مقاتل فصك له إلى بيت المال قال فكتب أصحاب الحارث إلى الكرمانى نوصيكم بتقوى الله وطاعته وايثار أئمة الهدى وتحريم ماحرّم الله من دمائكم فان الله جعل اجتماعَنا كان إلى الحارث ابتغاء الوسيلة إلى الله ونصيحة فى عباده فعرضنا أنفسنا للحرب ودماءنا للسفك وأموالنا للتلف فصغر ذلك كله عندنا فى جنب مانرجو من ثواب الله ونحن وأنتم إخوان فى الدين وأنصار على العدوّ فاتقوا الله وراجعوا الحق فإنا لانريد سفك الدماء بغير حلها فأقاموا أياما فأتى الحارث بن سريج الحائط فثلم فيه ثلمةً ناحية نوبان عند دار هشام بن أبى الهيثم فتفرّق عن الحارث أهل البصائر وقالوا غدرت فأقام القاسم الشيبانى وربيع التيمى فى جماعة ودخل الكرمانى من باب سرخس فحاذى الحارث ومرّ المنخل بن عمرو الأزدى فقتله السميدع أحد بنى العدوية ونادى يالثارات لقيط واقتتلوا وجعل الكرمانى على ميمنته داود بن شعيب واخوته خالدا ومزيداً والمهلب وعلى ميسرته سورة بن محمد ابن عزيز الكندى فى كندة وربيعة فاشتدّ الأمر بينهم فانهزم أصحاب الحارث وقُتلوا مابين الثلمة وعسكر الحارث والحارث على بغل فنزل عنه وركب فرسا فضربه فجرى وانهزم أصحابه فبقى فى أصحابه فقتل عند شجرة وقُتل أخوه سوادة وبشر بن جرموز وقطن بن المغيرة بن عجرد وكفّ الكرمانى وقُتل مع الحارث مائة وقُتل من أصحاب الكرمانى مائة وصُلب الحارث عند مدينة مرو بغير رأس وكان قُتل بعد خروج نصر من مرو بثلاثين يوما قُتل يومَ الأحد لستّ بقين من رجب وكان يقال إن الحارث يُقتل تحت زيتونة أو شجرة غُبَيْرَاءَ فقتل كذلك سنة ١٢٨ وأصاب الكرمانى صفائح ذهب للحارث فأخذها وحبس أمّ ولده ثم خلى عنها وكانت عند حاجب بن عمرو بن سلمة بن سكن بن جون بن دبيب قال وأخذ أموال من خرج مع نصر واصطفى متاع عاصم بن عمير فقال ابراهيم بم تستحل ماله فقال صالح من آل الوضاح أسقى دَمه فحال بينه وبينه مقاتل ابن سليمان فأتى به منزله قال على قال زهير بن الهنيد خرج الكرمانى إلى بشر

ابن جرموز وعسكر خارجا من المدينة مدينة مرو وبشر فى أربعة آلاف فعسكر الحارث مع الكرمانى فأقام الكرمانى أياما بينه وبين عسكر بشر فرسخان ثم تقدم حتى قرب من عسكر بشر وهو يريد أن يقاتله فقال للحارث تقدم وندم الحارث على اتباع الكرمانى فقال لا تعجل إلى قتالهم فانى أردهم إليك فخرج من العسكر فى عشرة فوارس حتى أتى عسكر بشر فى قرية الدرزيجان فأقام معهم وقال ما كنت لأقاتلكم مع اليمانية وجعل المضريون ينسلون من عسكر الكرمانى إلى الحارث حتى لم يبق مع الكرمانى مضرى غير سلمة بن أبى عبدالله مولى بنى سليم فانه قال والله لا أتبع الحارث أبداً فإنى لم أره الا غادراً والمهلب بن إياس وقال لا أتبعه فإنى لم أره قط الا فى خيل تطرد فقاتلهم الكرمانى مرارا يقتتلون ثم يرجعون إلى خنادقهم فمرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء فالتقوا يوما من أيامهم وقد شرب مرثد بن عبدالله المجاشعى فخرج سكران على برذون للحارث فطعن فصرع وحماه فوارس من بنى تميم حتى تخاص وعار البرذون فلما رجع لامه الحارث وقال كدت تقتل نفسك فقال للحارث إنما تقول ذلك لمكان برذونك امرأته طالق إن لم آته ببرذون أفره من له أفره برذون فى عسكرهم قالوا عبدالله بن دَيْسَم العنزى وأشاروا إلى موقفه حتى وصل اليه فلما غشيه رمى ابن ديسم نفسه عن برذونه وعلق مرثد عنان فرسه فى رمحه وقاده حتى أتى به الحارث فقال هذا مكان برذونك فلقى مخلد بن الحسن مرثدا فقال له يمازحه ما أهيأ برذون ابن ديسم تحتك فنزل عنه وقال خذه قال أردت أن تفضحنى أخذته منا فى الحرب وآخذه فى السلم ومكثوا بذلك أياما ثم ارتحل الحارث ليلا فأتى حائط مرو فنقب بابا ودخل الحائط فدخل الكرمانى وارتحل فقالت المضرية للحارث قد تركنا الخنادق فهو يومنا وقد فررت غير مرة فترجل فقال أنا لكم فارسا خير منى لكم راجلا قالوا لا نرضى الا أن تترجل فترجل وهو بين حائط مرو والمدينة فقتل الحارث وأخوه وبشر بن جرموز وعدة من فرسان تميم وانهزم الباقون وصُلب الحارث وصَفَت مرو لليمن فهدموا دور المضرية فقال نصر بن سيار للحارث حين قتل

يا مُدْخِلَ الذلِّ على قومِهِ بعدًا وسُحقاً لك مِنْ هالِكِ
شُؤْمُكَ أردى مُضرًا كلها وغضّ مِنْ قومِكَ بالحارِكِ
ما كانتِ الأزدُ وأشياعها تطمعُ فى عمرٍو ولا مالِكِ
ولا بَنِى سَعْدٍ إذا ألجمُوا كُلَّ طِمِرٍّ لونهُ حالك

ويقال بل قال هذه الأبيات نصر لعثمان بن صدقة المازنىّ وقالت أم كثير الضبيّة

لا باركَ اللهُ فى أنثى وعذَّبها تزوَّجتْ مُضرِيًّا آخِرَ الدهرِ
أبْلغ رجالَ تميمٍ قولَ مُوجَعةٍ أحللتُمُوها بدار الذلِّ والفقر
إنْ أنتم لَمْ تكرُّوا بَعْدَ جولتِكُمْ حتّى تُعيدُوا رجالَ الأزْدِ فى الظَّهْرِ
إنّى استحيْتُ لكُمْ من بَذْلِ طاعَتِكُمْ هذا المَزُونىَّ يَجْبيكُمْ على قَهْرِ

وقال عباد بن الحارث

ألا يا نَصْرُ قَدْ برِحَ الخفاءُ وقد طالَ التَّمنِّى والرَّجاءُ
وأصْبحتِ المَزُونُ بأرْضِ مَروٍ تَقضى فى الحُكومَةِ ما تَشاءُ
يَجُوزُ قضاؤها فى كُلِّ حُكْمٍ على مُضرٍ وَإنْ جارَ القضاءُ
وحِمْيَرُ فى مَجالِسِها قُعُودٌ تَرقرقُ فى رِقابِهِمُ الدِّماءُ
فإنْ مُضرٌ بذا رَضِيَتْ وَذلتْ فطالَ لها المَذلَّةُ والشَّقاءُ
وإنْ هِيَ أعتَبَتْ فيها وإلا تَحُلَّ على عساكِرِها العفاءُ

وقال

ألا يا أيها المرءُ الـ ذى قد شَفَّهُ الطَّربُ
أفِقْ وَدَعِ الذى قد كنْـ تَ تطلبُهُ ونَطلبُ
فقد حَدثَتْ بِحَضْرتنا أُمورٌ شأنُها عجبُ
الأزْدَ رأيتُها عَزَّتْ بمَرْوَ وَذلتِ العرَبُ
بَجازَ الصُّفرُ لما كا نَ ذاكَ وَبَهرَجَ الذهبُ

وقال أبو بكر بن إبراهيم لعلى وعثمان ابنى الكرمانىّ

إنى لمُرْتَحِلٌ أريدُ بِمِدْحَتِي أخوينِ فوقَ ذرَى الأنامِ ذراهُما

سَبقا الجيادَ فلَمْ يزالا نُجْعَةً ... لا يَعْدَمُ الضَّيفُ الغَرِيبُ قِراهُما
يَسْتَعْلِيَانِ ويَجْرِيانِ إلى العُلَى ... ويَعِيشُ فى كَنَفَيْهِمَا حَيَّاهُما
أَعْنِي عَلِيًّا إنَّهُ ووزيرَهُ ... عُثمانَ ليسَ يَذِلُّ مَنْ والاهُما
جَرَيَا لِكَيْمَا يلحقا بأَبِيهِمَا ... جَرْىَ الجيادِ من البعيدِ مَداهُما
فلئِنْ هُما لَحِقَا بهِ لِمُنَصَّبٍ ... يَسْتَعْلِيانِ ويَلحقانِ أباهُما
ولَئِنْ أَبَرَّ عليهِمَا فلطالَ ما ... جَرَيا فَبذَّهُما وبَذَّ سِواهُما
فلأَمْدَحَنَّهُما بِما قدْ عايَنَتْ ... عَيْنِي وإنْ لَمْ أُحْصِ كلَّ نَداهُما
فَهُما التَّقِيَّانِ المُشارُ إليهِما ... الحامِلانِ الكامِلانِ كِلاهُما
وَهُما أزالا عن عَرِيكَةِ مُلْكِهِ ... نَصْرًا ولاقى الذُلَّ إذْ عاداهُما
نَفَيا ابنَ أَقْطَعَ بعدَ قتلِ حُماتِهِ ... وتَقَسَّمَتْ أَسلابَهُ خَيلاهُما
والحارثُ بنُ سُرَيجٍ إذ قَصَدُوا لَهُ ... حتى تَعاوَرَ رَأْسَهُ سَيفاهُما
أَخَذا بِعَفْوِ أبيهِما فى قدرِهِ ... إذ عَزَّ قَوْمُهُما ومن والاهُما

(وفى هذه السنة) وجه إبراهيم بن محمد أبا مسلم إلى خراسان وكتب إلى أصحابه إنى قد أمرته بأمرى فاسمعوا منه واقبلوا قوله فإنى قد أمّرته على خراسان وماغلب عليه بعد ذلك فأتاهم فلم يقبلوا قوله وخرجوا من قابل فالتقوا بمكة عند إبراهيم فأعلمه أبو مسلم أنه لم ينفذوا كتابه وأمره فقال إبراهيم إنى قد عرضت هذا الأمر على غير واحد فأبوه عليّ وذلك أنه كان عرض ذلك قبل أن يوجه أبا مسلم على سليمان بن كثير فقال لا ألى اثنين أبداً ثم عرضه على إبراهيم بن سلمة فأبى فأعلمهم أنه أجمع رأيه على أبي مسلم فأمرهم بالسمع والطاعة ثم قال ياعبد الرحمن إنك رجل منا أهل البيت فاحتفظ وصيّتى وانظر هذا الحىّ من اليمن فأكرمهم وحُل بين أظهرهم فإن الله لا يُتم هذا الأمر إلا بهم وانظر هذا الحى من ربيعة فاتهمهم فى أمرهم وانظر هذا الحى من مضر فانهم العدوّ القريب الدار فاقتل من شككت فى أمره ومن كان فى أمره شبهة ومن وقع فى نفسك منه شىء وإن استطعت أن لاتدع بخراسان لسانا عربيّا فافعل فأيما غلام بلغ

خمسة أشبار تتهمه فاقتله ولا تخالف هذا الشيخ يعنى سليمان بن كثير ولا تعصه وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به منى ﴿وفى هذه السنة﴾ قتل الضحاك بن قيس الخارجى فيما قال أبو مخنف ذكر ذلك هشام بن محمد عنه

ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك

ذكر أن الضحاك لما حاصر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط وبايعه منصور بن جمهور ورأى عبد بن عمر أنه لا طاقة له به أرسل إليه ان مقامكم على ليس بشىء هذا مروان فسر إليه فإن قاتلته فانا معك فصالحه على ما قد ذكرت من اختلاف المختلفين فيه فذكر هشام عن أبى مخنف أن الضحاك ارتحل عن ابن عمر حتى لقى مروان بكفرتوثا من أرض الجزيرة فقتل الضحاك يوم التقوا وأبو هاشم مخلد بن محمد بن صالح قال فيما حدثنى أحمد بن زهير قال حدثنا عبد الوهاب ابن إبراهيم عنه أن الضحاك لما قتل عطية التغلبى صاحبه وعامله على الكوفة ملحان بقنطرة السيلحين وبلغه خبر قتل ملحان وهو محاصر عبد الله بن عمر بواسط وجه مكانه من أصحابه رجلا يقال له مطاعن واصطلح عبد الله بن عمر والضحاك عن أن يدخل فى طاعته فدخل وصلى خلفه وانصرف إلى الكوفة وأقام ابن عمر فيمن معه بواسط ودخل الضحاك الكوفة وكاتبه أهل الموصل ودعوه إلى أن يقدم عليهم فيمكنوه منها فسار فى جماعة جنوده بعد عشرين شهرا حتى انتهى إليها وعليها يومئذ عامل لمروان وهو رجل من بنى شيبان من أهل الجزيرة يقال له القطران بن أكمة ففتح أهل الموصل المدينة للضحاك وقاتلهم القطران فى عدة يسيرة من قومه وأهل بيته حتى قتلوا واستولى الضحاك على الموصل وكورها وبلغ مروان خبره وهو محاصر حمص مشتغل بقتال أهلها فكتب إلى ابنه عبد الله وهو خليفته بالجزيرة يأمره أن يسير فيمن معه من روابطه إلى مدينة نصيبين يشغل الضحاك عن توسط الجزيرة فشخص عبد الله إلى نصيبين فى جماعة روابطه وهو فى نحو من سبعة آلاف أو ثمانية وخاف بحران قائداً فى ألف أو نحو ذلك وسار الضحاك من الموصل إلى عبد الله بنصيبين فقاتله فلم يكن له قوة لكثرة

من مع الضحاك فهو فيما بلغنا عشرون ومائة ألف يُرزق الفارس عشرين ومائة والرجل والبغال المائة والثمانين فى كل شهر وأقام الضحاك على نصيبين محاصراً لها ووجه قائدين من قواده يقال لهما عبد الملك بن بشر التغلبىّ وبدر الذكوانى مولى سليمان بن هشام فى أربعة آلاف أو خمسة آلاف حتى وردا الرقّة فقاتلهم من بها من خيل مروان وهم نحو من خمسمائة فارس ووجّه مروان حين بلغه نزولهم الرقة خيلا من روابطه فلما دنوا منها انقشع أصحاب الضحاك منصرفين إليه فاتبعتهم خيله فاستسقطوا من ساقتهم نيّفا وثلاثين رجلا فقطعهم مروان حين قدم الرقة ومضى صامدا إلى الضحاك وجموعه حتى التقيا بموضع يقال له الغز من أرض كفرْتُوثا فقاتله يومَه ذلك فلما كان عند المساء ترجل الضحاك وترجل معه من ذوى الثبات من أصحابه نحو من ستة آلاف وأهل عسكره أكثرهم لا يعلمون بما كان منه وأحدقت بهم خيول مروان فألحوا عليهم حتى قتلوهم عند العتمة وانصرف من بقى من أصحاب الضحاك إلى عسكرهم ولم يعلم مروان ولا أصحاب الضحاك أن الضحاك قد قتل فيمن قتل حتى فقدوه فى وسط الليل وجاءهم بعض من عاينه حين ترجل فأخبرهم بخبره ومقتله فبكوه وناحوا عليه وخرج عبد الملك ابن بشر التغلبىّ القائد الذى كان وجهه فى عسكرهم إلى الرقة حتى دخل عسكر مروان ودخل عليه فأعلمه أن الضحاك قتل فأرسل معه رسلا من حرسه معهم النيران والشمع إلى موضع المعركة فقلبا القتلى حتى استخرجوه فاحتملوه حتى أتوا به مروان وفى وجهه أكثر من عشرين ضربة فكبر أهل عسكر مروان فعرف أهل عسكر الضحاك أنهم قد علموا بذلك وبعث مروان برأسه من ليلته إلى مدائن الجزيرة فطيف به فيها وقيل ان الخيبرى والضحاك انما قتلا فى سنة ١٢٩ ﴿وفى هذه السنة﴾ كان أيضا فى قول أبى مخنف قتل الخيبرى الخارجى كذلك ذكر هشام عنه

ذكر الخبر عن مقتله

❊ حدثنى أحمد بن زهير قال حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم قال حدثنى أبو هاشم مخلد بن محمد بن صالح قال لما قتل الضحاك أصبح أهل عسكره بايعوا الخيبرى

وأقاموا يومئذ وغادوه من بعد الغد وصافوه وصافهم وسليمان بن هشام يومئذ في مواليه وأهل بيته مع الخيبرى وقد كان قدم على الضحاك وهو بنصيبين وهم فى أكثر من ثلاثة آلاف من أهل بيته ومواليه فتزوج فيهم أخت شيبان الحرورى الذى بايعوه بعد قتل الخيبرى فحمل الخيبرى على مروان فى نحو من أربعمائة فارس من الشراة فهزم مروان وهو فى القلب وخرج مروان من المعسكر هاربا ودخل الخيبرى فيمن معه عسكره فجعلوا ينادون بشعارهم ينادون ياخيبرى ياخيبرى ويقتلون من أدركوا حتى انتهوا إلى حجرة مروان فقطعوا أطنابها وجلس الخيبرى على فرشه وميمنة مروان عليها ابنه عبدالله ثابتة على حالها وميسرته ثابتة عليها إسحاق بن مسلم العقيلى فلما رأى أهل عسكر مروان قلة من مع الخيبرى ثار إليه عبيد من أهل العسكر بعمد الخيام فقتلوا الخيبرى وأصحابه جميعا فى حجرة مروان وحولها وبلغ مروان الخبر وقد جاز العسكر بخمسة أميال أو ستة منهزما فانصرف إلى عسكره ورد خيوله عن مواضعها ومواقفها وبات ليلته تلك فى عسكره فانصرف أهل عسكر الخيبرى فولوا عليهم شيبان وبايعوه فقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل الصف منذ يومئذ وكان مروان يوم الخيبرى بعث محمد بن سعيد وكان من ثقاته وكتابه إلى الخيبرى فبلغه أنه مالأهم وانحاز إليهم يومئذ فأتى به مروان أسيراً فقطع يده ورجله ولسانه ﴿وفى هذه السنة﴾ وجه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة إلى العراق لحرب من بها من الخوارج ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز كذلك قال أبو معشر فيما حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عنه وكذلك قال الواقدى وغيره وقال الواقدى وافتتح مروان حمص وهدم سورها وأخذ نعيم بن ثابت الجزامى فقتله فى شوال سنة ٨ وقد ذكرنا من خالفه فى ذلك قبل وكان العامل على المدينة ومكة والطائف فيما ذكر فى هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وبالعراق عمال الضحاك وعبد الله بن عمر وعلى قضاء البصرة ثمامة بن عبد الله بخراسان نصر بن سيار وخراسان مفتونة ﴿وفى هـذه السنة﴾ لقى أبو حمزة

الخارجى عبد الله بن يحي طالب الحق فدعاه إلى مذهبه

ذكر الخبر عن ذلك

* حدثنى العباس بن عيسى العقيلى قال حدثنا هارون بن موسى الغزوى قال حدثنى موسى بن كثير مولى الساعديين قال كان أول أمر أبى حمزة وهو المختار بن عوف الازدى السليمى من البصرة قال موسى كان أول أمر أبى حمزة أنه كان يوافى كلّ سنة مكة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد والى خلاف آل مروان قال فلم يزل يختلف فى كل سنة حتى وافى عبد الله بن يحي فى آخر سنة ١٢٨ فقال له يارجل أسمَعُ كلاما حسناً أراك تدعو إلى حق فانطلق معى فانى رجل مطاع فى قومى فخرج حتى ورد حَضْرَمَوْت فبايعه أبو حمزة على الخلافة ودعا إلى خلاف مروان وآل مروان * وقد حدثنى محمد بن حسن أن أباحمزة مرّ بمعدن بنى سليم وكثير بن عبد الله عامل على المعدن فسمع بعض كلامه فأمر به فجلد سبعين سوطا ثم مضى إلى مكة فلما قدم أبو حمزة المدينة حين افتتحها تغيب كثير حتى كان من أمرهم ما كان

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من هلاك شيبان بن عبدالعزيز اليشكرى أبى الدلفاء

ذكر الخبر عن سبب مهلكه

وكان سبب ذلك أن الخوارج الذين كانوا بإزاء مروان بن محمد يحاربونه لما قتل الضحاك بن قيس الشيبانى رئيس الخوارج والخيبرى بعده ولوا عليهم شيبان وبايعوه فقاتلهم مروان فذكر هشام بن محمد والهيثم بن عدى أن الخيبرى لما قتل قال سليمان بن هشام بن عبد الملك للخوارج وكان معهم فى عسكرهم إن الذى تفعلون ليس برأى وإن أخذتم برأيي وإلا انصرفت عنكم قالوا فما الرأى قال إن أحدكم يظفر ثم يستقتل فيقتل فإنى أرى أن ننصرف على حاميتنا حتى

نزل الموصل فنخندق ففعل وأتبعه مروان والخوارج فى شرقىّ دجلة ومروان بإزائهم فاقتتلوا تسعة أشهر ويزيد بن عمر بن هبيرة بقرقيسيا فى جند كثيف من أهل الشأم وأهل الجزيرة فأمره مروان أن يسير إلى الكوفة وعليها يومئذ المثنى ابن عمران من عائذة قريش من الخوارج * وحدثنى أحمد بن زهير قال حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم قال حدثنى أبو هاشم مخلد بن محمد قال كان مروان بن محمد يقاتل الخوارج بالصف فلما قتل الخيبرى وبويع شيبان قاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل الصف منذ يومئذ وجعل الآخرون يكردسون بكراديس مروان كراديس تكافئهم وتقاتلهم وتفرق كثير من أصحاب الطمع عنهم وخذلوهم وحصلوا فى نحو من أربعين ألفاً فأشار عليهم سليمان بن هشام أن ينصرفوا إلى مدينة الموصل فيصيروها ظهراً وملجأ وميرة لهم فقبلوا رأيه وارتحلوا ليلا وأصبح مروان فأتبعهم ليس يرحلون عن منزل إلا نزله حتى انتهوا إلى مدينة الموصل فعسكروا على شاطئ دجلة وخندقوا على أنفسهم وعقدوا جسورا على دجلة من عسكرهم إلى المدينة فكانت ميرتهم ومرافقهم منها وخندق مروان بإزائهم فأقام ستة أشهر يقاتلهم بكرة وعشية قال وأتى مروان بابن أخ لسليمان بن هشام يقال له أمية بن معاوية بن هشام وكان مع عمه سليمان بن هشام فى عسكر شيبان بالموصل فهو مبارز رجلا من فرسان مروان فأسره الرجل فأتى به أسيرا فقال له أنشدك الله والرحم ياعم فقال ما بينى وبينك اليوم من رحم فأمر به وعمه سليمان وإخوته ينظرون فقطعت يداه وضربت عنقه قال وكتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بالمسير من قرقيسيا بجميع من معه إلى عبيدة بن سوار خليفة الضحاك بالعراق فلقى خيوله بعين التمر فقاتلهم فهزمهم وعليهم يومئذ المثنى بن عمران من عائذة قريش والحسن بن يزيد ثم تجمعوا له بالكوفة بالنخيلة فهزمهم ثم اجتمعوا بالصَّرَاة ومعهم عبيدة فقاتلهم فقتل عبيدة وهزم أصحابه واستباح ابن هبيرة عسكرهم فلم يكن لهم بقية بالعراق واستولى ابن هبيرة عليها وكتب إليه مروان بن محمد من الخنادق يأمره أن يمده بعامر بن ضبارة المُرّىّ فوجهه فى نحو

من ستة آلاف أو ثمانية وبلغ شيبان خبرهم ومن معه من الحَرُورِيَّة فوجهوا إليه قائدين فى أربعة آلاف يقال لهما ابن غوث والجون فلقوا ابن ضبارة بالسن دون الموصل فقاتلوه قتالا سديدا فهزمهم ابن ضبارة فلما قدم فلّهم أشار عليهم سليمان بالارتحال عن الموصل وأعلمهم أنه لا مقام لهم إذ جاءهم ابن ضبارة من خلفهم وركبهم مروان من بين أيديهم فارتحلوا فأخذوا على حلوان إلى الأهواز وفارس ووجه مروان إلى ابن ضبارة ثلاثة نفر من قواده فى ثلاثين ألفاً من روابطه أحدهم مصعب بن الصحصح الأسدى وشقيق وعطيف وشقيق الذى يقول فيه الخوارج

قد عَلِمَتْ أختاك ياشقيقُ أنكَ مِنْ سُكْرِك ما تُفِيقُ

وكتب إليه يأمره أن يتعبهم ولا يقلع عنهم حتى يبيرهم ويستأصلهم فلم يزل يتبعهم حتى وردوا فارس وخرجوا منها وهو فى ذلك يستسقط من لحق من أخرياتهم فتفرقوا وأخذ شيبان فى فرقته إلى ناحية البحرين فقتل بها وركب سليمان فيمن معه من مواليه وأهل بيته السفن إلى السند وانصرف مروان إلى منزله من حران فأقام بها حتى شخص إلى الزاب (وأما أبو مخنف) فإنه قال فيما ذكر هشام بن محمد عنه قال أمر مروان يزيد بن عمر بن هبيرة وكان فى جنود كثيرة من الشأم وأهل الجزيرة بقرقيسيا أن يسير الى الكوفة وعلى الكوفة يومئذ رجل من الخوارج يقال له المثنى بن عمران العائذى عائذة قريش فسار اليه ابن هبيرة على الفرات حتى انتهى الى عين التمر ثم سار فلقى المثنى بالروحاء فوافى الكوفة فى شهر رمضان من سنة ١٢٩ فهزم الخوارج ودخل ابن هبيرة الكوفة ثم سار إلى الصراة وبعث شيبان عبيدة بن سوار فى خيل كثيرة فعسكر فى شرقى الصراة وابن هبيرة فى غربيها فالتقوا فقتل عبيدة وعدة من أصحابه وكان منصور ابن جمهور معهم فى دور الصراة فمضى حتى غلب على الماهين وعلى الجبل أجمع وسار ابن هبيرة إلى واسط فأخذ ابن عمر فحبسه ووجه نباتة بن حنظلة إلى سليمان ابن حبيب وهو على كور الأهواز وبعث إليه سليمان داود بن حاتم فالتقوا بالمريان

على شاطئ دجيل فانهزم الناس وقتل داود بن حاتم وفى ذلك يقول خلف بن خليفة

نَفْسى الفِدا لداوُدٍ والحِمَى إذ أسلَمَ الجَيْشُ أبا حاتِمِ
مُهَلَّبيٌّ مُشْرِقٌ وَجْهُهُ ليسَ على المعرُوفِ بالنادِمِ
سألتُ من يعلَمُ لى علمَهُ حَقًّا وما الجا.......
قالوا عَهِدْناهُ على مَرْقَبٍ يَحْمِلُ كالضِرْغامَةِ الصّارِمِ
ثُمَّ انثنى منجدِلا فى دَمٍ يسفَحُ فَوقَ البدَنِ الناعِم
وأقبلَ القِبطُ على رَأْسِهِ واختصموا فى السَّيْفِ والخاتِمِ

وسار سليمان حتى لحق بابن معاوية الجعفرى بفارس وأقام ابن هبيرة شهرا ثم وجه عامر بن ضبارة فى أهل الشأم إلى الموصل فسار حتى انتهى إلى السنّ فلقيه بها الجون بن كلاب الخارجىّ فهزم عامر بن ضبارة حتى أدخله السنّ فتحصن فيها وجعل مروان يمده بالجنود يأخذون طريق البر حتى انتهوا إلى دجلة فقطعوها إلى ابن ضبارة حتى كثروا وكان منصور بن جمهور يمدّ شيبان بالأموال من كور الجبل فلما كثر من يتبع ابن ضبارة من الجنود نهض إلى الجون بن كلاب فقتل الجون ومضى ابن ضبارة مصعداً إلى الموصل فلما انتهى خبر الجون وقتله إلى شيبان ومسير عامر بن ضبارة نحوه كره أن يقيم بين العسكرين فارتحل بمن معه وفرسان أهل الشأم من اليمانية وقدم عامر بن ضبارة بمن معه على مروان بالموصل فضم اليه جنودا من جنوده كثيرة وأمره أن يسير إلى شيبان فان أقام وإن سار سار وأن لا يبدأه بقتال فان قاتله شيبان قاتله وإن أمسك أمسك عنه وإن ارتحل اتبعه فكان على ذلك حتى مر على الجبل وخرج على بيضاء اصطخر وبها عبد الله بن معاوية فى جموع كثيرة فلم يتهيأ الأمر بينه وبين ابن معاوية فسار حتى نزل جيرَفت من كرمان وأقبل عامر بن ضبارة حتى نزل بإزاء ابن معاوية أياما ثم ناهضه القتال فانهزم ابن معاوية فلحق بهراة وسار ابن ضبارة بمن معه فلقى شيبان بجيرفت من كرمان فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت الخوارج واستبيح عسكرهم ومضى شيبان إلى سجستان فهلك بها

وذلك فى سنة ١٣٠ وأما أبو عبيدة فانه قال لما قتل الخيبرى قام بأمر الخوارج شيبان بن عبد العزيز اليشكرى فحارب مروان وطالت الحرب بينهما وابن هبيرة بواسط قد قتل عبيدة بن سوار ونفى الخوارج ومعه رؤس قواد أهل الشأم وأهل الجزيرة فوجه عامر بن ضبارة فى أربعة آلاف مدداً لمروان فأخذ على المدائن وبلغ مسيره شيبان فخاف أن يأتيهم مروان فوجه اليه الجون بن كلاب الشيبانى ليشغله فالتقيا بالسن فحصر الجون عامرا أياما قال أبو عبيدة قال أبو سعيد فأخرجناهم والله واضطررناهم إلى قتالنا وقد كانوا خافونا وأرادوا الهرب منا فلم ندع لهم مسلكا فقال لهم عامر أنتم ميتون لا محالة فموتوا كراما فصدمونا صدمة لم يقم لها شىء وقتلوا رئيسنا الجون بن كلاب وانكشفنا حتى لحقنا بشيبان وابن ضبارة فى آثارنا حتى نزل منا قريباً وكنا نقاتل من وجهين نزل ابن ضبارة من ورائنا مما يلى العراق ومروان أمامنا مما يلى الشأم فقطع عنا المادة والميرة فغلت أسعارنا حتى بلغ الرغيف درهما ثم ذهب الرغيف فلا شىء يشترى بغال ولا رخيص فقال حبيب بن جدرة لشيبان يا أمير المؤمنين إنك فى ضيق من المعاش فلو انتقلت إلى غير هذا الموضع ففعل ومضى إلى شهرزور من أرض الموصل فعاب ذلك عليه أصحابه فاختلفت كلمتهم وقال بعضهم لما ولى شيبان أمر الخوارج ..... إلى الموصل فاتبعه مروان ينزل معه حيث نزل......... شيبان حتى لحق بأرض فارس فوجه مروان فى أثره عامر بن ضبارة .....ع إلى جزيرة ابن كاوان ومضى شيبان بمن معه حتى صار إلى عمان فقتله جلندى بن مسعود بن جيفر بن جلندى الأزدى (وفى هذه السنة) أمر إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس أبا مسلم وقد شخص من خراسان يريده حتى بلغ قومس بالانصراف إلى شيعته بخراسان وأمرهم باظهار الدعوة والتسويد

ذكر الخبر عن ذلك وكيف كان الأمر فيه

قال على بن محمد عن شيوخه لم يزل أبو مسلم يختلف إلى خراسان حتى وقعت العصبية بها فلما اضطرب الحبل كتب سليمان بن كثير إلى أبى سلمة الخلال يسأله

أن يكتب إلى ابراهيم يسأله أن يوجه رجلا من أهل بيته فكتب أبو سلمة إلى ابراهيم فبعث أبا مسلم فلما كان فى سنة ١٢٩ كتب ابراهيم إلى أبى مسلم يأمره بالقدوم عليه ليسأله عن أخبار الناس فخرج فى النصف من جمادى الآخرة مع سبعين نفساً من النقباء فلما صار بالدندانقان من أرض خراسان عرض له كامل أو أبو كامل قال أين تريدون قالوا الحج ثم خلا به أبو مسلم فدعاه فاجابهم وكف عنهم ومضى أبو مسلم إلى بيورد فأقام بها أياما ثم سار إلى نسا وكان بها عاصم بن قيس السلمى عاملا لنصر بن سيار الليثىّ فلما قرب منها أرسل الفضل بن سليمان الطوسى إلى أسيد بن عبد الله الخزاعى ليعلمه قدومه فمضى الفضل فدخل قرية من قرى نسا فلقى رجلا من الشيعة يعرفه فسأله عن أسيد فانتهره فقال يا عبد الله ما أنكرت من مسألتى عن منزل رجل قال إنه كان فى هذه القرية شر سعى برجلين قدما إلى العامل وقيل انهما داعيان فأخذهما وأخذ الأحجم بن عبد الله وغيلان بن فضالة وغالب بن سعيد والمهاجر بن عثمان فانصرف الفضل إلى أبى مسلم وأخبره فتنكب الطريق وأخذ فى أسفل القرى وأرسل طرخان الجمال إلى أسيد فقال ادعه لى ومن قدرت عليه من الشيعة واياك ان تكلم أحداً لم تعرفه فأتى طرخان أسيداً فدعاه وأعلمه بمكان أبى مسلم فأتاه فسأله عن الأخبار قال نعم قدم الأزهر بن شعيب وعبد الملك بن سعد بكتب من الامام اليك فخلفا الكتب عندى وخرجا فأخذا فلا أدرى من سعى بهما فبعث بهما العامل إلى عاصم بن قيس فضرب المهاجرين عثمان وناساً من الشيعة قال فأين الكتب قال عندى قال فأتنى بها قال ثم سار حتى أتى قومس وعليها بيهس بن بديل العجلى فأتاهم بيهس فقال أين تريدون قالوا الحج قال أفمعكم فضل برذون تبيعونه قال أبو مسلم أما بيعاً فلا ولكن خذ أى دوابنا شئت قال اعرضوها علىّ فعرضوها فاعجبه برذون منها سمند فقال أبو مسلم هو لك قال لا أقبله إلا بثمن قال احتكم قال سبعمائة قال هو لك فأتاه وهو بقومس كتاب من الامام اليه وكتاب إلى سليمان بن كثير وكان فى كتاب أبى مسلم إنى قد بعثت اليك براية النصر فارجع من حيث ألفاك كتابى ووجه الى قحطبة بما معك

يوافى به فى الموسم فانصرف أبو مسلم إلى خراسان ووجه قحطبة إلى الإمام فلما كانوا بنسا عرض لهم صاحب مسلحه فى قرية من قرى نسا فقال لهم من أنتم قالوا أردنا الحج فبلغنا عن الطريق شىء خفناه فأوصلهم إلى عاصم بن قيس السلمى فسألهم فأخبروه فقال ..... للمفضل بن الشرقى السلمى وكان على شرطته أزعجهم فخلابه أبو مسلم وعرض عليه أمرهم فأجابه وقال ارتحلوا على مهل ولا تعجلوا وأقام عندهم حتى ارتحلوا فقدم أبو مسلم مرو فى أول يوم من شهر رمضان سنة ١٢٩ ودفع كتاب الإمام الى سليمان بن كثير وكان فيه أن أظهر دعوتك ولا تربص فقد آن ذلك فنصبوا أبا مسلم وقالوا رجل من أهل البيت ودعوا الى طاعة بنى العباس وأرسلوا الى من قرب منهم أو بعد ممن أجابهم فأمروه بإظهار أمرهم والدعاء إليهم ونزل أبو مسلم قرية من قرى خزاعة يقال لها سفيذنج وشيبان والكرمانى يقاتلان نصر بن سيار فبث أبو مسلم دعاته فى الناس وظهر أمره وقال الناس قدم رجل من بنى هاشم فأتوه من كل وجه فظهر يوم الفطر فى قرية خالد بن ابراهيم فصلى بالناس يوم الفطر القاسم ابن مجاشع المرائى ثم ارتحل فنزل بالين ويقال قرية اللين لخزاعة فوافاه فى يوم واحد أهل ستين قرية فأقام اثنين وأربعين يوما فكان أول فتح أبى مسلم من قبل موسى بن كعب فى بيورد وتشاغل لقتل عاصم بن قيس ثم جاء فتح من قبل مروروذ (قال أبو جعفر) وأما أبو الخطاب فإنه قال كان مقدم أبى مسلم أرض مرو منصرفا من قومس وقد أنفذ من قومس قحطبة بن شبيب بالأموال التى كانت معه والعروض إلى الامام ابراهيم بن محمد وانصرف إلى مرو فقدمها فى شعبان سنة ١٢٩ لتسع خلون منه يوم الثلاثاء فنزل قرية تدعى فنين على أبى الحكم عيسى بن أعين النقيب وهى قرية أبى داود النقيب فوجه منها أبا داود ومعه عمرو ابن أعين إلى طخارستان فما دون بلخ بإظهار الدعوة فى شهر رمضان من عامهم ووجه النضر بن صبيح التميمى ومعه شريك بن غضى التميمى إلى مروالروذ بإظهار الدعوة فى شهر رمضان ووجه أباعاصم عبد الرحمن بن سليم الى الطالقان ووجه

أبا الجهم بن عطية الى العلاء بن حريث بخوارزم بإظهار الدعوة فى شهر رمضان لخمس بقين من الشهر فإن أعجلهم عدوهم دون الوقت فعرض لهم بالأذى والمكروه فقد حل لهم أن يدفعوا عن أنفسهم وان يظهروا السيوف ويجردوها من أغمادها ويجاهدوا أعداء الله ومن شغلهم عدوهم عن الوقت فلا حرج عليهم أن يظهروا بعد الوقت ثم تحول أبو مسلم عن منزل أبى الحكم عيسى بن أعين فنزل على سليمان ابن كثير الخزاعى فى قريته التى تدعى سفيذنج من ربع خرقان لليلتين خلتا من شهر رمضان من سنة ١٢٩ فلما كانت ليلة الخميس لخمس بقين من شهر رمضان سنة ١٢٩ عقدوا اللواء الذى بعث به الإمام اليه الذى يدعى الظل على رمح طوله أربعة عشر ذراعا وعقد الراية الذى بعث بها الإمام التى تدعى السحاب على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعا وهو يتلو اذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير ولبسوا السواد هو وسليمان بن كثير وإخوة سليمان ومواليه ومن كان أجاب الدعوة من أهل سفيذنج منهم غيلان بن عبدالله الخزاعى وكان صهر سليمان على أخته أم عمرو بنت كثير ومنهم حميد بن رزين وأخوه عثمان بن رَزِين فأوقد النيران ليلته أجمع للشيعة من سكان ربع خرقان وكانت العلامة بين الشيعة فتجمعوا له حين أصبحوا مغذين وتأول هذين الاسمين الظل والسحاب أن السحاب يطبق الأرض وكذلك دعوة بنى العباس وتأويل الظل أن الأرض لا تخلو من الظل أبدا وكذلك لا تخلو من خليفة عباسى أبد الدهر وقدم على أبى مسلم الدعاة من أهل مرو بمن أجاب الدعوة وكان أول من قدم عليه أهل السقادم مع أبى الوضاح الهُرْمُزْفَرِّىّ عيسى بن شبيل فى تسعمائة رجل وأربعة فرسان ومن أهل هُرْمُزْفَرّه سليمان بن حسان وأخوه يزدان بن حسان والهيثم بن يزيد بن كيسان وبويع مولى نصر بن معاوية وأبو خالد الحسن وجردى ومحمد بن علوان وقدم أهل السقادم مع أبى القاسم محرز بن ابراهيم الجوبانىّ فى ألف وثلثمائة راجل وستة عشر فارسا ومنهم من الدعاة أبو العباس المَرْوَزى وخذام بن عمار وحمزة بن زُنيم فجعل أهل السقادم يكبرون من ناحيتهم وأهل السقادم مع محرز بن ابراهيم يجيبونهم بالتكبير فلم يزالوا كذلك حتى دخلوا

عسكر أبى مسلم بسفيذنج وذلك يوم السبت من بعد ظهور أبى مسلم بيومين وأمر أبو مسلم أن يُرَمّ حصن سفيذنج ويحصن ويدرب فلما حضر العيد يوم الفطر بسفيذنج أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلى به وبالشيعة ونصب له منبراً فى العسكر وأمره أن يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة وكانت بنو أمية تبدأ بالخطبة والأذان ثم الصلاة بالإقامة على صلاة يوم الجمعة فيخطبون على المنابر جلوسا فى الجمعة والأعياد وأمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يكبر ست تكبيرات تباعا ثم يقرأ ويركع بالسابعة ويكبر فى الركعة الثانية خمس تكبيرات تباعا ثم يقرأ ويركع بالسادسة ويفتتح الخطبة بالتكبير ويختمها بالقرآن وكانت بنو أمية تكبر فى الركعة الأولى أربع تكبيرات يوم العيد وفى الثانية ثلاث تكبيرات فلما قضى سليمان بن كثير الصلاة والخطبة انصرف أبو مسلم والشيعة إلى طعام قد أعده لهم أبو مسلم الخراسانى فطعموا مستبشرين وكان أبو مسلم وهو فى الخندق إذا كتب إلى نصر بن سيار يكتب للأمير نصر فلما قوى أبو مسلم بمن اجتمع إليه فى خندقه من الشيعة بدأ بنفسه فكتب إلى نصر أما بعد فان الله تبارك أسماؤه وتعالى ذكره عيّر أقواماً فى القرآن فقال (وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّءِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا) فتعاظم نصر الكتاب وانه بدأ بنفسه وكسر له إحدى عينيه وقال هذا كتاب له جواب فلما استقر بأبى مسلم معسكره بالماخُوَان أمر محرز بن إبراهيم أن يخندق خندقا بجيرَنْج ويجتمع اليه أصحابه ومن نزع اليه من الشيعة فيقطع مادة نصر بن سيار من مروروذ وبلخ وكور طخارستان ففعل ذلك محرز بن إبراهيم واجتمع فى خندقه نحو من ألف رجل فأمر أبو مسلم أبا صالح كامل بن مظفر أن يوجه رجلا إلى خندق محرز بن إبراهيم لعرض من فيه وإحصائهم فى دفتر بأسمائهم وأسماء آبائهم

وقراهم فوجه أبو صالح حميداً الأزرق لذلك وكان كاتبا فأحصى فى خندق محرز ثمانمائة رجل وأربعة رجال من أهل الكف وكان فيهم من القواد المعروفين زياد بن سيار الأزدى من قرية تدعى اسبِوادق من ربع خرقان وخذام بن عمار الكندى من ربع السقادم ومن قرية تدعى بالأوايق وحنيفة بن قيس من ربع السقادم ومن قرية تدعى الشنج وعبدويه الجردامذ بن عبد الكريم من أهل هَراة وكان يجلب الغنم إلى مرو وحمزة بن زنيم الباهلى من ربع خرقان من قرية تدعى هتلادجور وأبو هاشم خليفة بن مهران من ربع السقادم من قرية تدعى جوبان وأبو خديجة جيلان بن السغدى وأبو نعيم موسى بن صبيح فلم يزل محرز ابن إبراهيم مقيما فى خندقه حتى دخل أبو مسلم حائط مرو وعطل الخندق بماخوان والى أن عسكر بمارسرجس يريد نيسابور فضم اليه محرز بن إبراهيم أصحابه وكان من الأحداث وأبو مسلم بسَفيذَنج أن نصر بن سيار وجه مولى له يقال له يزيد فى خيل عظيمة لمحاربة أبى مسلم بعد ثمانية عشر شهرا من ظهوره فوجه اليه أبو مسلم مالك بن الهيثم الخزاعى ومعه مصعب بن قيس فالتقوا بقرية تدعى آلِين فدعاهم مالك إلى الرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستكبروا عن ذلك فصافهم مالك وهو فى نحو من مائتين من أول النهار إلى وقت العصر وقدم على أبى مسلم صالح بن سليمان الضبي وإبراهيم بن يزيد وزياد بن عيسى فوجههم إلى مالك بن الهيثم فقدموا عليه مع العصر فقوى بهم أبو نصر فقال يزيد مولى نصر بن سيار لأصحابه إن تركنا هؤلاء الليلة أتتهم الأمداد فاحملوا على القوم ففعلوا وترجّل أبو نصر وحض أصحابه وقال إنى لأرجو أن يقطع الله من الكافرين طرفا فاجتلدوا جلادًا صادقا وصبر الفريقان فقتل من شيعة بنى مروان أربعة وثلاثون رجلا وأسر منهم ثمانية نفر وحمل عبد الله الطائى على يزيد مولى نصر عميد القوم فأسره وانهزم أصحابه فوجه أبو نصر عبد الله الطائى بأسيره فى رجال من الشيعة ومعهم من الأسرى والرؤوس وأقام أبو نصر فى معسكره بسفيذنج وفى الوفد أبو حماد المروزى وأبو عمرو الأعجمى فأمر أبو مسلم

بالرؤوس فنصبت على باب الحائط الذى فى معسكره ودفع يزيد الأسلمى إلى أبى إسحاق خالد بن عثمان وأمره أن يعالج يزيد مولى نصر من جراحات كانت به ويحسن تعاهده وكتب إلى أبى نصر بالقدوم عليه فلما اندمل يزيد مولى نصر من جراحاته دعاه أبو مسلم فقال إن شئت أن تقيم معنا وتدخل فى دعوتنا فقد أرشدك الله وإن كرهت فارجع إلى مولاك سالما وأعطنا عهد الله أن لا تحاربنا ولا تكذب علينا وأن تقول فينا ما رأيت فاختار الرجوع إلى مولاه فخلى له الطريق وقال أبو مسلم إن هذا سيرد عنكم أهل الورع والصلاح فانا ما عندهم على الإسلام وقدم يزيد على نصر بن سيار فقال لا مرحبا بك والله ماظننت استبقاك القوم إلا ليتخذوك حجة علينا فقال يزيد فهو والله ماظننت وقد استحلفونى ألا أكذب عليهم وأنا أقول إنهم يصلون الصلوات لمواقيتها بأذان وإقامة ويتلون الكتاب ويذكرون الله كثيرا ويدعون إلى ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أحسب أمرهم إلا سيعلو ولولا أنك مولاى أعتقتنى من الرق مارجعت اليك ولأقمت معهم فهذه أول حرب كانت بين الشيعة وشيعة بنى مروان ﴿وفى هذه السنة﴾ غلب خازم بن خزيمة على مرورُوذ وقتل عامل نصر بن سيار الذى كان عليها وكتب بالفتح إلى أبى مسلم مع خزيمة بن خازم

ذكر الخبر عن ذلك

ذكر علىّ بن محمد أن أبا الحسن الحسمى وزهير بن هنيد والحسن بن رشيد أخبروه أن خازم بن خزيمة لما أراد الخروج بمروَرُوذ أراد ناس من تميم أن يمنعوه فقال إنما أنا رجل منكم أريد مرو لعلى أن أغلب عليها فإن ظفرت فهى لكم وإن قتلت فقد كفيتكم أمرى فكفوا عنه فخرج فعسكر فى قرية يقال لها كنج رُستاه وقدم عليهم من قبل أبى مسلم النضر بن صبيح وبسام بن إبراهيم فلما أمسى خازم بيت أهل مروروذ فقتل بشر بن جعفر السعدى وكان عاملا لنصر بن سيار على مروروذ فى أول ذى القعدة وبعث بالفتح إلى أبى مسلم

مع خزيمة بن خازم وعبد الله بن سعيد وشبيب بن واج ﴿قال أبو جعفر﴾ وقال غير الذين ذكرنا قولهم فى أمر أبى مسلم وإظهاره الدعوة ومصيره إلى خراسان وشخوصه عنها وعوده اليها بعد الشخوص قولا خلاف قولهم والذى قال فى ذلك إن ابراهيم الامام زوج أبا مسلم لما توجه الى خراسان ابنة أبى النجم وساق عنه صداقها وكتب بذلك الى النقباء وأمرهم بالسمع والطاعة لأبى مسلم وكان أبومسلم فيما زعم من أهل خُطَرْنِيَة من سواد الكوفة وكان قهرمانا لإدريس بن معقل العجلى فآل أمره ومنتهى ولائه لمحمد بن على ثم لإبراهيم بن محمد ثم للأئمة من أولاد محمد بن على فقدم خراسان وهو حديث السن فلم يقبله سليمان بن كثير وتخوف أن لا يقوى على أمرهم وخاف على نفسه وأصحابه فردوه وأبو داود خالد بن ابراهيم غائب خلف نهر بلخ فلما انصرف أبو داود وقدم مرو أقرأه كتاب الإمام ابراهيم فسأل عن الرجل الذى وجهه فأخبروه أن سليمان بن كثير رده فأرسل الى جميع النقباء فاجتمعوا فى منزل عمران بن اسماعيل فقال لهم أبو داود أتاكم كتاب الإمام فيمن وجهه اليكم وأنا غائب فرددتموه فما حجتكم فى رده فقال سليمان بن كثير لحداثة سنه وتخوفا أن لا يقدر على القيام بهذا الأمر فأشفقنا على من دعونا اليه وعلى أنفسنا وعلى المجيبين لنا فقال هل فيكم أحد ينكر أن الله تبارك وتعالى اختار محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وانتخبه واصطفاه وبعثه برسالته إلى جميع خلقه فهل فيكم أحد ينكر ذلك قالوا لا قال أفتشكون أن الله تعالى نزل عليه كتابه فأتاه جبريل عليه السلام الروح الأمين أحل فيه حلاله وحرم فيه حرامه وشرع فيه شرائعه وسنّ فيه سننه وانبأه فيه بما كان قبله وما هو كائن بعده إلى يوم القيامة قالوا لا قال أفتشكون أن الله عز وجل قبضه اليه بعد ما أدى ما عليه من رسالة ربه قالوا لا قال أفتظنون أن ذلك العلم الذى أنزل عليه رُفع معه أو خلفه قالوا بل خلفه قال أفتظنونه خلفه عند غير عترته وأهل بيته الأقرب فالأقرب قالوا لا قال فهل أحد منكم إذا رأى من هذا الأمر إقبالا ورأى الناس له محبين بدا له أن يصرف ذلك إلى نفسه قالوا اللهم لا وكيف

يكون ذلك قال لست أقول لكم فعلتم ولكن الشيطان ربما نزغ النزغة فيما يكون وفيما لا يكون قال فهل فيكم أحد بدا له أن يصرف هذا الأمر عن أهل البيت إلى غيرهم من عترة النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لا قال أفتشكون أنهم معدن العلم وأصحاب ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا قال فأراكم شككتم فى أمرهم ورددتم عليهم ولو لم يعلموا أن هذا الرجل الذى ينبغى له أن يقوم بأمرهم لم بعثوه اليكم وهو لا يتهم فى موالاتهم ونصرتهم والقيام بحقهم فبعثوا إلى أبى مسلم فردوه من قومس بقول أبى داود وولوه أمرهم وسمعوا له وأطاعوا ولم تزل فى نفس أبى مسلم على سليمان بن كثير ولم يزل يعرفها لأبى داود وسمعت الشيعة من النقباء وغيرهم لأبى مسلم وأطاعوه وتنازعوا وقبلوا ما جاء به وبث الدعاة فى أقطار خراسان فدخل الناس أفواجا وكثروا وفشت الدعاة بخراسان كلها وكتب اليه إبراهيم الإمام يأمره أن يوافيه بالموسم فى هذه السنة وهى سنة ١٢٩ ليأمره بأمره فى إظهار دعوته وأن يقدم معه بقحطبة بن شبيب ويحمل اليه ما اجتمع عنده من الأموال وقد كان اجتمع عنده ثلثمائة ألف وستون ألف درهم فاشترى بعامتها عروضا من متاع التجار من القوهى والمروى والحرير والفرند وصير بقيته سبائك ذهب وفضة وصيرها فى الاقبية المحشوة واشترى البغال وخرج فى النصف من جمادى الآخرة ومعه من النقباء قحطبة بن شبيب والقاسم بن مجاشع وطلحة ابن رزيق ومن الشيعة واحد وأربعون رجلا وتحمل من قرى خزاعة وحمل أثقاله على واحد وعشرين بغلا وحمل على كل بغل رجلا من الشيعة بسلاحه وأخذ المفازة وعدا عن مسلحة نصر بن سيار حتى انتهوا إلى بيورد فكتب أبو مسلم إلى عثمان بن نهيك وأصحابه يأمرهم بالقدوم عليه وبينه وبينهم خمسة فراسخ فقدم عليه منهم خمسون رجلا ثم ارتحلوا من أبيورد حتى انتهوا إلى قرية يقال لها فاقس من قرى نسا فبعث الفضل بن سليمان إلى اندومان قرية أسيد فلقى بها رجلا من الشيعة فسأله عن أسيد فقال له الرجل وما سؤالك عنه فقد كان اليوم شر طويل من العامل أخذ فأخذ معه الأحجم بن عبد الله وغيلان بن فضالة

وغالب بن سعيد والمهاجر بن عثمان فحملوا إلى العامل عاصم بن قيس بن الحرورى فحبسهم وارتحل أبو مسلم وأصحابه حتى انتهوا إلى اندومان فأتاه أبو مالك والشيعة من أهل نسا أخبره أبو مالك أن الكتاب الذى كان مع رسول الإمام عنده فأمره أن يأتيه به فأتاه بالكتاب وبلواءٍ وراية فاذا فى الكتاب اليه يأمره بالانصراف حيثما يلقاه كتابه وأن يظهر الدعوة فعقد اللواء الذى أتاه من الإمام على رمح وعقد الراية واجتمع إليه شيعة أهل نسا والدعاة والرؤس ومعه أهل أبيورد الذين قدموا معه وبلغ ذلك عاصم بن قيس الحرورى فبعث إلى أبى مسلم يسأله عن حاله فأخبره أنه من الحاج الذين يريدون بيت الله ومعه عدة من أصحابه من التجار وسأله أن يخلى سبيل من احتبس من أصحابه حتى يخرج من بلاده فسألوا أبا مسلم أن يكتب لهم شرطا على نفسه أن يصرف مامعه من العبيد ومامعه من الدواب والسلاح على أن يخلوا سبيل أصحابه الذين قدموا من بلاد الإمام وغيرهم فأجابهم أبو مسلم إلى ذلك وخلى سبيل أصحابه فأمر أبو مسلم الشيعة من أصحابه أن ينصرفوا وقرأ عليهم كتاب الإمام وأمرهم باظهار الدعوة فانصرف منهم طائفة وسار معه أبو مالك أسيد بن عبد الله الخزاعى وزريق بن شوذب ومن قدم عليه من أبيورد وأمر من انصرف بالاستعداد ثم سار فيمن بقى من أصحابه صحبة قحطبة ابن شبيب حتى نزلوا تخوم جرجان وبعث إلى خالد بن برمك وأبى عون يأمرهما بالقدوم عليه بما قِبلهما من مال الشيعة فقدما عليه فأقام أياما حتى اجتمعت القوافل وجهز قحطبة بن شبيب ودفع اليه المال الذى كان معه والأحمال بمافيها ثم وجهه إلى إبراهيم بن محمد وسار أبو مسلم بمن معه حتى انتهى إلى نسا ثم ارتحل منها إلى أبيورد حتى قدمها ثم سار حتى أتى مرو متنكرا فنزل قرية تدعى فنين من قرى خزاعة لسبع ليال بقين من شهر رمضان وقد كان واعد أصحابه أن يوافوه بمرو يوم الفطر ووجه أباداود وعمرو بن أعين إلى طخارستان والنضر بن صبيح إلى آمل وبخارى ومعه شريك بن عيسى وموسى بن كعب إلى أبيورد ونسا وخازم ابن خزيمة إلى مروروذ وقدموا عليه فصلى بهم القاسم بن مجاشع التميمى يوم العيد

فى مصلى آل قنبر فى قرية أبى داود خالد بن إبراهيم ﴿وفى هذه السنة﴾ تحالفت وتعاقدت عامة من كان بخراسان من قبائل العرب على قتال أبى مسلم وذلك حين كثر اتباع أبى مسلم وقوى أمره ﴿وفيها﴾ تحول أبو مسلم من معسكره باسفيذنج إلى الماخوان

ذكر الخبر عن ذلك والسبب فيه

قال على أخبرنا الصباح مولى جبريل عن مسلمة بن يحيى قال لما ظهر أبو مسلم تسارع اليه الناس وجعل أهل مرو يأتونه لا يعرض لهم نصر ولا يمنعهم وكان الكرمانى وشيبان لا يكرهان أمر أبى مسلم لأنه دعا إلى خلع مروان بن محمد وأبو مسلم فى قرية يقال لها بالين فى خباء ليس له حرس ولا حجاب وعظم أمره عند الناس وقالوا ظهر رجل من بنى هاشم له حلم ووقار وسكينة فانطلق فتية من أهل مرو نساك كانوا يطلبون الفقه فأتوا أبا مسلم فى معسكره فسألوه عن نسبه فقال خبرى خير لكم من نسبى وسألوه عن أشياء من الفقه فقال أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر خير لكم من هذا ونحن فى شغل ونحن إلى عونكم أحوج منا إلى مسئلتكم فاعفونا قالوا والله ما نعرف لك نسباً ولا نظنك تبقى إلا قليلا حتى تقتل وما بينك وبين ذلك إلا أن يتفرغ أحد هذين قال أبو مسلم بل أنا أقتلهما إن شاء الله فرجع الفتية فأتوا نصر بن سيار فحدثوه فقال جزاكم الله خيرا مثلكم تفقد هذا وعرفه وأتوا شيبان فأعلموه فأرسل إنا قد أشجى بعضنا بعضاً فأرسل إليه نصر إن شئت فكف عنى حتى أقاتله وإن شئت فجامعنى على حربه حتى أقتله أو أنفيه ثم نعود إلى أمرنا الذى نحن عليه فهم شيبان إن يفعل فظهر ذلك فى العسكر فأتت عيون أبى مسلم فأخبروه فقال سليمان ما هذا الأمر الذى بلغهم تكلمت عند أحد بشىء فأخبره خبر الفتية الذين أتوه فقال هذا لذاك إذاً فكتبوا إلى على بن الكرمانى إنك موتور قتل أبوك ونحن نعلم أنك لست على رأى شيبان وإنما تقاتل لثأرك فامنع شيبان من صلح نصر فدخل على شيبان فكلمه فثناه عن رأيه فأرسل نصر إلى شيبان إنك لمغرور وايم الله ليتفاقمن هذا الأمر حتى تستصغرنى فى جنبه فبينا

هم فى أمرهم إذ بعث أبو مسلم النضر بن نعيم الضبي إلى هراة وعليها عيسى بن عقيل الليثى فطرده عن هراة فقدم عيسى على نصر منهزماً وغلب النضر على هراة قال فقال يحيي بن نعيم بن هبيرة اختاروا إما أن تهلكوا أنتم قبل مضر أو مضر قبلكم قالوا وكيف ذاك قال إن هذا الرجل إنما ظهر أمره منذ شهر وقد صار فى عسكره مثل عسكركم قالوا فما الرأى قال صالحوا نصرا فإنكم إن صالحتموه قاتلوا نصرا وتركوكم لأن الأمر فى مضر وإن لم تصالحوا نصرا صالحوه وقاتلوكم ثم عادوا عليكم قالوا فما الرأى قال قدموهم قبلكم ولو ساعة فتقر أعينكم بقتلهم فأرسل شيبان إلى نصر يدعوه إلى الموادعة فأجابه فأرسل إلى سلم بن أحوز فكتب بينهم كتاباً فأتى شيبان وعن يمينه ابن الكرمانى وعن يساره يحيي بن نعيم فقال سلم لابن الكرمانى يا أعور ما أخلقك أن تكون الأعور الذى بلغنا أن يكون هلاك مضر على يديه ثم توادعوا سنة وكتبوا بينهم كتاباً فبلغ أبا مسلم فأرسل إلى شيبان إنا نوادعك أشهراً فتوادعنا ثلاثة أشهر فقال ابن الكرمانى فإنى ما صالحت نصرا وإنما صالحه شيبان وأنا لذلك كاره وأنا موتور ولا أدع قتاله فعاود القتال وأبى شيبان أن يعينه وقال لا يحل الغدر فأرسل ابن الكرمانى إلى أبى مسلم يستنصره على نصر بن سيار فأقبل أبو مسلم حتى أتى الماخوان وأرسل إلى ابن الكرمانى شبل بن طهمان إنى معك على نصر فقال ابن الكرمانى إنى أحب أن يلقانى أبو مسلم فأبلغه ذلك شبل فأقام أبو مسلم أربعة عشر يوما ثم سار إلى ابن الكرمانى وخلف عسكره بالماخوان فتلقاه عثمان بن الكرمانى فى خيل وسار معه حتى دخل العسكر وأتى حجرة على فوقف فأنزله فدخل فسلم على علىّ بالإمرة وقد اتخذ له علىٌّ قصراً فى قصره لمخلد بن الحسن الأزدى فأقام يومين ثم انصرف إلى عسكره بالماخوان. وذلك لخمس خلون من المحرم من سنة ١٣٠؛ وأما أبو الخطاب فإنه قال لما كثرت الشيعة فى عسكر أبى مسلم ضاقت به سفيذنج فارتاد معسكرا فسيحا فأصاب حاجته بالماخوان وهى قرية العلاء بن حريث وأبى إسحاق خالد بن عثمان وفيها أبو الجهم ابن عطية وإخوته وكان مقامه بسفيذنج اثنين وأربعين يوما وارتحل من سفيذنج

إلى الماخوان فنزل منزل أبى إسحاق خالد بن عثمان يوم الأربعاء لتسع ليال خلون من ذى القعدة من سنة ١٢٩ فاحتفر بها خندقا وجعل للخندق بابين فعسكر فيه والشيعة ووكل بأحد بابى الخندق مصعب بن قيس الحنفى وبهدل بن إياس الضبى ووكل بالباب الآخر أبا شراحيل وأبا عمرو الأعجمى واستعمل على الشرط أبا نصر مالك بن الهيثم وعلى الحرس أبا اسحاق خالد بن عثمان وعلى ديوان الجند كامل ابن مظفر أبا صالح وعلى الرسائل أسلم بن صبيح والقاسم بن مجاشع النقيب التميمى على القضاء وضم أبا الوضاح وعدة من أهل السقادم الى مالك بن الهيثم وجعل أهل نوشان وهم ثلاثة وثمانون رجلا الى أبى اسحاق فى الحرس وكان القاسم بن مجاشع يصلى بأبى مسلم الصلوات فى الخندق ويقص القصص بعد العصر فيذكر فضل بنى هاشم ومعايب بنى أمية فنزل أبو مسلم خندق الماخوان وهو كرجل من الشيعة فى هيئته حتى أتاه عبد الله بن بسطام فأتاه بالأروقة والفساطيط والمطابخ والمعالف للدواب وحياض الأدم للماء فأول عامل استعمله أبو مسلم على شىء من العمل داود بن كرّاز فرد أبو مسلم العبيد على أن يضاموا فى خندقه واحتفر لهم خندقا فى قرية شوال وولى الخندق داود بن كراز فلما اجتمعت العبيد جماعة وجههم الى موسى بن كعب بأبيورد وأمر أبو مسلم كامل بن مظفر أن يعرض أهل الخندق بأسمائهم وأسماء آبائهم فينسبهم الى القرى ويجعل ذلك فى دفتر ففعل ذلك كامل أبو صالح فبلغت عدتهم سبعة آلاف رجل فأعطاهم ثلاثة دراهم لكل رجل ثم أعطاهم أربعة أربعة على يدى أبى صالح كامل ثم إن أهل القبائل من مضر وربيعة وقحطان توادعوا على وضع الحرب وعلى أن تجتمع كلمتهم على محاربة أبى مسلم فإذا نفوه عن مرو ونظروا فى أمر أنفسهم وعلى ما يجتمعون عليه فكتبوا على أنفسهم بذلك كتابا وثيقا وبلغ أبا مسلم الخبر فأقطعه ذلك وأعظمه فنظر أبو مسلم فى أمره فإذا ماخوان سافلة الماء فتخوف أن يقطع عنه نصر بن سيار الماء فتحول الى آلين قرية أبى منصور طلحة ابن رزيق النقيب وذلك بعد مقامه أربعة أشهر بخندق الماخوان فنزل آلين فى ذى الحجة من سنة ١٢٩ يوم الخميس لست خلون من ذى الحجة نخندق بآلين

خندقا أمام القرية فيما بينها وبين بلاشَجِرْد فصارت القرية من خلف الخندق وجعل وجه دار المحتفز بن عثمان بن بشر المزنى فى الخندق وشرب أهل آلين من نهر يدعى الخرقان لا يمكن نصر بن سيار قطع الشرب عن آلين وحضر العيد يوم النحر وأمر القاسم بن مجاشع التميمى فصلى بأبى مسلم والشيعة فى مصلى آلين وعسكر نصر بن سيار على نهر عياض ووضع عاصم بن عمرو ببلاشَجِرْد ووضع أبا الذيال بطوسان ووضع بشر بن أنيف اليربوعى بجلفر ووضع حاتم بن الحارث بن سريج بخرق وهو يلتمس موافعة أبى مسلم. أما أبو الذيال فأنزل جنده على أهلها مع أبى مسلم فى الخندق فآذوا أهل طوسان وعسفوهم وذبحوا الدجاج والبقر والحمام وكلفوهم الطعام والعلف فشكت الشيعة ذلك إلى أبى مسلم فوجه معهم خيلا فلقوا أبا الذيال فهزموه وأسروا من أصحابه ميمونا الأعسر الخوارزمى فى نحو من ثلاثين رجلا فكساهم أبو مسلم وداوى جراحاتهم وخلى لهم الطريق ﴿وفى هذه السنة﴾ قتل جديع بن على الكرمانى وصلب

ذكر الخبر عن مقتله

قد مضى قبل ذكرنا مقتل الحارث بن سريج وأن الكرمانى هو الذى قتله ولما قتل الكرمانى الحارث خلصت له مرو بقتله إياه وتنحى نصر بن سيار عنها إلى أبرشهر وقوى أمر الكرمانى فوجه نصر اليه فيما قيل سَلْم بن أحوز فسار فى رابطة نصر وفرسانه حتى لقى أصحاب الكرمانى فوجد يحيى بن نعيم أبا الميلاء واقفا فى ألف رجل من ربيعة ومحمد بن المثنى فى سبعمائة من فرسان الأزد وابن الحسن ابن الشيخ الأزدى فى ألف من فتيانهم والحزمى السغدى فى ألف رجل من أبناء اليمن فلما تواقفوا قال سلم بن أحوز لمحمد بن المثنى يا محمد بن المثنى مر هذا الملاح بالخروج إلينا فقال محمد لسلم يا ابن الفاعلة لأبى على تقول هذا ودلف القوم بعضهم إلى بعض فاجتلدوا بالسيوف فانهزم سلم بن أحوز وقتل من أصحابه زيادة على مائة وقتل من أصحاب محمد زيادة على عشرين وقدم أصحاب نصر عليه فلولا فقال له عقيل بن معقل يا نصر شأمت العرب فاما إذ صنعت ما صنعت فجد وشمر

عن ساق فوجه عصمة بن عبدالله الأسدى فوقف موقف سلم بن أحوز فنادى يا محمد لتعلمن أن السمك لا يغلب اللحم فقال له محمد يا ابن الفاعلة قف لنا إذاً وأمر محمد السغدى فخرج اليه فى أهل اليمن فاقتتلوا قتالا شديداً فانهزم عصمة حتى أتى نصر بن سيار وقد قتل من أصحابه أربعمائة ثم أرسل نصر بن سيار مالك بن عمرو التميمى فأقبل فى أصحابه ثم نادى يا ابن المثنى ابرز لى إن كنت رجلا فبرز له فضربه التميمى على حبل العاتق فلم يصنع شيئاً وضربه محمد بن المثنى بعمود فشدخ رأسه فالتحم القتال فاقتتلوا قتالا شديداً كأعظم ما يكون من القتال فانهزم أصحاب نصر وقد قتل منهم سبعمائة رجل وقتل من أصحاب الكرمانى ثلثمائة رجل ولم يزل الشر بينهم حتى خرجوا جميعا إلى الخندقين فاقتتلوا قتالا شديداً فلما استيقن أبو مسلم أن كلا الفريقين قد أثخن صاحبه وأنه لا مدد لهم جعل يكتب الكتب إلى شيبان ثم يقول للرسول اجعل طريقك على المضرية فانهم سيعرضون لك ويأخذون كتبك فكانوا يأخذونها فيقرؤن فيها إنى رأيت أهل اليمن لا وفاء لهم ولا خير فيهم فلا تثقن بهم ولا تطمئن إليهم فانى أرجو أن يريك الله ما تحب ولئن بقيت لا أدع لهم شعرا ولا ظفراً ويرسل رسولا آخر فى طريق أخر بكتاب فيه ذكر المضرية وأطراء اليمن بمثل ذلك حتى صار هوى الفريقين جميعا معه وجعل يكتب إلى نصر بن سيار وإلى الكرمانى أن الإمام قد أوصانى بكم ولستُ أعدو رأيه فيكم وكتب إلى الكور بإظهار الأمر فكان أول من سود فيما ذكر أسيد بن عبدالله بنسا ونادى يا محمد يا منصور وسود معه مقاتل بن حكيم وابن غزوان وسود أهل أبيورد وأهل مرو الروذ وقرى مرو وأقبل أبو مسلم حتى نزل بين خندق نصر ابن سيار وخندق جديع الكرمانى وهابه الفريقان وكثر أصحابه فكتب نصر بن سيار إلى مروان بن محمد يعلمه حال أبى مسلم وخروجه وكثرة من معه ومن تبعه وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد وكتب بأبيات شعر

أَرَى بَيْنَ الرَّماد وَميضَ جَمْرٍ فأحجِ بأنْ يكُونَ له ضِرامُ
فإنَّ النارَ بالعودَيْن تُذْكَى وإنَّ الحرْبَ مَبْدؤها الكلامُ

فقلتُ من التعجّبِ ليتَ شِعرى أأيقاظٌ أميّةُ أم نِيامُ

فكتب اليه الشاهد يرى مالا يرى الغائب فأحسم الثؤلول قبلك فقال نصر أما صاحبكم فقد أعلمكم ألا نصر عنده فكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يستمده وكتب اليه بأبيات شعر

أبلغْ يزيدَ وخيرُ القولِ أصدقُه وقد تبيَّنْتُ ألَّا خيرَ فى الكذبِ

إنّ خُراسانَ أرضٌ قد رأيتُ بها بَيْضًا لوافرخ قدحُدِّثْتَ بالعَجَبِ

فِراخُ عامَيْنِ إلا أنّها كَبُرَتْ لما يَطِرْنَ وقد سُرْبِلْنَ بالزَّغَبِ

فإنْ يَطِرنَ ولَمْ يُحتَلْ لَهُنَّ بِها يُلْهِبْنَ نيرانَ حرْبٍ أيّما لَهَبِ

فقال يزيد لاغلبة إلا بكثرة وليس عندى رجل وكتب نصر إلى مروان يخبره خبر أبى مسلم وظهوره وقوته وإنه يدعو إلى ابراهيم بن محمد فألفى الكتاب مروان وقد أتاه رسول لأبى مسلم إلى ابراهيم كان قد عاد من عند إبراهيم ومعه كتاب ابراهيم إلى أبى مسلم جواب كتابه يلعن فيه أبا مسلم ويسبه حيث لم ينتهز الفرصة من نصر والكرمانى إذ أمكناه ويأمره أن لايدع بخراسان عربياً إلا قتله فدفع الرسول الكتاب إلى مروان فكتب مروان إلى الوليد بن معاوية بن عبد الملك وهو على دمشق يأمره أن يكتب إلى عامل البلقاء فيسير إلى كرار الحميمة فليأخذ ابراهيم بن محمد ويشده وثاقا وليبعث به إليه فى خيل فوجه الوليد إلى عامل البلقاء فأتى ابراهيم وهو فى مسجد القرية فأخذه وكتفه وحمله إلى الوليد فحمله الى مروان فحبسه مروان فى السجن ﴿رجع الحديث إلى حديث نصر والكرمانى﴾ وبعث أبو مسلم حين عظم الأمر بين الكرمانى ونصر إلى الكرمانى انى معك فقبل ذلك الكرمانى وانضم إليه أبو مسلم فاشتد ذلك على نصر فأرسل إلى الكرمانى ويلك لا تغترر فو الله انى لخائف عليك وعلى أصحابك منه ولكن هلمّ إلى الموادعة فندخل مرو فنكتب بيننا كتابا بصلح وهو يريد أن يفرق بينه وبين أبى مسلم فدخل الكرمانى منزله وأقام أبو مسلم فى المعسكر وخرج الكرمانى حتى وقف فى الرحبة فى مائة فارس وعليه قرطق خشكشونة ثم أرسل إلى نصر اخرج لنكتب بيننا ذلك

الكتاب فأبصر نصر منه غرّة فوجه إليه ابن الحارث بن سريج فى نحو من ثلثمائة فارس فالتقوا فى الرحبة فاقتتلوا بها طويلا ثم ان الكرمانى طعن فى خاصرته فخرّ عن دابته وحماه أصحابه حتى جاءهم مالا قِبل لهم به فقتل نصر الكرمانى وصلبه ومعه سمكة فأقبل ابنه علىّ وقد كان صار إلى أبى مسلم وقد جمع جمعا كثيراً فسار بهم إلى نصر بن سيار فقاتله حتى أخرجه من دار الإمارة فمال إلى بعض دور مرو وأقبل أبو مسلم حتى دخل مرو فأتاه علىّ بن جديع الكرمانى فسلم عليه بالامرة وأعلمه أنه معه على مساعدته وقال مُرْنى بأمرك فقال أقم على ما أنت عليه حتى آمرك بأمرى (وفى هذه السنة) غلب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب على فارس

ذكر الخبر عن ذلك وعن السبب الذى وصل به إلى الغلبة عليها

ذكر على بن محمد ان عاصم بن حفص التميمى وغيره حدثوه ان عبد الله بن معاوية لما هزم بالكوفة شخص إلى المدائن فبايعه أهل المدائن فأتاه قوم من أهل الكوفة فخرج إلى الجبال فغلب عليها وعلى حلوان وقومس وأصبهان والرى وخرج إليه عبيد أهل الكوفة فلما غلب على ذلك أقام باصبهان وقد كان محارب ابن موسى مولى بنى يشكر عظيم القدر بفارس فجاء يمشى فى نعلين إلى دار الامارة باصطخر فطرد العامل عامل ابن عمر عنها وقال لرجل يقال له عمارة بايع الناس فقال له أهل اصطخر علامَ تبايع قال على ما أحببتم وكرهتم فبايعوه لابن معاوية وخرج محارب إلى كرمان فأغار عليهم وأصاب فى غارته إبلا لثعلبة بن حسان المازنى فاستاقها ورجع فخرج ثعلبة يطلب ابله فى قرية له تدعى أشهر قال ومع ثعلبة مولى له فقال له مولاه هل لك أن تفتك بمحارب فإن شئت ضربته وكفيتنى الناس وإن شئت ضربته وكفيتك الناس قال ويحك أردت أن تفتك . . . . الرجل ثم دخل على محارب فرحب به ثم قال حاجتك قال إبلى . . . . وما أعرفها وقد عرفتها فدونك إبلك فاخذها وقال لولا . . . . . . قال ذاك لو أخذناها أشنى وانضم إلى محارب القواد والأمراء من أهل الشأم فسار الى

مسلم بن المسيب وهو بشيراز عامل لابن عمر فقتله فى سنة ١٢٨ ثم خرج محارب إلى أصبهان فحول عبدالله بن معاوية إلى اصطخر واستعمل أخاه عبد الله أخاه الحسن على الجبال فأقبل فنزل فى دير على ميل من اصطخر واستعمل أخاه يزيد على فارس فأقام فأتاه الناس بنو هاشم وغيرهم وجبى المال وبعث العمال وكان معه منصور بن جمهور وسليمان بن هشام بن عبد الملك وشيبان بن الحلس بن عبد العزيز الشيبانى الخارجى وأتاه أبو جعفر عبد الله وعبد الله وعيسى ابنا على وقدم يزيد بن عمر ابن هبيرة على العراق فأرسل نباتة بن حنظلة الكلابى إلى عبد الله بن معاوية وبلغ سليمان بن حبيب أن ابن هبيرة ولى نباتة الأهواز فسرح داود بن حاتم فأقام بكر بج دينار ليمنع نباتة من الأهواز فقدم نباتة فقاتله فقتل داود وهرب سليمان إلى سابور وفيها الأكراد قد غلبوا عليها وأخرجوا المسيح بن الحوارى فقاتلهم سليمان فطرد الاكراد عن سابور وكتب إلى عبد الله بن معاوية بالبيعة فقال عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب لا يفى لك وانما أراد أن يدفعك عنه ويأكل سابور فاكتب إليه فليقدم عليك إن كان صادقا فكتب إليه فقدم وقال لأصحابه ادخلوا معى فان منعكم أحد فقاتلوه فدخلوا فقال لابن معاوية أنا أطوع الناس لك قال ارجع إلى عملك فرجع ثم ان محارب بن موسى نافر ابن معاوية وجمع جمعاً فأتى سابور وكان ابنه مخلد بن محارب محبوساً بسابور أخذه يزيد بن معاوية فحبسه فقال لمحارب ابنك فى يديه وتحاربه أما تخاف ان يقتل ابنك قال أبعده الله فقاتله يزيد فانهزم محارب فأتى كرمان فأقام بها حتى قدم محمد بن الأشعث فصار معه ثم نافر ابن الأشعث فقتله وأربعة وعشرين ابنا له ولم يزل عبد الله بن معاوية بإصطخر حتى أتاه ابن ضبارة مع داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة فأمر ابن معاوية فكسروا قنطرة الكوفة فوجه ابن هبيرة معن بن زائدة من وجه آخر فقال سليمان لأبان ابن معاوية بن هشام قد أتاك القوم قال لم أومر بقتالهم قال ولا تؤمر والله بهم أبداً وأتاهم فقاتلهم عند مرو الشاذان ومعن يرتجز

لَيْسَ أميرُ القَوْمِ بِالخَبِّ الخَدِعْ   فَرَّ من المَوْتِ وفى المَوْتِ وَقَعْ

قال ابن المقفع وغيره فرّ من الموت وفيه قد وقع قال عمداً قلت قد عملت فانهزم ابن معاوية وكف معن عنهم فقتل فى المعركة رجل من آل أبى لهب وكان يقال يقتل رجل من بنى هاشم بمرو الشاذان وأسروا أسراء كثيرة فقتل ابن ضبارة عدة كثيرة فيقال كان فيمن قتل يومئذ حكيم الفرد أبو المجد ويقال قتل بالأهواز قتله نباتة ولما انهزم ابن معاوية هرب شيبان إلى جزيرة ابن كاوان ومنصور بن جمهور إلى السند وعبد الرحمن بن يزيد إلى عمان وعمرو بن سهل بن عبد العزيز إلى مصر وبعث ببقية الأسراء إلى ابن هبيرة قال حميد الطويل أطلق أولئك الأسراء فلم يقتل منهم غير حصين بن وعلة السدُوسىّ ولما أمر بقتله قال أقتل من بين الاسراء قال نعم أنت مشرك أنت الذى تقول * لَوْ آمُرُ الشمْسَ لَمْ تَشْرِقِ

ومضى ابن معاوية من وجهه الى سجستان ثم أتى خراسان ومنصور بن جمهور الى السند فسار فى طلبه معن بن زائدة وعطية الثعلبي وغيره من بنى ثعلبة فلم يدركوه فرجعوا وكان حصين بن وعلة السدوسى مع يزيد بن معاوية فتركه .... مورع السلمى رآه دخل غيضة فأخذه فأتى به ....

فبعث به معن إلى ابن ضبارة فبعث به ابن ضبارة إلى واسط وسار ابن ضبارة إلى عبد الله بن معاوية باصطخر فنزل بازائه على نهر اصطخر فعبر ابن الصحصح فى ألف فلقيه من أصحاب عبد الله بن معاوية أبان بن معاوية بن هشام فيمن كان معه من أهل الشأم ممن كان مع سليمان بن هشام فاقتتلوا فمال ابن نباتة إلى القنطرة فلقيهم من كان مع ابن معاوية من الخوارج فانهزم أبان والخوارج فأسر منهم ألفا فأتوا بهم ابن ضبارة فخلى عنهم وأخذ يومئذ عبد الله بن علىّ بن عبد الله بن عباس فى الأسراء فنسبه ابن ضبارة فقال ما جاء بك إلى ابن معاوية وقد عرفت خلافة أمير المؤمنين قال كان علىّ دين فأديته فقام اليه حرب بن قطن الكنانىّ فقال ابن اختنا فوهبه له وقال ما كنت لأقدم على رجل من قريش وقال له ابن ضبارة إن الذى قد كنت معه قد عيب بأشياء فعندك منها علم قال نعم وعابه ورمى أصحابه باللواط فأتوا ابن ضبارة بغلمان عليهم أقبية قوهية مصبغة ألواناً فأقامهم للناس

وهم أكثر من مائة غلام لينظروا اليهم وحمل ابن ضبارة عبد الله بن علىّ على البريد إلى ابن هبيرة ليخبره أخباره فحمله ابن هبيرة إلى مروان فى أجناد أهل الشأم وكان يعيبه وابن ضبارة يومئذ فى مفازة كرمان فى طلب عبد الله بن معاوية وقد أتى ابن هبيرة مقتل نباتة فوجه ابن هبيرة كرب بن مصقلة والحكم بن أبى الأبيض العبسى وابن محمد السكونىّ كلهم خطيب فتكلموا فى تفريط ابن ضبارة فكتب اليه أن سر بالناس إلى فارس ثم جاءه كتاب ابن هبيرة سر إلى أصبهان ﴿ وفى هذه السنة ﴾ وافى الموسم أبو حمزة الخارجىّ من قبل عبد الله ابن يحيي طالب الحق محكماً مظهراً للخلاف على مروان بن محمد

ذكر الخبر عن ذلك من أمره

✻ حدثنى العباس بن عيسى العقيلى قال حدثنا هارون بن موسى الفروى قال حدثنا موسى بن كثير مولى الساعديين قال لما كان تمام سنة ١٢٩ لم يدر الناس بعرفة إلا وقد طلعت أعلام عمائم سود حرقانية فى رؤس الرماح وهم فى سبعمائة ففزع الناس حين رأوهم وقالوا مالكم وما حالكم فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبرئ منه فراسلهم عبد الواحد بن سليمان وهو يومئذ على المدينة ومكة فراسلهم فى الهدنة فقالوا نحن بحجنا أضن ونحن عليه أشح وصالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضهم من بعض حتى ينفر الناس النفر الأخير ويصبحوا من الغد فوقفوا على حدة بعرفة ودفع بالناس عبد الواحد بن سليمان ابن عبد الملك بن مروان فلما كانوا بمنى ندّموا عبد الواحد وقالوا قد أخطأت فيهم ولو حملت الحاج عليهم ما كانوا إلا أكلة رأس فنزل أبو حمزة بقرين الثعالب فنزل عبد الواحد منزل السلطان فبعث عبد الواحد إلى أبى حمزة عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر وعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب وربيعة بن أبى عبد الرحمن فى رجال أمثالهم فدخلوا على أبى حمزة وعليه إزار قطن غليظ فتقدمهم اليه عبد الله بن الحسن ومحمد بن عبد الله فنسبهما فانتسبا له

فعبس فى وجوههما وأظهر الكراهة لهما ثم سأل عبد الرحمن بن القاسم وعبيد الله بن عمر فانتسباله فهش اليهما وتبسم فى وجوههما وقال والله ما خرجنا إلا لنسير بسيرة أبويكما فقال له عبد الله بن حسن والله ما جئنا لتفضل بين آبائنا ولكنا بعثنا اليك الأمير برسالة وهذا ربيعة يخبركها فلما ذكر ربيعة نقض العهد قال بلج وأبرهة وكانا قائدين له الساعة الساعة فأقبل عليهم أبو حمزة فقال معاذ الله أن ننقض العهد أو نخبس والله لا أفعل ولو قطعت رقبتى هذه ولكن تنقضى الهدنة بيننا وبينكم فلما أبى عليهم خرجوا فأبلغوا عبد الواحد فلما كان النفر نفر عبد الواحد فى النفر الأول وخلى مكة لأبى حمزة فدخلها بغير قتال قال العباس قال هارون فأنشدنى يعقوب بن طلحة الليثى أبياتا هجى بها عبد الواحد قال وهى لبعض الشعراء لم أحفظ اسمه

زارَ الحَجيجَ عصابةٌ قدْ خالفوا دِينَ الإلٰهِ فَفَرَّ عبدُ الواحِدِ
تَرَكَ الحلائلَ والإمارَةَ هارِبًا ومضى يُخَبِّطُ كالبَعيرِ الشَّارِدِ
لو كان والِدُهُ تَنَصَّلَ عِرْقُه لَصفَتْ مَضارِبُهُ بعِرْقِ الوالد

ثم مضى عبد الواحد حتى دخل المدينة فدعا بالديوان فضرب على الناس البعث وزادهم فى العطاء عشرة عشرة قال العباس قال هارون أخبرنى بذلك أبو ضمرة أنس بن عياض قال كنت فيمن اكتتب ثم محوت اسمى قال العباس قال هارون وحدثنى غير واحد من أصحابنا أن عبد الواحد استعمل عبد العزيز ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس فخرجوا فلما كانوا بالحرة لقيتهم جزر منحورة فمضوا (وحج) بالناس فى هذه السنة عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال محمد بن عمر وغيره وكان العامل على مكة والمدينة عبد الواحد بن سليمان وعلى العراق يزيد بن عمر بن هبيرة وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربى فيما ذكر وعلى قضاء البصرة عباد بن منصور وعلى خراسان نصر بن سيار والفتنة بها

ثم دخلت سنة ثلاثين ومائة

ذكر الأحداث التى كانت فيها

فمما كان فيها من ذلك دخول أبى مسلم حائط مرو ونزوله دار الإمارة بها ومطابقة علىّ بن جديع الكرمانى إياه على حرب نصر بن سيار

ذكر الخبر عن ذلك وسببه

ذكر أبو الخطاب أن دخول أبى مسلم حائط مرو ونزوله دار الإمارة التى ينزلها عمال خراسان كان فى سنة ١٣٠ لتسع خلون من جمادى الآخرة يوم الخميس وأن السبب فى مسير علىّ بن جديع مع أبى مسلم كان أن سليمان بن كثير كان بإزاء علىّ بن الكرمانى حين تعاقد هو ونصر على حرب أبى مسلم فقال سليمان بن كثير لعلىّ بن الكرمانى يقول لك أبو مسلم أما تأنف من مصالحة نصر بن سيار وقد قتل بالأمس أباك وصلبه ما كنت أحسبك تجامع نصر بن سيار فى مسجد تصليان فيه فأدرك علىّ بن الكرمانى الحفيظة فرجع عن رأيه وانتقض صلح العرب قال ولما انتقض صلحهم بعث نصر بن سيار إلى أبى مسلم يلتمس منه أن يدخل مع مضر وبعثت ربيعة وقحطان إلى أبى مسلم بمثل ذلك فتراسلوا بذلك أياما فأمرهم أبو مسلم أن يقدم عليه وفد الفريقين حتى يختار أحدهما ففعلوا وأمر أبو مسلم الشيعة أن يختاروا ربيعة وقحطان فان السلطان فى مضر وهم عمال مروان الجعدى وهم قتلة يحيى بن زيد فقدم الوفدان فكان وفد مضر عقيل بن معقل بن حسان الليثى وعبيد الله بن عبد ربه الليثى والخطاب بن محمد السلمى فى رجال منهم وكان وفد قحطان عثمان بن الكرمانى ومحمد بن المثنى وسورة بن محمد بن عزيز الكندى فى رجال منهم فأمر أبو مسلم عثمان بن الكرمانى وأصحابه فدخلوا بستان المحتفز وقد بسط لهم فيه فقعدوا وجلس أبو مسلم فى بيت فى دار المحتفز وأذن لعقيل بن معقل وأصحابه من وفد مضر فدخلوا إليه ومع أبى مسلم فى البيت سبعون رجلا من الشيعة فقرأ على الشيعة كتابا كتبه أبو مسلم ليختاروا أحد الفريقين فلما

فرغ من قراءة الكتاب قام سليمان بن كثير فتكلم وكان خطيبا مفوها فاختار عليّ ابن الكرمانى وأصحابه وقام أبو منصور طلحة بن رزيق النقيب فيهم وكان فصيحا متكلما فقال كمقالة سليمان بن كثير ثم قام مزيد بن شفيق السلمى فقال مضر قتلة آل النبى صلى الله عليه وسلم وأعوان بنى أمية وشيعة مروان الجعدى ودماؤنا فى أعناقهم وأموالنا فى أيديهم والتباعات قبلهم ونصر بن سيار عامل مروان على خراسان ينفذ أموره ويدعو له على منبره ويسميه أمير المؤمنين ونحن من ذلك إلى الله برآء وأن يكون مروان أمير المؤمنين وأن يكون نصر على هدى وصواب وقد اخترنا عليّ بن الكرمانى وأصحابه من قحطان وربيعة فقال السبعون الذين جمعوا فى البيت بقول مزيد بن شقيق فنهض وفد مضر عليهم الذلة والكآبة ووجه معهم أبو مسلم القاسم بن مجاشع فى خيل حتى بلغوا مأمنهم ورجع وفد علي بن الكرمانى مسرورين منصورين وكان مقام أبى مسلم بآلين تسعة وعشرين يوما فرحل عن آلين راجعا إلى خندقه بالماخوان وأمر أبو مسلم الشيعة أن يبتنوا المساكن ويستعدوا للشتاء فقد أعفاهم الله من اجتماع كلمة العرب وصيرهم بنا إلى افتراق الكلمة وكان ذلك قدرا من الله مقدوراً وكان دخول أبى مسلم الماخوان منصرفا عن آلين سنة ١٣٠ للنصف من صفر يوم الخميس فأقام أبو مسلم فى خندقه بالماخوان ثلاثة أشهر تسعين يوما ثم دخل حائط مرو يوم الخميس لتسع خلون من جمادى الأولى سنة ١٣٠ قال وكان حائط مرو إذ ذاك فى يد نصرى بن سيار لأنه عامل خراسان فأرسل عليّ بن الكرمانى إلى أبى مسلم أن أدخل الحائط من قِبلك وأدخل أنا وعشيرتى من قبلى فنغلب على الحائط فأرسل إليه أبو مسلم أن لست آمن أن يجتمع يدك ويد نصر على محاربتى ولكن ادخل أنت فانشب الحرب بينك وبينه وبين أصحابه فدخل عليّ بن الكرمانى فأنشب الحرب وبعث أبو مسلم أبا عليّ شبل بن طهمان النقيب فى جند فدخلوا الحائط فنزل فى قصر بخاراخذاه فبعثوا إلى أبى مسلم أن ادخل فدخل أبو مسلم من خندق الماخوان وعلى مقدمته أسيد بن عبد الله الخزاعىّ وعلى ميمنته مالك بن الهيثم الخزاعى وعلى ميسرته

القاسم بن مجاشع التميمي حتى دخل الحائط والفريقان يقتتلان فأمرهما بالكف وهو يتلو من كتاب الله ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلان يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ومضى أبو مسلم حتى نزل قصر الإمارة بمرو الذى كان ينزله عمال خراسان وكان ذلك لتسع خلون من جمادى الأولى سنة ١٣٠ يوم الخميس وهرب نصر بن سيار عن مرو الغد من يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ١٣٠ وصفت مرو لأبى مسلم فلما دخل أبو مسلم حائط مرو أمر أبا منصور طلحة بن رزيق بأخذ البيعة على الجند من الهاشمية خاصة وكان أبو منصور رجلا فصيحا نبيلا مفوها عالما بحجج الهاشميه وغوامض أمورهم وهو أحد النقباء الاثنى عشر والنقباء الاثنى عشر هم الذين اختارهم محمد بن علىّ من السبعين الذين كانوا استجابوا له حين بعث رسوله إلى خراسان سنة ١٠٣ أو ١٠٤ وأمره أن يدعو إلى الرضا ولا يسمى أحداً ومثل له مثالا ووصف من العدل صفة فقدمها فدعا سرا فأجابه ناس فلما صاروا سبعين أخذ منهم اثنى عشر نقيبا (أسماء النقباء) منهم من خزاعة سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وزياد بن صالح وطلحة بن رزيق وعمرو بن أعين ومن طيّئ قحطبة واسمه زياد بن شبيب بن خالد بن معدان ومن تميم موسى بن كعب أبو عيينة ولاهز بن قريظ والقاسم بن مجاشع كلهم من بنى امرئ القيس وأسلم بن سلام أبو سلام ومن بكر بن وائل أبو داود خالد بن إبراهيم من بنى عمرو بن شيبان أخى سدوس وأبو علىّ الهروى ويقال شبل بن طهمان مكان عمرو بن أعين وعيسى بن كعب وأبو النجم عمران بن إسماعيل مكان أبى على الهروى وهو ختن أبى مسلم ولم يكن فى النقباء أحد والده حىّ غير أبى منصور طلحة بن رزيق بن أسعد وهو أبو زينب الخزاعىّ وقد كان شهد حرب عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث وصحب المهلب بن أبى صفرة وغزا معه فكان أبو مسلم يشاوره فى الأمور ويسأله عما شهد من الحروب والمغازى ويسأله عن الكنية بأبى منصور يا أبا منصور ما تقول وما رأيك قال أبو الخطاب فأخبرنا من شهد أبا منصور يأخذ البيعة على الهاشمية أبايعكم على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى

الله عليه وسلم والطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعتاق والمشى إلى بيت الله وعلى أن لا تسألوا رزقا ولا طمعا حتى يبدأكم به ولاتكم وإن كان عدو أحدكم تحت قدمه فلا تهيجوه إلا بأمر ولاتكم فلما حبس أبو مسلم سلم بن أحوز ويونس بن عبد ربه وعقيل ابن معقل ومنصور بن أبى الخرقاء وأصحابه شاور أبا منصور فقال اجعل سوطك السيف وسجنك القبر فأقدمهم أبو مسلم فقتلهم وكانت عدتهم أربعة وعشرين رجلا وأما على بن محمد فانه ذكر أن الصباح مولى جبريل أخبره عن مسلمة بن يحيى أن أبا مسلم جعل على حرسه خالد بن عثمان وعلى شُرطه مالك بن الهيثم وعلى القضاء القاسم بن مجاشع وعلى الديوان كامل بن مظفر فرزق كل رجل أربعة آلاف وأنه أقام فى عسكره بالماخوان ثلاثة أشهر ثم سار من الماخوان ليلا فى جمع كبير يريد عسكر ابن الكرمانى وعلى ميمنته لاهز بن قريظ وعلى ميسرته القاسم بن مجاشع وعلى مقدمته أبو نصر مالك بن الهيثم وخلف على خندقه أبا عبد الرحمن الماخوانى فأصبح فى عسكر شيبان فخاف نصر أن يجتمع أبو مسلم وابن الكرمانى على قتاله فأرسل إلى أبى مسلم يعرض عليه أن يدخل مدينة مرو ويوادعه فأجابه فوادع أبا مسلم نصر فراسل نصر بن أحوز يومه ذلك كله وأبو مسلم فى عسكر شيبان فأصبح نصر وابن الكرمانى فغدوا إلى القتال وأقبل أبو مسلم ليدخل مدينة مرو فرد خيل نصر وخيل ابن الكرمانى ودخل المدينة لسبع أو لتسع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٠ وهو يتلو «ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته» إلى آخر الآية قال على وأخبرنا أبو الذيال والمفضل الضبى قالا لما دخل أبو مسلم مدينة مرو قال نصر لأصحابه أرى هذا الرجل قد قوى أمره وقد سارع اليه الناس وقد وادعته وسيتم له ما يريد فاخرجوا بنا عن هذه البلدة وخلوه فاختلفوا عليه فقال بعضهم نعم وقال بعضهم لا فقال أما إنكم ستذكرون قولى وقال لخاصته من مضر انطلقوا إلى أبى مسلم فالقوه وخذوا بحظكم منه وأرسل أبو مسلم إلى نصر لاهز بن قريظ يدعوه فقال لاهز «إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك»

وقرأ قبلها آيات ففطن نصر فقال لغلامه ضع لى وضوءا فقام كأنه يريد الوضوء فدخل بستان وخرج منه فركب وهرب قال علىّ وأخبرنا أبو الذيال قال أخبرنى إياس بن طلحة بن طلحة قال كنت مع أبى وقد ذهب عمى إلى أبى مسلم يبايعه فابطأ حتى صليت العصر والنهار قصير فنحن ننتظره وقد هيأنا له الغداء فإنى لقاعد مع أبى إذ مر نصر على برذون لا أعلم فى داره برذونا أسرى منه ومعه حاجبه والحكم بن نميلة النميرى قال أبى إنه لهارب ليس معه أحد وليس بين يديه حربة ولا راية فمر بنا فسلم تسليما خفيا فلما جاوزنا ضرب برذونه ونادى الحكم بن نميلة غلمانه فركبوا واتبعوه قال علىّ قال أبو الذيال قال إياس كان بين منزلنا وبين مرو أربع فراسخ فمر بنا نصر بعد العتمة فضج أهل القرية وهربوا فقال لى أهلى وإخوانى اخرج لا تقتل وبكوا فخرجت أنا وعمى المهلب بن إياس فلحقنا نصراً بعد هدىء الليل وهو فى أربعين قد قام برذونه فنزل عنه فحمله بشر بن بسطام بن عمران بن الفضل البُرْجمىّ على برذونه فقال نصر إنى لا آمن الطلب فمن يسوق بنا قال عبدالله ابن عرعرة الضبى أنا أسوق بكم قال أنت لها فطرد بنا ليلته حتى أصبحنا فى بئر فى المفازة على عشرين فرسخا أو أقل ونحن ستمائة فسرنا يومنا فنزلنا العصر ونحن ننظر إلى أبيات سَرَخْس وتصورها ونحن ألف وخمسمائة فانطلقت أنا وعمى إلى صديق لنا من بنى حنيفة يقال له مسكين فبتنا تحن عنده لم نطعم شيئاً فأصبحنا فجاءنا بثريدة فأكلنا منها ونحن جياع لم نأكل يومنا وليلتنا واجتمع الناس فصاروا ثلاثة آلاف وأقمنا بسرخس يومين فلما لم يأتنا أحد صار نصر إلى طوس فأخبرهم خبر أبى مسلم وأقام خمسة عشر يوما ثم سار وسرنا إلى نيسابور فأقام بها ونزل أبو مسلم حين هرب نصر دار الإمارة وأقبل ابن الكرمانى فدخل مرو مع أبى مسلم فقال أبو مسلم حين هرب نصر يزعم نصر أنى ساحر هو والله ساحر وقال غير ما ذكرت قوله فى أمر نصر وابن الكرمانى وشيبان الحرورى انتهى أبو مسلم فى سنة ١٣٠ من معسكره بقرية سليمان بن كثير إلى قرية تدعى الماخوان فنزلها وأجمع على الاستظهار بعلىّ بن جديع ومن معه من اليمن وعلى دعاء نصر بن سيار ومن معه

إلى معاونته فأرسل إلى الفريقين جميعا وعرض على كل فريق منهم المسالمة واجتماع الكلمة والدخول فى الطاعة فقبل ذلك على بن جديع وتابعه على رأيه فعاقده عليه فلما وثق أبو مسلم بمبايعة علىّ بن جديع إياه كتب إلى نصر بن سيار أن يبعث اليه وفداً يحضرون مقالته ومقالة أصحابه فيما كان وعده أن يميل معه وأرسل إلى على بمثل ما أرسل به إلى نصر ثم وصف من خبر اختيار قواد الشيعة اليمانية على المضرية نحواً مما وصف من قد ذكرنا الرواية عنه قبل فى كتابنا هذا وذكر أن أبا مسلم إذ وجه شبل بن طهمان فيمن وجهه إلى مدينة مرو وأنزله قصر بخاراخذاه إنما وجهه مدداً لعلىّ بن الكرمانى قال وسار أبو مسلم من خندقه بالماخوان بجميع من معه إلى على ابن جديع ومع على عثمان أخوه وأشراف اليمن معهم وحلفاؤهم من ربيعة فلما حاذى أبو مسلم مدينة مرو استقبله عثمان بن جديع فى خيل عظيمة ومعه أشراف اليمن ومن معه من ربيعة حتى دخل عسكر علىّ بن الكرمانىّ وشيبان بن سلمة الحرورى ومن معه من النقباء ووقف على حجرة علىّ بن جديع فدخل عليه وأعطاه الرضا وآمنه على نفسه وأصحابه وخرجا إلى حجرة سيبان وهو يسلم عليه يومئذ بالخلافة فأمر أبو مسلم عليا بالجلوس إلى جنب شيبان وأعلمه أنه لا يحلّ له التسليم عليه وأراد أبو مسلم أن يسلم على علىّ بالإمرة فيظن شيبان أنه يسلم عليه ففعل ذلك علىّ ودخل عليه أبو مسلم فسلم عليه بالإمارة وألطف لشيبان وعظمه ثم خرج من عنده فنزل قصر محمد بن الحسن الأزدىّ فأقام به ليلتين ثم انصرف إلى خندقه بالماخوان فأقام به ثلاثة أشهر ثم ارتحل من خندقه بالماخوان إلى مرو لسبع خلون من ربيع الآخر وخلف على جنده أبا عبد الكريم الماخوانىّ وجعل أبو مسلم على ميمنته لاهز بن قريظ وعلى ميسرته القاسم بن مجاشع وعلى مقدمته مالك بن الهيثم وكان مسيره ليلا فأصبح على باب مدينة مرو وبعث إلى علىّ بن جديع أن يبعث خيله حتى وقف على باب قصر الإمارة فوجد الفريقين يقتتلان أشد القتال فى حائط مرو فأرسل إلى الفريقين أن كفوا وليتفرق كلّ قوم إلى معسكرهم ففعلوا وأرسل أبو مسلم لاهز بن قريظ وقريش بن شقيق وعبد الله

ابن البخترى وداود بن كراز إلى نصر يدعوه إلى كتاب الله والطاعة للرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم فلما رأى نصر ماجاءه من اليمانيـة والربعية والعجم وأنه لاطاقة له بهم ولابد أن ..... أظهر قبول مابعث به إليـه على أن يأتيه فيبايعه وجعل يرشيهم لماهمّ به من الغدر والهرب إلى أن أمسى فأمر أصحابه أن يخرجوا من ليلتهم إلى ما يأمنون فيه فما تيسر لأصحاب نصر الخروج فى تلك الليلة وقال له سلم بن أحوز إنه لايتيسر لنا الخروج الليلة ولكنا نخرج القابلة فلما كان صبح تلك الليلة عبأ أبو مسلم كتائبه فلم يزل فى تعبيتها إلى بعد الظهر وأرسل إلى نصر لاهز بن قريظ وقريش بن شقيق وعبـد الله بن البخترى وداود بن كرّاز وعدة من أعاجم الشيعة فدخلوا على نصر فقال لهم لشرّ ماعدتم فقال له لاهز لابدلك من ذلك فقال نصر أما إذ كان لابد منه فإنى أتوضأ وأخرج إليه وأرسل إلى أبى مسلم فان كان هذا رأيه وأمره أتيته ونعما لعينه وأتهيأ إلى أن يجىء رسولى وقام نصر فلما قام قرأ لاهز هذه الآية « إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين » فدخل نصر منزله وأعلمهم أنه ينتظر انصراف رسوله من عند أبى مسلم فلما جنه الليل خرج من خلف حجرته ومعـه تميم ابنه والحكم بن نميلة النميرى وحاجبه وامرأته فانطلقوا هرابا فلما استبطأه لاهز وأصحابه دخلوا منزله فوجدوه قد هرب فلما بلغ ذلك أبامسلم سار إلى معسكر نصر وأخذ ثقات أصحابه وصناديدهم فكتفهم وكان فيهم سـلم بن أحوز صاحب شرطة نصر والبخترىّ كاتبه وابنان له ويونس بن عبدربه ومحمد بن قطن ومجاهد بن يحيي بن حضين وغيرهم فاستوثق منهم بالحديد وكانوا فى الحبس عنده ...... أمر بقتلهم جميعا ونزل نصر سرخس فيمن اتبعه من المضرية وكانوا ثلاثة آلاف ومضى أبو مسلم وعلى بن جديع فى طلبه فطلباه ليلتهما حتى أصبحا فى قرية تدعى نصرانية فوجدا نصرا قد خلف امرأته المرْزُبَانة فيها ونجا بنفسه ورجع أبو مسلم وعلىّ بن جديع إلى مرو فقال أبو مسـلم لمن كان وجه إلى نصر ماالذى ارتاب به منكم قالوا لاندرى قال فهل تكلم أحد منكم قالوا لاهز تلا هذه الآية « إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » قال

هذا الذى دعاه إلى الهرب ثم قال يالاهز أتدغل فى الدين فضرب عنقه ﴿وفى هذه السنة﴾ قتل شيبان بن سلمة الحرورى

ذكر الخبر عن مقتله وسببه

وكان سبب مقتله فيما ذكر أن على بن جديع وشيبان كانا مجتمعين على قتال نصر بن سيار لمخالفة شيبان نصرا لأنه من عمال مروان بن محمد وأن شيبان يرى رأى الخوارج ومخالفة على بن جديع نصراً لأنه يمانى ونصر مضرى وأن نصرا قتل أباه وصلبه ولما بين الفريقين من العصبية التى كانت بين اليمانية والمضرية فلما صالح على بن الكرمانى أبامسلم وفارق شيبان تنحى شيبان عن مرو إذ علم أنه لاطاقة له بحرب أبى مسلم وعلى بن جديع ...... خلافه وقد هرب نصر من مرو .... أخبره والحسَ .... لما انقضت .... أرسل أبو مسلم الى شيبان يدعوه الى البيعة فقال شيبان أنا أدعوك إلى بيعتى فأرسل إليه أبو مسلم ان لم تدخل فى أمرنا فارتحل عن منزلك الذى أنت فيه فأرسل شيبان الى ابن الكرمانى يستنصره فأبى فسار شيبان الى سرخس واجتمع اليه جمع كثير من بكر بن وائل فبعث اليه أبو مسلم تسعة من الأزد فيهم المنتجع ابن الزبير يدعوه ويسأله أن يكف فأرسل شيبان فأخذ رسل أبى مسلم فسجنهم فكتب أبو مسلم الى بسام بن ابراهيم مولى بنى ليث بيبورد يأمره أن يسير الى شيبان فيقاتله ففعل فهزمه بسام واتبعه حتى دخل المدينة فقتل شيبان وعدة من بكر بن وائل فقيل لأبى مسلم إن بساما ثائر بأبيه وهو يقتل البرى والسقيم فكتب اليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه فقدم واستخلف على عسكره رجلا قال على أخبرنا المفضل قال لما قتل شيبان مر رجل من بكر بن وائل يقال له خفاف برسل أبى مسلم الذين كان أرسلهم الى شيبان وهم فى بيت فأخرجهم وقتلهم وقيل إن أبا مسلم وجه الى شيبان عسكراً من قبله عليهم خزيمة من خازم وبسام بن ابراهيم ﴿وفى هذه السنة﴾ قتل أبو مسلم عليا وعثمان ابنى جديع الكرمانى

ذكر سبب قتل أبى مسلم اياهما

وكان السبب فى ذلك فيما قيل أن أبا مسلم كان وجه موسى بن كعب الى أبيورد فافتتحها وكتب الى أبى مسلم بذلك ووجه أبا داود الى بلخ وبها زياد بن عبد الرحمن القشيرى فلما بلغه قصد أبى داود بلخ خرج فى أهل بلخ والترمذ وغيرهما من كور طخارستان الى الجوزجان فلما دنا أبو داود منهم انصرفوا منهزمين إلى الترمذ ودخل أبو داود مدينة بلخ فكتب اليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه ووجه مكانه يحيي بن نعيم أبا الميلاء .... أبو داود فلقيه كتاب من أبى مسلم يأمره بالانصراف فانصرف وقدم عليه أبو الميلاء فكاتب زياد بن عبد الرحمن يحيي بن نعيم أبو الميلاء أن يصير أيديهم واحدة فأجابه فرجع زياد بن عبد الرحمن القشيرى ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم الباهلى وعيسى بن زرعة السلمى وأهل بلخ والترمذ وملوك طخارستان وما خلف النهر وما دونه فنزل زياد وأصحابه على فرسخ من مدينة بلخ وخرج اليه يحيي بن نعيم بمن معه حتى اجتمعوا فصارت كلمتهم واحدة مضريهم ويمانيهم وربعيّهم ومن معهم من الأعاجم على قتال المسودة وجعلوا الولاية عليهم لمقاتل ابن حيان النبطى كراهة أن يكون من الفرق الثلاثة وأمر أبو مسلم أبا داود بالعود فأقبل أبو داود بمن معه حتى اجتمعوا على نهر السرجنان وكان زياد بن عبد الرحمن وأصحابه قد وجهوا أبا سعيد القرشى مسلحة فيما بين العود وبين قرية يقال لها أمديان لئلا يأتيهم أصحاب أبى داود من خلفهم وكانت أعلام أبى سعيد وراياته سودا فلما اجتمع أبو داود وزياد وأصحابهما واصطفوا للقتال أمر أبو سعيد القرشى أصحابه أن يأتوا زياداً وأصحابه من خلفهم فرجع وخرج عليهم من سكة العود وراياته سود فظن أصحاب زياد أنهم كمين لأبى داود وقد نشب القتال بين الفريقين فانهزم زياد ومن معه وتبعهم أبو داود فوقع عامة أصحاب زياد فى نهر السرجنان وقتل عامة رجالهم المخلفين ونزل أبو داود عسكرهم وحوى مافيه ولم يتبع زيادا ولا ..... فى خيل أبى داود إلى مدينة ..... ومضى زياد ويحيي ومن معهما إلى الترمذ وأقام أبو داود يومه .... واستصفى

أموال من قتل بالسرجنان ومن هرب من العرب وغيرهم واستقامت بلخ لأبى داود ثم كتب اليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه ووجه النضر بن صبيح المرى على بلخ وقدم أبو داود واجتمع رأى أبى داود وأبى مسلم على أن يفرقا بين على وعثمان ابنى الكرمانى فبعث أبو مسلم عثمان عاملا على بلخ فلما قدمها استخلف الفرافصة بن ظهير العبسى على مدينة بلخ وأقبلت المضرية من ترمذ عليهم مسلم ابن عبد الرحمن الباهلى فالتقوا وأصحاب عثمان بن جديع بقرية بين البروقان وبين الدستجرد فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أصحاب عثمان بن جديع وغلب المضرية ومسلم بن عبدالرحمن على مدينة بلخ وأخرجوا الفرافصة منها وبلغ عثمان بن جديع الخبر والنضر بن صبيح وهما بمرو الروذ فأقبلا نحوهم وبلغ أصحاب زياد ابن عبد الرحمن فهربوا من تحت ليلتهم وعتب النضر فى طلبهم رجاء أن يفوتوا ولقيهم أصحاب عثمان بن جديع فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أصحاب عثمان بن جديع وأكثروا فيهم القتل ومضت المضرية إلى أصحابها ورجع أبو داود من مرو إلى بلخ وسار أبو مسلم ومعه على بن جديع إلى نيسابور واتفق رأى أبى مسلم ورأى أبى داود على أن يقتل أبو مسلم علياً ويقتل أبو داود عثمان فى يوم واحد فلما قدم أبو داود بلخ بعث عثمان عاملا على الختل فيمن معه من يمانى أهل مرو وأهل بلخ وربعيهم فلما خرج من بلخ خرج أبو داود .... من أرض الختل فوثب أبو داود على عثمان وأصحابه فحبسهم جميعاً ثم ضرب أعناقهم صبرا وقتل أبو مسلم فى ذلك اليوم على بن الكرمانى وقد كان أبو مسلم أمره أن يسمى له خاصته ليوليهم ويأمر لهم بجوائز وكسى فسماهم له فقتلهم جميعاً (وفى هذه السنة) قدم قحطبة بن شبيب على أبى مسلم خراسان منصرفا من عند إبراهيم بن محمد بن على ومعه لواؤه الذى عقد له إبراهيم فوجهه أبو مسلم حين قدم عليه على مقدمته وضم اليه الجيوش وجعل له العزل والاستعمال وكتب إلى الجنود بالسمع والطاعة له (وفيها) وجه قحطبة إلى نيسابور للقاء نصر فذكر على بن محمد أن أبا الذيال والحسن بن رشيد وأبا الحسن الجُشَمى أخبروه أن شيبان بن سلمة

الحَرُورى" لما قتل لحق أصحابه بنصر وهو بنيسابور وكتب اليه النابى بن سويد العجلى" يستغيث فوجه اليه نصر ابنه تميم بن نصر فى ألفين وتهيأ نصر على أن يسير إلى طوس ووجه أبو مسلم قحطبة بن شبيب فى قواد منهم القاسم بن مجاشع وجهور بن مرار فأخذ القاسم من قبل سرخس وأخذ جهور من قبل أبيورد فوجه تميم عاصم بن عمير السغدى إلى جهور وكان أدناهم منه فهزمه عاصم بن عمير فتحصن فى كبادقان وأظل قحطبة والقاسم على النابى فأرسل تميم إلى عاصم أن ارحل عن جهور وأقبل فتركه وأقبل فقاتاهم قحطبة ﴿قال أبو جعفر﴾ فأما غير الذين روى عنهم علىّ بن محمد ما ذكرنا فى أمر قحطبة وتوجيه أبى مسلم إياه إلى نصر وأصحابه فانه ذكر أن أبا مسلم لما قتل شيبان الخارجى وابنى الكرمانى ونفى نصرا عن مرو وغلب على خراسان وجه عماله على بلادها فاستعمل سباع بن النعمان الأزدى على سمرقند وأبا داود خالد بن إبراهيم على طخارستان ووجه محمد ابن الأشعث إلى الطبسين وفارس وجعل مالك بن الهيثم على شرطته ووجه قحطبة إلى طوس ومعه عدة من القواد منهم أبو عون عبد الملك بن يزيد ومقاتل بن حكيم العكى وخالد بن برمك وخازم بن خزيمة والمنذر بن عبد الرحمن وعثمان بن نهيك وجهور بن مرار العجلى وأبو العباس الطوسى" وعبد الله بن عثمان الطائى وسلمة بن محمد وأبو غانم عبد الحميد بن ربعى وأبو حميد وأبو الجهم وجعله أبو مسلم كاتبا لقحطبة على الجند وعامر بن إسماعيل ومحرز بن إبراهيم فى عدة من القوّاد فلقى من بطوس فانهزموا وكان من مات منهم فى الزحام أكثر ممن قتل فبلغ عدة القتلى يومئذ بضعة عشر ألفا ووجه أبو مسلم القاسم بن مجاشع الى نيسابور على طريق المحجّة وكتب إلى قحطبة يأمره بقتال تميم بن نصر بن سيار والنابى بن سويد ومن لجأ اليهما من أهل خراسان وأن يصرف اليه موسى بن كعب عن أبيورد فلما قدم قحطبة أبيورد صرف موسى بن كعب إلى أبى مسلم وكتب مقاتل بن حكيم يأمره أن يوجه رجلا إلى نيسابور ويصرف منها القاسم بن مجاشع فوجه أبو مسلم علىّ بن معقل فى عشرة آلاف إلى تميم بن نصر وأمره .... قحطبة طوس أن يستقبله بمن معه وينضم

اليه فسار على بن معقل حتى نزل قرية يقال لها حلوان وبلغ قحطبة مسير على
.... نزل فعجل السير إلى السوذقان ومعه معسكر تميم بن نصر والنابى بن
سويدووجه على مقدمته أسيد بن عبدالله الخزاعى فى .... أهل نساو أبيورد
فسار حتى نزل قرية يقال .... لقتاله فكتب أسيد إلى قحطبة يعلمه ما أخبر
.... لم يعجل القدوم عليه حاكمهم إلى الله عزوجل وأخبره أنهما فى ثلاثين
ألفاً من صناديد أهل خراسان وفرسانهم فوجه قحطبة مقاتل بن حكيم العكى فى
ألف وخالد بن برمك فى ألف فقدما على أسيد وبلغ ذلك تميما والنابى فكسرهما ثم
قدم عليهم قحطبة بمن معه وتعبأ لقتال تميم وجعل على ميمنته مقاتل بن حكيم وأباعون
عبد الملك بن يزيد وخالد بن برمك وعلى ميسرته أسيد بن عبد الله الخزاعى والحسن
ابن قحطبة والمسيب بن زهير وعبد الجبار بن عبدالرحمن وصار هو فى القلب ثم
زحف اليهم فدعاهم إلى كتاب الله عزوجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإلى الرضا
من آل محمد صلى الله عليه وسلم فلم يجيبوه فأمر الميمنة والميسرة أن يحملوا فاقتتلوا
قتالا شديداً أشد ما يكون من القتال فقتل تميم بن نصر فى المعركة وقتل معه منهم
مقتلة عظيمة واستبيح عسكرهم وأفلت النابى فى عدة فتحصنوا فى المدينة وأحاطت
بهم الجنود فنقبوا الحائط ودخلوا إلى المدينة فقتلوا النابى ومن كان معه وهرب
عاصم بن عمير السمرقندى وسالم بن راوية السعيدى إلى نصر بن سيار بنيسابور
فأخبراه بمقتل تميم والنابى ومن كان معهما فلما غلب قحطبة على عسكرهم بما فيه
صير إلى خالد بن برمك قبض ذلك ووجه مقاتل بن حكيم العكى على مقدمته إلى
نيسابور فبلغ ذلك نصر بن سيار فارتحل هاربا فى أثر أهل أبرشهر حتى نزل قومس
وتفرق عنه أصحابه فسار إلى نباتة بن حنظلة بجرجان وقدم قحطبة نيسابور بجنوده
﴿وفى هذه السنة﴾ قتل نباتة بن حنظلة عامل يزيد بن عمر بن هبيرة على جرجان

ذكر الخبر عن مقتله

ذكر على بن محمد أن زهير بن هنيد وأبا الحسن الجشمى وجبلة بن فروخ
وأباعبد الرحمن الأصبهانى أخبروه أن يزيد بن عمر بن هبيرة بعث نباتة بن حنظلة

الكلابى إلى نصر فأتى فارس واصبهان ثم سار إلى الرى ومضى إلى جرجان ولم يضم إلى نصر بن سيار فقالت القيسية لنصر لا تحملنا قومس فتحولوا إلى جرجان وخندق نباتة فكان إذا وقع الخندق فى دار قوم رشوه فأخره فكان خندقه نحوا من فرسخ وأقبل قحطبة إلى جرجان فى ذى القعدة من سنة ١٣٠ ومعه أسيد بن عبد الله الخزاعى وخالد بن برمك وأبو عون عبد الملك بن يزيد وموسى بن كعب المرّاى والمسيب بن زهير وعبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدىّ وعلى ميمنته موسى ابن كعب وعلى ميسرته أسيد بن عبد الله وعلى مقدمته الحسن بن قحطبة فقال قحطبة ياأهل خراسان أتدرون إلى من تسيرون ومن تقاتلون إنما تقاتلون بقية قوم حرقوا بيت الله عز وجل وأقبل الحسن حتى نزل تخوم خراسان ووجه الحسن عثمان بن رفيع ونافعاً المروزى وأباخالد المروروزى ومسعدة الطائى إلى مسلحة نباتة وعليها رجل يقال له ذؤيب فبيتوه فقتلوا ذؤيباً وسبعين رجلا من أصحابه ثم رجعوا إلى عسكر الحسن وقدم قحطبة فنزلوا بإزاء نباتة وأهل الشأم فى عدة لم ير الناس مثلها فلما رآهم أهل خراسان هابوهم حتى تكلموا بذلك وأظهروه وبلغ قحطبة فقام فيهم خطيباً فقال ياأهل خراسان هذه البلاد كانت لآبائكم الأولين وكانوا يُنصرون على عدوهم لعدلهم وحسن سيرتهم حتى بدلوا وظلموا فسخط الله عز وجل عليهم فانتزع سلطانهم وسلط عليهم أذل أمة كانت فى الأرض عندهم فغلبوهم على بلادهم واستنكحوا نساءهم واسترقوا أولادهم فكانوا بذلك يحكمون بالعدل ويوفون بالعهد وينصرون المظلوم ثم بدلوا وغيروا وجاروا فى الحكم وأخافوا أهل البر والتقوى من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلطكم عليهم لينتقم منهم بكم ليكونوا أشد عقوبة لأنكم طلبتموهم بالثأر وقد عهد إلىّ الامام أنكم تلقونهم فى مثل هذه العدة فينصركم الله عز وجل عليهم فتهزمونهم وتقتلونهم وقد قرئ على قحطبة كتاب أبى مسلم من أبى مسلم إلى قحطبة بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فناهض عدوك فإن الله عز وجل ناصرك فإذا ظهرت عليهم فأثخن فى القتل فالتقوا فى مستهل ذى الحجة سنة ١٣٠ فى يوم الجمعة فقال قحطبة ياأهل خراسان إن هذا يوم

قد فضله الله تبارك وتعالى على سائر الأيام والعمل فيه مضاعف وهذا شهر عظيم فيه عيد أعظم أعيادكم عند الله عز وجل وقد أخبرنا الامام أنكم تنصرون فى هذا اليوم من هذا الشهر على عدوكم فالقوه بجد وصبر واحتساب فإن الله مع الصابرين ثم ناهضهم وعلى ميمنته الحسن بن قحطبة وعلى ميسرته خالد بن برمك ومقاتل بن حكيم العكى فاقتتلوا وصبر بعضهم لبعض فقتل نباتة وانهزم أهل الشأم فقتل منهم عشرة آلاف وبعث قحطبة إلى أبى مسلم برأس نباتة وابنه حية قال وأخبرنا شيخ من بنى عدى عن أبيه قال كان سالم بن راوية التميمى ممن هرب من أبى مسلم وخرج مع نصر ثم صار مع نباتة فقاتل قحطبة بجرجان فانهزم الناس وبقى يقاتل وحده فحمل عليه عبد الله الطائى وكان من فرسان قحطبة فضربه سالم بن راوية على وجهه فأندر عينه وقاتلهم حتى اضطر إلى المسجد فدخله ودخلوا عليه فكان لا يشد من ناحية إلا كشفهم فجعل ينادى شربة فوالله لأنقعن لهم شراً يومى هذا وحرقوا عليه سقف المسجد فرموه بالحجارة حتى قتلوه وجاءوا برأسه إلى قحطبة وليس فى رأسه ولا وجهه مصح فقال قحطبة ما رأيت مثل هذا قط (وفى هذه السنة) كانت الوقعة التى كانت بقديد بين أبى حمزة الخارجى وأهل المدينة

ذكر الخبر عن ذلك

❊ حدثنى العباس بن عيسى العقيلى قال حدثنا هارون بن موسى الفروى قال حدثنى غير واحد من أصحابنا أن عبد الواحد بن سليمان استعمل عبد العزيز ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس فخرجوا فلما كان بالحرّة لقيتهم جُزُر منحورة فمضوا فلما كان بالعقيق تعلق لواؤهم بسمرة فانكسر الرمح فتشاءم الناس بالخروج ثم ساروا حتى نزلوا قديد فنزلوها ليلا وكانت قرية قديد من ناحية القصر المبنى اليوم وكانت الحياض هنالك فنزل قوم مغترون ليسوا بأصحاب حرب فلم يرعهم الا القوم قد خرجوا عليهم من الفضل وقد زعم بعض الناس أن خزاعة دلت أبا حمزة على عورتهم وأدخلوهم عليهم فقتلوهم وكانت المقتلة على قريش هم كانوا أكثر الناس وبهم كانت الشوكة وأصيب منهم عدد كثير قال العباس قال

هارون وأخبرنى بعض أصحابنا أن رجلا من قريش نظر إلى رجل من أهل اليمن وهو يقول الحمد لله الذى أقرّ عينى بمقتل قريش فقال لابنه يابنى ابدأ به وقد كان من أهل المدينة قال فدنا منه ابنه فضرب عنقه ثم قال لابنه أى بنى تقدم فقاتلا حتى قتلا ثم ورد فلال الناس المدينة وبكى الناس قتلاهم فكانت المرأة تقيم على حميمها النواح فما تبرح النساء حتى تأتيهن الأخبار عن رجالهن فتخرج النساء امرأة امرأة كل امرأة تذهب إلى حميمها حتى ماتبقى عندها امرأة قال وأنشدنى أبو ضمرة هذه الأبيات فى قتلى قديد الذين أصيبوا من قومه رثاهم بعض أصحابهم فقال

يالَهفَ نَفْسِى ولَهفِى غَيْرَ كاذِبَةٍ ... على فوارِسَ بالبَطْحاءِ أنجادِ
عَمْرٍو وعَمْرٍ وعَبْدُ اللهِ بَيْنَهُما ... وابناهُما خامِسٌ والحارثُ السادِى

(وفى هذه السنة) دخل أبو حمزة الخارجى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهرب عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلى الشأم

ذكر الخبر عن دخول أبى حمزة المدينة وما كان منه فيها

* حدثنى العباس بن عيسى قال حدثنا هارون بن موسى الفَرْوىّ قال حدثنى موسى بن كثير قال دخل أبو حمزة المدينة سنة ١٣٠ ومضى عبد الواحد بن سليمان ابن عبد الملك إلى الشأم فرقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال ياأهل المدينة سألتكم عن ولاتكم هؤلاء فأسأتم لعمر الله فيهم القول وسألناكم هل يقتلون بالظن فقلتم لنا نعم وسألناكم هل يستحلون المال الحرام والفرج الحرام فقلتم لنا نعم فقلنا لكم تعالوا نحن وأنتم نناشدهم الله إلا تنحوا عنا وعنكم فقلتم لا يفعلون فقلنا لكم تعالوا نحن وأنتم نقاتلهم فان نظهر نحن وأنتم .... بمن يقيم فينا فيكم كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقلتم لانقوى فقلنا لكم تخلوا بيننا وبينهم فان نظفر نعدل فى أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم فيئكم بينكم فأبيتم وقاتلتمونا دونهم فقتلنا كم فأبعدكم الله وأسحقكم (قال محمد بن عمر) حدثنى حزام بن هشام قال كانت الحَرُورِيّة أربعمائة وعلى طائفة من الحروية الحارث

وعلى طائفة بكار بن محمد العدوى عدى قريش وعلى طائفة أبو حمزة فالتقوا وقد تهيأ الناس بعد الإعذار من الخوارج اليهم وقالوا لهم إنا والله مالنا حاجة بقتالكم دعونا نمض إلى عدونا فأبى أهل المدينة فالتقوا لسبع ليال خلون من صفر يوم الخميس سنة ١٣٠ فقتل أهل المدينة لم يفلت منهم الا الشريد وقتل أميرهم عبدالعزيز بن عبدالله واتهمت قريش خزاعة أن يكونوا داهنوا الحرورية فقال لى حزام والله لقد آويت رجالا من قريش منهم حتى آمن الناس فكان يلج على مقدمتهم وقدمت الحرورية المدينة لتسع عشرة ليلة خلت من صفر ❊ حدثنى العباس بن عيسى قال قال هارون بن موسى أخبرنى بعض أشياخنا أن أبا حمزة لما دخل المدينة قام فخطب فقال فى خطبته يا أهل المدينة مررت فى زمن الأحول هشام ابن عبدالملك وقد أصابتكم عاهة بثماركم وكتبتم اليه تسألونه أن يضع أخراصكم عنكم فكتب اليكم يضعها عنكم فزاد الغنى غنا وزاد الفقير فقراً فقلتم جزاك الله خيراً فلا جزاكم الله خيراً ولا جزاه خيراً قال العباس قال هارون وأخبرنى يحيى بن زكرياء أن أبا حمزة خطب بهذه الخطبة قال رقى المنبر فحمدالله وأثنى عليه ثم قال تعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرا ولا بطرا ولا عبثا ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ولا لثأر قديم نيل منا ولكنا لما رأينا [illegible] بيح الحق قد عطلت وعنف القائل بالحق وقتل القائم بالقسط قاضت علينا الأرض بما رُحبت وسمعنا داعيا يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن فأجبنا داعى الله «ومن لا يُجب داعى الله فليس بمُعْجِز فى الأرض» أقبلنا من قبائل شتى النفر منا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم يتعاورون لحافا واحدا قليلون مستضعفون فى الأرض فآوانا وأيدنا فى نصره فأصبحنا والله جميعا بنعمته اخوانا ثم لقينا رجالكم بقديد فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم آل مروان فشتان لعمر الله ما بين الرشد والغى ثم أقبلوا يهرعون يزفون قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه وغلت بدمائهم مراجله وصدّق عليهم ظنه وأقبل أنصار الله عزوجل عصائب وكتائب بكل مهند ذى رونق فدارت رحانا

واستدارت رحاهم بضرب يرتاب منه المبطلون وأنتم ياأهل المدينة إن تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله عزوجل بعذاب من عنده أو بأيدينا ويشف صُدُور قوم مؤمنين ياأهل المدينة أوّلكم خير أول وآخركم شر آخر ياأهل المدينة الناس منا ونحن منهم إلا مشركا عابد وثن أو مشرك أهل الكتاب أو إماماً جائرا ياأهل المدينة من زعم أن الله عز وجل كلف نفسا فوق طاقتها أو سألها مالم يؤتها فهو لله عزوجل عدو ولنا حرب ياأهل المدينة أخبرونى عن ثمانية أسهم فرضها الله عزوجل فى كتابه على القوى والضعيف فجاء تاسع ليس له منها ولا سهم واحد فأخذها لنفسه مكابراً محارباً لربه يا أهل المدينة بلغنى أنكم تنتقصون أصحابى قلتم شباب أحداث وأعراب حفاة ويلكم يا أهل المدينة وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شباباً أحداثاً شباب والله مكتهلون فى شبابهم غضية عن الشر أعينهم ثقيلة عن الباطل أقدامهم قد باعوا الله عز وجل أنفسا تموت بأنفس لا تموت قد خالطوا كلالهم بكلالهم وقيام ليلهم بصيام نهارهم منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مروا بآية شوق شهقوا شوقا إلى الجنة فلما نظروا إلى السيوف قد انتضت والرماح قد شرعت وإلى السهام قد فوقت وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت استخفوا وعيد الكتيبة لوعيد الله عز وجل ولم يستخفوا وعيد الله لوعيد الكتيبة فطوبى لهم وحسن مآب فكم من عين فى منقار طائر طالما فاضت فى جوف الليل من خوف الله عز وجل وكم من يد زالت عن مفصلها طالما اعتمد بها صاحبها أقول قولى هذا وأستغفر الله من تقصيرنا وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ❊ حدثنى العباس قال قال هارون حدثنى جدى أبو علقمة قال سمعت أبا حمزة على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زنى فهو كافر ومن شك فهو كافر ومن سرق فهو كافر ومن شك أنه كافر فهو كافر قال العباس قال هارون وسمعت جدّى يقول كان قد أحسن السيرة فى أهل المدينة حتى استمال حتى سمعوا كلامه فى قوله من زنى فهو كافر قال العباس قال هارون وحدثنى بعض أصحابنا لما رقى المنبر قال برح الخفاء أين مابك يذهب من زنى فهو كافر ومن سرق فهو

كافر قال العباس قال هارون وأنشدنى بعضهم فى قديد

ما لِقُدَيْدَ وماليَهْ أفنتْ قُدَيدُ رِجاليَهْ
فَلأَبكِيَنَّ سَرِيرَةً وَلأبكين علانيه
ولأبكين إذا شحنـ ـتُ معَ الكلابِ العاويَهْ

فكان دخول أبى حمزة وأصحابه المدينة لثلاث عشرة بقيت من صفر واختلفوا فى قدر مدتهم فى مقامهم فقال الواقدى كان مقامهم بها ثلاثة أشهر وقال غيره أقاموا بها بقية صفر وشهرى ربيع وطائفة من جمادى الأولى وكانت عدة من قتل من أهل المدينة بقديد فيما ذكر الواقدى سبعمائة وكان أبو حمزة فيما ذكر قد قدم طائفة من أصحابه عليهم أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن عمر القرشى ثم أحد بنى عدى ابن كعب وبلج بن عيينة بن الهيصم الأسدى من أهل البصرة فبعث مروان بن محمد من الشأم عبد الملك بن محمد بن عطية أحد بنى سعد فى جول الشأم * فحدثنى العباس ابن عيسى قال حدثنى هارون بن موسى عن موسى بن كثير قال خرج أبو حمزة من المدينة وخلف بعض أصحابه فسار حتى نزل الوادى قال العباس قال هارون حدثنى بعض أصحابنا ممن أخبرنى عنه أبو يحيى الزهرى أن مروان انتخب من عسكره أربعة آلاف واستعمل عليهم ابن عطية وأمره بالجد فى السير وأعطى كل رجل منهم مائة دينار وفرسا عربية وبغلا لثقله وأمره أن يمضى فيقاتلهم فإن هو ظفر مضى حتى بلغ اليمن ويقاتل عبد الله بن يحيى ومن معه فخرج حتى نزل بالعلا وكان رجل من أهل المدينة يقال له العلاء بن أفلح مولى أبى الغيث يقول لقينى وأنا غلام ذلك اليوم رجل من أصحاب ابن عطية فسألنى ما اسمك يا غلام قال فقلت العلاءُ قال ابن مَن قلت ابن أفلح قال مولى مَن قلت مولى أبى الغيث قال فأين نحن قلت بالعلا قال فأين نحن غداً قال بغالب قال فما كلمنى حتى أردفنى وراءه ومضى بى حتى أدخلنى على ابن عطية فقال سل هذا الغلام ما اسمه فسألنى فرددت عليه القول الذى قلت قال فسر بذلك ووهب لى دراهم قال العباس قال هارون وأخبرنى عبد الملك بن الماجشون قال لما ألقى أبو حمزة وابن عطية قال أبو حمزة لا تقاتلوهم حتى تخبروهم

قال فصاحوا بهم ما تقولون فى القرآن والعمل به قال فصاح ابن عطية نضعه فى جوف الجوالق قال فما تقولون فى مال اليتيم قال نأكل ماله ونفجر بأمه فى أشياء بلغنى أنهم سألوهم عنها قال فلما سمعوا كلامهم قاتلوهم حتى أمسوا فصاحوا ويحك يا ابن عطية إن الله عز وجل قد جعل الليل سكنا فاسكن نسكن قال فأبى فقاتلهم حتى قتلهم قال العباس قال هارون وكان أبو حمزة حين خرج ودع أهل المدينة وقال إنا خارجون إلى مروان فإن نظفر نعدل فى أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ونقسم فيئكم بينكم وإن يكن ما يمنون فسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون قال العباس قال هارون وأخبرنى بعض أصحابنا أن الناس وثبوا على أصحابه حين جاءهم قتله فقتلوهم قال محمد بن عمر سار أبو حمزة وأصحابه إلى مروان فلقيهم خيل مروان بوادى القرى عليها ابن عطية السعدى من قيس فأوقعوا بهم فرجعوا منهزمين منهم إلى المدينة فلقيهم أهل المدينة فقتلوهم قال وكان الذى قاد جيش مروان عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى سعد هوازن قدم المدينة فى أربعة آلاف فارس عربىّ مع كل واحد منهم بغل ومنهم من عليه درعان أو درع وتنور وتجافيف وعدة لم ير مثلها فى ذلك الزمان فمضوا إلى مكة وقال بعضهم أقام ابن عطية بالمدينة حين دخلها شهرا ثم مضى إلى مكة واستخلف على المدينة الوليد بن عروة بن محمد بن عطية ثم مضى إلى مكة وإلى اليمن فاستخلف على مكة ابن ماعز رجلا من أهل الشأم ولما مضى ابن عطية بلغ عبد الله بن يحيي وهو بصنعاء مسيره إليه فأقبل إليه بمن معه فالتقى هو وابن عطية فقتل ابن عطية عبد الله ابن يحيي وبعث ابنه بشير إلى مروان ومضى ابن عطية فدخل صنعاء وبعث برأس عبد الله بن يحيي إلى مروان ثم كتب مروان إلى ابن عطية يأمره أن يغذ السير ويحج بالناس فخرج فى نفر من أصحابه فيما حدثنى العباس بن عيسى عن هارون حتى نزل الجرف هكذا قال العباس ففطن له بعض أهل القرية فقالوا منهزم والله فشدوا عليه فقال ويحكم عامل الحج والله كتب إلى أمير المومنين ﴿قال أبو جعفر﴾ وأما محمد بن عمر فانه ذكر أن أبا الزبير بن عبد الرحمن حدثه قال خرجت

مع ابن عطية السعدى ونحن اثنا عشر رجلا بعهد مروان على الحج ومعه أربعون
ألف دينار فى خرجه حتى نزل الجرف يريد الحج وقد خلف عسكره وخيله وراءه
بصنعاء فوالله إنا آمنون مطمئنون إذ سمعت كلمة من امرأة قاتل الله ابنى جمانة
ما أشتمهما فقمت كأنى أهريق الماء وأشرفت على نشز من الأرض فاذا الدهم من
الرجال والسلاح والخيل والقذافات فاذا ابنا جمانة المراديان واقفان علينا قد
أحدقوا بنا من كل ناحية فقلنا ماتريدون فقالوا أنتم لصوص فأخرج ابن عطية
كتابه وقال هذا كتاب أمير المؤمنين وعهده على الحج وأنا ابن عطية فقالوا هذا
باطل ولكنكم لصوص فرأينا الشر فركب الصفر بن حبيب فرسه فقاتل وأحسن
حتى قتل ثم ركب ابن عطية فقاتل حتى قتل ثم قتل من معنا وبقيت فقالوا من أنت
فقلت رجل من همدان قالوا من أى همدان أنت فاعتزيت إلى بطن منهم وكنت
عالما ببطون همدان فتركونى وقالوا أنت آمن وكل مالك فى هذا الرحل فخذه
فلو ادعيتُ المال كله لأعطونى ثم بعثوا معى فرسانا حتى بلغوا بى صعدة وأمنتُ
ومضيتُ حتى قدمتُ مكة ﴿وفى هذه السنة﴾ غزا الصائفة فيما ذكر الوليد بن
هشام فنزل العمق وبنى حصن مرعش ﴿وفيها﴾ وقع الطاعون بالبصرة ﴿وفى
هذه السنة﴾ قتل قحطبة بن شبيب من أهل جرجان من قتل من أهلها قيل إنه قتل
منهم زهاء ثلاثين ألفا وذلك أنه بلغه فيما ذكر عن أهل جرجان أنه كان أجمع رأيهم
بعد مقتل نباتة بن حنظلة على الخروج على قحطبة فدخل قحطبة لما بلغه ذلك من
أمرهم واستعرضهم فقتل منهم من ذكرت ولما بلغ نصر بن سيار قتل قحطبة
نباتة ومن قتل من أهل جرجان وهو بقومس ارتحل حتى نزل خوار الرىّ
وكان سبب نزول نصر قومس فيما ذكر علىّ بن محمد أن أبا الذيال حدثه والحسن
ابن رشيد وأبا الحسن الجشمى أن أبا مسلم كتب مع المنهال بن فتان إلى زياد بن
زرارة القشيرىّ بعهده على نيسابور بعد ما قتل تميم بن نصر والنابى بن سويد
العجلىّ وكتب إلى قحطبة يأمره أن يتبع نصرا فوجه قحطبة العكىّ على مقدمته
وسار قحطبة حتى نزل نيسابور فأقام بها شهرين شهرى رمضان وشوال من سنة

١٣٠ ونصر نازل فى قرية من قرى قومس يقال لها بذش ونزل من كان معه من قيس فى قرية يقال لها الميدان وكتب نصر إلى ابن هبيرة يستمده وهو بواسط مع ناس من وجوه أهل خراسان يعظم الأمر عليه فحبس ابن هبيرة رسله فكتب نصر إلى مروان إنى وجهت إلى ابن هبيرة قوما من وجوه أهل خراسان ليعلموه أمر الناس من قبلنا وسألته المدد فاحتبس رسلى ولم يمدنى بأحد وإنما أنا بمنزلة من أخرج من بيته إلى حجرته ثم أخرج من حجرته إلى داره ثم أخرج من داره إلى فناء داره فإن أدركه من يعينه فعسى أن يعود إلى داره وتبقى له وإن أخرج من داره إلى الطريق فلا دار له ولا فناء فكتب مروان إلى ابن هبيرة يأمره أن يمد نصرا وكتب إلى نصر يعلمه ذلك وكتب إلى ابن هبيرة مع خالد مولى بنى ليث يسأله أن يعجل إليه الجند فإن أهل خراسان قد كذبتهم حتى ما رجل منهم يصدق لى قولا فأمدنى بعشرة آلاف قبل أن تمدنى بمائة ألف ثم لا تغنى شيئا ﴿وحج﴾ فى هذه السنة بالناس محمد بن عبد الملك ابن مروان كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره حدثه عن إسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكانت إليه مكة والمدينة والطائف وكان فيها العراق إلى يزيد بن عمر ابن هبيرة وكان على قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربى وكان على قضاء البصرة عباد بن منصور وعلى خراسان نصر بن سيار والأمر بخراسان على ما ذكرتُ

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك توجيه قحطبة ابنه الحسن إلى نصر وهو بقومس فذكر على بن محمد أن زهير بن هنيد والحسن بن رشيد وجبلة بن فروخ التاجى قالوا لما قتل نباتة ارتحل نصر بن سيار من بذش ودخل خوار وأميرها أبو بكر العقيلى ووجه قحطبة ابنه الحسن إلى قومس فى المحرم سنة ١٣١ ثم وجه قحطبة أبا كامل وأبا القاسم محرز بن ابراهيم وأبا العباس المروزى إلى الحسن فى سبعمائة فلما كانوا قريبا منه انحاز أبو كامل وترك عسكره وأتى نصرا فصار معه وأعلمه مكان القائد

الذى خلف فوجه إليهم نصر جندا فأتوهم وهم فى حائط فحصروهم فنقب جميل بن مهران الحائط وهرب هو وأصحابه وخلفوا شيئا من متاعهم فأخذه أصحاب نصر فبعث به نصر إلى ابن هبيرة فعرض له عطيف بالرى فأخذ الكتاب من رسول نصر والمتاع وبعث به إلى ابن هبيرة فعتب نصر وقال انى شغب ابن هبيرة أيشغب على بضغابيس قيس أما والله لأدعنه فليعرفن أنه ليس بشىء ولا ابنه الذى تربص له الأشياء وسار حتى نزل الرى" وعلى الرى" حبيب بن بُديل النهشلى" فخرج عطيف من الرى" حين قدمها نصر الى همذان وفيها مالك بن أدهم بن محرز الباهلى على الصحصحية فلما رأى مالكا فى همذان وعدل منها الى أصبهان الى عامر بن ضبارة وكان عطيف فى ثلاثة آلاف وجهه ابن هبيرة إلى نصر فنزل الرى ولم يأت نصرا وأقام نصر بالرى يومين ثم مرض فكان يحمل حملا حتى اذا كان بساوة قريبا من همذان مات بها فلما مات دخل أصحابه همذان وكانت وفاة نصر فيما قيل لمضى اثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الأول وهو ابن خمس وثمانين سنة وقيل إن نصرا لما شخص من خوار متوجهاً نحو الرى لم يدخل الرى ولكنه أخذ المفازة التى بين الرى وهمذان فمات بها (رجع الحديث الى حديث على عن شيوخه) قال ولما مات نصر بن سيار بعث الحسن خازم بن خزيمة الى قرية يقال لها سمنان وأقبل قحطبة من جرجان وقدم أمامه زياد بن زرارة القشيرى وكان زياد قد ندم على اتباع أبى مسلم فانخزل عن قحطبة وأخذ طريق اصبهان يريد أن يأتى عامر بن ضبارة فوجه قحطبة المسيب ابن زهير الضبى فلحقه من غد بعد العصر فقاتله فانهزم زياد وقتل عامة من معه ورجع المسيب بن زهير إلى قحطبة ثم سار قحطبة إلى قومس وبها ابنه الحسن فقدم خازم من الوجه الذى كان وجهه فيه الحسن فقدم قحطبة ابنه الى الرى وبلغ حبيب بن بديل النهشلى ومن معه من أهل الشأم مسير الحسن فخرجوا عن الرى ودخلها الحسن فأقام حتى قدم أبوه وكتب قحطبة حين قدم الرى إلى أبى مسلم يعلمه نزوله الرى (وفى هذه السنة) تحول أبو مسلم من مرو الى نيسابور فنزلها

ذكر الخبر عما كان من أمر أبى مسلم هنالك
ومن قحطبة بعد نزوله الرى

ولما كتب قحطبة إلى أبى مسلم بنزوله الرى ارتحل أبو مسلم فيما ذكر من مرو فنزل نيسابور وخندق بها ووجه قحطبة ابنه الحسن بعد نزوله الرى بثلاث إلى همذان فذكر علىّ عن شيوخه وغيرهم أن الحسن بن قحطبة لما توجه الى همذان خرج منها مالك بن أدهم ومن كان بها من أهل الشأم وأهل خراسان إلى نهاوند فدعاهم مالك إلى أرزاقهم وقال من كان له ديوان فليأخذ رزقه فترك قوم كثير دواوينهم ومضوا فأقام مالك ومن بقى معه من أهل الشأم وأهل خراسان ممن كان مع نصر فسار الحسن من همذان الى نهاوند فنزل على أربعة فراسخ من المدينة وأمده قحطبة بأبى الجهم بن عطية مولى باهلة فى سبعمائة حتى أطاف بالمدينة وحصرها

﴿ وفى هذه السنة ﴾ قتل عامر بن ضبارة

ذكر الخبر عن مقتله وعن سبب ذلك

وكان سبب مقتله أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر لما هزمه ابن ضبارة مضى هاربا نحو خراسان وسلك إليها طريق كرمان ومضى عامر بن ضبارة فى أثره لطلبه وورد على يزيد بن عمر مقتل نباتة بن حنظلة بجرجان فذكر على بن محمد أن أبا السرىّ المروزى وأبا الحسن الجشمى والحسن بن رشيد وجبلة بن فروخ وحفص بن شبيب أخبروه قال لما قتل نباتة كتب ابن هبيرة إلى عامر بن ضبارة وإلى ابنه داود بن يزيد بن عمر أن يسيرا إلى قحطبة وكانا بكرمان فسارا فى خمسين ألفاً حتى نزلوا اصبهان بمدينة جىّ وكان يقال لعسكر بن ضبارة عسكر العساكر فبعث قحطبة اليهم مقاتلا وأبا حفص المهلبى وأبا حماد المروزى مولى بنى سليم وموسى بن عقيل وأسلم بن حسان وذؤيب بن الأشعث وكلثوم بن شبيب ومالك بن طريف والمخارق بن عقال والهيثم بن زياد وعليهم جميعا العكى فسار حتى نزل قمّ وبلغ ابن ضبارة نزول الحسن بأهل نهاوند فأراد أن يأتيهم معينا لهم وبلغ الخبر العكىّ فبعث إلى قحطبة يعلمه فوجه زهير بن محمد إلى قاشان خرج العكىّ من قمّ

وخلف بها طريف بن غيلان فكتب اليه قحطبة يأمره أن يقيم حتى يقدم عليه وأن يرجع إلى قِم وأقبل قحطبة من الرى وبلغه طلائع العسكرين فلما لحق قحطبة بمقاتل بن حكيم العكى ضم عسكر العكى إلى عسكره وسار عامر بن ضبارة اليهم وبينه وبين عسكر قحطبة فرسخ فأقام أياما ثم سار قحطبة اليهم فالتقوا وعلى ميمنة قحطبة العكى ومعه خالد بن برمك وعلى ميسرته عبد الحميد بن ربعى ومعه مالك بن طريف وقحطبة فى عشرين ألفاً وابن ضبارة فى مائة ألف وقيل فى خمسين ومائة ألف فأمر قحطبة بمصحف فنصب على رمح ثم نادى يا أهل الشأم انا ندعوكم إلى ما فى هذا المصحف فشتموه وأفحشوا فى القول فأرسل اليهم قحطبة احملوا عليهم فحمل عليهم العكى وتهايج الناس فلم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم أهل الشأم وقتلوا قتلا ذريعاً وحووا عسكرهم فأصابوا شيئاً لا يدرى عدده من السلاح والمتاع والرقيق وبعث بالفتح إلى ابنه الحسن مع شريح بن عبد الله قال على وأخبرنا أبو الذيال قال لقى قحطبة عامر بن ضبارة ومع ابن ضبارة ناس من أهل خراسان منهم صالح بن الحجاج النميرى وبشر بن بسطام بن عمران بن الفضل البرجمى وعبد العزيز بن شماس المازنى وابن ضبارة فى خيل ليست معه رجالة وقحطبة معه خيل ورجالة فرموا الخيل بالنشاب فانهزم ابن ضبارة حتى دخل عسكره واتبعه قحطبة فترك ابن ضبارة العسكر ونادى إلى فانهزم الناس وقتل قال على وأخبرنا المفضل بن محمد الضبى قال لما لقى قحطبة ابن ضبارة انهزم داود بن يزيد بن عمر فسأل عنه عامر فقيل انهزم فقال لعن الله شرنا منقلبا وقاتل حتى قتل قال على وأخبرنا حفص بن شبيب قال حدثنى من شهد قحطبة وكان معه قال ما رأيت عسكرا قط جمع ما جمع أهل الشأم بإصبهان من الخيل والسلاح والرقيق كأنا افتتحنا مدينة وأصبنا معهم مالا يحصى من البرابط والطنابير والمزامير ولقلّ بيت أو خباء ندخله إلا أصبنا فيه زكرة أو زقاً من الخمر فقال بعض الشعراء

قَرْضَبَهُمْ قَحْطَبَةُ القِرْضَبُ   يدْعُونَ مَرْوانَ كَدَعْوَى الرَّب

(وفى هذه السنة) كانت وقعة قحطبة بنهاوند بمن كان لجئ اليها من جنود

مروان بن محمد قيل وكانت الوقعة بجابلق من أرض أصبهان يوم السبت لسبع بقين من رجب

ذكر الخبر عن هذه الوقعة

ذكر علىّ بن محمد أن الحسن بن رشيد وزهير بن الهنيد أخبراه أن ابن ضبارة لما قتل كتب بذلك قحطبة إلى ابنه الحسن فلما أتاه الكتاب كبر وكبر جنده ونادوا بقتله فقال عاصم بن عمير السغدى ماصاح هؤلاء بقتل ابن ضبارة إلا وهو حق فاخرجوا إلى الحسن بن قحطبة وأصحابه فانكم لا تقومون لهم فتذهبون حيث شئتم قبل أن يأتيه أبوه أو مدده فقالت الرجالة تخرجون وأنتم فرسان على خيول فتذهبون وتتركوننا فقال لهم مالك بن أدهم الباهلى كتب إلى ابن هبيرة ولا أبرح حتى يقدم على فأقاموا وأقام قحطبة باصبهان عشرين يوما ثم سار حتى قدم على الحسن نهاوند فحصرهم أشهرا ودعاهم إلى الأمان فأبوا فوضع عليهم المجانيق فلما رأى ذلك مالك طلب الأمان لنفسه ولأهل الشأم وأهل خراسان لا يعلمون فأعطاه الأمان فوفى له قحطبة ولم يقتل منهم أحداً وقتل من كان بنهاوند من أهل خراسان إلا الحكم ابن ثابت بن أبى مسعر الحنفىّ وقتل من أهل خراسان أبا كامل وحاتم بن الحارث ابن شريح وابن نصر بن سيار وعاصم بن عمير وعلىّ بن عقيل وبيهس بن بديل من بنى سليم من أهل الجزيرة ورجلا من قريش يقال له البخترىّ من أولاد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وزعموا أن آل الخطاب لا يعرفونه وقطن بن حرب الهلالى قال علىّ وحدثنا يحيي بن الحكم الهمدانى قال حدثنى مولى لنا قال لما صالح مالك بن أدهم قحطبة قال بيهس بن بديل إن ابن أدهم ليصالح علينا والله لأفتكن به فوجد أهل خراسان أن قد فتح لهم الأبواب ودخلوا وأدخل قحطبة من كان معه من أهل خراسان حائطا وقال غير على أرسل قحطبة إلى أهل خراسان الذين فى مدينة نهاوند يدعوهم إلى الخروج إليه وأعطاهم الأمان فأبوا ذلك ثم أرسل الى أهل الشأم بمثل ذلك فقبلوا ودخلوا فى الأمان بعد أن حوصروا ثلاثة أشهر شعبان ورمضان وشوال وبعث أهل الشأم إلى قحطبة يسألونه أن يشغل

أهل المدينة حتى يفتحوا الباب وهم لا يشعرون ففعل ذلك قحطبة وشغل أهل المدينة بالقتال ففتح أهل الشأم الباب الذى كانوا عليه فلما رأى أهل خراسان الذين فى المدينة خروج أهل الشأم سألوهم عن خروجهم فقالوا أخذنا الأمان لنا ولكم فخرج رؤساء أهل خراسان فدفع قحطبة كل رجل منهم إلى رجل من قواد أهل خراسان ثم أمر فنادى مناديه من كان فى يده أسير ممن خرج إلينا من أهل المدينة فليضرب عنقه وليأتنا برأسه ففعلوا ذلك فلم يبق أحد ممن كان قد هرب من أبى مسلم وصاروا إلى الحصن إلا قتل ما خلا أهل الشأم فإنه خلى سبيلهم وأخذ عليهم ألا يمالئوا عليه عدوّا (رجع الحديث إلى حديث علىّ) عن شيوخه الذين ذكرت ولما أدخل قحطبة الذين كانوا بنهاوند من أهل خراسان مع أهل الشأم الحائط قال لهم ابن عمير ويلكم لا تدخلوا الحائط وخرج عاصم قد لبس درعه ولبس سوادا كان معه فلقيه شاكرى كان له بخراسان فعرفه فقال أبو الأسود قال نعم فأدخله فى سرب وقال لغلام له احتفظ به ولا تطلعن على مكانه أحداً وأمر قحطبة من كان عنده أسيراً فليأتنا به فقال الغلام الذى كان وكل بعاصم إن عندى أسيراً أخاف أن أغلب عليه فسمعه رجل من أهل اليمن فقال أرنيه فأراه إياه فعرفه فأتى قحطبة فأخبره وقال رأس من رؤس الجبابرة فأرسل إليه فقتله ووفى لأهل الشأم فلم يقتل منهم أحد قال علىّ وأخبرنا أبو الحسن الخراسانىّ وجبلة بن فروخ قالا لما قدم قحطبة نهاوند والحسن محاصرهم أقام قحطبة عليهم ووجه الحسن إلى مرج القلعة فقدّم الحسن خازم بن خزيمة إلى حلوان وعليها عبد الله بن العلاء الكندى فهرب من حلوان وخلاها قال علىّ وأخبرنا محرز بن إبراهيم قال لما فتح قحطبة نهاوند أرادوا أن يكتبوا إلى مروان باسم قحطبة فقالوا هذا اسم شنيع اقلبوه فجاء هبط حق فقالوا الأول مع شنعته أيسر من هذا فردوه (وفى هذه السنة) كانت وقعة أبى عون بشهرزور

ذكر الخبر عنها وعما كان فيها

ذكر علىّ أن أبا الحسن وجبلة بن فروخ حدثاه قال وجه قحطبة أبا عون

عبد الملك بن يزيد الخراسانى ومالك بن طريف الخراسانى فى أربعة آلاف إلى شهرزور وبها عثمان بن سفيان على مقدمة عبد الله بن مروان فقدم أبو عون ومالك فنزلا على فرسخين من شهرزور فأقاما به يوما وليلة ثم ناهضا عثمان بن سفيان فى العشرين من ذى الحجة سنة ١٣١ فقتل عثمان بن سفيان وبعث أبو عون بالبشارة مع إسماعيل بن المتوكل وأقام أبو عون فى بلاد الموصل وقال بعضهم لم يقتل عثمان بن سفيان ولكنه هرب إلى عبد الله بن مروان واستباح أبو عون عسكره وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة بعد قتال شديد وقال كان قحطبة وجه أبا عون إلى شهرزور فى ثلاثين ألفا بأمر أبى مسلم إياه بذلك قال ولما بلغ خبر أبى عون مروان وهو بحران ارتحل منها ومعه جنود الشأم والجزيرة والموصل وحشرت بنو أمية معه أبناءهم مقبلا إلى أبى عون حتى انتهى إلى الموصل ثم أخذ فى حفر الخنادق من خندق إلى خندق حتى نزل الزاب الأكبر وأقام أبو عون بشهرزور بقية ذى الحجة والمحرم من سنة ١٣٢ وفرض فيها لخمسة آلاف رجل (وفى هذه السنة) سار قحطبة نحو ابن هبيرة ذكر علىّ بن محمد أن أبا الحسن أخبره وزهير ابن هنيد وإسماعيل بن أبى إسماعيل وجبلة بن فروخ قالوا لما قدم على ابن هبيرة ابنه منهزما من حلوان خرج يزيد بن عمر بن هبيرة فقاتل قحطبة فى عدد كثير لا يحصى مع حوثرة بن سهيل الباهلىّ وكان مروان أمد ابن هبيرة به وجعل على الساقة زياد بن سهل الغطفانىّ فسار يزيد بن عمر بن هبيرة حتى نزل جلولاء الوقيعة وخندق فاحتفر الخندق الذى كانت العجم احتفرته أيام وقعة جلولاء وأقبل قحطبة حتى نزل قرماسين ثم سار إلى حلوان ثم تقدم من حلوان فنزل خانقين فارتحل قحطبة من خانقين وارتحل ابن هبيرة راجعا إلى الدسكرة وقال هشام عن أبى مخنف قال أقبل قحطبة وابن هبيرة مخندق بجلولاء فارتفع إلى عكبراء وجاز قحطبة دجلة ومضى حتى نزل دِمّا دون الأنبار وارتحل ابن هبيرة بمن معه منصرفا مبادرا إلى الكوفة لقحطبة حتى نزل فى الفرات فى شرقيه وقدم حوثرة فى خمسة عشر ألفا إلى الكوفة وقطع قحطبة الفرات من دمّا حتى صار من

غربيه ثم سار يريد الكوفة حتى انتهى إلى الموضع الذى فيه ابن هبيرة ﴿وفى هذه السنة﴾ حج بالناس الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدى سعد هوازن وهو ابن أخى عبد الملك بن محمد بن عطية الذى قتل أباحمزة الخارجىّ وكان والى المدينة من قبل عمه حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى وغيره وقد ذكر أن الوليد بن عروة إنما كان خرج خارجا من المدينة وكان مروان قد كتب إلى عمه عبد الملك بن محمد بن عطية يأمره أن يحج بالناس وهو باليمن فكان من أمره ماقد ذكرت قبل فلما أبطأ عليه عمه عبد الملك افتعل كتابا من عمه يأمره بالحج بالناس فحج بهم وذكر أن الوليد بن عروة بلغه قتل عمه عبد الملك فمضى الذين قتلوه فقتل منهم مقتلة عظيمة وبقر بطون نسائهم وقتل الصبيان وحرق بالنيران من قدر عليه منهم وكان عامل مكة والمدينة والطائف فى هذه السنة الوليد بن عروة السعدى من قبل عمه عبد الملك بن محمد وعامل العراق يزيد بن عمر بن هبيرة وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربىّ وعلى قضاء البصرة عباد بن منصور الناجىّ

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها هلاك قحطبة بن شبيب

ذكر الخبر عن مهلكه وسبب ذلك

فكان السبب فى ذلك أن قحطبة لما نزل خانقين مقبلا إلى ابن هبيرة وابن هبيرة بجلولاء ارتحل ابن هبيرة من جلولاء إلى الدسكرة فبعث فيما ذكر قحطبة ابنه الحسن طليعة ليعلم له خبر ابن هبيرة وكان ابن هبيرة راجعا إلى خندقه بجلولاء فوجد الحسن بن هبيرة فى خندقه فرجع إلى أبيه فأخبره بمكان ابن هبيرة فذكر علىّ بن محمد عن زهير بن هنيد وجبلة بن فروخ واسماعيل بن أبى اسماعيل والحسن بن رشيد أن قحطبة قال لأصحابه لما رجع ابنه الحسن اليه وأخبره بما أخبره به من أمر ابن هبيرة هل تعلمون طريقا يخرجنا إلى الكوفة لا نمر بابن هبيرة فقال خلف بن المورع

الهمذانى أحد بنى تميم نعم أنا أدلك فعبر به تامرأ من روستقباذ ولزم الجادة حتى نزل بُزُرْجَ سابور وأتى عكبراء فعبر دجلة إلى أوانا قال علىّ وحدثنا ابراهيم بن يزيد الخراسانى قال نزل قحطبة بخانقين وابن هبيرة بجلولاء بينهما خمسة فراسخ وأرسل طلائعه إلى ابن هبيرة ليعلم علمه فرجعوا اليه فأعلموه أنه مقيم فبعث قحطبة خازم بن خزيمة وأمره أن يعبر دجلة فعبر وسار بين دجلة ودُجَيْل حتى نزل كوثباً ثم كتب اليه قحطبة يأمره بالمسير إلى الأنبار وأن يحدر اليه مافيها من السفن وماقدر عليه يعبرها ويوافيه بها بدمّا فعل ذلك خازم ووافاه قحطبة بدمّا ثم عبر قحطبة الفرات فى المحرم من سنة ١٣٢ ووجه الأثقال فى البرية وصارت الفرسان معه على شاطئ الفرات وابن هبيرة معسكر على فم الفرات من أرض الفلوجة العليا على رأس ثلاثة وعشرين فرسخا من الكوفة وقد اجتمع اليه فل ابن ضبارة وأمده مروان بحوثرة بن سهيل الباهلىّ فى عشرين ألفاً من أهل الشأم وذكر علىّ أن الحسن بن رشيد وجبلة بن فروخ أخبراه أن قحطبة لما ترك ابن هبيرة ومضى يريد الكوفة قال حوثرة بن سهيل الباهلىّ وناس من وجوه أهل الشأم لابن هبيرة قد مضى قحطبة إلى الكوفة فاقصد أنت خراسان ودعه ومروان فإنك تكسره فبالحَرَى أن يتبعك فقال ماهذا برأى ما كان ليتبعنى ويدع الكوفة ولكن الرأى أن أبادره إلى الكوفة ولما عبر قحطبة الفرات وسار على شاطئ الفرات ارتحل ابن هبيرة من معسكره بأرض الفلوجة فاستعمل على مقدمته حوثرة بن سهيل وأمره بالمسير إلى الكوفة والفريقان يسيران على شاطئ الفرات ابن هبيرة بين الفرات وسورا وقحطبة فى عربيه مما يلى البر ووقف قحطبة فعبر اليه رجل أعرابىّ فى زورق فسلم على قحطبة فقال ممن أنت قال من طيء فقال الأعرابىّ لقحطبة اشرب من هذا واسقنى سؤرك فغرف قحطبة فى قصعة فشرب وسقاه فقال الحمد لله الذى نسأ أجلى حتى رأيت هذا الجيش يشرب من هذا الماء قال قحطبة أتتك الرواية قال نعم قال ممن أنت قال من طيء ثم أحد بنى نبهان فقال قحطبة صدقنى امامى أخبرنى أن لى وقعة على هذا النهر لى فيها النصر ياأخا بنى نبهان هل ههنا مخاضة قال نعم

ولا أعرفها وأدلك على من يعرفها السندى بن عصم فأرسل اليه قحطبة فجاء وأبو السندى وعون فدعوه على المخاضة وأمسى ووافته مقدمة ابن هبيرة فى عشرين ألفاً عليهم حوثرة فذكر على عن ابن شهاب العبدى قال نزل قحطبة الحائرة فقال صدقنى الامام أخبرنى أن النصر بهذا المكان وأعطى الجند أرزاقهم فردعليه كاتبه ستة عشر ألف درهم فضل الدرهم والدرهمين وأكثر وأقل فقال لا تزالون بخير ما كنتم على هذا ووافته خيول الشأم وقد دلوه على مخاضة فقال إنما أنتظر شهر حرام وليلة عاشوراء وذلك سنة ١٣٢ وأما هشام بن محمد فانه ذكر عن أبى مخنف أن قحطبة انتهى إلى موضع مخاضة ذكرت له وذلك عند غروب الشمس ليلة الأربعاء لثمان خلون من المحرم سنة ١٣٢ فلما انتهى قحطبة إلى المخاضة اقتحم فى عدة من أصحابه حتى حمل على ابن هبيرة وولى أصحابه منهزمين ثم نزلوا فم النيل ومضى حوثرة حتى نزل قصر ابن هبيرة وأصبح أهل خراسان وقد فقدوا أميرهم فألقوا بأيدهم وعلى الناس الحسن بن قحطبة (رجع الحديث إلى حديث على) عن ابن شهاب العبدى فأما صاحب علم قحطبة خيران أو يسار مولاه قال له اعبر وقال لصاحب رايته مسعود بن علاج رجل من بكر بن وائل اعبر وقال لصاحب شرطته عبد الحميد بن ربعى أبى غانم أحد بنى نبهان من طيء اعبر يا أبا غانم وأبشر بالغنيمة وعبر جماعة حتى عبر أربعمائة فقاتلوا أصحاب حوثرة حتى نحوهم عن الشريعة ولقوا محمد بن نباتة فقاتلوه ورفعوا النيران وانهزم أهل الشأم وفقدوا قحطبة فبايعوا حميد بن قحطبة على كره منه وجعلوا على الأثقال رجلا يقال له أبو نصر فى مائتين وسار حميد حتى نزل كربلاء ثم دير الأعور ثم العباسية قال على أخبرنا خالد بن بن الأصفح وأبو الذيال قالوا وجد قحطبة فدفنه أبو الجهم فقال رجل من عرض الناس من كان عنده عهد من قحطبة فليخبرنا به فقال مقاتل بن مالك العكى سمعت قحطبة يقول إن حدث لى حدث فالحسن أمير الناس فبايع الناس حميد اللحسن وأرسلوا إلى الحسن فلحقه الرسول دون قرية شاهى فرجع الحسن فأعطاه أبو الجهم خاتم قحطبة وبايعوه فقال الحسن إن كان قحطبة مات فأنا ابن قحطبة وقتل فى هذه الليلة ابن نبهان السدوسى وحرب بن

سلم بن أحوز وعيسى بن إياس العدوى ورجل من الأساورة يقال له مصعب وادعى قتل قحطبة معن بن زائدة ويحيى بن حصن قال علىّ قال أبو الذيال وجدوا قحطبة قتيلا فى جدول وحرب بن سلم بن أحوز قتيل إلى جنبه فظنوا أن كل واحد منهما قتل صاحبه قال علىّ وذكر عبد الله بن بدر قال كنت مع ابن هبيرة ليلة قحطبة فعبروا الينا فقاتلونا على مسناة عليها خمسة فوارس فبعث ابن هبيرة محمد بن نباتة فتلقاهم فدفعناهم دفعا وضرب معن بن زائدة قحطبة على حبل عاتقه فأسرع فيه السيف فسقط قحطبة فى الماء فأخرجوه فقال شدوا يدى فشدّوها بعمامة فقال إن مت فألقونى فى الماء لا يعلم أحد بقتلى وكر عليهم أهل خراسان فانكشف ابن نباتة وأهل الشأم فاتبعونا وقد أخذ طائفة فى وجه ولحقنا قوم من أهل خراسان فقاتلناهم طويلا فما نجونا إلا برجلين من أهل الشأم قاتلوا عنا قتالا شديدا فقال بعض الخراسانية دعوا هؤلاء الكلاب بالفارسية فانصرفوا عنا ومات قحطبة وقال قبل موته إذا قدمتم الكوفة فوزير الإمام أبو سلمة فسلموا هذا الأمر اليه ورجع ابن هبيرة إلى واسط (وقد قيل) فى هلاك قحطبة قول غير الذى قاله من ذكرنا قوله من شيوخ علىّ بن محمد والذى قيل من ذلك أن قحطبة لما صار بحذاء ابن هبيرة من الجانب الغربى من الفرات وبينهما الفرات قدم الحسن ابنه على مقدمته ثم أمر عبد الله الطائى ومسعود بن علاج وأسد بن المرزبان وأصحابهم بالعبور على خيولهم فى الفرات فعبروا بعد العصر فطعن أول فارس لقيهم من أصحاب ابن هبيرة فولوا منهزمين حتى بلغت هزيمتهم جسر سوار حتى اعترضهم سويد صاحب شرطة ابن هبيرة فضرب وجوههم ووجوه دوابهم حتى ردهم إلى موضعهم وذلك عند المغرب حتى انتهوا إلى مسعود بن علاج ومن معه فكثروهم فأمر قحطبة المخارق بن غفار وعبد الله بسام وسلمة بن محمد وهم فى جريدة خيل أن يعبروا فيكونوا ردءا لمسعود بن علاج فعبروا ولقيهم محمد بن نباتة فحصر سلمة ومن معه بقرية على شاطئ الفرات وترجل سلمة ومن معه وحمى القتال فجعل محمد بن نباتة يحمل على سلمة وأصحابه فيقتل العشرة والعشرين ويحمل سلمة وأصحابه

على محمد بن نباتة وأصحابه فيقتل منهم المائة والمائتين وبعث سلمة إلى قحطبة يستمده فأمده بقواده جميعاً ثم عبر قحطبة بفرسانه وأمر كل فارس أن يردف رجلا وذلك ليلة الخميس لليال خلون من المحرم ثم واقع قحطبة محمد بن نباتة ومن معه فاقتتلوا قتالا شديداً فهزمهم قحطبة حتى ألحقهم بابن هبيرة وانهزم ابن هبيرة بهزيمة ابن نباتة وخلوا عسكرهم وما فيه من الأموال والسلاح والزينة والآنية وغير ذلك ومضت بهم الهزيمة حتى قطعوا جسر الصراة وساروا ليلتهم حتى أصبحوا بفم النيل وأصبح أصحاب قحطبة وقد فقدوه فلم يزالوا فى رجاء منه إلى نصف النهار ثم يئسوا منه وعلموا بغرقه فأجمع القواد على الحسن بن قحطبة فولوه الأمر وبايعوه فقام بالأمر وتولاه وأمر بإحصاء مافى عسكر ابن هبيرة ووكل بذلك رجلا من أهل خراسان يكنى أبا النصر فى مائتى فارس وأمر بحمل الغنائم فى السفن إلى الكوفة ثم ارتحل الحسن بالجنود حتى نزل كربلاء ثم ارتحل فنزل سورا ثم نزل بعدها دير الأعور ثم سار منها فنزل العباسية وبلغ حوثرة هزيمة ابن هبيرة فخرج بمن معه حتى لحق بابن هبيرة بواسط وكان سبب قتل قحطبة فيما قال هؤلاء أن أحلم بن ابراهيم بن بسام مولى بنى ليث قال لما رأيت قحطبة فى الفرات وقد سبحت به دابته حتى كادت تعبر به من الجانب الذى كنت فيه أنا وبسام بن إبراهيم أخى وكان بسام على مقدمة قحطبة فذكرت من قتل من ولد نصر بن سيار وأشياء ذكرتها منه وقد أشفقت على أخى بسام بن ابراهيم لشىء بلغه عنه فقلت لا طلبت بثأر أبداً إن نجوت الليلة قال فأتلقاه وقد صعدت به دابته لتخرج من الفرات وأنا على الشط فضربته بالسيف على جبينه فوثب فرسه وأعجله الموت فذهب فى الفرات بسلاحه ثم أخبر ابن حصين السعدى بعد موت أحلم بن ابراهيم بمثل ذلك وقال لو لا أنه أقر بذلك عند موته ما أخبرت عنه بشىء ﴿وفى هذه السنة﴾ خرج محمد بن خالد بالكوفة وسود قبل ان يدخلها الحسن بن قحطبة وخرج عنها عامل ابن هبيرة ثم دخلها الحسن

ذكر الخبر عما كان من أمر من ذكرت

ذكر هشام عن أبي مخنف قال خرج محمد بن خالد بالكوفة فى ليلة عاشوراء وعلى الكوفة زياد بن صالح الحارثى وعلى شرطه عبد الرحمن بن بشير العجلى وسود محمد وسار إلى القصر فارتحل زياد بن صالح وعبد الرحمن بن بشير العجلى ومن معهم من أهل الشأم وخلوا القصر فدخله محمد بن خالد فلما أصبح يوم الجمعة وذلك صبيحة اليوم الثانى من مهلك قحطبة بلغه نزول حوثرة ومن معه مدينة ابن هبيرة وانه تهيأ للمسير الى محمد فتفرق عن محمد عامة من معه حيث بلغهم نزول حوثرة مدينة ابن هبيرة ومسيره الى محمد لقتاله الا فرسانا من فرسان أهل اليمن ممن كان هرب من مروان ومواليه وأرسل اليه أبو سلمة الخلال ولم يظهر بعد يأمره بالخروج من القصر واللحاق بأسفل الفرات فإنه يخاف عليه لقلة من معه وكثرة من مع حوثرة ولم يبلغ أحداً من الفريقين هلاك قحطبة فأبى محمد بن خالد أن يفعل حتى تعالى النهار فتهيأ حوثرة للمسير إلى محمد بن خالد حيث بلغه قلة من معه وخذلان العامة له فبينا محمد فى القصر إذ أتاه بعض طلائعه فقال له خيل قد جاءت من أهل الشأم فوجه اليهم عدة من مواليه فأقاموا بباب دار عمر بن سعد إذ طلعت الرايات لأهل الشأم فتهيؤا لقتالهم فنادى الشأميون نحن بجيلة وفينا مليح بن خالد البجلى جئنا لندخل فى طاعة الأمير فدخلوا ثم جاءت خيل أعظم منها مع رجل من آل بحدل فلما رأى ذلك حوثرة من صنيع أصحابه ارتحل نحو واسط بمن معه وكتب محمد بن خالد من ليلته إلى قحطبة وهو لا يعلم بهلكه يعلمه أنه قد ظفر بالكوفة وعجل به مع فارس فقدم على الحسن بن قحطبة فلما دفع اليه كتاب محمد بن خالد قرأه على الناس ثم ارتحل نحو الكوفة فاقام محمد بالكوفة يوم الجمعة والسبت والأحد وصبحه الحسن يوم الاثنين فأتوا أبا سلمة وهو فى بنى سلمة فاستخرجوه فعسكر بالنخيلة يومين ثم ارتحل إلى حمام أعين ووجه الحسن بن قحطبة إلى واسط لقتال ابن هبيرة وأما على بن محمد فانه ذكر أن عمارة مولى جبرائيل بن يحيى أخبره قال بايع أهل خراسان الحسن بعد قحطبة فأقبل إلى الكوفة وعليها يومئذ عبد الرحمن

ابن بشير العجلى" فأتاه رجل من بنى ضبة فقال إن الحسن داخل اليوم أو غدا قال كأنك جئت ترهبنى وضربه ثلثمائة سوط ثم هرب فسود محمد بن خالد بن عبد الله القسرى فخرج فى أحد عشر رجلا ودعا الناس إلى البيعة وضبط الكوفة فدخل الحسن من الغد فكانوا يسألون فى الطريق أين منزل أبى سلمة وزير آل محمد فدلوهم عليه فجاءوا حتى وقفوا على بابه فخرج اليهم فقدموا له دابة من دواب قحطبة فركبها وجاء حتى وقف فى جبانة السبيع وبايع أهل خراسان فمكث أبو سلمة حفص ابن سليمان مولى السّبيع يقال له وزير آل محمد واستعمل محمد بن خالد بن عبد الله القسرى" على الكوفة وكان يقال له الأمير حتى ظهر أبو العباس وقال على أخبرنا جبلة بن فروخ وأبو صالح المروزى" وعمارة مولى جبرائيل وأبو السرى وغيرهم ممن قد أدرك أول دعوة بنى العباس قالوا ثم وجه الحسن بن قحطبة إلى ابن هبيرة بواسط وضم اليه قوادا منهم خازم بن خزيمة ومقاتل بن حكيم العكى" وخفاف ابن منصور وسعيد بن عمرو وزياد بن مشكان والفضل بن سليمان وعبد الكريم ابن مسلم وعثمان بن نهيك وزهير بن محمد والهيثم بن زياد وأبو خالد المروزى وغيرهم ستة عشر قائدا وعلى جميعهم الحسن بن قحطبة ووجه حميد بن قحطبة إلى المدائن فى قواد منهم عبد الرحمن بن نعيم ومسعود بن علاج كل قائد فى أصحابه وبعث المسيب بن زهير وخالد بن برمك إلى ديرقنى وبعث المهلبى وشراحيل فى أربعمائة إلى عَيْن التمر وبسام بن إبراهيم بن بسام إلى الأهواز وبها عبد الواحد ابن عمر بن هبيرة فلما أتى بسام الأهواز خرج عبد الواحد إلى البصرة وكتب مع حفص بن السبيع إلى سفيان بن معاوية بعهده على البصرة فقال له الحارث أبو غسان الحارثى" وكان يتكهن وهو أحد بنى الديان لا ينفذ هذا العهد فقدم الكتاب على سفيان فقاتله سلم بن قتيبة وبطل عهد سفيان وخرج أبو سلمة فعسكر عند حمام أعين على نحو من ثلاثة فراسخ من الكوفة فأقام محمد بن خالد بن عبد الله بالكوفة وكان سبب قتال سلم بن قتيبة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب فيما ذكر أن أبا سلمة الخلال وجه إذ فرّق العمال فى البلدان بسام بن إبراهيم مولى بنى

ليث إلى عبد الواحد بن عمر بن هبيرة وهو بالأهواز فقاتله بسام حتى فضه فلحق سلم بن قتيبة الباهلىّ بالبصرة وهو يومئذ عامل ليزيد بن عمر بن هبيرة وكتب أبو سلمة إلى الحسن بن قحطبة أن يوجه إلى سلم من أحب من قواده وكتب إلى سفيان بن معاوية بعهده على البصرة وأمره أن يظهر بها دعوة بنى العباس ويدعو إلى القائم منهم وبقى سلم بن قتيبة فكتب سفيان إلى سلم يأمره بالتحول عن دار الإمارة ويخبره بما أتاه من رأى أبى سلمة فأبى سلم ذلك وامتنع منه وحشد مع سفيان جميع اليمانية وحلفاؤهم من ربيعة وغيرهم وجنح اليه قائد من قواد ابن هبيرة كان بعثه مدداً لسلم فى ألفى رجل من كلب فأجمع السير إلى سلم ابن قتيبة فاستعد له سلم وحشد معه من قدر عليه من قيس وأحياء مضر ومن كان بالبصرة من بنى أمية ومواليهم وسارعت بنو أمية إلى نصره فقدم سفيان يوم الخميس وذلك فى صفر فأتى المربد سلم فوقف منه عند سوق الإبل ووجه الخيول فى سكك المربد وسائر سكك البصرة للقاء من وجه اليه سفيان ونادى من جاء برأس فله خمسمائة ومن جاء بأسير فله ألف درهم ومضى معاوية بن سفيان بن معاوية فى ربيعة خاصةً فلقيه رجل من تميم فى السكة التى تأخذ لبنى عامر من سكة المربد عند الدار التى صارت لعمر بن حبيب فطعن رجلٌ منهم فرس معاوية فشب به فصرعه ونزل اليه رجل من بنى ضبة يقال له عياض فقتله وحمل رأسه إلى سلم ابن قتيبة فأعطاه ألف درهم فانكسر سفيان لقتل ابنه فانهزم ومن معه وخرج من فوره هو وأهل بيته حتى أتى القصر الأبيض فنزلوه ثم ارتحلوا منه إلى كسكر وقدم على سلم بعد غلبته على البصرة جابر بن توبة الكلابىّ والوليد بن عتبة الفراسىّ من ولد عبد الرحمن بن سمرة فى أربعة آلاف رجل كتب اليهم ابن هبيرة أن يصيروا مدداً لسلم وهو بالأهواز فغدا جابر بمن معه على دور المهلب وسائر الأزد فأغاروا عليهم فقاتلهم من بقى من رجال الأزد قتالا شديداً حتى كثرت القتلى فيهم فانهزموا فسبى جابر ومن معه من أصحابه النساء وهدموا الدور وانتهبوا فكان ذلك من فعلهم ثلاثة أيام فلم يزل سلم مقيما بالبصرة حتى بلغه قتل

ابن هبيرة فشخص عنها فاجتمع من بالبصرة من ولد الحارث ابن عبد المطلب إلى محمد بن جعفر فولوه أمرهم فوليهم أياما يسيرة حتى قدم البصرة أبو مالك عبد الله بن أسيد الخزاعى من قبل أبى مسلم فوليها خمسة أيام فلما قام أبو العباس ولاها سفيان بن معاوية ﴿وفى هذه السنة﴾ بويع لأبى العباس عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ليلة الجمعة لثلاث عشرة مضت من شهر ربيع الآخر كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال هشام بن محمد وأما الواقدى فإنه قال بويع لأبى العباس بالمدينة بالخلافة فى جمادى الأولى فى سنة ١٣٢ قال الواقدى وقال لى أبو معشر فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٢ وهو الثبت

خلافة أبى العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس

ذكر الخبر عن سبب خلافته

وكان بدء ذلك فيما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه أعلم عباس ابن عبد المطلب أنه تؤول الخلافة إلى ولده فلم يزل ولده يتوقعون ذلك ويتحدثون به بينهم وذكر علىّ بن محمد ان إسماعيل بن الحسن حدثه عن رشيد بن كريب ان أبا هاشم خرج إلى الشأم فلقى محمد بن على بن عبد الله بن عباس فقال يا ابن عمّ إن عندى علماً أنبذه اليك فلا تطلعن عليه أحداً إن هذا الأمر الذى ترتجيه الناس فيكم قال قد علمتُ فلا يسمعنه منك أحد قال علىّ فأخبرنا سليمان بن داود عن خالد بن عجلان قال لما خالف ابن الأشعث وكتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك أرسل عبد الملك إلى خالد بن يزيد فأخبره فقال أما إذا كان الفتق من سجستان فليس عليك بأس إنما كنا نتخوّف لو كان من خراسان وقال على أخبرنا الحسن ابن رشيد وجبلة بن فروخ التاجى ويحيى بن طفيل والنعمان بن سرى وأبو حفص الأزدى وغيرهم أن الإمام محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس قال لنا ثلاث أوقات موت الطاغية يزيد بن معاوية و رأس المائة وفتق إفريقية فعند ذلك يدعو لنا

دعاة ثم تقبل أنصارنا من المشرق حتى ترد خيولهم المغرب ويستخرجوا ما كنز الجبارون فيها فلما قتل يزيد بن أبى مسلم بإفريقية ونقضت البربر بعث محمد بن على رجلا إلى خراسان وأمره أن يدعو إلى الرضى ولا يسمى أحدا وقد ذكرنا قبل خبر محمد بن على وخبر الدعاة الذى وجههم الى خراسان ثم مات محمد ابن على وجعل وصيه من بعده ابنه إبراهيم فبعث إبراهيم بن محمد إلى خراسان أباسلمة حفص بن سليمان مولى السبيع وكتب معه إلى النقباء بخراسان فقبلوا كتبه وقام فيهم ثم رجع اليه فرده ومعه أبو مسلم وقد ذكرنا أمر أبى مسلم قبل وخبره ثم وقع فى يد مروان بن محمد كتاب لإبراهيم بن محمد إلى أبى مسلم جواب كتاب لأبى مسلم يأمره بقتل كل من يتكلم بالعربية بخراسان فكتب مروان إلى عامله بدمشق يأمره بالكتاب إلى صاحبه بالبلقاء أن يسير إلى الحميمة ويأخذ إبراهيم ابن محمد ويوجه به اليه فذكر أبو زيد عمر بن شبة أن عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب حدثه عن عثمان بن عروة بن محمد ين عمار بن ياسر قال إنى مع أبى جعفر بالحميمة ومعه ابناه محمد وجعفر وأنا ارقصهما إذ قال لى ماذا تصنع أما ترى إلى مانحن فيه قال فنظرت فإذا رسل مروان تطلب إبراهيم بن محمد قال فقلت دعنى أخرج اليهم قال تخرج من بيتى وأنت ابن عمار بن ياسر قال فأخذوا ابواب المسجد حين صلوا الصبح ثم قالوا ليستأمن الذين معهم أين إبراهيم بن محمد فقالوا هو ذا فأخذوه وقد كان مروان أمرهم بأخذ إبراهيم ووصفه لهم صفة أبى العباس التى كان يجدها فى الكتب انه يقتلهم فلما أتوه بإبراهيم قال ليس هذه الصفة التى وصفت لكم فقالوا قد رأينا الصفة التى وصفت فردهم فى طلبه ونذروا فخرجوا إلى العراق هراباً قال عمرو حدثنى عبدالله بن كثير بن الحسن العبدى قال أخبرنى على بن موسى عن أبيه قال بعث مروان بن محمد رسولا إلى الحميمة يأتيه بابراهيم بن محمد ووصف له صفته فقدم الرسول فوجد الصفة صفة أبى العباس عبدالله بن محمد فلما ظهر ابراهيم بن محمد وأمن قيل للرسول انما أمرت بابراهيم وهذا عبدالله فلما تظاهر ذلك عنده ترك أبا العباس وأخذ ابراهيم وانطلق

ه قال فشخصت معه أنا وأناس من بنى العباس ومن اليهم فانطلق بابراهيم ومعه أم ولد له كان بها معجباً فقلنا له انما أتاك رجل فهلمّ فلنقتله ثم ننكفئ الى الكوفة فهم لنا شيعة فقال ذلك لكم قلنا فأمهِلْ حتى نصير الى الطريق التى تخرجنا الى العراق قال فسرنا حتى صرنا الى طريق تتشعب الى العراق وأخرى الى الجزيرة فنزلنا منزلا وكان اذا أراد التعريس اعتزل لمكان أم ولده فأتيناه للأمر الذى اجتمعنا عليه فصرخنا به فقام ليخرج فتعلقت به أم ولده وقالت هذا وقت لم تكن تخرج فيه فما هاجك فالتوى عليها فأبت حتى أخبرها فقالت أنشدك الله ان تقتله فتشأمَ أهلك والله لئن قتلته لا يبقى مروان من آل العباس أحداً بالحميمة إلا قتله ولم تفارقه حتى حلف لها ألا يفعل ثم خرج الينا وأخبرنا فقلنا أنت أعلم قال عبد الله فحدثنى ابن لعبد الحميد بن يحيى كاتب مروان عن أبيه قال قلت لمروان بن محمد أتتهمنى قال لا قلت أُفيَحُطك صهره قال لا قلت فانى أرى أمره ينبغ عليك فأنكحه وأنكح اليه فان ظهر كنت قد أعلقتَ بينك وبينه سبباً لا ترتبك معه وان كفيته لم يشنك صِهره قال ويحك والله لو علمته صاحب ذاك لسبقتُ اليه ولكن ليس بصاحب ذلك وذكر ان ابرهيم بن محمد حين أخذ للمضىّ به الى مروان نعى الى أهل بيته حين شيعوه نفسه وأمرهم بالمسير الى الكوفة مع أخيه أبى العباس عبدالله بن محمد وبالسمع له وبالطاعة وأوصى الى أبى العباس وجعله الخليفة بعده فشخص أبو العباس عند ذلك ومن معه من أهل بيته منهم عبد الله بن محمد وداود وعيسى وصالح واسماعيل وعبد الله وعبد الصمد بنو علىّ ويحيى بن محمد وعيسى بن موسى بن محمد بن علىّ وعبد الوهاب ومحمد ابنا ابراهيم وموسى بن داود ويحيى بن جعفر بن تمام حتى قدموا الكوفة فى صفر فأنزلهم أبو سلمة دار الوليد بن سعد مولى بنى هاشم فى بنى أود وكتم أمرهم نحوا من أربعين ليلة من جميع القوّاد والشيعة وأراد فيما ذكر أبو سلمة تحويل الأمر الى آل أبى طالب لما بلغه الخبر عن موت ابراهيم بن محمد فذكر علىّ بن محمد أن جبلة بن فروخ وأبا السرى وغيرهما قالا قدم الإمام الكوفة فى ناس من أهل بيته فاختفوا فقال

أبو الجهم لأبى سلمة مافعل الإمام قال لم يقدم بعد فألح عليه يسأله قال قد أكثرت السؤال وليس هذا وقت خروجه حتى لقى أبو حميد خادما لأبى العباس يقال له سابق الخوارزمى فسأله عن أصحابه فأخبره أنهم بالكوفة وأن أبا سلمة يأمرهم أن يختفوا فجاء به إلى أبى الجهم فأخبره خبرهم فسرح أبو الجهم أبا حميد مع سابق حتى عرف منزلهم بالكوفة ثم رجع وجاء معه إبراهيم بن سلمة رجل كان معهم فأخبر أبا الجهم عن منزلهم ونزول الإمام بنى أود وأنه أرسل حين قدموا إلى أبى سلمة يسأله مائة دينار فلم يفعل فمشى أبو الجهم وأبو حميد وابراهيم إلى موسى بن كعب وقصوا عليه القصة وبعثوا إلى الإمام بمائتى دينار ومضى أبو الجهم إلى أبى سلمة فسأله عن الإمام فقال ليس هذا وقت خروجه لأن واسطا لم تفتح بعد فرجع أبو الجهم إلى موسى بن كعب فأخبره فأجمعوا على أن يلقوا الإمام فمضى موسى بن كعب وأبو الجهم وعبد الحميد بن ربعى وسلمة بن محمد وابراهيم بن سلمة وعبد الله الطائى وإسحاق بن إبراهيم وشراحيل وعبد الله بن بسام وأبو حميد محمد بن إبراهيم وسليمان بن الأسود ومحمد بن الحصين إلى الإمام فبلغ أباسلمة فسأل عنهم فقيل ركبوا إلى الكوفة فى حاجة لهم وأتى القوم أبا العباس فدخلوا عليه فقالوا أيكم عبد الله بن محمد بن الحارثية فقالوا هذا فسلموا عليه بالخلافه فرجع موسى بن كعب وأبو الجهم وأمر أبو الجهم الآخرين فتخلفوا عند الإمام فأرسل أبو سلمة إلى أبى الجهم أين كنت قال ركبت إلى إمامى فركب أبو سلمة اليهم فأرسل أبو الجهم إلى أبى حميد أن أباسلمة قد أتاكم فلا يدخلن على الإمام إلا وحده فلما انتهى اليهم أبو سلمة منعوه أن يدخل معه أحد فدخل وحده فسلم بالخلافة على أبى العباس وخرج أبو العباس على برذون أبلق يوم الجمعة فصلى بالناس فأخبرنا عمار مولى جبرئيل وأبو عبد الله السلمى أن أباسلمة لما سلم على أبى العباس بالخلافة قال له أبو حميد على رغم أنفك ياماص بظر أمه فقال له أبو العباس مه وذكر أن أبا العباس لما صعد المنبر حين بويع له بالخلافة قام فى أعلاه وصعد داود بن على فقام دونه فتكلم أبو العباس فقال الحمد لله الذى اصطفى

الإسلام لنفسه تكرمة وشرّفه وعظّمه واختاره لنا وأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوّام به والذابّين عنه والناصرين له وألزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته وأنشأنا من آبائه وأنبتنا من شجرته واشتقّنا من نَبْعته جعله من أنفسنا عزيزاً عليه ما عَنِتْنا حريصاً علينا بالمؤمنين رؤفا رحيما ووضعنا من الاسلام وأهله بالموضع الرفيع وأنزل بذلك على أهل الاسلام كتابا يُتْلَى عليهم فقال عزّ من قائل فيما أنزل من محكم القرآن (إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) وقال : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَى) وقال : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ) وقال : (مَاأَفَاءَ ٱللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَى فَلِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَى وَٱلْيَتَامَى) وقال : (وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَى واليتامى) فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا وأوجب عليهم حقنا ومودّتنا وأجزل من الفىء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا وفضلا علينا والله ذو الفضل العظيم وزعمت السبائية الضلال أن غيرنا أحق بالرئاسة والسياسة والخلافة منا فشاهت وجوههم بم ولم أيها الناس وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم وبصرهم بعد جهالتهم وأنقذهم بعد هلكتهم وأظهر بنا الحق وأدحض بنا الباطل وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً ورفع بنا الخسيسة وتمّ بنا النقيصة وجمع الفرقة حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف وبرّ ومواساة فى دينهم ودنياهم وإخوانا على سُرُر متقابلين فى آخرتهم فتح الله ذلك منة ومنحة لمحمد صلى الله عليه وسلم فلما قبضه الله اليه قام بذلك الأمر من بعده أصحابه وأمرُهم شورى بينهم فحووا مواريث الأمم فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها وأعطوها أهلها وخرجوا خِماصا منها ثم وثب بنو حرب ومروان فابتزّوها وتداولوها بينهم فجاروا فيها واستأثروا بها وظلموا أهلها فأملى الله لهم حينا حتى آسفوه فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا وتدارك بنا أمّتنا وولى نصرنا والقيام بأمرنا ليمنّ بنا على الذين استضعفوا فى الأرض وختم بنا كما افتتح بنا وإنى لأرجو أن لا يأتيكم الجور من

حيث أتاكم الخيرُ ولا الفسادُ من حيث جاءكم الصلاح وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودّتنا أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ولم يُثنكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا وأتاكم الله بدولتنا فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا وقد زدتكم فى أعطياتكم مائة درهم فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المبير وكان موعوكا فاشتد به الوعك فجلس على المنبر وصعد داود بن علىّ فقام دونه على مراقى المنبر فقال الحمد لله شكراً شكراً شكراً الذى أهلك عدوّنا وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أيها الناس الآن أقشعت حنادس الدنيا وانكشف غطاؤها وأشرقت أرضها وسماؤها وطلعت الشمس من مطلعها وبزغ القمر من مبزغه وأخذ القوس باريها وعاد السهم إلى منزعه ورجع الحق نصابه فى أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم أيها الناس إنا والله ماخرجنا فى طلب هذا الأمر لنكثر لجيْناً ولا عقياناً ولا نحفر نهرا ولا نبنى قصرا وإنما أخرجَنا الأَنَفَةُ من ابتزازهم حقنا والغَضبُ لبنى عمنا وما كرَثَنَا من أموركم وبَهَظَنَا من شؤونكم ولقد كانت أموركم ترمضنا ونحن على فُرُشنا ويشتد علينا سوء سيرة بنى أمية فيكم وخُرْقهم بكم واستذلالهم لكم واستئثارُهم بفَيْئِكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وذمة العباس رحمه الله أن نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير فى العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا تبا لبنى حرب بن أمية وبنى مروان آثروا فى مدتهم وعصرهم العاجلة على الآجلة والدار الفانية على الدار الباقية فركبوا الآثام وظلموا الأنام وانتهكوا المحارم وغشوا الجرائم وجاروا فى سيرتهم فى العباد وسنتهم فى البلاد التى بها استلذوا تسربُل الأوزار وتجلبب الآصار ومرحوا فى أعنّة المعاصى وركضوا فى ميادين الغىّ جهلا باستدراج الله وأمناً لمكر الله فأتاهم بأس الله بياتاً وهم نائمون فأصبحوا أحاديث ومُزقوا كلّ ممزق فبعداً للقوم الظالمين وأدالنا الله من مروان وقد غره بالله الغرورُ أرسل

لعدو الله فى عنانه حتى عثر فى فضل خطامه فظنّ عدو الله أن لن نقدر عليه فنادى حزبه وجمع مكايده ورمى بكتائبه فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وشماله من مكر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله ومحق ضلاله وجعل دائرة السوء به وأحيا شرفنا وعزنا ورد إلينا حقنا وإرثنا أيها الناس إن أمير المؤمنين نصره الله نصرا عزيزا إنما عاد إلى المنبر بعد الصلاة انه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره وانما قطعه عن استتمام الكلام بعد أن اسحنفر فيه شدة الوعك وادعوا الله لأمير المؤمنين بالعافية فقد أبدلكم الله بمروان عدو الرحمن وخليفة الشيطان المتبع للسفلة الذين أفسدوا فى الأرض بعد صلاحها بإبدال الدين وانتهاك حريم المسلمين الشاب المتكهل المتمهل المقتدى بسلفه الأبرار الأخيار الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى ومناهج التقوى فعج الناس له بالدعاء ثم قال يا أهل الكوفة إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان فأحيا بهم حقنا وأفلج بهم حجتنا وأظهر بهم دولتنا وأراكم الله ما كنتم به تنتظرون وإليه تتشوفون فأظهر فيكم الخليفة من هاشم وبيض به وجوهكم وأدالكم على أهل الشأم ونقل إليكم السلطان وعز الإسلام ومنّ عليكم بإمام منحه العدالة وأعطاه حسن الإيالة فخذوا ما آتاكم الله بشكر والزموا طاعتنا ولا تخدعوا عن أنفسكم فان الأمر أمركم فان لكل أهل بيت مصراً وإنكم مصرنا ألا وإنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أمير المؤمنين علىّ ابن أبى طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد وأشار بيده إلى أبى العباس فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا ثم نزل أبو العباس وداود بن علىّ أمامه حتى دخل القصر وأجلس أبا جعفر ليأخذ البيعة على الناس فى المسجد فلم يزل يأخذها عليهم حتى صلى بهم العصر ثم صلى بهم المغرب وجنهم الليل فدخل وذكر أن داود بن علىّ وابنه موسى كانا بالعراق أو بغيرها فخرجا يريدان الشراة فلقيهما أبو العباس يريد الكوفة معه أخوه أبو جعفر عبد الله بن محمد وعبد الله بن علىّ

وعيسى بن موسى ويحيي بن جعفر بن تمام بن العباس ونفر من مواليهم بدومة الجندل فقال لهم داود أين تريدون وما قصتكم فقص عليه أبو العباس قصتهم وأنهم يريدون الكوفة ليظهروا بها ويظهروا أمرهم فقال له داود يا أبا العباس تأتى الكوفة وشيخ بنى مروان مروان بن محمد بحران مطل على العراق فى أهل الشأم والجزيرة وشيخ العرب يزيد بن عمر بن هبيرة بالعراق فى حلبة العرب فقال أبو الغنائم من أحبّ الحياة ذلّ ثم تمثل بقول الأعشى

فما ميتةٌ إن مِتُّها غيرَ عاجز بعارٍ إذا ما غالتِ النفسَ غُولُها

فالتفت داود إلى ابنه موسى فقال صدق والله ابن عمك فارجع بنا معه نعش أعزاء أو نمت كراما فرجعوا جميعاً فكان عيسى بن موسى يقول اذا ذكر خروجهم من الحميمة يريدون الكوفة ان نفراً أربعة عشر رجلا خرجوا من دارهم وأهليهم يطلبون مطالبنا لعظيم هممهم كبيرة أنفسهم شديدة قلوبهم

ذكر بقية الخبر عما كان من الأحداث فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة

تمام الخبر عن سبب البيعة لأبى العباس عبد الله بن محمد بن علىّ وما كان من أمره

(قال أبو جعفر) قد ذكرنا من أمر أبى العباس عبد الله بن محمد بن علىّ ما حضرنا ذكره قبل عمن ذكرنا ذلك عنه وقد ذكرنا من أمره وأمر أبى سلمة وسبب عقد الخلافة لأبى العباس أيضا ما أنا ذاكره وهو أنه لما بلغ أبا سلمة قتل مروان بن محمد ابراهيم الذى كان يقال له الإمام بدا له فى الدعاء إلى أولاد العباس وأضمر الدعاء لغيرهم وكان أبو سلمة قد أنزل أبا العباس حين قدم الكوفة مع من قدم معه من أهل بيته فى دار الوليد بن سعد فى بنى أود فكان أبو سلمة إذا سئل عن الإمام يقول لا تعجلوا فلم يزل ذلك من أمره وهو فى معسكره بحمام أعين حتى خرج أبو حميد وهو يريد الكناسة فلقى خادما لإبراهيم يقال له سابق الخوارزمىّ فعرفه وكان يأتيهم بالشأم فقال له ما فعل الإمام ابراهيم فأخبره أن مروان قتله غيلة وأن ابراهيم أوصى إلى أخيه أبى العباس واستخلفه من بعده وأنه قدم الكوفة ومعه عامة أهل بيته فسأله أبو حميد أن ينطلق به إليهم فقال له سابق الموعدُ بينى

وبينك غدا فى هذا الموضع وكره سابق أن يدل عليهم إلا بإذنهم فرجع أبو حميد من الغد إلى الموضع الذى وعد فيه سابقا فلقيه فانطلق به إلى أبى العباس وأهل بيته فلما دخل عليهم سأل أبو حميد مَن الخليفة منهم فقال داود بن علىّ هذا امامكم وخليفتكم وأشار إلى أبى العباس فسلم عليه بالخلافة وقبّل يديه ورجليه وقال مُرنا بأمرك وعزاه بالإمام ابراهيم وقد كان ابراهيم بن سلمة دخل عسكر أبى سلمة متنكرا فأتى أبا الجهم فاستأمنه فأخبره أنه رسول أبى العباس وأهل بيته وأخبره بمن معه وبموضعهم وأن أبا العباس كان سرحه إلى أبى سلمة يسأله مائة دينار يعطيها الجمال كراء الجمال التى قدم بهم عليها فلم يبعث بها اليهم ورجع ابو حميد الى ابى الجهم فأخبره بحالهم فمشى ابو الجهم وابو حميد ومعهما ابراهيم بن سلمة حتى دخلوا على موسى بن كعب فقص عليه أبو الجهم الخبر وما أخبره إبراهيم بن سلمة فقال موسى بن كعب عجل البعثة إليه بالدنانير وسرّحه فانصرف أبو الجهم ودفع الدنانير إلى إبراهيم بن سلمة وحمله على بغل وسرح معه رجلين حتى دخلا الكوفة ثم قال أبو الجهم لأبى سلمة وقد شاع فى العسكر أن مروان بن محمد قد قتل الإمام فإن كان قد قتل كان أخوه العباس الخليفة والإمام من بعده فرد عليهم أبو سلمة يا أبا الجهم اكفف أبا حميد عن دخول الكوفة فانهم أصحاب أرجاف وفساد فلما كانت الليلة الثانية أتى إبراهيم ابن سلمة أبا الجهم وموسى بن كعب فبلغهما رسالة من أبى العباس وأهل بيته ومشى فى القواد والشيعة تلك الليلة فاجتمعوا فى منزل موسى بن كعب منهم عبد الحميد بن ربعى وسلمة بن محمد وعبد الله الطائىّ وإسحق بن إبراهيم وشراحيل وعبد الله بن بسام وغيرهم من القواد فائتمروا فى الدخول إلى أبى العباس وأهل بيته ثم تسللوا من الغد حتى دخلوا الكوفة وزعيمهم موسى بن كعب وأبو الجهم وأبو حميد الحميرىّ وهو محمد بن إبراهيم فانتهوا إلى دار الوليد بن سعد فدخلوا عليهم فقال موسى بن كعب وأبو الجهم أيكم أبو العباس فأشاروا إليه فسلموا عليه وعزوه بالإمام إبراهيم وانصرفوا إلى العسكر وخلفوا عنده أبا حميد وأبا مقاتل وسليمان بن الأسود ومحمد بن الحسين ومحمد بن الحارث ونهار بن حصين ويوسف

ابن محمد وأبا هريرة محمد بن فروخ فبعث أبو سلمة إلى أبى الجهم فدعاه وكان خبره يدخوله الكوفة فقال أين كنت ياأبا الجهم قال كنت عند إمامى وخرج أبو الجهم فدعا حاجب بن صدان فبعثه إلى الكوفة وقال له ادخل فسلم على أبى العباس بالخلافة وبعث إلى أبى حميد وأصحابه إن أتاكم أبو سلمة فلا يدخل إلا وحده فان دخل وبايع فسبيله ذلك وإلا فاضربوا عنقه فلم يلبثوا أن أتاهم أبو سلمة فدخل وحده فسلم على أبى العباس بالخلافة فأمره أبو العباس بالانصراف إلى عسكره فانصرف من ليلته فأصبح الناس قد لبسوا سلاحهم واصطفوا لخروج أبى العباس وأتوه بالدواب فركب ومن معه من أهل بيته حتى دخلوا قصر الإمارة بالكوفه يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر ثم دخل المسجد من دار الإمارة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر عظمة الربّ تبارك وتعالى وفضّل النبى صلى الله عليه وسلم وقاد الولاية والوراثة حتى انتهيا إليه ووعد الناس خيرا ثم سكت وتكلم داود بن علىّ وهو على المنبر أسفل من أبى العباس بثلاث درجات فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس إنه والله ماكان بينكم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة إلا علىّ بن أبى طالب وأمير المؤمنين هذا الذى خلفى ثم نزلا وخرج أبو العباس فعسكر بحمام أعين فى عسكر أبى سلمة ونزل معه فى حجرته بينهما ستر وحاجب أبى العباس يومئذ عبد الله بن بسام واستخلف على الكوفة وأرضها عمه داود بن على وبعث عمه عبد الله بن على إلى أبى عون بن يزيد وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة وهو يومئذ بواسط محاصر ابن هبيرة وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن عباس إلى حميد بن قحطبة بالمدائن وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام بالأهواز وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن طريف وأقام أبو العباس فى العسكر أشهراً ثم ارتحل فنزل المدينة الهاشمية فى قصر الكوفة وقد كان تنكّر لأبى سلمة قبل تحوّله حتى عرف ذلك (وفى هذه السنة) هزم مروان بن محمد بالزاب

ذكر الخبر عن هذه الوقعة وما كان سببها وكيف كان ذلك

ذكر علىّ بن محمد أن أبا السرىّ وجبلة بن فرّوخ والحسن بن رشيد وأبا صالح المروزىّ وغيرهم أخبروه أن أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدىّ وجهه قحطبة إلى شهرزور من نهاوند فقتل عثمان بن سفيان وأقام بناحية الموصل وبلغ مروان أن عثمان قد قتل فأقبل من حرّان فنزل منزلا فى طريقه فقال ما اسم هذا المنزل قالوا بلوى قال بل علوى وبشرى ثم أتى رأس العين ثم أتى الموصل فنزل على دجلة وحفر خندقا فسار إليه أبو عون فنزل الزاب فوجه أبو سلمة إلى أبى عون عيينة بن موسى والمنهال بن فتان وإسحاق بن طلحة كل واحد فى ثلاثة آلاف فلما ظهر أبو العباس بعث سلمة بن محمد فى ألفين وعبد الله الطائى فى ألف وخمسمائة وعبد الحميد بن ربعىّ الطائىّ فى ألفين ووداس بن نضلة فى خمسمائة إلى أبى عون ثم قال من يسير إلى مروان من أهل بيتى فقال عبد الله بن علىّ أنا فقال سر على بركة الله فسار عبد الله بن علىّ فقدم على أبى عون فتحول له أبو عون عن سرادقه وخلاه وما فيه وصير عبد الله بن علىّ على شرطته حياش بن حبيب الطائىّ وعلى حرسه نصير بن المحتفر ووجه أبو العباس موسى بن كعب فى ثلاثين رجلا على البريد إلى عبد الله بن علىّ فلما كان لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ١٣٢ سأل عبد الله بن علىّ عن مخاضة فدُلّ عليها بالزاب فأمر عيينة بن موسى فعبر فى خمسة آلاف فانتهى إلى عسكر مروان فقاتلهم حتى أمسوا ورُفعت لهم النيران فتحاجزوا ورجع عيينة فعبر المخاضة إلى عسكر عبد الله بن علىّ فأصبح مروان فعقد الجسر وسرّح ابنه عبد الله يحفر خندقا أسفل من عسكر عبد الله بن علىّ فبعث عبد الله بن على المخارق بن غفار فى أربعة آلاف فأقبل حتى نزل على خمسة أميال من عسكر عبد الله بن علىّ فسرح عبد الله ابن مروان إليه الوليد بن معاوية فلقى المخارق فانهزم أصحابه وأسروا وقتل منهم يومئذ عدة فبعث بهم إلى عبد الله وبعث بهم عبد الله إلى مروان مع الرؤس فقال مروان أدخلوا علىّ رجلا من الأسارى فأتوه بالمخارق وكان نحيفا فقال أنت المخارق

فقال لا أنا عبد من عبيد أهل العسكر قال فتعرف المخارق قال نعم قال فانظر فى هذه الرؤس هل تراه فنظر إلى رأس منها فقال هو هذا فخلى سبيله فقال رجل مع مروان حين نظر إلى المخارق وهو لا يعرفه لعن الله أبا مسلم حين جاءنا بهؤلاء يقاتلنا قال على حدثنا شيخ من أهل خراسان قال قال مروان تعرف المخارق إن رأيته فانهم زعموا أنه فى هذه الرؤس التى أتينا بها قال نعم قال اعرضوا عليه تلك الرؤس فنظر فقال ما أرى رأسه فى هذه الرؤس ولا أراه إلا وقد ذهب فخلى سبيله وبلغ عبد الله ابن على انهزام المخارق فقال له موسى بن كعب اخرج إلى مروان قبل أن يصل الفَلّ إلى العسكر فيظهر ما لقى المخارق فدعا عبد الله بن على محمد بن صول فاستخلفه على العسكر وسار على ميمنته أبو عون وعلى ميسرة مروان الوليد بن معاوية ومع مروان ثلاثة آلاف من المحمرة ومعه الدوكانية والصحصحية والراشدية فقال مروان لما التقى العسكران لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز إن زالت الشمس اليوم ولم يقاتلونا كنا الذين ندفعها إلى عيسى ابن مريم وإن قاتلونا قبل الزوال فانا لله وإنا اليه راجعون وأرسل مروان إلى عبد الله بن على يسأله الموادعة فقال عبد الله كذب ابن زريق لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله فقال مروان لأهل الشأم قفوا لا تبدؤهم بقتال فجعل ينظر إلى الشمس فحمل الوليد بن معاوية بن مروان وهو ختن مروان على ابنته فغضب وشتمه وقاتل ابن معاوية أهل الميمنة فانحاز أبو عون إلى عبد الله بن على فقال موسى بن كعب لعبد الله مر الناس فلينزلوا فنودى الأرض فنزل الناس فأشرعوا الرماح وجثوا على الركب فقاتلوهم فجعل أهل الشأم يتأخرون كأنهم يدفعون ومشى عبد الله قدما وهو يقول يارب حتى متى نقتل فيك ونادى يا أهل خراسان يا لثارات إبراهيم يا محمد يا منصور واشتد بينهم القتال وقال مروان لقضاعة انزلوا فقالوا قل لبنى سليم فلينزلوا فأرسل إلى السكاسك أن احملوا فقالوا قل لبنى عامر فليحملوا فأرسل إلى السّكون أن احملوا فقالوا قل لغطفان فليحملوا فقال لصاحب شرطه انزل قال لا والله ما كنت لأجعل نفسى غرضا قال أما والله لأسوأنك قال وددت والله أنك قدرت على ذلك ثم

انهزم أهل الشأم وانهزم مروان وقطع الجسر فكان من غرق يومئذ أكثر ممن قتل فكان فيمن غرق يومئذ ابراهيم بن الوليد بن عبدالملك وأمر عبدالله بن على فعقد الجسر على الزاب واستخرجوا الغرقى فكان فيمن أخرجوا ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك فقال عبدالله بن على «وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون» وأقام عبد الله بن على فى عسكره سبعة أيام فقال رجل من ولد سعيد ابن العاصى يعير مروان

لَجَّ الفِرارُ بمروان فقلتُ له عاد الظلومُ ظَليمًا همُّه الهَرَبُ

أين الفرارُ وتركُ المُلكِ إذ ذهبت عنك الهُوَيْنا فلا دين ولا حَسَبُ

فراشَةُ الحِلمِ فِرْعَوْنُ العِقابِ وإنْ تَطْلُبْ نداه فكلبٌ دونه كَلِبُ

وكتب عبدالله بن على إلى أمير المؤمنين أبى العباس بالفتح وهرب مروان وحوى عسكر مروان بما فيه فوجد فيه سلاحا كثيرا وأموالا ولم يجدوا فيه امرأة إلا جارية كانت لعبد الله بن مروان فلما أتى أبا العباس كتاب عبدالله بن على صلى ركعتين ثم قال «فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر - إلى قوله - وعلمه مما يشاء» وأمر لمن شهد الوقعة بخمسمائة خمسمائة ورفع أرزاقهم إلى ثمانين ❊ حدثنا أحمد بن زهير عن على بن محمد قال قال عبدالرحمن بن أمية كان مروان لما لقيه أهل خراسان لا يدبر شيئاً إلا كان فيه الخلل والفساد قال بلغنى أنه كان يوم انهزم واقفا والناس يقتتلون إذ أمر بأموال فأخرجت فقال للناس اصبروا وقاتلوا فهذه الأموال لكم فجعل ناس من الناس يصيبون من ذلك المال فأرسلوا اليه إن الناس قد مالوا على هذا المال ولا نأمنهم أن يذهبوا به فأرسل إلى ابنه عبد الله أن سر فى أصحابك إلى مؤخر عسكرك فاقتل من أخذ من ذلك المال وامنعهم فمال عبد الله برايته وأصحابه فقال الناس الهزيمة فانهزموا ❊ حدثنا أحمد بن على عن أبى الجارود السلمى قال حدثنى رجل من أهل خراسان قال لقينا مروان على الزاب فحمل علينا أهل الشأم كأنهم جبال حديد فجثونا وأشرعنا الرماح فمالوا عنا كأنهم سحابة ومنحنا الله أكتافهم وانقطع الجسر مما يليهم حين عبروا فبقى عليه رجل من

أهل الشأم فخرج عليه رجل منا فقتله الشأمى ثم خرج آخر فقتله حتى والى بين ثلاثة فقال رجل منا اطلبوا لى سيفا قاطعا وترسا صلبا فأعطيناه فمشى اليه فضربه الشأمى فاتّقاه بالترس وضرب رجله فقطعها فقتله ورجع وحملناه وكبرنا فاذا هو عبيدالله الكابلىّ وكانت هزيمة مروان بالزاب فيما ذكر صبيحة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة ﴿وفى هذه السنة﴾ قتل ابراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس

ذكر الخبر عن سبب مقتله

اختلف أهل السير فى أمر ابراهيم بن محمد فقال بعضهم لم يقتل ولكنه مات فى سجن مروان بن محمد بالطاعون

ذكر من قال ذلك

* حدثنى أحمد بن زهير قال حدثنا عبد الوهاب بن ابراهيم بن خالد قال حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد بن صالح قال قدم مروان بن محمد الرقة حين قدمها متوجها إلى الضحاك بسعيد بن هشام بن عبد الملك وابنيه عثمان ومروان وهم فى وثاقهم معه فسرح بهم إلى خليفته بحران فحبسهم فى حبسها ومعهم ابراهيم بن علىّ بن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز والعباس بن الوليد وأبو محمد السفيانىّ وكان يقال له البيطار فهلك فى سجن حران منهم فى وباء وقع بحران العباس بن الوليد وابراهيم بن محمد وعبد الله بن عمر قال فلما كان قبل هزيمة مروان من الزاب يوم هزمه عبدالله بن علىّ بجمعة خرج سعيد بن هشام ومن معه من المحبس فقتلوا صاحب السجن وخرج فيمن معه وتخلف أبو محمد السفيانى فى الحبس فلم يخرج فيمن خرج ومعه غيره لم يستحلوا الخروج من الحبس فقتل أهل حران ومن كان فيها من الغوغاء سعيد بن هشام وشراحيل بن مسلمة بن عبد الملك وعبد الملك بن بشر التغلبىّ وبطريق أرمينية الرابعة وكان اسمه كوشان بالحجارة ولم يلبث مروان بعد قتلهم إلا نحوا من خمس عشرة ليلة حتى قدم حرّان منهزما من الزاب فخلى عن أبى محمد ومن كان

فى حبسه من المحتبسين * وذكر عمر أن عبد الله بن كثير العبدى حدثه عن علىّ ابن موسى عن أبيه قال هدم مروان على إبراهيم بن محمد بيتاً فقتله * قال عمرو حدثنى محمد بن معروف بن سويد قال حدثنى أبى عن المهلهل بن صفوان قال عمر ثم حدثنى المفضل بن جعفر بن سليمان بعده قال حدثنى المهلهل بن صفوان قال كنت مع إبراهيم بن محمد فى الحبس حبس عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وشراحيل بن مسلمة بن عبدالملك فكانوا يتزاورون وخص الذى بين إبراهيم وشراحيل فأتاه رسوله يوما بابن فقال يقول لك أخوك إنى شربت من هذا اللبن فاستطبته فأحببت أن تشرب منه فتناوله فشرب فتوصب من ساعته وتكسر جسده وكان يوما يأتى فيه شراحيل فأبطأ عليه فأرسل إليه جُعِلت فداك قد أبطأت فما حبسك فأرسل اليه إنى لما شربت اللبن الذى أرسلته إلىّ أخلفنى فأتاه شراحيل مذعورا وقال لا والله الذى لا إله إلا هو ما شرِبْتُ اليوم لبنا ولا أرسلت به اليك فإنا لله وإنا اليه راجعون احتيل لك والله قال فوالله ما بات إلا ليلته وأصبح ميتا من غد فقال إبراهيم بن علىّ بن سلمة بن عامر ابن هرمة بن هذيل بن الربيع بن عامر بن صبيح بن عدىّ بن قيس وقيس هو ابن الحارث بن فهر يرثيه :

قد كنتُ أَحسِبُنى جَلدًا فَضعْضَعَنى ... قبرٌ بحَرَّانَ فيه عِصْمَةُ الدين
فيه الإمامُ وخيرُ الناسِ كلهم ... بين الصفائح والأحجار والطينِ
فيه الإمامُ الذى عمَّتْ مُصيبتُه ... وعَيَّلَتْ كلَّ ذى مال ومِسكينِ
فلا عفا اللهُ عن مروانَ مظلمةً ... لكنْ عفا اللهُ عمَّن قال آمينِ

(وفى هذه السنة) قتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

ذكر الخبر عن مقتله وقتاله من قاتله من أهل الشأم فى طريقه وهو هارِب من الطلب

* حدثنى أحمد بن زهير قال حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم قال حدثنى أبو هاشم مخلد بن محمد قال لما انهزم مروان من الزاب كنتُ فى عسكره قال

كان لمروان فى عسكره بالزاب عشرون ومائة ألف كان فى عسكره ستون ألفاً وكان فى عسكر ابنه عبد الله مثل ذلك والزاب بينهم فلقيه عبدالله بن علىّ فيمن معه وأبى عون وجماعة قوّاد منهم حميد بن قحطبة فلما هُزموا سار إلى حران وبها أبان بن يزيد بن محمد بن مروان بن أخيه عامله عليها فأقام بها نيّفاً وعشرين يوماً فلما دنا منه عبدالله بن علىّ حمل أهله وولده وعياله ومضى منهزما وخلف بمدينة حران أبان بن يزيد وتحته ابنة لمروان يقال لها أم عثمان وقدم عبدالله ابن على فتلقاه أبان مسوّداً مبايعاً له فبايعه ودخل فى طاعته فآمنه ومن كان بحران والجزيرة ومضى مروان حتى مر بقنسرين وعبد الله متبع له ثم مضى من قنسرين إلى حمص فتلقاه أهلها بالأسواق والسمع والطاعة فأقام بها يومَين أو ثلاثة ثم شخص منها فلما رأوا قلة من معه طمعوا فيه وقالوا مرعوب منهزم فاتبعوه بعد ما رحل عنهم فلحقوه على أميال فلما رأى غبرة خيلهم أكمن لهم فى واديين قائدان من مواليه يقال لأحدهما يزيد والآخر مخلد فلما دنوا منه وجازوا الكمينين ومضى الذرارى صافهم فيمن معه وناشدهم فأبوا إلا مكاثَرته وقتاله فنشب القتال بينهم وأثار الكمينين من خلفهم فهزمهم وقتلتهم خيله حتى انتهوا إلى قريب من المدينة قال ومضى مروان حتى مر بدمشق وعليها الوليد ابن معاوية بن مروان وهو ختن لمروان متزوج بابنة له يقال لها أم الوليد فمضى وخلفه بها حتى قدم عبدالله بن على عليه فحاصره أياما ثم فتحت المدينة ودخلها عنوة معترضا أهلها وقتل الوليد بن معاوية فيمن قتل وهدم عبد الله بن على حائط مدينتها ومر مروان بالأردن فشخص معه ثعلبة بن سلامة العاملى وكان عامله عليها وتركها ليس عليها وال حتى قدم عبدالله بن علىّ فولى عليها ثم قدم فلسطين وعليها من قبله الرمّاحس بن عبد العزيز فشخص به معه ومضى حتى قدم مصر ثم خرج منها حتى نزل منزلا منها يقال له بوصير فبيّته عامر بن إسمعيل وشعبة ومعهما خيل الموصل فقتلوه بها وهرب عبد الله وعبيد الله ابنا مروان ليلة بُيِّت مروان إلى أرض الحبشة فلقوا من الحبشة بلاء قاتلتهم الحبشة فقتلوا

عبد الله وأفلت عبيد الله فى عدة ممن معه وكان فيهم بكر بن معاوية الباهلى فسلم حتى كان فى خلافة المهدى فأخذه نصر بن محمد بن الأشعث عامل فلسطين فبعث به إلى المهدى (وأما على بن محمد) فانه ذكر أن بشر بن عيسى والنعمان أبا السرى ومحرز بن إبراهيم وأبا صالح المروزى وعمار مولى جبرئيل أخبروه أن مروان لقى عبد الله بن علىّ فى عشرين ومائة ألف وعبد الله فى عشرين ألفا وقد خولف هؤلاء فى عدد من كان مع عبد الله بن على يومئذ * فذكر مسلم بن المغيرة عن مصعب بن الربيع الخثعمى وهو أبو موسى بن مصعب وكان كاتبا لمروان قال لما انهزم مروان وظهر عبد الله بن علىّ على الشأم طلبت الأمان فآمننى فانى يوما جالس عنده وهو متكئ إذ ذكروا مروان وانهزامه قال أشهدتَ القتال قلتُ نعم أصلح الله الأمير فقال حدثنى عنه قال قلت لما كان ذلك اليوم قال لى احرز القوم فقلت إنما أنا صاحب قلم ولست صاحب حرب فأخذ يمنة ويسرة ونظر فقال لى هم اثنا عشر ألفا فجلس عبد الله وقال ماله قاتله الله ما أحصى الديوان يومئذ فضلا على اثنى عشر ألف رجل (رجع الحديث) إلى حديث على بن محمد عن أشياخه فانهزم مروان حتى أتى مدينة الموصل وعليها هشام ابن عمرو التغلبىّ وبشر بن خزيمة الأسدى وقطعوا الجسر فناداهم أهل الشأم هذا مروان قالوا كذبتم أمير المؤمنين لا يفر فسار إلى بلد فعبر دجلة فأتى حران ثم أتى دمشق وخلف بها الوليد بن معاوية وقال قاتلهم حتى يجتمع أهل الشأم ومضى مروان حتى أتى فلسطين فنزل نهر أبى فُطْرُس وقد غلب على فلسطين الحكم بن ضبعان الجذامىّ فأرسل مروان إلى عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع فأجازه وكان بيت المال فى يد الحكم وكتب أبو العباس إلى عبد الله بن علىّ يأمره باتباع مروان فسار عبد الله إلى الموصل فتلقاه هشام بن عمرو التغلبىّ وبشر بن خزيمة وقد سودا فى أهل الموصل ففتحوا له المدينة ثم سار إلى حران وولى الموصل محمد بن صول فهدم الدار التى حبس فيها إبراهيم بن محمد ثم سار من حران إلى منبج وقد سودوا فنزل منبج وولاها أبا حميد المرورودى

وبعث اليه أهل قنسرين ببيعتهم إياه بما أتاه به عنهم أبو أمية التغلبي وقدم عليه عبد الصمد بن علي أمده به أبو العباس في أربعة آلاف فأقام يومين بعد قدوم عبد الصمد ثم سار إلى قنسرين فأتاها وقد سود أهلها فأقام يومين ثم سار حتى نزل حمص فأقام بها أياما وبايع أهلها ثم سار إلى بعلبك وأقام يومين ثم ارتحل فنزل بعين الحر فأقام يومين ثم ارتحل فنزل مزة قرية من قرى دمشق فأقام وقدم عليه صالح بن علي مَدَدًا فنزل مرج عذراء في ثمانية آلاف معه بسام بن ابراهيم وخفاف وشعبة والهيثم بن بسام ثم سار عبد الله ابن علي فنزل على باب شرقي ونزل صالح بن علي على باب الجابية وأبو عون على باب كيسان وبسام على باب الصغير وحميد بن قحطبة على باب توما وعبد الصمد ويحي بن صفوان والعباس بن يزيد على باب الفراديس وفي دمشق الوليد بن معاوية فحصروا أهل دمشق والبلقاء وتعصب الناس بالمدينة فقتل بعضهم بعضاً وقتلوا الوليد ففتحوا الأبواب يوم الأربعاء لعشر مضين من رمضان سنة ١٣٢ فكان أول من صعد سور المدينة من باب شرقي عبد الله الطائي ومن قبل باب الصغير بسام بن ابراهيم فقتل بها على ثلاث ساعات وأقام عبد الله بن علي بدمشق خمسة عشر يوما ثم سار يريد فلسطين فنزل نهر الكُسوة فوجه منها يحي بن جعفر الهاشمي إلى المدينة ثم ارتحل إلى الأردن فأتوه وقد سودوا ثم نزل بيسان ثم سار إلى مرج الروم ثم أتى نهر أبي فُطْرُس وقد هرب مروان فأقام بفلسطين وجاءه كتاب أبي العباس أن وجه صالح بن علي في طلب مروان فسار صالح بن علي من نهر أبي فطرس في ذي القعدة سنة ١٣٢ ومعه ابن فتان وعامر بن إسماعيل وأبو عون فقدم صالح بن علي أبا عون على مقدمته وعامر بن إسماعيل الحارثي وسار فنزل الرملة ثم سار فنزلوا ساحل البحر وجمع صالح بن علي السفن وتجهز يريد مروان وهو بالفرماء فسار على الساحل والسفن حذاءه في البحر حتى نزل العريش وبلغ مروان فأحرق ما كان حوله من علف وطعام وهرب ومضى صالح بن علي فنزل النيل ثم سار حتى نزل الصعيد

وبلغه أن خيلا لمروان بالساحل يحرقون الأعلاف فوجه اليهم قوادا فأخذوا رجالا فقدموا بهم على صالح وهو بالفسطاط فعبر مروان النيل وقطع الجسر وحرق ما حوله ومضى صالح يتبعه فالتقى هو وخيل لمروان على النيل فاقتتلوا فهزمهم صالح ثم مضى إلى خليج فصادف عليه خيلا لمروان فأصاب منهم طرفا وهزمهم ثم سار إلى خليج آخر فعبروا ورأوا رهجا فظنوه مروان فبعث طليعة عليها الفضل بن دينار ومالك بن قادم فلم يلقوا أحداً ينكرونه فرجعوا إلى صالح فارتحل فنزل موضعا يقال له ذات الساحل ونزل فقدم أبو عون عامر بن إسماعيل الحارثى ومعه شعبة بن كثير المازنى فلقوا خيلا لمروان فهزموهم وأسروا منهم رجالا فقتلوا بعضهم واستحيوا بعضاً فسألوا عن مروان فأخبروهم بمكانه على أن يؤمنوهم وساروا فوجدوه نازلا فى كنيسة فى بوصير فوافوهم فى آخر الليل فهرب الجند وخرج اليهم مروان فى نفر يسير فأحاطوا به فقتلوه * قال على وأخبرنى اسماعيل ابن الحسن عن عامر بن اسماعيل قال لقينا مروان ببوصير ونحن فى جماعة يسيرة فشدوا علينا فانضوينا إلى نخل ولو يعلموا بقلتنا لأهلكونا فقلت لمن معى من أصحابى فإن أصبحنا فرأوا قِلتنا وعددنا لم ينج منا أحد وذكرت قول بكير بن ماهان أنت والله تقتل مروان كأنى أسمعك تقول دهيد ياجوانكثان فكسرت جفن سيفى وكسر أصحابى جفون سيوفهم وقلت دهيد ياجُوانكثان فكأنها نار صبت عليهم فانهزموا وحمل رجل على مروان فضربه بسيفه فقتله وركب عامر ابن إسماعيل إلى صالح بن على فكتب صالح بن على إلى أمير المؤمنين أبى العباس انا اتبعنا عدو الله الجعدى حتى ألجأناه إلى أرض عدو الله شبيهه فرعون فقتلته بأرضه قال على حدثنا أبو طالب الأنصارى قال طعن مروان رجل من أهل البصرة يقال له المغود وهو لا يعرفه فصرعه فصاح صائح صرع أمير المؤمنين وابتدروه فسبق اليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان فاحتز رأسه فبعث عامر بن إسماعيل برأس مروان إلى أبى عون فبعث بها أبو عون إلى صالح بن على وبعث صالح برأسه مع يزيد بن هانئ وكان على شرطه إلى أبى العباس يوم الأحد لثلاث

بقين من ذى الحجة سنة ١٣٢ ورجع صالح إلى الفسطاط ثم انصرف إلى الشأم فدفع الغنائم إلى أبى عون والسلاح والأموال والرقيق إلى الفضل بن دينار وخلف أبا عون على مصر قال على وأخبرنا أبو الحسن الخراسانى قال حدثنا شيخ من بكر بن وائل قال إنى بديرقنى مع بكير بن ماهان ونحن نتحدث إذ مر فتى معه قربتان حتى انتهى إلى دجلة فاستقى ماء ثم رجع فدعاه بكير فقال ما اسمك يافتى قال عامر قال ابن من قال ابن اسماعيل من بلحارث قال وأنا من بلحارث قال فكن من بنى مسلية قال فأنا منهم قال فأنت والله تقتل مروان لكأنى والله أسمعك تقول ياجوانكتان دهيد * قال علىّ حدثنا الكنانى قال سمعت أشياخنا بالكوفة يقولون مسلية قتلة مروان وقتل مروان يوم قتل وهو ابن اثنتين وستين سنة فى قول بعضهم وفى قول آخرين وهو ابن تسع وستين وفى قول آخرين وهو ابن ثمان وخمسين وقتل يوم الأحد لثلاث بقين من ذى الحجة وكانت ولايته من حين بويع إلى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوما وكان يكنى أبا عبدالملك وزعم هشام بن محمد أن أمه كانت أم ولد كردية * وقد حدثنى أحمد بن زهير عن علىّ بن محمد عن علىّ بن مجاهد وأبى سنان الجهنى قالا كان يقال إن أم مروان بن محمد كانت لإبراهيم بن الأشتر أصابها محمد بن مروان بن الحكم يوم قتل ابن الأشتر فأخذها من ثقله وهى تتنيق فولدت مروان على فراشه فلما قام أبو العباس دخل عليه عبد الله بن عياش المنتوف فقال الحمد لله الذى أبدلنا بحمار الجزيرة وابن أمة النخع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عبدالمطلب ﴿وفى هذه السنة﴾ قتل عبدالله بن علىّ من قتل بنهر أبى فطرس من بنى أمية وكانوا اثنين وسبعين رجلا ﴿وفيها﴾ خلع أبو الورد أبا العباس بقنسرين فبيض وبيضوا معه

ذكر الخبر عن تبييض أبى الورد وما آل اليه أمره وأمر من بيض معه

وكان سبب ذلك فيما حدثنى أحمد بن زهير قال حدثنى عبد الوهاب بن إبراهيم قال حدثنى أبو هاشم مخلد بن محمد بن صالح قال كان أبو الورد واسمه مجزاة بن الكوثر

ابن زفر بن الحارث الكلابى من أصحاب مروان وقواده وفرسانه فلما هزم مروان وأبو الورد بقنسرين قدمها عبدالله بن على فبايعه ودخل فيما دخل فيه جنده من الطاعة وكان ولد مسلمة بن عبدالملك مجاورين له ببالس والناعورة فقدم بالس قائد من قواد عبدالله بن على من الأزارمردين فى مائة وخمسين فارسا فبعث بولد مسلمة بن عبد الملك ونسائهم فشكا بعضهم ذلك إلى أبى الورد فخرج من مزرعة يقال لها زراعة بنى زفر ويقال لها خساف فى عدة من أهل بيته حتى هجم على ذلك القائد وهو نازل فى حصن مسلمة فقاتله حتى قتله ومن معه وأظهر التبييض والخلع لعبدالله بن على ودعا أهل قنسرين إلى ذلك فبيضوا بأجمعهم وأبو العباس يومئذ بالحيرة وعبدالله بن على يومئذ مشتغل بحرب حبيب بن مرة المرى فقاتله بأرض البلقاء والبثنية وحوران وكان قد لقيه عبدالله بن على فى جموعه فقاتلهم وكان بينه وبينهم وقعات وكان من قواد مروان وفرسانه وكان سبب تبييضه الخوف على نفسه وعلى قومه فبايعته قيس وغيرهم ممن يليهم من أهل تلك الكور البثنية وحوران فلما بلغ عبدالله بن على تبييضهم دعا حبيب بن مرة إلى الصلح فصالحه وآمنه ومن معه وخرج متوجها نحو قنسرين للقاء أبى الورد فمر بدمشق فخلف فيها أبا غانم عبد الحميد بن ربعى الطائى فى أربعة آلاف رجل من جنده وكان بدمشق يومئذ امرأة عبدالله بن على أم البنين بنت محمد بن عبد المطلب النوفلية أخت عمرو بن محمد وأمهات أولاد لعبدالله وثقل له فلما قدم حمص فى وجهه ذلك انتقض عليه بعده أهل دمشق فبيضوا ونهضوا مع عثمان بن عبدالأعلى بن سراقة الأزدى قال فلقوا أبا غانم ومن معه فهزموه وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة وانتهبوا ماكان عبدالله ابن على خلف من ثقله ومتاعه ولم يعرضوا لأهله وبيض أهل دمشق واستجمعوا على الخلاف ومضى عبدالله بن على وقد كان تجمع مع أبى الورد جماعة أهل قنسرين وكاتبوا من يليهم من أهل حمص وتدمر وقدمهم ألوف عليهم أبو محمد ابن عبدالله بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فرأسوا عليهم أبا محمد ودعوا إليه وقالوا هو السفيانى الذى كان يذكر وهم فى نحو من أربعين ألفا فلما دنا منهم

عبدالله بن علىّ وأبو محمد معسكر فى جماعته بمرج يقال له مرج الأخرم وأبو الورد المتولى لأمر العسكر والمدبر له وصاحب القتال والوقائع ووجه عبدالله أخاه عبدالصمد ابن علىّ فى عشرة آلاف من فرسان من معه فناهضهم أبو الورد ولقيهم فيما بين العسكرين واشتجر القتل فيما بين الفريقين وثبت القوم وانكشف عبدالصمد ومن معه وقتل منهم يومئذ ألوف وأقبل عبدالله حيث أتاه عبدالصمد ومعه حميد بن قحطبة وجماعة من معه من القواد فالتقوا ثانية بمرج الأخرم فاقتتلوا قتالا شديداً وانكشف جماعة ممن كان مع عبدالله ثم ثابوا وثبت لهم عبدالله وحميد بن قحطبة فهزموهم وثبت أبو الورد فى نحو من خمسمائة من أهل بيته وقومه فقتلوا جميعا وهرب أبو محمد ومن معه من الكلبية حتى لحقوا بتدمر وآمن عبدالله أهل قنسرين وسودوا وبايعوا ودخلوا فى طاعته ثم انصرف راجعا إلى أهل دمشق لما كان من تبييضهم عليه وهزيمتهم أباغانم فلما دنا من دمشق هرب الناس وتفرقوا ولم يكن بينهم وقعة وآمن عبدالله أهلها وبايعوه ولم يأخذهم بما كان منهم قال ولم يزل أبو محمد متغيبّا هاربا ولحق بأرض الحجاز وبلغ زياد بن عبيدالله الحارثىّ عامل أبى جعفر مكانه الذى تغيّب فيه فوجه اليه خيلا فقاتلوه حتى قتل وأخذ ابنين له أسيرين فبعث زياد برأس أبى محمد وابنيه إلى أبى جعفر أمير المؤمنين فأمر بتخلية سبيلهما وآمنهما (وأما على بن محمد) فانه ذكر أن النعمان أبا السرىّ حدثه وجبلة ابن فروخ وسليمان بن داود وأبو صالح المروزىّ قالوا خلع أبو الورد بقنسرين فكتب أبو العباس إلى عبدالله بن علىّ وهو بفُطْرُس أن يقاتل أبا الورد ثم وجه عبد الصمد إلى قنسرين فى سبعة آلاف وعلى حرسه مخارق بن غفار وعلى شرطه كلثوم بن شبيب ثم وجه بعده ذؤيب بن الأشعث فى خمسة آلاف ثم جعل يوجه الجنود فلقى عبد الصمد أبا الورد فى جمع كثير فانهزم الناس عن عبدالصمد حتى أتوا حمص فبعث عبد الله بن علىّ العباس بن يزيد بن زياد ومروان الجرجانىّ وأبا المتوكل الجرجانىّ كل رجل فى أصحابه إلى حمص وأقبل عبد الله ابن علىّ بنفسه فنزل على أربعة أميال من حمص وعبدالصمد بن علىّ بحمص وكتب

عبد الله إلى حميد بن قحطبة فقدم عليه من الأردن وبايع أهل قنسرين لأبى محمد السفيانى زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية وأبو الورد بن . . . وبايعه الناس وأقام أربعين يوما وأتاهم عبد الله بن على ومعه عبد الصمد وحميد بن قحطبة فالتقوا فاقتتلوا أشد القتال بينهم واضطرهم أبو محمد إلى شعب ضيق فجعل الناس يتفرقون فقال حميد بن قحطبة لعبد الله بن على علامَ نقيم هم يزيدون وأصحابنا ينقصون ناجزهم فاقتتلوا يوم الثلاثاء فى آخر يوم من ذى الحجة سنة ١٣٣ وعلى ميمنة أبى محمد أبو الورد وعلى ميسرته الأصبغ بن ذؤالة فجرح أبو الورد فحمل إلى أهله فمات ولجأ قوم من أصحاب أبى الورد إلى أجمة فأحرقها عليهم وقد كان أهل حمص نقضوا وأرادوا إيثار أبى محمد فلما بلغهم هزيمته أقاموا ﴿وفى هذه السنة﴾ خلع حبيب بن مرة المرى وبيض هو ومن معه من أهل الشأم

ذكر الخبر عن ذلك

ذكر على عن شيوخه قال بيض حبيب بن مرة المرى وأهل البثنية وحوران وعبد الله بن على فى عسكر أبى الورد الذى قتل فيه ❊ وقد حدثنى أحمد بن زهير قال حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم قال حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد قال كان تبييض حبيب بن مرة وقتاله عبد الله بن على قبل تبييض أبى الورد وإنما بيض أبو الورد وعبد الله مشتغل بحرب حبيب بن مرة المرى بأرض البلقاء أو البثنية وحوران وكان قد لقيه عبد الله بن على فى جموعه فقاتله وكان بينه وبينه وقعات وكان من قواد مروان وفرسانه وكان سبب تبييضه الخوف على نفسه وقومه فبايعه قيس وغيرهم ممن يليهم من أهل تلك الكور البثنية وحوران فلما بلغ عبد الله بن على تبييض أهل قنسرين دعا حبيب بن مرة إلى الصلح فصالحه وآمنه ومن معه وخرج متوجهاً إلى قنسرين للقاء أبى الورد ﴿وفى هذه السنة﴾ بيض أيضا أهل الجزيرة وخلعوا أبا العباس

ذكر الخبر عن أمرهم وما آل إليه حالهم فيه

❊ حدثنى أحمد بن زهير قال حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم قال حدثنا أبو هاشم

مخلد بن محمد قال كان أهل الجزيرة بيضوا ونقضوا حيث بلغهم خروج أبى الورد وانتقاض أهل قنسرين وساروا إلى حران وبحران يومئذ موسى بن كعب فى ثلاثة آلاف من الجند فتشبث بمدينتها وساروا إليه مبيضين من كل وجه وحاصروه ومن معه وأمرهم مشتت ليس عليهم رأس يجمعهم وقدم على تفيئة ذلك إسحاق ابن مسلم من أرمينية وكان شخص عنها حين بلغه هزيمة مروان فرأسه أهل الجزيرة عليهم وحاصر موسى بن كعب نحواً من شهرين ووجه أبو العباس أبا جعفر فيمن كان معه من الجنود التى كانت بواسط محاصرة ابن هبيرة فمضى حتى مر بقرقيسيا وأهلها مبيضون وقد غلقوا أبوابها دونهم ثم قدم مدينة الرقة وهم على ذلك وبها بكار بن مسلم فمضى نحو حران ورحل اسحق بن مسلم إلى الرهاء وذلك فى سنة ١٣٣ وخرج موسى بن كعب فيمن معه من مدينة حران فلقوا أبا جعفر وقدم بكار على أخيه اسحاق بن مسلم فوجهه إلى جماعة ربيعة بدار أوماردين ورئيس ربيعة يومئذ رجل من الحرورية يقال له بُريكة فصمد إليه أبو جعفر فلقيهم فقاتلوه بها قتالا شديداً وقتل بريكة فى المعركة وانصرف بكار إلى أخيه اسحاق بالرهاء فخلفه إسحاق بها ومضى فى عظم العسكر إلى سميساط فخندق على عسكره وأقبل أبو جعفر فى جموعه حتى قابله بكار بالرهاء وكانت بينهما وقعات وكتب أبو العباس إلى عبد الله بن علىّ فى المسير بجنوده الى إسحاق بسميساط فأقبل من الشأم حتى نزل بإزاء إسحاق بسميساط وهم فى ستين ألفا أهل الجزيرة جميعا وبينهما الفرات وأقبل أبو جعفر من الرهاء فكاتبهم إسحاق وطلب إليهم الأمان فأجابوا إلى ذلك وكتبوا إلى أبى العباس فأمرهم أن يؤمّنوه ومن معه فكتبوا بينهم كتابا ووثقوا له فيه فخرج إسحاق الى أبى جعفر وتم الصلح بينهما وكان معه من آثر أصحابه عنده فاستقام أهل الجزيرة وأهل الشأم وولى أبو العباس أبا جعفر الجزيرة وأرمينية وأذربيجان فلم يزل على ذلك حتى استخلف وقد ذكر أن إسحاق بن مسلم العقيلى هذا أقام بسميساط سبعة أشهر وأبو جعفر محاصره وكان يقول فى عنقى بيعة فأنا لا أدعها حتى أعلم أن صاحبها قد مات أو قتل فأرسل إليه أبو جعفر أن مروان قد قتل فقال

حتى أتيقن ثم طلب الصلح وقال قد علمت أن مروان قد قتل فآمنه أبو جعفر وصار معه وكان عظيم المنزلة عنده ﴿وقد قيل﴾ إن عبد الله بن على هو الذى آمنه ﴿وفى هذه السنة﴾ شخص أبو جعفر الى أبى مسلم بخراسان لاستطلاع رأيه فى قتل أبى سلمة حفص بن سليمان

ذكر الخبر عن سبب مسير أبى جعفر فى ذلك وما كان من أمره
وأمر أبى مسلم فى ذلك

قد مضى ذكرى قبل أمر أبى سلمة وما كان من فعله فى أمر أبى العباس ومن كان معه من بنى هاشم عند قدومهم الكوفة الذى صار به عندهم متهما فذكر على ابن محمد أن جبلة بن فروخ قال وقال يزيد بن أسيد قال أبو جعفر لما ظهر أبو العباس أمير المؤمنين سمرنا ذات ليلة فذكرنا ما صنع أبو سلمة فقال رجل منا ما يدريكم لعل ما صنع أبو سلمة كان عن رأى أبى مسلم فلم ينطق منا أحد فقال أمير المؤمنين أبو العباس لئن كان هذا عن رأى أبى مسلم إنا لَبِعرض بلاء إلا أن يدفعه الله عنا وتفرقنا فأرسل إلى أبو العباس فقال ما ترى فقلت الرأى رأيك فقال ليس منا أحد أخص بأبى مسلم منك فاخرج اليه حتى تعلم ما رأيه فليس يخفى عليك فلو قد لقيته فإن كان عن رأيه أخذنا لأنفسنا وإن لم يكن عن رأيه طابت أنفسنا فخرجت على وَجَل فلما انتهينا إلى الرى إذا صاحب الرى قد أتاه كتاب أبى مسلم إنه بلغنى أن عبد الله بن محمد توجه اليك فاذا قدم فأشخصه ساعة قدومه عليك فلما قدمت أتانى عامل الرى فأخبرنى بكتاب أبى مسلم وأمرنى بالرحيل فازددت وَجَلا وخرجت من الرىّ وأنا حَذِرٌ خائف فسرت فلما كنت بنيسابور إذا عاملها قد أتانى بكتاب أبى مسلم إذا قدم عليك عبد الله بن محمد فأشخصه ولا تدعه فان أرضك أرض خوارج ولا آمن عليه فطابت نفسى وقلت أراه يُعْنى بأمرى فسرت فلما كنت من مرو على فرسخين تلقانى أبو مسلم فى الناس فلما دنا أبو مسلم منى أقبل يمشى إلىّ حتى قبّل يدى فقلت اركب فركب فدخل مرو فنزلت دارا فمكثت ثلاثة أيام لا يسألنى عن شىء ثم قال لى فى اليوم الرابع ما أقدمك

فأخبرته فقال فعلها أبو سلمة أكفيكموه فدعا مرار بن أنس الضبى فقال انطلق إلى الكوفة فاقتل أبا سلمة حيث لقيته وانته فى ذلك إلى رأى الإمام فقدم مرار الكوفة فكان أبو سلمة يسمر عند أبى العباس فقعد فى طريقه فلما خرج قتله وقالوا قتله الخوارج قال على فحدثنى شيخ من بنى سليم عن سالم قال صحبت أبا جعفر من الرى إلى خراسان وكنت حاجبه فكان أبو مسلم يأتيه فينزل على باب الدار ويجلس فى الدهليز ويقول استأذن لى فغضب أبو جعفر على وقال ويلك إذا رأيته فافتح له الباب وقل له يدخل على دابته ففعلت وقلت لأبى مسلم إنه قال كذا وكذا قال نعم أعلم واستأذن لى عليه وقد قيل إن أبا العباس قد كان تنكر لأبى سلمة قبل ارتحاله من عسكره بالنخيلة ثم تحول عنه إلى المدينة الهاشمية فنزل قصر الإمارة بها وهو متنكر له قد عرف ذلك منه وكتب إلى أبى مسلم يعلمه رأيه وما كان هم به من الغش وما يتخوف منه فكتب أبو مسلم إلى أمير المؤمنين إن كان اطلع على ذلك منه فليقتله فقال داود بن على لأبى العباس لا تفعل يا أمير المؤمنين فيحتج عليك بها أبو مسلم وأهل خراسان الذين معك وحاله فيهم حاله ولكن اكتب إلى أبى مسلم فليبعث إليه من يقتله فكتب إلى أبى مسلم بذلك فبعث لذلك أبو مسلم مرار بن أنس الضبى فقدم على أبى العباس فى المدينة الهاشمية وأعلمه سبب قدومه فأمر أبو العباس منادياً فنادى إن أمير المؤمنين قد رضى عن أبى سلمة ودعاه وكساه ثم دخل عليه بعد ذلك ليلة فلم يزل عنده حتى ذهب عامة الليل ثم خرج منصرفا إلى منزله يمشى وحده حتى دخل الطاقات فعرض له مرار بن أنس ومن كان معه من أعوانه فقتلوه وأغلقت أبواب المدينة وقالوا قتل الخوارج أبا سلمة ثم أخرج من الغد فصلى عليه يحيى بن محمد بن على ودفن فى المدينة الهاشمية فقال سليمان بن المهاجر البجلى

إنّ الوزيرَ وزيرَ آل محمد أودَى فمن يَشْناك كان وزيرا

وكان يقال لأبى سلمة وزير آل محمد ولأبى مسلم أمين آل محمد فلما قتل أبو سلمة وجه أبو العباس أخاه أبا جعفر فى ثلاثين رجلا إلى أبى مسلم فيهم الحجاج بن

أرطاة وإسحق بن الفضل الهاشمى ولما قدم أبو جعفر على أبى مسلم سايره عبيدالله ابن الحسين الأعرج وسليمان بن كثير معه فقال سليمان بن كثير للأعرج ياهذا إنا كنا نرجو أن يتم أمركم فاذا شئتم فادعونا إلى ماتريدون فظن عبيد الله أنه دسيس من أبى مسلم فخاف ذلك وبلغ أبا مسلم مسايرة سليمان بن كثير إياه وأتى عبيد الله أبامسلم فذكر له ماقال سليمان وظن أنه إن لم يفعل ذلك اغتاله فقتله فبعث أبو مسلم إلى سليمان بن كثير فقال له أتحفظ قول الإمام لى من اتهمته فاقتله قال نعم قال فانى قد اتهمتك فقال أنشدك الله قال لا تناشدنى الله وأنت منطوٍ على غش الإمام فأمر بضرب عنقه ولم ير أحداً ممن كان يضرب عنقه أبو مسلم غيره فانصرف أبو جعفر من عند أبى مسلم فقال لأبى العباس لست خليفة ولا أمرك بشىء إن تركت أبا مسلم ولم تقتله قال وكيف قال والله مايصنع إلا ماأراد قال أبو العباس اسكت فاكتمها (وفى هذه السنة) وجه أبو العباس أخاه أبا جعفر إلى واسط لحرب يزيد بن عمر بن هبيرة وقد ذكرنا ماكان من أمر الجيش الذين لقوه من أهل خراسان مع قحطبة ثم مع ابنه الحسن بن قحطبة وانهزامه ولحاقه بمن معه من جنود الشأم بواسط متحصنا بها فذكر على بن محمد عن أبى عبد الله السلمى عن عبد الله بن بدر وزهير بن هنيد وبشر بن عيسى وأبى السرى أن ابن هبيرة لما انهزم تفرق الناس عنه وخلف على الأثقال قوما فذهبوا بتلك الأموال فقال له حوثرة أين تذهب وقد قتل صاحبهم امض إلى الكوفة ومعك جند كثير فقاتلهم حتى تقتل أو تظفر قال بل نأتى واسطا فننظر قال ماتزيد على أن تمكنه من نفسك وتقتل فقال له يحيى بن حضين إنك لاتأتى مروان بشىء أحب إليه من هذه الجنود فالزم الفرات حتى تقدم عليه وإياك وواسط فتصير فى حصار وليس بعد الحصار إلا القتل فأبى وكان يخاف مروان لأنه كان يكتب إليه فى الأمر فيخالفه فخافه إن قدم عليه أن يقتله فأتى واسط فدخلها وتحصن بها وسرح أبو سلمة الحسن بن قحطبة فخندق الحسن وأصحابه ونزلوا فيما بين الزاب ودجلة وضرب الحسن سرادقه حيال باب المضمار فأول وقعة كانت بينهم يوم الأربعاء فقال

أهل الشأم لابن هبيرة ائذن لنا فى قتالهم فأذن لهم فخرجوا وخرج ابن هبيرة وعلى ميمنته ابنه داود ومعه محمد بن نباتة فى ناس من أهل خراسان فيهم أبو العود الخراسانى فالتقوا وعلى ميمنته الحسن خازم بن خزيمة وابن هبيرة قبالة باب المضمار فحمل خازم على ابن هبيرة فهزموا أهل الشأم حتى ألجؤوهم إلى الخنادق وبادر الناس باب المدينة حتى غص باب المضمار ورمى أصحاب العرادات بالعرادات والحسن واقف وأقبل يسير فى الخيل فيما بين النهر والخندق ورجع أهل الشأم فكرّ عليهم الحسن فحالوا بينه وبين المدينة واضطروهم إلى دجلة فغرق منهم ناس كثير فتلقوهم بالسفن فحملوهم وألقى ابن نباتة يومئذ سلاحه واقتحم فتبعوه بسفينة فركب وتحاجزوا فمكثوا سبعة أيام ثم خرجوا إليهم يوم الثلاثاء فاقتتلوا فحمل رجل من أهل الشأم على أبى حفص هزارمرد فضربه وانتمى أنا الغلام السلمى وضربه أبو حفص وانتمى أنا الغلام العتكى فصرعه وانهزم أهل الشأم هزيمة قبيحة فدخلوا المدينة فمكثوا ماشاء الله لايقتتلون إلا رميا من وراء الفصيل وبلغ ابن هبيرة وهو فى الحصار أن أبا أمية التغلبى قد سوّد فأرسل أبا عثمان الى منزله فدخل على أبى أمية فى قبته فقال إن الأمير أرسلنى إليك لأفتش قبتك فان كان فيها سواد علقته فى عنقك وحبلا ومضيت بك اليه وإن لم يكن فى بيتك سواد فهذه خمسون ألفا صلة لك فأبى أن يدعه أن يفتش قبته فذهب به إلى ابن هبيرة فحبسه فتكلم فى ذلك معن بن زائدة وناس من ربيعة وأخذوا ثلاثة من بنى فزارة فحبسوهم وشتموا ابن هبيرة فجاءهم يحي بن حضين فكلمهم فقالوا لانخلى عنهم حتى يخلى عن صاحبنا فأبى ابن هبيرة فقال له ماتفسد إلا على نفسك وأنت محصور خل سبيل هذا الرجل قال لا ولا كرامة فرجع ابن حضين اليهم فأخبرهم فاعتزل معن وعبد الرحمن بن بشير العجلى فقال ابن حضين لابن هبيرة هؤلاء فرسانك قد أفسدتهم وإن تماديت فى ذلك كانوا أشد عليك ممن حصرك فدعا أبا أمية فكساه وخلى سبيله فاصطلحوا وعادوا إلى ما كانوا عليه وقدم أبو نصر مالك بن الهيثم من ناحية سجستان فأوفد الحسن بن قحطبة وفدا الى أبى العباس

بقدوم أبى نصر عليه وجعل على الوفد غيلان بن عبد الله الخزاعىّ وكان غيلان واجداً على الحسن لأنه سرحه إلى روح بن حاتم مدداً له فلما قدم على أبى العباس قال أشهدُ أنك أمير المؤمنين وأنك حبل الله المتين وأنك إمام المتقين قال حاجتك يا غيلان قال أستغفرك قال غفر الله لك فقال داود بن علىّ وفقك الله يا أبا فضالة فقال له غيلان يا أمير المؤمنين مُنّ علينا برجل من أهل بيتك قال أوليس عليكم رجل من أهل بيتى الحسن بن قحطبة قال يا أمير المؤمنين مُنّ علينا برجل من أهل بيتك فقال أبو العباس مثل قوله الأول فقال يا أمير المؤمنين مُنّ علينا برجل من أهل بيتك ننظر إلى وجهه وتَقِرّ أعيننا به قال نعم يا غيلان فبعث أبا جعفر فجعل غيلان على شرطه فقدم واسطا فقال أبو نصر لغيلان ما أردتُ إلا ما صنعت قال به بُود فمكث أياما على الشرط ثم قال لأبى جعفر لا أقوى على الشرط ولكنى أدلك على من هو أجلد منى قال من هو قال جَهْوَر بن مَرّار قال لا أقدر على عزلك لأن أمير المؤمنين استعملك قال اكتب اليه فأعلمه فكتب إليه فكتب إليه أبو العباس أن اعمل برأى غيلان فولى شرطه جهوراً وقال أبو جعفر للحسن ابغنى رجلا أجعله على حرسى قال من قد رضيته لنفسى عثمان بن نهيك فولى الحرس قال بشر بن عيسى ولما قدم أبو جعفر واسطا تحول له الحسن عن حجرته فقاتلهم وقاتلوه فقاتلهم أبو نصر يوما فانهزم أهل الشأم إلى خنادقهم وقد كمن لهم معن وأبو يحيى الجذامى فلما جاوزهم أهل خراسان خرجوا عليهم فقاتلوهم حتى أمسوا وترجل لهم أبو نصر فاقتتلوا عند الخنادق ورفعت لهم النيران وابن هبيرة على برج باب الخلالين فاقتتلوا ما شاء الله من الليل وسرح ابن هبيرة إلى معن أن ينصرف فانصرف ومكثوا أياما وخرج أهل الشأم أيضا مع محمد بن نباتة ومعن بن زائدة وزياد بن صالح وفرسان من فرسان أهل الشأم فقاتلهم أهل خراسان فهزموهم إلى دجلة فجعلوا يتساقطون فى دجلة فقال أبو نصر يا أهل خراسان مردمانِ خانه بيابان هستيد وبرخيزيد فرجعوا وقد صرع ابنه فحماه روح بن حاتم فمر به أبوه فقال له بالفارسية قد قتلوك يا بنى لعن الله الدنيا بعدك وحملوا على أهل الشأم فهزموهم حتى أدخلوهم مدينة واسط فقال بعضهم

لبعض لا والله لا تفلح بعد عيشتنا أبداً أخرجنا عليهم ونحن فرسان أهل الشأم فهزمونا حتى دخلنا المدينة وقتل تلك العشية من أهل خراسان بكار الأنصارى ورجل من أهل خراسان كانا من فرسان أهل خراسان وكان أبو نصر فى حصار ابن هبيرة يملأ السفن حطبا ثم يضرمها بالنار لتحرق مامرت به فكان ابن هبيرة يهيئ حراقات كان فيها كلاليب تجر تلك السفن فمكثوا بذلك أحد عشر شهراً فلما طال ذلك عليهم طلبوا الصلح ولم يطلبوه حتى جاءهم خبر قتل مروان أتاهم به اسماعيل بن عبدالله القسرى وقال لهم علام تقتلون أنفسكم وقد قتل مروان وقد قيل إن أبا العباس وجه أبا جعفر عند مقدمه من خراسان منصرفا من عند أبى مسلم إلى ابن هبيرة لحربه فشخص جعفر حتى قدم على الحسن بن قحطبة وهو محاصر ابن هبيرة بواسط فتحول له الحسن عن منزله فنزله أبو جعفر فلما طال الحصار على ابن هبيرة وأصحابه تجنى عليه أصحابه فقالت اليمانية لا نعين مروان وآثاره فينا آثاره وقالت النزارية لا نقاتل حتى تقاتل معنا اليمانية وكان انما يقاتل معه الصعاليك والفتيان وهم ابن هبيرة أن يدعو إلى محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن فكتب إليه فابطأ جوابه وكاتب أبو العباس اليمانية من أصحاب ابن هبيرة وأطمعهم فخرج إليه زياد بن صالح وزياد بن عبيدالله الحارثيان ووعدا ابن هبيرة ان يصلحا له ناحية أبى العباس فلم يفعلا وجرت السفراء بين أبى جعفر وبين ابن هبيرة حتى جعل له أمانا وكتب به كتابا مكث يشاور فيه العلماء أربعين يوما حتى رضيه ابن هبيرة ثم أنفذه إلى أبى جعفر فأنفذه أبو جعفر إلى أبى العباس فأمره بامضائه وكان رأى أبى جعفر الوفاء له بما أعطاه وكان أبو العباس لا يقطع أمراً دون أبى مسلم وكان أبو الجهم عينا لأبى مسلم على أبى العباس فكتب إليه بأخباره كلها فكتب أبو مسلم إلى أبى العباس إن الطريق السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسد لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة ولما تم الكتاب خرج ابن هبيرة إلى أبى جعفر فى ألف وثلثمائة من البخارية فأراد أن يدخل الحجرة على دابته فقام إليه الحاجب سلام بن سليم فقال مرحباً بك أبا خالد انزل راشداً وقد أطاف بالحجرة نحو من عشرة آلاف من أهل

خراسان فنزل ودعا له بوسادة ليجلس عليها ثم دعا بالقواد فدخلوا ثم قال سلام ادخل أبا خالد فقال له أنا ومن معى فقال إنما استأذنت لك وحدك فقام فدخل ووضعت له وسادة فجلس عليها فحادثه ساعة ثم قام وأتبعه أبو جعفر بصره حتى غاب عنه ثم مكث يقيم عنه يوما ويأتيه يوما فى خمسمائة فارس وثلثمائة راجل فقال يزيد بن حاتم لأبى جعفر أيها الأمير إن ابن هبيرة ليأتى فيتضعضع له العسكر وما نقص من سلطانه شىء فاذا كان يسير فى هذه الفرسان والرجالة فما يقول عبد الجبار وجهور فقال أبو جعفر لسلام قل لابن هبيرة يدع الجماعة ويأتينا فى حاشيته فقال له سلام ذلك فتغير وجهه وجاء فى حاشيته نحوا من ثلاثين فقال له سلام كأنك تأتى مباهيا فقال إن أمرتم أن نمشى إليكم مشينا فقال ما أردنا بك استخفافا ولا أمر الأمير بما أمر به إلا نظرا لك فكان بعد ذلك يأتى فى ثلاثة وذكر أبو زيد أن محمد بن كثير حدثه قال كلم ابن هبيرة يوما أبا جعفر فقال ياهناه أو ياأيها المرء ثم رجع فقال أيها الأمير إن عهدى بكلام الناس بمثل ماخاطبتك به حديث فسبقنى لسانى إلى مالم أرده وألح أبو العباس على أبى جعفر يأمره بقتله وهو يراجعه حتى كتب إليه والله لتقتلنه أو لأرسلن إليه من يخرجه من حجرتك ثم يتولى قتله فأزمع على قتله فبعث خازم بن خزيمة والهيثم ابن شعبة بن ظهير وأمرهما بختم بيوت الأموال ثم بعث إلى وجوه من معه من القيسية والمضرية فأقبل محمد بن نباتة وحوثرة بن سُهيل وطارق بن قدامة وزياد ابن سويد وأبو بكر بن كعب العقيلى وأبان وبشر ابنا عبد الملك بن بشر فى اثنين وعشرين رجلا من قيس وجعفر بن حنظلة وهزان بن سعد قال فخرج سلام بن سليم فقال أبو حوثرة ومحمد بن نباتة فقاما فدخلا وقد أجلس عثمان بن نهيك والفضل بن سليمان وموسى بن عقيل فى مائة فى حجرة دون حجرته فنزعت سيوفهما وكتفا ثم دخل بشر وأبان ابنا عبد الملك بن بشر ففعل بهما ذلك ثم دخل أبو بكر بن كعب وطارق بن قدامة فقام جعفر بن حنظلة فقال نحن رؤساء الأجناد ولم يكون هؤلاء يقدمون علينا فقال ممن أنت قال من بهراء فقال وراءك

أوسع لك ثم قام هزان فتكلم فأخر فقال روح بن حاتم يا أبا يعقوب نزعت سيوف القوم فخرج عليهم موسى بن عقيل فقالوا له أعطيتمونا عهد الله ثم خستم به إنا لنرجو أن يدرككم الله وجعل ابن نباتة يضرب فى لحية نفسه فقال له حوثرة إن هذا لا يغنى عنك شيئاً فقال كأنى كنت أنظر إلى هذا فقتلوا وأخذت خواتيمهم وانطلق خازم والهيثم بن شعبة والأغلب بن سالم فى نحو من مائة فأرسلوا إلى ابن هبيرة إنا نريد حمل المال فقال ابن هبيرة لحاجبه يا أبا عثمان انطلق فدلهم عليه فأقاموا عند كل بيت نفراً ثم جعلوا ينظرون فى نواحى الدار ومع ابن هبيرة ابنه داود وكاتبه عمرو بن أيوب وحاجبه وعدة من مواليه وبُنَىٌّ له صغير فى حجره فجعل ينكر نظرهم فقال أقسم بالله إن فى وجوه القوم لشرا فأقبلوا نحوه فقام حاجبه فى وجوههم فقال ماوراءكم فضربه الهيثم بن شعبة على حبل عاتقه فصرعه وقاتل ابنه داود فقتل وقتل مواليه ونحى الصبى من حجره وقال دونكم هذا الصبى وخر ساجداً فقتل وهو ساجد ومضوا برؤسهم إلى أبى جعفر فنادى بالأمان للناس إلا للحكم بن عبد الملك بن بشر وخالد بن سلمة المخزومى وعمر بن ذر فاستأمن زياد بن عبيد الله لابن ذر فآمنه أبو العباس وهرب الحكم وآمن أبو جعفر خالداً فقتله أبو العباس ولم يجز أمان أبى جعفر وهرب أبو علاقة وهشام بن هشيم بن صفوان بن مزيد الفزاريان فلحقهما حجر بن سعيد الطائى فقتلهما على الزاب فقال أبو عطاء السندى يرثيه :

أَلَا إِنَّ عيناً لم تَجُدْ يوم واسِطٍ … عليك بجارى دمعِها لَجَمودُ
عشيةَ قام النائحاتُ وشُقِّقَتْ … جُيُوبٌ بأيْدى مأتمٍ وخُدود
فإن تُمْس مهجورَ الفِناءِ فربما … أقامَ به بعد الوفودِ وُفودُ
فإنك لم تبعُدْ على متعهد … بلى كل مَن تحت التراب بعيدُ

وقال منقذ بن عبد الرحمن الهلالى يرثيه

مَنَع العزاءَ حرارةُ الصَّدْرِ … والُحزن عقد عزيمةِ الصبْرِ
لما سمِعْتُ بوقعة شمِلَت … بالشيب لونَ مَفارقِ الشعْر

أفنَى الحماةَ الغُرَّ أنْ عَرَضتْ دون الوفاءِ حبائلُ الغَدرِ
مالت حبائلُ أمرهم بفتًى مثلِ النجوم حَفَفْنَ بالبدرِ
عَالَى نعيَّهُمُ فقلتُ له هَلّا أتيتَ بصَيْحةِ الحشرِ
لله درّك مَنْ زعمتَ لنا أن قد حَوَتْه حوادثُ الدهرِ
مَن للمنابر بعد مَهْلَكِهِم أو مَنْ يَسُدُّ مكارم الفخرِ
فإذا ذكرتُهُمُ شكا ألَمًا قلبي لفقد فوارس زُهْرِ
قَتلى بدِجلةَ ما يَغُمُّهُمُ إلا عُبابُ زَواخِرِ البحرِ
فَلتَبْكِ نِسْوَتنا فوارسَها خيرَ الحماةِ ليالىَ الذُّعْرِ

وذكر أبو زيد أن أبا بكر الباهلى حدثه قال حدثنى شيخ من أهل خراسان قال كان هشام بن عبد الملك خطب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ابنته على ابنه معاوية فأبى أن يزوجه فجرى بعد ذلك بين يزيد بن عمر وبين الوليد بن القعقاع كلام فبعث به هشام إلى الوليد بن القعقاع فضربه وحبسه فقال ابن طيسلة :

يا قَلَّ خيرُ رجال لاعقولَ لهم مَنْ يَعدلون إلى المحبوس فى حلبِ
إلى امرئ لم تصبه الدهرَ مُعْضِلةٌ إلا استقلَّ بها مُسْتَرْخِىَ اللببِ

وقيل إن أبا العباس لما وجه أبا جعفر إلى واسط لقتال ابن هبيرة كتب إلى الحسن بن قحطبة إن العسكر عسكرُك والقُوّادَ قوّادُك ولكن أحببتُ أن يكون أخى حاضرا فاسمع له وأطع وأحسِن موازرته وكتب إلى أبى نصر مالك بن الهيثم بمثل ذلك فكان الحسن المدبر لذلك العسكر بأمر المنصور ﴿وفى هذه السنة﴾ وجه أبو مسلم محمد بن الأشعث على فارس وأمره أن يأخذ عمال أبى سلمة فيضرب أعناقهم ففعل ذلك ﴿وفى هذه السنة﴾ وجه أبو العباس عمه عيسى بن علىّ على فارس وعليها محمد بن الأشعث فهمّ به فقيل له إن هذا لا يسوغ لك فقال بلى أمرنى أبو مسلم ألا يقدمَ علىّ أحد يدّعى الولاية من غيره إلا ضربتُ عنقه ثم ارتدع عن ذلك لما تخوف من عاقبته فاستخلف عيسى بالأيمان المحرّجة أن لا يعلو منبراً ولا يتقلدَ سيفاً إلا فى جهاد فلم يَلِ عيسى بعد ذلك عملا ولا تقلد سيفاً

إلا فى غزو ثم وجّه أبو العباس بعد ذلك إسماعيل بن علىّ واليا على فارس (وفى هذه السنة) وجه أبو العباس أخاه أبا جعفر واليا على الجزيرة وأذربيجان وأرمينية ووجه أخاه يحيى بن محمد بن على واليا على الموصل (وفيها) عزل عمه داود بن علىّ عن الكوفة وسوادها وولاه المدينة ومكة واليمن واليمامة وولى موضعه وما كان اليه من عمل الكوفة وسوادها عيسى بن موسى (وفيها) عزل مروان وهو بالجزيرة عن المدينة الوليد بن عُروة وولاها أخاه يوسف بن عروة فذكر الواقدى أنه قدم المدينة لأربع خلون من شهر ربيع الأول (وفيها) استقضى عيسى بن موسى على الكوفة ابن أبى ليلى * وكان العامل على البصرة فى هذه السنة سفيان بن معاوية المهلبى وعلى قضائها الحجاج بن أرطاةَ وعلى فارس محمد بن الأشعث وعلى السند منصور بن جمهور وعلى الجزيرة وأرمينية وأذربيجان عبدالله بن محمد وعلى الموصل يحيى بن محمد وعلى كور الشام عبدالله ابن علىّ وعلى مصر أبو عون عبد الملك بن يزيد وعلى خراسان والجبال أبو مسلم وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك (وحج) بالناس فى هذه السنة داود بن علىّ ابن عبدالله بن العباس

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة

ذكر ما كان فى هذه السنة من الأحداث

(فمن ذلك) ما كان من توجيه أبى العباس عمه سليمان بن على واليا على البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان ومِهْرِجانقَذق وتوجيهه أيضا عمه إسماعيل بن علىّ على كور الأهواز (وفيها) قتل داود بن علىّ من كان أخذ من بنى أمية بمكة والمدينة (وفيها) مات داود بن على بالمدينة فى شهر ربيع الأول وكانت ولايته فيما ذكر محمد بن عمر ثلاثةَ أشهر واستخلف داود بن على حين حضرته الوفاة على عمله ابنه موسى ولما بلغت أبا العباس وفاتُه وجه على المدينة ومكة والطائف واليمامة خاله زيادَ بن عبيد الله بن عبد الله بن

عبد المدان الحارثى ووجه محمد بن يزيد بن عبدالله بن عبد المدان على اليمن فقدم اليمن فى جمادى الأولى فأقام زياد بالمدينة ومضى محمد الى اليمن ثم وجه زياد بن عبيد الله من المدينة إبراهيم بن حسان السلمى وهو أبو حماد الأبرص إلى المثنى ابن يزيد بن عمر بن هبيرة وهو باليمامة فقتله وقتل أصحابه (وفيها) كتب أبو العباس إلى أبى عون باقراره على مصر واليا عليها وإلى عبد الله وصالح ابنى على على أجناد الشأم (وفيها) توجه محمد بن الأشعث إلى إفريقية فقاتلهم قتالا شديدا حتى فتحها (وفيها) خرج شريك بن شيخ المهرى بخراسان على أبى مسلم ببخارى ونقم عليه وقال ما على هذا اتبعنا آل محمد على أن نسفك الدماء ونعمل بغير الحق وتبعه على رأيه أكثر من ثلاثين ألفا فوجه اليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعى فقاتله فقتله (وفيها) توجه أبو داود خالد بن إبراهيم من الوخش إلى الختل فدخلها ولم يمتنع عليه حنش بن السبل ملكها وأتاه ناس من دهاقين الختل فتحصنوا معه وامتنع بعضهم فى الدروب والشعاب والقلاع فلما ألح أبو داود على حنش خرج من الحصن ليلا ومعه دهاقينه وشاكريته حتى انتهوا الى أرض فرغانة ثم خرج منها فى أرض الترك حتى وقع الى ملك الصين وأخذ أبو داود من ظفر به منهم فجاوز بهم الى بلخ ثم بعث بهم الى أبى مسلم (وفيها) قتل عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب قتله سليمان الذى يقال له الأسود بأمان كتبه له (وفيها) وجه صالح بن على سعيد بن عبد الله لغزو الصائفة وراء الدروب (وفيها) عزل يحيى بن محمد عن الموصل واستعمل مكانه إسماعيل بن على (وحج) بالناس فى هذه السنة زياد بن عبيد الله الحارثى كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عمن حدثه عن إسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى وغيره ❊ وكان على الكوفة وأرضها عيسى بن موسى وعلى قضائها ابن أبى ليلى وعلى البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان والعرض ومهرجا نقذق سليمان بن على وعلى قضائها عباد بن منصور وعلى الأهواز إسماعيل بن على وعلى فارس محمد ابن الأشعث وعلى السند منصور بن جمهور وعلى خراسان والجبال أبو مسلم وعلى

قنسرين وحمص وكور دمشق والأردن عبدالله بن علىّ وعلى فلسطين صالح بن علىّ وعلى مصر عبدالملك بن يزيد أبو عون وعلى الجزيرة عبدالله بن محمد المنصور وعلى الموصل اسماعيل بن على وعلى أرمينية صالح بن صبيح وعلى أذربيجان مجاشع بن يزيد وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة

ذكر ما كان فيها من الاحداث

﴿ففيها﴾ خالف بسام بن ابراهيم بن بسام وخلع وكان من فرسان أهل خراسان وشخص فيما ذكر من عسكر أبى العباس أمير المؤمنين مع جماعة ممن شايعه على ذلك من رأيه مستبشرين بخروجهم ففحص عن أمرهم وإلى أين صاروا حتى وقف على مكانهم بالمدائن فوجه إليهم أبو العباس خازم بن خزيمة فلما لقى بساما ناجزه القتال فانهزم بسام وأصحابُه وقتل أكثرُهم واستبيح عسكره ومضى خازم وأصحابه فى طلبهم فى أرض جوخا إلى أن بلغ ماه وقتل كل من لحقه منهزما أو ناصبه القتال ثم انصرف من وجهه ذلك فمرّ بذات المطامير أو بقرية شبيهة بها وبها من بنى الحارث بن كعب من بنى عبد المدان وهم أخوال أبى العباس ذنبة فمر بهم وهم فى مجلس لهم وكانوا خمسة وثلاثين رجلا منهم ومن غيرهم ثمانية عشر رجلا ومن مواليهم سبعة عشر رجلا فلم يسلم عليهم فلما جاز شتموه وكان فى قلبه عليهم ما كان لما بلغه عنهم من حال المغيرة بن الفزع وإنه لجأ إليهم وكان من أصحاب بسام ابن ابراهيم فكرّ راجعا فسألهم عما بلغه من نزول المغيرة بهم فقالوا مرّ بنا رجل مجتاز لا نعرفه فأقام فى قريتنا ليلة ثم خرج عنها فقال لهم أنتم أخوال أمير المؤمنين يأتيكم عدوّه فيأمن فى قريتكم فهلا اجتمعتم فأخذتموه فأغلظوا له الجواب فأمر بهم فضُربت أعناقهم جميعا وهُدمت دورهم وانتهبت أموالهم ثم انصرف إلى أبى العباس وبلغ ما كان من فعل خازم اليمانية فأعظموا ذلك واجتمعت كلمتهم فدخل زياد بن عبيد الله الحارثىّ على أبى العباس مع عبد الله بن الربيع الحارثى

وعثمان بن نهيك وعبد الجبار بن عبد الرحمن وهو يومئذ على شرطة أبى العباس فقالوا ياأمير المؤمنين إن خادما اجترأ عليك بأمر لم يكن أحد من أقرب ولد أبيك ليجترئ عليك به من استخفافه بحقك وقتل أخوالك الذين قطعوا البلاد وأتوك معتزّين بك طالبين معروفك حتى إذا صاروا إلى دارك وجوارك وثب عليهم خازم فضرب أعناقهم وهدم دورهم وأنهب أموالهم وأخرب ضياعهم بلا حدث أحدثوه فهمّ بقتل خازم فبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطية فدخل على أبى العباس فقالا بلغنا ياأمير المؤمنين ما كان من تحميل هؤلاء القوم إياك على خازم وإشارتهم عليك بقتله وماهممت به من ذلك وإنانعيذك بالله من ذلك فان له طاعة وسابقة وهو يُحتمل له ماصنع فان شيعتكم من أهل خراسان قدآثروكم على الأقارب من الأولاد والآباء والإخوان وقتلوامن خالفكم وأنت أحق من تغمد إساءة مسيئهم فان كنت لابد مجمعا على قتله فلا تتولّ ذلك بنفسك وعرضه من المباعث لما أن قتل فيه كنت قد بلغت الذى أردت وإن ظفر كان ظفره لك وأشاروا عليه بتوجيهه إلى من بعمان من الخوارج إلى الجلندى وأصحابه وإلى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكرىّ فأمر أبو العباس بتوجيهه مع سبعمائة رجل وكتب إلى سليمان بن علىّ وهو على البصرة بحملهم فى السفن إلى جزيرة ابن كاوان وعمان فشخص ﴿وفى هذه السنة﴾ شخص خازم بن خزيمة إلى عمان فأوقع بمن فيها من الخوارج وغلب عليها وعلى ما قُرب منها من البلدان وقتل شيبان الخارجى

ذكر الخبر عما كان منه هنالك

ذكر أن خازم بن خزيمة شخص فى السبعمائة الذين ضمهم اليه أبو العباس وانتخب من أهل بيته وبنى عمه ومواليه ورجال من أهل مروالروذ قد عرفهم ووثق بهم فسار إلى البصرة فحملهم سليمان بن على وانضم إلى خازم بالبصرة عدة من بنى تميم فساروا حتى أرسوا بجزيرة ابن كاوان فوجه خازم نضلة بن نعيم النهشلى فى خمسمائة رجل من أصحابه إلى شيبان فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فركب شيبان

وأصحابه السفن فقطعوا إلى عمان وهم صُفريّة فلما صاروا إلى عمان نصب لهم الجلندى وأصحابه وهم إباضية فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل شيبان ومن معه ثم سار خازم فى البحر بمن معه حتى أرسوا إلى ساحل عمان فخرجوا إلى صحراء فلقيهم الجلندى وأصحابه فاقتتلوا قتالا شديداً وكثر القتل يومئذ فى أصحاب خازم وهم يومئذ على ضفة البحر وقتل فيمن قتل أخ لخازم لأمه يقال له إسماعيل فى تسعين رجلا من أهل مرو الروذ ثم تلاقوا فى اليوم الثانى فاقتتلوا قتالا شديدا وعلى ميمنته رجل من أهل مرو الروذ يقال له حميد الورتكانى وعلى ميسرته رجل من أهل مرو الروذ يقال له مسلم الأرغدى وعلى طلائعه نضلة بن نعيم النهشلى فقتل يومئذ من الخوارج تسعمائة رجل وأحرقوا منهم نحوا من تسعين رجلا ثم التقوا بعد سبعة أيام من مقدم خازم على رأى أشار به عليه رجل من أهل الصغد وقع بتلك البلاد فأشار عليه أن يأمر أصحابه فيجعلوا على أطراف أسنتهم المشاقة ويروّوها بالنقط ويشعلوا فيها النيران ثم يمشوا بها حتى يضرموها فى بيوت أصحاب الجلندى وكانت من خشب وخلاف فلما فعل ذلك وأضرمت بيوتهم بالنيران وشغلوا بها وبمن فيها من أولادهم وأهاليهم شدّ عليهم خازم وأصحابه فوضعوا فيهم السيوف وهم غير ممتنعين منهم وقتل الجلندى فيمن قتل وبلغ عدة من قتل عشر آلاف وبعث خازم برؤسهم إلى البصرة فمكث بالبصرة أياما ثم بعث بها إلى أبى العباس وأقام خازم بعد ذلك أشهرا حتى أتاه كتاب أبى العباس باقفاله فقفلوا ﴿وفى هذه السنة﴾ غزا أبو داود خالد بن ابراهيم أهل كش فقتل الاخريد ملكها وهو سامع مطيع قدم عليه قبل ذلك بلخ ثم تلقاه بكندك مما يلى كش وأخذ أبو داود من الاخريد وأصحابه حين قتلهم من الأوانى الصينية المنقوشة المذهبة التى لم ير مثلها ومن السروج الصينية ومتاع الصين كله من الديباج وغيره ومن طرف الصين شيئا كثيرا فحمله أبو داود أجمع الى أبى مسلم وهو بسمرقند وقتل أبو داود دهقان كش فى عدة من دهاقينها واستحيا طاران أخا الأخريد وملكه على كش وأخذ ابن النجاح ورده الى

أرضه وانصرف أبو مسلم إلى مرو بعد أن قتل فى أهل الصغد وأهل بخارى وأمر ببناء حائط سمرقند واستخلف زياد بن صالح على الصغد وأهل بخارى ثم رجع أبو داود الى بلخ ﴿ وفى هذه السنة ﴾ وجه أبو العباس موسى بن كعب الى الهند لقتال منصور بن جمهور وفرض لثلاثة آلاف رجل من العرب والموالى بالبصرة ولألف من بنى تميم خاصة فشخص واستخلف مكانه على شرطة أبى العباس المسيب بن زهير حتى ورد السند ولقى منصور بن جمهور فى اثنى عشر ألفا فهزمه ومن معه ومضى فمات عطشا فى الرمال ﴿ وقد قيل ﴾ أصابه بطن وبلغ خليفة منصور وهو بالمنصورة هزيمة منصور فرحل بعيال منصور وثقله وخرج بهم فى عدة من ثقاته فدخل بهم بلاد الخزر ﴿ وفيها ﴾ توفى محمد بن يزيد ابن عبد الله وهو على اليمن فكتب أبو العباس إلى علىّ بن الربيع بن عبيد الله الحارثى وهو عامل لزياد بن عبيد الله على مكة بولايته على اليمن فسار إليها ﴿ وفى هذه السنة ﴾ تحول أبو العباس من الحيرة إلى الأنبار وذلك فيما قال الواقدى وغيره فى ذى الحجة ﴿ وفيها ﴾ عزل صالح بن صبيح عن أرمينية وجعل مكانه يزيد بن أسيد ﴿ وفيها ﴾ عزل مجاشع بن يزيد عن أذربيجان واستعمل عليها محمد بن صول ﴿ وفيها ﴾ ضرب المنار من الكوفة إلى مكة والأميال وحج بالناس فى هذه السنة عيسى بن موسى وهو على الكوفة وأرضها وكان على قضاء الكوفة ابن أبى ليلى وعلى المدينة ومكة والطائف واليمامة زياد بن عبيد الله وعلى اليمن على بن الربيع الحارثى وعلى البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان والعرض ومهرجانقذق سليمان بن على وعلى قضائها عباد بن منصور وعلى السند موسى بن كعب وعلى خراسان والجبال أبو مسلم وعلى فلسطين صالح بن على وعلى مصر أبو عون وعلى موصل إسماعيل بن على وعلى أرمينية يزيد بن أسيد وعلى أذربيجان محمد بن صول وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك وعلى الجزيرة عبد الله بن محمد أبو جعفر وعلى قنسرين وحمص وكور دمشق والأردن عبد الله بن على

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة

ذكر ما كان فيها من الاحداث

فمما كان فيها من ذلك خروجُ زياد بن صالح وراء نهر بلخ فشخص أبو مسلم من مرو مستعدا للقائه وبعث أبو داود خالد بن ابراهيم نصر بن راشد الى الترمذ وأمره أن ينزل مدينتها مخافة أن يبعث زياد بن صالح إلى الحصن والسفن فيأخذها ففعل ذلك نصر وأقام بها أياما فخرج عليه ناس من الراوندية من أهل الطالقان مع رجل يكنى أبا اسحاق فقتلوا نصراً فلما بلغ ذلك أبا داود بعث عيسى بن ماهان فى تتبع قتلة نصر فتتبعهم فقتلهم فمضى أبو مسلم مسرعا حتى انتهى إلى آمُل ومعه سباع بن النعمان الأزدى وهو الذى كان قدم بعهد زياد بن صالح من قِبل أبى العباس وأمره إن رأى فرصة أن يَثب على أبى مسلم فيقتله فأخبر أبو مسلم بذلك فدفع سباع بن النعمان إلى الحسن بن الجنيد عامله على آمل وأمره بحبسه عِنده وعبر أبو مسلم إلى بخارى فلما نزلها أتاه أبو شاكر وأبو سعد الشروى فى قواد قد خلعوا زياداً فسألهم أبو مسلم عن أمر زياد ومن أفسده قالوا سباع بن النعمان فكتب إلى عامله على آمل أن يضرب سباعا مائة سوط ثم يضرب عنقه ففعل ولما أسلم زيادا قواده ولحقوا بأبى مسلم لجأ إلى دهقان باركث فوثب عليه الدهقان فضرب عنقه وجاء برأسه إلى أبى مسلم فأبطأ أبو داود على أبى مسلم لحال الراوندية الذين كانوا خرجوا فكتب إليه أبو مسلم أما بعد فليفرج روعك ويأمن سِربك فقد قتل الله زياداً فاقدم فقدم أبو داود كش وبعث عيسى بن ماهان إلى بسام وبعث ابن النجاح إلى الاصبهبذ الى شاوغر فحاصر الحصن فأما أهل شاوغر فسألوا الصلح فأجيبوا الى ذلك فأما بسام فلم يصل عيسى بن ماهان إلى شئ منه حتى ظهر أبو مسلم بستة عشر كتابا وجدها من عيسى بن ماهان الى كامل بن مظفر صاحب أبى مسلم يعيب فيها أبا داود وينسبه فيها إلى العصبية وإيثاره العرب وقومه على غيرهم من أهل هذه الدعوة وإن فى عسكره ستة وثلاثون سُرادقا للمستأمنة فبعث بها ابو مسلم

الى أبى داود وكتب اليه أن هذه كتب العلج الذى صيرته عدل نفسك فشأنك به فكتب أبو داود إلى عيسى بن ماهان يأمره بالانصراف اليه عن بسام فلما قدم عليه حبسه ودفعه الى عمر النغم وكان فى يده محبوساً ثم دعا به بعد يومين أو ثلاثة فذكره صنيعته به وإيثاره اياه على ولده فأقرّ بذلك فقال أبو داود فكان جزاء ماصنعت بك أن سعيت بى وأردت قتلى فأنكر ذلك فأخرج كتبه فعرفها فضربه ابو داود يومئذ حدّين أحدهما للحسن بن حمدان ثم قال أبو داود أما انى قد تركت ذنبك لك ولكن الجند أعلم فاخرج فى القيود فلما أخرج من السرادق وثب عليه حرب بن زياد وحفص بن دينار مولى يحيى بن حضين فضرباه بعمود وطبر زين فوقع إلى الأرض وعدا عليه أهل الطالقان وغيرهم فأدخلوه فى جوالق وضربوه بالأعمدة حتى مات ورجع ابو مسلم الى مرو ﴿ وحج ﴾ بالناس فى هذه السنة سليمان بن علىّ وهو على البصرة وأعمالها وعلى قضائها عباد بن منصور وكان على مكة العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس وعلى المدينة زياد بن عبيدالله الحارثى وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى وعلى قضائها ابن أبى ليلى وعلى الجزيرة أبو جعفر المنصور وعلى مصر أبو عون وعلى حمص وقنسرين وبعلبك والغوطة وحوران والجولان والأردن عبد الله بن علىّ وعلى البلقاء وفلسطين صالح بن علىّ وعلى الموصل اسماعيل بن على وعلى أرمينية يزيد بن أسيد وعلى أذربيجان محمد بن صول وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

﴿ فنى هذه السنة ﴾ قدم أبو مسلم العراق من خراسان على أبى العباس أمير المؤمنين

ذكر الخبر عن قدومه عليه وماكان من أمره فى ذلك

* فذكر على بن محمد أن الهيثم بن عدى أخبره والوليد بن هشام عن أبيه قال لم يزل أبو مسلم مقيما بخراسان حتى كتب إلى أبى العباس يستأذنه فى القدوم عليه

فأجابه إلى ذلك فقدم على أبي العباس فى جماعة من أهل خراسان عظيمة ومن تبعه من غيرهم الأنبار فأمر أبو العباس الناس يتلقونه فتلقاه الناسُ وأقبل إلى أبى العباس فدخل عليه فأعظمه وأكرمه ثم استأذن أبا العباس فى الحج فقال لولا أن أبا جعفر يحج لاستعملتك على الموسم وأنزله قريبا منه فكان يأتيه فى كل يوم يسلم عليه فكان ما بين أبى جعفر وأبى مسلم متباعداً لأن أبا العباس كان بعث أبا جعفر إلى أبى مسلم وهو بنيسابور بعد ما صفت له الأمور بعهده على خراسان وبالبيعة لأبى العباس ولأبى جعفر من بعده فبايع له أبو مسلم وأهل خراسان وأقام أبو جعفر أياما حتى فرغ من البيعة ثم انصرف وكان أبو مسلم قد استخف بأبى جعفر فى مقدمه ذلك فلما قدم على أبى العباس أخبره بما كان من استخفافه به * قال على قال الوليد عن أبيه لما قدم أبو مسلم على أبى العباس قال أبو جعفر لأبى العباس يا أمير المؤمنين أطعْنى واقتل أبا مسلم فوالله إن فى رأسه لغدرة فقال يا أخى قد عرفتَ بلاءه وما كان منه فقال أبو جعفر يا أمير المؤمنين إنما كان بدولتنا والله لو بعثتَ سنوراً لقام مقامه وبلغ ما بلغ فى هذه الدولة فقال له أبو العباس فكيف نقتله قال إذا دخل عليك وحادثته وأقبل عليك دخلت فتغفلتُه فضربتُه من خلفه ضربة أتيت بها على نفسه فقال أبو العباس فكيف بأصحابه الذين يؤثرونه على دينهم ودنياهم قال يؤول ذلك كله إلى ما تريد ولو علموا أنه قد قُتل تفرقوا وذلوا قال عزمتُ عليك الا كففت عن هذا قال أخاف والله إن لم تتغدّه اليوم أن يتعشاك غداً قال فدونكه أنت أعلم قال فخرج أبو جعفر من عنده عازمًا على ذلك فندم أبو العباس وأرسل إلى أبى جعفر لا تفعل ذلك الأمر * وقيل إن أبا العباس لما أذن لأبى جعفر فى قتل أبى مسلم دخل أبو مسلم على أبى العباس فبعث أبو العباس خصياله فقال اذهب فانظر ما يصنع أبو جعفر فأتاه فوجده محتبيا بسيفه فقال للخصىّ أجالس أمير المؤمنين فقال له قد تهيأ للجلوس ثم رجع الخصىّ إلى أبى العباس فأخبره بما رأى منه فردّه إلى أبى جعفر وقال له قل له الأمر الذى عزمت عليه لا تنفذه فكف أبو جعفر (وفى هذه السنة) حج أبو جعفر المنصور وحج معه أبو مسلم

ذكر الخبر عن مسيرهما وعن صفة مقدمهما على أبى العباس

أما أبو مسلم فإنه فيما ذكر لما أراد القدوم على أبى العباس كتب يستأذنه فى القدوم للحج فأذن له وكتب اليه أن اقدم فى خمسمائة من الجند فكتب اليه أبو مسلم إنى قد وترت الناس ولست آمن على نفسى فكتب اليه أن أقبل فى ألف فإنما أنت فى سلطان أهلك ودولتك وطريق مكة لايحتمل العسكر فشخص فى ثمانية آلاف فرقهم فيما بين نيسابور والرىّ وقدم بالأموال والخزائن فخلفها بالرىّ وجمع أيضا أموال الجبل وشخص منها فى ألف وأقبل فلما أراد الدخول تلقاه القوّاد وسائر الناس ثم استأذن أبا العباس فى الحج فأذن له وقال لولا أن أبا جعفر حاج لوليتك الموسم * وأما أبو جعفر فإنه كان أميرا على الجزيرة وكان الواقدىّ يقول كان اليه مع الجزيرة أرمينية وأذربيجان فاستخلف على عمله مقاتل ابن حكيم العكىّ وقدم على أبى العباس فاستأذنه فى الحج * فذكر علىّ بن محمد عن الوليد بن هشام عن أبيه أن أبا جعفر سار إلى مكة حاجا وحج معه أبو مسلم سنة ١٣٦ فلما انقضى الموسم أقبل أبو جعفر وأبو مسلم فلما كان بين البستان وذات عرق أتى أبا جعفر كتاب بموت أبى العباس وكان أبو جعفر قد تقدّم أبا مسلم بمرحلة فكتب إلى أبى مسلم أنه قد حدث أمرٌ فالعَجل العجل فأتاه الرسول فأخبره فأقبل حتى لحق أبا جعفر وأقبلا إلى الكوفة ﴿وفى هذه السنة﴾ عقد أبو العباس عبدالله بن محمد بن علىّ لأخيه أبى جعفر الخلافة من بعده وجعله ولىّ عهد المسلمين ومن بعد أبى جعفر عيسى بن موسى بن محمد بن على وكتب العهد بذلك وصيره فى ثوب وختم عليه بخاتمه وخواتيم أهل بيته ودفعه إلى عيسى بن موسى ﴿وفيها﴾ توفى أبو العباس أمير المؤمنين بالأنبار يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة وكانت وفاته فيما قيل بالجَدَرى وقال هشام بن محمد توفى لاثنتى عشرة ليلة مضت من ذى الحجة واختلف فى مبلغ سنه يوم وفاته فقال بعضهم كان له يوم توفى ثلاث وثلاثون سنة وقال هشام بن محمد كان يوم توفى ابن ست وثلاثين سنة وقال بعضهم كان له ثمان وعشرون سنة وكانت ولايته من لدن قُتل مروان

ابن محمد إلى أن توفى أربع سنين ومن لدن بويع له بالخلافة إلى أن مات أربع سنين وثمانية أشهر وقال بعضهم وتسعة أشهر وقال الواقدى أربع سنين وثمانية أشهر منها ثمانية أشهر وأربعة أيام يقاتل مروان وملك بعد مروان أربع سنين وكان فيما ذكر ذا شعرة جعدة وكان طويلا أبيض أقنى الأنف حسن الوجه واللحية وأمه ريطة بنت عبيدالله بن عبدالله بن عبدالمدان بن الديان الحارثى وكان وزيره أبو الجهم بن عطية وصلى عليه عمه عيسى بن على ودفنه بالأنبار العتيقة فى قصره وكان فيما ذكر خلف تسع جباب وأربعة أقمصة وخمسة سراويلات وأربعة طيالسة وثلاثة مطاريف خز

خلافة أبى جعفر المنصور وهو عبدالله بن محمد

(وفى هذه السنة) بويع لأبى جعفر المنصور بالخلافة وذلك فى اليوم الذى توفى فيه أخوه أبو العباس وأبو جعفر يومئذ بمكة وكان الذى أخذ البيعة بالعراق لأبى جعفر بعد موت أبى العباس عيسى بن موسى وكتب اليه عيسى يُعلمه بموت أخيه أبى العباس وبالبيعة له * وذكر على بن محمد عن الهيثم عن عبدالله بن عياش قال لما حضرت أبا العباس الوفاة أمر الناس بالبيعة لعبدالله بن محمد أبى جعفر فبايع الناس له بالأنبار فى اليوم الذى مات فيه أبو العباس قام بأمر الناس عيسى بن موسى وأرسل عيسى بن موسى إلى أبى جعفر وهو بمكة محمد بن الحصين العبدىّ بموت أبى العباس وبالبيعة له فلقيه بمكان من الطريق يقال له زكية فلما جاءه الكتاب دعا الناس فبايعوه وبايعه أبو مسلم فقال أبو جعفر أين موضعنا هذا قالوا زكية فقال أمر يَزْكى لنا إن شاء الله تعالى وقال بعضهم ورد على أبى جعفر البيعة له بعد ما صدر من الحج فى منزل من منازل طريق مكة يقال له صُفَيَّة فتفاءل باسمه وقال صَفَتْ لنا إن شاء الله تعالى (رجع الحديث) إلى حديث علىّ بن محمد فقال علىّ حدّثنى الوليد عن أبيه قال لما أتى الخبر أبا جعفر كتب إلى أبى مسلم وهو نازل بالماء وقد تقدّمه أبو جعفر فأقبل أبو مسلم حتى

قدم عليه وقيل إن أبا مسلم كان هو الذى تقدّم أبا جعفر فعرف الخبر قبله فكتب إلى أبى جعفر بسم الله الرحمن الرحيم عافاك الله وأمتع بك إنه أتانى أمر أفظعنى وبلغ منى مبلغاً لم يبلغه شىء قط لقينى محمد بن الحصين بكتاب من عيسى بن موسى إليك بوفاة أبى العباس أمير المؤمنين رحمه الله فنسأل الله أن يعظم أجرك ويحسّن الخلافة عليك ويبارك لك فيما أنت فيه إنه ليس من أهلك أحد أشدّ تعظيما لحقك وأصفى نصيحة لك وحرصاً على ما يسرك منى وأنفذ الكتاب إليه ثم مكث أبو مسلم يومه ومن الغد ثم بعث إلى أبى جعفر بالبيعة وإنما أراد ترهيب أبى جعفر بتأخيرها ﴿رجع الحديث﴾ إلى حديث علىّ بن محمد فلما جلس أبو مسلم ألقى إليه الكتاب فقرأه وبكى واسترجع قال ونظر أبو مسلم إلى أبى جعفر وقد جزع جزعا شديداً فقال ما هذا الجزع وقد أتتك الخلافة فقال أتخوّف شرّ عبد الله بن على وشيعة على فقال لاتخفه فأنا أكفيك أمره إن شاء الله إنما عامة جُندِه ومن معه أهل خراسان وهم لا يعصوننى فسرّى عن أبى جعفر ما كان فيه وبايع له أبو مسلم وبايع الناسُ وأقبلا حتى قدما الكوفة وردّ أبو جعفر زياد بن عبيد الله إلى مكة وكان قبل ذلك واليا عليها وعلى المدينة لأبى العباس وقيل إن أبا العباس كان قد عزل قبل موته زياد بن عبيد الله الحارثىّ عن مكة وولاها العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس ﴿وفى هذه السنة﴾ قدم عبد الله ابن على على أبى العباس الأنبار فعقد له أبو العباس على الصائفة فى أهل خراسان وأهل الشأم والجزيرة والموصل فسار فبلغ دلوك ولم يُدْرِبْ حتى أتته وفاة أبى العباس ﴿وفى هذه السنة﴾ بعث عيسى بن موسى وأبو الجهم يزيدَ بن زياد أبا غسان إلى عبد الله بن على ببيعة المنصور فانصرف عبدُ الله بن على بمن معه من الجيوش قد بايع لنفسه حتى قدم حران وأقام الحج للناس فى هذه السنة أبو جعفر المنصور وقد ذكرنا ما كان إليه من العمل فى هذه السنة ومن استخلف عليه حين شخص حاجا وكان على الكوفة عيسى بن موسى وعلى قضائها ابن أبى ليلى وعلى البصرة وعملها سليمان بن على وعلى قضائها عباد ابن منصور وعلى المدينة زياد بن عبيد الله الحارثى وعلى مكة العباس بن عبد الله ابن معبد وعلى مصر صالح بن علىّ

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة

ذكر الخبر عما كان فى هذه السنة من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك قدوم المنصور أبى جعفر من مكة ونزوله الحيرة فوجد عيسى بن موسى قد شخص إلى الأنبار واستخلف على الكوفة طلحة بن إسحاق بن محمد بن الأشعث فدخل أبو جعفر الكوفة فصلى بأهلها الجمعة يوم الجمعة وخطبهم وأعلمهم أنه راحل عنهم ووافاه أبو مسلم بالحيرة ثم شخص أبو جعفر إلى الأنبار وأقام بها وجمع إليه أطرافه وذكر على بن محمد عن الوليد عن أبيه أن عيسى بن موسى كان قد أحرز بيوت الأموال والخزائن والدواوين حتى قدم عليه أبو جعفر الأنبار فبايع الناس له بالخلافة ثم لعيسى بن موسى من بعده فسلم عيسى بن موسى إلى أبى جعفر الأمر وقد كان عيسى بن موسى بعث أباغسان واسمه يزيد بن زياد وهو حاجب أبى العباس إلى عبد الله بن على ببيعة أبى جعفر وذلك بأمر أبى العباس قبل أن يموت حين أمر الناس بالبيعة لأبى جعفر من بعده فقدم أبو غسان على عبد الله بن على بأفواه الدروب متوجهاً يريد الروم فلما قدم عليه أبو غسان بوفاة أبى العباس وهو نازل بموضع يقال له دلوك أمر منادياً فنادى الصلاة جامعة فاجتمع إليه القواد والجند فقرأ عليهم الكتاب بوفاة أبى العباس ودعا الناس إلى نفسه وأخبرهم أن أبا العباس حين أراد أن يُوجه الجنود إلى مروان بن محمد دعا بنى أبيه فأرادهم على المسير إلى مروان بن محمد وقال من انتدب منكم فسار إليه فهو ولى عهدى فلم ينتدب له غيرى فعلى هذا خرجتُ من عنده وقتلتُ من قتلت فقام أبو غانم الطائى وخفاف المروروذى فى عدة من قواد أهل خراسان فشهدوا له بذلك فبايعه أبو غانم وخفاف وأبو الأصبغ وجميع من كان معه من أولئك القواد فيهم حميد بن قحطبة وخفاف الجرجانى وحياش بن حبيب ومخارق ابن غفار وتُرارَخُدا وغيرهم من أهل خراسان والشأم والجزيرة وقد نزل تل محمد فلما فرغ من البيعة ارتحل فنزل حران وبها مقاتل العكى وكان أبو جعفر

استخلفه لما قدم على أبي العباس فأراد مقاتلا على البيعة فلم يجبه وتحصن منه فأقام عليه وحصره حتى استنزله من حصنه فقتله وسرح أبو جعفر لقتال عبد الله بن على أبا مسلم فلما بلغ عبد الله إقبال أبي مسلم أقام بحران وقال أبو جعفر لأبي مسلم إنما هو أنا أو أنت فسار أبو مسلم نحو عبد الله بحران وقد جمع إليه الجنود والسلاح وخندق وجمع إليه الطعام والعلوفة وما يصلحه ومضى أبو مسلم سائراً من الأنبار ولم يتخلف منه من القواد أحد وبعث على مقدمته مالك ابن الهيثم الخزاعى وكان معه الحسن وحميد ابنا قحطبة وكان حميد قد فارق عبد الله بن على وكان عبد الله أراد قتله وخرج معه أبو اسحاق وأخوه وأبو حميد وأخوه وجماعة من أهل خراسان وكان أبو مسلم استخلف على خراسان حيث شخص خالد بن ابراهيم أبا داود ٭ قال الهيثم كان حصار عبد الله بن على مقاتلا العكى أربعين ليلة فلما بلغه مسير أبي مسلم اليه وأنه لم يظفر بمقاتل وخشى أن يهجم عليه أبو مسلم أعطى العكى أمانا فخرج اليه فيمن كان معه وأقام معه أياما يسيرة ثم وجهه إلى عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدى إلى الرقة ومعه ابناه وكتب إليه كتابا دفعه إلى العكى فلما قدموا على عثمان قتل العكى وحبس ابنيه فلما بلغه هزيمة عبد الله بن على وأهل الشأم بنصيبين أخرجهما فضرب أعناقهما وكان عبد الله بن على خشى ألا يناصحه أهل خراسان فقتل منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً أمر صاحب شرطه فقتلهم وكتب لحميد بن قحطبة كتابا ووجهه إلى حلب وعليها زفر بن عاصم وفى الكتاب إذا قدم عليك حميد بن قحطبة فاضرب عنقه فسار حميد حتى إذا كان ببعض الطريق فكر فى كتابه وقال إن ذهابى بكتاب ولا أعلم مافيه لغرر ففك الطومار فقرأه فلما رأى مافيه دعا أناسا من خاصته فأخبرهم الخبر وأفشى اليهم أمره وشاورهم وقال من أراد منكم أن ينجو ويهرب فليسر معى فانى أريد أن آخذ طريق العراق وأخبرهم ما كتب به عبد الله بن على فى أمره وقال لهم من لم يرد منكم أن يحمل نفسه على السير فلا يفشين سرى وليذهب حيث أحب قال فاتبعه على ذلك ناس من أصحابه فأمر حميد بدوابه فأنعلت وأنعل أصحابه دوابهم وتأهبوا

للمسير معه ثم فوّز بهم وبهرَجَ الطريق فأخذ على ناحية من الرصافة رصافة هشام بالشأم وبالرصافة يومئذ مولى لعبد الله بن علىّ يقال له سعيد البربرى فبلغه أن حميد بن قحطبة قد خالف عبد الله بن علىّ وأخذ فى المفازة فسار فى طلبه فيمن معه من فرسانه فلحقه ببعض الطريق فلما بصر به حميد ثنى فرسه نحوه حتى لقيه فقال له ويحك أما تعرفنى والله مالك فى قتالى من خير فارجع فلا تقتل أصحابى وأصحابك فهو خير لك فلما سمع كلامه عرف ماقال له فرجع إلى موضعه بالرصافة ومضى حميد ومن كان معه فقال له صاحب حرسه موسى بن ميمون إن لى بالرصافة جارية فان رأيت أن تأذن لى فآتيها فأوصيها ببعض ماأريد ثم ألحقك فأذن له فأتاها فأقام عندها ثم خرج من الرصافه يريد حميداً فلقيه سعيد البربرى مولى عبد الله ابن علىّ فأخذه فقتله وأقبل عبد الله بن على حتى نزل نصيبين وخندق عليه وأقبل أبو مسلم وكتب أبو جعفر إلى الحسن بن قحطبة وكان خليفته بأرمينية أن يوافى أبا مسلم فقدم الحسن بن قحطبة على أبى مسلم وهو بالموصل وأقبل أبو مسلم فنزل ناحية لم يعرض له وأخذ طريق الشأم وكتب إلى عبد الله إنى لم أومَر بقتالك ولم أوجَّه له ولكن أمير المؤمنين ولانى الشأم وإنما أريدها فقال من كان مع عبد الله من أهل الشأم لعبد الله كيف نقيم معك وهذا يأتى بلادنا وفيها حرمنا فيقتل من قدر عليه من رجالنا ويسبى ذرارينا ولكنا نخرج إلى بلادنا فنمنعه حرمنا وذرارينا ونقاتله إن قاتلنا فقال لهم عبد الله بن علىّ إنه والله مايريد الشأم وماوجه إلا لقتالكم ولئن أقمتم ليأتينكم قال فلم تطب أنفسهم وأبوا إلا المسير إلى الشأم قال وأقبل أبو مسلم فعسكر قريباً منهم وارتحل عبد الله بن على من عسكره متوجهانحو الشأم وتحول أبو مسلم حتى نزل فى معسكر عبد الله بن على فى موضعه وعوّر ماكان حوله من المياه وألقى فيها الجيف وبلغ عبد الله بن على نزول أبى مسلم معسكره فقال لأصحابه من أهل الشأم ألم أقل لكم وأقبل فوجد أبا مسلم قد سبقه إلى معسكره فنزل فى موضع عسكر أبى مسلم الذى كان فيه فاقتتلوا أشهراً خمسة أو ستة وأهل الشأم أكثر فرسانا وأكمل عدة وعلى ميمنة عبد الله بكار بن مسلم العقيلى وعلى ميسرته

حبيب بن سويد الأسدى وعلى الخيل عبد الصمد بن على وعلى ميمنة أبى مسلم الحسن بن قحطبة وعلى الميسرة أبو نصر خازم بن خزيمة فقاتلوه أشهراً قال على قال هشام بن عمرو التغلبي كنت فى عسكر أبى مسلم فتحدث الناس يوما فقيل أى الناس أشد فقال قولوا حتى أسمع فقال رجل أهل خراسان وقال آخر أهل الشأم فقال أبو مسلم كل قوم فى دولتهم أشد الناس قال ثم التقينا فحمل علينا أصحاب عبد الله بن على فصدمونا صدمة أزالونا بها عن مواضعنا ثم انصرفوا وشدّ علينا عبد الصمد فى خيل مجردة فقتل منا ثمانية عشرة رجلا ثم رجع فى أصحابه ثم تجمّعوا فرموا بأنفسهم فأزالوا صفنا وجلنا جولة فقلت لأبى مسلم لو حركت دابتى حتى أشرف هذا التل فأصيح بالناس فقد انهزموا فقال افعل قال قلت وأنت أيضا فتحرك دابتك فقال إن أهل الحجَى لا يعطفون دوابهم على هذه الحال نادِ يا أهل خراسان ارجعوا فإن العاقبة لمن اتقى قال ففعلت فتراجع الناس وارتجز أبو مسلم يومئذ فقال:

مَنْ كان ينوى أهله فلا رجَعْ فَرَّ مِنَ الموت وفى الموت وقَعْ

* قال وكان قد عمل لأبى مسلم عريش فكان يجلس عليه إذا التقى الناس فينظر إلى القتال فان رأى خللا فى الميمنة أو فى الميسرة أرسل إلى صاحبها ان فى ناحيتك انتشاراً فاتق ألا تؤتى من قبلك فافعل كذا قدم خيلك كذا أو تأخر كذا إلى موضع كذا فانما رسله تختلف اليهم برأيه حتى ينصرف بعضهم عن بعض قال فلما كان يوم الثلاثاء أو الأربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ١٣٦ أو ١٣٧ التقوا فاقتتلوا قتالا شديداً فلما رأى ذلك أبو مسلم مكر بهم فأرسل إلى الحسن بن قحطبة وكان على ميمنته أن أعر الميمنة وضُمّ أكثرها إلى الميسرة وليكن فى الميمنة حماة أصحابك وأشداؤهم فلما رأى ذلك أهل الشأم أعروا ميسرتهم وانضموا الى ميمنتهم بإزاء ميسرة أبى مسلم ثم أرسل أبو مسلم الى الحسن أن مُر أهل القلب فليحملوا مع من بقى فى الميمنة على ميسرة أهل الشأم فحملوا عليهم فحطموهم وجال أهل القلب والميمنة قال وركبهم أهل خراسان فكانت الهزيمة

فقال عبدالله بن على لابن سراقة الأزدى وكان معه يا ابن سراقة ما ترى قال أرى والله أن تصبر و تقاتل حتى تموت فان الفرار قبيح بمثلك و قبل عبته على مروان فقلت قبّح الله مروان جزع من الموت ففرّ قال فانى آتى العراق قال فأنا معك فانهزموا و تركوا عسكرهم فاحتواه أبو مسلم و كتب بذلك إلى أبى جعفر فأرسل أبو جعفر أبا الخصيب مولاه يحصى ما أصابوا فى عسكر عبد الله بن على فغضب من ذلك أبو مسلم ومضى عبد الله بن على و عبد الصمد بن على فأما عبد الصمد فقدم الكوفة فاستأمن له عيسى بن موسى فآمنه أبو جعفر و أما عبد الله بن على فأتى سليمان بن على بالبصرة فأقام عنده وآمن أبو مسلم الناس فلم يقتل أحداً وأمر بالكف عنهم ويقال بل استأمن لعبد الصمد بن على اسماعيل بن على * وقد قيل ان عبد الله بن على لما انهزم مضى هو وعبد الصمد أخوه إلى رصافة هشام فأقام عبد الصمد بها حتى قدمت عليه خيول المنصور و عليها جمهور بن مرار العجلى فأخذه فبعث به إلى المنصور مع أبى الخصيب مولاه موثقاً فلما قدم عليه أمر بصرفه إلى عيسى ابن موسى فآمنه عيسى وأطلقه وأكرمه وحباه وكساه وأما عبد الله بن على فلم يلبث بالرصافة إلا ليلة ثم أدلج فى قواده ومواليه حتى قدم البصرة على سليمان بن على وهو عاملها يومئذ فآواهم سليمان وأكرمهم وأقاموا عنده زمانا متوارين

(وفى هذه السنة) قُتل أبو مسلم

ذكر الخبر عن مقتله وعن سبب ذلك

* حدثنى أحمد بن زهير قال حدثنا على بن محمد قال حدثنا سلمة بن محارب ومسلم ابن المغيرة وسعيد بن أوس وأبو حفص الازدى والنعمان أبو السرى ومحرز ابن ابراهيم وغيرهم ان أبا مسلم كتب إلى أبى العباس يستأذنه فى الحج وذلك فى سنة ١٣٦ وإنما أراد أن يصلى بالناس فأذن له وكتب أبو العباس إلى أبى جعفر وهو على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان أن أبا مسلم كتب إلى يستأذن فى الحج وقد أذنتُ له وقد ظننتُ أنه إذا قدم يريد أن يسألنى أن أوليه اقامة الحج للناس فاكتب إلى تستأذننى فى الحج فانك اذا كنت بمكة لم يطمع أن يتقدمك فكتب

أبو جعفر إلى أبى العباس يستأذنه فى الحج فأذن له فوافى الأنبار فقال أبو مُسلم أما وجد أبو جعفر عاماً يحج فيه غير هذا واضطغنها عليه * قال علىّ قال مسلم بن المغيرة استخلف أبو جعفر على أرمينية فى تلك السنة الحسن بن قحطبة * وقال غيره استعمل رضيعه يحيى بن مسلم بن عروة وكان أسود مولى لهم فخرجا إلى مكة فكان أبو مسلم يصلح العقاب ويكسو الأعراب فى كل منزل ويصلُ من سأله وكسا الأعراب البتوت والملاحف وحفر الآبار وسهل الطرق فكان الصوت له فكان الأعراب يقولون هذا المكذوب عليه حتى قدم مكة فنظر إلى اليمانية فقال لنيزك وضرب جنبه يا نيزكُ أىّ جند هؤلاء لو لقيهم رجل ظريف اللسان سريع الدمعة (ثم رجع الحديث) الى حديث الأولين * قالوا لما صدر الناس عن الموسم نفر ابو مسلم قبل أبى جعفر فتقدمه فأتاه كتابٌ بموت أبى العباس واستخلاف أبى جعفر فكتب أبو مسلم إلى أبى جعفر يعزيه بأمير المؤمنين ولم يهنئه بالخلافة ولم يقم حتى يلحقه ولم يرجع فغضب ابو جعفر فقال لأبى أيوب ! كتب اليه كتاباً غليظا فلما أتاه كتاب أبى جعفر كتب اليه يهنئه بالخلافة فقال يزيد بن أسيد السلمى لابى جعفر انى أكره أن تجامعه فى الطريق والناس جنده وهم له أطوعُ وله أهيبُ وليس معك أحدٌ فأخذ برأيه فكان يتأخر ويتقدم ابو مسلم وأمر ابو جعفر أصحابه فقدموا فاجتمعوا جميعا وجمع سلاحهم فما كان فى عسكره إلا ستة أذرع فمضى ابو مسلم الى الأنبار ودعا عيسى بن موسى الى أن يبايع له فأبى عيسى فقدم ابو جعفر فنزل الكوفة وأتاه أن عبد الله بن علىّ قد خلع فرجع إلى الأنبار فدعا أبا مسلم فعقد له وقال له سِر الى ابن علىّ فقال له أبو مسلم ان عبد الجبار بن عبد الرحمن وصالح بن الهيثم يعيبانى فاحبسهما فقال أبو جعفر عبد الجبار على شرطى وكان قبل على شرط أبى العباس وصالح بن الهيثم أخو أمير المؤمنين من الرضاعة فلم أكن لأحبسهما لظنك بهما قال أراهما آثر عندك منى فغضب ابو جعفر فقال أبو مسلم لم أرد كلّ هذا * قال علىّ قال مسلم بن المغيرة كنت مع الحسن بن قحطبة بأرمينية فلما وجه ابو مسلم الى الشأم كتب ابو جعفر إلى الحسن أن يوافيه ويسير

معه فقدمنا على أبى مسلم وهو بالموصل فأقام أياماً فلما اراد ان يسير قلت للحسن انتم تسيرون إلى والقتال وليس بك إلىّ حاجة فلو أذنت لى فأتيت العراق فأقمت حتى تقدموا ان شاء الله قال نعم لكن أعلمنى إذا أردت الخروج قلت نعم فلما فرغت وتهيأت اعلمته وقلتُ أتيتك أودّعك قال قف لى بالباب حتى أخرج إليك فخرجتُ فوقفتُ وخرج فقال إنى أريد أن ألقى إليك شيئا لتبلغه أبا أيوب ولولا ثقتى بك لم أخبرك ولولا مكانك من أبى أيوب لم أخبرك فأبلغ أبا أيوب إنى قد ارتبتُ بأبى مسلم منذ قدمتُ عليه أنه يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرأه ثم يلوى شِدقه ويرمى بالكتاب إلى أبى نصر فيقرأه ويضحكان استهزاء قلتُ نعم قد فهمت فلقيتُ أبا أيوب وأنا أرى ان قد أتيته بشىء فضحك وقال نحن لأبى مسلم أشد تهمة منا لعبد الله بن علىّ إلا انا نرجو واحدة نعلم أن اهل خراسان لا يحبون عبدالله بن علىّ وقد قتل منهم من قتل وكان عبد الله بن علىّ حين خلع خاف اهل خراسان فقتل منهم سبعة عشر ألفا أمر صاحب شرطته حياش ابن حبيب فقتلهم * قال علىّ فذكر ابو حفص الأزدى ان ابا مسلم قاتل عبد الله بن علىّ فهزمه وجمع ما كان فى عسكره من الأموال فصيره فى حظيرة واصاب عينا ومتاعا وجوهراً كثيراً فكان منثوراً فى تلك الحظيرة ووكل بها وبحفظها قائداً من قواده فكنت فى أصحابه فجعلها نوائب بيننا فكان إذا خرج رجل من الحظيرة فتشه فخرج أصحابى يوما من الحظيرة وتخلفت فقال لهم الأمير ما فعل أبو حفص فقالوا هو فى الحظيرة قال فجاء فاطلع من الباب وفطنت له فنزعت خُفَّىّ وهو ينظر فنفضتهما وهو ينظر ونفضت سراويلى وكمى ثم لبست خفىّ وهو ينظر ثم قام فقعد فى مجلسه وخرجت فقال ماحبسك قلت خير فخلانى فقال قد رأيت ماصنعت فلِمَ صنعت هذا قلت إن فى الحظيرة لؤلؤا منثورا ودراهم منثورة ونحن نتقلب عليها فخفت أن يكون قد دخل فى خفى منها شىء فنزعت خفى وجوربىّ فأعجبه ذلك وقال انطلق فكنت أدخل الحظيرة مع من يحفظ فآخذ من الدراهم ومن تلك الثياب الناعمة فأجعل بعضها فى خفىّ وأشدّ

بعضها على بطنى ويخرج أصحابى فيفتشون ولا أفتش حتى جمعت مالا قال وأما اللؤلؤ فانى لم أكن أمسه (ثم رجع الحديث) إلى حديث الذين ذكر علىّ عنهم قصة أبى مسلم فى أول الخبر قالوا ولما انهزم عبد الله بن علىّ بعث أبو جعفر أبا الخصيب إلى أبى مسلم ليكتب له ماأصاب من الأموال فافترى أبو مسلم على أبى الخصيب وهم بقتله فكلم فيه وقيل إنما هو رسول فخل سبيله فرجع إلى أبى جعفر وجاء القواد إلى أبى مسلم فقالوا نحن ولينا أمر هذا الرجل وغنمنا عسكره فلم يسئل عما فى أيدينا إنما لأمير المؤمنين من هذا الخمس فلما قدم أبو الخصيب على أبى جعفر أخبره أن أبا مسلم هم بقتله فخاف أن يمضى أبو مسلم إلى خراسان فكتب إليه كتابا مع يقطين أن قد وليتك مصر والشأم فهى خير لك من خراسان فوجه إلى مصر من أحببت وأقم بالشأم فتكون بقرب أمير المؤمنين فان احب لقاءك أتيته من قريب فلما أتاه الكتاب غضب وقال هو يولينى الشأم ومصر وخراسان لى وأعتزم بالمضىّ إلى خراسان فكتب يقطين إلى أبى جعفر بذلك وقال غير من ذكرت خبره لما ظفر أبو مسلم بعسكر عبدالله ابن علىّ بعث المنصور يقطين بن موسى وأمره أن يحصى مافى العسكر وكان أبو مسلم يسميه يك دين فقال أبو مسلم يا يقطين أمين على الدماء خائن فى الأموال وشتم أبا جعفر فأبلغه يقطين ذلك وأقبل أبو مسلم من الجزيرة مجمعا على الخلاف وخرج من وجهه معارضا يريد خراسان وخرج أبو جعفر من الأنبار إلى المدائن وكتب إلى أبى مسلم فى المصير إليه فكتب أبو مسلم وقد نزل الزاب وهو على الرواح إلى طريق حلوان أنه لم يبق لأمير المؤمنين أكرمه الله عدوّ إلا أمكنه الله منه وقد كنا نروى عن ملوك آل ساسان أن أخوف مايكون الوزراء إذا سكنت الدهماء فنحن نافرون من قربك حريصون على الوفاء بعهدك ماوفيت حريون بالسمع والطاعة غير أنها من بعيد حيث تقارنها السلامة فإن أرضاك ذاك فأنا كأحسن عبيدك فان أبيت إلا أن تعطى نفسك إرادتها أنقضت ماأبرمتُ من عهدك ضنًّا بنفسى فلما وصل الكتاب إلى المنصور كتب إلى أبى مسلم قد

فهمت كتابك وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغششة ملوكهم الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم فانما راحتهم فى انتشار نظام الجماعة فلم سويت نفسك بهم فأنت فى طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما حملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به وليس مع الشريطة التى أوجبت منك سماع ولا طاعة وحمل إليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكن إليها إن أصغيت إليها وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك فانه لم يجد بابا يفسد به نيتك أوكد عنده وأقرب من طبه من الباب الذى فتحه عليك ووجه إليه جرير بن يزيد ابن جرير بن عبد الله البجلى وكان واحد أهل زمانه نخدعه ورده وكان أبو مسلم يقول والله لأقتلن بالروم وكان المنجمون يقولون ذلك فأقبل والمنصور فى الرومية فى مضارب وتلقاه الناس وأنزله وأكرمه أياما وأما على فانه ذكر عن شيوخه الذين تقدم ذكرنا لهم أنهم قالوا كتب أبو مسلم إلى أبى جعفر أما بعد فانى اتخذت رجلا إماما ودليلا على ما افترض الله على خلقه وكان فى محلة العلم نازلا وفى قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قريباً فاستجهلنى بالقرآن فحرفه عن مواضعه طمعاً فى قليل قد تعافاه الله إلى خلقه فكان كالذى دلى بغرور وأمرنى أن أجرد السيف وأرفع الرحمة ولا أقبل المعذرة ولا أقيل العثرة ففعلت توطيداً لسلطانكم حتى عرفكم الله من كان جهلكم ثم استنقذنى الله بالتوبة فان يعف عنى فقدما عرف به ونسب إليه وإن يعاقبنى فبما قدمت يداى وما الله بظلام للعبيد وخرج أبو مسلم يريد خراسان مراغما مشاقا فلما دخل أرض العراق ارتحل المنصور من الأنبار فأقبل حتى نزل المدائن وأخذ أبو مسلم طريق حلوان فقال رُبَّ أمر لله دون حلوان وقال أبو جعفر لعيسى بن علىّ وعيسى بن موسى ومن حضره من بنى هاشم اكتبوا إلى أبى مسلم فكتبوا إليه يعظمون أمره ويشكرون ما كان منه ويسألونه أن يتم على ما كان منه وعليه من الطاعة ويحذرونه عاقبة الغدر ويأمرونه بالرجوع إلى أمير المؤمنين وأن يلتمس رضاه وبعث بالكتاب أبو جعفر مع أبى حميد المروروذى وقال له كلم أبا مسلم بألين ما تكلم به أحدا ومنّه وأعلمه أنى رافعه

وصانع به مالم يصنعه أحد إن هو صلح وراجع ماأحب فان أبى أن يرجع فقل له يقول لك امير المؤمنين لست للعباس وأنابرىء من محمد إن مضيت مشاقا ولم تأتنى إن وكلت امرك إلى احد سواى وإن لم أل طلبك وقتالك بنفسى ولو خُضْتَ البحر لخضته ولو اقتحمت النار لاقتحمتها حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك ولا تقولن له هذا الكلام حتى تأيس من رجوعه ولا تطمع منه فى خير فسار أبو حميد فى ناس من أصحابه ممن يثق بهم حتى قدموا على أبى مسلم بحلوان فدخل أبو حميد وأبو مالك وغيرهما فدفع إليه الكتاب وقال له إن الناس يبلغونك عن أمير المؤمنين مالم يقله وخلاف ماعليه رأيه فيك حسداً وبغيا يريدون إزالة النعمة وتغييرها فلا تفسد ما كان منك وكلمه وقال ياأبا مسلم إنك لم تزل أمين آل محمد يعرفك بذلك الناس وماذخر الله لك من الأجر عنده فى ذلك أعظم مما أنت فيه من دنياك فلا تحبط أجرك ولا يستهوينك الشيطان فقال له أبو مسلم متى كنت تكلمنى بهذا الكلام قال إنك دعوتنا إلى هذا وإلى طاعة أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم بنى العباس وأمرتنا بقتال من خالف ذلك فدعوتنا من أرضين متفرقة وأسباب مختلفة فجمعنا الله على طاعتهم وألف بين قلوبنا بمحبتهم وأعزنا بنشرنا لهم ولم نلق منهم رجلا إلا بما قذف الله فى قلوبنا حتى أتيناهم فى بلادهم ببصائرنا فذة وطاعة خالصة أفتريد حين بلغنا غاية منانا ومنتهى أملنا أن تفسد أمرنا وتفرق كلمتنا وقد قلت لنا من خالفكم فاقتلوه وإن خالفتكم فاقتلونى فأقبل على أبى نصر فقال يامالك أما تسمع ما يقول لى هذا ماهذا بكلامه يامالك قال لا تسمع كلامه ولا يهولنك هذا منه فلعمرى لقد صدقتَ ماهذا كلامه ولما بعد هذا أشد منه فامض لأمرك ولاترجع فوالله لئن أتيته ليقتلنك ولقد وقع فى نفسه منك شىء لا يأمنك أبداً فقال قوموا فنهضوا فأرسل أبو مسلم إلى نيزك وقال يانيزك إنى والله مارأيت طويلا أعقل منك فما ترى فقد جاءت هذه الكتب وقد قال القوم ما قالوا فقال لا أرى أن تأتيه وأرى أن تأتى الرىّ فتقيم بها فيصير مابين خراسان والرى لك وهم جندك مايخالفك أحد فإن استقام لك استقمت له وإن أبى

كنت فى جندك وكانت خراسان من ورائك ورأيت رأيك فدعا أبا حميد فقال ارجع إلى صاحبك فليس من رأيى أن آتيه قال قد عزمت على خلافه قال نعم قال لا تفعل قال ماأريد أن ألقاه فلما آيسه من الرجوع قال له ماأمره به أبو جعفر فوجم طويلا ثم قال قم فكسره ذلك القول ورعبه وكان أبو جعفر قد كتب إلى أبى داود وهو خليفة أبى مسلم بخراسان حين اتهم أبا مسلم ان لك إمرة خراسان مابقيت فكتب أبو داود إلى أبى مسلم إنا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم فلا تخالفن إمامك ولا ترجعن إلا بإذنه فوافاه كتابه على تلك الحال فزاده رُعبا وهما فأرسل إلى أبى حميد وأبى مالك فقال لهما إنى قد كنت معتزما على المضى إلى خراسان ثم رأيت أن أوجه أبا إسحاق إلى أمير المؤمنين فيأتينى برأيه فإنه ممن أثق به فوجهه فلما قدم تلقاه بنو هاشم بكل مايحب وقال له أبو جعفر اصرفه عن وجهه ولك ولاية خراسان وأجازه فرجع أبو إسحاق الى أبى مسلم فقال له ما أنكرت شيئا رأيتهم معظمين لحقك يرون لك مايرون لأنفسهم وأشار عليه أن يرجع الى أمير المؤمنين فيعتذر اليه مما كان منه فأجمع على ذلك فقال له نيزك قد أجمعت على الرجوع قال نعم وتمثل

ما للرجال مع القضاءِ محالة ذَهَبَ القضاءُ بحيلة الأقوام

فقال اذا عزمت على هذا فخار الله لك احفظ عنى واحدة اذا دخلت عليه فاقتله ثم بايع لمن شئت فان الناس لايخالفونك وكتب أبو مسلم الى أبى جعفر يخبره أنه منصرف اليه قالوا قال أبو أيوب فدخلتُ يوما على أبى جعفر وهو فى خباء شعر بالرومية جالس على مُصلًّى بعد العصر وبين يديه كتاب أبى مسلم فرمى به الىّ فقرأته ثم قال والله لئن ملأت عينى منه لأقتلنه فقلت فى نفسى إنا لله وانا اليه راجعون طلبت الكتابة حتى اذا بلغت غايتها فصرت كاتبا للخليفة وقع هذا بين الناس والله ماأرى إنا إن قتل يرضى أصحابه بقتله ولا يدعَون هذا حيا ولا أحدا ممن هو بسبيل منه وامتنع منى النوم ثُم قلت لعل الرجل يقدم وهو آمن. فإن كان آمنا فعسى أن ينال مايريد وإن قدم وهو حَذِر لم يقدر عليه إلا فى شر فلو

التمست حيلة فأرسلت إلى سلمة بن سعيد بن جابر فقلت له هل عندك شكر فقال نعم فقلت إن وليتك ولاية تصيب منها مثل ما يصيب صاحب العراق تدخل معك حاتم بن أبى سليمان أخى قال نعم فقلت وأردت أن يطمع ولا ينكر وتجعل له النصف قال نعم قلت إن كسكر كالت عامَ أول كذا وكذا ومنها العام أضعاف ما كان عام أول فإن دفعتها اليك بقبالتها عاما أول أو بالأمانة أصبتَ ما تضيق به ذرعا قال فكيف لى بهذا المال قلت تأتى أبا مسلم فتلقاه وتكلمه غدا وتسأله أن يجعل هذا فيما يرفع من حوائجه أن تتولاها أنت بما كانت فى العام الأول فإن أمير المؤمنين يريد أن يوليه إذا قدم ما وراء بابه ويستريح ويريح نفسه قال فكف لى أن يأذن أمير المؤمنين فى لقائه قلت أنا أستأذن لك ودخلت إلى أبى جعفر فحدثته الحديث كله قال فادع سلمة فدعوته فقال إن ابا أيوب استأذن لك أفتحب أن تلقى أبا مسلم قال نعم قال فقد أذنت لك فأقرئه السلام وأعلمه بشوقنا اليه فخرج سلمة فلقيه فقال أمير المؤمنين أحسن الناس فيك رأيا فطابت نفسه وكان قبل ذلك كئيبا فلما قدم عليه سلمة سره ما أخبره به وصدقه ولم يزل مسرورا حتى قدم قال أبو أيوب فلما دنا أبو مسلم فى المدائن أمر أمير المؤمنين الناس فتلقوه فلما كان عشية قدم دخلت على أمير المؤمنين وهو فى خباء على مصلى فقلت هذا الرجل يدخل العشية فما تريد أن تصنع قال أريد ان أقتله حين أنظر اليه قلت أنشدك الله إنه يدخل معه الناس وقد علموا ما صنع فإن دخل عليك ولم يخرج لم آمن البلاء ولكن اذا دخل عليك فأذن له أن ينصرف فإذا غدا عليك رأيت رأيك وما أردت بذلك الا دفعه بها وماذاك الا من خوفى عليه وعلينا جميعا من أصحاب أبى مسلم فدخل عليه من عشيته وسلم وقام قائما بين يديه فقال انصرف يا عبد الرحمن فأرح نفسك وادخل الحمام فإن للسفر قشفا ثم اغد علىَّ فانصرف أبو مسلم وانصرف الناس قال فافترى على أمير المؤمنين حين خرج أبو مسلم وقال متى اقدر على مثل هذه الحال منه التى رأيته قائما على رجليه ولا أدرى ما يحدث فى ليلتى فانصرفت وأصبحت غاديا عليه فلما رآنى قال يا ابن اللخناء لا مرحبا بك أنت منعتنى منه امس والله

ماغمضت الليلة ثم شتمنى حتى خفت ان يأمر بقتلى ثم قال ادع لى عثمان بن نهيك فدعوته فقال يا عثمان كيف بلاء امير المؤمنين عندك قال يا امير المؤمنين انما انا عبدك والله لو امرتنى ان اتكئ على سيفى حتى يخرج من ظهرى لفعلت قال كيف انت ان أمرتك بقتل أبى مسلم فوجم ساعةً لا يتكلم فقلت مالك لا تتكلم فقال قولة ضعيفة أقتله قال انطلق فجئ بأربعة من وجوه الحرس جلد فمضى فلما كان عند الرواق ناداه يا عثمان إرجع فرجع قال اجلس وأرسل إلى من تثق به من الحرس فأحضر منهم أربعة فقال لوصيف له انطلق فادع شبيب بن واج وادع أبا حنيفة ورجلين آخرين فدخلوا فقال لهم أمير المؤمنين نحواً مما قال لعثمان فقالوا نقتله فقال كونوا خلف الرواق فإذا صفّقت فاخرجوا فاقتلوه وأرسل إلى أبى مسلم رسلا بعضهم على أثر بعض فقالوا قد ركب وأتاه وصيف فقال أتى عيسى ابن موسى فقلت يا أمير المؤمنين الا أخرج فأطوف فى العسكر فأنظر مايقول الناس هل ظن أحد ظنّا أو تكلم أحد بشىء قال بلى فخرجت وتلقانى أبو مسلم داخلا فتبسم وسلمت عليه ودخل فرجعت فإذا هو منبطح لم ينتظر به رجوعى وجاء أبو الجهم فلما رآه مقتولا قال إنا لله وإنا اليه راجعون فأقبلت على أبى الجهم فقلت له أمرته بقتله حين خالف حتى إذا قتل قلتَ هذه المقالة فنبهت به رجلا غافلا فتكلم بكلام أصلح ماجاءَ منه ثم قال يا أمير المؤمنين ألا أردّ الناس قال بلى قال فمر بمتاع يحول إلى رواق آخر من أرواقك هذه فأمر بفرش فأخرجت كأنه يريد أن يهيئ له رواقا آخر وخرج أبو الجهم فقال انصرفوا فإن الأمير يريد أن يقبل عند أمير المؤمنين ورأوا المتاع ينقل فظنوه صادقا فانصرفوا ثم راحوا فأمر لهم أبو جعفر بجوائزهم وأعطى أبا إسحاق مائة ألف قال أبو أيوب قال لى أمير المؤمنين دخل على أبو مسلم فعاتبته ثم شتمته فضربه عثمان فلم يصنع شيئاً وخرج شبيب ابن واج وأصحابه فضربوه فسقط فقال وهم يضربونه العفو فقلت يا ابن اللخناء العفو والسيوف قد اعتورتك وقلت اذبحوه فذبحوه قال على عن أبى حفص الأزدى قال كنت مع أبى مسلم فقدم عليه أبو اسحاق من عند أبى جعفر بكتب من بنى

هاشم وقال رأيت القوم على غير ماترى كل القوم يرون لك مايرون للخليفة ويعرفون
ماأبلاهم الله بك فسار إلى المدائن وخلف أبا نصر فى ثقله وقال أقم حتى يأتيك
كتابى قال فاجعل بينى وبينك آية أعرف بها كتابك قال إن أتاك كتابى مختوما
بنصف خاتم فانا كتبته وإن أتاك بالخاتم كله فلم أكتبه ولم أختمه فلما دنا من المدائن
تلقاه رجل من قواده فسلم عليه فقال له أطعنى وارجع فانه إن عاينك قتلك قال قد
قربت من القوم فأكره أن أرجع فقدم المدائن فى ثلاثة آلاف وخلف الناس بحلوان
فدخل على أبى جعفر فأمره بالانصراف فى يومه وأصبح يريده فتلقاه أبو الخصيب
فقال أمير المؤمنين مشغول فاصبر ساعة حتى تدخل خاليا فأتى منزل عيسى بن موسى
وكان يحب عيسى فدعا له بالغداء وقال أمير المؤمنين للربيع وهو يومئذ وصيف
يخدم أبا الخصيب انطلق إلى أبى مسلم ولا يعلم أحدٌ فقل له قال لك مرزوق إن
أردتَ أمير المؤمنين خاليا فالعجل فقام فركب وقال له عيسى لا تعجل بالدخول
حتى أحضر أدخل معك فأبطأ عيسى بالوضوء ومضى أبو مسلم فدخل فقتل قبل أن
يجىءَ عيسى وجاء عيسى وهو مدرج فى عباءة فقال أين أبو مسلم قال مُدْرَجٌ فى الكساء
قال إنا لله قال اسكت فما تمّ سلطانك وأمرك الا اليوم ثم رمى به فى دجلة قال
علىّ قال أبو حفص دعا أمير المؤمنين عثمان بن نهيك وأربعة من الحرس فقال لهم
إذا ضربت بيدىّ إحداهما على الأخرى فاضربوا عدو الله فدخل عليه أبو مسلم
فقال له أخبرنى عن نصلين أصبتهما فى متاع عبد الله بن علىّ قال هذا أحدهما الذى
علىّ قال أرنيه فانتضاه فناوله فهزه أبو جعفر ثم وضعه تحت فراشه وأقبل عليه
يعاتبه فقال أخبرنى عن كتابك إلى أبى العباس تنهاه عن الموات أردتَ أن تعلمنا
الدين قال ظننتُ أخذه لا يحل فكتب إلىّ فلما أتانى كتابُه علمتُ أن أمير المؤمنين
وأهل بيته معدن العلم قال فأخبرنى عن تقدّمك إياى فى الطريق قال كرهتُ
اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس فتقدّمتك التماس المرفق قال فقولك حين
أتاك الخبر بموت أبى العباس لمن أشار عليك أن تنصرف إلىّ نقدم فنرى من
رأينا ومضيتَ فلا أنت أقمتَ حتى نلحقك ولا أنت رجعت إلىّ قال منعنى من

ذلك ما أخبرتك من طلب المرفق بالناس وقلت نُقدم الكوفة فليس عليه منى خلاف قال فجارية عبدالله بن علىّ أردت أن تتخذها قال لا ولكنى خفتُ أن تضيع فحملتها فى قبة ووكلتُ بها من يحفظها قال فمراغمتك وخروجك إلى خراسان قال خفتُ أن يكون قد دخلك منى شىء فقلت آتى خراسان فأكتب اليك بعذرى، وإلى ذاك ماقد ذهب مافى نفسك علىّ قال تالله مارأيتُ كاليوم قط والله مازدتنى الاغضبا وضرب بيده فخرجوا عليه فضربه عثمان وأصحابه حتى قتلوه قال علىّ قال يزيد ابن أسيد قال أمير المؤمنين عاتبتُ عبدالرحمن فقلت المال الذى جمعته بحران قال أنفقته وأعطيته الجند تقوية لهم واستصلاحا قلت فرجوعك إلى خراسان مراغما قال دع هذا فما أصبحتُ أخاف أحداً الا الله فغضبتُ فشتمته فخرجوا فقتلوه وقال غير من ذكرت فى أمر أبى مسلم أنه لما أرسل اليه يوم قتل أتى عيسى ابن موسى فسأله أن يركب معه فقال له تقدم وأنت فى ذمتى فدخل مضرب أبى جعفر وقد أمر عثمان بن نهيك صاحب الحرس فأعد له شبيب بن واج المروروذىّ رجلا من الحرس وأباحنيفة حرب بن قيس وقال لهم إذا صفقت بيدىّ فشأنكم وأذن لأبى مسلم فقال لمحمد البواب النجارىّ ما الخبر قال خير يُعطينى الأمير سيفه فقال ما كان يصنع بى هذا قال وما عليك فشكا ذلك إلى أبى جعفر قال ومن فعل بك هذا قبحه الله ثم أقبل يعاتبه ألستَ الكاتب إلىّ تبدأ بنفسك والكاتب إلىّ تخطب أمينة بنت على وتزعم أنك ابن سليط بن عبدالله بن عباس ما دعاك إلى قتل سليمان بن كثير مع أثره فى دعوتنا وهو أحد نقبائنا قبل أن ندخلك فى شىء من هذا الأمر قال أراد الخلاف وعصانى فقتلته فقال المنصور وحاله عند حاله فقتلته وتعصينى وأنت مخالف على قتلنى الله إن لم أقتلك فضربه بعمود وخرج شبيبُ وحرب فقتلاه وذلك لخمس ليال بقين من شعبان من سنة ١٣٧ فقال المنصور

زعمتَ أنّ الدين لا يُقتضَى ... فاستَوْفِ بالكَيْل أبا مُجْرِمِ

سُقيتَ كاساً كنتَ تسقى بها ... أمَرَّ فى الحلق مِنَ العَلْقَمِ

قال وكان أبو مسلم قد قتل فى دولته وحروبه ستمائة ألف صبراً وقيل أن

أبا جعفر لما عاتب أبا مسلم قال له فعلتَ وفعلتَ قال له أبو مسلم ليس يقال هذا لى بعد بلائى وما كان منى فقال يا ابن الخبيثة والله لو كانت أمة مكانك لأجْزَتْ ناحيتها إنما عملتَ ما عملت فى دولتنا وبريحنا ولو كان ذلك إليك ماقطعتَ فتيلا ألستَ الكاتب إلى تبدأ بنفسك والكاتب إلى تخطب أمينة بنت على وتزعم أنك ابن سليط بن عبدالله بن عباس لقد ارتقيت لا أم لك مُرْتَقى صعباً فأخذ أبو مسلم بيده يعركها ويقبلها ويعتذر اليه وقيل أن عثمان بن نهيك ضرب أبا مسلم أول ما ضرب ضربة خفيفة بالسيف فلم يزد على أن قطع حمائل سيفه فاعتقل بها أبو مسلم وضربه شبيب بن واج فقطع رجله واعتوره بقية أصحابه حتى قتلوه والمنصور يصيح بهم اضربوا قطع الله أيديكم وقد كان أبو مسلم قال فيما قيل عند أول ضربة أصابته يا أمير المؤمنين استبقنى لعدوك قال لا أبقانى الله إذاً وأى عدو لى أعدى منك وقيل إن عيسى بن موسى دخل بعد ما قتل أبو مسلم فقال يا أمير المؤمنين أين أبو مسلم فقال قد كان ههنا آنفاً فقال عيسى يا أمير المؤمنين قد عرفتَ طاعته ونصيحته ورأى الإمام إبراهيم كان فيه فقال يا أَنوك والله ما أعلم فى الأرض عدوا أعدى لك منه ها هو ذاك فى البساط فقال عيسى إنا لله وإنا إليه راجعون وكان لعيسى رأى فى أبى مسلم فقال له المنصور خلع الله قلبك وهل كان لكم ملك أو سلطان أو أمر أو نهى مع أبى مسلم ثم دعا أبو جعفر بجعفر بن حنظلة فدخل عليه فقال ما تقول فى أبى مسلم فقال يا أمير المؤمنين إن كنت أخذتَ شعرة من رأسه فاقتلْ ثم اقتلْ ثم اقتل فقال المنصور وفقك الله ثم أمره بالقيام والنظر إلى أبى مسلم مقتولا فقال يا امير المؤمنين عُدمن هذا اليوم لخلافتك ثم استؤذن لاسماعيل ابن على فدخل فقال يا أمير المؤمنين إنى رأيت فى ليلتى هذه كأنك ذبحتَ كبشاً وأنى توطأته برجلى فقال نامت عينُك يا أبا الحسن قم فصدّق رؤياك قد قتل الله الفاسق فقام اسماعيل إلى الموضع الذى فيه ابو مسلم فتوطأه ثم إن المنصور هم بقتل أبى اسحاق صاحب حرس أبى مسلم وقتل أبى نصر مالك وكان على شرط أبى مسلم فكلمه أبو الجهم فقال يا امير المؤمنين جنده جندك امرتهم بطاعته فأطاعوه ودعا

المنصور بأبى اسحاق فلما دخل عليه ولم ير أبا مسلم قال له ابو جعفر أنت المتابع لعدو الله أبى مسلم على ما كان اجمع فكف وجعل يلتفت يميناً وشمالا تخوفا من أبى مسلم فقال له المنصور تكلم بما اردت فقد قتل الله الفاسق وأمر بإخراجه اليه مقطعا فلما رآه ابو اسحاق خر ساجداً فأطال السجود فقال له المنصور إرفع رأسك وتكلم فرفع رأسه وهو يقول الحمد لله الذى آمننى بك اليوم والله ما أمنته يوما واحداً منذ صحبته وما جئته يوما قط إلا وقد أوصيت وتكفنتُ وتحنطتُ ثم رفع ثيابه الظاهرة فإذا تحتها ثيابُ كتان جُدَد وقد تحنطت فلما رأى أبو جعفر حاله رحمه ثم قال استقبل طاعة خليفتك واحمد الله الذى أراحك من الفاسق ثم قال له أبو جعفر فرّق عنى هذه الجماعة ثم دعا بمالك بن الهيثم فحدثه بمثل ذلك فاعتذر إليه بأنه أمره بطاعته وإنما خدمه وخف له الناسُ بمرضاته وأنه قد كان فى طاعتهم قبل أن يعرف أبا مسلم فقبل منه وأمره بمثل ما أمر به أبا إسحاق من تفريق جند أبى مسلم وبعث أبو جعفر إلى عدة من قواد أبى مسلم بجوائز سنية وأعطى جميع جنده حتى رضوا ورجع أصحابه وهم يقولون بعنا مولانا بالدراهم ثم دعا أبو جعفر بعد ذلك أبا إسحاق فقال أقسم بالله لئن قطعوا طنباً من أطنابى لأضربنّ عنقك ثم لأجاهدنهم فخرج إليهم أبو إسحاق فقال يا كلاب انصرفوا قال على قال أبو حفص الازدى لما قتل أبو مسلم كتب أبو جعفر إلى أبى نصر كتابا عن لسان أبى مسلم يأمره بحمل ثقله وما خلف عنده وأن يقدم وختم الكتاب بخاتم أبى مسلم فلما رأى أبو نصر نقش الخاتم تاما علم أن أبا مسلم لم يكتب الكتاب فقال أفعلتموها وانحدر إلى همذان وهو يريد خراسان فكتب أبو جعفر لأبى نصر عهده على شهرزور ووجه رسولا إليه بالعهد فأتاه حين مضى الرسول بالعهد أنه قد توجه إلى خراسان فكتب إلى زهير بن التركىّ وهو على همذان إن مرّ بك أبو نصر فاحبسه فسبق الكتاب إلى زهير وأبو نصر بهمذان فأخذه فحبسه فى القصر وكان زهير مولى لخزاعة فأشرف أبو نصر على إبراهيم بن عريف وهو ابن أخى أبى نصر لأمه فقال يا إبراهيم تقتل عمك قال لا والله أبداً فأشرف زهير فقال لإبراهيم

إنى مأمور والله إنه لمن أعز الخلق على ولكنى لا أستطيع ردّ أمر امير المؤمنين والله لئن رمى أحدكم بسهم لأرمينّ إليكم برأسه ثم كتب أبو جعفر كتابا آخر إلى زهير إن كنت أخذت أبا نصر فاقتله وقدم صاحبُ العهد على أبى نصر بعهده فخلى زهير سبيله لهواه فيه فخرج ثم جاء بعد يوم الكتابُ إلى زهير بقتله فقال جاءنى كتابٌ بعهده فخليتُ سبيله وقدم أبو نصر على أبى جعفر فقال أشرت على أبى مسلم بالمضى إلى خراسان فقال نعم يا أمير المؤمنين كانت له عندى أياد وصنائع فاستشارنى فنصحت له وأنت يا امير المؤمنين إن اصطنعتنى نصحت لك وشكرتُه فعفا عنه فلما كان يوم الراوندية قام أبو نصر على باب القصر وقال أنا اليوم البوّاب لا يدخل أحد القصر وأنا حىّ فقال أبو جعفر أين مالك بن الهيثم فأخبروه عنه فرأى أنه قد نصح له وقيل إن أبا نصر مالك بن الهيثم لما مضى إلى همذان كتب أبو جعفر إلى زهير بن التركى ان الله دمك ان فاتك مالك فأتى زهير مالكا فقال له إنى قد صنعتُ لك طعاما فلو أكرمتنى بدخول منزلى فقال نعم وهيأ زهير أربعين رجلا تخيرهم فجعلهم فى بيتين يُفضيان الى المجلس الذى هيأه فلما دخل مالك قال يا أدهم عجل طعامك فخرج أولئك الأربعون إلى مالك فشدّوه وثاقا ووضع فى رجليه القيود وبعث به إلى المنصور فمنّ عليه وصفح عنه واستعمله على الموصل (وفى هذه السنة) ولى أبو جعفر المنصور أبا داود خالد بن ابراهيم خراسان وكتب إليه بعهده (وفيها) خرج سُنباذ بخراسان يطلب بدم أبى مسلم

ذكر الخبر عن سنباذ

* ذكر أن سنباذ هذا كان مجوسيًّا من أهل قرية من قرى نيسابور يقال لها أهن وانه كثر أتباعه لما ظهر وكان خروجه غضبا لقتل أبى مسلم فيما قيل وطلبا بثأره وذلك انه كان من صنائعه وغلب حين خرج على نيسابور وقومس والرىّ ويسمى فيروز اصبهبذ فلما صار بالرىّ قبض خزائن أبى مسلم وكان أبو مسلم خلف بها خزائنه حين شخص متوجها إلى أبى العباس وكان عامة أصحاب سنباذ أهل الجبال فوجه إليهم أبو جعفر جَهور بن مَرّار العجلى فى عشرة آلاف فالتقوا بين همذان

والرى على طرف المفازة فاقتتلوا فهزم سنباذ وقتل من أصحابه فى الهزيمة نحوا من ستين ألفا وسبى ذراريهم ونساءهم ثم قتل سنباذ بين طبرستان وقومس قتله لونان الطبرى قصير المنصور اصبهبذة طبرستان إلى ولدا هرمز بن الفرخان وتوجّه وكان بين مخرج سنباذ إلى قتله سبعون ليلة ﴿وفى هذه السنة﴾ خرج ملبّد بن حرملة الشيبانى فحكّم بناحية الجزيرة فسارت اليه روابط الجزيرة وهم يومئذ فيما قيل ألف فقاتلهم ملبد فهزمهم وقتل من قتل منهم ثم سارت اليه روابط الموصل فهزمهم ثم سار اليه يزيد بن حاتم المهلبى فهزمه ملبد بعد قتال شديد كان بينهما وأخذ ملبد جارية ليزيد كان يطأها وقتل قائدٌ من قواده ثم وجه اليه أبو جعفر مولاه المهلهل بن صفوان فى ألفين من نخبة الجند فهزمهم ملبد واستباح عسكرهم ثم وجه اليه نزاراً قائداً من قواد أهل خراسان فقتله ملبد وهزم أصحابه ثم وجه اليه زياد بن مشكان فى جمع كثير فلقيهم ملبد فهزمهم ثم وجه اليه صالح بن صبيح فى جيش كثيف وخيل كثيرة وعدة فهزمهم ثم سار اليه حميد بن قحطبة وهو يومئذ على الجزيرة فلقيه الملبد فهزمه وتحصن منه حميدٌ وأعطاه مائة ألف درهم على أن يكفّ عنه وأما الواقدى فإنه زعم أن ظهور ملبد وتحكيمه كان فى سنة ١٣٨ ولم يكن للناس فى هذه السنة صائفة لشغل السلطان بحرب سنباذ ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة اسماعيل بن علىّ بن عبد الله بن عباس كذلك قال الواقدى وغيره وهو على الموصل وكان على المدينة زياد بن عبيد الله والعباس بن عبد الله بن معبد على مكة ومات العباس عند انقضاء الموسم فضمّ اسماعيل عمله إلى زياد بن عبيد الله فأقرّه عليها أبو جعفر وكان على الكوفة فى هذه السنة عيسى بن موسى وعلى البصرة وأعمالها سليمان ابن علىّ وعلى قضائها عمر بن عامر السلمى وعلى خراسان أبو داود خالد بن ابراهيم وعلى الجزيرة حميد بن قحطبة وعلى مصر صالح بن علىّ بن عبد الله بن عباس

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة

ذكر ما كان فيها من الاحداث

فما كان فيها من ذلك دخول قسطنطين طاغية الروم ملطية عنوة وقهرا لأهلها وهدمُه سورها وعفوه عمن فيها من المقاتلة والذرية ومنها غزو العباس بن محمد ابن علىّ بن عبد الله بن العباس فى قول الواقدى الصائفة مع صالح بن علىّ بن عبدالله فوصله صالح بأربعين ألف دينار وخرج معهم عيسى بن على بن عبد الله فوصله أيضا بأربعين ألف دينار فبنى صالح بن على ما كان صاحب الروم هدمه من ملطية وقد قيل إن خروج صالح والعباس إلى ملطية للغزو كان فى سنة ١٣٩ ﴿ وفى هذه السنة ﴾ بايع عبد الله بن على لأبى جعفر وهو مقيم بالبصرة مع أخيه سليمان بن علىّ ﴿ وفيها ﴾ خلع جهور بن مرار العجلى المنصور

ذكر سبب خلعه إياه

وكان سببُ ذلك فيما ذكر أن جهورا لما هزم سنباذ حوى ما فى عسكره وكان فيه خزائنُ أبى مسلم التى كان خلفها بالرى فلم يوجهها إلى أبى جعفر وخاف فخلع فوجه اليه ابو جعفر محمد بن الأشعث الخزاعى فى جيش عظيم فلقيه محمد فاقتتلوا قتالا شديداً ومع جهور نخب فرسان العجم زياد ودلاستاخنج فهزم جهور وأصحابه وقتل من أصحابه خلق كثير وأسر زياد ودلاستاخنج وهرب جهور فلحق بأذربيجان فأخذ بعد ذلك باسباذرُو فقتل ﴿ وفى هذه السنة ﴾ قتل الملبد الخارجى

ذكر الخبر عن مقتله

* ذكر أن أبا جعفر لما هزم الملبد حميد بن قحطبة وتحصن منه حميد وجه اليه عبد العزيز بن عبد الرحمن أخا عبد الجبار بن عبد الرحمن وضمّ اليه زياد بن مشكان فأكمن له الملبد مائة فارس فلما لقيه عبد العزيز خرج عليه الكمين فهزموه وقتلوا عامة أصحابه فوجه أبو جعفر اليه خازم بن خزيمة فى نحو من ثمانية آلاف من المروروذية فسار خازم حتى نزل الموصل وبعث الى الملبد بعض أصحابه وبعث

معهم الفعلة فسار إلى بلد فخندقوا وأقاموا له الأسواق وبلغ ذلك الملبد فخرج حتى نزل ببلد فى خندق خازم فلما بلغ ذلك خازما خرج إلى مكان من أطراف الموصل حريز فعسكر به فلما بلغ ذلك الملبد عبر دجلة من بلد وتوجه الى خازم من ذلك الجانب يريد الموصل فلما بلغ خازما ذلك وبلغ اسماعيل بن علىّ وهو على الموصل أمر اسماعيل خازما أن يرجع من معسكره حتى يعبر من جسر الموصل فلم يفعل وعقد جسراً من موضع معسكره وعبر إلى الملبد وعلى مقدمته وطلائعه نضلة بن نعيم بن خازم ابن عبد الله النهشلى وعلى ميمنته زهير بن محمد العامرى وعلى ميسرته أبو حماد الأبرص مولى بنى سليم وسار خازم فى القلب فلم يزل يساير الملبد وأصحابه حتى غشيهم الليل ثم توافقوا ليلتَهم وأصبحوا يوم الأربعاء فمضى الملبَّد وأصحابه متوجّهين إلى كورة حزة وخازم وأصحابه يسايرونهم حتى غشيهم الليل وأصبحوا يوم الخميس وسار الملبد وأصحابه كأنه يريد الهرب من خازم فخرج خازم وأصحابه فى أثرهم وتركِوا خندقهم وكان خازم تخندق عليه وعلى أصحابه بالحسك فلما خرجوا من خندقهم كرّ عليهم الملبد وأصحابه فلما رأى ذلك خازم ألقى الحسك بين يديه وبين يدى أصحابه فحملوا على ميمنة خازم وطووها ثم حملوا على الميسرة وطووها ثم انتهوا إلى القلب وفيه خازم فلما رأى ذلك خازم نادى فى أصحابه الأرض الأرض فنزلوا ونزل الملبد وأصحابه وعقروا عامة دوابهم ثم اضطربوا بالسيوف حتى تقطعت وأمر خازم نضلة بن نعيم ان إذا سطع الغبار ولم يبصر بعضنا بعضا فارجع إلى خيلك وخيل أصحابك فاركبوها ثم ارموا بالنشاب ففعل ذلك وتراجع أصحاب خازم من الميمنة إلى الميسرة ثم رشقوا الملبد وأصحابه بالنشاب فقُتل الملبد فى ثمانمائة رجل ممن ترجل وقتل منهم قبل أن يترجلوا زهاء ثلثمائة وهرب الباقون وتبعهم نضلة فقتل منهم مائة وخمسين رجلا (وحج) بالناس فى هذه السنة الفضل بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس كذلك قال الواقدى وغيره وذكر أنه كان خرج من عند أبيه من الشأم حاجا فأدركته ولايته على الموسم والحجّ بالناس فى الطريق فمرّ بالمدينة

فأحرم منها وزياد بن عبيد الله على المدينة ومكة والطائف وعلى الكوفة وسوادها عيسى بن موسى وعلى البصرة وأعمالها سليمان بن على وعلى قضائها سوار بن عبد الله وأبو داود خالد بن إبراهيم على خراسان وعلى مصر صالح بن على

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من إقامة صالح بن على والعباس بن محمد بملطية حتى استتما بناء ملطية ثم غزوا الصائفة من درب الحدث فوغلا فى أرض الروم وغزا مع صالح أختاه أم عيسى ولبابة ابنتا على وكانتا نذرتا إن زال ملك بنى أمية أن تجاهد فى سبيل الله وغزا من درب ملطية جعفر بن حنظلة البهرانى (وفى هذه السنة) كان الفداء الذى جرى بين المنصور وصاحب الروم فاستنقذ المنصور منهم أسراء المسلمين ولم يكن بعد ذلك فيما قيل للمسلمين صائفة إلى سنة ١٤٦ لاشتغال أبى جعفر بأمر ابنى عبد الله بن الحسن إلا أن بعضهم ذكر أن الحسن بن قحطبة غزا الصائفة مع عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام فى سنة ١٤٠ وأقبل قسطنطين صاحب الروم فى مائة ألف فنزل جَيْحَان فبلغه كثرة المسلمين فأحجم عنهم ثم لم يكن بعدها صائفة إلى سنة ١٤٦ (وفى هذه السنة) سار عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان إلى الأندلس فملكه أهلها أمرهم فولده ولاتها إلى اليوم (وفيها) وسع أبو جعفر المسجد الحرام وقيل إنها كانت سنة خَصِبة فسميت سنة الخصب (وفيها) عزل سليمان بن على عن ولاية البصرة وعما كان إليه من أعمالها وقد قيل إنه عزل عن ذلك فى سنة ١٤٠ (وفيها) ولى المنصور ما كان إلى سليمان بن على من عمل البصرة سفيان بن معاوية وذلك فيما قيل يوم الأربعاء للنصف من شهر رمضان فلما عزل سليمان وولى سفيان توارى عبد الله بن على وأصحابه خوفا على أنفسهم فبلغ ذلك أبو جعفر فبعث إلى سليمان وعيسى ابنى على وكتب إليهما فى أشخاص عبد الله بن على وعزم عليهما أن يفعلا ذلك ولا يؤخراه وأعطاهما

من الأمان لعبد الله بن علىّ مارضياه له ووثقا به وكتب إلى سفيان بن معاوية يعلمه ذلك ويأمره بإزعاجهما واستحثاثهما بالخروج بعبد الله ومن معه من خاصته فخرج سليمان وعيسى بعبد الله وبعامة قواده وخواص أصحابه ومواليه حتى قدموا على أبى جعفر يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة (وفيها) أمر أبو جعفر بحبس عبد الله بن علىّ وبحبس مَن كان معه من أصحابه وبقتل بعضهم

ذكر الخبر عن ذلك

ولما قدم سليمان وعيسى ابنا علىّ على أبى جعفر أذن لهما فدخلا عليه فأعلماه حضور عبد الله بن علىّ وسألاه الإذن له فأنعم لهما بذلك وشغلهما بالحديث وقد كان هيأ لعبد الله بن علىّ محبسا فى قصره وأمر به أن يُصرف إليه بعد دخول عيسى وسليمان إليه ففُعِل ذلك به ونهض أبو جعفر من مجلسه فقال لسليمان وعيسى سارعا بعبد الله فلما خرجا افتقدا عبد الله من المجلس الذى كان فيه فعلما أنه قد حبس فانصرفا راجعين إلى أبى جعفر فحيل بينهما وبين الوصول إليه وأخذت عند ذلك سيوف من حضر من أصحاب عبد الله بن على من عواتقهم وحبسوا وقد كان خُفاف بن منصور حذرهم ذلك وندم على مجيئه وقال لهم إن أنتم أطعتمونى شددنا شدة واحدة على أبى جعفر فوالله لايحول بيننا وبينه حائل حتى نأتى على نفسه ونشدّ على هذه الأبواب مصلتين سيوفنا ولا يعرض لنا عارض إلا أفتنا نفسه حتى نخرج وننجو بأنفسنا فعصوه فلما أخذت السيوف وأمر بحبسهم جعل خفاف يضرط فى لحيته ويتفل فى وجوه أصحابه ثم أمر أبو جعفر بقتل بعضهم بحضرته وبعث بالبقيَّة إلى أبى داود خالد بن ابراهيم بخراسان فقتلهم بها * وقد قيل إن حبس أبى جعفر عبد الله بن علىّ كان فى سنة ١٤٠ (وحج) بالناس فى هذه السنة العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس * وكان على مكة والمدينة والطائف زياد بن عبيد الله الحارثى وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية وعلى قضائها سوّار بن عبد الله وعلى خراسان أبو داود خالد بن ابراهيم

ثم دخلت سنة أربعين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان فيها من مهلك عامل خراسان

ذكر الخبر عن ذلك وسبب هلاكه

ذكر أن ناساً من الجند ثاروا بأبى داود خالد بن ابراهيم بخراسان وهو عامل أبى جعفر المنصور عليها فى هذه السنة ليلا وهو نازل بباب كشماهن من مدينة مرو حتى وصلوا إلى المنزل الذى هو فيه فأشرف أبو داود من الحائط على حرف آجُرّة خارجة وجعل ينادى أصحابه ليعرفوا صوته فانكسرت الآجرة عند الصبح فوقع على سُترة صُفَّة كانت قدام السطح فانكسر ظهره فمات عند صلاة العصر فقام عصام صاحب شرطة أبى داود بخلافة أبى داود حتى قدم عليه عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدى (وفيها) ولى أبو جعفر عبد الجبار بن عبد الرحمن خراسان فقدمها فأخذ بها ناساً من القواد ذكر أنه اتهمهم بالدعاء إلى ولد على بن أبى طالب منهم مجاشع بن حريث الأنصارى صاحب بخارى وأبو المغيرة مولى لبنى تميم واسمه خالد بن كثير وهو صاحب قوهستان والحريش بن محمد الذهلى ابن عم أبى داود فقتلهم وحبس الجنيد بن خالد بن هريم التغلبى ومعبد بن الخليل المزنى بعد ما ضربهما ضربا مبرّحا وحبس عدة من وجوه قواد أهل خراسان وألح على استخراج ما على عمال أبى داود من بقايا الأموال (وفيها) خرج أبو جعفر المنصور حاجا فأحرم من الحيرة ثم رجع بعد ما قضى حجه إلى المدينة فتوجه منها إلى بيت المقدس * وكان عمال الأمصار فى هذه السنة عمالها فى السنة التى قبلها إلا خراسان فإن عاملها كان عبد الجبار ولما قدم أبو جعفر بيت المقدس صلى فى مسجدها ثم سلك الشأم منصرفا حتى انتهى إلى الرقة فنزلها فأتى بمنصور بن جعونة بن الحارث العامرى من بنى عامر بن صعصعة فقتله ثم شخص منها فسلك الفرات حتى أتى الهاشمية هاشمية الكوفة

ثم دخلت سنه إحدى وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك خروج الراوندية (وقد قال) بعضهم كان أمر الراوندية وأمر أبي جعفر الذى أنا ذاكره فى سنة ١٣٧ أو ١٣٦

ذكر الخبر عن أمرهم وأمر أبي جعفر المنصور معهم

والراوندية قوم فيما ذكر عن علىّ بن محمد كانوا من أهل خراسان على رأى أبى مسلم صاحب دعوة بنى هاشم يقولون فيما زعم بتناسخ الأرواح ويزعمون أن روح آدم فى عثمان بن نهيك وأن ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور وأن الهيثم بن معاوية جبرئيل قال وأتوا قصر المنصور فجعلوا يطوفون به ويقولون هذا قصر ربنا فأرسل المنصور إلى رؤسائهم فحبس منهم مائتين فغضب أصحابهم وقالوا علام حُبسوا وأمر المنصور ألا يجتمعوا فأعدوا نعشا وحملوا السرير وليس فى النعش أحد ثم مروا فى المدينة حتى صاروا على باب السجن فرموا بالنعش وشدوا على الناس ودخلوا السجن فأخرجوا أصحابهم وقصدوا نحو المنصور وهم يومئذ ستمائة رجل فتنادى الناس وغلقت أبواب المدينة فلم يدخل أحد فخرج المنصور من القصر ماشيا ولم تكن فى القصر دابة فجعل بعد ذلك اليوم يرتبط فرسا يكون فى دار الخلافة معه فى قصره قال ولما خرج المنصور أتى بدابة فركبها وهو يريدهم وجاء معن بن زائدة فانتهى إلى أبى جعفر فرمى بنفسه وترجل وأدخل خرقة قبائه فى منطقته وأخذ بلجام دابة المنصور وقال أنشدك الله يا أمير المؤمنين إلا رجعت فإنك تكفى وجاء أبو نصر مالك بن الهيثم فوقف على باب القصر وقال أنا اليوم بواب ونودى فى أهل السوق فرموهم وقاتلوهم حتى أثخنوهم وفتح باب المدينة فدخل الناس وجاء خازم بن خزيمة على فرس محذوف فقال يا أمير المؤمنين أقتلهم قال نعم فحمل عليهم حتى ألجأهم إلى ظهر حائط ثم كروا على خازم فكشفوه وأصحابه ثم كر خازم عليهم فاضطرهم إلى حائط المدينة وقال للهيثم بن شعبة إذا كرّوا علينا فاسبقهم إلى

الحائط فاذا رجعوا فاقتلهم فحملوا على خازم فاطردلهم وصار الهيثم بن شعبة من ورائهم فقتلوا جميعا وجاءهم يومئذ عثمان بن نهيك فكلمهم فرجع فرموه بنشابة وقعت بين كتفيه فمرض أياما ومات منها فصلى عليه أبو جعفر وقام على قبره حتى دفن وقال رحمك الله أبا يزيد وصير مكانه على حرسه عيسى بن نهيك فكان على الحرس حتى مات فجعل على الحرس أبا العباس الطوسيّ وجاء يومئذ اسماعيل بن علىّ وقد أغلقت الأبواب فقال للبواب افتح ولك ألف درهم فأبى وكان القعقاع بن ضرار يومئذ بالمدينة وهو على شرط عيسى بن موسى فأبلى يومئذ وكان ذلك كله فى المدينة الهاشمية بالكوفة قال وجاء يومئذ الربيع ليأخذ بلجام المنصور فقال له معن ليس هذا من أيامك فأبلى ابرويز بن المَصْمُغان ملك دُنبَاوَند وكان خالف أخاه فقدم على أبى جعفر فأكرمه وأجرى عليه رزقا فلما كان يومئذ أتى المنصور فكفَّر له وقال أقاتل هؤلاء قال له نعم فقاتلهم فكان إذا ضرب رجلا فصرعه تأخر عنه فلما قتلوا وصلى المنصور الظهر دعا بالعشاء وقال أطلعوا معن بن زائدة وأمسك عن الطعام حتى جاءه معن فقال لقثم تحول إلى هذا الموضع واجلس معنا مكان قثم فلما فرغوا من العشاء قال لعيسى بن علىّ يا أبا العباس أسمعت بأسد الرجال قال نعم قال لو رأيت اليوم معنا علمت أنه من تلك الآساد قال معن والله يا أمير المؤمنين لقد أتيتك وإنى لوجل القلب فلما رأيت ما عندك من الاستهانة بهم وشدّة الإقدام عليهم رأيت أمرا لم أره من خلق فى حرب فشدّ ذلك من قلبى وحملنى على ما رأيت منى وقال ابن خزيمة يا أمير المؤمنين إن لهم بقية قال فقد وليتك أمرهم فاقتلهم قال فاقتل رزاما فانه منهم فعاذ رزام بجعفر بن أبى جعفر فطلب فيه فآمنه قال علىّ عن أبى بكر الهذلىّ قال إنى لواقف بباب أمير المؤمنين إذ طلع فقال رجل إلى جانبى هذا رب العزة هذا الذى يطعمنا ويسقينا فلما رجع أمير المؤمنين ودخل عليه الناس دخلتُ وخلا وجهه فقلتُ له سمعت اليوم عجبا وحدّثته فنكت فى الأرض وقال ياهذلىّ يدخلهم الله النار فى طاعتنا ويقتلهم أحبّ إلى من أن يدخلهم الجنة بمعصيتنا * وذكر عن جعفر بن عبدالله

قال حدّثنى الفضل بن الربيع قال حدثنى أبى قال سمعت المنصور يقول أخطأت ثلاث خطيات وقانى الله شرّها قتلتُ أبامسلم وأنافى فى خِرَق ومن حولى يقدّم طاعته ويؤثرها ولو هُتكت الخرق لذهبتُ ضياعا وخرجت يوم الراوندية ولو أصابنى سهم غرب لذهبتُ ضياعا وخرجت إلى الشأم ولو اختلف سيفان بالعراق ذهبَتِ الخلافةُ ضياعا وذكر أن معن بن زائدة كان مختفيا من أبى جعفر لما كان منه من قتاله المسودة مع ابن هبيرة مرة بعد مرة وكان اختفاؤه عند مرزوق أبى الخصيب وكان على أن يطلب له الأمان فلما خرج الراوندية أتى الباب فقام عليه فسأل المنصور أباالخصيب وكان يلى حجابة المنصور يومئذ من بالباب فقال معن بن زائدة فقال المنصور رجل من العرب شديد النفس عالم بالحرب كريم الحسب أدخله فلما دخل قال إيه يامعن ماالرأى قال الرأى أن تنادى فى الناس وتأمر لهم بالأموال قال وأين الناسُ والأموال ومن يقدم على أن يعرض نفسه لهؤلاء العلوج لم تصنع شيئا يامعن الرأىُ أن أخرج فأقف فإن الناس إذا رأونى قاتلوا وأبلوا وثابوا إلىّ وتراجعوا وإن أقمتُ تخاذلوا وتهاونوا فأخذ معن بيده وقال ياأمير المؤمنين إذاً والله تقتل الساعة فأنشدك الله فى نفسك فأتاه أبو الخصيب فقال مثلها فاجتذب ثوبه منهما ثم دعا بدابته فركب ووثب عليها من غير ركاب ثم سوى ثيابه وخرج ومعن آخذ بلجامه وأبو الخصيب مع ركابه فوقف وتوجه إليه رجل فقال يامعن دونك العلج فشدّ عليه معن فقتله ثم والى بين أربعة وثاب اليه الناس وتراجعوا ولم يكن إلا ساعة حتى أفنوهم وتغيب معن بعد ذلك فقال أبو جعفر لأبى الخصيب ويلك أين معن قال والله ماأدرى أين هو من الأرض فقال أيظن أن أمير المؤمنين لايغفر ذنبه بعد ماكان من بلائه أعطه الأمان وأدخله علىّ فأدخله فأمر له بعشرة آلاف درهم وولاه اليمن فقال له أبو الخصيب قد فرق صلته ومايقدر على شىء قال له لو أراد مثل ثمنك ألف مرة لقدر عليه ﴿وفى هذه السنة﴾ وجه أبو جعفر المنصور ولده محمداً وهو يومئذ ولىّ عهد إلى خراسان فى الجنود وأمره بنزول الرى ففعل ذلك محمد ﴿وفيها﴾ خلع عبد الجبار بن

عبد الرحمن عامل أبي جعفر على خراسان ذكر على بن محمد عمن حدثه عن أبي أيوب الخوزى أن المنصور لما بلغه أن عبد الجبار يقتل رؤساء أهل خراسان وأتاه من بعضهم كتاب فيه قد نغل الأديمُ قال لأبي أيوب الخزاعي إن عبد الجبار قد أفنى شيعتنا وما فعل هذا إلا وهو يريد أن يخلع فقال له ما أيسر حيلته اكتب اليه أنك تريد غزو الروم فتوجه اليك الجنود من خراسان وعليهم فرسانهم ووجوههم فإذا خرجوا منها فابعث اليهم من شئت فليس به امتناع فكتب بذلك اليه فأجابه أن الترك قد جاشت وإن فرقت الجنود ذهبت خراسان فألقى الكتاب الى أبي أيوب وقال له ماترى قال قد أمكنك من قياده اكتب اليه أن خراسان أهم الى من غيرها وأنا موجه اليك الجنود من قبلى ثم وجه اليه الجنود ليكونوا بخراسان فان هم بخلع أخذوا بعنقه فلما ورد على عبد الجبار الكتاب كتب اليه أن خراسان لم تكن قط أسوأ حالا منها فى هذا العام وان دخلها الجنود هلكوا لضيق ماهم فيه من غلاء السعر فلما أتاه الكتاب ألقاه الى أبي أيوب فقال له قد أبدى صفحته وقد خلع فلا تناظره فوجه اليه محمد بن المنصور وأمره بنزول الرى فسار اليها المهدى ووجه لحربه خازم بن خزيمة مقدمة له ثم شخص المهدى فنزل نيسابور ولما توجه خازم بن خزيمة الى عبد الجبار وبلغ ذلك أهل مرو الروذ ساروا الى عبد الجبار من ناحيتهم فناصبوه الحرب وقاتلوه قتالا شديدا حتى هزم فانطلق هاربا حتى لجأ الى مقطنة فتوارى فيها فعبر اليه المجشر بن مزاحم من أهل مرو الروذ فأخذه أسيرا فلما قدم خازم أتاه به فألبسه خازم مدرعة صوف وحمله على بعير وجعل وجهه من قبل عجز البعير حتى انتهى به إلى المنصور ومعه ولده وأصحابه فبسط عليهم العذاب وضربوا بالسياط حتى استخرج منهم ما قدر عليه من الأموال ثم أمر المسيب بن زهير بقطع يدى عبد الجبار ورجليه وضرب عنقه ففعل ذلك المسيب وأمر المنصور بتسيير ولده إلى دَهْلك وهى جزيرة على ضفة البحر بناحية اليمن فلم يزالوا بها حتى أغار عليهم الهند فسبوهم فيمن سبوا حتى فودوا بعد ونجا منهم من نجا فكان ممن نجا منهم واكتتب فى الديوان وصحب الخلفاء

عبدالرحمن بن عبد الجبار وبقى إلى أن توفى بمصر فى خلافة هارون فى سنة ١٧٠
﴿وفى هذه السنة﴾ فرغ من بناء المصيصة على يدى جبرئيل بن يحيى الخراسانى ورابط
محمد بن إبراهيم الإمام بملطية ﴿واختلفوا﴾ فى أمر عبدالجبار وخبره فقال الواقدى
كان ذلك فى سنة ١٤٢ وقال غيره كان ذلك فى سنة ١٤١ وذكر عن علىّ بن محمد
أنه قال كان قدوم عبدالجبار خراسان لعشر خلون من ربيع الأول سنة ١٤١ ويقال
لأربع عشرة ليلة وكانت هزيمته يوم السبت لست خلون من ربيع الأول سنة
١٤٣ وذكر عن أحمد بن الحارث أن خليفة بن خياط حدثه قال لما وجه المنصور
المهدى إلى الرىّ وذلك قبل بناء بغداد وكان توجيهه إياه لقتال عبد الجبار بن
عبدالرحمن فكفى المهدىّ أمر عبدالجبار بمن حاربه وظفر به كره أبو جعفر أن تبطل
تلك النفقات التى أنفقت على المهدى فكتب إليه أن يغزو طبرستان وينزل الرىّ
ويوجه أبا الخصيب وخازم بن خزيمة والجنود إلى الأصبهبذ وكان الأصبهبذ
يومئذ محاربا للمصمُغان ملك دنباوند معسكراً بإزائه فبلغه أن الجنود دخلت
بلاده وأن أبا الخصيب دخل سارِية فساء المصمغان ذلك وقال له متى صاروا
اليك صاروا إلى فاجتمعا على محاربة المسلمين فانصرف الأصبهبذ إلى بلاده فحارب
المسلمين وطالت تلك الحروب فوجه أبو جعفر عمر بن العلاء الذى يقول فيه بشار

فقُلْ للخليفة إنْ جئتَهُ ... نَصيحًا ولا خيْرَ فى المُتَّهَمْ
إذا أيقَظَتْكَ حُروبُ العِدَى ... فنَبِّهْ لها عُمَرًا ثمَّ نَمْ
فَتًى لا يَنامُ على دِمْنَةٍ ... ولا يَشْرَبُ الماءَ إلا بِدمْ

وكان توجيهه إياه بمشورة ابرويز أخى المصمغان فانه قال له يا أمير المؤمنين
إن عمر أعلم الناس ببلاد طبرستان فوجهه وكان أبرويز قد عرف عمر أيام سنباذ
وأيام الراوندية فضم اليه أبو جعفر خازم بن خزيمة فدخل الرويان ففتحها وأخذ
قلعة الطاق وما فيها وطالت الحرب فألح خازم على القتال ففتح طبرستان وقتل
منهم فأكثر وصار الأصبهبذ إلى قلعته وطلب الأمان على أن يسلم القلعة بما
فيها من ذخائره فكتب المهدىّ بذلك إلى أبى جعفر فوجه أبو جعفر بصالح

صاحب المصلى وعدة معه فأحصوا ما فى الحصن وانصرفوا وبدا للاصبهبذ فدخل بلاد جيلان من الديلم فمات بها وأخذت ابنته وهى أم إبراهيم بن العباس بن محمد وصمدت الجنود للمصمغان فظفروا به وبالبحترية أم منصور بن المهدى وبصيمر أم ولد على بن ريطة بنت المصمغان فهذا فتح طبرستان الأول قال ولما مات المصمغان تحوز أهل ذلك الجبل فصاروا حوزية لأنهم توحشوا كما توحش حمر الوحش (وفى هذه السنة) عزل زياد بن عبيد الله الحارثى عن المدينة ومكة والطائف واستعمل على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسرى فقدمها فى رجب وعلى الطائف ومكة الهيثم بن معاوية العتكى من أهل خراسان (وفيها) توفى موسى بن كعب وهو على شرط المنصور وعلى مصر والهند وخليفته على الهند عيينة ابنه (وفيها) عزل موسى بن كعب عن مصر ووليها محمد بن الأشعث ثم عزل عنها ووليها نوفل بن الفرات (وحج) بالناس فى هذه السنة صالح ابن على بن عبد الله بن عباس وهو على قنسرين وحمص ودمشق وعلى المدينة محمد ابن خالد بن عبد الله القسرى وعلى مكة والطائف الهيثم بن معاوية وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية وعلى قضائها سوار بن عبد الله وعلى خراسان المهدى وخليفته عليها السرى بن عبد الله وعلى مصر نوفل بن الفرات

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها خلع عيينة بن موسى بن كعب بالسند

ذكر الخبر عن سبب خلعه

ذكر أن سبب خلعه كان أن المسيب بن زهير كان خليفة موسى بن كعب على الشرط فلما مات موسى أقام المسيب على ما كان يلى من الشرط وخاف المسيب أن يكتب المنصور إلى عيينة فى القدوم عليه فيوليه مكانه وكتب اليه ببيت شعر

ولم ينسب الكتاب إلى نفسه

فأرضكَ أرضكَ إن تأتنا تنم نَوْمَةً ليس فيها حُلُمْ

وخرج أبو جعفر لما أتاه الخبر عن عيينة بخلعه حتى نزل بعسكره من البصرة عند جسرها الأكبر ووجه عمر بن حفص بن أبى صفرة العتكى عاملا على السند والهند محاربا لعيينة بن موسى فسار حتى ورد السند والهند وغلب عليها

﴿وفى هذه السنة﴾ نقض اصبهبذ طبرستان العهد بينه وبين المسلمين وقتل من كان ببلاده من المسلمين

ذكر الخبر عن أمره وأمر المسلمين

ذكر أن أبا جعفر لما انتهى اليه خبر الاصبهبذ وما فعل بالمسلمين وجه اليه خازم بن خزيمة وروح بن حاتم ومعهم مرزوق أبو الخصيب مولى أبى جعفر فأقاموا على حصنه محاصرين له ولمن معه فى حصنه وهم يقاتلونهم حتى طال عليهم المقام فاحتال أبو الخصيب فى ذلك فقال لأصحابه اضربونى واحلقوا رأسى ولحيتى ففعلوا ذلك به ولحق بالاصبهبذ صاحب الحصن فقال له إنى رُكب منى أمرٌ عظيم ضربت وحلق رأسى ولحيتى وقال له إنما فعلوا ذلك بى تهمة منهم لى ان يكون هواى معك وأخبره انه معه وانه دليل له على عورة عسكرهم فقبل منه ذلك الاصبهبذ وجعله فى خاصته وألطفه وكان باب مدينتهم من حجر يلقى القاء يرفعه الرجال وتضعه عند فتحه واغلاقه وكان قد وكل به الاصبهبذ ثقات أصحابه وجعل ذلك نوبا بينهم فقال له أبو الخصيب ما أراك وثقت بى ولا قبلت نصيحتى قال وكيف ظننت ذلك قال لتركك الاستعانة بى فيما يعنيك وتوكيلى فيما لا تثق به إلا بثقاتك فجعل يستعين به بعد ذلك فيرى منه ما يحب إلى أن وثق به فجعله فيمن ينوب فى فتح باب مدينته وإغلاقه فتولى له ذلك حتى أنس به ثم كتب أبو الخصيب إلى روح ابن حاتم وخازم بن خزيمة وصير الكتاب فى نشابة ورماها اليهم وأعلمهم ان قد ظفر بالحيلة ووعدهم ليلة وسماها لهم فى فتح الباب فلما كان فى تلك الليلة فتح لهم فقتلوا من فيها من المقاتلة وسبوا الذرارى وظفر بالبحترية وهى ام منصور بن المهدى

وامها باكند بنت الاصبهبذ الأصم وليس بالاصبهبذ الملك ذاك اخو باكند وظفر بشكلة ام ابراهيم بن المهدى وهى بنت خرناباان قهرمان المصمغان فمص الاصبهبذ خاتما له فيه سمّ فقتل نفسه (وقد قيل) إن دخول روح بن حاتم وخازم بن خزيمة طبرستان كان فى سنة ١٤٣ (وفى هذه السنة) بنى المنصور لأهل البصرة قبلتهم التى يصلون اليها فى عيدهم بالجبّان وولى بناءه سلمة بن سعيد بن جابر وهو يومئذ على الفرات والأبلة من قبل أبى جعفر وصام أبو جعفر شهر رمضان وصلى بها يوم الفطر (وفيها) توفى سليمان بن علىّ بن عبدالله بالبصرة ليلة السبت لتسع بقين من جمادى الآخرة وهو ابن تسع وخمسين سنة وصلى عليه عبدالصمد ابن علىّ (وفيها) عزل عن مصر نوفل بن الفرات ووليها محمد بن الأشعث ثم عزل عنها محمد ووليها نوفل بن الفرات ثم عزل نوفل ووليها حميد بن قحطبة (وحج) بالناس فى هذه السنة إسماعيل بن علىّ بن عبدالله بن العباس وكان العامل على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله وعلى مكة والطائف الهيثم بن معاوية وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية وعلى قضائها سوّار بن عبد الله وعلى مصر حميد بن قحطبة (وفيها) فى قول الواقدى ولى أبو جعفر أخاه العباس بن محمد الجزيرة والثغور وضم اليه عدّة من القواد فلم يزل بها حينا

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

(ففى هذه السنة) ندب المنصور الناس إلى غزو الديلم

ذكر الخبر عن ذلك

ذكر أن أبا جعفر اتصل به عن الديلم إيقاعهم بالمسلمين وقتلهم منهم مقتلة عظيمة فوجه إلى البصرة حبيب بن عبد الله بن رغبان وعليها يومئذ إسماعيل بن على وأمره بإحصاء كل من له فيها عشرة آلاف درهم فصاعداً وأن يأخذ كل من

كان ذلك له بالشخوص بنفسه لجهاد الديلم ووجه آخر لمثل ذلك إلى الكوفة (وفيها) عزل الهيثم بن معاوية عن مكة والطائف وولى ما كان اليه من ذلك السرىّ بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب وأتى السرىّ عهده على ذلك وهو باليمامة فسار إلى مكة ووجه أبو جعفر إلى اليمامة قثم بن العباس (وفيها) عزل حميد بن قحطبة عن مصر ووليها نوفل بن الفرات ثم عزل نوفل ووليها يزيد بن حاتم (وحج) بالناس فى هذه السنة عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس وكان يومئذ اليه ولاية الكوفة وسوادها وكان والى مكة فيها السرى بن عبد الله ابن الحارث ووالى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية وعلى قضائها سوار بن عبد الله وعلى مصر يزيد بن حاتم

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزو محمد بن أبى العباس بن عبد الله بن محمد بن علىّ ابن أمير المؤمنين الديلم فى أهل الكوفة والبصرة وواسط والموصل والجزيرة (وفيها) انصرف محمد بن أبى جعفر المهدىّ عن خراسان إلى العراق وشخص أبو جعفر إلى قرماسين فلقيه بها ابنه محمد منصرفا من خراسان فانصرفا جميعا إلى الجزيرة (وفيها) بنى محمد بن أبى جعفر عند مقدمه من خراسان بابنة عمه ريطة بنت أبى العباس (وفيها) حج بالناس أبو جعفر المنصور وخلف على عسكره والميرة خازم بن خزيمة (وفى هذه السنة) ولى أبو جعفر رياح بن عثمان المرىّ المدينة وعزل محمد بن خالد بن عبد الله القسرى عنها

ذكر الخبر عن سبب عزله محمد بن خالد واستعماله رياح بن عثمان وعزله زياد بن عبيد الله الحارثى من قبل محمد بن خالد

وكان سبب عزل زياد عن المدينة أن أبا جعفر همه أمر محمد وإبراهيم ابنى عبد الله بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب وتخلفهما عن حضوره مع من

شهده من سائر بنى هاشم عام حج فى حياة أخيه أبى العباس ومعه أبو مسلم وقد ذكر أن محمدا كان يذكر أن أبا جعفر ممن بايع له ليلة تشاور بنو هاشم بمكة فيمن يعقدون له الخلافة حين اضطرب أمر بنى مروان مع سائر المعتزلة الذين كانوا معهم هنالك فسأل عنهما فقال له زياد بن عبيدالله مايهمك من أمرهما أنا آتيك بهما وكان زياد يومئذ مع أبى جعفر عند مقدمه مكة سنة ١٣٦ فرد أبو جعفر زياد إلى عمه وضمنه محمدا أو إبراهيم فذكر أبو زيد عمر بن شبة أن محمد بن إسماعيل حدثه قال حدثنى عبد العزيز ابن عمران قال حدثنى عبدالله بن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال لما استخلف أبو جعفر لم تكن له همة إلا طلب محمد والمسألة عنه وما يريد فدعا بنى هاشم رجلا رجلا كلهم يخليه فيسألهم عنه فيقولون ياأمير المؤمنين قد علم أنك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم فهو يخافك على نفسه وهو لا يريد لك خلافا ولا يحب لك معصية وما أشبه هذه المقالة إلا حسن بن زيد فانه أخبره خبره وقال والله ما آمن وثوبه عليك فانه للذى لا ينام عنك فرَ رأيك قال ابن أبى عبيدة فأيقظ من لا ينام وقال محمد سمعت جدى موسى بن عبد الله يقول اللهم اطلب حسن بن زيد بدمائنا قال موسى وسمعت والله أبى يقول أشهد لعرفنى أبو جعفر حديثا ما سمعه منى إلا حسن بن زيد * حدثنى محمد بن إسماعيل قال سمعت القاسم بن محمد بن عبدالله ابن عمرو بن عثمان بن عفان قال أخبرنى محمد بن وهب السلمى عن أبى قال عرفنى أبو جعفر حديثا ما سمعه منى إلا أخى عبدالله بن حسن وحسن بن زيد فاشهد ما أخبره به عبد الله ولا كان يعلم الغيب قال محمد وسأل عنه عبدالله بن حسن عام حج فقال له مقالة الهاشميين فأخبره أنه غير راض أو يأتيه به قال محمد وحدثتنى أمى عن أبيها قال قال أبى قلت لسليمان بن على ياأخى صهرى بك صهرى ورحمى رحمى فما ترى قال والله لكأنى أنظر إلى عبدالله بن علىّ حين حال الستر بيننا وبينه وهو يشير إلينا أن هذا الذى فعلتم بى فلو كان عافيا عفا عن عمه قال فقبل رأيه قال فكان آل عبد الله يرونها صلة من سليمان لهم قال أبو زيد وحدثنى سعيد بن هُرَيم قال أخبرنى كلثوم المرائىّ قال سمعت يحيى بن خالد بن برمك يقول اشترى أبو جعفر

رقيقا من رقيق الأعراب ثم أعطى الرجل منهم البعير والرجل البعيرين والرجل الذود وفرقهم فى طلب محمد فى ظهر المدينة فكان الرجل منهم يرد الماء كالمار وكالضال فيَفرون عنه ويتجسسون قال وحدثنى محمد بن عباد بن حبيب المهلبى" قال قال لى السندى" مولى أمير المؤمنين أتدرى ما رفع عقبة بن سَلم عند أمير المؤمنين قلت لا قال أوفد عمى عمر بن حفص وفدا من السند فيهم عقبة فدخلوا على أبى جعفر فلما قضوا حوائجهم نهضوا فاسترد عقبة فأجلسه ثم قال له من أنت قال رجل من جند أمير المؤمنين وخدمه صحبت عمر بن حفص قال وما اسمك قال عقبة ابن سلم بن نافع قال ممن أنت قال من الأزد ثم من بنى هناءة قال إنى لأرى لك هيأة وموضعا وانى لأريدك لأمر أنا به معنى لم أزل أرتاد له رجلا عسى أن تكونه إن كفيتنيه رفعتك فقال أرجو أن أصدّق ظن أمير المؤمنين فى" قال فأخف شخصك واستر أمرك وأتنى فى يوم كذا وكذا فى وقت كذا وكذا فأتاه فى ذلك الوقت فقال له إن بنى عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيداً لملكنا واغتيالا له ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم وألطاف من ألطاف بلادهم فأخرج بكسى وألطاف وعين حتى تأتيهم متنكراً بكتاب تكتبه عن أهل هذه القرية ثم تسير ناحيتهم فان كانوا قد نزعوا عن رأيهم فأحبِبْ والله بهم وأقرِبْ وإن كانوا على رأيهم علمت ذلك وكنتُ على حذر واحتراس فاشخص حتى تلقى عبدالله بن حسن متقشفا متخشعا فان جبهك وهو فاعل فاصبر وعاوده فان عاد فاصبر حتى يأنس بك وتلين لك ناحيته فإذا ظهر لك ما فى قلبه فأعجل علىّ" قال فشخص حتى قدم على عبدالله فلقيه بالكتاب فأنكره ونهره وقال ما أعرف هؤلاء القوم فلم يزل ينصرف ويعود اليه حتى قبل كتابه وألطافه وأنس به فسأله عقبة الجواب فقال أما الكتاب فإنى لا أكتب إلى أحد ولكن أنت كتابى إليهم فاقرأهم السلام وأخبرهم أن ابنى خارجان لوقت كذا وكذا قال فشخص عقبة حتى قدم على أبى جعفر فأخبره الخبر * قال أبو زيد حدثنى أيوب بن عمر قال حدثنى موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال ولى أبو جعفر الفضل بن صالح بن

علىّ الموسم فى سنة ١٣٨ فقال له إن وقعت عيناك على محمد وابراهيم ابنى عبدالله بن
حسن فلا يفارقانك وإن لم ترهما فلا تسأل عنهما فقدم المدينة فتلقاه أهلها جميعاً
فيهم عبدالله بن حسن وسائر بنى حسن إلا محمد وإبراهيم ابنى عبدالله بن حسن.
فسكت حتى صدر عن الحج وصار إلى السيالة فقال لعبدالله بن حسن مامنع ابنيك
أن يلقيانى مع أهلهما قال والله مامنعهما من ذلك ريبة ولا سوء ولكنهما منهومان
بالصيد واتباعه لايشهدان مع أهليهما خيراً ولا شرّاً. فسكت الفضل عنه وجلس
على دكان قد بنى له بالسيالة فأمر عبدالله رعاته فسرّحوا عليه ظهره فأمر أحدهم
فحلب لبنا على عسل فى عُسّ عظيم ثم رقى به الدكان فأومأ اليه عبدالله أن اسق
الفضل بن صالح فقصد قصده فلما دنا منه صاح به الفضل صَيحةً مغضباً اليك ياماصّ
بظر أمّه فأدبر الراعى فوثب عبدالله وكان من أرفق الناس فتناول القعب ثم أقبل
يمشى به إلى الفضل فلما رآه يمشى اليه استحيا منه فتناوله فشرب قال أبو زيد
وحدثنى محمد بن يحيي قال حدثنى أبى عن أبيه قال كان لزياد بن عبيدالله كاتب يقال
له حفص بن عمر من أهل الكوفة يتشيع وكان يثبط زيادا عن طلب محمد
فكتب فيه عبدالعزيز بن سعد إلى أبى جعفر يحذره اليه فكتب فيه زياد إلى عيسى
ابن علىّ وعبدالله بن الربيع الحارثىّ فخلصاه حتى رجع إلى زياد قال علىّ بن محمد
قدم محمد البصرة مختفيا فى أربعين فأتوا عبدالرحمن بن عثمان بن عبدالرحمن بن الحارث
ابن هشام فقال له عبدالرحمن أهلكتنى وشهرتنى فانزل عندى وفرّقْ أصحابك فأبى
فقال ليس لك عندى منزل فانزل فى بنى راسب فنزل فى بنى راسب قال عمر حدثنى
سليمان بن محمد السارىّ قال سمعت أبا هبار المزنىّ يقول أقمنا مع محمد بن عبدالله
بالبصرة يدعو الناس إلى نفسه قال وحدثنى عيسى بن عبدالله قال قال أبو جعفر
ماطمعت فى بغية لى قط إذا ذكرت مكان بنى راسب بالبصرة قال وحدثنى
أبو عاصم النبيل قال حدثنى ابن جشيب اللهبىّ قال نزلت فى بنى راسب فى أيام ابن معاوية
فسألنى فتى منهم يوما عن اسمى فلطمه شيخ منهم فقال وما أنت وذاك ثم نظر إلى
شيخ جالس بين يديه فقال أترى هذا الشيخ نزل فينا أبوه أيام الحجاج فأقام حتى

ولد له هذا الولد وبلغ هذا المبلغ وهذا السن ولا والله ما ندرى ما اسمه ولا اسم أبيه ولا
ممن هو قال وحدثنى محمد بن الهذيل قال سمعت الزعفرانى يقول قدم محمد فنزل على عبد الله
ابن شيبان أحد بنى مرة بن عبيد فأقام ستة أيام ثم خرج فبلغ أبا جعفر مقدمه البصرة
فأقبل مغذّا حتى نزل الجسر الأكبر فأردنا عمرا على لقائه فأبى حتى غلبناه فلقيه فقال يا أبا
عثمان هل بالبصرة أحد نخافه على أمرنا قال لا قال فأقتصر على قولك وأنصرف قال
نعم فانصرف وكان محمد قد خرج قبل مقدم أبى جعفر قال علىّ بن محمد حدثنى عامر
ابن أبى محمد قال قال أبو جعفر لعمرو بن عبيد أبايعتَ محمدا قال أنا والله لو قلدتنى الأمة
أمورها ما عرفت لهما موضعا قال علىّ وحدثنى أيوب القزاز قال قلت لعمرو وما
تقول فى رجل رضى بالصبر على ذهاب دينه قال أنا ذاك قلت وكيف ولو دعوت أجابك
ثلاثون ألفا قال والله ما أعرف موضع ثلاثة إذا قالوا وفوا ولو عرفتهم لكنت لهم رابعا
قال أبو زيد حدثنى عبيد الله بن محمد بن حفص قال حدثنى أبى قال وجل محمد وإبراهيم
من أبى جعفر فأتيا عدَن ثم سارا الى السند ثم الى الكوفة ثم الى المدينة قال عمرو
حدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى الحارث بن اسحاق قال تكفل زياد لأمير المؤمنين
بابنى عبد الله ان يخرجهما له فأقره على المدينة فكان حسن بن زيد اذا علم من
أمرهما علما كف حتى يفارقا مكانهما ذلك ثم يخبر أبا جعفر فيجد الرسم الذى ذكر
فيصدقه بما رفع اليه حتى كانت سنة ١٤٠ فحج فقسم قسوما خص فيها آل أبى طالب
فلم يظهر له ابنا عبد الله فبعث إلى عبد الله فسأله عنهما فقال لا علم لى بهما حتى
تغالظا فأمصه أبو جعفر فقال يا أبا جعفر بأىّ أمهاتى تمصنى أبفاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم أم بفاطمة بنت أسد أم بفاطمة بنت حسين أم أم إسحاق بنت
طلحة أم خديجة بنت خويلد قال لا بواحدة منهن ولكن بالجرباء بنت قسامة
ابن زهير وهى امرأةٌ من طيّء قال فوثب المسيب بن زهير فقال دعنى يا امير المؤمنين
أضرب عنق ابن الفاعلة قال فقام زياد بن عبيد الله فألقى عليه رداءه وقال هبه
لى يا أمير المؤمنين فأنا أستخرج لك ابنيه فتخلصه منه قال عمرو حدثنى الوليد بن
هشام بن قحذم قال قال الحزين الديلى لعبد الله بن الحسن ينعى عليه ولادة الجرباء

لعلك بالجرْباءِ أو بحكاكة تُفاخِرُ أمّ الفَضل وابنة مِشْرَح
وما منهما إلا حَصانٌ نجيبةٌ لها حَسَبٌ فى قومها مُتَرجّح

قال عمرو حدثنى محمد بن عباد قال قال لى السندى مولى أمير المؤمنين لما أخبر عقبة بن سلم أبا جعفر أنشأ الحج وقال لعقبة إذا صرت بمكان كذا وكذا لقينى بنو حسن فيهم عبد الله فأنا مبجله ورافع مجلسه وداع بالغداء فاذا فرغنا من طعامنا فلحظتك فامثل بين يديه قائما فإنه سيصرف بصره عنك فدر حتى تغمز ظهره بإبهام رجلك حتى يملأ عينه منك ثم حسبك وإياك أن يراك ما دام يأكل فخرج حتى إذا تدفع فى البلاد لقيه بنو حسن فأجلس عبد الله إلى جانبه ثم دعا بالطعام فأصابوا منه ثم أمر به فرفع فأقبل على عبد الله فقال يا أبا محمد قد علمت ما اعطيتنى من العهود والمواثيق الا تبغينى سوءاً ولا تكيد لى سلطانا قال فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين قال فلحظ أبو جعفر عقبة فاستدار حتى قام بين يديه فأعرض عنه فرفع رأسه حتى قام من وراء ظهره فغمزه بأصبعه فرفع رأسه فملأ عينه منه فوثب حتى جثا بين يدى ابى جعفر فقال أقلنى يا امير المؤمنين اقالك الله قال لا اقالنى الله إن اقلتك ثم امر بحبسه قال عمر وحدثنى بكر بن عبد الله بن عاصم مولى قُريبة بنت عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق قال حدثنى على بن رباح بن شبيب اخو إبراهيم عن صالح صاحب المصلى قال إنى لواقف على رأس ابى جعفر وهو يتغدى بأوطاس وهو متوجه إلى مكة ومعه على مائدته عبد الله بن حسن وابو الكرام وجماعة من بنى العباس فأقبل على عبد الله فقال يا ابا محمد محمد وإبراهيم اراهما قد استوحشا من ناحيتى وإنى لأحب ان يأنسانى وان يأتيانى فأصِلَهما وأخاطهما بنفسى قال وعبد الله مطرق طويلا ثم رفع رأسه فقال وحقك يا أمير المؤمنين فما لى بهما ولا بموضعهما من البلاد علم ولقد خرجا من يدى فيقول أبو جعفر لا تفعل يا أبا محمد اكتب إليهما وإلى من يوصل كتابك إليهما قال فامتنع ابو جعفر ذلك اليوم من عامة غدائه إقبالا على عبد الله وعبد الله يحلف مايعرف موضعهما وابو جعفر يكرر عليه لا تفعل يا ابا محمد لا تفعل يا ابا محمد لا تفعل يا ابا محمد قال وكان

شدة هرب محمد من أبي جعفر أن أبا جعفر كان عقد له بمكة فى أناس من المعتزلة قال عمر حدثنى أيوب بن عمر يعنى ابن أبى عمرو قال حدثنى محمد بن خالد بن اسماعيل ابن أيوب بن سلمة المخزومى قال أخبرنى أبى قال أخبرنى العباس بن محمد بن على ابن عبد الله بن عباس قال لما حج أبو جعفر فى سنة ١٤٠ أتاه عبد الله وحسن ابنا حسن فإنهما وإياى لعنده وهو مشغول بكتاب ينظر فيه إذ تكلم المهدى فلحن فقال عبد الله يا أمير المؤمنين ألا تأمر بهذا من يعدل لسانه فإنه يغفل غفل الأمة فلم يفهم وغمزت عبد الله فلم ينتبه وعاد لأبى جعفر فاحتفظ من ذلك وقال أين ابنك فقال لا أدرى قال لتأتينى به قال لو كان تحت قدمى مارفعتهما عنه قال ياربيع قم به إلى الحبس قال عمر حدثنى موسى بن سعيد بن عبد الرحمن الجمحى قال لما تمثل عبد الله بن حسن لأبى العباس

ألم تَرَ حَوْشَبًا أمسى يُبَنِّى   بيُوتاً نَفعُها لبنى بُقَيْله

لم تزل فى نفس أبى جعفر عليه فلما أمر بحبسه قال ألست القائل لأبى العباس

ألم تر حوشباً أمسى يبنّى   بيوتاً نفعها لبنى بقيله

وهو آمن الناس عليك وأحسنهم إليك صنيعاً قال عمر حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنى الحارث بن إسحاق عن أبى حُنَيْن قال دخلت على عبد الله بن حسن وهو محبوس فقال هل حدث اليوم من خبر قلت نعم قد أمر ببيع متاعك ورقيقك ولا أرى أحداً يقدم على شرائه فقال ويحك يا أبا حنين والله لو خرج بى وبيناتى مسترقين لاشترينا قال عمرو حدثنى محمد بن يحيى قال حدثنا الحارث بن إسحاق قال شخص أبو جعفر وعبد الله بن حسن محبوس فأقام فى الحبس ثلاث سنين قال عمر وحدثنى عبد الله بن إسحاق بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب قال حدثنى أبو حرملة محمد بن عثمان مولى آل عمرو بن عثمان قال حدثنى أبو هبار المزنى قال لما حج أبو جعفر سنة ١٤٠ حج تلك السنة محمد وإبراهيم ابنا عبد الله وهما متغيبان فاجتمعوا بمكة فأرادوا اغتيال أبى جعفر فقال لهم الأشتر عبد الله بن محمد بن عبد الله أنا أكفيكموه فقال محمد لا

والله لا أقتله أبداً غيلة حتى أدعوه قال فنقض أمرهم ذلك وما كانوا أجمعوا عليه وقد كان دخل معهم فى أمرهم قائد من قواد أبى جعفر من أهل خراسان قال فاعترض لأبى جعفر اسماعيل بن جعفر بن محمد الأعرج فنمى إليه أمرهم فأرسل فى طلب القائد فلم يظفر به وظفر بجماعة من أصحابه وأفلت الرجل وغلام له بمال زُهاء ألفى دينار كانت مع الغلام فأتاه بها وهو مع محمد فقسمها بين أصحابه قال أبو هبار فأمرنى محمد فاشتريت للرجل أباعر وجهّزته وحملته فى قُبّة وقطرته وخرجت أريد به المدينة حتى أوردته إياها وقدم محمد فضمه إلى أبيه عبد الله ووجههما إلى ناحية من خراسان قال وجعل أبو جعفر يقتل أصحاب ذلك القائد الذى كان من أمره ما ذكرتُ قال عمر وحدثنى محمد بن يحيى بن محمد قال حدثنى أبى عن أبيه قال غدوتُ على زياد بن عبيد الله وأبو جعفر بالمدينة قال فقال أخبركم عجبا مما لقيته الليلة طرقنى رسل أمير المؤمنين نصف الليل وكان زياد قد تحول لقدوم أمير المؤمنين إلى داره بالبلاط قال فدقت علىّ رسله فخرجت ملتحفا بإزارى ليس علىّ ثوب غيره فنبهت غلماناً لى وخصيانا فى سقيفة الدار فقلت لهم إن هدموا الدار فلا يكلمنهم منكم أحد قال فدقوا طويلا ثم انصرفوا فأقاموا ساعة ثم طلعوا بجرز شبيه أن يكون معهم مثلهم مرة أو مرتين فدقوا الباب بُجرَزة الحديد وصيحوا فلم يكلمهم أحد فرجعوا فأقاموا ساعة ثم جاءوا بأمر ليس عليه صبر فظننت والله أن قد هدموا الدار علىّ فأمرت بفتحها وخرجت إليهم فاستحثونى وهموا أن يحملونى وجعلت أسمع العزاء من بعضهم حتى أسلمونى إلى دار مروان فأخذ رجلان بعضدى فخرجانى على حال الزفيف على الأرض أو نحوه حتى أتيابى حجرة القبة العظمى فإذا الربيع واقف فقال ويحك يا زياد ماذا فعلت بنا وبنفسك منذ الليلة ومضى بى حتى كشف ستر باب القبة فأدخلنى ووقف خلفى بين البابين فإذا الشمع فى نواحى القبة فهى تزهر ووصيف قائم فى ناحيتها وأبو جعفر محتب بحمائل سيفه على بساط ليس تحته وسادة ولا مصلى وإذا هو منكس رأسه ينقر بجرز فى يده قال فأخبرنى الربيع أنها حاله من حين

صلى العتمة إلى تلك الساعة قال فما زلت واقفا حتى إنى لأنتظر نداء الصبح وأجد لذلك فرجا فما يكلمنى بكلمة ثم رفع رأسه إلىّ فقال يا ابن الفاعلة أين محمد وإبراهيم قال ثم نكس رأسه ونكت أطول مما مضى له ثم رفع رأسه الثانية فقال يا ابن الفاعلة أين محمد وإبراهيم قتلنى الله إن لم أقتلك قال قلت له اسمع منى ودعنى أكلمك قال قل قلت له أنت نفرتهما عنك بعثت رسولا بالمال الذى أمرت بقسمه على بنى هاشم فنزل القادسية ثم أخرج سكينا يحدّه وقال بعثنى أمير المؤمنين لأذبح محمداً وإبراهيم فجاءتهما بذلك الأخبار فهربا قال فصرّفنى فانصرفت قال عمر وحدثنى عبد الله بن راشد بن يزيد وكان يلقب الأكار من أهل فيْد قال سمعت نصر بن قادم مولى بنى محول الحناطين قال كان عبدويه وأصحاب له بمكة فى سنة حجها أبو جعفر قال فقال لأصحابه إنى أريد أن أوجر أبا جعفر هذه الحربة بين الصفا والمروة قال فبلغ ذلك عبد الله بن حسن فنهاه وقال أنت فى موضع عظيم فما أرى أن تفعل وكان قائد لأبى جعفر يدعى خالد بن حسان كان يدعى أبا العساكر على ألف رجل وكان قدما لأعبدويه وأصحابه فقال له أبو جعفر أخبرنى عنك وعن عبدويه والعطاردى ما أردتم أن تصنعوا بمكة قال أردنا كذا وكذا قال فما منعكم قال عبد الله بن حسن قال فطمره فلم ير حتى الساعة قال عمر حدثنى محمد بن يحيى قال حدثنا الحارث بن إسحق قال جد أبو جعفر حين حبس عبد الله فى طلب ابنيه فبعث عينا له وكتب معه كتاباً على ألسن الشيعة إلى محمد يذكرون طاعتهم ومسارعتهم وبعث معه بمال وألطاف فقدم الرجل المدينة فدخل على عبد الله ابن حسن فسأله عن محمد فذكر له أنه فى جبل جهينة وقال امرر بعلىّ بن حسن الرجل الصالح الذى يدعى الأغر وهو بذى الأبر فهو يرشدك فأتاه فأرشده وكان لأبى جعفر كاتب على سره كان متشيعا فكتب إلى عبد الله بن حسن بأمر ذلك العين وما بعث له فقدم الكتاب على عبد الله فارتاعوا وبعثوا أبا هبار إلى علىّ ابن الحسن وإلى محمد فيحذرهم الرجل فخرج أبو هبار حتى نزل بعلى بن حسن فسأله فأخبره أن قد أرشده إليه قال أبو هبار فجئت محمداً فى موضعه الذى هو به فإذا

هو جالس فى كهف معه عبد الله بن عامر الأسلمى وابنا شجاع وغيرهم والرجل معهم أعلاهم صوتا وأشدهم انبساطا فلما رآنى ظهر عليه بعض النَّكرة وجلست مع القوم فتحدثت ملياً ثم أصغيت إلى محمد فقلت إن لى حاجة فنهض ونهضت معه فأخبرته بخبر الرجل فاسترجع وقال فما الرأى فقلت إحدى ثلاث أيّها شئت فافعل قال وما هى قلت تدعنى فأقتل الرجل قال ما أنا بمقارف دما إلا مكرهاً أو ماذا قلت توقره حديداً وتنقله معك حيث انتقلت قال وهل بنا فراغ له مع الخوف والإعجال أو ماذا قلت تُشدّه وتوثقه وتودعه بعض أهل ثقتك من جهينة قال هذه إذا فرجعنا وقد نذر الرجل فهرب فقلت أين الرجل قالوا قام بركوة فاصطبّ ماء ثم توارى بهذا الظرب يتوضأ قال فجلنا بالجبل وما حوله فكأن الأرض التأمت عليه قال وسعى على قدميه حتى شرع على الطريق فمرّ به أعراب معهم حمولة إلى المدينة فقال لبعضهم فرغ هذه الغرارة وأدخلنيها أكن عدلا لصاحبتها ولك كذا وكذا قال نعم ففرغها وحمله حتى أقدمه بالمدينة ثم قدم على أبى جعفر فأخبره الخبر كله وعمى عن اسم أبى هبار وكنيته وعلق وبرا فكتب أبو جعفر فى طلب وبر المزنىّ فحمل إليه رجل منهم يدعى وبراً فسأله عن قصة محمد وما حكى له العين فحلف أنه ما يعرف من ذلك شيئا فأمر به فضرب سبعمائة سوط وحُبس حتى مات أبو جعفر قال عمر حدثنى محمد بن يحيي قال حدثنى الحارث بن إسحق قال ألح أبو جعفر فى طلب محمد وكتب إلى زياد بن عبيد الله الحارثىّ يتنجزه ما كان ضمن له فقدم محمد المدينة قدمة فبلغ ذلك زيادا فتلطف له وأعطاه الأمان على أن يظهر وجهه للناس معه فوعده ذلك محمد فركب زياد مغلساً ووعد محمدا سوق الظهر فالتقيا بها ومحمد معلن غير مختف ووقف زياد إلى جنبه وقال يا أيها الناس هذا محمد بن عبد الله بن حسن ثم أقبل عليه فقال الحق بأى بلاد الله شئت وتوارى محمد وتواترت الأخبار بذلك على أبى جعفر قال عمر حدثنى عيسى بن عبد الله قال حدثنى من أصدّق قال دخل ابراهيم بن عبد الله على زياد وعليه درع حديد تحت ثوبه فلمسها زياد ثم قال يا أبا اسحاق كأنك اتهمتنى ذلك والله ما ينالك منى أبداً قال عمر حدثنى

عيسى قال حدثنى أبى قال ركب زياد بمحمد فأتى به السوق فتصايح أهل المدينة المهدىّ المهدى فتوارى فلم يظهر حتى خرج قال عمر حدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى الحارث بن إسحاق قال لما أن تتابعت الأخبار على أبى جعفر بما فعل زياد بن عبيد الله وجه أبا الأزهر رجلا من أهل خراسان إلى المدينة وكتب معه كتابا ودفع اليه كتبا وأمره أن لا يقرأ كتابه اليه حتى ينزل الأعوص على بريد من المدينة فلما أن نزله قرأه فاذا فيه تولية عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المدينة وكان قاضياً لزياد بن عبيد الله وشد زياد فى الحديد واصطفاء ماله وقبض جميع ما وجد له وأخذ عماله واشخاصه وإياهم إلى أبى جعفر فقدم أبو الأزهر المدينة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ١٤١ فوجد زياداً فى موكب له فقال أين الأمير فقيل ركب وخرجت الرسل إلى زياد بقدومه فأقبل مسرعا حتى دخل دار مروان فدخل عليه أبو الأزهر فدفع اليه كتابا من أبى جعفر فى ثلث يأمره أن يسمع ويطيع فلما قرأه قال سمعاً وطاعة فمر يا أبا الأزهر بما أحببت قال ابعث إلى عبد العزيز بن المطلب فبعث اليه فدفع اليه كتابا أن يسمع لأبى الأزهر فلما قرأه قال سمعا وطاعة ثم دفع إلى زياد كتابا يأمره بتسليم العمل إلى ابن المطلب ودفع إلى ابن المطلب كتابا بتوليته ثم قال لابن المطلب ابعث إلىّ أربعة كبول وحدّاداً فأتى بهما فقال اشدد أبا يحيى فشد فيها وقبض ماله ووجد فى بيت المال خمسة وثمانين ألف دينار وأخذ عماله فلم يغادر منهم أحداً فشخص بهم وبزياد فلما كانوا فى طرف المدينة وقف له عماله يسلمون عليه فقال بأبى أنتم والله ما أبالى إذا رآكم أبو جعفر ما صنع بى أى من هيأتهم ومروتهم قال عمر وحدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى الحارث بن اسحاق عن خاله علىّ ابن عبد الحميد قال شيعنا زياداً فسرت تحت محمله ليلة فأقبل علىّ فقال والله ما أعرف لى عند أمير المؤمنين ذنبا غير أنى أحسبه وجد علىّ فى ابنى عبد الله ووجد دماء بنى فاطمة علىّ عزيزة ثم مضوا حتى كانوا بالشقراء فأفلت منهم محمد بن عبد العزيز فرجع إلى المدينة وحبس أبو جعفر الآخرين ثم خلى عنهم قال وحدثنى عيسى بن عبد الله قال حدثنى من أصدق قال لما أن وجه أبو جعفر مبهوتا وابن أبى عاصية فى

طلب محمد كان مبهوت الذى أخذ زياداً فقال زياد:

أُكَلَّفُ ذنبَ قومٍ لستُ منهم وما جَنَتِ الشمال على اليمين

قال وحدثنى عيسى بن عبد الله قال حدثنى عبد الله بن عمران بن أبى فروة قال كنت أنا والشعبانى قائد كان لأبى جعفر مع زياد بن عبيد الله نختلف إلى أبى الأزهر أيام بعثه أبو جعفر فى طلب بنى حسن فانى لأسير مع أبى الأزهر يوما إذا أتاه آت فلصق به فقال إن عندى نصيحة فى محمد وابراهيم قال اذهب عنا قال إنها نصيحة لأمير المؤمنين قال اذهب عنا ويلك قد قتل الخلق قال فأبى أن ينصرف فتركه أبو الأزهر حتى خلا الطريق ثم بعج بسيفه بطنه بُعجة ألقاه ناحية ثم استعمل أبو جعفر على المدينة محمد بن خالد بعد زياد * فذكر عمر أن محمد بن يحيى حدثه قال حدثنا الحارث بن إسحق قال استعمل أبو جعفر على المدينة محمد بن خالد بعد زياد وأمره بالجد فى طلب محمد وبسط يده فى النفقة فى طلبه فأغد السير حتى قدم المدينة هلال رجب سنة ١٤١ ولم يعلم به أهل المدينة حتى جاء رسوله من الشقرة وهى بين الأعوص والطرف على ليلتين من المدينة فوجد فى بيت المال سبعين ألف دينار وألف ألف درهم فاستغرق ذلك المال ورفع فى محاسبته أموالا كثيرة أنفقها فى طلب محمد فاستبطأه أبو جعفر واتهمه فكتب اليه أبو جعفر يأمره بكشف المدينة وأعراضها فأمر محمد بن خالد أهل الديوان أن يتجاعلوا لمن يخرج فتجاعلوا رباع الغاضرى المضحك وكان يداين الناس بألف دينار فهلكت وتويت وخرجوا إلى الأعراض لكشفها عن محمد وأمر القسرى أهل المدينة فلزموا بيوتهم سبعة أيام وطافت رسله والجند ببيوت الناس يكشفونها لا يحسون شيئا وكتب القسرى لأعوانه صكاكا يتعززون بها لئلا يعرض لهم أحد فلما استبطأه أبو جعفر ورأى ما استغرق من الأموال عزله قال وحدثنى عيسى بن عبد الله قال أخبرنى حسين بن يزيد عن ابن ضبة قال اشتد أمر محمد وابراهيم على أبى جعفر فبعث فدعا أبا السعلاء من قيس بن عيلان فقال ويلك أشر علىّ فى أمر هذين الرجلين فقد غمنى أمرهما قال أرى لك أن تستعمل رجلا من ولد الزبير أو طلحة فانهم يطلبونهما

يذحل فأشهد لا يلبثونهما أو يخرجوهما اليك قول قاتلك الله ماأجود رأياً جئت به والله ماغبى هذا علىّ ولكنى أعاهد الله أن لا أثئر من أهل بيتى بعدوى وعدوهم ولكنى أبعث عليهم صعليكا من العرب فيفعل ماقلت فبعث رياح بن عثمان بن حيان قال وحدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى عبد الله بن يحيى عن موسى بن عبد العزيز قال لما أراد أبو جعفر عزل محمد بن خالد عن المدينة ركب ذات يوم فلما خرج من بيته استقبله يزيد بن أسيد السلمى فدعاه فسايره ثم قال أما تدلنى على فتى من قيس مُقِلٍ أغنيه وأشرفه وأمكنه من سيد اليمن يلعب به يعنى ابن القسرى قال بلى قد وجدته ياأمير المؤمنين قال من هو قال رياح بن عثمان بن حيان المرى قال فلا تذكرن هذا لأحد ثم انصرف فأمر بنجائب وكسوة ورحال فهيئت للمسير فلما انصرف من صلاة العتمة دعا برياح فذكر له ما بلا من غش زياد وابن القسرى فى ابنى عبد الله وولاه المدينة وأمر بالمسير من ساعته قبل أن يصل إلى منزله وأمره بالجد فى طلبهما فخرج مسرعا حتى قدمها يوم الجمعة لسبع ليال بقين من شهر رمضان سنة ١٤٤ قال وحدثنى محمد بن معروف قال أخبرنى الفضل بن الربيع عن أبيه قال لما بلغ أمر محمد وإبراهيم من أبى جعفر مابلغ خرجت يوما من عنده أو من بيتى أريد فاذا أنا برجل قد دنا منى فقال أنا رسول رياح بن عثمان اليك يقول لك قد بلغنى أمر محمد وابراهيم وإدهان الولاة فى أمرهما وإن ولانى أمير المؤمنين المدينة ضَمِنت له أحدهما وألا أظهرهما قال فأبلغت ذلك أمير المؤمنين فكتب اليه بولايته وليس بشاهد * ذكر عمر بن شبة عن محمد بن يحيى عن عبد الله بن يحيى عن موسى ابن عبد العزيز قال لما دخل رياح دار مروان فصار فى سقيفتها أقبل على بعض من معه فقال هذه دار مروان قالوا نعم قال هذه المحلال المظعان ونحن أول من يظعن منها قال عمر حدثنى أيوب بن عمر قال حدثنى الزبير بن المنذر مولى عبد الرحمن بن العوام قال قدم رياح بن عثمان فقدم معه حاجب له يكنى أبا البخترى وكان لأبى صديقا زمان الوليد بن يزيد قال فكنت آتيه لصداقته لأبى فقال لى يوما يازبير إن رياحا لما دخل دار مروان قال لى هذه دار مروان أما والله إنها

لمحلال مظعان فلما تكشف الناس عنه وعبد الله محبوس فى قبة الدار التى على
الطريق إلى المقصورة حبسه فيها زياد بن عبيد الله قال لى يا أبا البخترى خذ بيدى
ندخل على هذا الشيخ فأقبل متكئاً على حتى وقف على عبد الله بن حسن فقال
أيها الشيخ إن أمير المؤمنين والله ما استعملنى لرحم قريبة ولا يد سلفت إليه والله
لا لعبت بى كما لعبت بزياد وابن القسرى والله لأزهقن نفسك أو لتأتينى بابنيك
محمد وإبراهيم قال فرفع رأسه إليه وقال نعم أما والله إنك لأزيرق قيس المذبوح
فيها كما تذبح الشاة قال أبو البخترى فانصرف رياح والله آخذا بيدى أجد برد يده
وإن رجليه ليخطآن مما كلمه قال قلت والله إن هذا ما اطلع على الغيب قال إيهاً
ويلك فوالله ما قال إلا ما سمع قال فذبح والله فيها ذبح الشاة قال وحدثنى محمد بن
يحيى قال حدثنا الحارث بن إسحق قال قدم رياح المدينة فدعا بالقسرى فسأله عن
الأموال فقال هذا كاتبى هو أعلم بذلك منى قال أسألك ويحيلنى على كاتبك فأمر به
فوُجئَت عنقه وقنع أسواطا ثم أخذ رزاما كاتب محمد بن خالد القسرى ومولاه
فبسط عليه العذاب وكان يضربه فى كل غب خمسة عشر سوطا مغلولة يده إلى عنقه
من بكرة إلى الليل يتبع به أفناء المسجد والرحبة ودس إليه فى الرفع على ابن خالد
فلم يجد عنده فى ذلك مساغا فأخرجه عمر بن عبد الله الجذامى وكان خليفة
صاحب الشرط يوما من الأيام وهو يريد ضربه وما بين قدميه إلى قرنه قرحة
فقال له هذا يوم غبك فأين تحب أن نجلدك قال والله ما فى بدنى موضع
لضرب فان شئت فبطون كفى فأخرج كفيه فضرب فى بطونهما خمسة عشر
سوطا قال فجعلت رسل رياح تختلف إليه تأمره أن يرفع على ابن خالد ويخلى
سبيله فأرسل اليه مر بالكف عنى حتى أكتب كتابا فأمر بالكف عنه ثم
ألح عليه وبعث اليه أن رُح بالكتاب العشية على رؤس الناس فادفعه إلى
فلما كان العشى أرسل اليه فأتاه وعنده جماعة فقال أيها الناس إن الأمير أمرنى أن
أكتب كتابا وأرفع على ابن خالد وقد كتبت كتابا أتنجى به وأنا أشهدكم أنه

كل ما فيه باطل فأمر به رياح فضرب مائة سوط ورد إلى السجن قال عمر حدثنى عيسى بن عبد الله قال حدثنى عمى عبيد الله بن محمد بن عمر بن على قال لما أهبط الله آدم من الجنة رفعه على أبى قبيس فرفع له الأرض جميعاً حتى رآها وقال هذه كلها لك قال أى رب كيف أعلم ما فيها فجعل له النجوم فقال إذا رأيت نجم كذا وكذا كان كذا وكذا وإذا رأيت نجم كذا وكذا كان كذا وكذا فكان يعلم ذلك بالنجوم ثم إن ذلك اشتد عليه فأنزل الله عز وجل مرآة من السماء يرى بها ما فى الأرض حتى إذا ما مات آدم عمد اليها شيطان يقال له فقطس فكسرها وبنى عليها مدينة بالمشرق يقال لها جابرت فلما كان سليمان بن داود سأل عنها فقيل له أخذها فقطس فدعاه فسأله عنها فقال هى تحت أواسى جابرت قال فأتنى بها قال ومن يهدمها فقالوا لسليمان قل له أنت فقال سليمان أنت فأتى بها سليمان فكان يجبر بعضها إلى بعض ثم يشدها فى أقطارها بسير ثم ينظر فيها حتى هلك سليمان فوثبت عليها الشياطين فذهبت بها وبقيت منها بقية فتوارثتها بنو إسرائل حتى صارت إلى رأس الجالوت فأتى بها مروان بن محمد فكان يحكها ويجعلها على مرآة أخرى فيرى فيها ما يكره فرمى بها وضرب عنق رأس الجالوت ودفعها إلى جارية له فجعلتها فى كرسفة ثم جعلتها فى حجر فلما استخلف أبو جعفر سأل عنها فقيل له هى عند فلانة فطلبها حتى وجدها فكانت عنده فكان يحكها ويجعلها على مرآة أخرى فيرى فيها فكان يرى محمد بن عبد الله فكتب إلى رياح ابن عثمان إن محمداً ببلاد فيها الأترج والأعناب فاطلبه بها وقد كتب إلى محمد بعض أصحاب أبى جعفر لا تقيمن فى موضع إلا بقدر مسير البريد من العراق إلى المدينة فكان ينتقل فيراه بالبيضاء وهى من وراء الغابة على نحو من عشرين ميلا وهى لاشجع فكتب اليه إنه ببلاد بها الجبال والقلات فيطلبه فلا يجده قال فكتب اليه إنه بجبل به الحب الأخضر والقطران قال هذه رضوى فطلبه فلم يجده قال أبو زيد حدثنى أبو صفوان نصر بن قديد بن نصر بن سيار أنه بلغه أنه كان عند أبى جعفر مرآة يرى فيها عدوه من صديقه قال وحدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى

الحارث بن إسحاق قال جد رياح فى طلب محمد فاخبر انه فى شعب من شعاب رضوى جبل جهينة وهى من عمل ينبع فاستعمل عليها عمرو بن عثمان بن مالك الجهنى أحد بنى جشم وأمره بطلب محمد فطلبه فذكر له انه بشعب من رضوى فخرج اليه بالخيل والرجال ففزع منه محمد فاحضر شدآ فافلت وله ابن صغيرولد فى خوفه ذلك وكان مع جارية له فهوى من الجبل فتقطع وانصرف عمرو بن عثمان قال وحدثنى عبد الله بن محمد بن حكيم الطائى قال لما سقط ابن محمد فمات ولقى محمد ما لقى قال

منخرِق السّربال يشكو الوَجى تَنكُبُهُ أطرافُ مروٍ حِدادِ
شرَّده الخوفُ فأزْرَى به كذاكَ مَنْ يَكرَهُ حَرَّ الجلادِ
قد كان فى الموت له راحةٌ والموتُ حتمٌ فى رقاب العباد

قال وحدثنى عيسى بن عبد الله قال حدثنى عمى عبيدالله بن محمد قال قال محمد ابن عبدالله بينا أنا فى رضوى مع أمة لى أم ولدمعها بُنَىّ لى ترضعه إذا ابن سَنُوطى مولى لأهل المدينة قد هجم علىّ فى الجبل يطلبنى فخرجت هاربا وهربت الجارية فسقط الصبىّ منها فتقطع فقال عبيد الله فأتى بابن سنوطى إلى محمد بعدحين ظهر فقال يا ابن سنوطى أتعرف حديث الصبىّ قال إى والله إنى لأعرفه فأمر به فحبس فلم يزل محبوسا حتى قتل محمد قال وحدثنى عبد العزيز بن زياد قال حدثنى أبى قال قال محمد إنى بالحرة مصعد ومنحدر إذا أنا برياح والخيل فعدلت إلى بئر فوقفت بين قرنيها فجعلت أستقى فلقينى رياح صفحا فقال قاتله الله أعرابيا ما أحسن ذراعه قال وحدّثنى ابن زبالة قال حدثنى عثمان بن عبد الرحمن الجهنىّ عن عثمان ابن مالك قال أذلق رياح محمدا بالطلب فقال لى اغد بنا إلى مسجد الفتح ندع الله فيه قال فصليت الصبح ثم انصرفت اليه فغدونا وعلى محمد قميص غليظ ورداء قرقبىّ مفتول فخرجنا من موضع كان فيه حتى إذا كان قريبا التفت فاذا رياح فى جماعة من أصحابه ركبان فقلت له هذا رياح إنا لله وإنا اليه راجعون فقال غير مكترث به امض فمضيت وما تنقلنى رجلاى وتنحى هو عن الطريق فجلس وجعل

ظهره مما يلي الطريق وسدل هدب ردائه على وجهه وكان جسيما فلما حاذى به رياح التفت إلى أصحابه فقال امرأة رأتنا فاستحيت قال ومضيت حتى طلعت الشمس وجاء رياح فصعد وصلى ركعتين ثم انصرف من ناحية بطحان فأقبل محمد حتى دخل المسجد فصلى ودعا ولم يزل محمد بن عبد الله ينتقل من موضع إلى موضع إلى حين ظهر * ولما طال على المنصور أمره ولم يقدر عليه وعبد الله بن حسن محبوس قال عبد العزيز بن سعيد فيما ذكر عن عيسى بن عبد الله عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال لأبي جعفر يا أمير المؤمنين أتطمع أن يخرج لك محمد وإبراهيم وبنو حسن مخلون والله للواحد منهم أهيب فى صدور الناس من الأسد قال فكان ذلك الذى هاجه على حبسهم قال ثم دعاه فقال من أشار عليك بهذا الرأى قال فليح بن سليمان فلما مات عبد العزيز بن سعيد وكان عينا لأبي جعفر وواليا على الصدقات وضع فليح بن سليمان فى موضعه وأمر أبو جعفر بأخذ بنى حسن قال عيسى حدثنى عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال أمر أبو جعفر رياحا بأخذ بنى حسن ووجه فى ذلك أبا الأزهر المهرى قال وقد كان حبس عبد الله بن حسن فلم يزل محبوسا ثلاث سنين فكان حسن بن حسن قد نصّل خضابه تسليا على عبد الله فكان أبو جعفر يقول ما فعلت الحادة قال فأخذ رياح حسنا وإبراهيم ابنى حسن بن حسن وحسن بن جعفر بن حسن بن حسن وسليمان وعبد الله ابنى داود بن حسن بن حسن ومحمد وإسماعيل وإسحاق بنى إبراهيم بن حسن بن حسن وعباس بن حسن بن حسن بن حسن بن على بن أبي طالب أخذوه على بابه فقالت أمه عائشة ابنة طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر دعونى أشمه قالوا لا والله ما كنت حية فى الدنيا وعلى بن حسن بن حسن بن حسن العابد قال وحدثنى إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم قال حبس معهم أبو جعفر عبد الله بن حسن بن حسن أخا على قال وحدثنى محمد بن يحيى قال حدثنا الحارث بن إسحاق قال جهر رياح بشتم محمد وإبراهيم ابنى عبد الله وشتم أهل المدينة قال ثم قال يوما وهو على المنبر يذكرهما الفاسقين الخالعين الحاربين قال ثم ذكر ابنة أبي عبيدة أمهما فأفحش لها فسبح

الناس وأعظموا ما قال فأقبل عليهم فقال انكم لا كلنا عن شتمهما ألصق الله بوجوهكم الذل والهوان أما والله لأكتبنّ إلى خليفتكم فلأعلمنه غشكم وقلة نصحكم فقال الناس لا تسمع منك يا ابن المحدود وبادروه بالحصى فبادر واقتحم دار مروان وأغلق عليه الباب وخرج الناس حتى صفوا وجاهه فرموه وشتموه ثم تناهوا وكفوا قال وحدثني محمد بن يحيي قال حدثني الثقة عندي قال حبس معهم موسى ابن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي وعلي بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن عند مقدمه من مصر قال وحدثني عبد الله بن عمر بن حبيب قال وجه محمد بن عبد الله ابنه عليا إلى مصر فدل عليه عاملها وقد هم بالوثوب فشده وأرسل به إلى أبي جعفر فاعترف له وسمى أصحاب أبيه فكان فيمن سمى عبد الرحمن بن أبي الموالى وأبو حنين فأمر بهما أبو جعفر فحبسا وضرب أبو حنين مائة سوط قال وحدثني عيسى قال مر حسن بن حسن بن حسن على إبراهيم بن حسن وهو يعلف إبلا له فقال أتعلف إبلك وعبد الله محبوس أطلق عقلها يا غلام فأطلقها ثم صاح فى أدبارها فلم يوجد منها واحد قال وحدثني عيسى قال حدثني على بن عبد الله ابن محمد بن عمر بن على قال حضرنا باب رياح فى المقصورة فقال الآذن من كان ههنا من بنى حسين فليدخل فقال لى عمى عمر بن محمد أنظر ما يصنع القوم قال فدخلوا من باب المقصورة وخرجوا من باب مروان قال ثم قال من ههنا من بنى حسن فليدخل فدخلوا من باب المقصورة ودخل الحدادون من باب مروان فدعى بالقيود قال وحدثني عيسى قال حدثني أبي قال كان رياح إذا صلى الصبح أرسل إلى وإلى قدامة بن موسى فيحدثنا ساعة فانا لعنده يوما فلما أسفرنا إذا برجل متلفف فى ساج له فقال له رياح مرحبا بك وأهلا ما حاجتك قال جئت لتحبسنى مع قومى فاذا هو على بن حسن بن حسن بن حسن فقال أما والله ليعرفنها لك أمير المؤمنين ثم حبسه معهم قال حدّثني يعقوب بن القاسم قال حدثني سعيد بن ناشرة مولى جعفر بن سليمان قال بعث محمد ابنه عليا فأخذ بمصر فمات فى سجن أبي جعفر قال وحدثني موسى بن

عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن قال حدثني أبي عن أبيه موسى بن عبد الله قال لما حبسنا ضاق الحبس بنا فسأل أبي رياح أن يأذن له فيشترى دارا فيجعل حبسنا فيها ففعل فاشترى أبي دارا فنقلنا اليها فلما امتدّ بنا الحبس أتى محمد أمّه هندا فقال إني قد حملت أبي وعمومتي مالا طاقة لهم به ولقد هممت أن أضع يدى فى أيديهم فعسى أن يخلى عنهم قال فتنكرت ولبست اطمارا ثم جاءت السجن كهيئة الرسول فأذن لها فلما رآها أبي أثبتها فنهض اليها فأخبرته عن محمد فقال كلا بل نصبر فوالله إني لأرجو أن يفتح الله به خيرا قولى له فليدع إلى أمره وليجد فيه فان فرجنا بيد الله قال فانصرفت وتمّ محمد على بغيته ﴿وفى هذه السنة﴾ حمل ولد حسن بن حسن بن علىّ من المدينة إلى العراق

ذكر الخبر عن سبب حملهم إلى العراق وماكان من أمرهم إذ حملوا

❊ ذكر عمر قال حدّثنى موسى بن عبد الله قال حدثنى أبي عن أبيه قال لما حج أبو جعفر أرسل محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ومالك بن أنس إلى أصحابنا فسألهم أن يدفعوا اليه محمدا وإبراهيم ابنى عبد الله قال فدخل علينا الرجلان وأبي قائم يصلى فأبلغاهم رسالته فقال حسن بن حسن هذا عمل ابنى المشومة أما والله ماهذا برأينا ولا عن ملأ منا ولا لنا فيه حيلة قال فأقبل عليه إبراهيم فقال علام تؤذى أخاك فى ابنيه وتؤذى ابن أخيك فى أمه قال وانصرف أبي من صلاته فأبلغاه فقال لا والله لا أرد عليكما حرفا إن أحبّ أن يأذن لى فألقاه فليفعل فانصرف الرجلان فأبلغاه فقال أراد أن يسحرنى لا والله لا ترى عينه عينى حتى يأتينى بابنيه قال وحدثنى ابن زبالة قال سمعت بعض علمائنا يقول ماسار عبد الله بن حسن أحدا قط إلا فتله عن رأيه قال وحدثنى موسى بن عبد الله عن أبيه عن جده قال ثم سار أمير المؤمنين أبو جعفر لوجهه حاجا ثم رجع فلم يدخل المدينة ومضى إلى الربذة حتى أتى ثنى رهوتها قال عمر وحدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى الحارث بن إسحاق قال لم يزل بنو حسن محبوسين عند رياح حتى حج أبو جعفر سنة ١٤٤ فتلقاه رياح بالربذة فرده إلى المدينة وأمره بإشخاص بنى حسن اليه وبإشخاص

محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو أخو بنى حسن لأمهم أمهم جميعا فاطمة بنت حسين بن علىّ بن أبى طالب فأرسل اليه رياح وكان بماله ببدر فحدره إلى المدينة ثم خرج رياح ببنى حسن ومحمد بن عبد الله بن عمرو إلى الربذة فلما صار بقصر نفيس على ثلاثة أميال من المدينة دعا بالحدادين والقيود والأغلال فألقى كلّ رجل منهم فى كبل وغلّ فضاقت حلقتا قيد عبد الله بن حسن بن حسن فعضتاه فتأوه فأقسم عليه أخوه على بن حسن ليحولن حلقتيه عليه إن كانتا أوسع فحوّلتا عليه فمضى بهم رياح إلى الربذة قال وحدثنى إبراهيم بن خالد ابن أخت سعيد بن عامر عن جويرة بن أسماء وهو خال أمه قال لما حمل بنو حسن إلى أبى جعفر أتى بأقياد يقيدون بها وعلىّ بن حسن بن حسن قائم يصلى قال وكان فى الاقياد قيد ثقيل فكلما قرب إلى رجل منهم تفادى منه واستعفى قال فانفتل علىّ من صلاته فقال لشدّ ما جزعتم شرعه هذا ثم مدّ رجليه فقيد به قال وحدّثنى عيسى قال حدثنى عبد الله بن عمران قال الذى حدّرهم إلى الربذة أبو الأزهر قال عمر حدثنى ابن زبالة قال حدثنى حسين ابن زيد بن علىّ بن حسين قال غدوت إلى المسجد فرأيت بنى حسن يخرج بهم من دار مروان مع أبى الأزهر يراد بهم الربذة فانصرفت فأرسل إلىّ جعفر بن محمد فجئته فقال ما وراءك فقلت رأيت بنى حسن يخرج بهم فى محامل قال اجلس فجلست فدعا غلاما له ثم دعا ربه دعاء كثيراً ثم قال لغلامه اذهب فاذا حملوا فأت فأخبرنى فأتاه الرسول فقال قد أقبل بهم قال فقام جعفر بن محمد فوقف من وراء ستر شعر يبصر من ورائه ولا يبصره أحد فطلع بعبد الله بن حسن فى محمل معادله مسود وجميع أهل بيته كذلك قال فلما نظر اليهم جعفر هملت عيناه حتى جرت دموعه على لحيته ثم أقبل علىّ فقال يا أبا عبد الله والله لا يحفظ لله حرمة بعد هؤلاء قال وحدثنى محمد بن الحسن بن زبالة قال حدثنى مصعب بن عثمان قال لما ذهب ببنى حسن لقيهم الحارث بن عامر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بالربذة فقال الحمد لله الذى أخرجكم من بلادنا قال فاشرأب له حسن بن حسن فقال له عبد الله عزمت عليك إلا سكتّ قال وحدثنى عيسى قال حدثنى ابن أبرود حاجب محمد بن عبد الله

قال لما حُمل بنو حسن كان محمد وإبراهيم يأتيان معتمين كهيئة الأعراب فيسايران أباهما ويسائلانه ويستأذناه فى الخروج فيقول لا تعجلا حتى يمكنكما ذلك ويقول ان منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين قال عمرو وحدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى الحارث بن اسحاق قال لما صار بنو حسن إلى الربذة دخل محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على أبى جعفر وعليه قميص وساج وإزار رقيق تحت قميصه فلما وقف بين يديه قال إيهاً يا ديوث قال محمد سبحان الله والله لقد عرفتنى بغير ذلك صغيراً وكبيراً قال فممّ حملت ابنتك وكانت تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن وقد أعطيتنى الايمان بالطلاق والعتاق ألا تغشنى ولا تمالئ علىّ عدواً ثم أنت تدخل على ابنتك متخضبة متعطرة ثم تراها حاملا فلا يروعك حملها فأنت بين أن تكون حانثا أو ديوثا وايم الله إنى لأهمّ برجمها فقال محمد أما إيمانى فهى على إن كنت دخلت لك فى أمر غش علمته وأما ما رميت به هذه الجارية فإن الله قد أكرمها عن ذلك بولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها ولكنى قد ظننت حين ظهر حملها أن زوجها ألمّ بها على حين غفلة منا فاحتفظ أبو جعفر من كلامه وأمر بشق ثيابه فشق قميصه عن إزاره فأشف عن عورته ثم أمر به فضرب خمسين ومائة سوط فبلغت منه كلّ مبلغ وأبو جعفر يفترى عليه ولا يكنى فأصاب سوط منها وجهه فقال له ويحك اكفف عن وجهى فان له حرمةً من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأغرى أبو جعفر فقال للجلاد الرأس الرأس قال فضُرب على رأسه نحواً من ثلاثين سوطاً ثم دعا بساجور من خشب شبيه به فى طوله وكان طويلا فشدّ فى عنقه وشُدت به يده ثم أخرج به ملبّباً فلما طلع به من حجرة أبى جعفر وثب اليه مولى له فقال بأبى أنت وأمى ألا أُوثرك بردائى قال بلى جُزيت خيراً فوالله لشُفوف إزارى أشدّ علىّ من الضرب الذى نالنى فألقى عليه المولى الثوب ومضى به إلى أصحابه المحبَّسين قال وحدثنى الوليد بن هشام قال حدثنى عبد الله بن عثمان عن محمد بن هاشم ابن البريد مولى معاوية قال كنت بالربذة فأتى ببنى حسن مغلولين معهم العثمانى كأنه خُلق من

فضة فأقعدوا فلم يلبثوا حتى خرج رجل من عند أبى جعفر فقال أين محمد بن عبد الله العثمانى فقام فدخل فلم نلبث أن سمعنا وقع السياط فقال أيوب بن سلمة المخزومى لبنيه يا بَنى إنى لأرى رجلا ليس لأحد عنده هوادة فانظروا لأنفسكم لا تسقطوا بشىء قال فأخرج كأنه زنجى قد غيرت السياطُ لونه وأسالت دَمَه وأصاب سوطٌ منها إحدى عينيه فسالت فأقعد إلى جنب أخيه عبد الله بن حسن بن حسن فعطش فاستسقى ماء فقال عبد الله بن حسن يا معشر الناس من يسقى ابن رسول الله شربة ماء فتحاماه الناس فما سقوه حتى جاء خراسانى بماء فسله اليه فشرب ثم لبثنا هُنيهةً فخرج أبو جعفر فى شق محمل معادله الربيع فى شقّه الأيمن على بغلة شقراء فناداه عبد الله يا أبا جعفر والله ما هكذا فعلنا بأسرائكم يوم بدر قال فأخسأه أبو جعفر وتفل عليه ومضى ولم يعرج وذكر أن أبا جعفر لما دخل عليه محمد بن عبد الله العثمانى سأله عن ابراهيم فقال مالى به علم فدق أبو جعفر وجهه بالجوز وذكر عمر عن محمد بن أبى حرب قال لم يزل ابو جعفر جميل الرأى فى محمد حتى قال له رياح يا أمير المؤمنين أما أهل خراسان فشيعتك وأنصارك وأما أهل العراق فشيعة آل أبى طالب وأما أهل الشأم فوالله ما علىّ عندهم الا كافر وما يعتدون بأحد من ولده ولكن أخاهم محمد بن عبد الله بن عمرو ولو دعا أهل الشأم ما تخلف عنه منهم رجل قال فوقعت فى نفس أبى جعفر فلما حج دخل عليه محمد فقال يا محمد أليس ابنتك تحت ابراهيم بن عبد الله بن حسن قال بلى ولا عهد لى به إلا بمنى فى سنة كذا وكذا قال فهل رأيت ابنتك تختضب وتمتشط قال نعم قال فهى إذاً زانية قال مَه يا أمير المؤمنين أتقول هذا لابنة عمك قال يا ابن اللخناء قال أى أمهاتى تلخن قال يا ابن الفاعلة ثم ضرب وجهه بالجرز وحدّره وكانت رقية ابنة محمد تحت ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن ولها يقول

خليلَىَّ من قَيْسٍ دَعا اللَّوْمَ أقعدا … يَسُرُّكما ألاَّ أنامَ وتَرْقُدا
أبِيتُ كأنى مُسْعَرٌ من تذكرى … رُقَيَّةَ جَمْرًا من غَضًا مُتَوقِّدا

قال وحدثنى عيسى بن عبد الله بن محمد قال حدثنى سليمان بن داود بن حسن

قال ما رأيت عبد الله بن حسن جزع من شيء مما ناله الا يوماً واحداً فان بعير محمد ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان انبعث وهو غافل لم يتأهب له وفي رجليه سلسلة وفي عنقه زمارة فهوى وعلقت الزمارة بالمحمل فرأيته منوطاً بعنقه يضطرب فرأيت عبد الله بن حسن قد بكى بكاء شديداً قال وحدثني موسى بن عبد الله بن موسى قال حدثني أبي عن أبيه قال لما صرنا بالربذة أرسل أبو جعفر إلى أبي ان أرسل إليّ أحدكم واعلم أنه غير عائد إليك أبداً فابتدره بنو اخوته يعرضون أنفسهم عليه فجزاهم خيراً وقال أنا أكره ان أفجعهم بكم ولكن اذهب أنت ياموسى قال فذهبتُ وأنا يومئذ حديث السن فلما نظر إليّ قال لاأنعم الله بك عينا السياط يا غلام قال فضربتُ والله حتى غُشي عليّ فما أدري بالضرب فرُفعت السياط عني ودعاني فقربت منه واستقربني فقال أتدري ماهذا هذا فيض فاض مني فأفرغتُ منه سَجلا لم أستطع رده ومن ورائه الموت أو تفتدي منه قال فقلت يا أمير المؤمنين والله إن مالي ذنب وإني لبمعزِل عن هذا الأمر قال فانطلق فأتني بأخويك قال فقلت يا أمير المؤمنين تبعثني إلى رياح بن عثمان فيضع عليّ العيون والرصد فلا أسلك طريقا إلا تبعني له رسول ويعلم ذلك اخواي فيهربان مني قال فكتب إلى رياح لا سلطان لك على موسى قال وأرسل معي حرساً أمرهم أن يكتبوا اليه بخبري قال فقدمت المدينة فنزلت دار ابن هشام بالبلاط فأقمتُ بها أشهراً فكتب اليه رياح أن موسى مقيم بمنزله يتربص بأمير المؤمنين الدوائر فكتب إليه إذا قرأت كتابي هذا فأحدره إليّ فحدّرني قال وحدثني محمد بن اسماعيل قال حدثني موسى قال أرسل أبي إلى أبي جعفر إني كاتب إلى محمد وابراهيم فأرسل موسى عسى أن يلقاهما وكتب اليهما أن يأتياه وقال لي أبلغهما عني فلا يأتياه أبداً قال وانما أراد أن يفلتني من يده وكان أرقّ الناس عليّ وكنت أصغر ولد هند وأرسل اليهما

يا ابنَيْ أميّـةَ إني عنكما غانِ وما الغِنَى غيرَ أني مُرْعَشٌ فاني

يا ابنَيْ أمية إلا تَرْحَمَا كِبَرِي فإنما أنتما والثكلُ مِثلانِ

قال فأقمت بالمدينة مع رسل أبي جعفر إلى أن استبطأني رياح فكتب إلى أبي جعفر بذلك فحدثني اليه قال حدثني يعقوب ابن القاسم بن محمد قال أخبرني عمران بن محرز من بني البكاء قال خرج ببني حسن إلى الربذة فيهم علي وعبدالله ابنا حسن بن حسن بن حسن وأمهما حبابة ابنة عامر بن عبد الله ابن عامر بن بشر بن عامر ملاعب الأسنة فمات في السجن حسن بن حسن وعباس ابن حسن وأمه عائشة بنت طلحة بن عمر بن عبيدالله وعبدالله بن حسن وابراهيم بن حسن قال عمر حدثني المدائني قال لما خرج ببني حسن قال ابراهيم بن عبدالله بن حسن قال عمرو قد أنشدني غير أبي الحسن هذا الشعر لغالب الهمداني

ماذِكْرُكَ الدِّمْنَةَ القِفارَ وأَهـ — لَ الدارِ إمّا نأوْكَ أو قربوا
إلاَّ سَفَاها وقد تفرّعك الـ — شّيْبُ بلونٍ كأنه العُطُبُ
ومَرَّ خمسون مِنْ سِنيك كما — عَدَّلك الحاسِبون إذْ حَسبُوا
بَعْدَ ذِكر الشبابِ لَسْتَ له — ولا إليك الشَّبابُ مُنقَلِبُ
إني عرَتْني الهُموم فاحْتَضَرَا الـ — هم وِسادي فالقلبُ مُنشَعِبُ
وَاستُخْرِجَ النَّاس للشَّقاءِ وخُلِّـ — قْتَ لِدَهْرٍ بِظَهْرِهِ حَدَبُ
أَعْوجَ يَسْتَعْذِبُ اللِيامُ به — ويحْتَوِيهِ الكِرامُ إن سَرِبُوا
نفسي فَدَتْ شَيْبَةً هُناكَ وظُنْـ — بُوبًا به من قيودِه نَدَبُ
وَالسَّادَةَ الغُرَّ من بَنِيهِ فما — رُوقِبَ فيه الإلٰهُ والنَّسَبُ
ياحلَقَ القَيْدِ ماتضَمَّنْتَ من — حِلْمٍ وَبِرٍّ يَشُوبُهُ حَسَبُ
وأمهاتٌ مِنَ العواتِكِ أَخـ — لصنكَ بِيضٌ عقائلٌ عُرُبُ
كيْفَ اعْتِذاري إلى الإلٰهِ ولم — يُشهِرنَ فيك المأثورةَ القُضُبُ
ولم أَقُدْ غارةً مُلَمْلَمَةً — فيها بَناتُ الصَّريحِ تَنْتَحِبُ
وَالسَّابِقاتُ الجِيادُ والأَسَلُ الـ — ذُبلُ فيها أَسِنَّةٌ ذُرُبُ
حَتَّى نُوفّي بني نُتَيْلَةَ بالـ — قِسطِ بكيلِ الصاعِ الذي احتلبوا
بالقَتْلِ قتلا وبالأسيرِ الذي — في القِدِّ أسرى مَصفُودةً سُلُبُ

أَصْبَحَ آلُ الرَّسولِ أَحْمَدَ فى النَّـ ـاسِ كَذِى عُرَّةٍ به جَرَبُ
بُؤْسًا لهم ما جَنَتْ أَكُفُّهُمُ وأَىَّ حَبْـلٍ من أُمَّةٍ قَضَبُوا
وأَىُّ حَبْـلٍ خَانُوا المَلِيكَ به شُدَّ بِمِيثَاقٍ عَقْدُهُ الكَذِبُ

وذكر عبد الله بن راشد بن يزيد قال سمعت الجراح بن عمر وخاقان بن زيد وغيرهما من أصحابنا يقولون لما قدم بعبد الله بن حسن وأهله مُقَيَّدين فأشرف بهم على النجف قال لأهله أما ترون فى هذه القرية من يمنعنا من هذا الطاغية قال فلقيه ابنا أخى الحسن وعلىّ مشتملين على سيفين فقالا له قد جئناك يا ابن رسول الله فمرنا بالذى تريد قال قد قضيتما ما عليكما ولن تغنيا فى هؤلاء شيئا فانصرفا٬ قال وحدثنى عيسى قال حدثنى عبد الله بن عمران بن أبى فروة قال أمر أبو جعفر أبا الأزهر فحبس بنى حسن بالهاشمية قال وحدثنى محمد بن الحسن قال حدثنى محمد ابن ابراهيم قال أتى بهم أبو جعفر فنظر إلى محمد بن ابراهيم بن حسن فقال أنت الديباج الأصفر قال نعم قال أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك ثم أمر بأسطوانة مبنية ففرقت ثم أدخل فيها فبنى عليه وهو حىّ قال محمد بن الحسن وحدثنى الزبير بن بلال قال كان الناس يختلفون إلى محمد ينظرون إلى حسنه قال عمر وحدثنى عيسى قال حدثنى عبد الله بن عمران قال أخبرنى أبو الأزهر قال قال لى عبد الله بن حسن أبغنى حجاما فقد احتجت اليه فاستأذنت أمير المؤمنين فقال آتيه بحجام مجيد قال وحدثنى الفضل بن دُكَيْن أبو نعيم قال حبس من بنى حسن ثلاثة عشر رجلا وحبس معهم العثمانىّ وابنان له فى قصر ابن هبيرة وكان فى شرقىّ الكوفة مما يلى بغداد فكان أول من مات منهم إبراهيم بن حسن ثم عبد الله بن حسن فدفن قريبا من حيث مات والا يكن بالقبر الذى يزعم الناس أنه قبره فهو قريب منه قال وحدثنى محمد بن أبى حرب قال كان محمد بن عبد الله ابن عمرو محبوسا عند أبى جعفر وهو يعلم براءته حتى كتب اليه أبو عون من خراسان أخبر أمير المؤمنين أن أهل خراسان قد تقاعسوا عنى وطال عليهم أمر محمد ابن عبد الله فأمر أبو جعفر عند ذلك بمحمد بن عبد الله بن عمرو فضربت عنقه

وأرسل برأسه إلى خراسان وأقسم لهم أنه رأس محمد بن عبدالله وأن أمّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر فحدثنى الوليد بن هشام قال حدثنى أبى قال لما صار أبو جعفر بالكوفة قال ماأشتفى من هذا الفاسق من أهل بيت فسق فدعا به فقال أزوجت ابنتك ابن عبدالله قال لا قال أفليست بامرأته قال بلى زوجها إياه عمها وأبوه عبدالله بن حسن فأجزت نكاحه قال فأين عهودك التى أعطيتنى قال هى علىّ قال أفلم تعلم بخضاب ألم تجد ريح طيب قال لاعلم لى قد علم القوم مالك علىّ من المواثيق فكتمونى ذلك كله قال هل لك أن تستقيلنى فأقيلك وتحدث لى ايمانا مستقبلة قال ماحنثت بأيمانى فتجددها علىّ ولا أحدثت ماأستقيلك منه فتقيلنى فأمر به فضرب حتى مات ثم احتز رأسه فبعث به إلى خراسان فلما بلغ ذلك عبدالله بن حسن قال إنا لله وإنا اليه راجعون والله إن كنا لنأمن به فى سلطانهم ثم قد قتل بنا فى سلطاننا قال وحدثنى عيسى بن عبدالله قال حدثنى مسكين ابن عمرو قال لما ظهر محمد بن عبدالله بن حسن أمر أبو جعفر بضرب عنق محمد ابن عبدالله بن عمرو ثم بعث به إلى خراسان وبعث معه الرجال يحلفون بالله أنه لمحمد بن عبدالله بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر فسألت محمد بن جعفر بن إبراهيم فى أى سبب قتل محمد بن عبدالله بن عمرو قال احتيج إلى رأسه قال عمر وحدثنى محمد بن أبى حرب قال كان عون بن أبى عون خليفة أبيه بباب أمير المؤمنين فلما قتل محمد بن عبدالله بن حسن وجه أبو جعفر برأسه إلى خراسان إلى أبى عون مع محمد بن عبدالله بن أبى الكرام وعون بن أبى عون فلما قدم به ارتاب أهل خراسان وقالوا أليس قد قُتل مرة وأتينا برأسه قال ثم تكشف لهم الخبر حتى علموا حقيقته فكانوا يقولون لم يطلع من أبى جعفر على كذبة غيرها قال وحدثنى عيسى بن عبد الله قال حدثنى عبدالله بن عمران بن أبى فروة قال كنا نأتى أبا الأزهر ونحن بالهاشمية أنا والشعبانى فكان أبو جعفر يكتب إليه من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى أبى الأزهر مولاه ويكتب أبو الأزهر إلى أبى جعفر من أبى الأزهر مولاه وعبده فلما كان ذات يوم ونحن عنده وكان أبو جعفر قد ترك له

ثلاثة أيام لا ينوبها فكنا نخلو معه فى تلك الأيام فأتاه كتاب من أبى جعفر فقرأه ثم رمى به ودخل إلى بنى حسن وهم محبوسون قال فتناولت الكتاب وقرأته فاذا فيه أنظر يا أبا الأزهر ما أمرتك به فى مدله فعجله وأنفذه قال وقرأ الشعبانى الكتاب فقال تدرى من مدله قلت لا قال هو والله عبد الله بن حسن فانظر ما هو صانع قال فلم نلبث أن جاء أبو الأزهر فجلس فقال قد والله هلك عبد الله بن حسن ثم لبث قليلا ثم دخل وخرج مكتئبا فقال أخبرنى عن على بن حسن أى رجل هو قلت أمصدَّق أنا عندك قال نعم وفوق ذلك قال قلت هو والله خير من تقله هذه وتظله هذه قال فقد والله ذهب قال وحدثنى محمد بن اسماعيل قال سمعت جدى موسى بن عبد الله يقول ما كنا نعرف وقوت الصلاة فى الحبس إلا بأحزاب كان يقرأها على بن حسن قال عمر وحدثنى ابن عائشة قال سمعت مولى لبنى دارم قال قلت لبشير الرحال ما يسرعك إلى الخروج على هذا الرجل قال إنه أرسل إلى بعد أخذه عبد الله بن حسن فأتيته فأمرنى يوما بدخول بيت فدخلته فاذا بعبد الله بن حسن مقتولا فسقطت مغشيا علىَّ فلما أفقت أعطيت الله عهداً ألا يختلف فى أمره سيفان إلا كنت مع الذى عليه منهما وقلت للرسول الذى معى من قبله لا تخبره بما لقيت فانه إن علم قتلنى قال عمر فحدثت به هشام بن إبراهيم بن هشام بن راشد من أهل همذان وهو العباسى أن أبا جعفر أمر بقتله فحلف بالله ما فعل ذلك ولكنه دس إليه من أخبره أن محمدا قد ظهر فقتل فانصدع قلبه فمات قال وحدثنى عيسى ابن عبد الله قال قال من بقى منهم أنهم كانوا يسقون فماتوا جميعا إلا سليمان وعبد الله ابنى داود بن حسن بن حسن وإسحاق واسماعيل ابنى إبراهيم بن حسن بن حسن وجعفر بن حسن وكان من قتل منهم إنما قتل بعد خروج محمد قال عيسى فنظرت مولاة لآل حسن إلى جعفر بن حسن فقالت بنفسى أبو جعفر ما أبصره بالرجال حيث يطلقك وقتل عبد الله بن حسن

ذكر بقية الخبر من الأحداث التى كانت فى سنة أربع وأربعين ومائة

فمن ذلك ما كان من حمل أبى جعفر المنصور بنى حسن بن حسن بن على من

المدينة إلى العراق

ذكر الخبر عن سبب حمله إياهم إلى العراق

* حدثني الحارث بن محمد قال حدثنا محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال لما ولى أبو جعفر رياح بن عثمان بن حيان المرى المدينة أمره بالجد فى طلب محمد وابراهيم ابنى عبدالله بن الحسن وقلة الغفلة عنهما قال محمد بن عمر فأخبرنى عبدالرحمن ابن أبى الموالى قال فجدّ رياح فى طلبهما ولم يداهن واشتد فى ذلك كل الشدة حتى خافا وجعلا ينتقلان من موضع إلى موضع وأغتم أبو جعفر من تبغيهما وكتب إلى رياح بن عثمان ألم يأخذ أباهما عبد الله بن حسن وإخوته حسن بن حسن وداود بن حسن وابراهيم بن حسن ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وهو أخوهم لأمهم فاطمة بنت حسين فى عدة منهم ويشدهم وثاقا ويبعث بهم اليه حتى يوافوه بالربذة وكان أبو جعفر قد حج تلك السنة وكتب اليه أن يأخذنى معهم فيبعث بى اليه أيضا قال فأدركت وقد أهللت بالحج فأخذت فطرحت فى الحديد وعورض بى الطريق حتى وافيتهم بالربذة قال محمد بن عمر أنا رأيت عبد الله بن حسن وأهل بيته يخرجون من دار مروان بعد العصر وهم فى الحديد فيحملون فى المحامل ليس تحتهم وطاء وأنا يومئذ قد راهقت الاحتلام أحفظ ما أرى قال محمد بن عمر قال عبد الرحمن بن أبى الموالى وأخذ معهم نحو من أربعمائة من جهينة ومزينة وغيرهم من القبائل فأراهم بالربذة مكتفين فى الشمس قال وسجنت مع عبدالله ابن حسن وأهل بيته ووافى أبو جعفر الربذة منصرفا من الحج فسأل عبد الله بن حسن أبا جعفر أن يأذن له فى الدخول عليه فأبى أبو جعفر فلم يره حتى فارق الدنيا قال ثم دعانى أبو جعفر من بينهم فأقعدت حتى أدخلت وعنده عيسى بن على فلما رآنى عيسى قال نعم هو هو يا أمير المؤمنين وان أنت شددت عليه أخبرك بمكانهم فسلمت فقال أبو جعفر لا سلم الله عليك أين الفاسقان ابنا الفاسق الكذابان ابنا الكذاب قال قلت هل ينفعنى الصدق يا أمير المؤمنين عندك قال وما ذاك قال امرأته طالق وعلىّ وعلىّ إن كنت أعرف مكانهما قال فلم يقبل ذلك منى وقال

السياط وأقمت بين العقابين فضربنى أربعمائة سوط فما عقلت بها حتى رفع عنى ثم حملت إلى أصحابى على تلك الحال ثم بعث إلى الديباج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وكانت ابنته تحت ابراهيم بن عبد الله بن حسن فلما أدخل عليه قال أخبرنى عن الكذابين ما فعلا وأين هما قال والله يا أمير المؤمنين مالى بهما علم قال لتخبرنى قال قد قلت لك وإنى والله لصادق ولقد كنت أعلم علمهما قبل اليوم وأما اليوم فمالى والله بهما علم قال جردوه فجرد فضربه مائة سوط وعليه جامعة حديد فى يده إلى عنقه فلما فرغ من ضربه أخرج فألبس قميصاً له قوهيا على الضرب وأتى به إلينا فوالله ما قدروا على نزع القميص من لصوقه بالدم حتى حلبوا عليه شاة ثم انتزع القميص ثم داووه فقال أبو جعفر أحدروا بهم إلى العراق فقدم بنا إلى الهاشمية فحبسنا بها فكان أول من مات فى الحبس عبد الله بن حسن فجاء السجان فقال ليخرج أقربكم به فليصلّ عليه فخرج أخوه حسن بن حسن بن حسن بن علىّ عليهم السلام فصلى عليه ثم مات محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فأخذ رأسه فبعث به مع جماعة من الشيعة إلى خراسان فطافوا فى كور خراسان وجعلوا يحلفون بالله أن هذا رأس محمد بن عبد الله بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه يوهمون الناس أنه رأس محمد بن عبد الله بن حسن الذى كانوا يجدون خروجه على أبى جعفر فى الرواية وكان والى مكة فى هذه السنة السرى بن عبد الله ووالى المدينة رياح بن عثمان المرّىّ ووالى الكوفة عيسى بن موسى ووالى البصرة سفيان بن معاوية وعلى قضائها سوّار بن عبد الله وعلى مصر يزيد بن حاتم

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك خروج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة وخروج أخيه إبراهيم بن عبد الله بعده بالبصرة ومقتلهما

ذكر الخبر عن مخرج محمد بن عبد الله ومقتله

ذكر عمر أن محمد بن يحيي حدثه قال حدثني الحارث بن إسحق قال لما انحدر أبو جعفر ببنى حسن رجع رياح إلى المدينة فألحّ فى الطلب وأخرج محمدا حتى عزم على الظهور وقال عمر فحدثت إبراهيم بن محمد بن عبد الله الجعفرى أن محمداً أخرج فخرج قبل وقته الذى فارق عليه أخاه إبراهيم فأنكر ذلك وقال مازال محمد يطلب أشد الطلب حتى سقط ابنه فمات وحتى رهقه الطلب فتدلى فى بعض آبار المدينة يناول أصحابه الماء وقد انغمس فيه إلى رأسه وكان بدنه لايخفى عظما ولكن إبراهيم تأخر عن وقته بجدرىٍّ أصابه قال وحدثنى محمد بن يحيي قال حدثنى الحارث بن إسحق قال تحدث أهل المدينة بظهور محمد فأسرعنا فى شراء الطعام حتى باع بعضهم حلىّ نسائه وبلغ رياحا أن محمداً أتى المذاد فركب فى جنده يريده وقد خرج قبله محمد يريد المذاد ومعه جبير بن عبد الله السلمىّ وجبير بن عبد الله ابن يعقوب بن عطاء وعبد الله بن عامر الأسلمىّ فسمعوا سقَّاءَةً تحدث صاحبتها أن رياحا قد ركب يطلب محمداً بالمذاد وأنه قد سار إلى السوق فدخلوا دار الجهنية وأجافوا بابها عليهم ومر رياح على الباب لايعلم بهم ثم رجع إلى دار مروان فلما حضرت العشاء الأخيرة صلى فى الدار ولم يخرج (وقيل) إن الذى أعلم رياحا بمحمد سليمان بن عبد الله بن أبى سَبرة من بنى عامر بن لؤىّ وذكر عن الفضل بن دُكين قال بلغنى أن عبيد الله بن عمرو بن أبى ذؤيب وعبد الحميد بن جعفر دخلوا على محمد قبل خروجه فقال له ماننتظر بالخروج والله مانجد فى هذه الأمة أحداً أشأم عليها منك مايمنعك أن تخرج وحدك قال وحدثنى عيسى قال حدثنى أبى قال بعث إلينا رياح فأتيته أنا وجعفر بن محمد بن علىّ بن حسين وحسين ابن على بن حسين بن علىّ وعلى بن عمر بن على بن حسين بن على وحسن بن على ابن حسين بن على بن حسين بن على ورجال من قريش منهم إسماعيل بن أيوب ابن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة ومعه ابنه خالد فأنا لعنده فى دار مروان إذ سمعنا التكبير قد حال دون كل شىء فظنناه من عند الحرس وظن الحرس أنه

من الدار قال فوثب ابن مسلم بن عقبة وكان مع رياح فاتكأ على سيفه فقال أطعنى فى هؤلاء فاضرب أعناقهم فقال علىّ بن عمر فكدنا والله تلك الليلة أن نطيح حتى قام حسين بن علىّ فقال والله ماذاك لك أنا على السمع والطاعة قال وقام رياح ومحمد بن عبد العزيز فدخلا جنيدا فى دار يزيد فاختفيا فيه وقمنا فخرجنا من دار عبد العزيز بن مروان حتى تسورنا على ركباً كانت فى زقاق عاصم بن عمرو فقال إسماعيل بن أيوب لابنه خالد يابنى والله ماتجيبنى نفسى إلى الوثوب فارفعنى فرفعه * وحدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى عبد العزيز بن عمران قال حدثنى أبى قال جاء الخبر إلى رياح وهو فى دار مروان أن محمدا الخارج الليلة فأرسل إلى أخى محمد بن عمران وإلى العباس بن عبد الله بن الحارث بن العباس والى غير واحد قال فخرج أخى وخرجت معه حتى دخلنا عليه بعد العشاء الآخرة فسلمنا عليه فلم يرد علينا فجلسنا فقال أخى كيف أمسى الأمير أصلحه الله قال بخير بصوت ضعيف قال ثم صمت طويلا ثم تنبه فقال إيهاً ياأهل المدينة أمير المؤمنين يطلب بغيته فى شرق الأرض وغربها وهو يتنفق بين أظهركم أقسم بالله لئن خرج لاأترك منكم أحدا إلا ضربت عنقه فقال أخى أصلحك الله أنا عذيرك منه هذا والله الباطل قال فأنت أكثر من ههنا عشيرة وأنت قاضى أمير المؤمنين فادع عشيرتك قال فوثب أخى ليخرج فقال اجلس اذهب أنت ياثابت فوثبت فأرسلت إلى بنى زهرة ممن يسكن حش طلحة ودار سعد ودار بنى أزهر أن أحضروا سلاحكم قال فجاء منهم بشر وجاء إبراهيم بن يعقوب بن سعد بن أبى وقاص منتكباً قوساً وكان من أرمى الناس فلما رأيت كثرتهم دخلت على رياح فقلت هذه بنو زهرة فى السلاح يكونون معك ائذن لهم قال هيهات تريد أن تدخل علىّ الرجال طروقا فى السلاح قل لهم فليجلسوا فى الرحبة فان حدث شىء فليقاتلوا قال قلت لهم قد أبى أن يأذن لكم لا والله ماههنا شىء فاجلسوا بنا نتحدث قال فمكثنا قليلا فخرج العباس بن عبد الله بن الحارث فى خيل يعس حتى جاء رأس الثنية ثم انصرف إلى منزله وأغلقه عليه فوالله إنا لعلى تلك الحال إذ

طلع فارسان من قبل الزَّوْرَاء يركضان حتى وقفا بين دار عبد الله بن مطيع ورحبة القضاء فى موضع السقاية قال قلنا شر الأمر والله جد قال ثم سمعنا صوتاً بعيداً فأقمنا ليلا طويلا فأقبل محمد بن عبد الله من المذاد ومعه مائتان وخمسون رجلا حتى إذا شرع على بنى سلمة وبطحان قال اسلكوا بنى سلمة تسلموا إن شاء الله قال فسمعنا تكبيراً ثم هدأ الصوت فأقبل حتى إذا خرج من زقاق ابن حبين استبطن السوق حتى جاء على التمارين حتى دخل من أصحاب الأقفاص فأتى السجن وهو يومئذ فى دار ابن هشام فدقه وأخرج من كان فيه ثم أقبل حتى إذا كان بين دار يزيد ودار أويس نظرنا إلى هول من الأهوال قال فنزل ابراهيم بن يعقوب ونكب كنانته وقال ارمى فقلنا لا تفعل ودار محمد بالرحبة حتى جاء بيت عاتكة بنت يزيد فجلس على بابها وتناوش الناس حتى قتل رجل سندىّ كان يستصبح فى المسجد قتله رجل من أصحاب محمد قال وحدثنى سعيد بن عبد الحميد بن جعفر أخبرنى جهم بن عثمان قال خرج محمد من المذاد على حمار ونحن معه فولى خوات بن بكير بن خوات بن جبير الرجالة وولى عبد الحميد بن جعفر الحربة وقال أكفنيها فحملها ثم استعفاه منها فأعفاه ووجهه مع ابنه حسن بن محمد قال وحدثنى عيسى قال حدثنى جعفر بن عبد الله بن يزيد بن ركانة قال بعث ابراهيم بن عبد الله إلى أخيه بحملى سيوف فوضعها بالمذاد فأرسل إلينا ليلة خرج ومانكون مائة رجل وهو على حمار اعرابىّ أسود فافترق طريقان طريق بطحان وطريق بنى سلمة فقلنا له كيف نأخذ قال على بنى سلمة يسلمكم الله قال فجئنا حتى صرنا بباب مروان قال وحدثنى محمد بن عمرو ابن رتبيل بن نهشل أحد بنى يربوع عن أبى عمرو المدينىّ شيخ من قريش قال أصابتنا السماء بالمدينة أياما فلما أقلعت خرجت فى غبها متمطراً فانتسأت عن المدينة فإنى لفى رحلى إذ هبط علىّ رجل لا أدرى من أين أتى حتى جلس إلى عليه اطمار له درنة وعمامة رثة فقلت له من أين أقبلت قال من غنيمة لى أوصيت راعيها بحاجة لى ثم أقبلت أريد أهلى قال فجعلت لا أسلك من العلم طريقاً إلا سبقنى إليه وكثرنى فيه فجعلت أعجب له ولما يأتى قلت ممن الرجل قال من المسلمين قلت

أجل فمن أيهم أنت قال لا عليك ألا تريد قلت بلى على ذلك فمن أنت قال فوثب وقال
* منخرق الحفين يشكو الوجى * الأبيات الثلاثة قال ثم أدبر فذهب فوالله مافات
مدى بصرى حتى ندمت على تركه قبل معرفته فاتبعته لأسأله فكأن الأرض التامت
عليه ثم رجعت إلى رحلى ثم أتيت المدينة فما غبرت إلا يومى وليلتى حتى شهدت
صلاة الصبح بالمدينة فاذا رجل يصلى بنا لأعرف صوته فقرأ إنا فتحنا لك فتحا
مبينا فلما انصرف صعد المنبر فاذا صاحبى وإذا هو محمد بن عبد الله بن حسن قال
وحدثنى اسماعيل بن ابراهيم بن هود مولى قريش قال سمعت اسماعيل بن الحكم بن
عوانة يخبر عن رجل قد سماه بشبيهة بهذه القصة قال اسماعيل فحدثت بها رجلا من
الأنبار يكنى أبا عبيد فذكر أن محمداً أو ابراهيم وجه رجلا من بنى ضبة فيما يحسب
اسماعيل بن ابراهيم بن هود ليعلم له بعض علم أبى جعفر فأتى الرجل المسيب وهو
يومئذ على الشرط فمت اليه برحمه فقال المسيب إنه لا بد من رفعك إلى أمير المؤمنين
فأدخله على أبى جعفر فاعترف فقال ماسمعته يقول قال :

شَرَّدَه الخَوفُ فأزرى به كذاك من يكرهُ حَرَّ الجلاد

قال أبو جعفر فأبلغه أنا نقول :

وخُطَّةِ ذُلٍّ نجعلُ الموتَ دونها نقول لها للموت أهلا ومرحبا

وقال انطلق فأبلغه قال عمر وحدثنى أزهر بن سعيد بن نافع وقد شهد ذلك قال
خرج محمد فى أول يوم من رجب سنة ١٤٥ فبات بالمذاد هو وأصحابه ثم أقبل فى
الليل فدق السجن وبيت المال وأمر برياح وابن مسلم مُخبِسا معاً فى دار ابن هشام
قال وحدثنى يعقوب بن القاسم قال حدثنى علىّ بن أبى طالب قال خرج محمد لليلتين
بقيتا من جمادى الآخرة سنة ١٤٥ * وحدثنى عمر بن راشد قال خرج لليلتين بقيتا
من جمادى الآخرة فرأيت عليه ليلة خرج قلنسوة صفراء مصرية وجبة صفراء
وعمامة قد شدّ بها حِقْوَيه وأخرى قد اعتمّ بها متوشحا سيفاً فجعل يقول لأصحابه
لا تقتلوا لا تقتلوا فلما امتنعت منهم الدار قال ادخلوا من باب المقصورة قال فاقتحموا
وحرقوا باب الخوخة التى فيها فلم يستطع أحد أن يمر فوضع رزام مولى القسرى

ترسه على النار ثم تخطى عليه فصنع الناس ما صنع ودخلوا من بابها وقد كان بعض أصحاب رياح مارسوا على الباب وخرج من كان مع رياح فى الدار من دار عبد العزيز من الحمام وتعلق رياح فى مشربة فى دار مروان فأمر بدرجها فهُدمت فصعدوا إليه فأنزلوه وحبسوه فى دار مروان وحبسوا معه أخاه عباس بن عثمان وكان محمد بن خالد وابن أخيه النذير بن يزيد ورزام فى الحبس فأخرجهم محمد وأمر النذير بالاستيثاق من رياح وأصحابه قال وحدثنى عيسى قال حدثنى أبى قال حبس محمد رياحا وابن أخيه وابن مسلم بن عقبة فى دار مروان قال وحدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى عبد العزيز بن أبى ثابت عن خاله راشد بن حفص قال قال رزام للنذير دَعْنى وإياه فقد رأيت عذابَه إياىَ قال شأنك وإياه ثم قام ليخرج فقال له رياح يا أبا قيس قد كنتُ أفعل بكم ما كنت أفعل وأنا بسؤددكم عالم فقال له النذير فعلت ما كنت أهله ونفعل ما نحن أهله وتناوله رزام فلم يزل به رياح يطلب إليه حتى كف وقال والله إن كنت لبَطِرا عند القدرة لئيما عند البلية قال وحدثنى موسى ابن سعيد الجمحى قال حبس رياح محمد بن مروان بن أبى سليط من الأنصار ثم أحد بنى عمرو بن عوف فمدحه وهو محبوس فقال

وما نَسِىَ الذِّمامُ كريمُ قيس ولا مُلقَى الرجالِ إلى الرجالِ
إذا ما الباب قَعْقَعَهُ سعيدٌ هَدَجنا نحوه هَدْجَ الرئالِ
دبيبَ الذَّرِّ تُصْبِحُ حين يمشى قِصارَ الخطو غيرَ ذوى اختيالِ

قال حدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى اسماعيل بن يعقوب التيمى قال صعد محمد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فإنه كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبى جعفر ما لم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء التى بناها معاندًا لله فى ملكه وتصغيرًا للكعبة الحرام وإنما أخذ الله فرعون حين قال أنا ربكم الأعلى وأن أحق الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين اللهمّ إنهم قد أحلوا حرامك وحرّموا حلالك وآمنوا من أخفت وأخافوا من آمنت اللهمّ فأحصهم عددًا واقتلهم بددًا ولا تغادر منهم أحدًا أيها الناس إنى

والله ماخرجت من بين أظهركم وأنتم عندى أهل قوة ولاشدّة ولكنى اخترتكم لنفسى والله ماجئت هذه وفى الأرض مصر يعبد الله فيه إلا وقد أخذلى فيه البيعة قال وحدثنى موسى بن عبد الله قال حدثنى أبى عن أبيه قال لما وجهنى رياح بلغ محمداً فخرج من ليلته وقد كان رياح تقدم إلى الأجناد الذين معى أن أطلع عليهم من ناحية المدينة رجل أن يضربوا عنق فلما أتى محمد برياح قال أين موسى قال لاسبيل اليه والله لقد حدّرته إلى العراق قال فأرسل فى أثره فرده قال قد عهدت إلى الجند الذين معه أن رأوا أحدا مقبلا من المدينـة أن يقتلوه قال فقال محمد لأصحابه من لى بموسى فقال ابن خضير إنالك به قال فانظر رجالا فانتخب رجالا ثم أقبله قال فوالله ماراعنا إلا وهو بين أيدينا كأنما أقبـل من العراق فلما نظر اليه الجند قالوا رسل أمير المؤمنين فلما خالطونا شهروا السلاح فأخذنى القائد وأصحابه وأناخ بى وأطلقنى من وثاقى وشخص بى حتى أقدمنى على محمد قال عمر حدثنى علىّ بن الجعد قال كان أبو جعفر يكتب إلى محمد عن ألسن قواده يدعونه إلى الظهور ويخبرونه أنهم معه فكان محمد يقول لو التقينا مال إلى القواد كلهم قال وحدثنى محمد بن يحيي قال حدثنى الحارث بن إسحاق قال لما أخذ محمد المدينة استعمل عليها عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب ابن عبد الله المخزومىّ وعلى الشرط أبا القلمس عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور ابن مخرمة وبعث إلى محمد بن عبد العزيز أنى كنت لأظنك ستنصرنا وتقيم معنا فاعتذر اليه وقال أفعل ثم انسلّ منه فأتى مكة قال وحدثنى إسماعيل بن إبراهيم ابن هود قال حدثنى سعيد بن يحيي أبو سفيان الحميرىّ قال حدثنى عبـد الحميد بن جعفر قال كنت على شرط محمد بن عبـد الله حتى وجهنى وجها وولى شرطه الزبيرىّ قال وحدثنى أزهر بن سعيد بن نافع قال لم يتخلف عن محمد أحد من وجوه الناس إلا نفر منهم الضحاك بن عثمان بن عبـد الله بن خالد بن حزام وعبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام وأبو سلمة بن عبيد الله

ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب وخبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال وحدثنى يعقوب بن القاسم قال حدثتنى جدتى كلثم بنت وهب قالت لما خرج محمد تنحى أهل المدينة فكان فيمن خرج زوجى عبد الوهاب بن يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير إلى البقيع فاختبأت عند أسماء بنت حسين بن عبد الله بن عبد الله بن عباس قالت فكتب إلىّ عبد الوهاب بأبيات قالها فكتبت اليه

رَحِمَ اللهُ شبابًا قاتلوا يومَ الثنيهْ
قاتلوا عنه بُنيًّا تٌ وأحسابٌ نقيهْ
فرّ عنهُ الناسُ طُرًّا غيرَ خَيلٍ أَسديه

قالت فزاد الناس

قتَلَ الرحمنُ عيسى قاتِلَ النفسِ الزّكيهْ

قال وحدثنى سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم بن سنان الحكمى أخو الأنصار قال أخبرنى غير واحد أن مالك بن أنس استفتى فى الخروج مع محمد وقيل له إن فى أعناقنا بيعة لأبى جعفر فقال إنما بايعتم مكرهين وليس على كل مكره يمين فأسرع الناس إلى محمد ولزم مالك بيته ❊ وحدثنى محمد بن إسماعيل قال حدثنى ابن أبى مليكة مولى عبد الله بن جعفر قال أرسل محمد إلى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر وقد كان بلغ عمرا فدعاه محمد حين خرج إلى البيعة فقال يا ابن أخى أنت والله مقتول فكيف أبايعك فارتدع الناس عنه قليلا وكان بنو معاوية قد أسرعوا إلى محمد فأتته حمادة بنت معاوية فقالت يا عمّ إن اخوتى قد أسرعوا الى ابن خالهم وانك ان قلت هذه المقالة ثبّطت عنه الناس فيقتل ابن خالى وإخوتى قال فأبى الشيخ الا النهى عنه فيقال أن حمادة عدت عليه فقتلته فأراد محمد الصلاة عليه فوثب عليه عبد الله بن اسماعيل فقال تأمر بقتل أبى ثم تصلى عليه فنحاه الحرس وصلى عليه محمد قال وحدثنى عيسى قال حدثنى أبى قال أتى محمد بعبيد الله ابن الحسين بن علىّ بن الحسين بن على مغمضاً عينيه فقال ان على يمينا إن رأيته لأقتلنه فقال عيسى بن زيد دعنى أضرب عنقه فكفه عنه محمد قال وحدثنى أيوب

ابن عمر قال حدثنى محمد بن معن قال حدثنى محمد بن خالد القسرى قال لما ظهر محمد وأنا فى حبس ابن حيان أطلقنى فلما سمعت دعوته التى دعا اليها على المنبر قلت هذه دعوة حق والله لأبلين الله فيها بلاء حسنا فقلت ياأمير المؤمنين إنك قد خرجتَ فى هذا البلد والله لووقف على نقب من أنقابه مات أهله جوعا وعطشا فانهض معى فإنما هى عشر حتى أضربه بمائة ألف سيف فأبى علىّ فإنى لعنده يوما إذ قال لى ماوجدنا من حر المتاع شيئا أجود من شىء وجدناه عند ابن أبى فروة ختن أبى الخصيب وكان انتهبه قال فقلت ألا أراك قد أبصرت حر المتاع فكتبت إلى أمير المؤمنين فأخبرته بقلة من معه فعطف على فحبسنى حتى أطلقنى عيسى بن موسى بعد قتله إياه قال وحدثنى سعيد بن عبد الحميد ابن جعفر قال حدثتنى أختى بُريكةُ بنت عبد الحميد عن أبيها قال إنى لعند محمد يوما ورجله فى حجرى إذ دخل عليه خوات بن بكير بن خوات بن جبير فسلم عليه فرد عليه سلاما ليس بالقوىّ ثم دخل عليه شاب من قريش فسلم عليه فأحسن الرد عليه فقلت ما تدع عصبيتك بعد قال وما ذلك قلت دخل عليك سيد الأنصار فسلم فرددت عليه رداً ضعيفاً ودخل عليك صعلوك من صعاليك قريش فسلم فاحتفلت فى الرد عليه فقال ما فعلت ذاك ولكنك تفقدت منى مالا يتفقد احد من أحد قال وحدثنى عبد الله بن إسحاق بن القاسم قال استعمل محمد الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على مكة ووجه معه القاسم بن إسحاق واستعمله على اليمن قال وحدثنى محمد بن إسماعيل عن أهله أن محمداً استعمل القاسم ابن إسحاق على اليمن وموسى بن عبد الله على الشأم يدعوان اليه فقتل قبل أن يصلا قال وحدثنى أزهر بن سعيد قال استعمل محمد حين ظهر عبد العزيز بن الدراوردى على السلاح قال وأخبرنى محمد بن يحيى ومحمد بن الحسن بن زبالة وغيرهما قال لما ظهر محمد قال ابن هرمة وقد أنشد بعضهم مالم ينشد غيره لأبى جعفر

غلبتَ على الخلافة مَن تمنَّى ومنَّاه المُضِل بها الضَّلولُ
فأهلك نفسَه سَفَهًا وجُبْناً ولم يُقسَمْ له منها فتيلُ

ووازره ذوو طمع فكانوا ... غثاء السيل يجمعه السيول
دعوا إبليس إذ كذبوا وجاروا ... فلم يصرخهم المغوي الخذول
وكانوا أهل طاعته فولى ... وصار وراءه منهم قبيل
وهم لم يقصروا فيها بحق ... على أثر المضل ولم يطيلوا
وما الناس احتبوك بها ولكن ... حباك بذلك الملك الجليل
تراث محمد لكم وكنتم ... أصول الحق إذ نفي الأصول

قال وحدثني محمد بن معمر بن أبي الشدائد الفزاري وموهوب بن رشيد بن حيان الكلابي قال: قال أبو الشدائد لما ظهر محمد وتوجه اليه عيسى

أتتك النجائب والمقربات ... بعيسى بن موسى فلا تعجل

قال وحدثني عيسى قال كان محمد آدم شديد الأدمة أدلم جسيماً عظيما وكان يلقب القارى من أدمته حتى كان أبو جعفر يدعوه محمماً قال وحدثني عيسى قال حدثني ابراهيم بن زياد بن عنبسة قال ما رأيت محمداً رقي المنبر قط إلا سمعت بقعقعة من تحته وإني لبمكاني ذلك قال وحدثني عبد الله بن عمر بن حبيب قال حدثني من حضر محمداً على المنبر يخطب فاعترض بلغم في حلقه فتنحنح فذهب ثم عاد فتنحنح فذهب ثم عاد فتنحنح ثم عاد فتنحنح ثم نظر فلم ير موضعاً فرمى بنخامته سقف المسجد فالصقها به قال وحدثني عبد الله بن نافع قال حدثني ابراهيم ابن علي من آل أبي رافع قال كان محمد تمتاما فرأيته على المنبر يتلجلج الكلام في صدره فيضرب بيده على صدره يستخرج الكلام قال وحدثني عيسى قال حدثني أبي قال دخل عيسى بن موسى يوما على أبي جعفر فقال سرك الله يا أمير المؤمنين قال فيم قال ابتعت وجه دار عبد الله بن جعفر من بني معاوية حسن ويزيد وصالح قال أتفرح أما والله ما باعوها إلا ليثبوا عليك بثمنها قال وحدثني محمد ابن يحيي قال حدثني عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن عبد الله ابن الربيع بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان قال خرج محمد بالمدينة وقد خط المنصور مدينته ببغداد بالقصب فسار إلى الكوفة وسرت معه فصيح بي فلحقته

فصمت طويلا ثم قال يا ابن الربيع خرج محمد قلت أين قال بالمدينة قلت هلك والله وأهلك خرج والله فى غير عدد ولا رجال يا أمير المؤمنين ألا أحدثك حديثاً حدثنيه سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومى قال كنت مع مروان يوم الزاب واقفا فقال يا سعيد من هذا الذى يقاتلنى فى هذا الخيل قلت عبد الله ابن على بن عبد الله بن عباس قال أيهم هو أعرفه قلت نعم رجل أصفر حسن الوجه رقيق الذراعين رجل دخل عليك يشتم عبد الله بن معاوية حين هزم قال قد عرفته والله لوددت أن على بن أبى طالب يقاتلنى مكانه إن عليا وولده لاحظ لهم فى هذا الأمر وهذا رجل من بنى هاشم وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عباس معه ريح الشأم ونصر الشأم يا ابن جعدة تدرى ما حملنى على أن عقدتُ لعبد الله وعبيد الله ابنى مروان وتركت عبد الملك وهو أكبر من عبيد الله قلت لا قال وجدت الذى يلى هذا الأمر عبد الله وكان عبيد الله أقرب إلى عبد الله من عبد الملك فعقدت له فقال أنشدك الله أحدثك هذا ابن جعدة قلت ابنة سفيان بن معاوية طالق البتة إن لم يكن حدثنى ما حدثتك قال عمر وحدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى الحارث بن اسحاق قال خرج إلى أبى جعفر فى الليلة التى ظهر فيها محمد رجل من آل أويس بن أبى سرح من بنى عامر بن لؤى فسار تسعا من المدينة فقدم ليلا فقام على أبواب المدينة فصاح حتى نذر به فأدخل فقال له الربيع ما حاجتك هذه الساعة وأمير المؤمنين نائم قال لا بدلى منه قال أعلمنا نعلمه فأبى فدخل الربيع عليه فأعلمه فقال سله عن حاجته ثم أعلمنى قال قد أبى الرجل الا مشافهتك فأذن له فدخل عليه فقال يا أمير المؤمنين خرج محمد بن عبد الله بالمدينة قال قتلتَه والله ان كنت صادقا أخبرنى من معه فسمى له من خرج معه من وجوه أهل المدينة وأهل بيته قال أنت رأيته وعاينته قال أنا رأيته وعاينته وكلمته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فأدخله أبو جعفر بيتا فلما أصبح جاءه رسول لسعيد بن دينار غلام عيسى بن موسى كان يلى أموال عيسى بالمدينة فأخبره بأمر محمد وتواترت عليه أخباره فأخرج الأويسى فقال لأوطئن الرجال عقبيك

ولأغنينك وأمر له بتسعة آلاف لكل ليلة سارها ألفا قال وحدثنى ابن أبى حرب قال لما بلغ أبا جعفر ظهوره أشفق منه فجعل الحارث المنجم يقول له يا أمير المؤمنين مايجزعك منه فوالله لوملك الأرض مالبث الا تسعين يوما قال وحدثنى سهيل بن عقيل بن إسماعيل عن أبيه قال لما بلغ أبا جعفر خبره بادر إلى الكوفة وقال أنا أبو جعفر استخرجت الثعلب من جحره قال وحدثنى عبدالملك ابن سليمان عن حبيب بن مرزوق قال حدثنى تسنيم بن الحوارىّ قال لما ظهر محمد وابراهيم ابنا عبدالله أرسل أبو جعفر إلى عبدالله بن علىّ وهو محبوس عنده ان هذا الرجل قدخرج فان كان عندك رأى فأشر به علينا وكان ذارأى عندهم فقال إن المحبوس محبوس الرأى فأخرجنى حتى يخرج رأيى فأرسل اليه أبو جعفر لوجاءنى حتى يضرب بابى ماأخرجتك وأنا خيرلك منه وهو ملك أهل بيتك فأرسل اليه عبدالله ارتحل الساعة حتى تأتى الكوفة فاجثم على أكبادهم فانهم شيعة أهل هذا البيت وأنصارهم ثم احففها بالمسالح فمن خرج منها إلى وجه من الوجوه أوأتاها من وجه من الوجوه فاضرب عنقه وابعث إلى سلم بن قتيبة ينحدر عليك وكان بالرىّ واكتب إلى أهل الشأم فمرهم أن يحملوا إليك من أهل البأس والنجدة مايحمل البريد فأحسن جوائزهم ووجههم مع سلم ففعل قال وحدّثنى العباس بن سفيان ابن يحيى بن زياد قال سمعتُ أشياخنا يقولون لما ظهر محمد ظهر وعبدالله بن علىّ محبوس فقال أبو جعفر لإخوته إن هذا الأحمق لايزال يطلع له الرأى الجيّد فى الحرب فادخلوا عليه فشاوروه ولا تعلموه أنى أمرتكم فدخلوا عليه فلما رآهم قال لأمر ماجئتم ماجاء بكم جميعا وقد هجرتمونى منذ دهر قالوا استأذنا أمير المؤمنين فأذن لنا قال ليس هذا بشىء فما الخبر قالوا خرج ابن عبدالله قال فما ترون ابن سلامة صانعا يعنى أبا جعفر قالوا لاندرى والله قال إن البُخل قد قتله فمروه فليُخرج الأموال فليُعطِ الأجناد فان غلب فما أوشك أن يعود اليه ماله وإن غُلب لم يقدم صاحبُه على درهم واحد قال وحدّثنا عبدالملك بن شيبان قال أخبرنى زيد مولى مسمع بن عبدالملك قال لما ظهر محمد دعا أبو جعفر عيسى بن موسى

فقال له قد ظهر محمد فسر اليه قال يا أمير المؤمنين هؤلاء عمومتك حولك فادعهم فشاورهم قال فأين قول ابن هَرْمة

ترون امْرَءًا لا يُمحض القومَ سِرّه ... ولا يَنتجى الاذْنَين فيما يحاول

إذا ما أتى شيئاً مضى كالذى أَبَى ... وإن قال إنى فاعِلٌ فهو فاعِلُ

قال وحدثنى محمد بن يحيى قال نسختُ هذه الرسائل من محمد بن بشير وكان بشير يصحّحها وحدّثنيها أبو عبد الرحمن من كتاب أهل العراق والحكم بن صدقة ابن نزار وسمعت ابن أبى حرب يصحّحها ويزعم أن رسالة محمد لما وردتْ على أبى جعفر قال أبو أيوب دعنى أجبْه عليها فقال أبو جعفر لا بل أنا أجيبه عنها إذ تقارعنا على الأحساب فدعنى وإياه قالوا لما بلغ أبا جعفر المنصور ظهور محمد ابن عبد الله بالمدينة كتب اليه (بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله «إنما جزاءُ الذين يحارِبُون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يُقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطَّع أيديهم وأرجلُهم من خلاف أو ينفَوْا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم» ولك علىّ عهد الله وميثاقه وذمّتُه وذمّةُ رسوله صلى الله عليه وسلم ان تبت ورجَعْت من قبل أن أقدر عليك أن أؤمّنك وجميع ولدك واخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم على دمائكم وأموالكم وأسوّغك ما أصبت من دم أو مال وأعطيك ألف ألف درهم وما سألتَ من الحوائج وأنزلك من البلاد حيث شئت وأن أطلق مَنْ فى حبسى من أهل بيتك وأن أؤمن كل من جاءك وبايعك واتبعك أو دخل معك فى شىء من أمرك ثم لا أتبع أحداً منهم بشىء كان منه أبداً فان أردت أن تتوثق لنفسك فوجه إلىّ من أحببت يأخذلك من الأمان والعهد والميثاق ما تثق به وكتب على العنوان من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله فكتب اليه محمد بن عبد الله (بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله المهدىّ محمد بن عبد الله إلى عبد الله بن محمد (طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعونَ بالحق لقوْم

يؤمنون إنّ فرعون علَا فى الأرض وجَعل أهلها شيعاً يَستضْعِف طائفة منهم يذبح أبناءَهم ويستحى نساءَهم إنه كان من المفسدين ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا فى الأرض ونجعلَهم أئمةً ونجعلَهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعونَ وهَامَان وجُنودَهما منهم ما كانوا يحذرون وأنا أَعرضُ عليك من الأمان مثل الذى عرضت علىّ فإن الحقّ حقنا وإنما ادّعيتم هذا الأمر بنا وخرجتم له بشيعتنا وحظيتم بفضلنا وإن أبانا عليّا كان الوصىّ وكان الإمام فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحدٌ له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء وليس يمت أَحد من بنى هاشم بمثل الذى نمت به من القرابة والسابقة والفضل وإنّا بنو أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو فى الجاهلية وبنو بنته فاطمة فى الاسلام دونكم انّ الله اختارنا واختار لنا فوالدنا من النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ومن السلف أولهم إسلاما علىّ ومن الأزواج أفضلهنّ خديجة الطاهرة وأول من صلى القبلة ومن البنات خيرُهن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ومن المولودين فى الإسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة وإن هاشما ولد عليا مرتين وإن عبد المطلب ولد حسنا مرتين وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدنى مرتين من قِبل حسن وحسين وإنى أوسط بنى هاشم نسبا وأصرحُهم أبا لم تعرّق فىّ العجمُ ولم تنازع فىّ أمهاتُ الأولاد فما زال الله يختارُ لى الآباء والأمهات فى الجاهلية والإسلام حتى اختار لى فى النار فأنا ابن أرفع الناس درجة فى الجنة وأهونهم عذاباً فى النار وأنا ابن خير الأخيار وابن خير الأشرار وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار ولك الله علىّ إن دخلت فى طاعتى وأجبت دعوتى أن أؤمنك على نفسك ومالك وعلى كل أمر أحدثته إلا حداً من حدود الله أو حقا لمسلم أو معاهد فقد علمت ما يلزمك من ذلك وأنا أولى بالأمر منك وأوفى بالعهد لأنك أعطيتنى من العهد والأمان ما أعطيته رجالا قبلى فأىّ الأمانات تعطينى أمان ابن هبيرة أم أمان عمك عبد الله بن علىّ أم أمان أبى مسلم فكتب اليه

أبو جعفر (بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعدُ فقد بلغنى كلامُك وقرأتُ كتابك فاذا جلّ فخرك بقرابة النساء لتضلّ به الجُفاة والغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعُمومة والآباء ولا كالعَصبة والأولياء لان الله جعل العم أباً وبدأ به فى كتابه على الوالدة الدنيا ولو كان اختيارُ الله لهنّ على قدر قرابتهنّ كانت آمنةُ أقربهن رحما وأعظمهنّ حقا وأول من يدخل الجنة غداً ولكن اختيار الله لخلقه على علمه لما مضى منهم واصطفائه لهم وأما ماذكرت من فاطمة أم أبى طالب وولادتها فان الله لم يرزق أحداً من ولدها الاسلام لا بنتا ولا ابنا ولو أن أحداً رُزق الاسلام بالقرابة رُزقه عبد الله أولاهم بكل خير فى الدنيا والآخرة ولكن الأمر لله يختارُ لدينه من يشاء قال الله عز وجل (إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ) ولقد بعث الله محمداً عليه السلام وله عُمومة أربعة فأنزل الله عز وجل (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ) فأنذرهم ودعاهم فأجاب اثنان أحدهما أبى وأبى اثنان أحدهما أبوك فقطع الله ولايتهما منه ولم يجعل بينه وبينهما إلًّا ولا ذمّةً ولا ميراثا وزعمتَ أنك ابن أخفّ أهل النار عذابا وابن خير الأشرار وليس فى الكفر بالله صغير ولا فى عذاب الله خفيف ولا يسير وليس فى الشر خيار ولا ينبغى لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار وسترِدُ فتعلم (وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) وأما ما فخرت به من فاطمة أم على وان هاشما ولده مرتين ومن فاطمة أم حسن وان عبد المطلب ولده مرتين وأن النبىّ صلى الله عليه وسلم ولدك مرتين فخير الاولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة ولا عبد المطلب الا مرة وزعمت أنك أوسط بنى هاشم نسبا وأصرحهم أمًّا وأبا وانه لم تلدك العجم ولم تعرّق فيك أمّهاتُ الأولاد فقد رأيتك فخرت على بنى هاشم طرّاً فانظر ويحك أين أنت من الله غداً فانك قد تعديت طَورك وفخرت على من هو خير منك نفسا وأبا وأولا وآخراً ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده وما خيار بنى أبيك خاصة وأهل الفضل منهم الا بنو أمهات

أولاد وما وُلد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عليّ بن حسين وهو لأم ولد ولهو خيرٌ من جدك حسن بن حسن وما كان فيكم بعده مثلُ ابنه محمد بن عليّ وجدّته أمّ ولد ولهو خيرٌ من أبيك ولا مثلُ ابنه جعفر وجدّته أمّ ولدٍ ولهو خيرٌ منك وأما قولك انكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى يقول فى كتابه (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ) ولكنكم بنو ابنته وانها لقرابة قريبة ولكنها لا تحوز الميراث ولا ترث الولاية ولا تجوز لها الإمامة فكيف تورث بها ولقد طلبها أبوك بكل وجه فاخرجها نهاراً ومَرّضها سرّاً ودفنها ليلا فأبى الناس إلا الشيخين وتفضيلهما ولقد جاءت السنة التى لا اختلاف فيها بين المسلمين أن الجدّ أبا الأم والخال والخالة لا يرثون وأما ما فخرت به من عليّ وسابقته فقد حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة فأمر غيره بالصلاة ثم أخذ الناس رجلا بعد رجل فلم يأخذوه وكان فى الستة فتركوه كلهم دفعا له عنها ولم يروا له حقا فيها أما عبد الرحمن فقدم عليه عثمان وقتل عثمان وهو له متهم وقاتله طلحة والزبير وأبى سعد بيعته وأغلق دونه بابه ثم بايع معاوية بعده ثم طلبها بكل وجه وقاتل عليها وتفرق عنه أصحابه وشك فيه شيعتُه قبل الحكومة ثم حكّم حكمين رضى بهما وأعطاهما عهده وميثاقه فاجتمعا على خلعه ثم كان حسن فباعها من معاوية بخِرَق ودراهم ولحق بالحجاز وأسلم شيعته بيد معاوية ودفع الأمر إلى غير أهله وأخذ مالا من غير ولائه ولا حله فان كان لكم فيها شىء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه ثم خرج عمك حسين بن عليّ على ابن مرجانة فكان الناس معه عليه حتى قتلوه وأتوا برأسه اليه ثم خرجتم على بنى أمية فقتّلوكم وصلبوكم على جذوع النخل وأحرقوكم بالنيران ونفوكم من البلدان حتى قتل يحيي بن زيد بخراسان وقتلوا رجالكم وأسروا الصِبْيَة والنساء وحملوهم بلا وطاء فى المحامل كالسبى المجلوب إلى الشأم حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثأركم وأدركنا بدمائكم وأورثناكم أرضهم وديارهم وسنينا سلفكم وفضلناه فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت انا انما ذكرنا أباك وفضلناه للتقدمة مناله على حمزة والعباس وجعفر

وليس ذلك كما ظننت ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين متسلما منهم مجتمعا عليهم بالفضل وابتُلى أبوك بالقتال والحرب وكانت بنو أمية تلعنه كما تلعن الكفرة فى الصلاة المكتوبة فاحتججنا له وذكرناهم فضله وعنفناهم وظلمناهم بما نالوا منه ولقد علمت أن مكرُمتنا فى الجاهلية سقايةُ الحجيج الأعظم وولاية زمزم فصارت للعباس من بين اخوته فنازعنا فيها أبوك فقضى لنا عليه عمر فلم نزل نليها فى الجاهلية والإسلام ولقد قحط أهلُ المدينة فلم يتوسل عمر إلى ربه ولم يتقرب اليه الا بأبينا حتى نعشهم الله وسقاهم الغيث وأبوك حاضرٌ لم يتوسل به ولقد علمت انه لم يبق أحد من بنى عبد المطلب بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم غيره فكان وراثه من عمومته ثم طلب هذا الأمر غيرُ واحد من بنى هاشم فلم يَنَلْه إلا ولده فالسقايةُ سقايتُه وميراثُ النبى له والخلافة فى ولده فلم يبق شَرَفٌ ولا فضل فى جاهلية ولا إسلام فى دنيا ولا آخرة إلا والعباس وارثه ومورّثه وأماما ذكرت من بدر فان الإسلام جاء والعباس يَمُون أبا طالب وعياله وينفق عليهم للازمة التى أصابته ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كرها لمات طالب وعقيل جوعا وللحسا جفان عتبة وشيبة ولكنه كان من المطعمين فأذهب عنكم العار والسبّة وكفاكم النفقة والمؤونة ثم فدى عقيلا يوم بدر فكيف تفخر علينا وقد علناكم فى الكفر وفديناكم من الأسر وحُزنا عليكم مكارم الآباء وورثنا دونكم خاتم الأنبياء وطلبنا بثأركم فأدركنا منه ماعجزتم عنه ولم تدركوا لأنفسكم والسلام عليك ورحمة الله قال عمر بن شبة حدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى الحارث بن إسحق قال أجمع ابن القسرىّ على الغدر بمحمد فقال له ياأمير المؤمنين ابعث موسى بن عبد الله ومعه رزاما مولاى إلى الشأم يدعوان إليك فبعثهما فخرج رزام بموسى إلى الشأم وظهر محمد على أن القسرىّ كتب إلى أبى جعفر فى أمره فحبسه فى نفر ممن كان معه فى دار ابن هشام التى فى قبلة مصلى الجنائز وهى اليوم لفرج الخصىّ وورد رزام بموسى الشأم ثم انسلّ منه فذهب إلى أبى جعفر فكتب موسى إلى محمد إنى أخبرك أنى لقيت الشأم وأهله

فكان أحسنهم قولا الذى قال والله لقد مللنا البلاء وضقنا به ذرعا حتى ما فينا لهذا الأمر موضع ولا لنا به حاجة ومنهم طائفة تحلف لئن أصبحنا من ليلتنا أو مسينا من غد ليرفعن أمرنا وليدلن علينا فكتبت إليك وقد غيبت وجهى وخفت على نفسى قال الحارث ويقال إن موسى ورزاما وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن ابن المسور توجهوا إلى الشأم فى جماعة فلما ساروا بتيماء تخلف رزام ليشترى لهم زادا فركب إلى العراق ورجع موسى وأصحابه إلى المدينة قال وحدثنى عيسى قال حدثنى موسى بن عبد الله ببغداد ورزام معا قال بعثنى محمد ورزاما فى رجال معنا إلى الشأم لندعو له فإنا لبدَوْمَة الجندل إذ أصابنا حر شديد فنزلنا عن رواحلنا نغتسل فى غدير فاستلّ رزام سيفه ثم وقف على رأسى وقال ياموسى أرأيت لو ضربت عنقك ثم مضيت برأسك إلى أبى جعفر أيكون أحد عنده فى منزلتى قال قلت لاتدع هزلك ياأبا قيس شِمْ سيفك غفر الله لك قال فشام سيفه فركبنا قال عيسى فرجع موسى قبل أن يصل إلى الشأم فأتى البصرة هو وعثمان بن محمد فدُلّ عليهما فأخذا قال وحدثنى عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال حدثنى أخى عبد الله بن نافع الأكبر قال لما ظهر محمد لم يأته أبى نافع بن ثابت فأرسل إليه فأتاه وهو فى دار مروان فقال ياأبا عبد الله لم أرك جئتنا قال ليس فىّ ماتريد فألحّ عليه محمد حتى قال ألبس السلاح يتأسّ بك غيرك فقال أيها الرجل إنى والله ماأراك فى شىء خرجت فى بلد ليس فيه مال ولا رجال ولا كراع ولا سلاح وما أنا بمهلك نفسى معك ولا معين على دمى قال انصرف فلا شىء فيك بعد هذا قال فمكث يختلف إلى المسجد إلى أن قتل محمد فلم يصلّ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قتل إلا نافع وحده ووجه محمد بن عبد الله لما ظهر فيما ذكر عمر عن أزهر بن سعيد بن نافع الحسن بن معاوية إلى مكة عاملا عليها ومعه العباس بن القاسم رجل من آل أبى لهب فلم يشعر بهم السرىّ ابن عبد الله حتى دنوا من مكة فخرج إليهم فقال له مولاه ماريك قد دنونا منهم قال انهزموا على بركة الله وموعدكم بئر ميمون فانهزموا ودخلها الحسن بن معاوية

وخرج الحسين بن صخر رجل من آل أويس من ليلته فسار إلى أبى جعفر تسعاً فأخبره فقال (قد أنصف القارة من راماها) وأجازه بثلثمائة درهم قال وحدثنى أيوب بن عمر قال حدثنى محمد بن صالح بن معاوية قال حدثنى أبى قال كنت عند محمد حين عقد للحسن بن معاوية على مكة فقال له الحسن أرأيت إن التحم القتال بيننا وبينهم ماترى فى السرى قال ياحسن إن السرى لم يزل مجتنباً لما كرهنا كارها للذى صنع أبو جعفر فإن ظفرت به فلا تقتله ولا تحرّكن له أهلا ولا تأخذن له متاعا وإن تنحى فلا تطابنّ له أثرا قال فقال له الحسن ياأمير المؤمنين ما كنت أحسبك تقول هذا فى أحد من آل العباس قال بلى إن السرى لم يزل ساخطا لما صنع أبو جعفر قال وحدثنى عمر بن راشد مولى عنج قال كنت بمكة فبعث إلينا محمد حين ظهر الحسن بن معاوية والقاسم بن إسحق ومحمد بن عبد الله بن عنبسة يدعى أباجبرة أميرهم الحسن بن معاوية فبعث إليهم السرى بن عبدالله كاتبه مسكين ابن هلال فى ألف ومولى له يدعى مسكين بن نافع فى ألف ورجلا من أهل مكة يقال له ابن فرس كان شجاعا فى سبعمائة وأعطاه خمسمائة دينار فالتقوا ببطن أذاخر بين الثنيتين وهى الثنية التى تهبط على ذى طوى منها هبط النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى مكة وهى داخلة فى الحرم فتراسلوا فأرسل حسن إلى السرى أن خلّ بيننا وبين مكة ولا تهريقوا الدماء فى حرم الله وحلف الرسولان للسرى ماجئناك حتى مات أبو جعفر فقال لهما السرى وعلىّ مثل ماحلفتما به إن كانت مضت لى أربعة منذ جاءنى رسول من عند أمير المؤمنين فأنظرونى أربع ليال فإنى أنتظر رسولا لى آخر وعلىّ مايصلحكم ويصلح دوابكم فإن يكن ما تقولونه حقا سلمتها إليكم وإن يكن باطلا أجاهدكم حتى تغلبونى أو أغلبكم فأبى الحسن وقال لانبرح حتى نناجزك ومع الحسن سبعون رجلا وسبعة من الخيل فلما دنوا منه قال لهم الحسن لا يقدمن أحدمنكم حتى ينفخ وتتوافى البوق فإذا نفخ فلتكن حملتكم حملة رجل واحد فلما رهقناهم وخشى الحسن أن يغشاه وأصحابه ناداه انفخ ويحك فى البوق فنفخ وبتوا وحملوا علينا حملة رجل واحد

فانهزم أصحاب السرى وقتل منهم سبعة نفر قال واطلع عليهم بفرسان من أصحابه وهم من وراء الثنية فى نفر من قريش قد خرج بهم وأخذ عليهم لننصرنه فلما رآهم القرشيون قالوا هؤلاء أصحابك قد انهزموا قال لا تعجلوا إلى أن طلعت الخيل والرجال فى الجبال فقيل له مابقى فقال انهزموا على بركة الله فانهزموا حتى دخلوا دار الإمارة وطرحوا أداة الحرب وتسوّروا على رجل من الجند يكنى أبا الرزام فدخلوا بيته فكانوا فيه ودخل الحسن بن معاوية المسجد فخطب الناس ونعى اليهم أبا جعفر ودعا لمحمد قال وحدثنى يعقوب بن القاسم قال حدثنى الغمر بن حمزة ابن أبى رملة مولى العباس بن عبد المطلب قال لما أخذ الحسن بن معاوية مكة وفرّ السرى بلغ الخبر أبا جعفر فقال لهفى على ابن أبى العضل قال وحدثنى ابن أبى مُساور بن عبد الله بن مساور مولى بنى نائلة من بنى عبد الله بن مُعيْص قال كنت بمكة مع السرى بن عبد الله فقدم عليه الحسن بن معاوية قبل مخرج محمد والسرىّ يومئذ بالطائف وخليفته بمكة ابن سراقة من بنى عدىّ بن كعب قال فاستعدى عتبة بن أبى خداش اللهبىّ على الحسن بن معاوية فى دين عليه فحبسه فكتب له السرىّ إلى ابن أبى خداش أما بعد فقد أخطأت حظك وساء نظرك لنفسك حين تحبس ابن معاوية وإنما أصبت المال من أخيه وكتب إلى ابن سراقة يأمره بتخليته وكتب إلى ابن معاوية يأمره بالمقام إلى أن يقدم فيقضى عنه قال فلم يلبث أن ظهر محمد فشخص اليه الحسن بن معاوية عاملا على مكة فقيل للسرىّ هذا ابن معاوية قد أقبل اليك قال كلا ما يفعل وبلائى عنده فكيف يخرج إلىّ أهل المدينة فوالله مابها دار إلا وقد دخلها لى معروف فقيل له قد نزل فجاء قال فشخص اليه ابن جريج فقال له أيها الرجل إنك والله ماأنت بواصل إلى مكة وقد اجتمع أهلها مع السرىّ أتراك قاهراً قريشاً وغاصبها على دارها قال ياابن الحائك أبأهل مكة تخوفنى والله ماأبيت إلا بها أو أموت دونها ثم وثب فى أصحابه وأقبل اليه السرىّ فلقيه بفخ فضرب رجل من أصحاب الحسن مِسكين بن هلال كاتب السرىّ على رأسه فشجه فانهزم السرىّ وأصحابه فدخلوا مكة والتف أبو الرزام رجل من بنى عبد الدار ثم

أحد آل شيبة على السرىّ فواراه فى بيته ودخل الحسن مكة ثم إن الحسن أقام بمكة يسيرا ثم ورد كتاب محمد عليه يأمره باللحاق به وذكر عمر عن عبد الله ابن إسحاق بن القاسم قال سمعت من لا أحصى من أصحابنا يذكر أن الحسن والقاسم لما أخذا مكة تجهزا وجمعا جمعاً كثيرا ثم أقبلا يريدان محمداً ونصرته على عيسى بن موسى واستخلفا على مكة رجلا من الأنصار فلما كانا بقُدَيْد لقيهما قتل محمد فتفرق الناس عنهما وأخذ الحسن على بَسْقة وهى حرّة فى الرمل تدعى بَسْقة قديد فلحق بإبراهيم فلم يزل مقيما بالبصرة حتى قتل إبراهيم وخرج القاسم بن إسحاق يريد إبراهيم فلما كان ببديع من أرض فدك لقيه قتل إبراهيم فرجع إلى المدينة فلم يزل مختفيا حتى أخذت ابنة عبدالله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن جعفر زوجة عيسى بن موسى له ولإخوته الأمان فصهره بنو معاوية وظهر القاسم قال وحدثنى عمر بن راشد مولى عنج قال لما ظهر الحسن بن معاوية على السرىّ أقام قليلا حتى أتاه كتاب محمد يأمره بالشخوص اليه ويخبره أن عيسى قد دنا من المدينة ويستعجله بالقدوم قال فخرج من مكة يوم الاثنين فى مطر شديد زعموا أنه اليوم الذى قتل فيه محمد فتلقاه بريد لعيسى بن موسى بأج وهو ماء لخزاعة بين عسفان وقديد بقتل محمد فهرب وهرب أصحابه قال عمر وحدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى عبد العزيز بن أبى ثابت عن أبى سيار قال كنت حاجب محمد بن عبد الله فجاءنى راكب من الليل قال قدمت من البصرة وقد خرج بها إبراهيم فأخذها قال فجئت دار مروان ثم جئت المنزل الذى فيه محمد فدققت الباب فصاح بأعلى صوته من هذا قلت أبو سيار قال لا حول ولا قوة إلا بالله اللهم إنى أعوذ بك من شر طوارق الليل إلا طارق يطرق منك بخير قال خير قلت خير قال ما وراءك قلت أخذ إبراهيم البصرة وكان محمد إذا صلى المغرب والصبح صاح صائح ادعوا الله لإخوانكم من أهل البصرة وللحسن بن معاوية واستنصروه على عدوكم قال وحدثنى عيسى قال قدم علينا رجل من أهل الشأم فنزل دارنا وكان يكنى أبا عمرو فكان أبى يقول له كيف ترى هذا الرجل فيقول حتى ألقاه فأسبره ثم أخبرك قال عيسى فلقيه أبى

بعد فسأله فقال هو والله الرجل كل الرجل ولكن رأيت شحم ظهره ذراعا وليس هكذا يكون صاحب الحرب قال ثم بايعه بعد وقاتل معه قال وحدثنى عبد الله بن محمد بن سلم يدعى ابن البواب مولى المنصور قال كتب أبو جعفر الى الأعمش كتابا على لسان محمد يدعوه الى نصرته فلما قرأه قال قد خبرناكم يا بنى هاشم فاذا أنتم تحبون الثريد فلما رجع الرسول إلى أبى جعفر فأخبره قال أشهد أن هذا كلام الأعمش * وحدثنى الحارث قال حدثنى ابن سعد عن محمد بن عمر قال غلب محمد بن عبد الله على المدينة فبلغنا ذلك فخرجنا ونحن شباب أنا يومئذ ابن خمس عشرة سنة فانتهينا اليه وهو قد اجتمع اليه الناس ينظرون اليه ليس يصد عنه أحد فدنوت حتى رأيته وتأملته وهو على فرس وعليه قميص أبيض محشو وعمامة بيضاء وكان رجلا احزم قد أثر الجدرى فى وجهه ثم وجه إلى مكة فأخذت له وبيضوا ووجه أخاه إبراهيم بن عبد الله إلى البصرة فأخذها وغلبها وبيضوا معه (رجع الحديث إلى حديث عمر) قال عمر وحدثنى محمد بن يحيي قال حدثنى الحارث بن إسحاق قال ندب أمير المؤمنين أبو جعفر عيسى بن موسى لقتال محمد وقال لا أبالى أيهما قتل صاحبه وضم اليه أربعة آلاف من الجند وبعث معه محمد بن أبى العباس أمير المؤمنين قال وحدثنى عبد الملك بن شيبان عن زيد مولى مسمع قال لما أمر أبو جعفر عيسى بن موسى بالشخوص قال شاور عمومتك فقال له امض أيها الرجل فوالله ما يراد غيرى وغيرك وما هو إلا أن تشخص أو أشخص قال فسار حتى قدم علينا ونحن بالمدينة قال وحدثنى عبد الملك بن شيبان قال دعا أبو جعفر جعفر بن حنظلة البهرانى وكان أبرص طوالا أعلم الناس بالحرب وقد شهد مع مروان حروبه فقال يا جعفر قد ظهر محمد فما عندك قال وأين ظهر قال بالمدينة قال فاحمد الله ظهر حيث لا مال ولا رجال ولا سلاح ولا كراع ابعث مولى لك تثق به فليسر حتى ينزل بوادى القرى فيمنعه ميرة الشأم فيموت مكانه جوعا ففعل قال وحدثنى عبد الله بن راشد بن يزيد قال سمعت أصحابنا اسماعيل ابن موسى وعيسى بن النضر وغيرهما يذكرون أن أبا جعفر قدم كثير بن حُصَيْن

العبدى فعسكر بفيد وخندق عليه خندقا حتى قدم عليه عيسى بن موسى فخرج به إلى المدينة قال عبد الله فأنا رأيتُ الخندق قائماً دهراً طويلا ثم عفا ودرس قال وحدثنى يعقوب بن القاسم قال حدثنى علىّ بن أبى طالب ولقيته بصنعاء قال قال أبو جعفر لعيسى حين بعثه إلى محمد عليك بأبى العسكر مسمع بن محمد بن شيبان ابن مالك بن مسمع فسر به معك فإنى قد رأيته منع سعيد بن عمرو بن جَعدَة بن هبيرة من أهل البصرة وهم محلبون عليه وهو يدعو إلى مروان وهو عند أبى العسكر يأكل المخَّ بالطَّبرْزَد فخرج به عيسى فلما كان ببطن نخل تخلف هو والمسعودى بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود حتى قتل محمد فبلغ ذلك أبا جعفر فقال لعيسى بن موسى ألا ضربت عنقه * وحدثنى عيسى بن عبد الله ابن محمد بن عمر بن علىّ بن أبى طالب قال أخبرنى أبى قال قال أبو جعفر لعيسى ابن موسى حين ودعه ياعيسى إنى أبعثك إلى ما بين هذين وأشار إلى جنبيه فإن ظفرت بالرجل فشِمْ سيفك وابذل الأمان وإن تغيب فضمنهم إياه حتى يأتوك به فإنهم يعرفون مذاهبه قال فلما دخلها عيسى فعل ذلك * فحدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال قال محمد بن عمر وجه أبو جعفر إلى محمد بن عبد الله بالمدينة عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ووجه معه محمد بن أبى العباس أمير المؤمنين وعدة من قواد أهل خراسان وجندهم وعلى مقدمة عيسى بن موسى حميد بن قحطبة الطائىّ وجهزهم بالخيل والبغال والسلاح والميرة فلم ينزل ووجه مع عيسى بن موسى بن أبى الكرام الجعفرى وكان فى صحابة أبى جعفر وكان مائلا إلى بنى العباس فوثق به أبو جعفر فوجهه .... (رجع الحديث إلى حديث عمر ابن شبة) قال عمر وحدثنى عيسى عن أبيه قال كتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى من لقيك من آل أبى طالب فاكتب إلىّ باسمه ومن لم يلقك فاقبض ماله قال فقبض عين أبى زياد وكان جعفر بن محمد تغيب عنه فلما قدم أبو جعفر كلمه جعفر وقال مالى قال قد قبضه مهديُّكم قال وحدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى الحارث بن إسحاق قال لما صار عيسى بفيد كتب إلى رجال من أهل المدينة فى خِرَقِ الحرير منهم

عبد العزيز بن المطلب المخزومى وعبيد الله بن محمد بن صفوان الجمحى فلما وردت كتبه المدينة تفرق ناس كثير عن محمد منهم عبد العزيز بن المطلب فأخذ فرُدّ فأقام يسيراً ثم خرج فرد مرة أخرى وكان أخوه على بن المطلب من أشد الناس مع محمد فكلم محمدا فى أخيه حتى كفه عنه قال وحدثنى عيسى قال كتب عيسى بن موسى إلى أبى فى حريرة صفراء جاء بها أعرابىّ بين خصافَىْ نعله قال عيسى فرأيتُ الأعرابى قاعداً فى دارنا وإنى لصبىّ صغير فدفعها إلى أبى فإذا فيها ان محمداً تعاطى ماليس يعطيه الله وتناول مالم يؤته الله قال الله عز وجل فى كتابه (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلك تُؤتِى المُلكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) فعجل التخاص وأقل التربُّص وادعُ من أطاعك من قومك إلى الخروج معك قال فخرج وخرج معه عمر بن محمد بن عمر وأبو عقيل محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل قال ودعوا الأفطس حسن بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب إلى الخروج معهم فأبى وثبت مع محمد وذكر خروجهم لمحمد فأرسل إلى ظهرهم فأحده فأتاه عمر بن محمد فقال أنت تدعو إلى العدل ونفى الجور فما بال إبلى تؤخذ فإنما أعددتها لحج أو عمرة قال فدفعها إليه فخرجوا من تحت ليلتهم فلقوا عيسى على أربع أو خمس من المدينة قال وحدثنى أيوب بن عمر بن أبى عمرو بن نعيم بن مهان قال كتب أبو جعفر إلى رجال من قريش وغيرهم كتبا وأمر عيسى إذا دنا من المدينة أن يبعث بها إليهم فلما دنا بعث بها إليهم فأخذ حرس محمد الرسول والكتب فوجد فيها كتابا إلى إبراهيم بن طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر وإلى جماعة من رؤساء قريش فبعث محمد إلينا جميعا ماخلا ابن عمر وأبا بكر بن أبى سبرة فحبسنا فى دار ابن هشام التى فى المصلى قال أبى وبعث إلىّ وإلى أخى فأتى بنا فضربنا ثلثمائة ثلثمائة قال فقلت له وهو يضربنى ويقول أردت أن تقتلنى تركتك وأنت تستتر بحجر وبيت شعر حتى اذا صارت المدينة فى يدك وغلظ أمرك قمت عليك فيمن أقوم أبطاقتى أم بمالى أم بعشيرتى قال ثم أمر بنا الى الحبس وقيدنا بكبول وسلاسل تبلغ ثمانين

رطلا قال فدخل عليه محمد بن عجلان فقال إنى قد ضربتُ هذين الرجلين ضربا فاحشا وقيدتهما بما منعهما من الصلاة قال فلم يزالا محبوسين حتى قدم عيسى قال وحدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى عبد العزيز بن أبى ثابت عن عبد الحميد بن جعفر ابن عبد الله بن أبى الحكم قال إنا لعند محمد ليلة وذلك عند دُنوّ عيسى من المدينة اذ قال محمد أشيروا على فى الخروج والمقام قال فاختلفوا فأقبل على فقال أشر على يا أبا جعفر قلت ألست تعلم أنك أقل بلاد الله فرسا وطعاما وسلاحا وأضعفها رجالا قال بلى قلت تعلم أنك تقاتل أشد بلاد الله رجلا وأكثرها مالا وسلاحا قال بلى قلت فالرأى أن تسير بمن معك حتى تأتى مصر فوالله لا يردك راد فتقاتل الرجل بمثل سلاحه وكراعه ورجاله وماله فصاح حنين بن عبد الله أعوذ بالله أن تخرج من المدينة وحدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيتنى فى درع حصينة فأولتها المدينة قال وحدثنى محمد بن اسماعيل بن جعفر عن الثقة عنده قال أجاب محمدا الماظهر أهل المدينة وأعراضها وقبائل من العرب منهم جهينة ومزينة وسليم وبنو بكر وأسلم وغفار فكان يقدم جهينة فغضبت من ذلك قبائل قيس * قال محمد فحدثنى عبد الله بن معروف أحد بنى رياح بن مالك بن عصية بن خُفاف وقد شهد ذاك قال جاءت محمدا بنو سليم على رؤسائها فقال متكلمهم جابر بن أنس الرياحى يا أمير المؤمنين نحن أخوالك وجيرانك وفينا السلاح والكراع والله لقد جاء الإسلام والخيل فى بنى سليم أكثر منها بالحجاز لقد بقى فينا منها ما إن بقى مثله عند عربى تسكن اليه البادية فلا تخندق الخندق فان رسول الله خندق خندقه لما الله أعلم به فانك إن خندقته لم يحسن القتال رجالة ولم يوجه لنا الخيل بين الأزقة وان الذين يخندق دونهم هم الذين يقاتلون فيها وان الذين يخندق عليهم يحول الخندق دونهم فقال أحد بنى شجاع خندق رسول الله فاقتد برأيه أو تريد أنت أن تدع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لرأيك قال إنه والله يا ابن شجاع ما شىء أثقل عليك وعلى أصحابك من لقائهم ولا شىء أحب إلىّ وإلى أصحابى من مناجزتهم فقال محمد إنما اتبعنا فى الخندق أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يردنى عنه أحدُ فلست بتاركه قال وحدثنى

محمد بن يحيي عن الحارث بن إسحاق قال لما تيقن محمد أن عيسى قد أقبل حفر الخندق خندق النبي صلى الله عليه وسلم الذى كان حفره للأحزاب قال وحدثنى سعيد ابن عبد الحميد بن جعفر قال حدثنى محمد بن عَطِية مولى المطّلبيين قال لما حفر محمد الخندق ركب اليه وعليه قباء أبيض ومنطقة وركب الناس معه فلما أتى الموضع نزل فيه فبدأ هو فحفر بيده فأخرج لبنة من خندق النبي صلى الله عليه وسلم فكبر وكبر الناس معه وقالوا أبشر بالنصر هذا خندق جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحدثنى محمد بن الحسن بن زبالة قال حدثنى مصعب بن عثمان بن مصعب ابن عروة بن الزبير قال لما نزل عيسى الأعوَص رقى محمد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن عدوّ الله وعدوكم عيسى بن موسى قد نزل الأعوص وإن أحق الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين قال وحدثنى إبراهيم ابن أبى اسحاق العبسىّ شيخ من غطفان قال أخبرنى أبو عمر ومؤدب محمد بن عبد الرحمن بن سليمان قال سمعت الزبيرى الذى قتله أبو جعفر يعنى عثمان بن محمد ابن خالد قال اجتمع مع محمد جمع لم أر مثله ولا أكثر منه إنى لأحسب أنا قد كنا مائة ألف فلما قرب عيسى خطبنا فقال يا أيها الناس إن هذا الرجل قد قرب منكم فى عدد وعدة وقد حللتكم من بيعتى فمن أحب المقام فليقم ومن أحب الانصراف فلينصرف فتسللوا حتى بقى فى شرذمة ليست بالكثيرة قال وحدثنى موهوب ابن رشيد بن حيان بن أبى سليمان بن سمعان أحد بنى قريط بن عبد الله بن أبى بكر ابن كلاب قال حدثنى أبى قال لما ظهر محمد جمع الناس وحشرهم وأخذ عليهم المناقب فلا يخرج أحدُ فلما سمع بعيسى وحميد بن قحطبة قد أقبلا صعد المنبر فقال يا أيها الناس إنا قد جمعناكم للقتال وأخذنا عليكم المناقب وإن هذا العدو منكم قريب وهو فى عدد كثير والنصر من الله والأمر بيده وإنه قد بدا لى أن آذن لكم وأفرج عنكم المناقب فمن أحب أن يقيم أقام ومن أحب أن يظعن ظعن قال أبى فخرج عالم من الناس كنت فيهم فلما كنا بالعرَيض وهو على ثلاثة أميال من المدينة لقيتنا مقدمة عيسى بن موسى دون الرحبة فما شبهت رجالهم إلا رجلا من

جراد قال فمضينا وخالفونا إلى المدينة قال وحدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى الحارث ابن إسحاق قال خرج ناس كثير من أهل المدينة بذراريهم وأهليهم إلى الأعراض والجبال فأمر محمد أبا القلمس فردّ من قدر عليه منهم فأعجزه كثير منهم فتركهم قال وحدثنى عيسى قال حدثنى الغاضرى قال قال لى محمد أعطيك سلاحا وتقاتل معى قلتُ نعم إن أعطيتنى رمحا أطعنهم به وهم بالأعوص وسيفا أضربهم به وهم بهسفا قال ثم مكث غير كثير ثم بعث إلىّ فقال ما تنتظر قلتُ ما أهون عليك أبقاك الله أن أقتل وتمرّوا فيقال والله إن كان لباديا قال ويحك قد بيض أهل الشأم وأهل العراق وخراسان قال قلت اجعل الدنيا زبدةً بيضاء وأنا فى مثل صوفة الدواة ما ينفعنى هذا وعيسى بالأعوص قال وحدثنى عيسى عن أبيه عن جده قال وجه أبو جعفر مع عيسى بن موسى بابن الأصمّ يُنزله المنازل فلما قدموا نزلوا على ميل من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الأصم ألا إن الخيل لا عمل لها مع الرجالة وإنى أخاف إن كشفوكم كشفةً أن يدخلوا عسكركم فرفعهم إلى سقاية سليمان بن عبد الملك بالجرْف وهى على أربعة أميال من المدينة وقال لا يهرول الراجل أكثر من ميلين أو ثلاثة حتى تأخذه الخيل قال وحدثنى عيسى قال حدثنى محمد بن أبى الكرام قال لما نزل عيسى طَرَف القدوم أرسل إلىّ نصف الليل فوجدته جالسا والشمع والأموال بين يديه فقال جاءتنى العيون تخبرنى أن هذا الرجل فى ضعف وأنا أخاف أن ينكشف وقد ظننتُ ألا مسلك له إلا إلى مكة فاضمم إليك خمسمائة رجل فامض بها معانداً عن الطريق حتى تأتى الشّجرة فتقيم بها قال فأعطاهم على السمع فخرجتُ بهم حتى مررتُ بالبصَرة بالبطحاء وهى بطحاء ابن أزهر على ستة أميال من المدينة فخاف أهلها فقلتُ لا بأسَ عليكم أنا محمد بن عبد الله هل من سويق قال فأخرجوا إلينا سويقا فشربنا وأقمنا بها حتى قتل محمد قال وحدثنى محمد بن اسماعيل عن الثقة عنده قال لما قرب عيسى أرسل إلى محمد القاسم بن الحسن بن زيد يدعوه إلى الرجوع عما هو عليه ويخبره أن أمير المؤمنين قد آمنه وأهل بيته فقال محمد للقاسم والله لولا أن الرسل لا تقتل

لضربتُ عنقك لأنى لم أرك منذ كنت غلاما فى فرقتين خير وشرّ الا كنت مع الشرّ على الخير وأرسل محمد إلى عيسى ياهذا إن لك برسول الله قرابةً قريبة وإنى أدعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه والعمل بطاعته واحذرك نقمته وعذابه وانى والله ماأنا بمنصرف عن هذا الأمر التى ألقى الله عليه فاياك أن يقتلك من يدعوك إلى الله فتكون شرّ قتيل أو تقتله فيكون أعظم لوزرك وأكثر لمأثمك فأرسل هذه الرسالة مع إبراهيم بن جعفر فبلغه فقال ارجع إلى صاحبك فقل له ليس بيننا الا القتال قال وحدثنى إبراهيم بن محمد بن أبى الكرام بن عبدالله بن على ابن عبدالله بن جعفر قال أخبرنى أبى قال لما قرب عيسى من المدينة أرسلنى إلى محمد بأمانه فقال لى محمد علام تقاتلوننى وتستحلون دمى وإنما أنا رجل فرَّ من أن يَقتل قال قلت إن القوم يدعونك إلى الأمان فان أبيت إلا قتالهم قاتلوك على ما قاتل عليه خير آبائك على طلحة والزبير على نكث بيعتهم وكيد ملكهم والسعى عليهم قال فأخبرت بذلك أبا جعفر فقال والله ماسرنى أنك قلت له غير ذلك وإن لى كذا وكذا قال وحدثنى هشام بن محمد بن عروة بن هشام بن عروة قال أخبرنى ماهان ابن بخت مولى قحطبة قال لما صرنا بالمدينة أتانا ابراهيم بن جعفر بن مصعب طليعة فطاف بعسكرنا حتى جسه كله ثم ولى ذاهبا قال فرعبنا منه والله رعبا شديداً حتى جعل عيسى وحميد بن قحطبة يعجبان فيقولان فارس واحد طليعة لأصحابه فلما ولى مَدَى أبصارنا نظرنا اليه مقيما بموضع واحد فقال حميد ويحكم انظروا ما حال الرجل فانى أرى دابته واقفا لا تزول فوجه اليه حميد رجلين من أصحابه فوجدا دابته قد عثر به فصرعه فقرس التنور عنقه فأخذا سلبه فأتينا بتنور قيل إنه كان لمصعب بن الزبير مذهب لم ير مثله قط قال وحدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى الحارث بن إسحاق قال نزل عيسى بقصر سليمان بالجرف صبيحة ثنتى عشرة من رمضان من سنة ١٤٥ يوم السبت فأقام يوم السبت ويوم الأحد وغدا يوم الاثنين حتى استوى على سلع فنظر إلى المدينة والى من دخلها وخرج منها وشحن وجوهها كلها بالخيل والرجال إلا ناحية مسجد أبى الجراح وهو

على بطحان فإنه تركه لخروج من هرب وبرز محمد فى أهل المدينة قال وحدثنى عيسى قال حدثنا محمد بن زيد قال قدمنا مع عيسى فدعا محمداً ثلاثا الجمعة والسبت والأحد قال وحدثنى عبد الملك بن شيبان قال حدثنى زيد مولى مسمع قال لما عسكر عيسى أقبل على دابة يمشى حواليه نحو من خمسمائة وبين يديه راية يسار بها معه فوقف على الثنية ونادى يا أهل المدينة إن الله قد حرم دماء بعضنا على بعض فهلموا إلى الامان فمن قام تحت رايتنا فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن خرج من المدينة فهو آمن خلوا بيننا وبين صاحبنا فاما لنا أو له قال فشتموه وأقذعوا له وقالو يا ابن الشاة يا ابن كذا يا ابن كذا فانصرف يومه ذلك وعاد من الغد ففعل مثل ذلك فشتموه فلما كان اليوم الثالث أقبل بما لم أر مثله قط من الخيل والرجال والسلاح فوالله ما لبثنا أن ظهر علينا ونادى بالأمان فانصرف الى معسكره قال وحدثنى ابراهيم الغطفانى قال سمعت أبا عمرو مؤدب محمد بن عبد الرحمن يحدّث عن الزبيرىّ يعنى عثمان بن محمد بن خالد قال لما التقينا نادى عيسى بنفسه أيا محمد ان أمير المؤمنين أمرنى أن لا أقاتلك حتى أعرض عليك الأمان فلك على نفسك وأهلك وولدك وأصحابك وتعطى من المال كذا وكذا ويقضى عنك دينك ويفعل بك ويفعل قال فصاح محمداً له عن هذا فوالله لو علمت أنه لا يثنيني عنكم فزع ولا يقربنى منكم طمع ما كان هذا قال ولج القتال وترجل محمد فإنى لاحسبه قتل بيده يومئذ سبعين رجلا قال وحدثنى عيسى قال حدثنى محمد بن زيد قال لما كان يوم الاثنين وقف عيسى على ذباب ثم دعا مولى لعبدالله ابن معاوية كان معه وكان على بجففته فقال خذ عشرة من أصحابك أصحاب التجافيف فجاء بهم فقال لنا ليقم معه عشرة منكم يا آل أبى طالب قال فقمنا معه ومعنا ابنا محمد بن عمر بن على عبد الله وعمر ومحمد بن عبد الله بن عقيل والقاسم ابن الحسن بن زيد بن الحسن بن على وعبد الله بن اسماعيل بن عبد الله بن جعفر فى عشرة منا فقال انطلقوا إلى القوم فادعوهم واعطوهم أمانا وبق أمان الله

قال فخرجنا حتى جئنا سوق الحطابين فدعوناهم فسبونا ورشقونا بالنبل وقالوا هذا ابن رسول الله معنا ونحن معه فكلمهم القاسم بن الحسن بن زيد فقال وأنا ابن رسول الله وأكثر من ترون بنو رسول الله ونحن ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وحقن دمائكم والأمان لكم فجعلوا يسبوننا ويرشقوننا بالنبل فقال القاسم لغلامه القط هذا النبل فلقطها فأخذها قاسم بيده ثم دخل بها إلى عيسى فقال ما تنتظر انظر ما صنعوا بنا فأرسل عيسى حميد بن قحطبة فى مائة قال حدثنى أزهر بن سعيد بن نافع قال حدثنى إخوانى عثمان ومحمد ابنا سعيد وكانا مع محمد قال وقف القاسم بن الحسن ورجل معه من آل أبى طالب على رأس ثنية الوداع فدعوا محمداً إلى الأمان فسبهما فرجعا وأقبل عيسى وقد فرق القواد فجعل هزار مرد عند حمام ابن أبى الصعبة وكثير بن حصين عند دار ابن أفلح التى ببقيع الغرقد ومحمد بن أبى العباس على باب بنى سلمة وفرق سائر القواد على انقاب المدينة وصار عيسى فى أصحابه على رأس الثنية فرموا بالنشاب والمقاليع ساعة * وحدثنى أزهر قال جعل محمد ستور المسجد دراريع لأصحابه قال وحدثنى عبد الله بن إسحاق بن القاسم قال حدثنى عمر شيخ من الأنصار قال جعل محمد ظلال المسجد خفانين لأصحابه فأتاه رجلان من جهينة فأعطى أحدهما خفتانا ولم يعط الآخر فقاتل صاحب الخفتان ولم يقاتل الآخر معه فلما حضرت الحرب أصابت صاحب الخفتان نشابة فقتلته فقال صاحبه

يارَبِّ لاتجعَلنى كَمَنْ خانْ وباع باقى عَيْشِهِ بِخَفْتانْ

قال وحدثنى أيوب بن عمر قال حدثنى إسماعيل بن أبى عمرو قال إنا لوقوف على خندق بنى غفار إذ أقبل رجل على فرس ما يرى منه إلا عيناه فنادى الأمان فأعطى الأمان فدنا حتى لصق بنا فقال أفيكم من يبلغ عنى محمداً قلت نعم أنا قال فابلغه عنى وحسر عن وجهه فإذا شيخ مخضوب فقال قل له يقول لك فلان التميمى بآية إنى وإياك جلسنا فى ظلّ الصخرة فى جبل جهينة فى سنة كذا اصبر إلى الليل فإن عامة الجند معك قال فأتيته قبل أن يغدو وذلك يوم الاثنين

فى اليوم الذى قتل فيه فوجدت بين يديه قربة عسل أبيض قد شقت من وسطها ورجل يتناول من العسل ملء كفه ثم يغمسه فى الماء ثم يلقمه اياه ورجل يحزم بطنه بعمامة فأبلغته الرسالة فقال قد أبلغت فقلت أخواى فى أيدك قال مكانهما خير لهما قال وحدثنى ابراهيم بن مصعب بن عمارة بن حمزة بن مصعب ابن الزبير قال حدثنى محمد بن عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير قال كانت راية محمد الى أبى فكنت احملها عنه قال وحدثنى عيسى عن أبيه قال كان مع الأفطس حسن بن على بن حسين علم أصفر فيه صورة حية ومع كل رجل من أصحابه من آل على بن أبى طالب علم وشعارهم أحد أحد قال وكذلك كان شعار النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال وحدثنى سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن أبى الحكم قال أخبرنا جهم بن عثمان مولى بنى سليم ثم أحد بنى بهز قال قال لى عبد الحميد بن جعفر يوم لقينا أصحاب عيسى نحن اليوم على عدة أهل بدر يوم لقوا المشركين قال وكنا ثلثمائة ونيفا قال وحدثنى إبراهيم بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس قال سمعت أبى يقول ولد عيسى بن موسى فى سنة ١٠٣ وشهد حرب محمد وإبراهيم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وعلى مقدمته حميد بن قحطبة وعلى ميمنته محمد بن أبى العباس أمير المؤمنين وعلى ميسرته داود بن كراز من أهل خراسان وعلى ساقته الهيثم بن شعبة قال وحدثنى عيسى عن أبيه قال لقى أبو القلمس محمد بن عثمان أخا أسد بن المرزبان بسوق الحطابين فاجتلدا بسيفيهما حتى تقطعا ثم تراجعا إلى مواقفهما فأخذ أخو أسيد سيفا وأخذ أبو القلمس بأثفية فوضعها على قربوس سرجه وسترها بدرعه ثم تعاودا فلما تدانيا قام أبو القلمس فى ركائبه ثم ضرب بها صدره فصرعه ونزل فاحتز رأسه قال وحدثنى محمد بن الحسن بن زبالة قال حدثنى عبد الله بن عمر ابن القاسم بن عبد الله العمرى قال كنا مع محمد فبرز رجل من أهل المدينة مولى لآل الزبير يدعى القاسم بن وائل فدعا للبراز فبرز اليه رجل لم أر مثل كماله وعدته فلما رآه ابن وائل انصرف قال فوجدنا من ذلك وجداً شديداً فانا لعلى

ذلك إذ سمعت خشف رجل ورائى فالتفت فاذا أبو القلمس فسمعته يقول لعن الله أمير السفهاء أن ترك مثل هذا اجترأ علينا وإن خرج رجل خرج إلى أمر عسى أن لا يكون من شأنه قال ثم برزله فقتله قال وحدثنى أزهر بن سعيد بن نافع قال خرج القاسم بن وائل يومئذ من الخندق ثم دعا للبراز فبرزله هزارمرد فلما رآه القاسم هابه فرجع فبرز أبو القلمس فقال ماانتفع فى مثل هذا اليوم بسيفه قط ثم ضربه على حبل عاتقه فقال خذها وأنا ابن الفاروق فقال رجل من أصحاب عيسى قتلت خيرا من ألف فاروق قال وحدثنى علىّ أبو الحسن الحذاء من أهل الكوفة قال حدثنى مسعود الرحال قال شهدت مقتل محمد بالمدينة فانى لأنظر اليهم عند أحجار الزيت وأنا مشرف عليهم من الجبل يعنى سلعاً إذ نظرت إلى رجل من أصحاب عيسى قد أقبل مستلئما فى الحديد لاترى منه الاعيناه على فرس حتى فصل من صف أصحابه فوقف بين الصفين فدعا للبراز فخرج اليه رجل من أصحاب محمد عليه قباء أبيض وكمه بيضاء وهو راجل فكلمه مليا ظننت أنه استرجله لتستوى حالاهما فنظرت الى الفارس ثنى رجله فنزل ثم التقيا فضربه صاحب محمد ضربة على خُوذة حديد على رأسه فأقعده على استه وقيذا لاحراك به ثم انتزع الخوذة فضرب رأسه فقتله ثم رجع فدخل فى أصحابه فلم ينشب ان خرج من صفّ عيسى آخر كأنه صاحبه فبرز له الرجل الأول فصنع به مثل ماصنع بصاحبه ثم عاد الى صفه وبرز ثالث فدعاه فبرز له فقتله فلما قتل الثالث ولى يريد أصحابه فاعتوره أصحاب عيسى فرموه فأثبتوه وأسرع يريد أصحابه فلم يبلغهم حتى خر صريعا فقتلوه دونهم ❊ وحدثنى عيسى قال أخبرنى محمد بن زيد قال لما أخبرنا عيسى برميهم ايانا قال لحميد بن قحطبة تقدم فتقدم فى مائة كلهم راجل غيره معهم النشاب والترسة فلم يلبثوا أن زحفوا إلى جدار دون الخندق عليه أناس من أصحاب محمد فكشفوهم ووقفوا عند الجدار فأرسل حميد إلى عيسى بهدم الجدار قال فأرسل إلى فعلة فهدموه وانتهوا إلى الخندق فأرسل إلى عيسى إنا قد انتهينا إلى الخندق فأرسل اليه عيسى بأبواب بقدر الخندق فعبروا عليها حتى كانوا من ورائه ثم اقتتلوا أشدّ

القتال من بكرة حتى صار العصر ✻ وحدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال قال محمد بن عمر أقبل عيسى بن موسى بمن معه حتى أناخ على المدينة وخرج اليه محمد بن عبد الله ومن معه فاقتتلوا أياما قتالا شديدا وصبر نفر من جهينة يقال لهم بنو شجاع مع محمد بن عبد الله حتى قتلوا وكان لهم غناء (رجع الحديث) إلى حديث عمر ✻ حدثنى أزهر قال أمرهم عيسى فطرحوا حقائب الإبل فى الخندق فأمر ببابى دار سعد بن مسعود التى فى الثنية فُطرحا على الخندق فجازت الخيل فالتقوا عند مفاتح خشرم فاقتتلوا حتى كان العصر ✻ حدثنى محمد بن يحيى قال حدثنا عبد العزيز بن أبى ثابت قال انصرف محمد يومئذ قبل الظهر حتى جاء دار مروان فاغتسل وتحنط ثم خرج قال عبد العزيز بن أبى ثابت فحدثنى عبد الله بن جعفر قال دنوت منه فقلت له بأبى أنت إنه والله مالك بما رأيت طاقة وما معك أحد يصدق القتال فاخرج الساعة حتى تلحق بالحسن بن معاوية بمكة فإن معه جلة أصحابك فقال يا أبا جعفر والله لو خرجت لقتل أهل المدينة والله لا أرجع حتى أقتل أو أُقتل وأنت منى فى سعة فاذهب حيث شئت فخرجت معه حتى إذا جاء دار ابن مسعود فى سوق الظهر ركضت فأخذت على الزياتين ومضى إلى الثنية وقتل من كان معه بالنشاب وجاءت العصر فصلى ✻ حدثنى محمد بن الحسن بن زبالة قال حدثنى إبراهيم بن محمد قال رأيت محمداً بين دارى بنى سعد عليه جُبة ممشقة وهو على برذون وابن خضير إلى جانبه يناشده الله إلا مضى إلى البصرة أو غيرها ومحمد يقول والله لا تبتلون بى مرتين ولكن اذهب حيث شئت فأنت فى حلّ قال ابن خضير وأين المذهب عنك ثم مضى فأحرق الديوان وقتل رياحا ثم لحقه بالثنية فقاتل حتى قتل ✻ وحدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد عن محمد بن عمر قال خرج مع محمد ابن عبد الله بن خضير رجل من ولد مصعب بن الزبير فلما كان اليوم الذى قتل فيه محمد ورأى الخلل فى أصحابه وأن السيف قد أفناهم استأذن محمدا فى دخول المدينة فأذن له ولا يعلم ما يريد فدخل على رياح بن عثمان بن حيان المرىّ وأخيه فذبحهما ثم رجع فأخبر محمدا ثم تقدم فقاتل حتى قتل من ساعته

(رجع الحديث) الى حديث عمر * حدثنى أزهر قال حدثنى أخى قال لما رجع ابن خضير قتل رياحا وابن مسلم بن عقبة * وحدثنى محمد بن يحيي قال حدثنى الحارث بن إسحاق قال ذبح ابن خضير رياحا ولم يجهز عليه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى مات وقتل معه عباسا أخاه وكان مستقيم الطريقة فعاب الناس ذلك عليه ثم مضى إلى ابن القسرى وهو محبوس فى دار ابن هشام فنذر به فردم بابى الدار دونه فعالج البابين فاجتمع من فى الحبس فسدّوهما فلم يقدر عليهم فرجع إلى محمد فقاتل بين يديه حتى قتل * حدثنى مسكين بن حبيب بن محمد قال لما جاءت العصر صلاها محمد فى مسجد بنى الديل فى الثنية فلما سلم استسقى فسقته ربيحة بنت أبى شاكر القرشية ثم قالت له جعلتْ فداك انجُ بنفسك قال إذاً لا يبقى بها ديك يصرخ ثم مضى فلما كان ببطن مسيل سلع نزل فعرقب دابته وعرقب بنو شجاع دوابهم ولم يبق أحد إلا كسر غمد سيفه قال مسكين فلقد رأيتنى وأنا غلام جمعت من حليها نحوا من ثلثمائة درهم ثم قال لهم قد بايعتمونى ولست بارحا حتى أقتل فمن أحب أن ينصرف فقد أذنت له ثم أقبل على ابن خضير فقال له قد أحرقت الديوان قال نعم خفت أن يؤخذ الناس عليه قال أصبت * حدثنى أزهر قال حدّثنى أخواى قالا لقد هزمنا يومئذ أصحاب عيسى مرتين أو ثلاثا ولكنا لم نكن نعرف الهزيمة ولقد سمعنا بيزيد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر يقول وقد هزمناهم ويل أمه فتحا لو كان له رجال * وحدثنى عيسى قال كان ممن انهزم يومئذ وفرّ عن محمد عبد العزيز بن عبد الله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب فأرسل محمد وراءه فأتى به فجعل الصبيان يصيحون وراءه ألا باتة بقبقبه فكان عبدالعزيز يقول بعد ذلك إن أشدّ ما أتى علىَّ لصياح الصبيان * وحدثنى عيسى قال حدثنا مولى لهشام بن عمارة بن الوليد بن عدى بن الخيار قال كنا مع محمد فتقدم هشام ابن عمارة اليه وأنا معه فقال إنى لا آمن أن يخذلك من ترى فأشهد أن غلامى هذا حر لوجه الله إن رمت أبداً أو تقتل أو أقتل أو نُغلب فقلت فوالله إنى لمعه إذ وقعت بترسه نشابة ففلقته باثنتين ثم خسفت فى درعه فالتفت إلىَّ فقال فلان

قلت لبيك قال ويلك رأيت مثل هذا قط يافلان أيما أحب اليك نفسى أم أنت قلت لا بل نفسك قال فأنت حر لوجه الله فانطلق هاربا ﴿﴾ وحدثنى متوكل بن أبى الفحوة قال حدثنى محمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن أبى فروة قال إنا لعلى ظهر سلع ننظر وعليه أعاريب جهينة إذ صعد إلينا رجل بيده رمح قد نصب عليه رأس رجل متصلا بحلقومه وكبده وأعفاج بطنه قال فرأيت منه منظراً هائلا وتطيرت منه الأعاريب وأجفلت هاربة حتى أسهلت وعلا الرجل الجبل ونادى على الجبل رطانة لأصحابه بالفارسية كوهبان فصعد اليه أصحابه حتى علوا سلعاً فنصبوا عليه راية سوداء ثم انصبوا إلى المدينة فدخلوها وأمرت أسماء بنت حسن ابن عبدالله بن عبيدالله بن عباس بن عبد المطلب وكانت تحت عبد الله بن حسين ابن عبدالله بن عبيد الله بن عباس بخمار أسود فنصب على منارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى ذلك أصحاب محمد تنادوا دُخِلت المدينة وهربوا قال وبلغ محمداً دخول الناس من سلع فقال لكلّ قوم جبل يعصمهم ولنا جبل لا نؤتى إلا منه ﴿﴾ وحدثنى محمد بن إسماعيل عن الثقة عنده قال فتح بنو أبى عمرو الغفاريون للمسوّدة طريقا فى بنى غفار فدخلوا منه حتى جاؤا من وراء أصحاب محمد ﴿﴾ وحدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى عبد العزيز بن عمران قال نادى محمد يومئذ حميد بن قحطبة إن كنت فارسا وأنت تَعْتَدّ ذاك على أهل خراسان فابرز لى فأنا محمد بن عبدالله قال قد عرفتك وأنت الكريم ابن الكريم الشريف ابن الشريف لا والله ياأبا عبد الله لا أبرُز لك وبين يدى من هؤلاء الأغمار إنسان واحد فاذا فرغت منهم فسأبرز لك لعمرى ﴿﴾ وحدثنى عثمان بن المنذر بن مصعب بن عروة ابن الزبير قال حدثنى رجل من بنى ثعلبة بن سعد قال كنت بالثنية يوم قتل محمد ابن عبد الله بن حسن ومعه ابن خضير قال فجعل ابن قحطبة يدعو ابن خضير إلى الأمان ويشح به عن الموت وهو يشدّ على الناس بسيفه مترجلا يتمثل

لا تَسْقِهِ حَزْرًا ولا حليبا إن لم تجدْه سابحا يَعْبُوبَا

ذا مَيْعَةٍ يَلتَهِــمُ الحبُوبا كالذئب يتـلو طَمَعًا قريبا

يبادر الآثارَ أن تؤوبا وحَاجِبَ الجَونةِ أن يغيبا

قال فخالط الناس فضربه ضارب على أليته فخلها فرجع إلى أصحابه فشق ثوبا فعصّبها إلى ظهره ثم عاد إلى القتال فضربه ضارب على حجاج عينه فأغمص السيف فى عينه وخر فابتدره القوم فحزوا رأسه فلما قتل ترجل محمد فقاتل على جيفته حتى قتل ❊ وحدثنى مخلد بن يحيى بن حاضر بن المهاجر الباهلى قال سمعت الفضل ابن سليمان مولى بنى نمير يخبر عن أخيه وكان قد قتل له أخ مع محمد قال كان الخراسانية إذا نظروا إلى ابن خضير تنادوا خضير آمد خضير آمد و تصعصعوا لذلك ❊ وحدثنى هشام بن محمد بن عروة بن هشام بن عروة قال أخبرنى ماهان ابن بخت مولى قحطبة قال أتينا برأس ابن خضير فوالله ماجعلنا نستطيع حمله لما كان به من الجراح والله لكأنه باذ نجانة مفلقة وكنا نضم أعظمه ضما ❊ وحدثنى أزهر بن سعيد قال لما نظر أصحاب محمد إلى العلم الأسود على منارة المسجد فتّ ذلك فى أعضادهم ودخل حميد بن قحطبة من زقاق أشجع على محمد فقتله وهو لا يشعر وأخذ رأسه فأتى به عيسى وقتل معه بشرا كثيرا ❊ وحدثنى أبو الحسن الحذّاء قال أخبرنى مسعود الرحال قال رأيت محمدا يومئذ باشر القتال بنفسه فأنظر اليه حين ضربه رجل بسيف دون شحمة أذنه اليمنى فبرك لركبتيه وتعاوروا عليه وصاح حميد بن قحطبة لا تقتلوه فكفوا وجاء حميد فاحتزّ رأسه ❊ وحدثنى محمد بن يحيي قال حدثنى الحارث بن إسحاق قال برك محمد يومئذ لركبتيه وجعل يذب عن نفسه ويقول ويحكم أنا ابن نبيكم مجرّح مظلوم ❊ وحدثنى محمد بن يحيي قال حدثنى ابن أبى ثابت عن عبد الله بن جعفر قال طعنه ابن قحطبة فى صدره فصرعه ثم نزل فاحتز رأسه فأتى به عيسى ❊ وحدثنى محمد بن إسماعيل قال حدثنى أبو الحجاج المنقرىّ قال رأيتُ محمدا يومئذ وان أشبه ما خلق الله به لما ذكر عن حمزة بن عبد المطلب يهذّ الناس بسيفه هذا ما يقاربه أحد إلا قتله ومعه سيف لا والله ما يُليق شيئاً حتى رماه انسان بسهم كأنى أنظر اليه أحمر أزرق ثم دهمتنا الخيل فوقف إلى ناحية جدار فتحاماه الناسُ فوجد الموت فتحامل على سيفه فكسره قال فسمعت

جدّى يقول كان معه سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو الفقار ❊ وحدثنى هرمز أبو علىّ مولى باهلة قال حدثنى عمرو بن المتوكل وكانت أمّه تخدم فاطمة بنت حسين قال كان مع محمد يوم قتل سيف النبى صلى الله عليه وسلم ذو الفقار فلما أحسّ الموت أعطى سيفه رجلا من التجار كان معه وكان له عليه أربعمائة دينار فقال له خذ هذا السيف فانك لا تلقى به أحدا من آل أبى طالب إلا أخذه وأعطاك حقك قال فكان السيف عنده حتى ولى جعفر بن سليمان المدينة فأخبر عنه فدعا الرجل وأخذ السيف منه وأعطاه أربعمائة دينار فلم يزل عنده حتى قام المهدىّ وولى جعفر المدينة وبلغه مكان السيف فأخذه ثم صار إلى موسى فجرّب به على كلب فانقطع السيف ❊ وحدثنى عبد الملك بن قريب الأصمعىّ قال رأيت الرشيد أمير المؤمنين بطوس متقلداً سيفاً فقال لى يا أصمعى ألا أريك ذا الفقار قلت بلى جعلنى الله فداك قال استلّ سيفى هذا فاستللته فرأيتُ فيه ثمان عشرة فقارة ❊ وحدثنى أبو عاصم النبيل قال حدثنى أخو الفضل بن سليمان النميرىّ قال كنا مع محمد فأطاف بنا أربعون ألفا فكانوا حولنا كالحرّة السوداء فقلت له لو حملت فيهم لا نفرجوا عنك فقال ان أمير المؤمنين لا يحمل انه ان حمل لم تكن له بقية قال فجعلنا نعيد ذلك عليه فحمل فالتفوا عليه فقتلوه ❊ وحدثنى عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سلم ويدعى ابن البوّاب وكان خليفة الفضل بن الربيع يحجب هارون من أدباء الناس وعلمائهم قال حدثنى أبى عن الأسلمىّ يعنى عبد الله بن عامر قال قال لى محمد ونحن نقاتل معه عيسى تغشانا سحابة فان أمطرتنا ظفرنا وان تجاوزتنا اليهم فانظر إلى دمى على أحجار الزيت قال فوالله ما لبثنا ان أطلتنا سحابة فأحالت حتى قلتُ تفعل ثم جاوزتنا فأصابت عيسى وأصحابه فما كان إلا كلا ولا حتى رأيته قتيلا بين أحجار الزيت ❊ وحدثنى ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن أبى الكرام قال قال عيسى لحميد بن قحطبة عند العصر أراك قد أبطأت فى أمر هذا الرجل فولّ حمزة بن مالك حربه فقال والله لو رُمت أنت ذاك ما تركتك أحين قتلتُ الرجال ووجدت ريح الفتح ثم جدّ فى القتال حتى قتل محمد ❊ وحدثنى جوّاد بن غالب

ابن موسى مولى بنى عجل قال أخبرنى حميد مولى محمد بن أبى العباس قال اتهم عيسى حميد بن قحطبة يومئذ وكان على الخيل فقال يا حميد ما أراك تبالغ قال أتتهمنى فوالله لأضربن محمداً حين أراه بالسيف أو أقتل دونه قال فمر به وهو مقتول فضربه بالسيف ليبر يمينه * وحدثنى يعقوب بن القاسم قال حدثنى على ابن أبى طالب قال قتل محمد بعد العصر يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان * وحدثنى أيوب بن عمر قال حدثنى أبى قال بعث عيسى فدق السجن فحملنا اليه والقتال دائب بينهم فلم نزل مطرحين بين يديه حتى أتى برأس محمد فقلتُ لأخى يوسف انه سيدعونا إلى معرفته ولا نعرفه له فانا نخاف أن نخطئ فلما أتى به قال أتعرفانه قلنا نعم قال انظرا أهو هذا قال أبى فبدرتُ يوسف فقلت أرى دما كثيراً وأرى ضربا فوالله ما أثبته قال فأطلقنا من الحديد وبتنا عنده ليلتنا كلها حتى أصبحنا قال ثم ولانى ما بين مكة والمدينة فلم أزل واليا عليه حتى قدم جعفر بن سليمان فحدّرنى اليه وألزمنى نفسه * وحدثنى على بن اسماعيل ابن صالح بن ميثم قال حدثنى أبو كعب قال حضرتُ عيسى حين قتل محمداً فوضع رأسه بين يديه فأقبل على أصحابه فقال ما تقولون فى هذا فوقعوا فيه قال فأقبل عليهم قائد له فقال كذبتم والله وقلتم باطلا لما على هـذا قاتلناه ولكنه خالف أمير المؤمنين وشق عصا المسلمين وان كان لصوّاما قوّاما فسكت القوم * وحدثنى ابن البوّاب عبد الله بن محمد قال حدثنى أبى عن الأسلمى قال قدم على أبى جعفر قادم فقال هرب محمد فقال كذبت نحن أهل البيت لا نفرّ * وحدثنى عبد الله بن راشد ابن يزيد قال حدثنى أبو الحجاج الجمال قال إنى لقائم على رأس أبى جعفر وهو مسائلى عن مخرج محمد إذ بلغه أن عيسى قد هزم وكان متكئا فجلس فضرب بقضيب معه مصلاه وقال كلا فأين لعب صبياننا بها على المنابر ومشورة النساء ما انى لذلك بعدُ قال وحدثنى محمد بن الحسن قال حدثنى بعض أصحابنا قال أصاب أبا القلمس نشابة فى ركبته فبقى نصلها فعالجه فأعياه فقيل له دعه حتى يقيح فيخرج فتركه فلما طُلب بعد الهزيمة لحق بالحرّة وأبطأ به ما أصاب ركبته فلم يزل بالنصل حتى استخرجه

ثم جثا لركبتيه ونكب كنانته فرماهم فتصدعوا عنه فلحق بأصحابه فنجا * وحدثنى محمد بن الحسن قال حدثنى عبد الله بن عمر بن القاسم قال لما انهزمنا يومئذ كنت فى جماعة فيهم أبو القلمس فالتفتّ اليه فاذا هو مستغرب ضحكا قال فقلت والله ماهذا بموضع ضحك وخفضتُ بصرى فاذا برجل من المنهزمة قد تقطع قميصه فلم يبق منه إلا جربانه وما يستر صدره إلى ثدييه واذا عورته بادية وهو لا يشعر قال فجعلت أضحك لضحك أبى القلمس * فحدثنى عيسى قال حدثنى أبى قال لم يزل أبو القلمس مختفيا بالفرع وبقى زمانا ثم عدا عليه عبد له فشدخ رأسه بصخرة فقتله ثم أتى أمّ ولد كانت له فقال انى قد قتلت سيدك فهلمى أتزوّجك قالت رويدا أتصنّع لك فأمهلها فأتت السلطان فأخبرته فأخذ العبد فشدخ رأسه * حدثنى محمود بن معمر بن أبى الشدائد قال أخبرنى أبى قال لما دخلت خيل عيسى من شعب بنى فزارة فقتل محمد اقتحم نفر على أبى الشدائد فقتلوه وأخذوا رأسه فنادت ابنته الناعمة بنت أبى الشدائد وا رجالاه فقال لها رجل من الجند ومن رجالك قالت بنو فزارة قال والله لو علمتُ مادخلتُ بيتك فلا بأس عليك أنا امرؤ من عشيرتك من باهلة وأعطاها قطعة من عمامته فعلقتها على بابها قال وأتى عيسى برأسه وعنده ابن أبى الكرام ومحمد بن لوط بن المغيرة بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب فاسترجعا وقالا والله ما بقى من أهل المدينة أحدٌ هذا رأس أبى الشدائد فالح بن معمر رجل من بنى فزارة مكفوف قال فأمر مناديا فنادى من جاء برأس ضربنا رأسه * وحدثنى على بن زادان قال حدثنى عبد الله ابن برقى قال رأيت قائداً من قواد عيسى جاء فى جماعة يسأل عن منزل ابن هرمز فأرشدناه إليه قال فخرج وعليه قميص رياط قال فأنزلوا قائدهم وحملوه على برذونه وخرجوا به يزفونه حتى أدخلوه على عيسى فما هاجه * حدثنى قدامة بن محمد قال خرج عبد الله بن يزيد بن هرمز ومحمد بن عجلان مع محمد فلما حضر القتال تقلد كل واحد منهما قوسا فظننا أنهما أرادا أن يريا الناس أنهما قد صلحا لذلك * وحدثنى عيسى قال حدثنى حسين بن يزيد قال أتى بابن هرمز إلى عيسى بعدما قتل محمد فقال

أيها الشيخ أما وزعك فقهك عن الخروج مع من خرج قال كانت فتنة شملت الناس فشملتنا فيهم قال اذهب راشداً ※ وحدثني محمد بن الحسن بن زَبالة قال سمعتُ مالك ابن أنس يقول كنتُ آتى ابن هرمز فيأمر الجارية فتغلق الباب وترخى الستر ثم يذكر أول هذه الأمة ثم يبكى حتى تخضل لحيته قال ثم خرج مع محمد فقيل له والله ما فيك شىء قال قد علمتُ ولكن يرانى جاهل فيقتدى بى ※ حدثنى عيسى قال حدثنى محمد بن زيد قال لما قتل محمداً انخرقت السماءُ بالمطر بما لم أرمثله انخرق قط منها فنادى منادى عيسى لا يبيتن بالمدينة أحد من الجند إلا كثير بن حصين وجنده ولحق عيسى بعسكره بالُجرف فكان به حتى أصبح ثم بعث بالبشارة مع القاسم بن حسن بن زيد وبعث بالرأس مع ابن أبى الكرام ※ وحدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى الحارث ابن إسحاق قال لما أصبح محمد فى مصرعه أرسلت أخته زينب بنت عبد الله وابنته فاطمة إلى عيسى إنكم قد قتلتم هذا الرجل وقضيتم منه حاجتكم فلو أذنتم لنا فواريناه فأرسل إليهما أما ما ذكرتما يابنتى عمى مما نيل منه فوالله ما أمرتُ ولا علمتُ فواراياه راشدتين فبعثت إليه فاحتُمل فقيل إنه حُشى فى مقطع عنقه عديله قطنا ودفن بالبقيع وكان قبره وِجاه زقاق دار على بن أبى طالب شارعا على الطريق أو قريبا من ذلك وبعث عيسى بألوية فوُضعَ على باب أسماء بنت حسن بن عبد الله واحد وعلى باب العباس بن عبد الله بن الحارث آخر وعلى باب محمد بن عبد العزيز الزهرى آخر وعلى باب عبيد الله بن محمد بن صفوان آخر وعلى باب دار أبى عمرو الغفارى آخر وصاح مناديه من دخل تحت لواء منها أو دخل دارا من هذه الدور فهو آمن ومطرت السماءُ مطراً جَوْداً فأصبح الناس هادئين فى أسواقهم وجعل عيسى يختلف إلى المسجد من الجرف فأقام بالمدينة أياما ثم شخص صبح تسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان يريد مكة ※ حدثنى أزهر بن سعيد قال لما كان الغد من قتل محمد أذن عيسى فى دفنه وأمر بأصحابه فصُلبوا ما بين ثنية الوداع إلى دار عمر بن عبد العزيز قال أزهر فرأيتهم صفين ووكل بخشبة ابن خضير من يحرسها فاحتمله قوم فى الليل فواروه ولم يقدر عليهم وأقام

الآخرون مصلبين ثلاثا ثم تأذى بهم الناس فأمر عيسى بهم فألقوا على المفرح من سلع وهى مقبرة اليهود فلم يزالوا هنالك ثم ألقوا فى خندق بأصل ذباب * حدثنى عيسى بن عبدالله قال حدثتنى أمى أم حسين بنت عبد الله بن محمد بن على بن حسين قالت قلت لعمى جعفر بن محمد إنى فديتك ما أمر محمد بن عبدالله قال فتنة يقتل فيها محمد عند بيت رومىّ ويقتل أخوه لأبيه وأمه بالعراق وحوافر فرسه فى ماء * حدثنى عيسى عن أبيه قال خرج مع محمد حمزة بن عبد الله بن محمد بن على وكان عمه جعفر ينهاه وكان من أشد الناس مع محمد قال فكان جعفر يقول له هو والله مقتول قال فتنحى جعفر * حدثنى عيسى قال حدثنا ابن أبى الكرام قال بعثنى عيسى برأس محمد وبعث معى مائة من الجند قال فجئنا حتى إذا أشرفنا على النَّجَف كبَّرنا قال وعامر بن اسماعيل يومئذ بواسط محاصر هارون بن سعد العجلى فقال أبو جعفر للربيع ويحك ماهذا التكبير قال هذا ابن أبى الكرام جاء برأس محمد بن عبدالله قال ائذن له ولعشرة ممن معه قال فأذن لى فوضعتُ الرأس بين يديه فى ترس فقال من قُتل معه من أهل بيته قلتُ لا والله ولا إنسان قال سبحان الله هو ذاك قال فرفع رأسه إلى الربيع فقال ما أخبرنا صاحبه الذى كان قبله قال الربيع زعم أنه قتل منهم عدد كثير قلت لا والله ولا واحد * حدثنى على بن اسماعيل ابن صالح بن ميثم قال لما قدم برأس محمد على أبى جعفر وهو بالكوفة أمر به فطيف فى طبق أبيض فرأيته آدم أرقط فلما أمسى من يومه بعث به إلى الآفاق * وحدثنى عبد الله بن عمر بن حبيب من أهل يَنْبُع قال لما أتى أبو جعفر برؤوس بنى شجاع قال هكذا فليكن الناس طلبتُ محمدا فاشتمل هؤلاء عليه ثم نقلوه وانتقلوا معه ثم قاتلوا معه فصبروا حتى قتلوا قال عمر أنشدنى عيسى بن ابراهيم وابراهيم ابن مصعب بن عمارة بن حمزة بن مصعب ومحمد بن يحيى ومحمد بن الحسن بن زبالة وغيرهم لعبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يرثى محمدا

تبكى مُدَلهُ إنْ تقنَّص حَبْلهم ... عِيسى وَأقصَدَ صائبًا عثمانا

هَلا على المَهْدىّ وابنَىْ مُصْعِبٍ ... أذريْتَ دَمْعكَ ساكبًا تهتانا

وَلِفَقْدِ إبراهيمَ حينَ تصدَّعَتْ عنه الجموعُ فواجهَ الأقرانا
سالَتْ دُموعكَ ضلةً قد هِجْتَ لى بُرَحاءَ وَجْدٍ تَبْعَثُ الأحزانا
والله ما ولد الحواضن مثلهم أمْضى وأرفعَ مَحْتِدًا ومكانا
وأشَدَّ ناهِضَةً وأقولَ لِلَّتى تَنْفى مَصادرُ عَدْلها البهتانا
فهناك لو فَقَأْتَ غير مُشَوَّهٍ عَيْنَيكَ من جزع عذرتَ علانا
رُزْءٌ لَعَمْرُكَ لو يُصابُ بمثله مِبْطانُ صدَّعَ رُزْؤه مبطانا

وقال ابن مصعب

ياصاحبَىَّ دَعَا الملامةَ وَاعْلما أن لستُ فى هذا بألوَمَ منكما
وَقِفَا بقبر ابن النبىِّ فسلِّما لا بأسَ أن تَقِفا به فتُسلِّما
قبرٌ تضمَّنَ خيرَ أهْل زمانه حسبًا وطيبَ سجيّةٍ وتكرُّما
رجلٌ نفى بالعَدْلِ جَوْرَ بلادِنا وعفا عظيماتِ الأمور وأنعما
لم يجتنبْ قَصْدَ السبيل ولم يَجُرْ عنه ولم يفتح بفاحشةٍ فما
لو أعظَمَ الحدثان شيئاً قبله بعد النبىِّ به لكنتَ المُعظما
أو كان أمْتعْ بالسلامة قبله أحداً لكان قصارُه أن يسلَّما
ضحّوا بإبراهيمَ خيرَ ضحيَّةٍ فتصرَّمت أيامه وتصرما
بطلاً يخوض بنفسه غمراتِها لاطائشاً رَعِشاً ولا مُسْتَسْلما
حتى مضت فيه السُّيوفُ ورُبَّما كانت حُتوفُهمُ السيوفُ ورُبَّما
أضحى بنو حَسَنٍ أبيح حَريمُهُمْ فينا وأصبح نَهْبُهم متقسَّما
ونساؤهم فى دورهن نوائح سَجْعَ الحمامِ إذا الحَمامُ ترنّما
يتوسلون بقتلهم وَيَرَوْنَه شرفاً لهم عند الإمام ومَغْنَما
والله لو شهد النبىُّ محمدٌ صلى الإله على النبىِّ وسلما
إشراعَ أمَّتِهِ الأسِنَّةَ لابْنِه حتى تقطر من ظُباتِهم دما
حقا لأيقنَ أنَّهم قد ضيَّعوا تلك القرابةَ واستحلوا المحرَّما

❊ وحدثنى إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم قال حدثنى موسى بن عبد الله بن حسن

قال خرجت من منازلنا بسويقة فى الليل وذلك قبل مخرج محمد بن عبد الله فإذا بنسوة كأنما خرجن من ديارنا فأخذتنى عليهن غيرة فإنى لأتبعهن أنظر أين يردن حتى إذا كن بطرف الحميراء من جانب الغرس التفتت إلىّ إحداهن فقالت

سُوَيْقَةُ بعد ساكنها يَبَابُ   لقد أمست أجدَّ بها الخرابُ

فعرفت أنهن من ساكنى الأرض فرجعت ❊ وحدثنى عيسى قال لما قتل عيسى ابن موسى محمداً قبض أموال بنى حسن كلها فأجاز ذلك أبو جعفر ❊ وحدثنى أيوب بن عمر قال لقى جعفر بن محمد أبا جعفر فقال يا أمير المؤمنين رُدَّ على قطيعتى عين أبى زياد آكل من سعفها قال إياى تكلم بهذا الكلام والله لأزهقن نفسك قال فلا تعجل علىّ قد بلغت ثلاثا وستين وفيها مات أبى وجدى وعلىّ بن أبى طالب وعلىّ كذا وكذا إن ربتك بشىء أبداً وإن بقيت بعدك إن ربت الذى يقوم بعدك قال فرقّ له وأعفاه ❊ وحدثنى هشام بن إبراهيم بن هشام بن راشد قال لم يرد أبو جعفر عين أبى زياد حتى مات فردها المهدىّ على ولده ❊ وحدثنى هشام بن إبراهيم قال لما قتل محمد أمر أبو جعفر بالبحر فأقفل على أهل المدينة فلم يحمل إليهم من ناحية الجار شىء حتى كان المهدى فأمر بالبحر ففتح لهم وأذن فى الحمل ❊ حدثنى محمد بن جعفر بن إبراهيم قال حدثتنى أمى أم سلمة بنت محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر زوجة موسى بن عبد الله قالت خاصم بنو المخزومية عيسى وسليمان وإدريس بنو عبد الله بن حسن بنى محمد بن عبد الله ابن حسن فى ميراث عبد الله وقالوا اقتل أبوكم محمد فورثه عبد الله فتنازعوا إلى الحسن ابن زيد فكتب بذلك الى أمير المؤمنين أبى جعفر فكتب إليه أما بعد فاذا بلغك كتابى هذا فورثهم من جدهم فإنى قد رددت عليهم أموالهم صلة لأرحامهم وحفظا لقرابتهم ❊ وحدثنى عيسى قال خرج مع محمد من بنى هاشم الحسن ويزيد وصالح بنو معاوية بن عبد الله بن أبى جعفر بن طالب وحسين وعيسى ابنا زيد بن على بن حسين بن على بن أبى طالب قال فحدثنى عيسى قال بلغنى أن أبا جعفر كان يقول

واعجبا لخروج ابنى زيد بن على وقد قتلنا قاتل أبيهما كما قتله وصلبناه كما صلبه وأحرقناه كما أحرقه وحمزة بن عبد الله بن محمد بن علىّ بن حسين بن على بن أبى طالب وعلى وزيد ابنا حسن بن زيد بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب قال عيسى قال أبو جعفر للحسن بن زيد كأنى أنظر إلى ابنيك واقفين على رأس محمد بسيفين عليهما قباء أن قال يا أمير المؤمنين قد كنت أشكو إليك عقوقهما قبل اليوم قال أجل فهذا من ذاك والقاسم بن إسحق بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب والمرجّى على بن جعفر بن إسحق بن علىّ بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب قال عيسى قال أبو جعفر لجعفر بن إسحاق من المرجَّى هذا فعل الله به وفعل قال يا أمير المؤمنين ذاك ابنى والله لئن شئت أن أنتفى منه لأفعلن ومن بنى عبد شمس محمد بن عبد الله ابن عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس قال حدثنى أبو عاصم النبيل قال حدثنى عباد بن كثير قال خرج ابن عجلان مع محمد وكان على بغلة فلما ولى جعفر بن سليمان المدينة قيده فدخلت عليه فقلت كيف ترى رأى أهل البصرة فى رجل قيد الحسن قال سيئاً والله قال قلت فإن ابن عجلان بهذه كالحسن ثمّ فتركه ومحمد بن عجلان مولى فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ✻ وحدثنى سعيد بن عبد الحميد ابن جعفر بن عبد الله ان عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم خرج معه فأتى به أبو جعفر بعد قتل محمد فقال له أنت الخارج علىّ مع محمد قال لم أجد إلا ذلك أو الكفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم قال عمر هذا وهمٌ قال وحدثنى عبد العزيز بن أبى سلمة بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر قال كان عبيد الله قد أجاب محمداً إلى الخروج معه فمات قبل أن يخرج وخرج معه أبو بكر بن عبد الله بن محمد ابن أبى سَبرة بن أبى رُهم بن عبد العُزى ابن ابى قيس بن عبدود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤىّ وخرج معه عبد الواحد بن أبى عون مولى الأزد وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة وعبد العزيز بن محمد الدَّراوَرْدىّ وعبد الحميد بن جعفر وعبد الله بن عطاء بن يعقوب مولى بنى سباع وابن سباع من خزاعة حليف بنى زُهرة وبنوه ابراهيم واسحاق وربيعة وجعفر

وعبد الله وعطاء ويعقوب وعثمان وعبد العزيز بنو عبد الله بن عطاء ❊ وحدثنى ابراهيم بن مصعب بن عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير قال وحدثنى الزبير بن خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال انا لبأُلمر من بطن اضم وعندى زوجتى أمينة بنت خضير إذ مرّ بنا رجل مصعد من المدينة فقالت له ما فعل محمد قال قتل قالت فما فعل ابن خضير قال قتل فخرت ساجدة فقلت أتسجدين ان قتل أخوك قالت نعم أليس لم يفِر ولم يُؤسر قال عيسى حدثنى أبى قال قال أبو جعفر لعيسى بن موسى من استنصر مع محمد قال آل الزبير قال ومن قال وآل عمر قال أما والله لعن غير مودة بهما له ولا محبة له ولا لأهل بيته قال وكان أبو جعفر يقول لو وجدتُ ألفاً من آل الزبير كلهم محسن وفيهم مسىء واحد لقتلتهم جميعاً ولو وجدت ألفاً من آل عمر كلهم مسىء وفيهم محسن واحد لأعفيتهم جميعا قال عمر وحدثنى ابراهيم بن مصعب بن عمارة بن حمزة بن مصعب قال حدثنى محمد ابن عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير قال لما قتل محمد هرب أبى وموسى بن عبد الله ابن حسن وأنا معهما وأبو هبار المزنى فأتينا مكة ثم انحدرنا إلى البصرة فاكترينا من رجل يدعى حكيما فلما وردنا البصرة وذلك بعد ثلث الليل وجدنا الدروب مغلقة فجلسنا عندها حتى طلع الفجر ثم دخلنا فنزلنا المربد فلما أصبحنا أرسلنا حكيما يبتاع لنا طعاماً فجاء به على رجل أسود فى رجله حديدة فدخل به علينا فأعطاه جعله فتسخط علينا فقلنا زده فتسخط فقلنا له ويلك أضعف له فأبى فاستراب بنا وجعل يتصفح وجوهنا ثم خرج فلم ننشب أن أحاطت بمنزلنا الخيل فقلنا لربّة المنزل ما بال الخيل فقالت لا بأس فيها تطلب رجلا من بنى سعد يدعى نميلة بن مرة كان خرج مع ابراهيم قال فوالله ما راعنا إلا بالأسود قد دُخل به علينا قد غُطّى رأسه ووجهه فلما دخل به كشف عنه ثم قيل أهؤلاء قال نعم هؤلاء هذا موسى ابن عبد الله وهذا عثمان بن محمد وهذا ابنه ولا أعرف الرابع غير أنه من أصحابهم قال فأخذنا جميعاً فأُدخل بنا على محمد بن سليمان فلما نظر الينا أقبل على موسى فقال لا وصل الله رحمك أركت البلاد جميعا وجئتنى فإما أطلقتك فتعرضت لأمير

المؤمنين وإما أخذ تُك فقطعت رحمك ثم كتب إلى أمير المؤمنين وحدّدنا قال فجاء الجواب أن احملهم إلىّ فوُجهنا اليه ومعنا جند فلما صرنا بالبطيحة وجدنا بها جندا آخر ينتظروننا ثم لم نزل نأتى على المسالح من الجند فى طريقنا كله حتى وردنا بغداد فدُخل بنا على أبى جعفر فلما نظر إلى أبى قال هِيه أخرجت علىّ مع محمد قال قد كان ذاك فأغلظ له أبو جعفر فراجعه مليا ثم أمر به فضربت عنقه ثم أمر بموسى فضرب بالسياط ثم أمر بى فقُرّبت اليه فقال اذهبوا به فأقيموه على رأس أبيه فاذا نظر اليه فاضربوا عنقه على جيفته قال فكلمه عيسى بن علىّ وقال والله ما أحسبه بلغ فقلت يا أمير المؤمنين كنت غلاما حدثا غِرًّا أمرنى أبى فأطعتُه قال فأمر بى فضُربت خمسين سوطا ثم حبسنى فى المطبق وفيه يومئذ يعقوب بن داود فكان خير رفيق أرافقه وأعطفه يطعمنى من طعامه ويسقينى من شرابه فلم نزل كذلك حتى توفى أبو جعفر وقام المهدىّ وأخرج يعقوب فكلمه فىّ فأخرجنى قال وحدثنى أيوب بن عمر قال حدثنى محمد بن خالد قال أخبرنى محمد بن عروة ابن هشام بن عروة قال إنى لعند أبى جعفر إذ أتى فقيل له هذا عثمان بن محمد بن خالد قد دخل به فلما رآه أبو جعفر قال أين المال الذى عندك قال دفعته إلى أمير المؤمنين رحمه الله قال ومن أمير المؤمنين قال محمد بن عبد الله قال أبايعته قال نعم كما بايعته قال يا ابن اللخناء قال ذاك من قامت عنه الاماء قال اضرب عنقه قال فأخر فضربت عنقه قال وحدثنى سعيد بن عبد الحميد بن جعفر قال حدثنى محمد بن عثمان بن خالد الزبيرى قال لما خرج محمد خرج معه رجلٌ من آل كثير بن الصلت فلما قتل وهزم أصحابه تغيبوا فكان أبى والكثيرىّ فيمن تغيب فلبثوا بذلك حتى قدم جعفر بن سليمان واليا على المدينة فاشتد فى طلب أصحاب محمد فاكترى أبى من الكثيرىّ إبلا كانت له فخرجنا متوجهين نحو البصرة وبلغ الخبر جعفراً فكتب إلى أخيه محمد يعلمه بتوجهنا إلى البصرة ويأمره بالترصد لنا والتيقظ لأمرنا ومقدمنا فلما قدمنا علم محمد بمقدمنا ومكاننا فأرسل إلينا فأخذنا فأتى بنا فأقبل عليه أبى فقال يا هذا اتق الله فى كرينا هذا فإنه اعرابىّ لا علم له بنا انما أكريانا ابتغاء الرزق ولو علم

بجريرتنا مافعل وأنت معرضه لأبى جعفر وهو من قد علمت فأنت قاتله ومتحمل مأثمه قال فوجم محمد طويلا ثم قال هو والله أبو جعفر والله ما أتعرض له ثم حملنا جميعا فدخلنا على أبى جعفر وليس عنده أحد يعرف الكثيرى غير الحسن بن زيد فأقبل على الكثيرى فقال يا عدو الله أتكرى عدو أمير المؤمنين ثم تنقله من بلد إلى بلد تواريه مرة وتظهره أخرى قال يا أمير المؤمنين وما علمى بخبره وجريرته وعداوته إياك إنما أكريته جاهلا به ولا أحسبه إلا رجلا من المسلمين برى الساحة سليم الناحية ولو علمت حاله لم أفعل قال واكبّ الحسن بن زيد ينظر إلى الأرض لا يرفع رأسه قال فأوعد أبو جعفر الكثيرى وتهدده ثم أمر بإطلاقه فخرج فتغيب ثم أقبل على أبى فقال هيه يا عثمان أنت الخارج على أمير المؤمنين والمعين عليه قال بايعت أنا وأنت رجلا بمكة فوفيت ببيعتى وغدرت ببيعتك قال فأمر به فضربت عنقه قال وحدثنى عيسى قال حدثنى أبى قال أتى أبو جعفر بعبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فنظر اليه فقال إذا قتلت مثل هذا من قريش فمن أستبقى ثم أطلقه وأتى بعثمان بن محمد بن خالد فقتله وأطلق ناسا من القرشيين فقال له عيسى بن موسى يا أمير المؤمنين ما أشقى هذا بك من بينهم فقال إن هذا بيى قال وحدثنى عيسى قال سمعت حسن بن زيد يقول غدوت يوما على أبى جعفر فاذا هو قد أمر بعمل دكان ثم أقام عليه خالدا وأتى بعلىّ بن المطلب بن عبد الله بن حنطب فأمر به فضرب خمسمائة سوط ثم أتى بعبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع فأمر به فجلد خمسمائة سوط فما تحرك واحد منهما فقال لى هل رأيت أصبر من هذين قط والله إنا لنؤتى بالذين قد قاسوا غلاظ المعيشة وكدّها فما يصبرون هذا الصبر وهؤلاء أهل الخفض والكنّ والنعمة قلت يا أمير المؤمنين هؤلاء قومك أهل الشرف والقدر قال فأعرض عنى وقال أبيت إلا العصبية ثم أعاد عبد العزيز بن إبراهيم بعد ذلك ليضربه فقال يا أمير المؤمنين الله الله فينا فوالله إنى لمكبّ على وجهى منذ أربعين ليلة ما صليت لله صلاة قال أنتم صنعتم ذلك بأنفسكم قال فأين العفو يا أمير المؤمنين قال فالعفو

والله إذاً ثم خلى سبيله * حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد عن محمد بن عمر قال كثروا محمدا وألحوا فى القتال حتى قتل محمد فى النصف من شهر رمضان سنة ١٤٥ وحمل رأسه إلى عيسى بن موسى فدعا ابن أبى الكرام فأراه إياه فعرفه فسجد عيسى بن موسى ودخل المدينة وآمن الناس كلهم وكان مكث محمد بن عبد الله من حين ظهر إلى أن قتل شهرين وسبعة عشر يوما (وفى هذه السنة) استخلف عيسى بن موسى على المدينة كثير بن حصين حين شخص عنها بعد مقتل محمد بن عبد الله بن حسن فمكث واليا عليها شهراً ثم قدم عبد الله بن الربيع الحارثى واليا عليها من قبل أبى جعفر المنصور (وفى هذه السنة) ثارت السودان بالمدينة بعبد الله بن الربيع فهرب منهم

ذكر الخبر عن وثوب السودان بالمدينة فى هذه السنة والسبب الذى هيج ذلك

ذكر عمر بن شبة أن محمد بن يحيى حدثه قال حدثنى الحارث بن إسحاق قال كان رياح بن عثمان استعمل أبا بكر بن عبد الله بن أبى سبرة على صدقة أسد وطيئ فلما خرج محمد أقبل اليه أبو بكر بما كان جبا وشمر معه فلما استخلف عيسى كثير ابن حصين على المدينة أخذ أبابكر فضربه سبعين سوطا وحدّده وحبسه ثم قدم عبد الله بن الربيع واليا من قبل أبى جعفر يوم السبت لخمس بقين من شوال سنة ١٤٥ فنازع جنده التجار فى بعض مايشترونه منهم فخرجت طائفة من التجار حتى جاؤا دار مروان وفيها ابن الربيع فشكوا ذلك اليه فنهرهم وشتمهم وطمع فيهم الجند فتزايدوا فى سوء الرأى قال وحدثنى عمر بن راشد قال انتهب الجند شيئاً من متاع السوق وغدوا على رجل من الصرافين يدعى عثمان بز زيد فغالبوه على كيسه فاستغاث فخلص ماله منهم فاجتمع رؤساء أهل المدينة فشكوا ذلك إلى ابن الربيع فلم ينكره ولم يغيره ثم جاء رجل من الجند فاشترى من جزار لحماً يوم الجمعة فأبى أن يعطيه ثمنه وشهر عليه السيف فخرج عليه الجزار من تحت الوضم بشفرة فطعن بها خاصرته فخرّ عن دابّته واعتوروه الجزارون فقتلوه وتنادى السودان عن الجند وهم يروحون إلى الجمعة فقتلوهم بالعمد فى كل ناحية فلم يزالوا

على ذلك حتى أمسوا فلما كان الغد هرب ابن الربيع قال وحدثنى محمد بن يحيي قال حدّثنى الحارث بن إسحاق قال نفخ السودان فى بوق لهم فذكر لى بعض من كان فى العالية وبعض من كان فى السافلة أنه كان يرى الأسود من سكانهما فى بعض عمله يسمع نفخ البوق فيصغى له حتى يتيقنه ثم يوحش بما فى يده ويأتمّ الصوت حتى يأتيه قال وذلك يوم الجمعة لسبع بقين من ذى الحجة من سنة ١٤٥ ورؤساء السودان ثلاثة نفر وثيق ويعقل ورمقة قال فغدوا على ابن الربيع والناس فى الجمعة فأعجلوهم عن الصلاة وخرج اليهم فاستطردوا له حتى أتى السوق فمرّ بمساكين خمسة يسألون فى طريق المسجد فحمل عليهم بمن معه حتى قتلوهم ثم مر بأَصَيْبية على طنف دار فظن أن القوم منهم فاستنزلهم واختدعهم وآمنهم فلما نزلوا ضرب أعناقهم ثم مضى ووقف عند الحناطين وحمل عليه السودان فأجلى هاربا فاتبعوه حتى صار إلى البقيع ورهقوه فنثر لهم دراهم فشغلهم بها ومضى على وجهه حتى نزل ببطن نخل على ليلتين من المدينة قال وحدثنى عيسى قال خرج السودان على ابن الربيع ورؤساؤهم وثيق وحديا وعنقود وأبو قيس فقاتلهم فهزموه فخرج حتى أتى بطن نخل فأقام بها قال وحدثنى عمر بن راشد قال لما هرب ابن الربيع وقع السودان فى طعام لأبى جعفر من سويق ودقيق وزيت وقسب فانتهبوه فكان حمل الدقيق بدرهمين وراوية زيت بأربعة دراهم * وحدثنى محمد بن يحيي قال حدثنى الحارث بن إسحاق قال أغاروا على دار مروان ودار يزيد وفيهما طعام كان حُمل للجند فى البحر فلم يدعوا فيهما شيئاً قال وشخص سليمان بن فليح بن سليمان فى ذلك اليوم إلى أبى جعفر فقدم عليه فأخبره الخبر قال وحدثنى محمد بن يحيي قال حدثنى الحارث بن إسحاق قال وقتل السودان نفراً من الجند فهابهم الجند حتى أن كان الفارس ليلقى الأسود وما عليه إلا خرقتان على عورته ودراعة فيوليه دبره احتقاراً له ثم لم ينشب أن يشدّ عليه بعمود من عُمُد السوق فيقتله فكانوا يقولون ماهؤلاء السودان إلا سحرة أو شياطين قال وحدثنى عثامة بن عمرو السهمى قال حدثنى المسور بن عبد الملك قال لما حبس ابن الربيع أبا بكر بن أبى سبرة وكان

جاء بجباية طيّئ وأسد فدفعها إلى محمد وأشفق القرشيون على ابن أبى سبرة فلما خرج السودان عل ابن الربيع خرج ابن أبى سبرة من السجن فخطب الناس ودعاهم إلى الطاعة وصلى بالناس حتى رجع ابن الربيع قال وحدثنى محمد بن يحيي قال حدثنى الحارث بن إسحاق قال خرج ابن أبى سبرة من السجن والحديد عليه حتى أتى المسجد فأرسل إلى محمد بن عمران ومحمد بن عبد العزيز وغيرهما فاجتمعوا عنده فقال أنشدكم الله وهذه البلية التى وقعت فوالله لئن تمت علينا عند أمير المؤمنين بعد الفعلة الأولى أنه لاصطلام البلد وأهله والعبيد فى السوق بأجمعهم فأنشدكم الله إلا ذهبتم اليهم فكلمتموهم فى الرجعة والفيئة إلى رأيكم فإنهم لا نظام لهم ولم يقوموا بدعوة وإنما هم قوم أخرجتهم الحمية قال فذهبوا إلى العبيد فكلموهم فقالوا مرحبا بكم يا موالينا والله ماقمنا الا أنفةً لكم مما عمل بكم فأيدينا مع أيديكم وأمرنا اليكم فأقبلوا بهم إلى المسجد ❊ وحدثنى محمد بن الحسن بن زبالة قال حدثنى الحسين ابن مصعب قال لما خرج السودان وهرب ابن الربيع جئتهم أنا وجماعة معى وقد عسكروا فى السوق فسألناهم أن يتفرّقوا وأخبرناهم أنا وإياهم لا نقوى على مانصبوا له قال فقال لنا وثيق أن الأمر قد وقع بما ترون وهو غير مبق لنا ولا لكم فدعونا نشفكم ونشتف أنفسنا فأبينا ولم نزل بهم حتى تفرقوا ❊ وحدثنى عمر بن راشد قال كان رئيسهم وثيق وخليفته يعقل الجزار قال فدخل عليه ابن عمران قال إلى من تعهد ياوثيق قال إلى أربعة من بنى هاشم وأربعة من قريش وأربعة من الأنصار وأربعة من الموالى ثم الأمر شورى بينهم قال أسأل الله إن ولاك شيئا من أمرنا أن يرزقنا عدلك قال قد والله ولا نيه الله قال وحدثنى محمد ابن يحيي قال حدثنى الحارث بن إسحاق قال حضر السودان المسجد مع ابن أبى سبرة فرقى المنبر فى كبل حديد حتى استوى فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبعه محمد بن عمران فكان تحته وتبعهم محمد بن عبد العزيز فكان تحتهما وتبعهم سليمان بن عبد الله بن أبى سبرة فكان تحتهم جميعا وجعل الناس يلغطون لغطا شديداً وابن أبى سبرة جالسٌ صامتٌ فقال ابن عمران أنا ذاهبٌ إلى السوق فانحدر وانحدر

مَنْ دونه وثبت ابن أبى سبرة فتكلم فحثّ على طاعة أمير المؤمنين وذكر أمر محمد بن عبد الله فأبلغ ومضى ابن عمران إلى السوق فقام على بَلَاسٍ من بُاَس الحنطة فتكلم هناك فتراجع الناسُ ولم يصلّ بالناس يومئذ الا المؤذن فلما حضرت العشاء الآخرة وقد ثاب الناس فاجتمع القرشيون فى المقصورة وأقام الصلاة محمد بن عمار المؤذن الذى يلقب كسا كس فقال للقرشيين من يصلى بكم فلم يجبه أحدٌ فقال ألا تسمعون فلم يجيبوه فقال يا ابن عمران ويا ابن فلان فلم يجبه أحدٌ فقام فقام الأصبغ ابن سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان فقال أنا أصلى فقام فى المقام فقال للناس استووا فلما استوت الصفوف أقبل عليهم بوجهه ونادى بأعلى صوته ألا تسمعون أنا الأصبغ بن سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان أصلى بالناس على طاعة أبى جعفر فردد ذلك مرتين أو ثلاثا ثم كبر فصلى فلما أصبح الناس قال ابن أبى سبرة أنه قد كان منكم بالأمس ماقد علمتم نهبتم مافى دار عاملكم وطعامَ جند أمير المؤمنين فلا يبقين عند أحد منكم شىء إلا رده فقد أقعدتُ لكم الحكم بن عبد الله ابن المغيرة بن موهب فرفع الناس اليه ما انتهبوا فقيل أنه أصاب قيمة ألف دينار ❊ وحدثنى عثامة بن عمرو قال حدثنى المسور بن عبد الملك قال ائتمر القرشيون أن يدعوا ابن الربيع يخرج ثم يكلموه فى استخلاف ابن أبى سبرة على المدينة ليتحلل ما فى نفس أمير المؤمنين عليه فلما أخرجه السودان قال له ابن عبد العزيز أتخرج بغير وال استخلف ولها رجلًا قال من قال قدامة بن موسى قال فصيح بقدامة فدخل فجلس بين ابن الربيع وبين ابن عبد العزيز فقال ارجع يا قدامة فقد وليتك المدينة وأعمالها قال والله ما قال لك هذا من نصحك ولا نظر لمن وراءه ولا أراد الا الفساد ولا حَقّ بهذا منى ومنه من قام بأمر الناس وهو جالسٌ فى بيته يعنى ابن أبى سبرة ارجع أيّها الرجل فوالله مالك عذر فى الخروج فرجع ابن الربيع ❊ وحدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى الحارث بن إسحاق قال ركب ابن عبد العزيز فى نفر من قريش إلى ابن الربيع فناشدوه وهو ببطن نخل إلا رجع إلى عمله فتأبّى قال فخلا به ابن عبد العزيز فلم يزل به حتى رجع وسكن الناس وهدؤا قال وحدثنى

عمر بن راشد قال ركب اليه ابن عمران وغيره وقد إنزل الأعوص فكلموه فرجع فقطع يد وثيق وأبى النار ويعقل ومسعر ﴿وفى هذه السنة﴾ أسست مدينة بغداد وهى التى تدعى مدينة المنصور

ذكر الخبر عن سبب بناء أبى جعفر إياها

وكان سبب ذلك أن أباجعفر المنصور بنى فيما ذكر حين أفضى الأمر اليه الهاشمية قبالة مدينة ابن هبيرة بينهما عرض الطريق وكانت مدينة ابن هبيرة التى بحيالها مدينة أبى جعفر الهاشمية إلى جانب الكوفة وبنى المنصور أيضا مدينة بظهر الكوفة سماها الرصافة فلماثارت الراوندية بأبى جعفر فى مدينته التى تسمى الهاشمية وهى التى بحيال مدينة ابن هبيرة كره سُكناها لاضطراب من اضطرب أمره عليه من الراوندية مع قرب جواره من الكوفة ولم يأمن أهلها على نفسه فأراد أن يبعد من جوارهم فذكر أنه خرج بنفسه يرتاد لها موضعا يتخذه مسكنا لنفسه وجنده ويبتنى به مدينة فبدأ فانحدر إلى جرجرايا ثم صار إلى بغداد ثم مضى إلى الموصل ثم عاد إلى بغداد فقال هذا موضع معسكر صالح هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شىء يأتينا فيها كل ما فى البحر وتأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينية وما حول ذلك وهذا الفرات يجىء فيه كل شىءٍ من الشأم والرقة وما حول ذلك فنزل وضرب عسكره على الصّراة وخط المدينة ووكل بكل ربع قائداً وذكر عمر بن شبة أن محمد بن معروف بن سُويد حدثه قال حدثنى أبى قال حدّثنى سليمان بن مجالد قال أفسد أهل الكوفة جند أمير المؤمنين المنصور عليه فخرج نحو الجبل يرتاد منزلا والطريق يومئذ على المدائن فخرجنا على ساباط فتخلف بعض أصحابى لرمد أصابه فأقام يعالج عينيه فسأله الطبيب أين يريد أمير المؤمنين قال يرتاد منزلا قال فإنا نجد فى كتاب عندنا أن رجلا يدعى مقلاصا يبنى مدينة بين دجلة والصراة تدعى الزوراء فإذا أسسها وبنى عَرَقا منها أتاه فتق من الحجاز فقطع بناءها وأقبل على إصلاح ذلك الفتق فإذا كاد يلتئم أتاه فتق من البصرة هو أكبر عليه منه فلا يلبث للفتقان أن يلتئما ثم يعود إلى بنائها فيتمه ثم يعمر عمراً طويلا ويبقى الملك فى عقبه قال سليمان فان أمير المؤمنين

لبأطراف الجبال فى ارتياد منزل إذ قدم على صاحبي فأخبرنى الخبر فأخبرت به أمير المؤمنين فدعا الرجل فحدثه الحديث فكر راجعا عَوْدَهُ على بدئه وقال أنا والله ذاك لقد سميت مقلاصا وأنا صبي ثم انقطعت عنى وذكر عن الهيثم بن عدى عن ابن عياش قال لما أراد أبو جعفر الانتقال من الهاشمية بعث روادا يرتادون له موضعا ينزله واسطارا فقا بالعامة والجند فنعت له موضع قريب من بارِمّا وذكر له عنه غذاء طيب فخرج إليه بنفسه حتى ينظر إليه وبات فيه وكرر نظره فيه فرآه موضعا طيبا فقال لجماعة من أصحابه منهم سليمان بن مجالد وأبو أيوب الخوزى وعبد الملك بن حميد الكاتب وغيرهم ما رأيكم فى هذا الموضع قالوا ما رأينا مثله هو طيب صالحٌ موافقٌ قال صدقتم هو هكذا ولكنه لا يحمل الجند والناس والجماعات وإنما أريد موضعا يرتفق الناس به ويوافقهم مع موافقته لى ولا تغلو عليهم فيه الأسعارُ ولا تشتد فيه المؤونة فانى إن أقمت فى موضع لا يجلب إليه من البر والبحر شىء غلت الأسعار وقلّت المادة واشتدّت المؤونة وشقّ ذلك على الناس وقد وقد مررتُ فى طريقى على موضع فيه مجتمعة هذه الخصال فأنا نازل فيه وبائت به فإن اجتمع لى فيه ما أريد من طيب الليل والموافقة مع احتماله للجند والناس أبتنيه قال الهيثم بن عدىّ فخُبرت أنه أتى ناحية الجسر فعبر فى موضع قصر السلام ثم صلى العصر وكان فى صيف وكان فى موضع القصر بيعة قَسّ ثم بات ليلة حتى أصبح فبات أطيب مبيت فى الأرض وأرفقه وأقام يومه فلم ير إلا ما يحب فقال هذا موضع أبنى فيه فإنه تأتيه المادة من الفرات ودجلة وجماعة من الأنهار ولا يحمل الجند والعامة إلا مثله فخطها وقدّر بناءها ووضع أول لبنة بيده وقال بسم الله والحمد لله والأرض لله يورثها من يشاءُ من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال ابنوا على بركة الله وذكر عن بشر بن ميمون الشروىّ وسليمان بن مجالد أن المنصور لما رجع من ناحية الجبل سأل عن خبر القائد الذى حدثه عن الطبيب الذى أخبره عما يجدون فى كتبهم من خبر مِقْلاص ونزل الدير الذى هو حذاء قصره المعروف بالخلد فدعا بصاحب الدير وأحضر البطريق صاحب رحا البطريق وصاحب بغداد

وصاحب المخرم وصاحب الدير المعروف ببستان القس وصاحب العتيقة فسألهم عن مواضعهم وكيف هى فى الحر والبرد والأمطار والوحول والبق والهوام فأخبره كل واحد بما عنده من العلم فوجه رجالا من قبله وأمر كل واحد منهم أن يبيت فى قرية منها فبات كل رجل منهم فى قرية منها وأتاه بخبرها وشاور المنصور الذين أحضرهم وتنحر أخبارهم فاجتمع اختيارهم على صاحب بغداد فأحضره وشاوره وساءله فهو الدهقان الذى فى قريته قائمة إلى اليوم فى المربَّعة المعروفة بأبى العباس الفضل بن سليمان الطوسى وقباب القرية قائم بناؤها إلى اليوم وداره ثابتة على حالها فقال يا أمير المؤمنين سألتنى عن هذه الأمكنة وطيبها وما يختار منها فالذى أرى يا أمير المؤمنين أن تنزل أربعة طساسيج فى الجانب الغربىّ طسوجَيْن وهما قطربل وبادُرَيَا وفى الجانب الشرقىّ طسوجَيْن وهما نهر بوق وكلواذى فأنت تكون بين نخل وقرب الماء فإن أجدب طسوج وتأخرت عمارته كان فى الطسوج الآخر العمارات وأنت يا أمير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة فى السفن من المغرب فى الفرات وتجيئك طرائف مصر والشأم وتجيئك الميرة فى السفن من الصين والهند والبصرة وواسط فى دجلة وتجيئك الميرة من أرمينية وما اتصل بها فى تامَرّا حتى تصل إلى الزاب وتجيئك الميرة من الروم وآمِد والجزيرة والموصل فى دجلة وأنت بين أنهار لا يصل إليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة فإذا قطعت الجسر وأخربت القناطر لم يصل إليك عدوك وأنت بين دجلة والفرات لا يجيئك أحد من المشرق والمغرب إلا احتاج إلى العبور وأنت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله وأنت قريب من البرّ والبحر والجبل فازداد المنصور عزما على النزول فى الموضع الذى اختاره وقال له يا أمير المؤمنين ومع هذا فإن الله قد منّ على أمير المؤمنين بكثرة جيوشه وقواده وجنده فليس أحد من أعدائه يطمع فى الدنو منه والتدبيرُ فى المدن أن تتخذ لها الأسوار والخنادق والحصون ودجلة والفرات خنادق لمدينة امير المؤمنين وذكر عن إبراهيم بن عيسى أن حماداً التركى قال بعث المنصور رجالا فى سنة ١٤٥ يطلبون له موضعا يبنى

فيه مدينته فطلبوا وارتادوا فلم يرض موضعا حتى جاء فنزل الدير الذى على الصراة فقال هذا موضع أرضاه تأتيه الميرة من الفرات ودجلة ومن هذه الصراة وذكر عن محمد بن صالح بن النطاح عن محمد بن جابر عن أبيه قال لما أراد أبو جعفر أن يبنى مدينة بيغداد رأى راهبا فناداه فأجابه فقال تجدون فى كتبكم أنه تبنى ههنا مدينة قال الراهب نعم يبنيها مقلاص قال أبو جعفر أنا كنت أدعى مقلاصا فى حداثتى قال فأنت إذاً صاحبها قال وكذلك لما أراد أن يبنى الرافقة بأرض الروم امتنع أهل الرقة وأرادوا محاربته وقالوا تعطل علينا أسواقنا وتذهب بمعاشنا وتضيق منازلنا فهمَّ بمحاربتهم وبعث إلى راهب فى الصومعة فقال هل عندك علم أن يبنى ههنا مدينة فقال له بلغنى أن رجلا يقال له مقلاص يبنيها قال أنا مقلاص فبناها على بناء مدينة بغداد سوى السور وأبواب الحديد وخندق منفرد وذكر عن السرى عن سليمان بن مجالد أن المنصور وجه فى حشر الصناع والفعلة من الشأم والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة فأحضروا وأمر باختيار قوم من ذوى الفضل والعدالة والفقة والأمانة والمعرفة بالهندسة فكان ممن أحضر لذلك الحجاج بن أرطاة وأبو حنيفة النعمان بن ثابت وأمر بخط المدينة وحفر الأساسات وضرب اللبن وطبخ الآجر فبدئ بذلك وكان أول ما ابتدئ به فى عملها سنة ١٤٥ وذكر أن المنصور لما عزم على بنائها أحب أن ينظر اليها عيانا فأمر أن يخط بالرماد ثم أقبل يدخل من كل باب ويمر فى فصلانها وطاقاتها ورحابها وهى مخطوطة بالرماد ودار عليهم ينظر اليهم وإلى ما خط من خنادقها فلما فعل ذلك أمر أن يجعل على تلك الخطوط حب القطن وينصب عليه النفط فنظر اليها والنار تشتعل ففهمها وعرف رسمها وأمر أن يحفر أساس ذلك على الرسم ثم ابتدئ فى عملها وذكر عن حماد التركىّ أن المنصور بعث رجالا يطلبون له موضعاً يبنى فيه المدينة فطلبوا ذلك فى سنة ١٤٤ قبل خروج محمد بن عبد الله بسنة أو نحوها فوقع اختيارهم على موضع بغداد قرية على شاطئ الصراة مما يلى الخلد وكان فى موضع بناء الخلد دير وكان فى قرن الصراة مما يلى الخلد

من الجانب الشرقى" أيضا قرية ودير كبير كانت تسمى سوق البقر وكانت القرية تسمى العتيقة وهى التى افتتحها المثنى بن حارثة الشيبانى قال وجاء المنصور فنزل الدير الذى فى موضع الخلد على الصراة فوجده قليل البق فقال هذا موضع أرضاه تأتيه الميرة من الفرات ودجلة ويصلح أن تبتنى فيه مدينة فقال للراهب الذى فى الدير يا راهب أريد أن أبنى ههنا مدينة فقال لا يكون إنما يبنى ههنا ملك يقال له أبو الدوانيق فضحك المنصور فى نفسه وقال أنا أبو الدوانيق وأمر فخطت المدينة ووكل بها أربعة قواد كل قائد بربع وذكر عن سليمان بن مجالد أن المنصور أراد أبا حنيفة النعمان بن ثابت على القضاء فامتنع من ذلك فحلف المنصور أن يتولى له وحلف أبو حنيفة ألا يفعل فولاه القيام ببناء المدينة وضرب اللبن وعده وأخذ الرجال بالعمل قال وإنما فعل المنصور ذلك ليخرج من يمينه قال وكان أبو حنيفة المتولى لذلك حتى فرغ من استتمام بناء حائط المدينة مما يلى الخندق وكان استتمامه فى سنة ١٤٩ وذكر عن الهيثم بن عدى أن المنصور عرض على أبى حنيفة القضاء والمظالم فامتنع فحلف ألا يقلع عنه حتى يعمل فأخبر بذلك أبو حنيفة فدعا بقصبة فعد اللبن على رجل قد لبنه وكان أبو حنيفة أول من عد اللبن بالقصب فأخرج أبا جعفر عن يمينه واعتل فمات ببغداد * وقيل إن أبا جعفر لما أمر بحفر الخندق وانشاء البناء وإحكام الأساس أمر أن يجعل عرض السور من أسفله خمسين ذراعا وقدر أعلاه عشرين ذراعا وجعل فى البناء جوائز قصب مكان الخشب فى كل طرقة فلما بلغ الحائط مقدار قامة وذلك فى سنة ١٤٥ أتاه خبر خروج محمد فقطع البناء * وذكر عن أحمد بن حميد بن جبلة قال حدثنى أبى عن جدى جبلة قال كانت مدينة أبى جعفر قبل بنائها مزرعة للبغداديين يقال لها المباركة وكانت لستين نفساً منهم فعوضهم منها وأرضاهم فأخذ جدى قسمة منها * وذكر عن إبراهيم بن عيسى بن المنصور أن حماداً التركى" قال كان حول مدينة أبى جعفر قرى قبل بنائها فكان إلى جانب باب الشأم قرية يقال لها الخطابية على باب درب النورة إلى درب الأقفاص وكان

بعض نخلها فى شارع باب الشأم إلى أيام المخلوع فى الطريق حتى قطع فى أيام الفتنة وكانت الخطابية هذه لقوم من الدهاقين يقال لهم بنو فروة وبنو قنورا منهم إسماعيل بن دينار ويعقوب بن سليمان وأصحابهم * وذكر عن محمد بن موسى ابن الفرات أن القرية التى فى مربعة أبى العباس كانت قرية جده من قبل أمه وأنهم من دهاقين يقال لهم بنو زرارى وكانت القرية تسمى الوردانية وقرية أخرى قائمة إلى اليوم مما يلى مربعة أبى فروة * وذكر عن ابراهيم بن عيسى أن المعروفة اليوم بدار سعيد الخطيب كانت قرية يقال لها شرفانية ولها نخيل قائم إلى اليوم مما يلى قنطرة أبى الجون وأبو الجون من دهاقين بغداد من أهل هذه القرية * وذكر أن قطيعة الربيع كانت مزارع للناس من قرية يقال لها بناورى من رستاق الفروسيج من بادوريا * وذكر عن محمد بن موسى بن الفرات أنه سمع أباه أو جده شك راوى ذلك عنه يقول دخل على رجل من دهاقين بادوريا وهو مخرق الطيلسان فقلت له من خرق طيلسانك قال خرق والله فى زحمة الناس اليوم فى موضع طالما طردت فيه الأرانب والظباء يريد باب الكرخ ويقال ان قطيعة الربيع الخارجة انما هى اقطاع المهدى للربيع وأن المنصور انما كان أقطعه الداخلة * وقيل ان نهر طابق كسروىّ وانه نهر بابك بن بهرام بن بابك وان بابك هذا هو الذى اتخذ العقر الذى عليه قصر عيسى بن على واحتفر هذا النهر * وذكر أن فرصة جعفر اقطاع من أبى جعفر لابنه جعفر وان القنطرة العتيقة من بناء الفرس * وذكر عن حماد التركىّ قال كان المنصور نازلا بالدير الذى على شاطئ دجلة بالموضع المعروف بالخلد ونحن فى يوم صائف شديد الحر فى سنة ١٤٥ وقد خرجت فجلست مع الربيع وأصحابه اذ جاء رجل فجاوز الحرس الى المقصورة فاستأذن فآذنا المنصور به وكان معه سلم بن أبى سلم فأذن له فخبره بخروج محمد فقال المنصور نكتب الساعة الى مصر أن يقطع عن الحرمين المادة ثم قال انما هم فى مثل حرجة اذا انقطعت عنهم المادة والميرة من مصر قال وأمر بالكتاب الى العباس بن محمد وكان على الجزيرة

يخبره بخبر محمد وقال انى راحل ساعة كتبت الى الكوفة فأمدنى فى كل يوم بما قدرت عليه من الرجال من أهل الجزيرة وكتب بمثل ذلك الى أمراء الشأم ولو أن يرد على فى كل يوم رجل واحد أكثر به من معى من أهل خراسان فانه ان بلغ الخبر الكذاب انكسر قال ثم نادى بالرحيل من ساعته فخرجنا فى حر شديد حتى قدم الكوفة ثم لم يزل بها حتى انقضت الحرب بينه وبين محمد وابراهيم فلما فرغ منهما رجع إلى بغداد * وذكر عن أحمد بن ثابت قال سمعت شيخا من قريش يحدث أن أبا جعفر لما فصل من بغداد متوجها نحو الكوفة وقد جاءه البريد بمخرج محمد بن عبد الله بالمدينة نظر اليه عثمان بن عمارة بن حريم وإسحاق ابن مسلم العقيلى وعبد الله بن الربيع المدانى وكانوا من صحابته وهو يسير على دابته وبنو أبيه حوله فقال عثمان أظن محمدا خائبا ومن معه من أهل بيته أن حشو ثياب هذا العباسى لمكر ونكر ودهاء وإنه فيما نصب له محمد من الحرب لكما قال ابن جذل الطعان

فكم من غارةٍ وَرعيلِ خيلٍ   تداركها وقد حَمِىَ اللّقاءُ
فردّ مخيلَها حتى ثناها   بأسمرَ ما يُرَى فيه التِواءُ

قال فقال إسحاق بن مسلم قدوالله سبرته ولمست عوده فوجدته خشنا وغمزته فوجدته صليبا وذقته فوجدته مراً وأنه ومن حوله من بنى أبيه لكما قال ربيعة ابن مكدم

سمالِىَ فُرسانٌ كأنّ وجوهَهم   مصابيحُ تبدو فى الظلام زواهرُ
يَقودُهُم كبشٌ أخو مُصْمَئلةٍ   عَبُوسُ السرى قد لوّحته الهواجرُ

قال وقال عبد الله بن الربيع هو ليث خيس ضَيْغم شموس للأقران مفترس وللأرواح مختلس وأنه فيما يهيج من الحرب كما قال أبو سفيان بن الحارث

وإنّ لنا شَيخاً إذا الحربُ شَمَّرتْ   بَدِيهتُه الإقدامُ قبل النَّوافِرِ

قال فمضى حتى سار إلى قصر ابن هبيرة فنزل الكوفة ووجه الجيوش فلما انقضت الحرب رجع إلى بغداد فاستتم بناءها (وفى هذه السنة) ظهر إبراهيم

ابن عبد الله بن حسن أخو محمد بن عبد الله بن حسن بالبصرة فحارب أبا جعفر المنصور وفيها قتل أيضا

ذكر الخبر عن سبب مخرجه وعن مقتله وكيف كان

* فذكر عن عبد الله بن محمد بن حفص قال حدثنى أبى قال لما أخذ أبو جعفر عبد الله بن حسن أشفق محمد وإبراهيم من ذلك فخرجا إلى عدن فخافا بها وركبا البحر حتى صارا إلى السند فسعى بهما إلى عمر بن حفص فخرجا حتى قدما الكوفة وبها أبو جعفر * وذكر عمر بن شبة أن سعيد بن نوح الضبعى "ابن ابنة أبى الساج الضبعى" حدثه قال حدثتنى آمنة بنت أبى المنهال قالت نزل إبراهيم فى الحى" من بنى ضبيعة فى دار الحارث بن عيسى وكان لا يرى بالنهار وكانت معه أم ولد له فكنت أتحدث اليها ولا ندرى من هم حتى ظهر فأتيتها فقلت إنك لصاحبتى فقالت أنا هى لا والله ما أقرتنا الأرض منذ خمس سنين مرة بفارس ومرة بكرمان ومرة بالحجاز ومرة باليمن قال عمر حدثنى أبو نعيم الفضل بن دكين قال حدثنى مطهر بن الحارث قال أقبلنا مع إبراهيم من مكة نريد البصرة ونحن عشرة فصحبنا أعرابى" فى بعض الطريق فقلنا له ما اسمك قال فلان بن أبى مصاد الكلبى فلم يفارقنا حتى قربنا من البصرة فأقبل على" يوما فقال أليس هذا إبراهيم بن عبد الله بن حسن فقلت لا هذا رجل من أهل الشأم فلما كنا على ليلة من البصرة تقدم إبراهيم وتخلفنا عنه ثم دخلنا من غد * قال عمر وحدثنى أبو صفوان نصر بن قديد بن نصر بن سيار قال كان مقدم إبراهيم البصرة فى أول سنة ١٤٣ منصرف الناس من الحج فكان الذى أقدمه وتولى كراءه وعادله فى محمله يحيى بن زياد بن حسان النبطى فأنزله فى داره فى بنى ليث واشترى له جارية أعجمية سندية فأولدها ولدا فى دار يحيى بن زياد * فحدثنى ابن قديد بن نصر أنه شهد جنازة ذلك المولود وصلى عليه يحيى بن زياد قال وحدثنى محمد بن معروف قال حدثنى أبى قال نزل إبراهيم بالخيار من أرض الشأم على آل القعقاع بن خليد العبسى فكتب الفضل بن صالح بن على وكان على قنسرين إلى أبى جعفر فى رقعة أدرجها فى أسفل كتابه يخبره خبر

إبراهيم وأنه طلبه فوجده قد سبقه منحدراً إلى البصرة فورد الكتاب على أبى جعفر فقرأ أوله فلم يجد إلا السلامة فألقى الكتاب إلى أبى أيوب المورياني فألقاه فى ديوانه فلما أرادوا أن يجيبوا الولاة عن كتبهم فتح أبان بن صدقة وهو يومئذ كاتب أبى أيوب كتاب الفضل لينظر فى تأريخه فأفضى إلى الرقعة فلما رأى أولها أخبر أمير المؤمنين أعادها فى الكتاب وقام إلى أبى جعفر فقرأ الكتاب فأمر باذكاء العيون ووضع المراصد والمسالح قال وحدثنى الفضل بن عبد الرحمن بن الفضل قال أخبرنى أبى قال سمعت إبراهيم يقول اضطرنى الطلب بالموصل حتى جلست على موائد أبى جعفر وذلك أنه قدمها يطلبنى فتحيرت فلفظتنى الأرض فجعلت لا أجد مساغا ووضع الطلب والمراصد ودعا الناس الى غدائه فدخلت فيمن دخل وأكلت فيمن أكل ثم خرجت وقد كف الطلب قال وحدثنى أبو نعيم الفضل بن دكين قال قال رجل لمطهر بن الحارث مر إبراهيم بالكوفة ولقيته قال لا والله مادخلها قط ولقد كان بالموصل ثم مر بالانبار ثم ببغداد ثم بالمدائن والنيل وواسط قال وحدثنى نصر بن قديد بن نصر قال كاتب إبراهيم قوما من أهل العسكر كانوا يتشيعون فكتب يسألونه الخروج اليهم ووعده الوثوب بأبى جعفر فخرج حتى قدم عسكر أبى جعفر وهو يومئذ نازل ببغداد فى فى الدير وقد خط بغداد وأجمع على البناء وكانت لأبى جعفر مرآة ينظر فيها فيرى عدوه من صديقه قال فزعم زاعم أنه نظر فيها فقال يامسيب قد والله رأيت إبراهيم فى عسكرى ومافى الأرض عدو أعدى لى منه فانظر ماأنت صانع قال وحدثنى عبد الله بن محمد بن البواب قال أمر أبو جعفر ببناء قنطرة الصراة العتيقة ثم خرج ينظر اليها فوقعت عينه على ابراهيم وخنس ابراهيم فذهب فى الناس فأتى فاميًا فلجأ اليه فأصعده غرفة له وجد أبو جعفر فى طلبه ووضع الرصد بكل مكان فنشب إبراهيم بمكانه الذى هو به وطلبه أبو جعفر أشد الطلب وخفى عليه أمره قال وحدثنى محمد بن معروف قال حدثنى أبى وحدثنى نصر بن قديد قال حدثنى أبى قال وحدثنى عبد الله بن محمد بن البواب وكثير بن النضر بن كثير وعمرو بن

إدريس وابن أبي سفيان العمى وانفقوا على جُل الحديث واختلفوا فى بعضه أن إبراهيم لما نشب وخاف الرصد كان معه رجل من بنى العم قال عمر فقال لى أبو صفوان يدعى روح بن ثقف وقال لى ابن البواب يكنى أبا عبد الله وقال لى الآخرون يقال له سفيان بن حيان بن موسى قال عمرو هو جد العمى الذى حدثنى قال قلت لإبراهيم قد نزل ماترى ولا بد من التغرير والمخاطرة قال فأنت وذاك فأقبل إلى الربيع فسأله الإذن قال ومن أنت قال أنا سفيان العمى فأدخله على أبي جعفر فلما رآه شتمه فقال ياأمير المؤمنين أنا أهل لما تقول غير أنى أتيتك نازعا تائبا ولك عندى كل ماتحب إن أعطيتنى ماأسألك قال ومالى عندك قال آتيك بابراهيم بن عبد الله بن حسن إنى قد بلوته وأهل بيته فلم أجد فيهم خيرا فمالى عندك إن فعلت قال كلّ ماتسألك فأين إبراهيم قال قد دخل بغداد أو هو داخلها عن قريب قال عمر وقال لى أبو صفوان قال هو بعبدسى تركته فى منزل خالد بن نهيك فاكتب لى جوازا ولغلام لى ولُفرانق واحملنى على البريد قال عمر وقال بعضهم وجِّهْ معى جُندا واكتب لى جوازاً ولغلام لى آتيك به قال فكتب له جوازا ودفع إليه جنداً وقال هذه ألف دينار فاستعن بها قال لاحاجة لى فيها كلها فأخذ ثلثمائة دينار وأقبل بها حتى أتى إبراهيم وهو فى بيت عليه مدرعة صوف وعمامة وقيل بل عليه قباء كأقبية العبيد فصاح به قم فوثب كالفزع فجعل يأمره وينهاه حتى أتى المدائن فمنعه صاحب القنطرة بها فدفع إليه جوازه فقال أين غلامك قال هذا فلما نظر فى وجهه قال والله ماهذا غلامك وإنه لإبراهيم بن عبد الله ابن حسن ولكن اذهب راشداً فأطلقهما وهرب قال عمر فقال بعضهم ركبا البريد حتى سارا بعبدسى ثم ركبا السفينة حتى قدما البصرة فاختفيا بها قال وقد قيل إنه خرج من عند أبي جعفر حتى قدم البصرة فجعل يأتى بهم الدار لها بابان فيقعد العشرة منهم على أحد البابين ويقول لاتبرحوا حتى آتيكم فيخرج من الباب الآخر ويتركهم حتى فرّق الجند عن نفسه وبقى وحده فاختفى حتى بلغ الخبر سفيان ابن معاوية فأرسل إليهم فجمعهم وطلب العمى فأعجزه قال عمر وحدثنى ابن عائشة

قال حدثنى أبى قال الذى احتال لإبراهيم حتى أنجاهما منه عمرو بن شداد قال عمر وحدثنى رجل من أهل المدائن عن الحسن بن عمرو بن شداد قال حدثنى أبى قال مرّ بى إبراهيم بالمدائن مستخفيا فأنزلته داراً لى على شاطئ دجلة وسُعى بى إلى عامل المدائن فضربنى مائة سوط فلم أقرر له فلما تركنى أتيت إبراهيم فأخبرته فانحدر قال وحدثنى العباس بن سفيان بن يحيى بن زياد مولى الحجاج بن يوسف وكان يحيى بن زياد ممن سبى من عسكر قطرىّ بن الفجاءة قال لما ظهر إبراهيم كنت غلاما ابن خمس سنين فسمعت أشياخنا يقولون إنه مر منحدرا يريد البصرة من الشأم فخرج إليه عبد الرحيم بن صفوان من موالى الحجاج ممن سبى من عسكر قَطَرِىّ قال فمشى معه حتى عبره المآصر قال فأقبل بعض من رآه فقال رأيت عبد الرحيم مع رجل شاطر محتجز بإزار مُوَرّد فى يده قوس جُلَاهِق يرمى به فلما رجع عبد الرحيم سئل عن ذلك فأنكره فكان إبراهيم يتنكر بذلك قال وحدثنى نصر بن قديد قال لما قدم إبراهيم منصرفه من بغداد نزل على أبى فروة فى كندة فاختفى وأرسل إلى الناس يندبهم للخروج قال عمر وحدثنى علىّ بن إسماعيل بن صالح بن ميثم الأهوازىّ قال حدثنى عبد الله بن الحسن بن حبيب عن أبيه قال كان إبراهيم مختفياً عندى على شاطئ دُجَيْل فى ناحية مدينة الأهواز وكان محمد ابن حصين يطلبه فقال يوما إن أمير المؤمنين كتب إلىّ يخبرنى أن المنجمين يخبرونه أن إبراهيم بالأهواز نازل فى جزيرة بين نهرين فقد طلبتُه فى الجزيرة حتى وثقت أنه ليس هناك يعنى بالجزيرة التى بين نهر الشاه جُرْد ودجيل فقد اعتزمت أن أطلبه غدا فى المدينة لعلّ أمير المؤمنين يعنى بين دجيل والمسرقان قال فأتيت إبراهيم فقلت له أنت مطلوب غدا فى هذه الناحية قال فأقمت معه بقية يومى فلما غشينى الليل خرجت به حتى أنزلته فى أدانى دست أربُك دون الكثّ فرجعت من ليلتى فأقمت أنتظر محمداً أن يغدُوَ لطلبه فلم يفعل حتى تصرم النهار وقربت الشمس تغرب فخرجت حتى جئت إبراهيم فأقبلت به حتى وافينا المدينة مع العشاء الآخرة ونحن على حمارين فلما دخلنا المدينة فصرنا عند الجبل المقطوع لقينا أوائل خيل

ابن حصين فرمى إبراهيم بنفسه عن حماره وتباعد وجلس يبول وطَوَتنى الخيل فلم يعرج علىّ منهم أحد حتى صرت إلى ابن حصين فقال لى أبا محمد من أين فى مثل هذا الوقت فقلت تمسيت عند بعض أهلى قال ألا أرسل معك من يبايغك قلت لا قد قربت من أهلى فمضى يطلب وتوجهت على سننى حتى انقطع آخر أصحابه ثم كررت راجعاً إلى إبراهيم فالتمست حماره حتى وجدته فركب وانطلقنا حتى بتنا فى أهلنا فقال إبراهيم تعلم والله لقد بلت البارحة دما فأرسل من ينظر فأتيت الموضع الذى بال فيه فوجدته قد بال دما قال وحدثنى الفضل بن عبد الرحيم بن سليمان بن علىّ قال قال أبو جعفر غَمِصَ علىّ أمر إبراهيم لما اشتملت عليه طفوف البصرة قال وحدثنى محمد بن مسعر بن العلاء قال لما قدم إبراهيم البصرة دعا الناس فأجابه موسى بن عمر بن موسى بن عبد الله بن خازم ثم ذهب بإبراهيم إلى النضر بن إسحق بن عبد الله بن خازم مختفيا فقال للنضر بن إسحق هذا رسول إبراهيم فكلمه إبراهيم ودعاه إلى الخروج فقال له النضر ياهذا كيف أبايع صاحبك وقد عند جدى عبد الله بن خازم عن جده علىّ بن أبى طالب وكان عليه فيمن خالفه فقال له إبراهيم دع سيرة الآباء عنك ومذاهبهم فانما هو الدين وأنا أدعوك إلى حق قال إنى والله ما ذكرتُ لك ما ذكرتُ إلا مازحا وما ذاك الذى يمنعنى من نصرة صاحبك ولكنى لا أرى القتال ولا أدينُ به قال وانصرف ابراهيم وتخلف موسى فقال هذا والله ابراهيم نفسه قال فبئس لعمر الله ما صنعتَ لو كنتَ أعلمتنى كلمتُه غير هذا الكلام قال وحدثنى نصر بن قديد قال دعا ابراهيم الناس وهو فى دار أبى فروة فكان أول من بايعه نميلة بن مرة وعفو الله بن سفيان وعبد الواحد ابن زياد وعمر بن سلمة الهجيمىّ وعبيد الله بن يحيى بن حصين الرقاشى وندبوا الناس له فأجاب بعدهم فتيان من العرب منهم المغيرة بن الفزع وأشباهٌ له حتى ظنوا أنه قد أحصى ديوانه أربعة آلاف وشهر أمره فقالوا له لو تحولت إلى وسط البصرة أتاك من أتاك وهو مُريح فتحوّل ونزل دار أبى مروان مولى بنى سليم رجل من أهل نيسابور قال وحدثنى يونس بن نجدة قال كان ابراهيم نازلا فى بنى

راسب على عبد الرحمن بن حرب فخرج من داره فى جماعة من أصحابه منهم عفو الله ابن سفيان وبرد بن لبيد أحد بنى يشكر والمضاء التغلبى والطهوى والمغيرة بن الفزع ونميلة بن مرة ويحيى بن عمرو الهمانىّ فمرّوا على جفرة بنى عقيل حتى خرجوا على الطفاوة ثم مروا على دار كرزم ونافع إبليس .... حتى دخلوا دار أبى مروان فى مقبرة بنى يشكر قال وحدثنى ابن عفو الله بن سفيان قال سمعتُ أبى يقول أتيتُ ابراهيم يوما وهو مرعوب فأخبرنى أن كتاب أخيه أتاه يخبره أنه قد ظهر ويأمره بالخروج قال فوجم من ذلك واغتم له فجعلت أسهل عليه الأمر وأقول قد اجتمع لك أمرك معك المضاء والطهوىّ والمغيرة وأنا وجماعة فنخرج إلى السجن فى الليل فنفتحه فتُصبح حين تصبح ومعك عالم من الناس فطابت نفسه قال وحدثنى سهل بن عقيل بن اسماعيل قال حدثنى أبى قال لما ظهر محمد أرسل أبو جعفر إلى جعفر بن حنظلة البهرانىّ وكان ذا رأى فقال هات رأيك قد ظهر محمد بالمدينة قال وجه الأجناد إلى البصرة قال انصرف حتى أرسل إليك فلما صار إبراهيم إلى البصرة أرسل اليه فقال قد صار ابراهيم إلى البصرة فقال إيَّاها خفتُ بادره بالجنود قال وكيف خفت البصرة قال لأن محمدا ظهر بالمدينة وليسوا بأهل حرب بحسبهم أن يقيموا شأن أنفسهم وأهل الكوفة تحت قدمك وأهل الشأم أعداء آل أبى طالب فلم يبق إلا البصرة فوجه أبو جعفر ابنى عقيل قائدين من أهل خراسان من طيئ فقدما وعلى البصرة سفيان بن معاوية فأنزلهما قال وحدّثنى جوّاد بن غالب بن موسى مولى بنى عجل عن يحيى بن بديل بن يحيى بن بديل قال لما ظهر محمد قال أبو جعفر لأبى أيوب وعبد الملك بن حميد هل من رجل ذى رأى تعرفانه نجمع رأيه على رأينا قالا بالكوفة بديل بن يحيى وقد كان أبو العباس يشاوره فأرسل اليه فقال إن محمدا قد ظهر بالمدينة قال فاشحن الأهواز جندا قال قد فهمتُ ولكن الأهواز بابُهم الذى يؤتون منه قال فقبل أبو جعفر رأيه قال فلما صار ابراهيم إلى البصرة أرسل إلى بديل فقال قد صار ابراهيم الى البصرة قال فعاجله بالجند وأشغل الأهواز عليه ❊ وحدثنى محمد بن حفص

الدمشقىّ مولى قريش قال لما ظهر محمد شاور أبو جعفر شيخا من أهل الشأم ذا رأى فقال وجه إلى البصرة أربعة آلاف من جند أهل الشأم فلها عنه وقال خَرِف الشيخُ ثم أرسل اليه فقال قد ظهر ابراهيم بالبصرة قال فوجه اليه جندا من أهل الشأم قال ويلك ومن لى بهم قال اكتب إلى عاملك عليها يحمل اليك فى كل يوم عشرة على البريد قال فكتب بذلك أبو جعفر إلى الشأم قال عمر بن حفص فانى لأذكر أبى يعطى الجند حينئذ وأنا أمسك له المصباح وهو يعطيهم ليلا وأنا يومئذ غلام شاب قال وحدثنى سَهلُ بن عقيل قال أخبرنى سلمُ بن فرقد قال لما أشار جعفر بن حنظلة على أبى جعفر بحدر جند الشأم اليه كانوا يقدمون أرسالا بعضهم على أثر بعض وكان يريد أن يروّع بهم أهل الكوفة فاذا جنهم الليل فى عسكره أمرهم فرجعوا منكّبين عن الطريق فاذا أصبحوا دخلوا فلا يشك أهل الكوفة أنهم جند آخرون سوى الأولين * حدثنى عبد الحميد وكان من خدم أبى العباس قال كان محمد بن يزيد من قواد أبى جعفر وكان له دابةٌ شِهْرِىّ كميت فربما مرّ بنا ونحن بالكوفة وهو راكبه قد ساوى رأُسه رأسَه فوجهه أبو جعفر إلى البصرة فلم يزل بها حتى خرج ابراهيم فأخذه فحبسه * حدثنى سعيد بن نوح بن مجالد الضبعىّ قال وجه أبو جعفر مجالدا ومحمدا ابنى يزيد بن عمران من أهل ابيورد قائدين فقدم مجالد قبل محمد ثم قدم محمد فى الليلة التى خرج فيها ابراهيم فثبطهما سفيان وحبسهما عنده فى دار الإمارة حتى ظهر ابراهيم فأخذهما فقيدهما ووجه أبو جعفر معهما قائداً من عبد القيس يدعى معمرا * حدثنى يونس بن نجدة قال قدم على سفيان مجالدُ بن يزيد الضبعىّ من قبل أبى جعفر فى ألف وخمسمائة فارس وخمسمائة راجل * حدثنى سعيد بن الحسن بن تَسنيم بن الحوارى بن زياد بن عمرو بن الأشرف قال سمعت من لا أحصى من أصحابنا يذكرون أن أبا جعفر شاور فى أمر ابراهيم فقيل له إن أهل الكوفة له شيعة والكوفة قدر يفور أنت طَبقُها فاخرج حتى تنزلها ففعل * حدثنى مسلم الخصىّ مولى محمد بن سليمان قال كان أمر ابراهيم وأنا ابن بضع عشرة سنة وأنا يومئذ لأبى جعفر فأنزلنا الهاشمية بالكوفة

ونزل هو بالرصافة فى ظهر الكوفة وكان جميع جنده الذين فى عسكره نحوا من ألف وخمسمائة وكان المسيب بن زهير على حرسه فجزّأ الجند ثلاثة أجزاء خمسمائة خمسمائة فكان يطوف الكوفة كلها فى كل ليلة وأمر منادياً فنادى من أخذناه بعد عتمة فقد أحل بنفسه فكان إذا أخذ رجلا بعد عتمة لفه فى عباءة وحمله فبيّته عنده فإذا أصبح سأل عنه فان علم براءته أطلقه وإلا حبسه قال وحدّثنى أبو الحسن الحذاء قال أخذ أبو جعفر الناس بالسواد فكنت أراهم يصبغون ثيابهم بالمداد ※ وحدثنى علىّ بن الجعد قال رأيتُ أهل الكوفة أيامئذ أخذوا بلبس الثياب السود حتى البقالين أن أحدهم ليصبغ الثوب بالأنقاس ثم يلبسه ※ وحدثنى جواد ابن غالب قال حدثنى العباس بن سلم مولى قحطبة قال كان أمير المؤمنين أبو جعفر إذا اتهم أحدا من أهل الكوفة بالميل إلى إبراهيم أمر أبى سلما بطلبه فكان يمهل حتى إذا غسق الليل وهدأ الناس نصب سلما على منزل الرجل فطرقه فى بيته حتى يخرجه فيقتله ويأخذ خاتمه قال أبو سهل جواد فسمعت جميلا مولى محمد بن أبى العباس يقول للعباس بن سلم والله لولم يورثك أبوك إلا خواتيم مَن قتل من أهل الكوفة كنت أيسر الأبناء ※ حدثنى سهل بن عقيل قال حدثنى سلم بن فرقد حاجب سليمان بن مجالد قال كان لى بالكوفة صديق فأتانى فقال أياهذا اعلم أن أهل الكوفة معدّون للوثوب بصاحبكم فان قدرت على أن تبوّئ أهلك مكانا حريزا فافعل قال فأتيتُ سليمان بن مجالد فأخبرته الخبر فأخبر أبا جعفر ولأبى جعفر عين من أهل الكوفة من الصيارفة يدعى ابن مقرن قال فأرسل اليه فقال ويحك قد تحرّك أهل الكوفة فقال لا والله ياأمير المؤمنين أنا عذيرك منهم قال فركن إلى قوله وأضرب عنهم ※ وحدثنى يحيي بن ميمون من أهل القادسية قال سمعت عدّة من أهل القادسية يذكرون أن رجلا من أهل خراسان يكنى أباالفضل ويسمى فلان ابن معقل ولى القادسية ليمنع أهل الكوفة من اتيان إبراهيم وكان الناس قدرصدوا فى طريق البصرة فكانوا يأتون القادسية ثم العُذَيب ثم وادىَ السباع ثم يعدلون ذات اليسار فى البر حتى يقدموا البصرة قال فخرج نفر

من الكوفة اثنا عشر رجلا حتى إذا كانوا بوادى السباع لقيهم رجل من موالى بنى أسد يسمى بكراً من أهل شراف دون واقصة بميلين من أهل المسجد الذى يدعى مسجد الموالى فأتى ابن معقل فأخبره فاتبعهم فأدركهم بخفان وهى على أربعة فراسخ من القادسية فقتلهم أجمعين ❊ حدثنى إبراهيم بن سَلْم قال كان الفرافصة العجلىّ قد همّ بالوثوب بالكوفه فامتنع لمكان أبى جعفر ونزوله بها وكان ابن ماعز الأسدى يبايع لابراهيم فيها سرّا ❊ حدثنى عبد الله بن راشد بن يزيد قال سمعت اسماعيل بن موسى البجلىّ وعيسى بن النضر السّمّانين وغيرهما يخبرون أن غَزوانَ كان لآل القعقاع بن ضرار فاشتراه أبو جعفر فقال له يوما يا أمير المؤمنين هذه سفن منحدرة من الموصل فيها مبيّضةُ تريد ابراهيم بالبصرة قال فضمّ اليه جنداً فلقيهم بباخَمْشابين بغداد والموصل فقتلهم أجمعين وكانوا تجارى فيهم جماعة من العُباد من أهل الخير وغيرهم وفيهم رجل يُدعى أبا العرفان من آل شعيب السمان فجعل يقول ويلك يا غزوان ألست تعرفنى أنا أبو العرفان جارك إنما شخصت برقيق لى فبعتهم فلم يقبل وقتلهم أجمعين وبعث برؤوسهم إلى الكوفة فنصبت ما بين دار إسحاق الأزرق إلى جانب دار عيسى بن موسى إلى مدينة ابن هبيرة قال أبو أحمد عبد الله بن راشد فأنا رأيتها منصوبةً على كوم التراب قال وحدثنا أبو على القَدّاح قال حدثنى داود بن سليمان ونيبخت وجماعة من القداحين قالوا كنا بالموصل وبها حرب الراوندىّ رابطة فى ألفين لمكان الخوارج بالجزيرة فأتاه كتاب أبى جعفر يأمره بالقفل اليه فشخص فلما كان بباحمشا اعترض له أهلها وقالوا لا نَدَعُك تجوزنا لتنصر أبا جعفر على إبراهيم فقال لهم ويحكم إنى لا أريد بكم سوءاً انما أنا مارٌّ دعونى قالوا لا والله لا تجوزنا أبدا فقاتلهم فأبارهم وحمل منهم خمسمائة رأس فقدم بها على أبى جعفر وقص عليه قصتهم قال أبو جعفر هذا أوّل الفتح ❊ وحدثنى خالد بن خداش بن عجلان مولى عمر بن حفص قال حدثنى جماعة من أشياخنا أنهم شهدوا دفيف بن راشد مولى بنى يزيد بن حاتم أتى سفيان بن معاوية قبل خروج ابراهيم بليلة فقال ادفع إلىّ فوارس آتك بابراهيم أو برأسه قال أو مالك

عمل اذهب إلى عملك قال فخرج دفيف من ليلته فلحق بيزيد بن حاتم وهو بمصر ✻ وحدثني خالد بن خداش قال سمعت عدّة من الأزد يحدثون عن جابر بن حماد وكان على شرطة سفيان أنه قال لسفيان قبل خروج ابراهيم بيوم إنى مررت فى مقبرة بنى يشكر فصيّحوا بى ورمونى بالحجارة فقال له أكان لك طريق ✻ وحدثنى أبو عمر الحوضىّ حفص بن عمر قال مرّ عاقب صاحب شرط سفيان يوم الأحد قبل ظهور ابراهيم بيوم فى مقبرة بنى يشكر فقيل له هذا إبراهيم يريد الخروج فقال كذبتم ولم يعرّج على ذلك قال أبو عمر الحوضىّ جعل أصحاب ابراهيم ينادون سفيان وهو محصور اذكر بيعتك فى دار المخزوميين قال أبو عمرو حدثنى محارب ابن نصر قال مرّ سفيان بعد قتل ابراهيم فى سفينة وأبو جعفر مُشرِف من قصره فقال إنّ هذا لسفيان قالوا نعم قال والله للعَجب كيف يفلتنى ابن الفاعلة قال الحوضىّ قال سفيان لقائد من قوّاد ابراهيم أقِمْ عندى فليس كل أصحابك يعلم ما كان بينى وبين ابراهيم قال وحدّثنى نصر بن فرقد قال كان كرزم السدوسىّ يغدو على سفيان بخبر إبراهيم ويروح ويُعْلمه من يأتيه فلا يعرض له ولا يتبع له أثرا وذكر أن سفيان بن معاوية كان عامل المنصور أيامئذ على البصرة وكان قدمالأ ابراهيم ابن عبد الله على أمره فلا ينصح لصاحبه ✻ اختلف فى وقت قدوم ابراهيم البصرة فقال بعض كان قدومه إياها أول يوم من شهر رمضان فى سنة ١٤٥

ذكر من قال ذلك

✻ حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال قال محمد بن عمر لما ظهر محمد ابن عبد الله بن الحسن وغلب على المدينة ومكة وسُلم عليه بالخلافة وجه أخاه إبراهيم ابن عبد الله إلى البصرة فدخلها فى أول يوم من شهر رمضان سنة ١٤٥ فغلب عليها وبيّض بها وبيض بها أهل البصرة معه وخرج معه عيسى بن يونس ومُعاذ ابن معاذ بن العوام وإسحاق بن يوسف الأزرق ومعاوية بن هشام وجماعة كثيرة من الفقهاء وأهل العلم فلم يزل بالبصرة شهر رمضان وشوالا فلما بلغه قتل أخيه محمد بن عبد الله تأهّب واستعد وخرج يريد أبا جعفر بالكوفة وقد ذكرنا قول

من قال كان مقدم إبراهيم البصرة فى أول سنة ١٤٣ غير أنه كان مقيما بها مختفيا يدعو أهلها فى السر إلى البيعة لأخيه محمد * فذكر سهل بن عقيل عن أبيه أن سفيان كان يرسل إلى قائدين كانا قدما عليه من عند أبى جعفر مدداً له قبل ظهور إبراهيم فيكونان عنده فلما وعده إبراهيم بالخروج أرسل إليهما فاحتبسهما عنده تلك الليلة حتى خرج فأحاط به وبهما فأخذهما * وحدثت عن محمد بن معروف بن سويد قال حدثنى أبى قال وجه أبو جعفر مجالدا ومحمدا ويزيد قواداً ثلاثة كانوا إخوة قبل ظهور إبراهيم فقدّموا جندهم فجعلوا يدخلون البصرة تَترَى بعضهم على أثر بعض فأشفق إبراهيم أن يكثروا بها فظهر * وذكر نصر بن قديد أن إبراهيم خرج ليلة الاثنين لغرة شهر رمضان من سنة ١٤٥ فصار إلى مقبرة بنى يشكر فى بضعة عشر رجلا فارسا فيهم عبيد الله بن يحيى بن حصين الرقاشى قال وقدم تلك الليلة أبو حماد الأبرص مدداً لسفيان فى ألفى رجل فنزل الرحبة إلى أن يُنزلوا فسار إبراهيم فكان أول شيء أصاب دوابَّ أولئك الجند وأسلحتهم وصلى بالناس الغداة فى المسجد الجامع وتحصن سفيان فى الدار ومعه فيها جماعة من بنى أبيه وأقبل الناس إلى إبراهيم من بين ناظر وناصر حتى كثروا فلما رأى ذلك سفيان طلب الأمان فأجيب إليه فدس إلى إبراهيم مطهر بن جويرية السدوسى فأخذ لسفيان الأمان وفتح الباب ودخل إبراهيم الدار فلما دخلها ألقى له حصير فى مُقَدَّم الإيوان فهبت ريح فقلبته ظهراً لبطن فتطير الناسُ لذلك فقال إبراهيم إنا لا نتطير ثم جلس عليه مقلوبا والكراهة تُرَى فى وجهه فلما دخل إبراهيم الدار خلى عن كلّ من كان فيها فيما ذكر غير سفيان بن معاوية فإنه حبسه فى القصر وقيده قيداً خفيفا فأراد إبراهيم فيما ذكر بذلك من فعله أن يُرِى أبا جعفر أنه عنده محبوس وبلغ جعفرا ومحمدا ابنى سليمان بن على وكانا بالبصرة يومئذ مصير إبراهيم الى دار الإمارة وحبسه سفيان فأقبلا فيما قيل فى ستمائة من الرجالة والفرسان والناشبة يريدانه فوجه إبراهيم اليهما المضاء بن القاسم الجزرى فى ثمانية عشر فارسا وثلاثين راجلا فهزمهم المضاءُ ولحق محمداً رجل من أصحاب المضاء فطعنه فى فخذه ونادى مناد لإبراهيم

لا يتبع مدبر ومضى هو بنفسه حتى وقف على باب زينب بنت سليمان فنادى بالأمان لآل سليمان وأن لا يعرض لهم أحد * وذكر بكر بن كثير أن إبراهيم لما ظهر على جعفر ومحمد وأخذ البصرة وجد فى بيت المال ستمائة ألف فأمر بالاحتفاظ بها وقيل إنه وجد فى بيت المال ألفى ألف درهم فقوى بذلك وفرض لكل رجل خمسين خمسين فلما غلب إبراهيم على البصرة وجه فيما ذكر إلى الأهواز رجلا يدعى الحسين بن ثَوْلاء يدعوهم إلى البيعة فخرج فأخذ بيعتهم ثم رجع إلى إبراهيم فوجه إبراهيم المغيرة فى خمسين رجلا ثم اجتمع إلى المغيرة لما صار إلى الأهواز تمام مائة رجل وكان عامل الأهواز يومئذ من قبل أبى جعفر محمد بن الحصين فلما بلغ ابن الحصين دنو المغيرة منه خرج إليه بمن معه وهم فيما قيل أربعة آلاف فالتقوا على ميل من قصبة الأهواز بموضع يقال له دشت أرُبك فانكشف ابن حصين وأصحابه ودخل المغيرة الأهواز (وقد قيل) إن المغيرة صار إلى الأهواز بعد شخوص إبراهيم عن البصرة إلى باخَمْرى * ذكر محمد بن خالد المربعى أن إبراهيم لما ظهر على البصرة ثم أراد الخروج إلى ناحية الكوفة استخلف على البصرة نميلة بن مرة العبشَمى وأمر بتوجيه المغيرة بن الفزع أحد بنى بهدلة بن عوف إلى الأهواز وعليها يومئذ محمد بن الحصين العبدى ووجه إبراهيم إلى فارس عمرو ابن شدّاد عاملا عليها فمر برام هرمز بيعقوب بن الفضل وهو بها فاستتبعه فشخص معه حتى قدم فارس وبها اسماعيل بن على بن عبد الله عاملا عليها من قبل أبى جعفر ومعه أخوه عبد الصمد بن على فلما بلغ اسماعيل بن على وعبد الصمد إقبال عمرو بن شداد ويعقوب بن الفضل وكانا باصطخر بادرا إلى دارابجرد فتحصنا بها فصارت فارس فى يد عمرو بن شداد ويعقوب بن الفضل فصارت البصرة والأهواز وفارس فى سلطان ابراهيم * وحدثت عن سليمان بن أبى شيخ قال لما ظهر إبراهيم بالبصرة أقبل الحكم بن أبى غيلان اليشكرى فى سبعة عشر ألفا حتى دخل واسط وبها هارون بن حميد الأيادى من قبل أبى جعفر فدخل هارون تنورا فى القصر حتى أخرج منه وأتى أهلُ واسط حفص بن عمر بن حفص بن عمر بن عبد الرحمن

ابن الحارث بن هشام بن المغيرة فقالوا له أنت أولى من هذا الهجيمى فأخذها حفص وخرج منها اليشكرى وولى حفص شرطه أبا مقرن الهجيمى * وذكر عمر ابن عبد الغفار بن عمرو الفُقَيْمى ابن أخى الفضل بن عمرو الفقيمى قال كان إبراهيم واجدا على هارون بن سعد لا يكلمه فلما ظهر إبراهيم قدم هارون بن سعد فأتى سلم بن أبى واصل فقال له أخبرنى عن صاحبك أما به إلينا حاجة فى أمره هذا قال بلى لعمر الله ثم قام فدخل على إبراهيم فقال هذا هارون بن سعد قد جاءك قال لا حاجة لى به قال لا تفعل فى هارون تزهّد فلم يزل به حتى قبله وأذن له فدخل عليه فقال له هارون استكفِنى أهم أمورك إليك فاستكفاه واسط واستعمله عليها قال سليمان بن أبى شيخ حدثنى أبو الصعدى قال أتانا هارون بن سعد العجلى من أهل الكوفة وقد وجهه إبراهيم من البصرة وكان شيخا كبيرا وكان أشهر من معه من أهل البصرة الطهوى وكان معه ممن يشبه الطهوى فى نجدته من أهل واسط عبد الرحيم الكلبى وكان شجاعا وكان ممن قدم به أو قدم عليه عبدويه كردام الخراسانى وكان من فرسانهم صدقة بن بكار وكان منصور بن جمهور يقول إذا كان معى صدقة بن بكار فما أبالى من لقيت فوجه أبو جعفر إلى واسط لحرب هارون بن سعد عامر بن إسماعيل المُسلى فى خمسة آلاف فى قول بعضهم وقال بعضهم فى عشرين ألفا وكانت بينهم وقعات * وذكر عن ابن أبى الكرام أنه قال قدمت على أبى جعفر برأس محمد وعامر بن إسماعيل بواسط محاصر هارون ابن سعد وكانت الحرب بين أهل واسط وأصحاب أبى جعفر قبل شخوص إبراهيم من البصرة * فذكر سليمان بن أبى شيخ قال عسكر عامر بن إسماعيل من وراء النيل فكانت أول حرب جرت بينه وبين هارون فضربه عبدٌ سقاءٌ وجرحه وصرعه وهو لا يعرفه فأرسل اليه أبو جعفر بظبية فيها صمغ عربى وقال داو بها جراحتك فالتقوا غير مرة فقتل من أهل البصرة وأهل واسط خلق كثير وكان هارون ينهاهم عن القتال ويقول لو لقى صاحبنا صاحبهم تبين لنا الأمر فاستبقوا أنفسكم فكانوا لا يفعلون فلما شخص إبراهيم إلى باخمرى كفّ الفريقان من أهل

واسط وعامر بن إسماعيل بعضهم عن بعض وتوادعوا على ترك الحرب إلى أن يلتقى الفريقان ثم يكونوا تبعا للغالب فلما قتل إبراهيم أراد عامر بن إسماعيل دخول واسط فمانعه أهلها الدخول قال سليمان لما جاء قتل إبراهيم هرب هارون ابن سعد وصالح أهل واسط عامر بن إسماعيل على أن يؤمنهم فلم يثق كثير منهم بأمانه فخرجوا منها ودخلها عامر بن إسماعيل وأقام بواسط فلم يُهج أحداً * وكان عامر فيما ذكر صالح أهل واسط على أن لا يقتل أحدا بواسط فكانوا يقتلون كلّ من يجدونه من أهل واسط خارجا منها ولما وقع الصلح بين أهل واسط وعامر بعد قتل إبراهيم هرب هارون بن سعد إلى البصرة فتوفى قبل أن يبلغها فيما ذكر * وقيل إن هارون بن سعد اختفى فلم يزل مختفيا حتى ولى محمد بن سليمان الكوفة فأعطاه الأمان واستدرجه حتى ظهر وأمره أن يفرض لمائتين من أهل بيته فهمّ أن يفعل وركب إلى محمد فلقيه ابن عمّ له فقال له أنت مخدوع فرجع فتوارى حتى مات وهدم محمد بن سليمان داره قال ولم يزل إبراهيم مقيما بالبصرة بعد ظهوره بها يفرق العمال فى النواحى ويوجه الجيوش إلى البلدان حتى أتاه نعىّ أخيه محمد * فذكر نصر بن قديد قال فرض إبراهيم فروضا بالبصرة فلما كان قبل الفطر بثلاثة أيام أتاه نعىّ أخيه محمد فخرج بالناس إلى العيد وهم يعرفون فيه الانكسار وأخبر الناس بقتل محمد فازدادوا فى قتال أبى جعفر بصيرة وأصبح من الغد فعسكر واستخلف نميلة على البصرة وخلف ابنه حسنا معه قال سعيد بن هريم حدثنى أبى قال قال علىّ بن داود لقد نظرت إلى الموت فى وجه إبراهيم حين خطبنا يوم الفطر فانصرفت إلى أهلى فقلت قتل والله الرجل * وذكر محمد بن معروف عن أبيه أن جعفراً ومحمداً ابنى سليمان لما شخصا من البصرة أرسلاه إلى أبى جعفر ليخبره خبر إبراهيم قال فأخبرته خبرهما فقال والله ما أدرى كيف أصنع والله ما فى عسكرى إلا ألفا رجل فرقت جندى فمع المهدى بالرىّ ثلاثون ألفا ومع محمد بن الأشعث بإفريقية أربعون ألفا والباقون مع عيسى بن موسى والله لئن سلمت من هذه لا يفارق عسكرى ثلاثون ألفا وقال عبد الله بن راشد

ما كان فى عسكر أبى جعفر كثير أحد ماهم إلا سودان وناس يسير وكان يأمر بالحطب فيحزم ثم يوقد بالليل فيراه الرائى فيحسب أن هناك ناسا وماهى إلا نار تضرم وليس عندها أحد قال محمد بن معروف بن سويد حدثنى أبى قال لما ورد الخبر على أبى جعفر كتب الى عيسى بن موسى وهو بالمدينة اذا قرأت كتابى هذا فأقبل ودع كل ماأنت فيه قال فلم ينشب أن قدم فوجهه على الناس وكتب الى سلم بن قتيبة فقدم عليه من الرىّ فضمه الى جعفر بن سليمان * فذكر عن يوسف ابن قتيبة بن مسلم قال أخبرنى أخى سلم بن قتيبة بن مسلم قال لما دخلت على أبى جعفر قال لى اخرج فإنه قد خرج ابنا عبد الله فاعمد لإبراهيم ولا يروعنك جمعه فوالله انهما جملا بنى هاشم المقتولان جميعا فابسط يدك وثق بما أعلمتك وستذكر مقالتى لك قال فوالله ماهو إلا أن قتل ابراهيم فجعلت أتذكر مقالته فأعجب قال سعيد ابن سلم فاستعمله على ميسرة الناس وضم اليه بشار بن سلم العقيلى وأبا يحيى بن حريم وأبا هراسة سنان بن مخيّس القشيرىّ وكتب سلم الى البصرة فلحقت به باهلة عُرْبُها وموالها وكتب المنصور إلى المهدىّ وهو يومئذ بالرىّ يأمره بتوجيه خازم بن خزيمة إلى الأهواز فوجهه المهدىّ فيما ذكر فى أربعة آلاف من الجند فصار إليها وحارب بها المغيرة فانصرف إلى البصرة ودخل خازم الأهواز فأباحها ثلاثا * وذكر عن الفضل بن العباس بن موسى وعمر بن ماهان أنهما سمعا السندى يقول كنت وصيفا أيام حرب محمد أقوم على رأس المنصور بالمذبّة فرأيته لما كشف أمر إبراهيم وغاظ أقام على مصلى نيفا وخمسين ليلة ينام عليه ويجلس عليه وعليه جبة ملونة قد اتسخ جيبها وماتحت لحيته منها فما غير الجبة ولا هجر المصلى حتى فتح الله عليه إلا أنه كان إذا ظهر للناس علا الجبة بالسواد وقعد على فراشه فإذا بطن عاد إلى هيئته قال فأتته ريسانة فى تلك الأيام وقد أهديت له امرأتان من المدينة احداهما فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله والأخرى أم الكريم بنت عبد الله من ولد خالد بن أسيد بن أبى العيص فلم ينظر اليهما فقالت ياأمير المؤمنين إن هاتين المرأتين قد خبثت أنفسهما وساءت ظنونهما لما ظهر

من جفائك لهما فنهرها وقال ليست هذه الأيام من أيام النساء لا سبيل لى اليهما حتى أعلم أرأس إبراهيم لى أم رأسى لإبراهيم وذكر أن محمدا وجعفراً ابنى سليمان كتبا الى أبى جعفر يعلمانه بعد خروجهما من البصرة الخبر فى قطعة جراب ولم يقدرا على شىء يكتبان فيه غير ذلك فلما وصل الكتاب اليه فرأى قطعة جراب بيد الرسول قال خلع والله أهل البصرة مع ابراهيم ثم قرأ الكتاب ودعا بعبد الرحمن الختلى وبأبى يعقوب ختن مالك بن الهيثم فوجههما فى خيل كثيفة اليهما وأمرهما أن يحبساهما حيث لقياهما وأن يعسكرا معهما ويسمعا ويطيعا لهما وكتب اليهما يعجزهما ويضعفهما ويوبخهما على طمع ابراهيم فى الخروج إلى مصر هما فيه واستتار خبره عنهما حتى ظهر وكتب فى آخر كتابه

أَبْلِغْ بنى هاشم عَنِّى مُغَلْغَلَةً فاستَيقِظُوا إنَّ هذا فِعْلُ نُوّامِ

تعدوا الذئاب على من لا كلاب له وتَتَّقِي مَرْبِضَ المُسْتَنفِرِ الحامى

وذكر عن جعفر بن ربيعة العامرى عن الحجاج بن قتيبة بن مسلم قال دخلت على المنصور أيام حرب محمد وابراهيم وقد جاءه فتق البصرة والأهواز وفارس وواسط والمدائن والسواد وهو ينكت الأرض بمخصرته ويتمثل

ونصبتُ نفسى للرِّماح دَرِيَّةً إنَّ الرئيسَ لمثلِ ذاك فَعُول

قال فقلت يا أمير المؤمنين أدام الله اعزازك ونصرك على عدوك أنت كما قال الأعشى

وإنْ حَرْبُهم أوقِدَتْ بينهم فَحَرّتْ لهم بعد إبرادها

وُجِدتُ صَبُورًا على حَرِّها وكَرِّ الحُرُوبِ وتَرْدادها

فقال يا حجاج إن ابراهيم قد عرف وعورة جانبى وصعوبة ناحيتى وخشونة قرنى وإنما جرأه على المسير إلى من البصرة اجتماع هذه الكور المطلة على عسكر أمير المؤمنين وأهل السواد معه على الخلاف والمعصية وقد رميت كل كورة بحجرها وكل ناحية بسهمها ووجهت اليهم الشهم النجد الميمون المظفر عيسى ابن موسى فى كثرة من العدد والعدة واستعنت بالله عليه واستكفيته إياه فإنه

لا حول ولا قوة لأمير المؤمنين إلا به قال جعفر بن ربيعة قال الحجاج بن قتيبة لقد دخلت على أمير المؤمنين المنصور فى ذلك اليوم مسلماً وما أظنه يقدر على رد السلام لتتابع الفتوق والخروق عليه والعساكر المحيطة به ولمائة ألف سيف كامنة له بالكوفة بإزاء عسكره ينتظرون به صيحة واحدة فيثبون فوجدته صقرا أحوزيا مشمراً قد قام إلى ما نزل به من النوائب يعركها ويمرسها فقام بها ولم تقعد به نفسه وإنه لكما قال الأول

نفسُ عِصامٍ سوَّدَتْ عِصاما وعَلَّمَتْهُ الكرّ والإقداما
وصَيَّرَتْهُ مَلِكا هُمَامَا

وذكر أبو عبيدة أنه كان عند يونس الجرمى وقد وجه محمد بن عبد الله أخاه لحرب أبى جعفر فقال يونس قدم هذا يريد ان يزيل ملكا فألهته ابنة عمر بن سلمة عما حاوله ولقد أهديت اليتيمة إلى أبى جعفر فى تلك الأيام فتركها يمزجر الكلب فما نظر اليها حتى انقضى أمر ابراهيم وكان ابراهيم تزوج بعد مقدمه البصرة بهكنة بنت عمر بن سلمة فكانت تأتيه فى مصبغاتها وألوان ثيابها فلما أراد ابراهيم الشخوص نحو أبى جعفر دخل فيما ذكر بشر بن سلم عليه نميلة والطهوى وجماعة من قواده من أهل البصرة فقالوا له أصلحك الله إنك قد ظهرت على البصرة والأهواز وفارس وواسط فأقم بمكانك ووجه الأجناد فان هزم لك جند أمددتهم بجند وإن هزم لك قائد أمددته بقائد نخيف مكانك واتقاك عدوك وجبيت الأموال وثبتت وطأتك ثم رأيك بعد فقال الكوفيون أصلحك الله إن بالكوفة رجالا لو قد رأوك ما توا دونك وإلا يروك تقعد بهم أسباب شتى فلا يأتونك فلم يزالوا به حتى شخص وذكر عن عبد الله بن جعفر المدينى قال خرجنا مع ابراهيم إلى باخمرى فلما عسكرنا أتانا ليلة من الليالى فقال انطلق بنا نطف فى عسكرنا قال فسمع أصوات طنابير وغناء فرجع ثم أتانى ليلة أخرى فقال انطلق بنا فانطلقت معه فسمع مثل ذلك فرجع وقال ما أطمع فى نصر عسكر فيه مثل هذا وذكر عن عفان بن مسلم الصفار قال لما عسكر ابراهيم

افترض معه رجال من جيراننا فأتيت معسكره فحزرت أن معه أقل من عشرة آلاف فأما داود بن جعفر بن سليمان فانه قال أحصى فى ديوان ابراهيم من أهل البصرة مائة ألف ووجه أبو جعفر عيسى بن موسى فيما ذكر ابراهيم بن موسى ابن عيسى فى خمسة عشر ألفاً وجعل على مقدمته حميد بن قحطبة على ثلاثة آلاف فلما شخص عيسى بن موسى نحو ابراهيم سار معه فيما ذكر أبو جعفر حتى بلغ نهر البصريين ثم رجع أبو جعفر وسار ابراهيم من معسكره بالماخور من خريبة البصرة نحو الكوفة فذكر بعض بنى تيم الله عن أوس بن مهلهل القطعى قال مر بنا ابراهيم فى طريقه ذلك ومنزلنا بالقباب التى يدعى قباب أوس فخرجت أتلقاه مع أبى وعمى فانتهينا اليه وهو على برذون له يرتاد منزلا من الأرض قال فسمعته يتمثل أبياتا للقطامى

أُمور لو يُدَبِّرُها حَليمٌ ... إذا النهى وهيّب ما استَطاعا
ومَعْصِيَةُ الشَّفِيقِ عليك مِمَّا ... يزيدك مرةً منه استماعا
وخَيْرُ الأمرِ ما استَقْبلتَ منه ... ولَيْسَ بأنْ تتبّعهُ اتباعا
ولكنّ الأدِيمَ إذا تفرّى ... بِلى وتَعَيُّبا غلَبَ الصَّناعا

فقلت للذى معى انى لأسمع كلام رجل نادم على مسيره ثم سار فلما بلغ كرخثا قال له فيما ذكر عن سليمان بن أبى شيخ عن عبد الواحد بن زياد بن لبيد ان هذه بلاد قومى وأنا أعلم بها فلا تقصد قصد عيسى بن موسى وهذه العساكر التى وجهت اليك ولكنى أسلك بك إن تركتنى طريقاً لا يشعر بك أبو جعفر إلا وأنت معه بالكوفة فأبى عليه قال فإنا معشر ربيعة أصحاب بيات فدعنى أبيت أصحاب عيسى بياتا قال انى أكره البيات وذكر عن سعيد بن هريم ان أباه أخبره قال قلت لإبراهيم إنك غير ظاهر على هذا الرجل حتى تأخذ الكوفة فإن صارت لك مع تحصنه بها لم تقم له بعدها قائمة ولى بعدبها أهيْلٌ فدعنى أسر اليها مختفياً فى السر ثم أجهر فانهم إن سمعوا داعيا اليك أجاو، فان سمع أبو جعفر الهيعة بأرجاء الكوفة لم يرد وجهه شىء دون حلوان قال فأقبل على بشير الرجال فقال ماترى ياأبا محمد قال إنا

لو وثقنا بالذى تصف لكان رأيا ولكنا لا نأمن أن تجيبك منهم طائفة فيرسل اليهم أبو جعفر خيلا فيطأ البرىء والنَّطِفَ والصغير والكبير فتكون قد تعرّضت لمأثم ذلك ولم تبلغ منه ما أملتَ فقلتُ لبشير أخرجت حين خرجت لقتال أبى جعفر وأصحابه وأنت تتوقى قتل الضعيف والصغير والمرأة والرجل أو ليس قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه السرية فيقاتل فيكون فى ذلك نحو ما كرهت فقال إن أولئك كانوا مشركين كلهم وهؤلاء أهل ملتنا ودعوتنا وقبلتنا حكمهم غير حكم أولئك فاتبع إبراهيم رأيه ولم يأذن له وسار إبراهيم حتى نزل باخمرى وذكر خالد بن أسيد الباهلى أنه لما نزلها أرسل اليه سلم بن قتيبة حكيم بن عبد الكريم إنك قد أصحرت ومثلك أنفس به عن الموت تخندق على نفسك حتى لا تؤتى إلا من مأتى واحد فان أنت لم تفعل فقد أعرى أبو جعفر عسكره فتخفف فى طائفة حتى تأتيه فتأخذ بقفاه قال فدعا ابراهيم أصحابه فعرض ذلك عليهم فقالوا نخندق على أنفسنا ونحن ظاهرون عليهم لا والله لا نفعل قال فنأتيه قالوا ولِمَ وهو فى أيدينا متى أردناه فقال إبراهيم لحكيم قد تسمع فارجع راشداً فذكر إبراهيم بن سلم أن أخاه حدثه عن أبيه قال لما التقينا صف لهم أصحابنا فخرجت من صفهم فقلت لابراهيم إن الصف إذا انهزم بعضه تداعى فلم يكن لهم نظام فاجعلهم كراديس فإن انهزم كردوس ثبت كردوس فتنادوا لا إلا قتال أهل الإسلام يريدون قوله تعالى «يُقاتلون فى سَبيله صفاً» وذكر يحيي بن شكر مولى محمد بن سليمان قال قال المضاء لما نزلنا باخمرى أتيتُ إبراهيم فقلت له إن هؤلاء القوم مصبحوك بما يسدّ عليك مغرب الشمس من السلاح والكراع وإنما معك رجال عراة من أهل البصرة فدعنى أبيته فوالله لأشتتن جموعه فقال إنى أكره القتل فقلت تريد الملك وتكره القتل ❊ وحدثنى الحارث قال حدثنى ابن سعد قال حدثنا محمد بن عمر قال لما بلغ إبراهيم قتل أخيه محمد بن عبد الله خرج يريد أبا جعفر المنصور بالكوفة فكتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى يعلمه ذلك ويأمره أن يقبل اليه فوافاه رسول أبى جعفر وكتابه وقد أحرم بعمرة فرفضها

وأقبل إلى أبى جعفر فوجهه فى القواد والجند والسلاح إلى إبراهيم بن عبد الله وأقبل إبراهيم ومعه جماعة كثيرة من أفناء الناس أكثر من جماعة عيسى بن موسى فالتقوا بباخمرى وهى على ستة عشر فرسخا من الكوفة فاقتتلوا بها قتالا شديدا وانهزم حميد بن قحطبة وكان على مقدمة عيسى بن موسى وانهزم الناس معه فعرض لهم عيسى بن موسى يناشدهم الله والطاعة فلا يلوون عليه ومروا منهزمين وأقبل حميد بن قحطبة منهزما فقال له عيسى بن موسى ياحميد الله والطاعة فقال لاطاعة فى الهزيمة ومر الناس كلهم حتى لم يبق منهم أحد بين يدى عيسى بن موسى وعسكر إبراهيم بن عبد الله فثبت عيسى بن موسى فى مكانه الذى كان فيه لايزول وهو فى مائة رجل من خاصته وحشمه فقيل له أصلح الله الأمير لو تنحيت عن هذا المكان حتى يثوب اليك الناس فتكرّ بهم فقال لا أزول عن مكانى هذا أبداً حتى أقتل أو يفتح الله على يدىّ ولا يقال انهزم وذكر عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن علىّ أن إسحاق بن عيسى بن علىّ حدثه أنه سمع عيسى بن موسى يحدث أباه أنه قال لما أراد أمير المؤمنين توجيهى إلى إبراهيم قال ان هؤلاء الخبثاء يعنى المنجمين يزعمون أنك لاقى الرجل وأن لك جولة حين تلقاه ثم يفىء اليك أصحابك وتكون العاقبة لك قال فوالله لكان كما قال ماهو إلا أن التقينا فهزمونا فلقد رأيتنى ومامعى الا ثلاثة أو أربعة فأقبل علىّ مولى لى كان ممسكا بلجام دابتى فقال جعلت فداك علام تقيم وقد ذهب أصحابك فقلت لا والله لا ينظر أهل بيتى الى وجهى أبداً وقد انهزمت عن عدوهم قال فوالله لكان أكثر ماعندى أن جعلت أقول لمن مر بى ممن أعرف من المنهزمين أقرئوا أهل بيتى منى السلام وقولوا لهم إنى لم أجد فداء أفديكم به أعزّ علىّ من نفسى وقد بذلتها دونكم قال فوالله انا لعلى ذلك والناس منهزمين مايلوى أحد على أحد وصمد ابنا سليمان جعفر ومحمد لإبراهيم فخرجا عليه من ورائه ولا يشعر من بأعقابنا من أصحاب ابراهيم حتى نظر بعضهم الى بعض واذا القتال من ورائهم فكروا نحوه وعقبنا فى آثارهم راجعين فكانت اياها قال فسمعت عيسى بن موسى يومئذ يقول لأبى فوالله ياأبا العباس لولا ابنا سليمان

يومئذ لافتضحنا وكان من صنع الله ان أصحابنا لما انهزموا يومئذ اعترض لهم نهر ذو ثنيتين مرتفعتين فحالتا بينهم وبين الوثوب ولم يجدوا مخاضة فكروا راجعين بأجمعهم فذكر عن محمد بن اسحاق بن مهران أنه قال كان بباخمرى ناس من آل طلحة فخروها على ابراهيم وأصحابه وبثقوا الماء فأصبح أهل عسكره مرتطمين فى الماء وقد زعم أن ابراهيم هو الذى نحر ليكون قتاله من وجه واحد فلما انهزموا منعهم الماء من الفرار فلما انهزم أصحاب ابراهيم وثبت ابراهيم ثبت معه جماعة من أصحابه يقاتلون دونه اختلف فى مبلغ عددهم فقال بعضهم كانوا خمسمائة وقال بعضهم كانوا أربعمائة وقال بعضهم بل كانوا سبعين * فحدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال قال محمد بن عمر لما انهزم أصحاب عيسى بن موسى وثبت عيسى مكانه أقبل ابراهيم بن عبد الله فى عسكره يدنو ويدنو غبار عسكره حتى يراه عيسى ومن معه فبيناهم على ذلك اذا فارس قد أقبل وكر راجعا يجرى نحو ابراهيم لايعرج على شىء فاذا هو حميد بن قحطبة قد غير لأمته وعصب رأسه بعصابة صفراء فكر الناس يتبعونه حتى لم يبق أحد ممن كان انهزم إلا كر راجعا حتى خالطوا القوم فقاتلوهم قتالا شديدا حتى قتل الفريقان بعضهم بعضا وجعل حميد بن قحطبة يرسل بالرؤوس الى عيسى بن موسى الى أن أتى برأس ومعه جماعة كثيرة وضجة وصياح فقالوا رأس ابراهيم بن عبد الله فدعا عيسى بن موسى ابن أبى الكرام الجعفرى فأراه إياه فقال ليس هذا وجعلوا يقتتلون يومهم ذلك إلى أن جاء سهم عائر لا يُدْرَى من رمى به فوقع فى حلق إبراهيم بن عبد الله فنحره فتنحى عن موقفه وقال أنزلونى فأنزلوه عن مركبه وهو يقول «وكان أمر الله قَدَرا مقدورا» أردنا أمرا وأراد الله غيره فأنزل إلى الأرض وهو مثخن واجتمع عليه أصحابه وخاصته يحمونه ويقاتلون دونه ورأى حميد بن قحطبة اجتماعهم فأنكرهم فقال لأصحابه شدّوا على تلك الجماعة حتى تزيلوهم عن موضعهم وتعلموا ما اجتمعوا عليه فشدوا عليهم فقاتلوهم أشد القتال حتى أفرجوهم عن إبراهيم وخلصوا إليه فحزوا رأسه فأتوا به عيسى بن موسى فأراه ابن أبى الكرام الجعفرى فقال نعم هذا رأسه

فنزل عيسى إلى الأرض فسجد وبعث برأسه إلى أبى جعفر المنصور وكان قتله يوم الاثنين لخمس ليال بقين من ذى القعدة سنة ١٤٥ وكان يوم قُتل ابن ثمان وأربعين سنة ومكث منذ خرج إلى أن قتل ثلاثة أشهر إلا خمسة أيام وذكر عبد الحميد أنه سأل أبا صلابة كيف قتل إبراهيم قال إنى لأنظر إليه واقفا على دابة ينظر إلى أصحاب عيسى قد ولوا ومنحوه أكتافهم ونكص عيسى بدابته القَهْقَرَى وأصحابه يقتلونهم وعليه قباء زَرَد فآذاه الحر فحل أزرار قبائه فشال الزرد حتى سال عن ثدييه وحسر عن لبّته فأتته نشابة عائرة فأصابته فى لبته فرأيته اعتنق فرسه وكر راجعا وأطافت به الزيدية وذكر إبراهيم بن محمد بن أبى الكرام قال حدثنى أبى قال لما انهزم أصحاب عيسى تبعتهم رايات إبراهيم فى آثارهم فنادى منادى إبراهيم ألا لا تتبعوا مدبراً فكرت الرايات راجعة ورآها أصحاب عيسى فخالوهم انهزموا فكروا فى آثارهم فكانت الهزيمة وذكر أن أبا جعفر لما بلغته جولة أصحاب عيسى عزم على الرحيل إلى الرى فذكر سلم بن فرقد حاجب سليمان بن مجالد أنه قال لما التقوا هُزم أصحاب عيسى هزيمة قبيحة حتى دخل أوائلهم الكوفة فأتانى صديق لى كوفى فقال أيها الرجل تعلم والله لقد دخل أصحابك الكوفة فهذا أخو أبى هريرة فى دار فلان وهذا فلان فى دار فلان فانظر لنفسك وأهلك ومالك قال فأخبرت بذلك سليمان بن مجالد فأخبر به أبا جعفر فقال لا تكشفن من هذا شيئا ولا تلتفتن إليه فانى لا آمن أن يهجم علىّ ما أكره وأعدد على كل باب من أبواب المدينة إبلا ودواب فان أتينا من ناحية صرنا إلى الناحية الأخرى فقيل لسلم إلى أين أراد أبو جعفر يذهب إن دهمه أمر قال كان عزم على إتيان الرى فبلغنى أن نيبخت المنجم دخل على أبى جعفر فقال يا أمير المؤمنين الظَّفَرُ لك وسيقتل إبراهيم فلم يقبل ذلك منه فقال له احبسنى عندك فان لم يكن الأمر كما قلت لك فاقتلنى فبيناهو كذلك إذ جاءه الخبر بهزيمة إبراهيم فتمثل ببيت معقر بن أوس بن حمار البارقى

فألقتْ عصاها واستقرّتْ بها النَّوَى كما قَرَّ عَيْنًا بالإياب المُسافرُ

فأقطع أبو جعفر نيبخت ألفى جريب بنهر جَوْبر فذكر أبو نعيم الفضل بن دكين أن أبا جعفر لما أصبح من الليلة التى أتى فيها برأس إبراهيم وذلك ليلة الثلاثاء لخمس بقين من ذى القعدة أمر برأسه فنصب رأسه فى السوق وذكر أن أبا جعفر لما أتى برأسه فوضع بين يديه بكى حتى قطرت دموعه على خد إبراهيم ثم قال أما والله إن كنت لهذا لكارها ولكنك ابتليت بى وابتليت بك وذكر عن صالح مولى المنصور أن المنصور لما أتى برأس إبراهيم بن عبد الله وضعه بين يديه وجلس مجلسا عاما وأذن للناس فكان للداخل يدخل فيسلم ويتناول إبراهيم فيسىء القول فيه ويذكر منه القبيح التماسا لرضى أبى جعفر وأبو جعفر ممسك متغير لونه حتى دخل جعفر بن حنظلة البهرانى فوقف فسلم ثم قال عظم الله أجرك ياأمير المؤمنين فى ابن عمك وغفر له مافرط فيه من حقك فاصفر لون أبى جعفر وأقبل عليه فقال أبا خالد مرحبا وأهلا ههنا فعلم الناس أن ذلك قد وقع منه فدخلوا فقالوا مثل ماقال جعفر بن حنظلة ﴿وفى هذه السنة﴾ خرجت الترك والخزر بباب الأبواب فقتلوا من المسلمين بأرمينية جماعة كثيرة ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة السرى بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب وكان عامل أبى جعفر على مكة وكان والى المدينة فى هذه السنة عبد الله بن الربيع الحارثى ووالى الكوفة وأرضيها عيسى بن موسى ووالى البصرة سلم بن قتيبة الباهلى وكان على قضائها عباد بن منصور وعلى مصر يزيد بن حاتم

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك استتمام أبى جعفر مدينته بغداد ذكر محمد بن عمر أن أبا جعفر تحول من مدينة ابن هبيرة إلى بغداد فى صفر سنة ١٤٦ فنزلها وبنى مدينتها

ذكر الخبر عن صفة بنائه إياها

قد ذكرنا قبلُ السبب الباعث لأبى جعفر على بنائها والسبب الذى من أجله اختار البقعة التى بنى فيها مدينته ونذكر الآن صفة بنائه إياها: ذكر عن رشيد أبى داود بن رشيد أن أبا جعفر شخص إلى الكوفة حين بلغه خروج محمد بن عبد الله وقد هيأ لبناء مدينة بغداد ما يحتاج إليه من خشب وساج وغير ذلك واستخلف حين شخص على إصلاح ما أعد لذلك مولى له يقال له أسلم فبلغ أسلم أن إبراهيم بن عبد الله قد هزم عسكر أبى جعفر فأحرق ما كان خلفه عليه أبو جعفر من ساج وخشب خوفا أن يؤخذ منه ذلك إذا غلب مولاه فلما بلغ أبا جعفر ما فعل من ذلك مولاه أسلم كتب إليه يلومه على ذلك فكتب إليه أسلم يخبره أنه خاف أن يظفر بهم إبراهيم فيأخذه فلم يقل له شيئا وذكر عن إسحق بن إبراهيم الموصلى عن أبيه قال لما أراد المنصور بناء مدينة بغداد شاور أصحابه فيها وكان ممن شاوره فيها خالد بن برمك فأشار بها فذكر عن على بن عصمة أن خالد بن برمك خط مدينة أبى جعفر له وأشار بها عليه فلما احتاج إلى الانقاض قال له ما ترى فى نقض بناء مدينة إيوان كسرى بالمدائن وحمل نقضه إلى مدينتى هذه قال لا أرى ذلك يا أمير المؤمنين قال ولِمَ قال لأنه عَلم من أعلام الإسلام يستدل به الناظر اليه على أنه لم يكن ليزال مثل أصحابه عنه بأمر دنيا وانما هو على أمر دين ومع هذا يا أمير المؤمنين فان فيه مصلى على ابن أبى طالب صلوات الله عليه قال هيهات يا خالد أبيت إلا الميل إلى أصحابك العجم وأمر أن ينقض القصر الأبيض فنقضت ناحية منه وحمل نقضه فنظر فى مقدار ما يلزمهم للنقض والحمل فوجدوا ذلك أكثر من ثمن الجديد لو عُمل فرُفع ذلك إلى المنصور فدعا بخالد بن برمك فأعلمه ما يلزمهم فى نقضه وحمله وقال له ما ترى قال يا أمير المؤمنين قد كنت أرى قبل أن لا تفعل فاما إذا فعلت فانى أرى أن تهدم الآن حتى تلحق بقواعده لئلا يقال إنك قد عجزت عن هدمه فأعرض المنصور عن ذلك وأمر أن لا يهدم فقال موسى بن داود المهندس قال لى المأمون وحدثنى بهذا الحديث يا موسى اذا بنيت لى بناء فاجعله ما يعجز عن هدمه ليبقى

طلله ورسمه وذكر أن أبا جعفر احتاج إلى الأبواب للمدينة فزعم أبو عبد الرحمن الهمانى أن سليمان بن داود كان بنى مدينة بالقرب من موضع بناء الحجاج واسط يقال لها الزَّنْدَوَرْدَ واتخذت له الشياطين لها خمسة أبواب من حديد لا يمكن الناس اليوم عمل مثلها فنصبها عليها فلم تزل عليها إلى أن بنى الحجاج واسط وخربت تلك المدينة فنقل الحجاج أبوابها فصيرها على مدينته بواسط فلما بنى أبو جعفر المدينة أخذ تلك الأبواب فنصبها على المدينة فهى عليها إلى اليوم وللمدينة ثمانية أبواب أربعة داخلة وأربعة خارجة فصار على الداخلة أربعة أبواب من هذه الخمسة وعلى باب القصر الخارج الخامس منها وصير على باب خراسان الخارج بابا جئ به من الشأم من عمل الفراعنة وصير على باب الكوفة الخارج بابا جىء به من الكوفة كان عمله خالد بن عبد الله القسرى وأمر باتخاذ باب لباب الشأم فعمل ببغداد فهو أضعف الأبواب كلها وبنيت المدينة مدورة لئلا يكون المَلك إذا نزل وسطها إلى موضع منها أقرب منه إلى موضع وجعل أبوابها أربعة على تدبير العساكر فى الحروب وعمل لها سورين فالسور الداخل أطول من السور الخارج وبنى قصره فى وسطها والمسجد الجامع حول القصر وذكر ان الحجاج بن أرطاة هو الذى خط مسجد جامعها بأمر أبى جعفر ووضع أساسه وقيل ان قبلتها على غير صواب وإن المصلى فيه يحتاج أن ينحرف إلى باب البصرة قليلا وإن قبلة مسجد الرصافة أصوب من قبلة مسجد المدينة لأن مسجد المدينة بنى على القصر ومسجد الرصافة بنى قبل القصر وبنى القصر عليه فلذلك صار كذلك وذكر يحيى بن عبد الخالق أن أباه حدثه ان أبا جعفر ولى كل ربع من المدينة قائداً يتولى الاستحثاث على الفراغ من بناء ذلك الربع وذكر هارون بن زياد بن خالد بن الصلت قال أخبرنى أبى قال ولى المنصور خالد ابن الصلت النفقة على ربع من أرباع المدينة وهى تبنى قال خالد فلما فرغتُ من بناء ذلك الربع رفعت اليه جماعة النفقة عليه فحسبها بيده فبقى علىّ خمسة عشر درهما فحبسنى بها فى حبس الشرقية أياما حتى أديتها وكان اللبن الذى صُنع لبناء المدينة اللبنة منها ذراعا فى ذراع وذكر عن بعضهم أنه هدم من السور الذى يلى باب

المحول قطعة فوجد فيها لبنة مكتوبا عليها بمغرة وزنها مائة وسبعة عشرة رطلا قال فوزنّاها فوجدناها على ما كان مكتوبا عليها من الوزن وكانت مقاصير جماعة من قواد أبى جعفر وكتابه تشرع أبوابها إلى رحبة المسجد وذكر عن يحيي بن الحسن ابن عبد الخالق خال الفضل بن الربيع أن عيسى بن علىّ شكا إلى أبى جعفر فقال يا أمير المؤمنين ان المشى يشق علىّ من باب الرحبة إلى القصر وقد ضعفت قال فتحمل فى محفّة قال إنى أستحيي من الناس قال وهل بقى أحدٌ يستحيا منه قال يا أمير المؤمنين فأنزلنى منزلة راوية من الراويا قال وهل يدخل المدينة راوية أو راكب قال فأمر الناس بتحويل أبوابهم إلى فصلان الطاقات فكان لا يدخل الرحبة أحد إلا ماشيا قال ولما أمر المنصور بسد الأبواب مما يلى الرحبة وفتحها إلى الفصلان صيرت الاسواق فى طاقات المدينة الاربع فى كل واحد سوق فلم تزل على ذلك مدة حتى قدم عليه بطريق من بطارقة الروم وافدا فأمر الربيع ان يطوف به فى المدينة وماحولها ليرى العمران والبناء فطاف به الربيع فلما انصرف قال كيف رأيت مدينتى وقد كان أصعد إلى سور المدينة وقباب الأبواب قال رأيتُ بناء حسناء إلا انى قد رأيتُ أعداءك معك فى مدينتك قال ومن هم قال السوقةُ قال فأضبّ عليها أبو جعفر فلما انصرف البطريق أمر بإخراج السوق من المدينة وتقدم إلى ابراهيم بن حُبيش الكوفىّ وضم اليه جواس بن المسيب اليمانىّ مولاه وأمرهما أن يبنيا الأسواق ناحية الكرخ ويجعلاها صفوفا وبيوتا لكل صنف وأن يدفعاها إلى الناس فلما فعلا ذلك حوّل السوق من المدينة اليها ووضع عليهم الغلة على قدر الذرع فلما كثر الناس بنوا فى مواضع من الأسواق لم يكن رغب فى البناء فيها ابراهيم بن حبيش وجوّاس لانها لم تكن على تقدير الصفوف من أموالهم فألزموا من الغلة أقلّ مما ألزم الذين نزلوا فى بناء السلطان وذكر بعضهم أن السبب فى نقل أبى جعفر التجار من المدينة إلى الكرخ وما قرب منها مما هو خارج المدينة انه قيل لأبى جعفر إن الغرباء وغيرهم يبيتون فيها ولا يؤمن أن يكون فيهم جواسيس ومن يتعرف الأخبار أو أن يفتح أبواب

المدينة ليلا لموضع السوق فأمر بإخراج السوق من المدينة وجعلها للشرط والحرس وبنى للتجار بباب طاق الحرّانى وباب الشأم والكرخ وذكر عن الفضل بن سليمان الهاشمىّ عن أبيه أن سبب نقله الأسواق من مدينة السلام ومدينة الشرقية إلى باب الكرخ وباب الشعير وباب المحوّل أن رجلا كان يقال له أبو زكرياء يحيى بن عبد الله ولاه المنصور حسبة بغداد والأسواق سنة ١٥٧ والسوق فى المدينة وكان المنصور يتبع من خرج مع محمد وابراهيم ابنى عبدالله ابن حسن وقد كان لهذا المحتسب معهم سبب فجمع على المنصرر جماعة استغواهم من السفلة فشغبوا واجتمعوا فأرسل المنصور إليهم أبا العباس الطوسى فسكنهم وأخذ أبا زكرياء فحبسه عنده فأمره أبو جعفر بقتله فقتله بيده حاجب كان لأبى العباس الطوسى يقال له موسى على باب الذهب فى الرحبة بأمر المنصور وأمر أبو جعفر بهدم ما شَخَص من الدور فى طريق المدينة ووضع الطريق على مقدار أربعين ذراعا وهدم ما زاد على ذلك المقدار وأمر بنقل الأسواق إلى الكرخ وذكر عن أبى جعفر أنه لما أمر بإخراج التجار من المدينة إلى الكرخ كلمه أبان بن صَدَقة فى بقال فأجابه إليه على أن لا يبيع إلا الخل والبقل وحده ثم أمر أن يجعل فى كل ربع بقال واحد على ذلك المثال وذكر عن على بن محمد أن الفضل بن الربيع حدثه أن المنصور لما فرغ من بناء قصره بالمدينة دخله فطاف فيه واستحسنه واستنظفه وأعجبه ماراى فيه غير أنه استكثره ما أنفق عليه قال ونظر إلى موضع فيه استحسنه جداً فقال لى اخرج إلى الربيع فقل له اخرج إلى المسيب فقل له يحضرنى الساعه بنّاء فارهاً قال فخرجت إلى المسيب فأخبرته فبعث إلى رئيس البنائين فدعاه فأدخله على أبى جعفر فلما وقف بين يديه قال له كيف عملت لأصحابنا فى هذا القصر وكم أخذت من الأجرة لكل ألف آجرّة ولبِنة فبقى البناء لا يقدر على أن يرُدّ عليه شيئا فخافه المسيب فقال له المنصور مالك لا تكلّمُ فقال لا علم لى يا أمير المؤمنين قال ويحك قل وأنت آمن من كل ما تخافه قال يا أمير المؤمنين لا والله ما أقف عليه ولا أعلمه قال فأخذ بيده وقال له تعال لا علمك الله

خيرا وأدخله الحجرة التى استحسنها فأراه مجلسا كان فيها فقال له أنظر إلى هذا المجلس وابن لى بإزائه طاقا يكون شبيها بالبيت لا تدخل فيه خشبا قال نعم يا أمير المؤمنين قال فأقبل البناءُ وكل من معه يتعجبون من فهمه بالبناء والهندسة فقال له البناء ما أحسن أن أجىء به على هذا ولا أقوم به على الذى تريد فقال له فأنا أعينك عليه قال فأمر بالآجرّ والجص فجىء به ثم أقبل يحصى جميع ما دخل فى بناء الطاق من الآجُرّ والجص ولم يزل كذلك حتى فرغ منه فى يومه وبعض اليوم الثانى فدعا بالمسيب فقال له ادفع إليه أجره على حسب ما عمل معك قال فحاسبه المسيب فأصابه خمسة دراهم فاستكثر ذلك المنصور وقال لا أرضى بذلك فلم يزل به حتى نقصه درهما ثم أخذ المقادير ونظر مقدار الطاق من الحجرة حتى عرفه ثم أخذ الوكلاء والمسيب يحملان النفقات وأخذ معه الأمناء من البنائين والمهندسين حتى عرفوه قيمة ذلك فلم يزل يحسبه شيئا شيئا وحملهم على ما رفع فى أجرة بناء الطاق فخرج على المسيب مما فى يده ستة آلاف درهم ونيف فأخذه بها واعتقله فما برح من القصر حتى أداها إليه وذكر عن عيسى بن المنصور أنه قال وجدت فى خزائن أبى المنصور فى الكتب أنه أنفق على مدينة السلام وجامعها وقصر الذهب بها والأسواق والفصلان والخنادق وقبابها وأبوابها أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهما ومبلغها من الفلوس مائة ألف ألف فلس وثلاثة وعشرون ألف فلس وذلك أن الأستاذ من البنائين كان يعمل يومه بقيراط فضة والروزكارى بحبتين إلى ثلاث حبات ﴿وفى هذه السنة﴾ عزل المنصور عن البصرة سلم بن قتيبة وولاها محمد بن سليمان بن على

ذكر الخبر عن سبب عزله إياه

ذكر عبد الملك بن شيبان أن يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن الهاشمى قال كتب أبو جعفر إلى سلم بن قتيبة لما ولاه البصرة أما بعد فاهدم دور من خرج مع إبراهيم واعقر نخلهم فكتب إليه سلم بأى ذلك أبدأ أبالدور أم بالنخل فكتب إليه أبو جعفر أما بعد فقد كتبتُ إليك آمرك بإفساد تمرهم فكتبت تستأذننى فى

أية تبدأ به بالبَرْنى أم بالشهريز وعزله وولى محمد بن سليمان فقدم فعاث وذكر عن يونس بن نجدة قال قدم علينا سلم بن قتيبة أميراً بعد الهزيمة وعلى شرطه أبو برقة يزيد بن سلم فأقام بها سلم أشهرا خمسة ثم عزل وولى علينا محمد بن سليمان قال عبد الملك بن شيبان هدم محمد بن سليمان لما قدم دار يعقوب بن الفضل ودار أبى مروان فى بنى يشكر ودار عون بن مالك ودار عبد الواحد بن زياد ودار الخليل بن الحُصين فى بنى عدىّ ودار عفو الله بن سفيان وعقر نخلهم وغزا الصائفة فى هذه السنة جعفر بن حنظلة البهرانىّ (وفى هذه السنة) عزل عن المدينة عبد الله بن الربيع وولى مكانه جعفر بن سليمان فقدمها فى شهر ربيع الأول وعزل أيضاً فى هذه السنة عن مكة السرى بن عبد الله وولِيها عبدُ الصمد بن علىّ (وحج بالناس فى هذه السنة عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس كذلك قال محمد بن عمر وغيره

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة

ذكر الأخبار عن الأحداث التى كانت فيها

فمما كان فيها من ذلك إغارة استرخان الخوارزمىّ فى جمع من الترك على المسلمين بناحية أرمينية وسبيه من المسلمين وأهل الذمة خلقاً كثيراً ودخولهم تفليس وقتلهم حرب بن عبد الله الراوندىّ الذى تنسب إليه الحربية ببغداد وكان حربٌ هذا فيما ذكر مقيما بالموصل فى ألفين من الجند لمكان الخوارج الذين بالجزيرة وكان أبو جعفر حين بلغه تحزب الترك فيما هناك وجه إليهم لحربهم جبرئيل بن يحيى وكتب إلى حرب يأمره بالمسير معه فسار معه حرب فقتل حرب وهزم جبرئيل وأصيب من المسلمين من ذكرت (وفى هذه السنة) كان مهلك عبد الله بن على بن عباس (واختلفوا) فى سبب هلاكه فقال بعضهم ما ذكره على بن محمد النَّوفلىّ عن أبيه أن أبا جعفر حج سنة ١٤٧ بعد تقدمته المهدىّ علىَ عيسى بن موسى بأشهر وقد كان عزل عيسى بن موسى عن الكوفة وأرضها وولى مكانه محمد بن سليمان

ابن على وأوفده إلى مدينة السلام فدعابه فدفع إليه عبد الله بن على سرا فى جوف الليل ثم قال له ياعيسى إن هذا أراد أن يزيل النعمة عنى وعنك وأنت ولى عهدى بعد المهدى والخلافة صائرة إليك فخذه إليك فاضرب عنقه وإياك أن تخور أو تضعف فتنتقض على أمرى الذى دَبرتُ ثم مضى لوجهه وكتب اليه من طريقه ثلاث مرات يسأله مافعل فى الأمر الذى أوعز اليه فيه فكتب اليه قد أنفذتَ ماأمرت به فلم يشك أبو جعفر فى أنه قد فعل ماأمره به وأنه قد قتل عبدالله بن على فكان عيسى حين دفعه اليه ستره ودعا كاتبه يونس بن فَرْوَة فقال له إن هذا الرجل دفع إلى عمه وأمرنى فيه بكذا وكذا فقال له أراد أن يقتلك ويقتله أمرك بقتله سرا ثم يدعيه عليك علانية ثم يقيدك به قال فما الرأى قال الرأى أن تستره فى منزلك فلا تطلع على أمره أحداً فان طلبه منك علانية دفعته اليه علانية ولا تدفعه اليه سرا أبداً فانه وإن كان أسره اليك فان أمره سيظهرُ ففعل ذلك عيسى وقدم المنصور ودس إلى عمومته من يحركهم على مسألته هبة عبدالله بن على لهم ويطمعهم فى أنه سيفعل فجاؤا اليه وكلموه ورققوه وذكروا له الرحم وأظهروا له رقة فقال نعم على بعيسى بن موسى فأتاه فقال له ياعيسى قد علمت أنى دفعت اليك عمى وعمك عبدالله بن على قبل خروجى إلى الحج وأمرتُك أن يكون فى منزلك قال قد فعلتَ ذلك ياأمير المؤمنين قال فقد كلمنى عمومتك فيه فرأيت الصفح عنه وتخلية سبيله فأتنا به فقال ياأمير المؤمنين ألم تأمرنى بقتله فقتلته قال ماأمرتك بقتله إنما أمرتك بحبسه فى منزلك قال قد أمرتنى بقتله قال له المنصور كذبت ماأمرتك بقتله ثم قال لعمومته إن هذا قد أقر لكم بقتل أخيكم وادعى أنى أمرته بذلك وقد كذب قالوا فادفعه الينا نقتله به قال شأنكم به فأخرجوه إلى الرحبة واجتمع الناس وشُهر الأمر فقام أحدهم فشهر سيفه وتقدم إلى عيسى ليضربه فقال له عيسى أفاعل أنت قال إى والله قال لاتعجلوا ردونى إلى أمير المؤمنين فردوه اليه فقال انما أردت بقتله أن تقتلنى هذا عمك حى سوِىٌّ إن أمرتنى بدفعه اليك دفعته قال ائتنا به فأتاه به فقال له عيسى دبرت علىّ أمراً فخشيته فكان كما خشيت شأنك وعمك قال يدخل حتى

أرى رأيي ثم انصرفوا ثم أمر به فجعل فى بيت أساسه ملح وأجرى فى أساسه الماء فسقط عليه فمات فكان من أمره ما كان وتوفى عبدالله بن علىّ فى هذه السنة ودفن فى مقابر باب الشأم فكان أول من دفن فيها وذكر عن ابراهيم بن عيسى ابن المنصور بن بُرَيْه أنه قال كانت وفاة عبدالله بن على فى الحبس سنة ١٤٧ وهو ابن اثنتين وخمسين سنة قال ابراهيم بن عيسى لما توفى عبد الله بن على ركب المنصور يوما ومعه عبدالله بن عياش فقال له وهو يجاريه أتعرف ثلاثة خلفاء أسماؤهم على العين مبدؤها قتلوا ثلاثة خوارج مبدؤ أسمائهم العين قال لا أعرف إلا ما تقول العامة إن عليا قتل عثمان وكذبوا وعبد الملك بن مروان قتل عبدالرحمن ابن محمد بن الأشعث وعبدالله بن الزبير وعمرو بن سعيد وعبدالله بن على سقط عليه البيت فقال له المنصور فسقط على عبدالله بن على البيت فأنا ماذنبى قال ماقلت إن لك ذنبا (وفى هذه السنة) خلع المنصور عيسى بن موسى وبايع لابنه المهدى وجعله ولىّ عهد من بعده وقال بعضهم ثم من بعده عيسى بن موسى

ذكر الخبر عن سبب خلعه إياه وكيف كان الأمر فى ذلك

(اختلف) فى الذى وصل به أبو جعفر إلى خلعه فقال بعضهم السبب الذى وصل به أبو جعفر إلى ذلك هو أن أبا جعفر أقر عيسى بن موسى بعد وفاة أبى العباس على ما كان أبو العباس ولاه من ولاية الكوفة وسوادها وكان له مكرما مجلا وكان إذا دخل عليه أجلسه عن يمينه وأجلس المهدى عن يساره فكان ذلك فعله به حتى عزم المنصور على تقديم المهدىّ فى الخلافة عليه وكان أبو العباس جعل الأمر من بعده لأبى جعفر ثم من بعد أبى جعفر لعيسى بن موسى فلما عزم المنصور على ذلك كلم عيسى بن موسى فى تقديم ابنه عليه برفيق من الكلام فقال عيسى يا أمير المؤمنين فكيف بالإيمان والمواثيق التى علىّ وعلى المسلمين لى من العتق والطلاق وغير ذلك من مؤكد الأيمان ليس إلى ذلك سبيل يا أمير المؤمنين فلما رأى أبو جعفر امتناعه تغير لونه وباعده بعض المباعدة وأمر بالإذن للمهدى قبله فكان يدخل فيجلس عن يمين المنصور فى مجلس عيسى ثم يؤذن لعيسى

فيدخل فيجلس دون مجلس المهدى عن يمين المنصور أيضا ولا يجلس عن يساره فى المجلس الذى كان يجلس فيه المهدى فيغتاظ من ذلك المنصور ويبلغ منه فيأمر بالإذن للمهدى ثم يأمر بعده بالآذن لعيسى بن علىّ فيلبث هنيهة ثم عبد الصمد ابن علىّ ثم يلبث هنيهة ثم عيسى بن موسى فإذا كان بعد ذلك قدم فى الاذن للمهدى على كل حال ثم يخلط فى الآخرين فيقدم بعض من أخر ويؤخر بعض من قدم ويوهم عيسى بن موسى أنه انما يبدأ بهم لحاجة تعرض ولهذا كرتهم بالشىء من أمره ثم يؤذن لعيسى بن موسى من بعدهم وهو فى ذلك كله صامت لا يشكو منه شيئا ولا يستعتب ثم صار إلى أغلظ من ذلك فكان يكون فى المجلس معه بعض ولده فيسمع الحفر فى أصل الحائط فيخاف أن يخر عليه الحائط وينتثر عليه التراب وينظر إلى الخشبة من سقف المجلس قد حفر عن أحد طرفيها لتقلع فيسقط التراب على قلنسوته وثيابه فيأمر من معه من ولده بالتحويل ويقوم هو فيصلى ثم يأتيه الإذن فيقوم فيدخل بهيئته والتراب عليه لا ينفضه فإذا رآه المنصور قال له يا عيسى ما يدخل علىّ أحد بمثل هيئتك من كثرة الغبار عليك والتراب أفكل هذا من الشارع فيقول أحسب ذلك يا أمير المؤمنين وإنما يكلمه المنصور بذلك ليستطعمه أن يشكو اليه شيئا فلا يشكو وكان المنصور قد أرسل اليه فى الأمر الذى أراده منه عيسى بن علىّ فكان عيسى بن موسى لا يحمد منه مدخله فيه كأنه كان يغرى به فقيل إنه دس لعيسى ابن موسى بعض ما يتلفه فنهض من المجلس فقال له المنصور إلى أين يا أبا موسى قال أجد غمزاً يا أمير المؤمنين قال ففى الدار إذاً قال الذى أجده أشد مما أقيم معه فى الدار قال فإلى أين قال إلى المنزل ونهض فصار إلى حراقته ونهض المنصور فى أثره إلى الحراقة متفزعا له فاستأذنه عيسى فى المصير إلى الكوفة فقال بل تقيم فتعالج ههنا فأبى وألحّ عليه فأذن له وكان الذى جرأه على ذلك طبيبه بختيشوع أبو جبرئيل وقال إنى والله ما أجترئ على معالجتك بالحضرة وما آمن على نفسى فأذن له المنصور وقال له أنا على الحج فى سنتى هذه فأنا مقيم عليك بالكوفة حتى تفيق إن شاء الله وتقارب وقت الحج فشخص المنصور حتى صار بظهر الكوفة فى موضع يدعى

الرصافة فأقام بها أياما فأجرى هناك الخيل وعاد عيسى غير مرة ثم رجع إلى مدينة السلام ولم يحج واعتلّ بقلة الماء فى الطريق وبلغت العلة من عيسى بن موسى كل مبلغ حتى تمعط شعره ثم أفاق من علته تلك فقال فيه يحي بن زياد بن أبى حزابة البُرْجُمِىّ أبو زياد

أفلَتَ من شَرْبَة الطبيب كما أفلت ظَبْىُ الصَّريم من فَتَرِهْ
من قانصٍ يُنْفِذُ الفَريصَ إذا ركَّبَ سَهْمَ الحُتُوف فى وَتَرِهْ
دافَعَ عنك المَليك صَوْلَةَ لَيـ ـثٍ يُرِيدُ الأسْدَفى ذرَى خَمَرِهْ
حتى أتانا وفيه داخِلةٌ تُعرفُ فى سمعِهِ وفى بَصَرِهْ
أزْعرَ قد طارَ عن مفارِقِهِ وحْفُ أثيثِ النَّباتِ من شَعَرِهْ

وذكر أن عيسى بن علىّ كان يقول للمنصور إن عيسى بن موسى إنما يمتنع من البيعة للمهدى لأنه يربص هذا الأمر لابنه موسى فموسى الذى يمنعه فقال المنصور لعيسى بن علىّ كلم موسى بن عيسى وخوفه على أبيه وعلى ابنه فكلم عيسى بن على موسى فى ذلك فأيأسه فتهدده وحذره غضب المنصور فلما وجل موسى وأشفق وخاف أن يقع به المكروه أتى العباس بن محمد فقال أى عمّ إنى مكلمك بكلام لا والله ماسمعه منى أحد قط ولا يسمعه أحدا أبدا وإنما أخرجه منى إليك موضع الثقة بك والطمأنينة إليك وهو أمانة عندك فانما هى نفسى أنثلها فى يدك قال قل ياابن أخى فلك عندى ماتحبه قال أرى مايسام أبى من إخراج هذا الأمر من عنقه وتصييره للمهدى فهو يؤذى بصنوف الأذى والمكروه فيتهدد مرة ويؤخر أذنه مرة وتهدم عليه الحيطان مرة وتدس اليه الحتوف مرة فأبى لا يعطى على هذا شيئا لا يكون ذلك أبدا ولكن ههنا وجها فلعله يعطى عليه إن أعطى وإلا فلا قال فما هو ياابن أخى فانك قد أصبت ورققت قال يقبل عليه أمير المؤمنين وأنا شاهد فيقول له ياعيسى انى أعلم أنك لست تضنّ بهذا الأمر على المهدى لنفسك لتعالى سنك وقرب أجلك فانك تعلم أنه لا مدّة لك تطول فيه وإنما تضنّ به لمكان ابنك موسى أفترانى أدع ابنك يبقى بعدك ويبقى ابنى معه فيلى عليه كلا والله

لايكون ذلك أبدا ولأثبن على ابنك وأنت تنظر حتى تيأس منه وآمن أن يلى على ابنى أترى ابنك آثر عندى من ابنى ثم يأمر بى فإما خنقت واما شُهر على سيف فان أجاب الى شيء فعسى أن يفعل بهذا السبب فأما بغيره فلا فقال العباس جزاك الله ياابن أخى خيرا فقد فديت أباك بنفسك وآثرت بقاءه على حظك نعم الرأى رأيت ونعم المسلك سلكت ثم أتى أبا جعفر فأخبره الخبر فجزى المنصور موسى خيرا وقال قد أحسن وأجمل وسأفعل ماأشار به ان شاء الله فلما اجتمعوا وعيسى ابن على حاضر أقبل المنصور على عيسى بن موسى فقال ياعيسى انى لاأجهل مذهبك الذى تضمره ولا مداك الذى تجرى اليه فى الأمر الذى سألتك انما تريد هذا الأمر لابنك هذا المشؤم عليك وعلى نفسه فقال عيسى بن على ياأمير المؤمنين غمزنى البول قال فندعو لك بإناء تبول فيه قال أفمجلسك ياأمير المؤمنين ذاك مالايكون ولكن أقرب البلاليع منى أدل عليها فآتيها فأمر من يدله فانطلق فقال عيسى بن موسى لابنه موسى قم مع عمك فاجمع عليه ثيابه من ورائه وأعطه منديلا إن كان معك يتنشف به فلما جلس عيسى يبول جمع موسى عليه ثيابه من ورائه وهو لايراه فقال من هذا فقال موسى بن عيسى فقال بأبى أنت وبأبى أب ولدك والله إنى لأعلم أنه لاخير فى هذا الأمر بعدكما وإنكما لأحق به ولكن المرء مغرى بما تعجل فقال موسى فى نفسه أمكننى والله هذا من مقاتله وهو الذى يغرى بأبى والله لأقتلنه بما قال لى ثم لاأبالى أن يقتلنى أمير المؤمنين بعده بل يكون فى قتله عزاء لأبى وسلو عنى إن قتلت فلما رجعا إلى موضعهما قال موسى ياأمير المؤمنين اذكر لأبى أمراً فسره ذلك وظن أنه يريد أن يذاكره بعض أمرهم فقال قم فقام إليه فقال ياأبت إن عيسى بن على قد قتلك وإياى قتلات بما يبلغ عنا وقد أمكننى من مقاتله قال وكيف قال قال لى كيت وكيت فأخبر أمير المؤمنين فيقتله فتكون قد شفيت نفسك وقتلته قبل أن يقتلك وإياى ثم لانبالى ماكان بعد فقال أف لهذا رأيا ومذهبا ائتمنك عمك على مقالة أراد أن يسرك بها فجعلتها سببا لمكروهه وتلفه لايسمعن هذا منك أحد وعد إلى مجلسك

فقام فعاد وانتظر أبو جعفر أن يرى لقيامه إلى أبيه وكلامه أثراً فلم يره فعاد إلى وعيده الأول وتهدده فقال أما والله لأعجلن لك فيه مايسوءك ويوئسك من بقائه بعدك أيا ربيع قم إلى موسى فاخنقه بحمائله فقام الربيع فضم حمائله عليه فجعل يخنقه بها خنقا رويداً وموسى يصيح الله الله ياأمير المؤمنين فىّ وفى دمى فإنى لبعيد مما تظن بى ومايبالى عيسى أن تقتلنى وله بضعة عشر نفراً ذكراً كلهم عنده مثلى أو يتقدمنى وهو يقول اشدد ياربيع ائت على نفسه والربيع يوهم أنه يريد تلفه وهو يراخى خناقه وموسى يصيح فلما رأى ذلك عيسى قال والله ياأمير المؤمنين ماظننت أن الأمر يبلغ منك هذا كله فمر بالكف عنه فإنى لم أكن لأرجع إلى أهلى وقد قتل بسبب هذا الأمر عبد من عبيدى فكيف بابنى فها أنا أشهدك أن نسائى طوالق ومماليكى أحرار وما أملك فى سبيل الله تصرف ذلك فيمن رأيت ياأمير المؤمنين وهذه يدى بالبيعة للمهدى فأخذ بيعته له على ما أحب ثم قال ياأبا موسى إنك قد قضيت حاجتى هذه كارها ولى حاجة أحب أن تقضيها طائعاً فتغسل بها ما فى نفسى من الحاجة الأولى قال وما هى يا أمير المؤمنين قال تجعل هذا الأمر من بعد المهدى لك قال ما كنتُ لأدخل فيها بعد إذ خرجت منها فلم يدعه هو ومن حضره من أهل بيته حتى قال يا أمير المؤمنين أنت أعلم فقال بعض أهل الكوفة ومر عليه عيسى فى موكبه هذا الذى كان غداً فصار بعد غد وهذه القصة فيما قيل منسوبة الى آل عيسى انهم يقولونها * وأما الذى يحكى عن غيرهم فى ذلك فهو أن المنصور أراد البيعة للمهدى فكلم الجند فى ذلك فكانوا إذا رأوا عيسى راكباً أسمعوه ما كره فشكا ذلك إلى المنصور فقال للجند لا تؤذوا ابن أخى فانه جلدة بين عينى ولو كنتُ تقدمت اليكم لضربت أعناقكم فكانوا يكفون ثم يعودون فمكث بذلك زمانا ثم كتب إلى عيسى بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله المنصور أمير المؤمنين إلى عيسى بن موسى سلام عليك فإنى أحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فالحمد لله ذى المن القديم والفضل العظيم والبلاء الحسن الجميل الذى ابتدأ الخلق بعلمه وأنفذ القضاء بأمره فلا يبلغ مخلوق كنه حقه ولا ينال فى عظمته كنه ذكره يدبر ما أراد من الأمور بقدرته ويصدرها عن مشيئته لا قاضى فيها غيره

ولا نفاذ لها إلا به يجريها على إذلالها لا يستأمر فيها وزيراً ولا يشاور فيها معينا ولا يلتبس عليه شيء أراده يمضى قضاؤه فيما أحب العباد وكرهوا لا يستطيعون منه امتناعا ولا عن أنفسهم دفاعا رب الأرض ومن عليها له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ثم انك قد علمت الحال التى كنا عليها فى ولاية الظلمة كيف كانت قوتنا وحيلتنا لما اجترأ عليه أهل بيت اللعنة فيما أحببنا وكرهنا فصبرنا أنفسنا على ما دعونا اليه من تسليم الأمور إلى من أسندوها اليه واجتمع رأيهم عليه نسام الخسف ونوطأ بالعسف لا ندع ظلماً ولا نمنع ضيما ولا نعطى حقا ولا ننكر منكراً ولا نستطيع لها ولا لأنفسنا نفعاً حتى إذا بلغ الكتاب أجله وانتهى الأمر إلى مدته وأذن الله فى هلاك عدوه وارتاح بالرحمة لأهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم فابتعث الله لهم أنصاراً يطلبون بثأرهم ويجاهدون عدوهم ويدعون إلى حبهم وينصرون دولتهم من أرضين متفرقة وأسباب مختلفة وأهواء مؤتلفة فجمعهم الله على طاعتنا وألف بين قلوبهم بمودتنا على نصرتنا وأعزهم بنصرنا لم نلق منهم رجلا ولم نشهر معهم سيفا إلا ما قذف الله فى قلوبهم حتى ابتعثهم لنا من بلادهم ببصائر نافذة وطاعة خالصة يلقون الظفر ويعودون بالنصر وينصرون بالرعب لا يلقون أحداً إلا هزموه ولا واتراً إلا قتلوه حتى بلغ الله بنا بذلك أقصى مدانا وغاية منانا ومنتهى آمالنا وإظهار حقنا واهلاك عدونا كرامة من الله جل وعز لنا وفضلا منه علينا بغير حول مناولا قوة ثم لم نزل من ذلك فى نعمة الله وفضله علينا حتى نشأ هذا الغلام فقذف الله له فى قلوب أنصار الدين الذين ابتعثهم لنا مثل ابتدائه لنا أول أمرنا واشرب قلوبهم مودته وقسم فى صدورهم محبته فصاروا لا يذكرون الا فضله ولا ينوهون الا باسمه ولا يعرفون الا حقه فلما رأى أمير المؤمنين ماقذف الله فى قلوبهم من مودته وأجرى على ألسنتهم من ذكره ومعرفتهم إياه بعلاماته واسمه ودعاء العامة إلى طاعته أيقنت نفس أمير المؤمنين أن ذلك أمر تولاه الله وصنعه لم يكن للعباد فيه أمر ولا قدرة ولا مؤامرة ولا مذاكرة للذى رأى أمير المؤمنين من اجتماع الكلمة وتتابع العامة حتى ظن أمير

المؤمنين أنه لولا معرفة المهدى بحق الأبوة لأفضت الأمور اليه وكان أمير المؤمنين لا يمنع مما اجتمعت عليه العامة ولا يجد مناصا عن خلاص ما دعوا اليه وكان أشد الناس على أمير المؤمنين فى ذلك الأقرب فالأقرب من خاصته وثقاته من حرسه وشرطه فلم يجد أمير المؤمنين بدا من استصلاحهم ومتابعتهم وكان أمير المؤمنين وأهل بيته أحق من سارع إلى ذلك وحرص عليه ورغب فيه وعرف فضله ورجا بركته وصدق الرواية فيه وحمد الله إذ جعل فى ذريته مثل ما سألت الأنبياء قبله إذ قال العبد الصالح «رب هب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا» فوهب الله لامير المؤمنين وليا ثم جعله تقيا مباركا مهديا وللنبى صلى الله عليه وسلم سميا وسلب من انتحل هذا الاسم ودعا إلى تلك الشبهة التى تحير فيها أهل تلك النية وافتتن بها أهل تلك الشقوة فانتزع ذلك منهم وجعل دائرة السوء عليهم وأقر الحق قراره وأعلن للمهدى مناره وللدين أنصاره فأحب أمير المؤمنين أن يعلمك الذى اجتمع عليه رأى رعيته وكنت فى نفسه بمنزلة ولده يحب من سترك ورشدك وزينك ما يحب لنفسه وولده ويرى لك إذا بلغك من حال ابن عمك ما ترى من اجتماع الناس عليه أن يكون ابتداء ذلك من قبلك ليعلم أنصارنا من أهل خراسان وغيرهم انك أسرع إلى ما أحبوا مما عليه رأيهم فى صلاحهم منهم إلى ذلك من أنفسهم وان ما كان عليه من فضل عرفوه للمهدى أو أملوه فيه كنت أحظى الناس بذلك وأسرهم به لمكانه وقرابته فاقبل نصح أمير المؤمنين لك تصلح وترشد والسلام عليك ورحمة الله * فكتب اليه عيسى بن موسى جوابها (بسم الله الرحمن الرحيم) لعبد الله عبد الله أمير المؤمنين من عيسى بن موسى سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله فإنى أحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه ما أجمعت عليه من خلاف الحق وركوب الإثم فى قطيعة الرحم ونقض ما أخذ الله عليه من الميثاق من العامة بالوفاء للخلافة والعهد لى من بعدك لتقطع بذلك ما وصل الله من حبله وتفرق بين ما ألف الله جمعه وتجمع بين ما فرق الله أمره مكابرة لله فى سمائه وحولا على الله فى قضائه ومتابعة للشيطان فى هواه ومن كابر الله صرعه ومن

نازعه قمعه ومن ماكره عن شىء خدعه ومن توكل على الله منعه ومن تواضع لله رفعه
ان الذى أسس عليه البناء وخُط عليه الحذاء من الخليفة الماضى عهد لى من الله وأمر
نحن فيه سواء ليس لأحد من المسلمين فيه رخصة دون أحد فان وجب وفاء فيه فما
الأول بأحق به من الآخر وإن حل من الآخر شىء فما حرم ذلك من الأول
بل الأول الذى تلا خبره وعرف أثره وكشف عما ظن به وأمَّل فيه أسرع وكان
الحق أولى بالذى أراد أن يصنع أولا فلا يدعك إلى الأمن من البلاء اغترار بالله
وترخيص للناس فى ترك الوفاء فإن من أجابك إلى ترك شىء وجب لى واستحل
ذلك منى لم يحرج إذا أمكنته الفرصة وأفتنته بالرخصة أن يكون إلى مثل ذلك منك
أسرع ويكون بالذى أسَّست من ذلك أنجع فاقبل العاقبة وارض من الله بما صنع
وخذ ما أوتيت بقوة وكن من الشاكرين فإن الله جل وعز زائدا مَنْ شكره وعْداً
منه حقا لا خُلفَ فيه فمن راقب الله حفظه ومن أضمر خِلافه خذله والله يعلم خائنة
الأعين وما تخفى الصدور ولسنا مع ذلك نأمن من حوادث الأمور وبغتات الموت
قبل ما ابتدأت به من قطيعتى فإن تعجل بى أمر كنت قد كفيت مؤونة ما اغتنمت
له وسترت قبح ما أردتَ إظهاره وإن بقيتُ بعدك لم تكن أوعرت صدرى
وقطعت رحمى ولا أظهرت أعدائى فى اتباع أثرك وقبول أدبك وعمل بمثالك
وذكرت أن الأمور كلها بيد الله هو مدبرها ومقدّرها ومصدّرها عن مشيئته
فقد صدقت ان الأمور بيد الله وقد حق على من عرف ذلك ووصفه العملُ به
والانتهاءُ إليه واعلم أنا لسنا جررنا إلى أنفسنا نفعا ولا دفعنا عنها ضراً ولا نلنا
الذى عرفته بحولنا ولا قوتنا ولو وكلنا فى ذلك إلى أنفسنا وأهوائنا لضعُفت قوّتنا
وعجزت قدرتنا فى طلب ما بلغ الله بنا ولكن الله إذا أراد عزما لإنفاذ أمره وإنجاز
وعده وإتمام عهده وتأكيد عقده أحكم إبرامه وأبرم أحكامه ونور إعلانه وثبَّت
أركانه حين أسس بُنيانه فلا يستطيع العباد تأخير ما عجل ولا تعجيل ما أخر غير
أن الشيطان عدوّ مُضلّ مُبين قد حذّر الله طاعته وبين عداوته ينزغ بين ولاة
الحق وأهل طاعته ليفرّق جمعهم ويشتت شملهم ويُوقع العداوة والبغضاء بينهم

ويتبرأ منهم عند حقائق الأمور ومضايق البلايا وقد قال الله عز وجل فى كتابه (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ووصف الذين اتقوا فقال (إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) فأعيذ أمير المؤمنين بالله من أن يكون نيته وضمير سريرته خلاف ما زين الله به جل وعز من كان قبله فانه قد سألتهم أبناؤهم ونازعتهم أهواؤهم إلى مثل الذى هَمَّ به أمير المؤمنين فآثروا الحق على ما سواه وعرفوا أن الله لا غالب لقضائه ولا مانع لعطائه ولم يعلموا يأمنوا مع ذلك تغيير النعم وتعجيل النقم فآثروا الآجلة وقبلوا العاقبة وكرهوا التغيير وخافوا التبديل فأظهروا الجميل فتمَّم الله لهم أمورهم وكفاهم ما أهمهم ومنع سلطانهم وأعز أنصارهم وكرم أعوانهم وشرف بنيانهم فتمت النعم وتظاهرت المنن فاستوجبوا الشكر فتم أمر الله وهم كارهون والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله فلما بلغ أبا جعفر المنصور كتابه أمسك عنه وغضب غضباً شديداً وعاد الجند لأشد ما كانوا يصنعون منهم أسد ابن المرزبان وعقبة بن سلم ونصر بن حرب بن عبد الله فى جماعة فكانوا يأتون باب عيسى فيمنعون من يدخل إليه فاذا ركب مشوا خلفه وقالوا أنت البقرة التى قال الله فذبحوها وما كادوا يفعلون فعاد فشكاهم فقال له المنصور يا ابن أخى أنا والله أخافهم عليك وعلى نفسى قد أشربوا حب هذا الفتى فلو قدمته بين يديك فيكون بينى وبينك لكفوا فأجاب عيسى إلى أن يفعل * وذكر عن إسحاق الموصلى عن الربيع أن المنصور لما رجع إليه من عند عيسى جواب كتابه الذى ذكرنا وقع فى كتابه أسْلُ عنها تنل منها عوضا فى الدنيا وتأمن تبعتها فى الآخرة * وقد ذكر فى وجه خلع المنصور عيسى بن موسى قول غير هذين القولين وذلك ما ذكره أبو محمد المعروف بالأسوارى بن عيسى الكاتب قال أراد أبو جعفر أن يخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد ويقدم المهدى عليه فأبى أن يجيبه إلى ذلك وأعيا الأمر أبا جعفر فيه فبعث إلى خالد بن برمك فقال له كلمه يا خالد فقد ترى

امتناعه من البيعة للمهدى وما قد تقدمنا به فى أمره فهل عندك حيلة فيه فقد أعيتنا وجوه الحيل وضلّ عنا الرأىُ فقال نعم يا أمير المؤمنين تضم إلىّ ثلاثين رجلا من كبار الشيعة ممن تختاره قال فركب خالد بن برمك وركبوا معه فساروا إلى عيسى بن موسى فأبلغوه رسالة أبى جعفر المنصور فقال ما كنتُ لأخلع نفسى وقد جعل الله عز وجل الأمر لى فأداره خالد بكل وجه من وجوه الحذر والطمع فأبى عليه فخرج خالد عنه وخرجت الشيعة بعده فقال لهم خالد ما عندكم فى أمره قالوا نبلغ أمير المؤمنين رسالته ونخبره بما كان منا ومنه قال لا ولكنا نخبر أمير المؤمنين أنه قد أجاب ونشهد عليه إن أنكره قالوا له افعل فإنا نفعل فقال لهم هذا هو الصواب وأبلغ أمير المؤمنين فيما حاول وأراد قال فساروا إلى أبى جعفر وخالد معهم فأعلموه أنه قد أجاب فأخرج التوقيع بالبيعة للمهدى وكتب بذلك إلى الآفاق قال وأتى عيسى بن موسى لما بلغه الخبرُ أبا جعفر منكراً لما ادعى عليه من الإجابة إلى تقديم المهدىّ على نفسه وذكّره الله فيما قدمهم به فدعاهم أبو جعفر فسألهم فقالوا نشهد عليه أنه قد أجاب وليس له أن يرجع فأمضى أبو جعفر الأمر وشكر لخالد ما كان منه وكان المهدىّ يعرف ذلك له ويصف جزالة الرأى منه فيه * وذكر عن علىّ بن محمد بن سليمان قال حدثنى أبى عن عبد الله بن أبى سليم مولى عبد الله ابن الحارث بن نوفل قال إنى لأسير مع سليمان بن عبد الله بن الحارث بن نوفل وقد عزم أبو جعفر على أن يقدم المهدى على عيسى بن موسى فى البيعة فإذا نحن بأبى نَخيلة الشاعر ومعه ابناه وعبداه وكل واحد منهما يحمل شيئاً من متاع فوقف عليهم سليمان بن عبد الله فقال أبا نخيلة ما هذا الذى أرى وما هذه الحال التى أنت فيها قال كنتُ نازلا على القعقاع وهو رجل من آل زرارة وكان يتولى لعيسى بن موسى الشرطة فقال لى اخرج عنى فان هذا الرجل قد اصطنعنى وقد بلغنى أنك قلت شعرا فى هذه البيعة للمهدىّ فأخاف أن يبلغه ذلك أن يلزمنى لائمة لنزولك علىّ فأزعجنى حتى خرجتُ قال فقال لى يا عبد الله انطلق بأبى نخيلة فبوّئه فى منزلى موضعا صالحا واستوص به وبمن معه خيرا ثم خبر سليمان بن عبد الله

أبا جعفر بشعر أبى نخيلة الذى يقول فيه

عيسى فَزَحْلفها إلى محمدِ حتى تُؤَدَّى من يد إلى يَدِ
فيكم وتَغْنَى وهى فى تزيد فقد رَضِينا بالغلام الأمرَدِ

قال فلما كان فى اليوم الذى بايع فيه أبو جعفر لابنه المهدى وقدمه على عيسى دعا بأبى نخيلة فأمره فأنشد الشعر فكلمه سليمان بن عبدالله وأشار عليه فى كلامه أن يجزل له العطيّة وقال إنه شىء يبقى لك فى الكتب ويتحدث الناس به على الدهر ويخلد على الأيام ولم يزل به حتى أمر له بعشرة آلاف درهم * وذكر عن حيان بن عبدالله بن حبران الحمّانى قال حدثنى أبو نخيلة قال قدمت على أبى جعفر فأقمت ببابه شهراً لا أصلُ اليه حتى قال لى ذات يوم عبدالله بن الربيع الحارثى يا أبا نخيلة إن أمير المؤمنين يرشِّح ابنه للخلافة والعهد وهو على تقدمته بين يدى عيسى بن موسى فلو قلت شيئا تحثه على ذلك وتذكر فضل المهدى كنت بالحرى أن تصيب منه خيراً ومن ابنه فقلتُ

دُونك عبد الله أهلَ ذاكا خلافةَ الله التى أعطاكا
أصفاك أصفاك بها أصفاكا فقد نَظرنا زمناً أباكا
ثم نظرناك لها إياكا ونحن فيهم والهوى هَواكا
نعم فنستدرِى إلى ذَراكا أَسنِدْ إلى محمد عَصاكا
فابنُك ما اسْترْعَيْتَه كفاكا فأحفَظُ الناس لها أدناكا
فقد جَفلتُ الرِجلَ والأوراكا وحَكْتُ حتى لم أجِدْ محاكا
ودُرتُ فى هذا وذا وذاكا وكلُّ قولٍ قلتُ فى سواكا
زُورٌ وقد كفَّر هذا ذاكا

وقلت أيضا كلمتى التى أقول فيها

إلى أمير المؤمنين فاعْمِدى سِيرى إلى بحرِ البحور المُزْبِدِ
أنت الذى يا ابنَ سَمِىِّ أحمدِ ويا ابنَ بيتِ العرب المُشَيَّدِ
بل يا أمينَ الواحد المؤَبَّدِ إن الذى ولاك ربُّ المسجد

أمسَى ولى عهدِها بالأسعَدِ عيسى فزحلفها إلى محمد
من قبلِ عيسى مَعْهَداً عن معهد حتى تؤدى من يد إلى يد
فيكم وتغنَى وهى فى تزيد فقد رضينا بالغلام الأمرد
بل قد فرغنا غيرَ أن لم نَشْهدِ وغير أنَّ العقدَ لم يُؤكَّدِ
فلو سمعنا الجةَ امْدُدِ امددِ كانت لنا كَدَعقَةِ الوردِ الصَّدِى
فبادر بالبيعة وردَ الحُشَّدِ تَبينُ من يومك هذا أو غدِ
فهو الذى تمَّ فما من عُنَّدِ وزاد ما شئتَ فَزِدْهُ يَزْدَدِ
وردِّه منك رِداءً يَرْتَدِ فهو رداء السابقِ المُقلدِ
قد كان يُرْوَى انها كأنْ قدِ عادت ولو قد فَعلَتْ لم تَرْدُدِ
فَهىَ تَرامَى فَدْفداً عن فدفدِ حيناً فلو قد حان وردُ الوُرَّدِ
وحان تحويلُ الغَوىِّ المُفسِدِ قال لها اللهُ هَلُمِّى وارشدى
فأصْبحَتْ نازلةً بالمعهدِ والمحتِدِ المحتدِ خيرِ المحتد
لم يرمِ تزْمارَ النفوس الحُسَّدِ بمثلِ قرمٍ ثابتٍ مُؤيد
لما انْتَحَوْا قدْحاً بزِنْدٍ مُصْلِدِ بُلوا بِمُشْزُورِ القُوى المُسْتحصِدِ
يَزْدادُ إيقاظا على التَّهدُدِ فَداوِلوا باللينِ والتَّعبُّدِ
صَمْصامَةً تأكُلُ كلَّ مِبْرَدِ

قال فرويت وصارت فى أفواه الخدم وبلغت أبا جعفر فسأل عن قائلها فأخبر أنها لرجل من بنى سعد بن زيد مناة فأعجبه فدعانى فأدخلتُ عليه وإن عيسى بن موسى لعنْ يمينه والناس عنده ورؤس القواد والجند فلما كنتُ بحيث يرانى ناديت ياأمير المؤمنين أدننى منك حتى أفهمك وتسمع مقالتى فأومأ بيده فأدنيتُ حتى كنتُ قريبا منه فلما صرتُ بين يديه قلتُ ورفعتُ صوتى أنشده من هذا الموضع ثم رجعتُ إلى أوّل الارجوزة فأنشدتها من أوّلها إلى هذا الموضع أيضا فأعدتُ عليه حتى أتيتُ على آخرها والناس منصتون وهو يتسارّ بما أنشده مستمعا له فلما خرجنا من عنده إذا رجل واضع يده على منكبى فالتفتّ فاذا عقال بن

شبة يقول أما أنت فقد سررت أمير المؤمنين فان التأم الأمر على ماتحب وقلت
فلعمري لتصيبن منه خيراً وان يك غير ذلك فابتغ نفقافى الأرض أو سلمافى السماء
قال فكتب له المنصور بصلة إلى الرى فوجه عيسى فى طلبه فلحق فى طريقه فذُبح
وسُلخ وجهه * وقيل قتل بعد ماانصرف من الرى وقد أخذ الجائزة * وذكر
عن الوليد بن محمد العنبرى أن سبب اجابة عيسى أبا جعفر إلى تقديم المهدى
عليه كان أن سلم بن قتيبة قال له أيها الرجل بايع وقدمه على نفسك فانك لن
تخرج من الأمر قد جعل لك الأمر من بعده وترضى أمير المؤمنين قال
أوَ تَرَى ذلك قال نعم قال فانى أفعل فأتى سلم المنصور فأعلمه إجابة عيسى فسُرّ
بذلك وعظم قدر سلم عنده وبايع الناس المهدى ولعيسى بن موسى من بعده
وخطب المنصور خطبته التى كان فيها تقديم المهدى على عيسى وخطب عيسى بعد ذلك
فقدم المهدى على نفسه ووفى له المنصور بما كان ضمن له (وقد ذكر) عن بعض
صحابة أبى جعفر أنه قال تذاكرنا أمر أبى جعفر المنصور وأمر عيسى بن موسى
فى البيعة وخلعه إياها من عنقه وتقديمها المهدى فقال لى رجل من القواد سماه
والله الذى لا إله غيره ما كان خلعه إياها منه إلا برضى من عيسى وركون منه
إلى الدراهم وقلة علمه بقدر الخلافة وطلبا للخروج منها أنى يوم خرج للخلع فخلع
نفسه وإنى لفى مقصورة مدينة السلام إذ خرج علينا أبو عبيدة كاتب المهدى فى
جماعة من أهل خراسان فتكلم عيسى فقال إنى قد سلمت ولاية العهد لمحمد بن
أمير المؤمنين وقدمتُه على نفسى فقال أبو عبيد الله ليس هكذا أعز الله الأمير
ولكن قل ذلك بحقه وصدقه وأخبر بما رغبت فيه فأعطيت قال نعم قد بعت
نصيبى من تقدمة ولاية العهد من عبد الله أمير المؤمنين لابنه محمد المهدى بعشرة
آلاف ألف درهم وثلاثمائة ألف بين ولدى فلان وفلان وفلان سماهم وسبعمائة
ألف لفلانة امرأة من نسائه سماها بطيب نفس منى وحب لتصييرها إليه لأنه أولى
بها وأحق وأقوى عليها وعلى القيام بها وليس لى فيها حق لتقدمته قليل ولا كثير
فما ادّعيتُه بعد يومى هذا فأنا فيه مبطل لا حق لى فيه ولا دعوى ولا طلبة قال

والله وهو فى ذلك ربما نسى الشىء بعد الشىء فيوقفه عليه أبو عبيدالله حتى فرغ حباً للاستيثاق منه وختم الكتاب وشهد عليه الشهود وأنا حاضر حتى وضع عليه عيسى خطه وخاتمه والقوم جميعاً ثم دخلوا من باب المقصورة إلى القصر قال وكسا أمير المؤمنين عيسى وابنه موسى وغيره من ولده كسوة بقيمة ألف ألف درهم ونيف ومائتى ألف درهم * وكانت ولاية عيسى بن موسى الكوفة وسوادها وما حولها ثلاث عشرة سنة حتى عزله المنصور واستعمل محمد بن سليمان بن على حين امتنع من تقديم المهدىّ على نفسه * وقيل إن المنصور إنما ولى محمد بن سليمان الكوفة حين ولاه إياها ليستخف بعيسى فلم يفعل ذلك محمد ولم يزل معظماً له مبجلا (وفى هذه السنة) ولى أبو جعفر محمد بن أبى العباس بن أخيه البصرة فاستعفى منها فأعفاه فانصرف عنها إلى مدينة السلام فمات بها فصرخت امرأته البغوم بنت علىّ بن الربيع واقتيلاه فضربها رجل من الحرس بجلويز على عجيزتها فتعاوره خدم لمحمد بن أبى العباس فقتلوه فطلّ دمه وكان محمد بن أبى العباس حين شخص عن البصرة استخلف بها عقبة بن سلم فأقره عليها أبو جعفر إلى سنة ١٥١ (وحج) بالناس فى هذه السنة المنصور وكان عامله فيها على مكة والطائف عمه عبد الصمد ابن على وعلى المدينة جعفر بن سليمان وعلى الكوفة وأرضها محمد بن سليمان وعلى البصرة عقبة بن سلم وعلى قضائها سوار بن عبدالله وعلى مصر يزيد بن حاتم

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك توجيه المنصور حميد بن قحطبة إلى أرمينية لحرب الترك الذين قتلوا حرب بن عبدالله وعاثوا بتفليس فسار حميد إلى أرمينية فوجدهم قد ارتحلوا فانصرف ولم يلق منهم أحدا (وفى هذه السنة) عسكر صالح بن على بدابق فيما ذكر ولم يغز (وحج) بالناس فيها جعفر بن أبى جعفر المنصور وكانت ولاة الأمصار فى هذه السنة ولاتها فى السنة التى قبلها

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزوة العباس بن محمد الصائفة أرض الروم ومعه الحسن ابن قحطبة ومحمد بن الأشعث فهلك محمد بن الأشعث فى الطريق ﴿وفى هذه السنة﴾ استتم المنصور بناء سور مدينة بغداد وفرغ من خندقها وجميع أمورها ﴿وفيها﴾ شخص إلى حديثة الموصل ثم انصرف إلى مدينة السلام ﴿وحج﴾ فى هذه السنة بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ﴿وفى هذه السنة﴾ عزل عبد الصمد بن على عن مكة ووليها محمد بن إبراهيم * وكانت عمال الأمصار فى هذه السنة العمال الذين كانوا عمالها فى سنة ١٤٧ وسنة ١٤٨ غير مكة والطائف فإن واليها كان فى هذه السنة محمد بن إبراهيم بن محمد بن على ابن عبد الله بن عباس

ثم دخلت سنة خمسين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك خروج أستاذ سيس فى أهل هراة وباذَغيس وسجستان وغيرها من كور خراسان وكان فيما ذكر فى زهاء ثلثمائة ألف مقاتل فغلبوا على عامة خراسان وساروا حتى التقوا هم وأهل مرو الروذ فخرج إليهم الأجثم المروروذى فى أهل مرو الروذ فقاتلوه قتالا شديداً حتى قتل الأجثم وكثر القتل فى أهل مرو الروذ وهزم عدة من القواد منهم معاذ بن مسلم بن معاذ وجبرئيل بن يحيى وحماد بن عمرو وأبو النجم السجستانى وداود بن كراز فوجه المنصور وهو بالبرَدان خازم بن خزيمة إلى المهدى فولاه المهدى محاربة أستاذ سيس وضم القواد إليه * فذكر أن معاوية بن عبيد الله وزير المهدى كان يوهّن أمر خازم والمهدى يومئذ بنيسابور وكان معاوية يخرج الكتب إلى خازم بن خزيمة وإلى غيره من القواد بالأمر والنهى فاعتل خازم وهو فى عسكره فشرب الدواء

ثم ركب البريد حتى قدم على المهدى بنيسابور فسلم عليه واستخلاه وبحضرته أبو عبيد الله فقال المهدى لا عَيق عليك من أبى عبيدالله فقل ما بدالك فأبى خازم أن يخبره أو يكلمه حتى قام أبو عبيد الله فلما خلا به شكا اليه أمر معاوية بن عبيدالله وأخبره بعصبيته وتحامله وما كان يرد من كتبه عليه وعلى من قبله من القواد وما صاروا اليه بذلك من الفساد والتآمر فى أنفسهم والاستبداد بآرائهم وقلة السمع والطاعة وأن أمر الحرب لا يستقيم إلا برأس وأن لا يكون فى عسكره لواء يخفق على رأس أحد إلا لواؤه أو لواء هو عقده وأعلمه أنه غير راجع إلى قتال أستاذ سيس ومن معه إلا بتفويض الأمر اليه وإعفائه من معاوية بن عبيد الله وأن يأذن له فى حلّ ألوية القواد الذين معه وأن يكتب اليهم بالسمع له والطاعة فأجابه المهدىّ إلى كل ما سأل فانصرف خازم إلى عسكره فعمل برأيه وحل لواء من رأى حل لوائه من القواد وعقد لواء لمن أراد وضمّ اليه من كان انهزم من الجنود فجعلهم حشواً يكثر بهم من معه فى أخريات الناس ولم يقدمهم لما فى قلوب المغلوبين من روعة الهزيمة وكان من ضمّ إليه من هذه الطبقة اثنين وعشرين ألفاً ثم انتخب ستة آلاف رجل من الجند فضمهم إلى اثنى عشر ألفاً كانوا معه متخيرين وكان بكارُ بن مسلم العُقَيلىّ فيمن انتخب ثم تعبأ للقتال وخندق واستعمل الهيثم بن شعبة بن ظهير على ميمنته ونهار بن حصين السعدىّ على ميسرته وكان بكار بن مسلم العقيلىّ على مقدمته وتُرارخُدا على ساقته وكان من أبناء ملوك أعاجم خراسان وكان لواؤه مع الزبرقان وعَلمه مع مولاه بسّام فمكر بهم وراوغهم فى تنقّله من موضع إلى موضع وخندق إلى خندق حتى قطعهم وكان أكثرهم رجالة ثم سار خازم إلى موضع فنزله وخندق عليه وأدخل خندقه جميع ما أراد وأدخل فيها جميع أصحابه وجعل له أربعة أبواب وجعل على كل باب منها من أصحابه الذين انتخب وهم أربعة آلاف وجعل مع بكار صاحب مقدّمته ألفين تكملة الثمانية عشر ألفاً وأقبل الآخرون ومعهم المرور والفؤوس والزُّبل يريدون دفن الخندق ودخوله فأتوا الخندق من الباب الذى كان عليه بكار بن مسلم فشدّوا عليه شدّة لم يكن لأصحاب بكار نهاية دون أن انهزموا

حتى دخلوا عليهم الخندق * فلما رأى ذلك بكار رمى بنفسه فترجل على باب الخندق ثم نادى أصحابه يا بنى الفواجر من قبلى يؤتى المسلمون فترجّل من معه من عشيرته وأهله نحو من خمسين رجلا فمنعوا بابهم حتى أجلوا القوم عنه وأقبل إلى الباب الذى كان عليه خازم رجل كان مع أستاذ سيس من أهل سجستان يقال له الحريش وهو الذى كان يدبّر أمرهم فلما رآه خازم مقبلا بعث إلى الهيثم بن شعبة وكان فى الميمنة أن اخرج من بابك الذى أنت عليه فخذ غير الطريق الذى يُوصلك إلى الباب الذى عليه بكار فان القوم قد شغلوا بالقتال وبالاقبال الينا فاذا علوت فجزت مبلغ أبصارهم فأتهم من خلفهم وقد كانوا فى تلك الأيام يتوقعون قدوم أبى عون وعمرو بن سلم بن قتيبة من طخارستان وبعث خازم إلى بكار بن مسلم إذا رأيت رايات الهيثم بن شعبة قد جاءتك من خلفك فكبروا وقولوا قد جاء أهل طخارستان ففعل ذلك أهل الهيثم وخرج خازم فى القلب على الحريش السجستانى فاجتلدوا بالسيوف جلاداً شديداً وصبر بعضهم لبعض فبيناهم على تلك الحال اذ نظروا إلى أعلام الهيثم وأصحابه فتنادوا فيما بينهم وجاء أهل طخارستان فلما نظر أصحاب الحريش إلى تلك الأعلام ونظر من كان بإزاء بكار ابن مسلم اليها شدّ عليهم أصحاب خازم فكشفوهم ولقيهم أصحابُ الهيثم فطعنوهم بالرماح ورموهم بالنُّشاب وخرج عليهم نهار بن حصين وأصحابه من ناحية الميسرة وبكار بن مسلم وأصحابه من ناحيتهم فهزموهم ووضعوا فيهم السيوف فقتلهم المسلمون وأكثروا فكان من قتل منهم فى تلك المعركة نحواً من سبعين ألفا وأسروا أربعة عشر ألفا ولجأ أستاذ سيس إلى جبل فى عدة من أصحابه يسيرة فقدم خازم الأربعة عشر ألف أسير فضرب أعناقهم وسار حتى نزل باستاذ سيس فى الجبل الذى كان لجأ اليه ووافى خازما بذلك المكان أبو عون وعمرو بن سلم بن قتيبة فى أصحابهما فأنزلهم خازم ناحية وقال كونوا مكانكم حتى نحتاج إليكم فحصر خازم استاذسيس وأصحابه حتى نزلوا على حكم أبى عون ولم يرضوا إلا بذلك فرضى بذلك خازم فأمر أبا عون باعطائهم أن ينزلوا على حكمه ففعل فلما نزلوا على حكم

أبى عون حكم فيهم أن يُوثق استاذسيس وبنوه وأهل بيته بالحديد وأن يُعتق الباقون وهم ثلاثون ألفا فأنفذ ذلك خازم من حكم أبى عون وكسا كلّ رجل منهم ثوبين وكتب خازم بما فتح الله عليه وأهلك عدوه إلى المهدى فكتب بذلك المهدىّ إلى أمير المؤمنين المنصور * وأما محمد بن عمر فانه ذكر أن خروج استاذسيس والحريش كان فى سنة ١٥٠ وان استاذسيس هُزم فى سنة ١٥١ (وفى هذه السنة) عزل المنصورُ جعفر بن سليمان عن المدينة وولاها الحسن ابن يزيد بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه (وفيها) توفى جعفر بن أبى جعفر المنصور الأكبرُ بمدينة السلام وصلى عليه أبوه المنصور ودُفن ليلا فى مقابر قريش ولم تكن للناس فى هذه السنة صائفة قيل أن أبا جعفر كان ولى الصائفة فى هذه السنة أسيدا فلم يدخل بالناس أرض العدو ونزل مرج دابق (وحج) بالناس فى هذه السنة عبد الصمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس وكان العامل على مكة والطائف فى هذه السنة عبد الصمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس وقيل كان العامل على مكة والطائف فى هذه السنة محمد بن ابراهيم بن محمد وعلى المدينة الحسن بن زيد العلوىّ وعلى الكوفة محمد بن سليمان بن علىّ وعلى البصرة عقبة بن سلم وعلى قضائها سوار وعلى مصر يزيد بن حاتم

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك ما كان من إغارة الكرك فيها فى البحر على جُدَّة ذكر ذلك محمد بن عمر (وفيها) ولى عمر بن حفص بن عثمان بن أبى صفرة أفريقية وعزل عن السند وولى موضعه هشام بن عمرو التغلبىّ

ذكر الخبر عن سبب عزل المنصور عمر بن حفص عن السند وتوليته إياه أفريقية واستعماله على السند هشام بن عمرو

وكان سبب ذلك فيما ذكر علىّ بن محمد بن سليمان بن على العباسى عن أبيه أن المنصور ولى عمر بن حفص الصفرى الذى يقال له هزارمرد السند فأقام بها

حتى خرج محمد بن عبد الله بالمدينة وإبراهيم بالبصرة فوجه محمد بن عبد الله ابنه عبد الله بن محمد الذى يقال له الأشتر فى نفر من الزيدية الى البصرة وأمرهم أن يشتروا مهارة خيل عتاق بها ويمضوا بها معهم إلى السند ليكون سببا له إلى الوصول إلى عمر بن حفص وإنما فعل ذلك به لأنه كان فيمن بايعه من قواد أبى جعفر وكان له ميل إلى آل أبى طالب فقدموا البصرة على إبراهيم بن عبد الله فاشتروا منها مهارة وليس فى بلاد السند والهند شىء أنفق من الخيل العتاق ومضوا فى البحر حتى صاروا إلى السند ثم صاروا إلى عمر بن حفص فقال نحن قوم نخاسون ومعنا خيل عتاق فأمرهم أن يعرضوا خيلهم فعرضوها عليه فلما صاروا إليه قال له بعضهم أدننى منك أذكر لك شيئاً فأدناه منه وقال له إنا جئناك بما هو خير لك من الخيل ومالك فيه خير الدنيا والآخرة فأعطنا الأمان على خلتين إما أنك قبلت ما أتيناك به وإما سترت وأمسكت عن أذانا حتى نخرج من بلادك راجعين فأعطاهم الأمان فقالوا ما للخيل أتيناك ولكن هذا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن حسن بن حسن أرسله أبوه إليك وقد خرج بالمدينة ودعا لنفسه بالخلافة وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة وغلب عليها فقال بالرحب والسعة ثم بايعهم له وأمر به فتوارى عنده ودعا أهل بيته وقواده وكبراء أهل البلد للبيعة فأجابوه فقطع الأعلام البيض والأقبية البيض والقلانس البيض وهيأ لبسته من البياض يصعد فيها إلى المنبر وتهيأ لذلك يوم خميس فلما كان يوم الأربعاء إذا حرّاقة قد وافت من البصرة فيها رسول لخليدة بنت المعارك امرأة عمر بن حفص بكتاب إليه تخبره بقتل محمد بن عبد الله فدخل على عبد الله فأخبره الخبر وعزاه ثم قال له إنى كنت بايعت لأبيك وقد جاء من الأمر ما ترى فقال له إن أمرى قد شهر ومكانى قد عرف ودمى فى عنقك فانظر لنفسك أودع قال قد رأيت رأياً ههنا ملك من ملوك السند عظيم المملكة كثير التبع وهو على شركه أشد الناس تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رجلٌ وفىٌّ فأرسل إليه فاعقد بينك وبينه عقدا وأوجهك إليه تكون عنده فلست ترام معه قال افعل ما شئت ففعل ذلك فصار اليه فأظهر

إكرامه وبره براً كثيراً وتسللت إليه الزيدية حتى صار إليه منهم أربعمائة إنسان من أهل البصائر فكان يركب فيهم فيصيد ويتنزه فى هيئة الملوك وآلاتهم فلما اقتل محمد وإبراهيم انتهى خبر عبد الله الأشتر إلى المنصور فبلغ ذلك منه فكتب إلى عمر ابن حفص يخبره بما بلغه فجمع عمر بن حفص قرابته فقرأ عليهم كتاب المنصور يخبرهم أنه إن أقر بالقصة لم يُنظره المنصور أن يعزله وإن صار اليه قتله وإن امتنع حاربه فقال له رجل من أهل بيته ألق الذنب علىَّ واكتب اليه بخبرى وخذنى الساعة فقيدنى واحبسنى فإنه سيكتب احمله إلى فاحملنى إليه فلم يكن ليقدم علىَّ لموضعك فى السند وحال أهل بيتك بالبصرة قال إنى أخاف عليك خلاف ما تظن قال إن قتلت أنا فنفسى فداؤك فإنى سخىٌّ بها فداء لنفسك فإن حُيّيتُ فمن الله فأمر به فقُيِّد وحبس وكتب الى المنصور يخبره بذلك فكتب إليه المنصور يأمره بحمله اليه فلما صار إليه قدمه فضرب عنقه ثم مكث يروّى من يولى السند فأقبل يقول فلان فلان ثم يعرض عنه فبينا هو يوما يسير ومعه هشام بن عمرو التغلبي والمنصور ينظر إليه فى موكبه إذ انصرف إلى منزله فلما ألقى ثوبه دخل الربيع فآذنه بهشام فقال أو لم يكن معى آنفا قال ذكر أن له حاجة عرضت مهمة فدعا بكرسىّ فقعد عليه ثم أذن له فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين إنى انصرفت إلى منزلى من الموكب فلقيتنى أختى فلانة بنت عمرو فرأيت من جمالها وعقلها ودينها ما رضيتها لأمير المؤمنين فجئت لأعرضها عليه فأطرق المنصور وجعل ينكت الأرض بخيزرانة فى يده وقال اخرج يأتك أمرى فلما ولى قال يا ربيع لولا بيت قاله جرير فى بنى تغلب لتزوجت أخته وهو قوله

لا تَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً فى تَغْلِبٍ فالزِّنْجُ أكرمُ منهُمُ أخوالا

فأخاف أن تلد لى ولداً فيعيَّر بهذا البيت ولكن اخرج إليه فقل له يقول لك أمير المؤمنين لو كانت لى حاجة إلى لم أعدل عنها غير التزويج ولو كانت لى حاجة إلى التزويج لقبلت ما أتيتنى به فجزاك الله عما عمدت له خيراً وقد عوّضتك من ذلك ولاية السند وأمره أن يكاتب ذلك الملك فإن أطاعه وسلم إليه عبد الله

ابن محمد وإلا حاربه وكتب إلى عمر بن حفص بولايته أفريقية فخرج هشام بن عمرو التغلبي إلى السند فوليها وأقبل عمر بن حفص يخوض البلاد حتى صار إلى أفريقية فلما صار هشام بن عمرو إلى السند كره أخذ عبد الله وأقبل يرى الناس أنه يكاتب الملك ويرفق به فاتصلت الأخبار بأبى جعفر بذلك فجعل يكتب إليه يستحثه فبينا هو كذلك إذ خرجت خارجة ببعض بلاد السند فوجه إليهم أخاه سَفَنَّجا فخرج يجر الجيش وطريقه بجنبات ذلك الملك فبيناهو يسير إذا هو برهج قد ارتفع من موكب فظن أنه مقدّمة للعدوّ الذى يقصد فوجه طلائعه فرجعت فقالت ليس هذا عدوّك الذى تريد ولكن هذا عبدالله بن محمد الأشتر العلوىّ ركب متنزها يسير على شاطئ مهران فمضى يريده فقال له نُصّاحه هذا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علمت أن أخاك تركه متعمدا مخافة أن يبوء بدمه ولم يقصدك إنما خرج متنزها وخرجت تريد غيره فأعرض عنه وقال ما كنتُ لأدَعَ أحدا يحوزه ولا أدع أحدا يحظى بالتقرّب إلى المنصور يأخذه وقتله وكان فى عشرة فقصد قصده وذمر أصحابه فحمل عليه فقاتله عبدالله وقاتل أصحابه بين يديه حتى قتل وقتلوا جميعا فلم يفلت منهم مخبر وسقط بين القتلى فلم يشعر به وقيل إن أصحابه قذفوه فى مهران لما قتل لئلا يؤخذ رأسه فكتب هشام بن عمرو بذلك كتاب فتح إلى المنصور يخبره أنه قصده قصداً فكتب اليه المنصور يحمد أمره ويأمره بمحاربة الملك الذى آواه وذلك أن عبدالله كان اتخذ جوارى وهو بحضرة ذلك الملك فأولد منهن واحدة محمد بن عبدالله وهو أبو الحسن محمد العلوىّ الذى يقال له ابن الأشتر فحاربه حتى ظفر به وغلب على مملكته وقتله ووجه بأم ولد عبدالله وابنه إلى المنصور فكتب المنصور إلى واليه بالمدينة يخبره بصحة نسب الغلام وبعث به اليه وأمره أن يجمع آل أبى طالب وأن يقرأ عليهم كتابه بصحة نسب الغلام ويسلمه إلى أقربائه

﴿وفى هذه السنة﴾ قدم على المنصور ابنه المهدى من خراسان وذلك فى شوال منها فوفد اليه للقائه وتهنئة المنصور بمقدمه عامة أهل بيته من كان منهم بالشأم والكوفة والبصرة وغيرها فأجازهم وكساهم وحملهم وفعل مثل ذلك بهم

المنصور وجعل لابنه المهدىّ صحابة منهم وأجرى لكل رجل منهم خمسمائة درهم
(وفى هذه السنة) ابتدأ المنصور ببناء الرصافة فى الجانب الشرقىّ من مدينة السلام
لابنه محمد المهدىّ

ذكر الخبر عن سبب بنائه ذلك له

* ذكر عن أحمد بن محمد الشروىّ عن أبيه أن المهدىّ لما قدم من خراسان أمره المنصور بالمقام بالجانب الشرقىّ وبنى له الرصافة وعمل لها سورا وخندقا وميدانا وبستانا وأجرى له الماء فكان يجرى من نهر المهدىّ إلى الرصافة * وأما خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن خازم فانه ذكر أن محمد بن موسى بن محمد ابن إبراهيم بن محمد بن علىّ بن عبدالله بن عباس حدثه أن أباه حدثه أن الراوندية لما شغبوا على أبى جعفر وحاربوه على باب الذهب دخل عليه قُثم بن العباس ابن عبيد الله بن العباس وهو يومئذ شيخ كبير مُقدّم عند القوم فقال له أبو جعفر أماترى مانحن فيه من التياث الجند علينا قد خفتُ أن تجتمع كلمتُهم فيخرج هذا الأمر من أيدينا فماترى قال ياأمير المؤمنين عندى فى هذا رأىٌ إن أنا أظهرته لك فسد وإن تركتنى أمضيته صلحت لك خلافتك وهابك جندك فقال له أفتمضى فى خلافتى أمراً لاتعلمنى ماهو فقال له إن كنت عندك متهما على دولتك فلا تشاورنى وإن كنتُ مأمونا عليها فدعنى أمضى رأيى فقال له فأمضه قال فانصرف قثم إلى منزله فدعا غلَاما له فقال له إذا كان غداً فتقدمنى فاجلس فى دار أمير المؤمنين فاذا رأيتنى قد دخلت وتوسطت أصحابَ المراتب فخذ بعنان بغلتى فاستوقفنى واستحلفنى بحق رسول الله وحق العباس وحق أمير المؤمنين لما وقفت لك وسمعتُ مسألتك وأجبتك عنها فإنى سأنتهرك وأغلظ لك القول فلا يهولنك ذلك منى وعاودنى بالمسئلة فانى سأشتمك فلا يروعنك ذلك وعاودنى بالقول والمسئلة فانى سأضربك بسوطى فلا يشق ذلك عليك فقل لى أىّ الحيّين أشرف اليمن أم مضر فاذا أجبتك فخلّ عنان بغلتى وأنت حُرّ قال فغدا الغلام فجلس حيث أمره من دار الخليفة فلما جاء الشيخ فعل الغلام ما أمره به مولاه وفعل المولى ما كان قاله له ثم قال له

قل فقال أى الحيين أشرف اليمن أم مضر قال فقال قثم مضر كان منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها كتاب الله عزوجل وفيها بيت الله ومنها خليفة الله قال فامتعضت اليمن إذ لم يُذكر لها شىء من شرفها فقال له قائد من قوّاد اليمن ليس الأمر كذلك مطلقا بغير شرفة ولا فضيلة لليمن ثم قال لغلامه قم فخذ بعنان بغلة الشيخ فاكبحها كبحا عنيفا تطأ مَن به منه قال ففعل الغلام ما أمره به مولاه حتى كاد أن يُقعيها على عراقيبها فامتعضت من ذلك مضر فقالت أيفعل هذا بشيخنا فأمر رجل منهم غلامه فقال اقطع يد العبد فقام إلى غلام اليمانىّ فقطع يده فنفر الحيان وصرف قثم بغلته فدخل على أبى جعفر وافترق الجند فصارت مضر فرقة واليمن فرقة والخراسانية فرقة وربيعة فرقة فقال قثم لأبى جعفر قد فرّقتُ بين جندك وجعلتهم أحزابا كلّ حزب منهم يخاف أن يحدث عليك حدثا فتضربه بالحزب الآخر وقد بقى عليك فى التدبير بقية قال ماهى قال أعبر بابنك فأنزله فى ذلك الجانب قصرا وحوله وحول من جيشك معه قوما فيصير ذلك بلداً وهذا بلداً فان فسد عليك أهل هذا الجانب ضربتهم بأهل ذلك الجانب وإن فسد عليك أهل ذلك الجانب ضربتهم بأهل هذا الجانب وان فسدت عليك مضر ضربتها باليمن وربيعة والخراسانية وإن فسدت عليك اليمن ضربتها بمن أطاعك من مضر وغيرها قال فقبل أمره ورأيه فاستوى له ملكه وكان ذلك سبب البناء فى الجانب الشرقىّ وفى الرصافة واقطاع القوّاد هناك قال وتولى صالح صاحب المصلى القطائع فى الجانب الشرقىّ ففعل كفعل أبى العباس الطوسىّ فى فضول القطائع فى الجانب الغربىّ فله بباب الجسر وسوق يحيى ومسجد خضير وفى الرصافة وطريق الزواريق على دجلة مواضع بناء بما استوهب من فضل الاقطاع عن أهله وصالح رجل من أهل خراسان ﴿وفى هذه السنة﴾ جدد المنصور البيعة لنفسه ولابنه محمد المهدىّ من بعده ولعيسى بن موسى من بعد المهدىّ على أهل بيته فى مجلسه فى يوم جمعة وقد عمهم بالإذن فيه فكان كل من بايعه منهم يقبل يده ويد المهدى ثم يمسح على يد عيسى بن موسى ولا يقبل يده ✿ وغزا الصائفة فى هذه

السنة عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد ﴿ وفيها ﴾ شخص عقبة بن سلم من البصرة واستخلف عليها ابنه نافع بن عقبة إلى البحرين فقتل سليمان بن حكيم العبدى وسبي أهل البحرين وبعث ببعض من سبي منهم وأسارى منهم إلى أبي جعفر فقتل منهم عدة ووهب بقيتهم للمهدى فمنّ عليهم وأعتقهم وكسا كلّ إنسان منهم ثوبين من ثياب مرو ثم عزل عقبة بن سلم عن البصرة * فذكر عن افريك جارية أسد بن المرزبان أنها قالت بعث المنصور أسد بن المرزبان إلى عقبة بن سلم إلى البحرين حين قتل منهم من قتل ينظر فى أمره فمايله ولم يستقص عليه وورى عنه فبلغ ذلك أبا جعفر وبلغه أنه أخذ منه مالا فبعث اليه أبا سويد الخراسانى وكان صديق أسد وأخاه فلما رآه مقبلا على البريد فرح وكان ناحية من عسكر عقبة فتطاول له وقال صديقى فوقف عليه فوثب ليقوم اليه فقال له أبو سويد بشين بشين فجلس فقال له أنت سامع مطيع قال نعم قال مد يدك فمد يده فضربها فأطنها ثم مد رجله ثم مد يده ثم رجله حتى قطع الأربع ثم قال مد عنقك فمد فضرب عنقه قالت افريك فأخذت رأسه فوضعته فى حجرى فأخذه منى فحمله إلى المنصور فما أكلت افريك لحماً حتى ماتت وزعم الواقدى أن أبا جعفر ولى معن بن زائدة فى هذه السنة سجستان ﴿ وحج ﴾ بالناس فى هذه السنة محمد ابن ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وكان العامل على مكة والطائف محمد بن ابراهيم وعلى المدينة الحسن بن زيد وعلى الكوفة محمد بن سليمان بن على وعلى البصرة جابر بن توبة الكلابى وعلى قضائها سوار بن عبد الله وعلى مصر يزيد بن حاتم

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك ما كان من قتل الخوارج فيها معن بن زائدة الشيبانى ببست سجستان ﴿ وفيها ﴾ غزا حميد بن قحطبة كابل وكان المنصور ولاه خراسان فى سنة ١٥٢

وغزا فيما ذكر الصائفة عبد الوهاب بن إبراهيم ولم يدرب وقيل إن الذى غزا الصائفة فى هذه السنة محمد بن ابراهيم (وفيها) عزل المنصور جابر بن توبة عن البصرة وولاها يزيد بن منصور (وفيها) قتل أبو جعفر هاشم بن الأشتاخنج وكان عصى وخالف فى افريقية فحمل اليه هو وابن خالد المروروذى فقتل ابن الأشتاخنج بالقادسية وهو متوجه إلى مكة (وحج) بالناس فى هذه السنة المنصور فذكر أنه شخص من مدينة السلام فى شهر رمضان ولا يعلم بشخوصه محمد بن سليمان وهو عامله على الكوفه يومئذ ولا عيسى بن موسى ولا غيرهما من أهل الكوفة حتى قرب منها (وفيها) عزل يزيد بن حاتم عن مصر ووليها محمد بن سعيد وكان عمال الأمصار فى هذه السنة هم العمال فى السنة الخالية إلا البصرة فان عاملها فى هذه السنة كان يزيد بن منصور وإلا مصر فان عاملها كان فى هذه السنة محمد بن سعيد

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك تجهيز المنصور جيشاً فى البحر لحرب الكرك بعد مقدمه البصرة منصرفا من مكة اليها بعد فراغه من حجه وكانت الكرك أغارت على جدة فلما قدم المنصور البصرة فى هذه السنة جهز منها جيشاً لحربهم فنزل الجسر الأكبر حين قدمها فيما ذكر وقدمته هذه البصرة القدمة الآخرة وقيل إنه إنما قدمها القدمة الآخرة فى سنة ١٥٥ وكانت قدمته الأولى فى سنة ١٤٥ وأقام بها أربعين يوما وبنى بها قصراً ثم انصرف منها إلى مدينة السلام (وفيها) غضب المنصور على أبى أيوب الموريانى فحبسه وأخاه وبنى أخيه سعيداً ومسعوداً ومخلداً ومحمداً وطالبهم وكانت منازلهم المناذر وكان سبب غضبه عليه فيما قيل سعى أبان بن صدقة كاتب أبى أيوب اليه (وفى هذه السنة) قتل عمر بن حفص بن عثمان بن أبى صفرة بافريقية قتله أبو حاتم الأباضى وأبو عاد ومن كان معهما من البربر

وكانوا فيما ذكر ثلثمائة ألف وخمسين ألفاً الخيل منها خمسة وثلاثون ألفا ومعهم أبو قرة الصفرى فى أربعين ألفا وكان يسلم عليه قبل ذلك بالخلافة أربعين يوما (وفيها) حمل عباد مولى المنصور وهرثمة بن أعين ويوسف بن علوان من خراسان فى سلاسل لتعصبهم لعيسى بن موسى (وفيها) أخذ المنصور الناس بلبس القلانس الطوال المفرطة الطول وكانوا فيما ذكر يحتالون لها بالقصب من داخل فقال أبو دلامة

وكنا نُرَجّى من إمامٍ زيادةً فزاد الإمامُ المصطفى فى القلانِسِ
ترَاها على هامِ الرِّجالِ كأنها دِنانُ يهودٍ جُلِلتْ بالبرانِسِ

(وفيها) توفى عبيد ابن بنت أبى ليلى قاضى الكوفة فاستقضى مكانه شريك بن عبد الله النخعى (وفيها) غزا الصائفة معيوف بن يحيى الحجورى فصار إلى حصن من حصون الروم ليلا وأهله نيام فسبى وأسر من كان فيه من المقاتلة ثم صار إلى اللاذقية المحترقة ففتحها وأخرج منها ستة آلاف رأس من السبى سوى الرجال البالغين (وفيها) ولى المنصور بكار بن مسلم العقيلى على أرمينية (وحج) بالناس فى هذه السنة محمد بن أبى جعفر المهدى * وكان على مكة والطائف يومئذ محمد بن ابراهيم وعلى المدينة الحسن بن زيد بن الحسن وعلى الكوفة محمد بن سليمان وعلى البصرة يزيد بن منصور وعلى قضائها سوار وعلى مصر محمد بن سعيد وذكر الواقدى أن يزيد بن منصور كان فى هذه السنة والى اليمن من قبل أبى جعفر المنصور

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

فمن ذلك خروج المنصور إلى الشام ومصيره إلى بيت المقدس وتوجيهه يزيد ابن حاتم إلى افريقية فى خمسين ألفا فيما ذُكر لحرب الخوارج الذين كانوا بها الذين قتلوا عامله عمر بن حفص * وذكر أنه أنفق على ذلك الجيش ثلاثة وستين

ألف ألف درهم (وفى هذه السنة) عزم المنصور فيما ذكر على بناء مدينة الرافقة فذكر عن محمد بن جابر عن أبيه أن أبا جعفر لما أراد بناءها امتنع أهل الرقة وأرادوا محاربته وقالوا تعطل علينا أسواقنا وتذهب بمعائشنا وتضيق منازلنا فهمّ بمحاربتهم وبعث إلى راهب فى الصومعة هنالك فقال له هل لك علم بأن إنسانا يبنى ههنا مدينة فقال بلغنى أن رجلا يقال له مقلاص يبنيها فقال أنا والله مقلاص * وذكر محمد بن عمر أن صاعقة سقطت فى هذه السنة فى المسجد الحرام فقتلت خمسة نفر (وفيها) هلك أبو أيوب المورياني وأخوه خالد وأمر المنصور موسى بن دينار حاجب أبى العباس الطوسى بقطع أيدى بنى أخى أبى أيوب وأرجلهم وضرب أعناقهم وكتب بذلك إلى المهدى ففعل ذلك موسى وأنفذ فيهم ما أمره به (وفيها) ولى عبد الملك بن ظبيان النميرى على البصرة * وغزا الصائفة فى هذه السنة زفر بن عاصم الهلالى فبلغ الفرات (وحج) بالناس فى هذه السنة محمد بن إبراهيم وهو عامل أبى جعفر على مكة والطائف وكان على المدينة الحسن بن زيد وعلى الكوفة محمد بن سليمان وعلى البصرة عبد الملك بن أيوب بن ظبيان وعلى قضائها سوار بن عبد الله وعلى السند هشام بن عمرو وعلى افريقية يزيد بن حاتم وعلى مصر محمد بن سعيد

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك افتتاح يزيد بن حاتم إفريقية وقتله أبا عاد وأبا حاتم ومن كان معهما واستقامت بلاد المغرب ودخل يزيد بن حاتم القيروان (وفيها) وجه المنصور ابنه المهدى لبناء مدينة الرافقة فشخص اليها فبناها على بناء مدينته ببغداد فى أبوابها وفصولها ورحابها وشوارعها وسور سورها وخندقها ثم انصرف إلى مدينته (وفيها) فيما ذكر محمد بن عمر خندق أبو جعفر على الكوفة والبصرة وضرب عليهما سورا وجعل ما أنفق على سور ذلك وخندقه من أموال أهله * وعزل فيها المنصور عبد الملك بن أيوب بن ظبيان عن البصرة واستعمل عليها الهيثم بن معاوية

العتكى وضم اليه سعيد بن دعلج وأمره ببناء سور لها يطيف بها وخندق عليها من دون السور من أموال أهلها ففعل ذلك * وذكر أن المنصور لما أراد الأمر ببناء سور الكوفة وبحفر خندق لها أمر بقسمة خمسة دراهم خمسة دراهم على أهل الكوفة وأراد بذلك علم عددهم فلما عرف عددهم أمر بجبايتهم أربعين درهما أربعين درهما من كل إنسان فجبوا ثم أمر بإنفاق ذلك على سور الكوفة وحفر الخنادق لها فقال شاعرهم

يالقومى مالقينا * من أمير المؤمنينا قسم الخمسة فينا * وجبانا الأربعينا

(وفيها) طلب صاحب الروم الصلح إلى المنصور على أن يؤدى اليه الجزية وغزا الصائفة فى هذه السنة يزيد بن أسيد السلمى (وفيها) عزل المنصور أخاه العباس بن محمد عن الجزيرة وغرمه مالا وغضب عليه وحبسه * فذكر عن بعض بنى هاشم أنه قال كان المنصور ولى العباس بن محمد الجزيرة بعد يزيد بن أسيد ثم غضب عليه فلم يزل ساخطا عليه حتى غضب على بعض عمومته من ولد على بن عبد الله بن عباس أما إسماعيل بن على أو غيره فاعتوره أهله وعمومته ونساؤهم يكلمونه فيه وضيقوا عليه فرضى عنه فقال عيسى بن موسى ياأمير المؤمنين إن آل على بن عبد الله وإن كانت نعمك عليهم سابغة فانهم يرجعون إلى الحسد لنا فمن ذلك أنك غضبت على إسماعيل بن على منذ أيام فضيقوا عليك وأنت غضبان على العباس بن محمد منذ كذا وكذا فمارأيت أحداً منهم كلمك فيه قال فدعا العباس فرضى عنه قال وقد كان يزيد بن أسيد عند عزل العباس إياه عن الجزيرة شكا إلى أبى جعفر العباس وقال ياأمير المؤمنين إن أخاك أساء عزلى وشتم عرضى فقال له المنصور اجمع بين إحسانى اليك وإساءة أخى يعتدلا فقال يزيد بن أسيد ياأمير المؤمنين إذا كان إحسانكم جزاء بإساءتكم كانت طاعتنا تفضلا منا عليكم (وفيها) استعمل المنصور على حرب الجزيرة وخراجها موسى بن كعب (وفى هذه السنة) عزل المنصور عن الكوفة محمد بن سليمان بن على فى قول بعضهم واستعمل مكانه عمرو بن زهير أخا المسيب بن زهير وأما عمر بن شبة فانه زعم

أنه عزل محمد بن سليمان عن الكوفة فى سنة ١٥٣ وولاها عمرو بن زهير الضبي أخا المسيب بن زهير فى هذه السنة قال وهو حفر الخندق بالكوفة

ذكر الخبر عن سبب عزل المنصور محمد بن سليمان بن علىّ

ذكر أن محمد بن سليمان أتى فى عمله على الكوفة بعبد الكريم بن أبى العوجاء وكان خال معن بن زائدة فأمر بحبسه قال أبو زيد فحدثنى قثم بن جعفر والحسين ابن أيوب وغيرهما أن شفعاءه كثروا بمدينة السلام ثم ألحوا على أبى جعفر فلم يتكلم فيه إلا ظنين فأمر بالكتاب إلى محمد بالكف عنه إلى أن يأتيه رأيه فكلم ابن أبى العوجاء أبا الجبار وكان منقطعا إلى أبى جعفر ومحمد ثم الى أبنائهما بعدهما فقال له ان أخرنى الأمير ثلاثة أيام فله مائة ألف ولك أنت كذا وكذا فأعلم أبو الجبار محمدا فقال أذكرتنيه والله وقد كنت نسيته فاذا انصرفت من الجمعة فأذكرنيه فلما انصرف أذكره فدعا به وأمر بضرب عنقه فلما أيقن أنه مقتول قال أما والله لئن قتلتمونى لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحِلّ فيها الحرام والله لقد فطرتكم فى يوم صومكم وصوّمتكم فى يوم فطركم فضُربت عنقه وورد على محمد رسول أبى جعفر بكتابه إياك أن تحدث فى أمر ابن أبى العوجاء شيئا فانك إن فعلتَ فعلتُ بك وفعلتُ يتهدّده فقال محمد للرسول هذا رأس ابن أبى العوجاء وهذا بدنه مصلوبا بالكناسة فأخبر أمير المؤمنين بما أعلمتك فلما بلغ الرسول أبا جعفر رسالته تغيّظ عليه وأمر بالكتاب بعزله وقال والله لهممت أن أقيده به ثم أرسل إلى عيسى بن علىّ فأتاه فقال هذا عملك أنت أشرت بتولية هذا الغلام فوليته غلاما جاهلا لا علم له بما يأتى يُقدم على رجل يقتله من غير أن يطّلع رأيى فيه ولا ينتظر أمرى وقد كتبت بعزله وبالله لأفعلنّ به ولأفعلن يتهدده فسكت عنه عيسى حتى سكن غضبه ثم قال يا أمير المؤمنين إن محمداً إنما قتل هذا الرجل على الزندقة فان كان قتله صوابا فهو لك وإن كان خطأ فهو على محمد والله يا أمير المؤمنين لئن عزلته على تفيّة ما صنع ليذهبنّ بالثناء والذكر ولترجعنّ القالة من العامة عليك فأمر بالكتب فمزقت وأقر على

عمله وقال بعضهم إنما عزل المنصور محمد بن سليمان عن الكوفة لأمور قبيحة بلغته عنه اتهمه فيها وكان الذى أنهى ذلك إليه المساور بن سوار الجرمىّ صاحب شرطه وفى مساور يقول حماد

حَسْبُكَ من عجيبِ الدهر أنى أخاف وأتَّقى سلطانَ جَرْم

(وفى هذه السنة) أيضا عزل المنصور الحسن بن زيد عن المدينة واستعمل عليها عبد الصمد بن علىّ وجعل معه فليح بن سليمان مشرفا عليه وكان على مكة والطائف محمد بن إبراهيم بن محمد وعلى الكوفة عمرو بن زهير وعلى البصرة الهيثم بن معاوية وعلى أفريقية يزيد بن حاتم وعلى مصر محمد بن سعيد

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك ما كان من ظفر الهيثم بن معاوية عامل أبى جعفر على البصرة بعمرو ابن شداد عامل إبراهيم بن عبد الله على فارس فقتل بالبصرة وصلب

ذكر الخبر عن سبب الظفر به

ذكر عمر أن محمد بن معروف حدثه قال أخبرنى أبى قال ضرب عمرو بن شداد خادما له فأتى عامل البصرة إما ابن دعلج وإما الهيثم بن معاوية فدله عليه فأخذه فقتله وصلبه فى المربد فى موضع دار إسحاق بن سليمان وكان عمرو مولى لبنى جمح فقال بعضهم ظفر به الهيثم بن معاوية وخرج يريد مدينة السلام فنزل بقصر له على شاطئ نهر يعرف بنهر معقل فأقبل بريد من عند أبى جعفر ومعه كتاب إلى الهيثم بن معاوية بدفع عمرو بن شداد إليه فدفعه الهيثم إليه فأقدمه البصرة ثم أتى به ناحية الرحبة فخلا به يسائله فلم يظفر منه بشىء يحب علمَه فقطع يديه ورجليه وضرب عنه وصلبه فى مربد البصرة (وفى هذه السنة) عزل المنصور الهيثم ابن معاوية عن البصرة وأعمالها واستعمل سوار بن عبد الله القاضى على الصلاة وجمع له القضاء والصلاة وولى المنصور سعيد بن دعلج شرط البصرة وأحداثها

(وفيها) توفى الهيثم بن معاوية بعد ما عزل عن البصرة فجاءة بمدينة السلام وهو على بطن جارية له فصلى عليه المنصور ودفن فى مقابر بنى هاشم (وفى هذه السنة) غزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالى (وحج) بالناس فى هذه السنة العباس بن محمد بن على وكان العامل على مكة محمد بن إبراهيم وكان مقيما بمدينة السلام وابنه إبراهيم بن محمد خليفته بمكة وكان إليه مع مكة الطائف وعلى الكوفة عمرو بن زهير وعلى الأحداث والجوالى والشرط وصدقات أرض العرب بالبصرة سعيد ابن دعلج وعلى الصلاة بها والقضاء سوار بن عبد الله وعلى كور دجلة والأهواز وفارس عمارة بن حمزة وعلى كرمان والسند هشام بن عمرو وعلى أفريقية يزيد ابن حاتم وعلى مصر محمد بن سعيد

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك ابتناء المنصور قصره الذى على شاطئ دجلة الذى يدعى الخلد وقسم بناءه على مولاه الربيع وأبان بن صدقة (وفيها) قتل يحيى أبو زكرياء المحتسب وقد ذكرنا قبل سبب قتله إياه (وفيها) حول المنصور الأسواق من مدينة السلام إلى باب الكرخ وغيره من المواضع وقد مضى أيضا ذكرنا سبب ذلك قبل (وفيها) ولى المنصور جعفر بن سليمان على البحرين فلم يتم ولايته ووجه مكانه أميراً عليها سعيد بن دعلج فبعث سعيد ابنه تميما عليها (وفيها) عرض المنصور جنده فى السلاح والخيل على عينه فى مجلس اتخذه على شط دجلة دون قطربل وأمر أهل بيته وقرابته وصحابته يومئذ بلبس السلاح وخرج هو وهو لابس درعا وقلنسوة تحت البيضة سوداء لاطئة مصرية (وفيها) توفى عامر ابن إسماعيل المسلى بمدينة السلام فصلى عليه المنصور ودفن فى مقابر بنى هاشم (وفيها) توفى سوار بن عبد الله وصلى عليه بن دعلج واستعمل المنصور مكانه عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبرى (وفيها) عقد المنصور الجسر عند

باب الشعير وجرى ذلك على يد حميد القاسم الصيرفى بأمر الربيع الحاجب (وفيها) عزل محمد بن سعيد الكاتب عن مصر واستعمل عليها مطر مولى أبى جعفر المنصور (وفيها) ولى معبد بن الخليل السند وعزل عنها هشام بن عمرو ومعبد يومئذ بخراسان كتب إليه بولايته * وغزا الصائفة فيها يزيد بن أسيد السلمى ووجه سنانا مولى البطال إلى بعض الحصون فسبى وغنم وقال محمد بن عمر الذى غزا الصائفة فى هذه السنة زفر بن عاصم (وحج) بالناس فى هذه السنة ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس قال محمد بن عمر كان على المدينة يعنى إبراهيم هذا وقال غيره كان على المدينة فى هذه السنة عبد الصمد بن على وكان على مكة والطائف محمد بن إبراهيم وعلى الأهواز وفارس عمارة بن حمزة وعلى كرمان والسند معبد بن الخليل وعلى مصر مطر مولى المنصور

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك توجيه المنصور ابنه المهدى إلى الرقة وأمره إياه بعزل موسى بن كعب عن الموصل وتولية يحيى بن خالد بن برمك عليها وكان سبب ذلك فيما ذكر الحسن بن وهب بن سعيد عن صالح بن عطية قال كان المنصور قد ألزم خالد بن برمك ثلاثة آلاف ألف ونذر دمه فيها وأجله ثلاثة أيام بها فقال خالد لابنه يحيى يا بنى إنى قد أوذيت وطولبت بما ليس عندى وإنما يراد بذلك دمى فانصرف إلى حرمتك وأهلك فما كنت فاعلا بهم بعد موتى فافعله ثم قال له يا بنى لا يمنعنك ذلك من أن تلقى إخواننا وأن تمر بعمارة بن حمزة وصالح صاحب المصلى ومبارك التركى فتعلمهم حالنا قال فذكر صالح بن عطية أن يحيى حدثه قال أتيتهم فمنهم من تجهمنى وبعث بالمال سرا إلى ومنهم من لم يأذن لى وبعث بالمال فى أثرى قال واستأذنت على عمارة بن حمزة فدخلت عليه وهو فى صحن داره مقابل بوجهه الحائط فما انصرف إلى بوجهه فسلمت عليه

فرد علىّ رداً ضعيفاً وقال يا بنى كيف أبوك قلت بخير يقرأ عليك السلام ويعلمك ما قدلزمه من هذا الغرم ويستسلفك مائة ألف درهم قال فما رد على قليلا ولا كثيراً قال فضاق بى موضعى ومادت بى الأرض قال ثم كلمته فيما أتيته له قال فقال إن أمكننى شىء فسيأتيك قال يحيى فانصرفت وأنا أقول فى نفسى لعن الله كل شىء يأتى من تيهك وعجبك وكبرك وصرت إلى أبى فاخبرته الخبر ثم قلت له وأراك تثق من عمارة بن حمزة بما لا يوثق به قال فوالله إنى لكذلك إذ طلع رسول عمارة بن حمزة بالمائة ألف قال فجمعنا فى يومين ألفى ألف وسبعمائة ألف وبقيت ثلثمائة ألف بوجودها يتم ما سعينا له وبتعذرها يبطل قال فوالله إنى لعلى الجسر ببغداد ماراً مهموما مغموما إذ وثب إلىّ زاجر فقال فرخ الطائر أخبرك قال فطويته مشغول القلب عنه فلحقنى وتعلق بلجامى وقال لى أنت والله مهموم ووالله ليفرجن الله همك ولتمرن غداً فى هذا الموضع واللواء بين يديك قال فأقبلت أعجب من قوله قال فقال لى إن كان ذلك فلى عليك خمسة آلاف درهم قلت نعم ولو قال خمسون ألفا لقلت نعم لبعد ذلك عندى من أن يكون قال ومضيت وورد على المنصور انتقاض الموصل وانتشار الأكراد بها فقال من لها فقال له المسيب بن زهير وكان صديقا لخالد بن برمك عندى يا أمير المؤمنين رأى أرى أنك لا تنتصحه وأنك ستلقانى بالرد له ولكنى لا أدع نصحك فيه والمشورة عليك به قال قل فلا استغشك قلت يا أمير المؤمنين مارميتها بمثل خالد قال ويحك فيصلح لنا بعد ما أتينا اليه قال نعم يا أمير المؤمنين إنما قومته بذلك وأنا الضامن عليه قال فهو لها والله فليحضرنى غداً فأحضر فصفح له عن الثلثمائة ألف الباقية وعقد له قال يحيى ثم مررت بالزاجر فلما رآنى قال أنا ههنا أنتظرك منذ غدوة قلت امض معى فمضى معى فدفعت اليه الخمسة آلاف قال وقال لى أبى أى بنىّ إن عمارة تلزمه حقوق وتنوبه نوائب فأته فاقرأه السلام وقل له إن الله قد وهب لنا رأى أمير المؤمنين وصفح لنا عما بقى علينا وولانى الموصل وقد أمر برد ما استسلفت منك قال فأتيته فوجدته على مثل

الحال التى لقيته عليه فسلمت فما رد السلام على ولا زادني على أن قال كيف أبوك قلت بخير يقول كذا وكذا قال فاستوى جالساً ثم قال لى ما كنت إلا قسطاراً لابيك يأخذ منى إذا شاء ويرد إذا شاء قم عنى لا قمت قال فرجعت إلى أبى فأعلمته فقال لى أبي يا بنى هو عمارة ومن لا يعترض عليه قال فلم يزل خالد على الموصل إلى أن توفى المنصور ويحي على أذربيجان فذكر عن أحمد بن محمد بن سوار الموصلى أنه قال ما هبنا قط أميرا هيبتنا خالد بن برمك من غير أن تشتد عقوبته ولا نرى منه جبرية ولكن هيبة كانت له فى صدورنا وذكر أحمد بن معاوية بن بكر الباهلى عن أبيه قال كان أبو جعفر غضب على موسى بن كعب وكان عامله على الجزيرة والموصل فوجه المهدى إلى الرقة لبناء الرافقة وأظهر أنه يريد بيت المقدس وأمر بالمرور والمضى على الموصل فاذا صار بالبلد أخذ موسى بن كعب فقيده وولى خالد بن برمك الموصل مكانه ففعل المهدى ذلك وخلف خالداً على الموصل وشخص معه أخوا خالد الحسن وسليمان ابنا برمك وقد كان المنصور دعا قبل ذلك يحي بن خالد فقال له قد أردتك لأمر مهم من الأمور واخترتك لثغر من الثغور فكن على أهبة ولا يعلم بذلك أحد حتى أدعو بك فكتم أباه الخبر وحضر الباب فيمن حضر فخرج الربيع فقال يحي بن خالد فقام فأخذ بيده فأدخله على المنصور فخرج على الناس وأبوه حاضر واللواء بين يديه على أذربيجان فأمر الناس بالمضى معه فمضوا فى موكبه وهنئوه وهنئوا أباه خالدا بولايته فاتصل عملهما وقال أحمد بن معاوية كان المنصور معجبا بيحيي وكان يقول ولد الناس ابنا وولد يحي أبا ﴿ وفى هذه السنة ﴾ نزل المنصور قصره الذى يعرف بالخلد ﴿ وفيها ﴾ سخط المنصور على المسيب بن زهير وعزله عن الشرطة وأمر بحبسه وتقييده وكان سبب ذلك أنه قتل أبان بن بشير الكاتب بالسياط لأمر كان وجد عليه فيما كان من شركته لأخيه عمرو بن زهير فى ولاية الكوفة وخراجها وولى مكان المسيب الحكم بن يوسف صاحب الحراب ثم كلم المهدى أباه فى المسيب فرضى عنه بعد حبسه اياه أياما وأعاد اليه ما كان يلى من شرطه ﴿ وفيها ﴾

وجه المنصور نصر بن حرب التميمى واليا على ثغر فارس (وفيها) سقط المنصور عن دابته بجرجرايا فانشج ما بين حاجبيه وذلك أنه كان خرج لما وجه ابنه المهدى إلى الرقة مشيعا له حتى بلغ موضعا يقال له جب سُمّاقا ثم عدل إلى حولايا ثم أخذ على النهروانات فانتهى فيما قيل إلى بثق من النهروانات يصب إلى نهر ديالى فأقام على سكره ثمانية عشر يوما فأعياه فمضى إلى جرجرايا فخرج منها للنظر إلى ضيعة كانت لعيسى بن علىّ هناك فصرع من يومه ذلك عن برذون له ديزج فشُجَّ فى وجهه وقدم عليه وهو بجرجرايا أسارى من ناحية عمان من الهند بعث بهم اليه تسنيم بن الحوارى مع ابنه محمد فهم بضرب أعناقهم فساءلهم فأخبروه بما التبس به أمرهم عليه فأمسك عن قتلهم وقسمهم بين قواده ونوابه (وفيها) انصرف المهدى إلى مدينة السلام من الرقة فدخلها فى شهر رمضان (وفيها) أمر المنصور بمَرَمَّة القصر الأبيض الذى كان كسرى بناه وأمر أن يغرم كل من وجد فى داره شيئا من الآجر الخسروانى مما نقضه من بناء الأكاسرة وقال هذا فىء المسلمين فلم يتم ذلك ولا ما أمر به من مرمة القصر (وفيها) غزا الصائفة معيوف بن يحيى من درب الحدث فلقى العدوّ فاقتتلوا ثم تحاجزوا (وفى هذه السنة) حبس محمد بن ابراهيم بن محمد بن علىّ وهو أمير مكة فيما ذكر بأمر المنصور إياه بحبسهم ابن جريج وعباد بن كثير والثورى ثم أطلقهم من الحبس بغير اذن أبى جعفر فغضب عليه أبو جعفر وذكر عمر بن شبة ان محمد ابن عمران مولى محمد بن ابراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس حدثه عن أبيه قال كتب المنصور إلى محمد بن ابراهيم وهو أمير على مكة يأمره بحبس رجل من آل علىّ بن أبى طلب كان بمكة وبحبس ابن جريج وعباد بن كثير والثورى قال فحبسهم فكان له سُمّار يسامرونه بالليل فلما كان وقت سمره جلس وأكب على الأرض ينظر اليها ولم ينطق بحرف حتى تفرقوا قال فدنوت منه فقلت له قد رأيت ما بك فما لك قال عمدت إلى ذى رحم فحبستُه وإلى عيون من عيون الناس فحبستهم فيقدم أمير المؤمنين ولا أدرى ما يكون فلعله أن يأمر بهم فيقتلوا فيشتد سلطانه وأهلك دينى قال فقلت له فتصنع ماذا قال أوثر الله وأطلق القوم اذهب إلى إبلى

مُخذ راحلة منها وخذ خمسين ديناراً فأت بها الطالبي واقرأه السلام وقل له إن ابن عمك يسألك ان تحلله من ترويعه إياك وتركب هذه الراحلة وتأخذ هذه النفقة قال فلما أحس بي جعل يتعوذ بالله من شرى فلما أبلغته قال هو فى حل ولا حاجة لى إلى الراحلة ولا إلى النفقة قال قلت إن أطيب لنفسه أن تأخذ ففعل قال ثم جئت إلى ابن جريج وإلى سفيان بن سعيد وعباد بن كثير فأبلغتهم ماقال قالوا هو فى حل قال فقلت لهم يقول لكم لايظهرن أحد منكم مادام المنصور مقيما قال فلما قرب المنصور وجهنى محمد بن ابراهيم بألطاف فلما أخبر المنصور أن رسول محمد بن ابراهيم قدم أمر بالإبل فضربت وجوهها قال فلما صار إلى بئر ميمون لقيه محمد ابن ابراهيم فلما أخبر بذلك أمر بدوابه فضُربت وجوهها فعدل محمد فكان يسير فى ناحية قال وعدل بأبى جعفر عن الطريق فى الشق الأيسر فأنيخ به ومحمد واقف قبالته ومعه طبيب له فلما ركب أبو جعفر وسار وعديله الربيع أمر محمد الطبيب فمضى إلى موضع مناخ أبى جعفر فرأى نجوه فقال لمحمد رأيت نجو رجل لاتطول به الحياة فلما دخل مكة لم يلبث أن مات وسلم محمد (وفيها) شخص أبو جعفر من مدينة السلام متوجها إلى مكة وذلك فى شوال فنزل فيما ذكر عند قصر عبْدَوَيْه فانقض فى مقامه هنالك كوكب لثلاث بقين من شوّال بعد اضاءة الفجر فبقى أثره بينا إلى طلوع الشمس ثم مضى إلى الكوفة فنزل الرصافة ثم أهلّ منها بالحج والعمرة وساق معه الهدى وأشعره وقلده لأيام خلت من ذى القعدة فلما سار منازل من الكوفة عرض له وجعه الذى توفى منه (واختلف) فى سبب الوجع الذى كانت منه وفاته فذكر عن علىّ بن محمد بن سليمان النوفلى عن أبيه أنه كان يقول كان المنصور لايستمرئ طعامه ويشكو ذلك إلى المتطبّبين ويسألهم أن يتخذوا له الجوارشنات فكانوا يكرهون ذلك ويأمرونه أن يقل من الطعام ويخبرونه أن الجوارشنات تهضم فى الحال وتحدث من العلة ماهو أشد منه عليه حتى قدم عليه طبيب من أطباء الهند فقال له كما قال له غيره فكان يتخذ له سفوفا جوارشنا يابسا فيه الأفاويه والأدوية الحارة فكان يأخذه فيهضم طعامه فأحمده قال فقال لى أبى قال

لى كثير من متطببى العراق لايموت والله أبو جعفر أبداً إلا بالبطن قال قلت له وماعلمك قال هو يأخذ الجوارشن فيهضم طعامه ويخلق من زئبر مَعِدَتِهِ فى كل يوم شيئاً وشحم مصارينه فيموت ببطنه وقال لى أضرب لذلك مثلا أرأيت لو أنك وضعت جراً على مَرْفع ووضعت تحتها آجرة جديدة فقطرت أماكان قطرها يثقب الآجرة على طول الدهر أو ماعلمت أن لكل قطرة خداً قال فمات والله أبو جعفر كما قال بالبطن وقال بعضهم كان بدء وجعه الذى مات فيه من حر أصابه من ركوبه فى الهواجر وكان رجلا محرورا على سنه يغلب عليه المرار الأحمر ثم هاض بطنه فلم يزل كذلك حتى نزل بستان ابن عامر فاشتد به فرحل عنه فقصر عن مكة ونزل بئر ابن المرتفع فأقام بها يوما وليلة ثم صار منها إلى بئر ميمون وهو يسأل عن دخوله الحرم ويوصى الربيع بما يريد أن يوصيه وتوفى بها فى السحر مع أو طلوع الفجر ليلة السبت لست خلون من ذى الحجة ولم يحضره عند وفاته إلا خدمه والربيع مولاه فكتم الربيع موته ومنع النساء وغيرهن من البكاء عليه والصراخ ثم أصبح فحضر أهل بيته كما كانوا يحضرون وجلسوا مجالسهم فكان أول من دُعى به عيسى بن على فمكث ساعة ثم أذن لعيسى بن موسى وقد كان فيما خلا يقدم فى الاذن على عيسى بن على فكان ذلك مما ارتيب به ثم أذن للأكابر وذوى الأسنان من أهل البيت ثم لعامتهم فأخذ الربيع بيعتهم لأمير المؤمنين المهدى ولعيسى بن موسى من بعده على يد موسى بن المهدى حتى فرغ من بيعة بنى هاشم ثم دعا بالقواد فبايعوا ولم ينكل منهم عن ذلك رجل إلا على بن عيسى بن ماهان فانه أبى عند ذكر عيسى ابن موسى أن يبايع له فلطمه محمد بن سليمان وقال ومن هذا العلج وأمصّه وهمّ بضرب عنقه فبايع وتتابع الناس بالبيعة وكان المسيب بن زهير أول من استثنى فى البيعة وقال عيسى بن موسى إن كان كذلك فأمصوه وخرج موسى بن المهدى إلى مجلس العامة فبايع من بقى من القواد والوجوه وتوجه العباس بن محمد ومحمد ابن سليمان إلى مكة ليبايع أهلها بها وكان العباس يومئذ المتكلم فبايع الناس للمهدى بين الركن والمقام وتفرق عدة من أهل بيت المهدى فى نواحى مكة والعسكر

فبايعه الناس وأخذ فى جهاز المنصور وغسله وكفنه وتولى ذلك من أهل بيته العباس بن محمد والربيع والريّان وعدة من خدمه ومواليه ففرغ من جهازه مع صلاة العصر وغطى من وجهه وجميع جسده بأكفانه إلى قصاص شعره وأبدى رأسه مكشوفا من أجل الإحرام وخرج به أهل بيته والأخص من مواليه وصلى عليه فيما زعم الواقدى عيسى بن موسى فى شعب الُخوز وقيل إن الذى صلى عليه إبراهيم بن يحيي بن محمد بن على وقيل إن المنصور كان أوصى بذلك وذلك أنه كان خليفته على الصلاة بمدينة السلام وذكر على بن محمد النوفلى عن أبيه أن إبراهيم ابن يحيي صلى عليه فى المضارب قبل أن يحمل لأن الربيع قال لا يصلى عليه أحد يطمع فى الخلافة فقدموا إبراهيم بن يحيي وهو يومئذ غلام حدث ودفن فى المقبرة التى عند ثنية المدنيين التى تسمى كذا وتسمى ثنية المعلاة لأنها بأعلى مكة ونزل فى قبره عيسى ابن على والعباس بن محمد وعيسى بن موسى والربيع والريان مولياه ويقطين بن موسى (واختلف) فى مبلغ سنه يوم توفى فقال بعضهم كان يوم توفى ابن أربع وستين سنة وقال بعضهم كان يومئذ ابن خمس وستين سنة وقال بعضهم كان يوم توفى ابن ثلاث وستين سنة وقال هشام بن الكلبى هلك المنصور وهو ابن ثمان وستين سنة وقال هشام ملك المنصور اثنتين وعشرين سنة إلا أربعة وعشرين يوما (واختلف) عن أبى معشر فى ذلك فحدثنى أحمد بن ثابت الرازى عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عنه أنه قال توفى أبو جعفر قبل يوم التروية بيوم يوم السبت فكانت خلافته اثنتين وعشرين سنة إلا ثلاثة أيام وروى عن ابن بكار عنه أنه قال إلا سبع ليال وقال الواقدى كانت ولاية أبى جعفر اثنتين وعشرين سنة إلا ستة أيام وقال عمر بن شبة كانت خلافته اثنتين وعشرين سنة غير يومين (وحج) بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن يحيي بن محمد بن على (وفى هذه السنة) هلك طاغية الروم

ذكر الخبر عن صفة أبى جعفر المنصور

ذكر أنه كان أسمر طويلا نحيفا خفيف العارضين وكان ولد بالُحميمة

ذكر الخبر عن بعض سيره

ذكر عن صالح بن الوجيه عن أبيه قال بلغ المنصور أن عيسى بن موسى قتل رجلا من ولد نصر بن سيار كان مستخفيا بالكوفة فدل عليه فضرب عنقه فأنكر ذلك وأعظمه وهم فى عيسى بأمر كان فيه هلاكه ثم قطعه عن ذلك جهلُ عيسى بما فعل فكتب اليه أما بعد فانه لولا نظر أمير المؤمنين واستبقاؤه لم يؤخرك عقوبة قتل ابن نصر بن سيار واستبدادك به بما يقطع أطماع العمال فى مثله فامسك عمن ولاك أمير المؤمنين أمره من عربى وأعجمى وأحمر وأسود ولا تستبدن على أمير المؤمنين بإمضاء عقوبة فى أحد قبله تباعة فانه لايرى أن يأخذ أحدا بظنة قد وضعها الله عنه بالتوبة ولا بحدث كان منه فى حرب أعقبه الله منها سلما ستر به عن ذى غلة وحجز به عن محنة مافى الصدور وليس ييأس أمير المؤمنين لأحد ولا لنفسه من الله من إقبال مدبر كما أنه لا يأمن إدبار مقبل ان شاء الله والسلام وذكر عن عباس بن الفضل قال حدثنى يحيى بن سليم كاتب الفضل بن الربيع قال لم ير فى دار المنصور لهو قط ولاشىء يشبه اللهو واللعب والعبث الا يوما واحدا فإنا رأينا ابنا له يقال له عبد العزيز أخا سليمان وعيسى ابنى أبى جعفر من الطلحية توفى وهو حدث قد خرج على الناس متنكبا قوسا متعمما بعمامة مترديا ببرد فى هيئة غلام أعرابى راكبا على قعود بين جُوالقين فيهما مقل ونعال ومساويك وما يهديه الأعراب فعجب الناس من ذلك وأنكروه قال فمضى الغلام حتى عبر الجسر وأتى المهدى بالرصافة فأهدى اليه ذلك فقبل المهدى مافى الجوالیق وملأهما دراهم فانصرف بين الجوالقين فعلم أنه ضرب من عبث الملوك وذكر عن حماد التركى قال كنت واقفا على رأس المنصور فسمع جلبة فى الدار فقال ماهذا ياحماد انظر فذهبت فاذا خادم له قد جلس بين الجوارى وهو يضرب لهن بالطنبور وهن يضحكن فجئت فأخبرته فقال وأى شىء الطنبور فقلت خشبة من حالها وأمرها ووصفتها له فقال لى أصبت صفته فما يدريك أنت ما الطنبور قلت رأيته بخراسان قال نعم هناك ثم قال هات نعلى فأتيته بها فقام يمشى رويدا حتى أشرف عليهم

فرآهم فلما بصروا به تفرقوا فقال خذوه فأخذ فقال اضرب به رأسه فلم أزل أضرب به رأسه حتى كسرته ثم قال أخرجه من قصرى واذهب به الى حمران بالكرخ وقل له يبيعه وذكر العباس بن الفضل عن سلام الأبرش قال كنت وأنا وصيف وغلام آخر نخدم المنصور داخلا فى منزله وكانت له حجرة فيها بيت وفسطاط وفراش ولحاف يخلو فيه وكان من أحسن الناس خلقا مالم يخرج الى الناس وأشد احتمالا لما يكون من عبث الصبيان فاذا لبس ثيابه تغير لونه وتربّد وجهه واحمرت عيناه فيخرج فيكون منه مايكون فإذا قام من مجلسه رجع بمثل ذلك فنستقبله فى ممشاه فربما عاتبناه وقال لى يوما يابنى اذا رأيتنى قد لبست ثيابى أورجعت من مجلسى فلا يدنون منى أحد منكم مخافة أن أعرّه بشئ وذكر أبو الهيثم خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن حازم قال حدثنى عبدالله بن محمد يلقب بمنقار من أهل خراسان وكان من عمال الرشيد قال حدثنى معن بن زائدة قال كنا فى الصحابة سبعمائة رجل فكنا ندخل على المنصور فى كل يوم قال فقلت للربيع اجعلنى فى آخر من يدخل فقال لى لست بأشرفهم فتكون فى أولهم ولا بأخسهم نسباً فتكون فى آخرهم وأن مرتبتك لتشبه نسبك قال فدخلت على المنصور ذات يوم وعلىّ دُرّاعة فضفاضة وسيف حنفى أقرع بنعله الأرض وعمامة قد سدلتها من خلفى وقدامى قال فسلمت عليه وخرجت فلما صرت عند الستر صاح بى يامعن صيحة أنكرتها فقلت لبيك ياأمير المؤمنين قال إلىّ فدنوت منه فإذا به قد نزل عن عرشه إلى الأرض وجثا على ركبتيه واستل عمودا من بين فراشين واستحال لونه ودَرّت أوداجه فقال إنك لصاحبي يوم واسط لانجوت إن نجوت منى قال قلت ياأمير المؤمنين تلك نصرتى لباطلهم فكيف نصرتى لحقك قال فقال لى كيف قلتَ فأعدتُ عليه القول فما زال يستعيدنى حتى رد العمود فى مستقره واستوى متربعاً واصفر لونه فقال يامعن إن لى باليمن هنات قلت ياأمير المؤمنين ليس لمكتوم رأى قال فقال أنت صاحبي فاجلس فجلست وأمر الربيع بإخراج كل من كان فى القصر فخرج فقال لى إن صاحب اليمن قدهمّ بمعصيتى وإنى أريد

أن آخذه أسيراً ولا يفوتنى شىء من ماله فما ترى قال قلت يا أمير المؤمنين ولنى اليمن وأظهر أنك ضممتنى إليه ومر الربيع يزيح علتى فى كل ما أحتاج اليه ويخرجنى من يومى هذا لئلا ينتشر الخبر قال فاستل عهدا من بين فراشين فوقع فيه اسمى وناولنيه ثم دعا الربيع فقال يا ربيع انا قد ضممنا معنا الى صاحب اليمن فأزح علته فيما يحتاج اليه من الكراع والسلاح ولا يمسى إلا وهو راحل ثم قال ودعنى فودعته وخرجت إلى الدهليز فلقينى أبو الوالى فقال يا معن اعزز على أن تضم الى ابن أخيك قال فقلت إنه لا غضاضة على الرجل أن يضمه سلطانه الى ابن أخيه فخرجت إلى اليمن فأتيت الرجل فأخذته أسيراً وقرأت عليه العهد وقعدت فى مجلسه وذكر حماد بن أحمد اليمانى قال حدثنى محمد بن عمر اليمامى أبو الردينى قال أراد معن بن زائدة أن يوفد الى المنصور قوما يسلون سخيمته ويستعطفون قلبه عليه وقال قد أفنيت عمرى فى طاعته وأتعبت نفسى وأفنيت رجالى فى حرب اليمن ثم يسخط على أن أنفقت المال فى طاعته فانتخب جماعة من عشيرته من أفناء ربيعة فكان فيمن اختار مجّاعة ابن الأزهر فجعل يدعو الرجال واحدا واحدا ويقول ماذا أنت قائل لأمير المؤمنين إذا وجهتك اليه فيقول أقول وأقول حتى جاءه مجاعة بن الأزهر فقال أعز الله الأمير تسألنى عن مخاطبة رجل بالعراق وأنا باليمن أقصدُ لحاجتك حتى أتأتى لها كما يمكن وينبغى فقال أنت صاحبى ثم التفت إلى عبد الرحمن بن عتيق المزنىّ فقال له شُدّ على عضد ابن عمك وقدمه أمامك فان سها عن شىء فتلافه واختار من أصحابه ثمانية نفر معهما حتى تموا عشرة وودعهم ومضوا حتى صاروا إلى أبى جعفر فلما صاروا بين يديه تقدموا فابتدأ مجاعة بن الأزهر بحمد الله والثناء عليه والشكر حتى ظن القوم أنه انما قصد لهذا ثم كرّ على ذكر النبى صلى الله عليه وسلم وكيف اختاره الله من بطون العرب ونشر من فضله حتى تعجب القوم ثم كر على ذكر أمير المؤمنين المنصور وما شرفه الله به وما قلده ثم كرّ على حاجته فى ذكر صاحبه فلما انتهى كلامه قال المنصور أما ما وصفت من حمد الله فالله أجل وأكبر من أن تبلغه الصفات وأما ما ذكرت من النبى صلى الله عليه وسلم فقد فضله الله

يا كثر مما قلتَ وأما ما وصفتَ به أمير المؤمنين فإنه نضله الله بذلك وهو معينه على طاعته ان شاء الله وأما ما ذكرت من صاحبك فكذبت ولؤمت اخرج فلا يقبل ما ذكرت قال صدق أمير المؤمنين ووالله ما كذبت فى صاحبى فاخرجوا فلما صاروا إلى آخر الايوان أمر برده مع أصحابه فقال ما ذكرت فكرّ عليه الكلام حتى كأنه كان فى صحيفة يقرأه فقال له مثل القول الأول فأخرجوا حتى برزوا جميعا وأمر بهم فوقفوا ثم التفت إلى من حضر من مضر فقال هل تعرفون فيكم مثل هذا والله لقد تكلم حتى حسدته وما منعنى أن أتم على رده الا أن يقال تعصب عليه لأنه ربعىّ وما رأيت كاليوم رجلا أربط جاشاً ولا أظهر بيانا رده يا غلام فلما صار بين يديه أعاد السلام وأعاد أصحابه فقال له المنصور اقصد لحاجتك وحاجة صاحبك قال يا أمير المؤمنين معن بن زائدة عبدك وسيفك وسهمك رميت به عدوك فضرب وطعن ورمى حتى سهل ما حزن وذل ما صعب واستوى ما كان معوجا من اليمن فأصبحوا من خول أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فان كان فى نفس أمير المؤمنين هَنة من ساعٍ أو واشٍ أو حاسد فأمير المؤمنين أولى بالتفضل على عبده ومن أفنى عمره فى طاعته فقبل وفادتهم وقبل العذر من معن وأمر بصرفهم إليه فلما صاروا إلى معن وقرأ الكتاب بالرضى قبل ما بين عينيه وشكر أصحابه وخلع عليهم وأجازهم على أقدارهم وأمرهم بالرحيل إلى منصور فقال مجّاعة

آليتُ فى مَجلسٍ من وائلٍ قَسَمًا ... ألا أبيعك يا مَعْنُ بأطماع
يا مَعْنُ إنك قد أوليْتَني نِعَمًا ... عمّتْ لجيْمًا وخَصّتْ آل مُجّاع
فلا أزالُ إليك الدهرَ مُنقَطِعًا ... حتى يُشيدَ بِهلكى هَتْفَهُ الناعِى

قال وكانت نعَمُ معن على مجاعة أنه سأله ثلاث حوائج منهـا أنه كان يتعشق امرأة من أهل بيته سيدة يقال لها زهراء لم يتزوجها أحد بعد وكانت اذا ذكر لها قالت بأى شىء يتزوجنى أبجبته الصوف أم بكسائه فلما رجع إلى معن كان أول شىء سأله أن يزوجه بها وكان أبوها فى جيش معن فقال أريد زهراء وأبوها فى عسكرك أيها الامير فزوجه إياها على عشرة آلاف درهم وأمهرها من عنده

فقال له معن حاجتك الثانية قال الحائط الذى فيه منزلى بحجر وصاحبه فى عسكر الأمير فاشتراه منه وصيّره له وقال حاجتك الثالثة قال تهب لى مالا قال فأمر له بثلاثين ألف درهم تمام مائة ألف درهم وصرفه إلى منزله وذكر عن محمد ابن سالم الخوارزمى وكان أبوه من قواد خراسان قال سمعتُ أبا الفرج خال عبد الله بن جبلة الطالقانى يقول سمعت أبا جعفر يقول ما كان أحوجنى إلى أن يكون على بابى أربعة نفر لا يكون على بابى أعفّ منهم قيل له يا أمير المؤمنين من هم قال هم أركان الملك ولا يصلح الملك إلا بهم كما أن السرير لا يصلح إلا بأربع قوائم ان نقصت واحدة وهَى أما أحدهم فقاض لا تأخذه فى الله لومةُ لائم والآخر صاحب شرطة يُنصف الضعيف من القوى والثالث صاحب خراج يستقصى ولا يظلم الرعية فانى عن ظلمها غنى والرابع ثم عضّ على أصبعه السبابة ثلاث مرات يقول فى كل مرة آه آه قيل له ومن هو يا أمير المؤمنين قال صاحب بريد يكتبِ بخبر هؤلاء على الصحة وقيل إن المنصور دعا بعامل من عماله قد كسر خراجه فقال له أدّ ما عليك قال والله ما أملك شيئاً ونادى المنادى أشهد أن لا إله إلا الله فقال يا أمير المؤمنين هب ما على لله ولشهادة أن لا إله إلا الله فخلى سبيله قال وولى المنصور رجلا من أهل الشأم شيئاً من الخراج فأوصاه وتقدّم اليه فقال ما أعرفنى بما فى نفسك الساعة يا أخا أهل الشأم تخرج من عندى الساعة فتقول الزم الصحة يلزمك العملُ قال وولى رجلا من أهل العراق شيئاً من خراج السواد فأوصاه وتقدم اليه فقال ما أعرفنى بما فى نفسك تخرج الساعة فتقول من عال بعدها فلا اجتبر اخرج عنى وامض إلى عملك فوالله لئن تعرضت لذلك لأبلغنّ من عقوبتك ما تستحقه قال فوليا له جميعا وصحا وناصحا * ذكر الصباح ابن عبد الملك الشيبانى عن إسحاق بن موسى بن عيسى أن المنصور ولى رجلا من العرب حضرموت فكتب اليه والى البريد أنه يكثر الخروج فى طلب الصيد ببزاة وكلاب قد أعدها فعزله وكتب اليه ثكلتك أمك وعدمتك عشيرتك ما هذه العدة التى أعددتها للنكاية فى الوحش انا إنما استكفيناك أمور المسلمين ولم

فستكفك أمور الوحش سلم ما كنت تلى من عملنا الى فلان بن فلان والحق بأهلك ملوما مدحورا * وذكر الربيع أنه قال أدخل على المنصور سهيل بن سالم البصرى وقد ولى عملا فعزل فأمر بحبسه واستئدائه فقال سهيل عبدك يا أمير المؤمنين قال بئس العبد أنت قال لكنك يا أمير المؤمنين نعم المولى قال أما لك فلا قال وذكر عن الفضل بن الربيع عن أبيه أنه قال بينا أنا قائم بين يدى المنصور أو على رأسه إذ أتى بخارجى قد هزم له جيوشا فأقامه ليضرب عنقه ثم اقتحمته عينه فقال يا ابن الفاعلة مثلك يهزم الجيوش فقال له الخارجى ويلك وسوءة لك بينى وبينك أمس السيف والقتل واليوم القذف والسب وما كان يؤمنك أن أرد عليك وقد يئست من الحياة فلا تستقيلها أبدا قال فاستحيى منه المنصور وأطلقه فما رأى له وجها حولا * ذكر عبد الله بن عمرو الملحى أن هارون بن محمد بن اسماعيل بن موسى الهادى قال حدثنى عبد الله بن محمد بن أبى أيوب المكى عن أبيه قال حدثنى عمارة بن حمزة قال كنت عند المنصور فانصرفت من عنده فى وقت انتصاف النهار وبعد أن بايع الناس للمهدى فجاءنى المهدى فى وقت انصرافى فقال لى قد بلغنى أن أبى قد عزم أن يبايع لجعفر أخى وأعطى الله عهدا لئن فعل لأقتلنه فمضيت من فورى إلى أمير المؤمنين فقلت هذا أمر لا يؤخر فقال الحاجب الساعة خرجت قلت أمر حدث فأذن لى فدخلت اليه فقال لى هيه يا عمارة ما جاءبك قلت أمر حدث يا أمير المؤمنين أريد أن أذكره قال فأنا أخبرك به قبل أن تخبرنى جاءك المهدى فقال كيت وكيت قلت والله يا أمير المؤمنين لكأنك حاضر ثالثنا قال قل له نحن أشفق عليه من أن نعرضه لك * وذكر عن احمد بن يوسف بن القاسم قال سمعت ابراهيم بن صالح يقول كنا فى مجلس ننتظر الإذن فيه على المنصور فتذاكرنا الحجاج فمنا من حمده ومنا من ذمه فكان ممن حمده معن بن زائدة وممن ذمه الحسن بن زيد ثم أذن لنا فدخلنا على المنصور فانبرى الحسن بن زيد فقال يا أمير المؤمنين ما كنت أحسبنى أبقى حتى يذكر الحجاج فى دارك وعلى بساطك فيثنى عليه فقال أبو جعفر وما استنكرت من

ذلك رجل استكفاه قوم فكفاهم والله لوددت أنى وجدت مثل الحجاج حتى أستكفيه أمرى وأنزله أحد الحرمين قال فقال له معن يا أمير المؤمنين إن لك مثل الحجاج عدّة لو استكفيتهم كفوك قال ومن هم كأنك تريد نفسك قال وان أردتُها فلم أبعد من ذلك قال كلا لست كذاك إن الحجاج ائتمنه قوم فأدى اليهم الأمانة وإنّا ائتمنّاك فخُنتنا * ذكر الهيثم بن عدى عن أبى بكر الهذلىّ قال سرت مع أمير المؤمنين المنصور إلى مكة وسايرته يوما فعرض لنا رجل على ناقة حمراء تذهب فى الأرض وعليه جبة خز وعمامة عدنية وفى يده سوط يكاد يمس الأرض سرى الهيئة فلما رآه أمرنى فدعوتُه فجاء فسأله عن نسبه وبلاده وبادية قومه وعن ولاة الصدقة فأحسن الجواب فأعجبه ما رأى منه فقال أنشدنى فأنشده شعر الأوس ابن حجر وغيره من الشعراء من بنى عمرو بن تميم وحدثه حتى أتى على شعر طريف بن تميم العنبرىّ وهو قوله

إنّ قَنَاتى لَنَبْعٌ لا يُؤيّسُها غمزُ الثقاف ولا دُهْنٌ ولا نارُ
متى أجِرْ خائفاً تامَنْ مَسارحُهُ وإنْ أخِفْ آمِناً تَقْلَقْ به الدارُ
إنَّ الأمورَ إذا أوردتُها صَدَرَتْ إنَّ الأمورَ لها وِرْدٌ وإصدارُ

فقال ويحك وما كان طريف فيكم حيث قال هذا الشعر قال كان أثقل العرب على عدوه وطأة وأدركهم بثأر وأيمنهم نقيبة وأعساهم قناة لمن رام هضمه وأقراهم لضيفه وأحوطهم من وراء جاره اجتمعت العرب بعكاظ فكلهم أقر له بهذه الخلال غير أن امرءاً أراد أن يقصر به فقال والله ما أنت ببعيد النجعة ولا قاصد الرمية فدعاه ذلك إلى أن جعل على نفسه ألا يأكل إلا لحم قنص يقتنصه ولا ينزع كلّ عام عن غزوة يبعد فيها أثره قال يا أخا بنى تميم لقد أحسنتَ إذ وصفت صاحبك ولكنى أحق ببيتيه منه أنا الذى وصف لا هو * وذكر أحمد بن خالد الفُقَيْمىّ أن عدة من بنى هاشم حدثوه أن المنصور كان شغله فى صدر نهاره بالأمر والنهى والولايات والعزل وشحن الثغور والأطراف وأمن السبل والنظر فى الخراج والنفقات ومصلحة معاش الرعية لطَرْح عالتهم والتلطف لسكونهم وهدئهم فاذا

صلى العصر جلس لأهل بيته الا من أحب أن يسامره فإذا صلى العشاء الآخرة
نظر فيما ورد عليه من كتب الثغور والأطراف والآفاق وشاور سُمّاره من ذلك
فيما أرب فاذا مضى ثلث الليل قام إلى فراشه وانصرف سُمّاره فاذا مضى الثلث
الثانى قام من فراشه فأسبغ وضوءه وصفّ فى محرابه حتى يطلع الفجر ثم يخرج
فيصلى بالناس ثم يدخل فيجلس فى إيوانه قال إسحاق حدثت عن عبد الله بن الربيع
قال قال أبو جعفر لاسماعيل بن عبد الله صف لى الناس فقال أهل الحجاز مبتدأ
الاسلام وبقية العرب وأهل العراق ركن الإسلام ومقاتلة عن الدين وأهل الشام
حصن الأمة وأسنة الأئمة وأهل خراسان فرسان الهيجاء وأعنة الرجال والترك
منابت الصخور وأبناء المغازى وأهل الهند حكماء استغنوا ببلادهم فاكتفوا بها
عما يليهم والروم أهل كتاب وتدين نحاهم الله من القرب إلى البعد والأنباط
كان ملكهم قديما فهم لكل قوم عبيد قال فأى الولاة أفضل قال الباذل للعطاء
والمعرض عن السيئة قال فأيهم أخرق قال أنهكهم للرعية وأتعبهم لها بالخُرق
والعقوبة قال فالطاعة على الخوف أبلغ فى حاجة الملك أم الطاعة على المحبة قال
ياأمير المؤمنين الطاعة عند الخوف تسرّ الغدر وتبالغ عند المعاينة والطاعة على
المحبة تضمر الاجتهاد وتبالغ عند الغفلة قال فأىّ الناس أولاهم بالطاعة قال أولاهم
بالمضرّة والمنفعة قال ماعلامة ذلك قال سرعة الإجابة وبذل النفس قال فمن ينبغى
للملك أن يتخذه وزيرا قال أسلمهم قلبا وأبعدهم من الهوى * وذكر عن أبى
عبيد الله الكاتب قال سمعت المنصور يقول للمهدىّ حين عهد له بولاية العهد
ياأباعبد الله استدم النعمة بالشكر والقدرة بالعفو والطاعة بالتألف والنصر
بالتواضع ولا تنس مع نصيبك من الدنيا نصيبك من رحمة الله * وذكر الزبير
ابن بكار قال حدثنى مبارك الطبرىّ قال سمعت أبا عبيد الله يقول سمعت المنصور
يقول للمهدىّ لاتبرم أمرا حتى تفكر فيه فان فكر العاقل مرآته تريه حسنه
وسيئه * وذكر الزبير أيضا عن مصعب بن عبد الله عن أبيه قال سمعت أبا جعفر
المنصور يقول للمهدىّ ياأباعبد الله لايصلح السلطانُ إلا بالتقوى ولا تصلح رعيته

الا بالطاعة ولا تعمّر البلاد بمثل العدل ولا تدوم نعمة السلطان وطاعته الا بالمال ولا تَقْدُمُ فى الحياطة بمثل نقل الأخبار وأقدر الناس على العفو أقدرهم على العقوبة وأعجز الناس من ظلم مَن هو دونه واعتبر عمل صاحبك وعلمَه باختباره وعن المبارك الطبرى أنه سمع أبا عبيد الله يقول سمعتُ المنصور يقول للمهدى يا أبا عبدالله لا تجلس مجلسا الا ومعك من أهل العلم من يحدثك فان محمد بن شهاب الزهرى قال الحديث ذكر ولا يحبه الا ذكور الرجال ولا يبغضه إلا مؤنثوهم وصَدَقَ أخو زهرة ❊ وذكر عن على بن مجاهد بن محمد بن على أن المنصور قال للمهدى يا أبا عبدالله من أحب الحمد أحسن السيرة ومن أبغض الحمد أساءها وما أبغض أحد الحمد الا استذم وما استذم إلا كره وقال المبارك الطبرى سمعت أبا عبيدالله يقول قال المنصور للمهدى يا أبا عبدالله ليس العاقلُ الذى يحتال للأمر الذى وقع فيه حتى يخرج منه ولكنه الذى يحتال للأمر الذى غشيه حتى لا يقع فيه وذكر الفقيمى عن عتبة بن هارون قال قال أبو جعفر يوما للمهدى كم راية عندك قال لا أدرى قال هذا والله التضييع أنت لأمر الخلافة أشد تضييعا ولكن قد جمعتُ لك مالا يضرك معه ماضيعت فاتق الله فيما خوّلك ❊ وذكر على بن محمد عن حفص بن عمر بن حماد عن خالصة قالت دخلت على المنصور فاذا هو يتشكى وجع ضرسه فلما سمع حسى قال ادخلى فلما دخلت إذا هو واضع يده على صُدغيه فسكت ساعة ثم قال لى يا خالصة كم عندك من المال قلت ألف درهم قال ضعى يدك على رأسى واحلفى قلت عندى عشرة آلاف دينار قال احمليها إلى فرجعت فدخلت على المهدى والخيزران فأخبرتهما فركلنى المهدى برجله وقال لى ماذهب بك اليه بما به من وجع ولكنى سألته أمس مالا فتمارض احملى اليه ماقلت ففعلت فلما أتاه المهدى قال يا أبا عبدالله تشكو الحاجة وهذا عند خالصة وقال على بن محمد قال واضح مولى أبى جعفر قال قال أبو جعفر يوما انظر ماعندك من الثياب الخلقان فاجمعها فاذا علمت بمجىء أبى عبدالله فجئنى بها قبل أن يدخل وليكن معها رقاع ففعلت ودخل عليه المهدى وهو يقدر الرقاع فضحك وقال يا أمير المؤمنين من

ههنا يقول الناس نظروا فى الدينار والدرهم وما دون ذلك ولم يقل دانق فقال المنصور إنه لا جديد لمن لا يصلح خلقه هذا الشتاء قد حضر ونحتاج إلى كسوة للعيال والولد قال فقال المهدى فعلى كسوة أمير المؤمنين وعياله وولده فقال له دونك فافعل * وذكر على بن مرثد أبو دعامة الشاعر أن أشجع بن عمرو السلمى حدثه عن المؤمل بن أُمَيْلَ * وذكره أيضا عبد الله بن الحسن الخوارزمى أن أبا قدامة حدثه أن المؤمل بن أميل حدثه قال قدمت على المهدى قال ابن مرثد فى خبره وهو ولى عهد وقال الخوارزمى قدمت عليه الرى وهو ولى عهد فأمر لى بعشرين ألف درهم لأبيات امتدحته بها فكتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور وهو بمدينة السلام يخبره أن المهدى أمر لشاعر بعشرين ألف درهم فكتب إليه المنصور يعذله ويلومه ويقول له إنما كان ينبغى لك أن تعطى الشاعر بعد أن يقيم ببابك سنة أربعة آلاف درهم قال أبو قدامة فكتب إلىّ كاتب المهدى أن يوجه إليه بالشاعر فطلب فلم يُقْدَر عليه فكتب إليه أنه قد توجه إلى مدينة السلام فوجه المنصور قائداً من قواده فأجلسه على جسر النهروان وأمره أن يتصفح الناس رجلا رجلا ممن يمر به حتى يظفر بالمؤمّل فلما رآه قال له من أنت قال أنا المؤمل بن أميل من زوار الأمير المهدىّ قال إياك طلبت قال المؤمل فكاد قلبى ينصدع خوفا من أبى جعفر فقبض على ثم أتى بى باب المقصورة وأسلمنى إلى الربيع فدخل إليه الربيع فقال هذا الشاعر قد ظفرنا به فقال أدخلوه علىّ فأدخلت عليه فسلمت فرد على السلام فقلت ليس ههنا إلا خير قال أنت المؤمل بن أميل قلت نعم أصلح الله أمير المؤمنين قال هيه أتيت غلاما غرا فخدعته قال فقلت نعم أصلح الله أمير المؤمنين أتيت غلاما غرا كريما فخدعته فانخدع قال فكان ذلك أعجبه فقال أنشدنى ما قلت فيه فأنشدته

هو المهدى إلّا أنّ فيه ... مُشابهَ صورة القمرِ المُنيرِ
تشابهَ ذا وذا فهما إذا مَا ... أنارا مُشْكلان على البَصِيرِ
فهذا فى الظلام سِراجُ ليلٍ ... وهذا فى النهار سراجُ نورِ

ولكنْ فضّل الرحمنُ هذا على ذا بالمنابرِ والسَّرير
وبالمُلك العزيزِ فذا أميرٌ وماذا بالأمير ولا الوزير
ونَقْصُ الشَّهْر يُخمِدُ ذا وهذا منيرٌ عند نقصانِ الشهور
فيا ابن خليفةِ الله المُصطفى به تعلو مُفاخرةُ الفخورِ
لئن فُتَّ المُلوكَ وقد توافَوْا إليك من السهُولَةِ والوُعورِ
لقد سَبَقَ الملوك أبوك حتى بَقَوْا من بين كابٍ أو حَسيرِ
وجئتَ وراءه تجرى حثيثاً وما بك حينَ تجرى من فُتور
فقال الناس ما هذانِ إلا بمنزلةِ الخَليقِ من الجَديرِ
لئن سبق الكبيرُ فأهلُ سَبْقٍ له فَضْلُ الكبيرِ على الصَّغيرِ
وإن بلغ الصغيرُ مَدَى كبيرٍ لقد خُلِقَ الصغيرُ من الكبيرِ

فقال والله لقد أحسنت ولكن هذا لا يساوى عشرين ألف درهم وقال لى أين المال قلت ها هو ذا قال يا ربيع انزل معه فأعطه أربعة آلاف درهم وخذ منه الباقى قال فخرج الربيع فحط ثقلى ووزن لى أربعة آلاف درهم وأخذ الباقى قال فلما صارت الخلافة إلى المهدى ولى ابن ثوبان المظالم فكان يجلس للناس بالرصافة فإذا ملأ كساءه رقاعا رفعها الى المهدى فرفعت اليه يوما رقعة أذكره قصتى فلما دخل بها ابن ثوبان جعل المهدى ينظر فى الرقاع حتى إذا نظر فى رقعتى ضحك فقال له ابن ثوبان أصلح الله أمير المؤمنين ما رأيتك ضحكت من شىء من هذه الرقاع إلا من هذه الرقعة قال هذه رقعة أعرف سببها ردوا إليه العشرين الألف درهم فردت إلىّ وانصرفتُ * وذكر واضح مولى المنصور قال إنى لواقف على رأس أبى جعفر يوما إذ دخل عليه المهدىّ وعليه قباء أسود جديد فسلم وجلس ثم قام منصرفا وأتبعه أبو جعفر بصره لحبه له وإعجابا به فلما توسط الرواق عثر بسيفه فتخرق سواده فقام ومضى لوجهه غير مكترث لذلك ولا حافل به فقال أبو جعفر ردوا أبا عبد الله فرددناه إليه فقال يا أبا عبد الله أستقلالا للمواهب أم بطراً للنعمة أم قلة علم بموضع المصيبة كأنك جاهل بمالك وعليك وهذا الذى أنت

فيه عطاء من الله إن شكرته عليه زادك فإن عرفت موضع البلاء منه فيه عافاك فقال المهدى لا أعدمنا الله بقاءك يا أمير المؤمنين وإرشادك والحمد لله على نعمه وأسأل الله الشكر على مواهبه والخلف الجميل برحمته ثم انصرف قال العباس بن الوليد بن مزيد قال سمعت ناعم بن مزيد يذكر عن الوضين بن عطاء قال استزارنى أبو جعفر وكانت بينى وبينه خلالة قبل الخلافة فصرت إلى مدينة السلام فخلونا يوما فقال لى يا أبا عبد الله ما مالك قلت الخير الذى يعرفه أمير المؤمنين قال وما عيالك قلت ثلاث بنات والمرأة وخادم لهن قال فقال لى أربع فى بيتك قلت نعم قال فوالله لردّد ذلك علىّ حتى ظننت أنه سيموّلنى قال ثم رفع رأسه إلىّ فقال أنت أيسر العرب أربع مغازل يدرن فى بيتك * وذكر بشر المنجم قال دعانى أبو جعفر يوما عند المغرب فبعثنى فى بعض الأمر فلما رجعت رفع ناحية مصلاه فإذا دينار فقال لى خذ هذا واحتفظ به قال فهو عندى إلى الساعة * وذكر أبو الجهم بن عطية قال حدثنى أبو مقاتل الخراسانى ورفع غلام له إلى أبى جعفر أن له عشرة آلاف درهم فأخذها منه وقال هذا مالى قال ومن أين يكون مالك فوالله ما وليت لك عملا قط ولا بينى وبينك رحم ولا قرابة قال بلى كنت تزوجت مولاة لعيينة بن موسى بن كعب فورّثتك مالا وكان ذلك قد عصى وأخذ مالى وهو وال على السند فهذا المال من ذلك المال * وذكر مصعب عن سلام عن أبى حارثة النهدى صاحب بيت المال قال ولى أبو جعفر رجلا باروسما فلما انصرف أراد أن يتعلل عليه لئلا يعطيه شيئا فقال له أشركتك فى أمانتى ووليتك فيئا من فىء المسلمين فخنته فقال أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ما صحبنى من ذلك شىء إلا درهم منه مثقال صررته فى كمى إذا خرجت من عندك اكتريت به بغلا إلى عيالى فأدخل بيتى ليس معى شىء من مال الله ولا مالك فقال ما أظنك إلا صادقا هلمّ درهمنا فأخذه منه فوضعه تحت لبده فقال ما مثلى ومثلك إلا مثل مجير أم عامر قال وما مجير أم عامر فذكر قصة الضبع ومجيرها قال وإنما غالطه أبو جعفر لئلا يعطيه شيئا * وذكر عن هشام بن محمد أن قثم بن العباس

دخل على أبى جعفر فكلمه فى حاجة فقال له أبو جعفر دعنى من حاجتك هذه أخبرنى لِمَ سميت قثما قال لا والله ياأمير المؤمنين ماأدرى قال القثم الذى يأكل ويزل أماسمعت قول الشاعر:

وللكُبراء أكلٌ كيف شاؤا وللصُّغراء أكلٌ واقتِثامُ

* وذكر عن ابراهيم بن عيسى أن المنصور وهب لمحمد بن سليمان عشرين ألف درهم ولجعفر أخيه عشرة آلاف درهم فقال جعفر ياأمير المؤمنين تفضله على وأنا أسن منه قال وأنت مثله! إنا لانلتفت إلى ناحية إلا وجدنا من أثر محمد فيها شيئا وفى منزلنا من هداياه بقية وأنت لم تفعل من هذا شيئا * وذكر عن سوادة بن عمرو السلمى عن عبد الملك بن عطاء وكان فى صحابة المنصور قال سمعت بن هبيرة وهو يقول فى مجلسه مارأيت رجلا قط فى حرب ولاسمعت به فى سلم أمكر ولاأبدع ولاأشد تيقظا من المنصور لقد حصرنى فى مدينتى تسعة أشهر ومعى فرسان العرب فجهدنا كل الجهد أن ننال من عسكره شيئا نكسره به فما تهيأ ولقد حصرنى ومافى رأسى بيضاء فخرجت اليه ومافى رأسى سوداء وإنه لكما قال الأعشى:

يَقومُ على الرَّغمِ مِنْ قومِهِ فيَعْفو إذا شاء أو يَنتَقِمْ
أخو الحرب لاضَرَعٌ واهنٌ ولم ينتعل بنِعال خَذِمْ

* وذكر ابراهيم بن عبد الرحمن أن أباجعفر كان نازلا على رجل يقال له أزهر السمان وليس بالمحدث وذلك قبل خلافته فلما ولى الخلافة صار اليه إلى مدينة السلام فأدخل عليه فقال حاجتك قال ياأمير المؤمنين علىّ دين أربعة آلاف درهم ودارى مستهدمة وابنى محمد يريد البناء بأهله فأمر له باثنى عشر ألف درهم ثم قال ياأزهر لاتأتنا طالب حاجة قال أفعل فلما كان بعد قليل عاد فقال ياأزهر ماجاء بك قال جئت مسلّما ياأمير المؤمنين قال إنه ليقع فى نفسى أشياء إنك أتينا لما أتيتنا له فى المرة الأولى فأمر له باثنى عشر ألف درهم أخرى ثم قال ياأزهر لاتأتنا طالب حاجة ولامسلما قال نعم ياأمير المؤمنين ثم لم يلبث أن عاد فقال يا أزهر ماجاء بك قال دعاء سمعته منك أحببت أن آخذه عنك قال لاتردده فإنه غير مستجاب

لأنى قد دعوت الله به أن يريحنى من خلقتك فلم يفعل وصرفه ولم يعطه شيئا وذكر الهيثم بن عدى أن ابن عياش حدثه أن ابن هبيرة أرسل إلى المنصور وهو محصور بواسط والمنصور بإزائه إنى خارج يوم كذا وكذا وداعيك إلى المبارزة فقد بلغنى تجبينك إياى فكتب اليه يا ابن هبيرة إنك امرؤ متعد طورك جار فى عنان غيك يعدك الله ماهو مصدقه ويمنيك الشيطان ماهو مكذبه ويقرب ماالله مباعده فرويداً يتم الكتاب أجله وقد ضربت مثلى ومثلك بلغنى أن أسداً لقى خنزيرا فقال له الخنزير قاتلنى فقال الأسد إنما أنت خنزير ولست لى بكفء ولا نظير ومتى فعلت الذى دعوتنى اليه فقتلتك قيل لى قتلت خنزيرا فلم أعتقد بذلك فخرا ولا ذكرا وإن نالنى منك شىء كان سبة على فقال إن أنت لم تفعل رجعت إلى السباع فأعلمتها أنك نكلت عنى وجبنت عن قتالى فقال الأسد احتمال عار كذبك أيسر علىّ من لطخ شاربى بدمك وذكر عن محمد بن رياح الجوهرى قال ذكر لأبى جعفر تدبير هشام بن عبد الملك فى حرب كانت له فبعث إلى رجل كان معه ينزل الرصافة رصافة هشام يسأله عن ذلك الحرب فقدم عليه فقال أنت صاحب هشام قال نعم يا أمير المؤمنين قال فأخبرنى كيف فعل فى حرب دبرها فى سنة كذا وكذا قال إنه فعل فيها رحمه الله كذا وكذا ثم أتبع بأن قال فعل كذا رضى الله عنه فأحفظ ذلك المنصور فقال قم عليك غضب الله تطأ بساطى وتترحم على عدوى فقام الشيخ وهو يقول إن لعدوك قلادة فى عنقى ومنّة فى رقبتى لا ينزعها عنى إلا غاسلى فأمر المنصور برده وقال اقعد هيه كيف قلت فقلت إنه كفانى الطلب وصان وجهى عن السؤال فلم أقف على باب عربى ولا أعجمى منذ رأيته أفلا يجب علىّ أن أذكره بخير وأتبعه بثنائى فقال بلى لله أم نهضت عنك وليلة أدتك أشهد أنك نهيض حرة وغراس كريم ثم استمع منه وأمر له ببر فقال يا أمير المؤمنين ما آخذه لحاجة وما هو إلا أنى أتشرف بحبائك وأتبجح بصلتك فأخذ الصلة وخرج فقال المنصور عند مثل هذا تحسن الصنيعة ويوضع المعروف ويجاد بالمصون وأين فى عسكرنا مثله ٭ وذكر عن حفص بن غياث عن ابن عياش قال كان أهل الكوفة لا تزال الجماعة منهم قد طعنوا

على عاملهم وتظلموا على أميرهم وتكلموا كلاما فيه طعن على سلطانهم فرفع ذلك فى الخبر فقال للربيع اخرج إلى من بالباب من أهل الكوفة فقل لهم إن أمير المؤمنين يقول لكم لئن اجتمع اثنان منكم فى موضع لأحلقن رؤسهما ولحاهما ولأضربن ظهورهما فالزموا منازلكم واتقوا على أنفسكم فخرج اليهم الربيع بهذه الرسالة فقال له ابن عياش ياشبه عيسى ابن مريم أبلغ أمير المؤمنين عنا كما أبلغتنا عنه فقل له والله يا أمير المؤمنين مالنا بالضرب طاقة فأما حلق اللحى فإذا شئت وكان ابن عياش منتوفا فأبلغه فضحك وقال قاتله الله ما أدهاه وأخبثه وقال موسى ابن صالح حدثنى محمد بن عقبة الصيداوى عن نصر بن حرب وكان فى حرس أبى جعفر قال رفع إلى رجل قد جىء به من بعض الآفاق قد سعى فى فساد الدولة فأدخلته على أبى جعفر فلما رآه قال أصْبَغ قال نعم يا أمير المؤمنين قال ويلك أما أعتقتك وأحسنت اليك قال بلى قال فسعيت فى نقض دولتى وإفساد ملكى قال أخطأت وأمير المؤمنين أولى بالعفو قال فدعا أبو جعفر عمارة وكان حاضرا فقال ياعمارة هذا أصبغ فجعل يتثبت فى وجهى وكان فى عينيه سوء فقال نعم يا أمير المؤمنين قال على بكيس عطائى فأتى بكيس فيه خمسمائة درهم فقال خذها فإنها وضح ويلك وعليك بعملك وأشار بيده يحركها فقال عمارة فقلت لأصبغ ما كان عَنَى أمير المؤمنين قال كنتُ وأنا غلام أعمل الحبال فكان يأكل من كسبى قال نصر ثم أتى به ثانية فأدخلته كما أدخلته قبل فلما وقف بين يديه أحدّ النظر اليه ثم قال أصبغ فقال نعم يا أمير المؤمنين قال فقص عليه مافعل به وذكره إياه فأقر به وقال الحمق يا أمير المؤمنين فقدمه فضرب عنقه ٭ وذكر علىّ بن محمد بن سليمان النوفلىّ قال حدثنى أبى قال كان خضاب المنصور زعفرانيا وذلك أن شعره كان لينا لا يقبل الخضاب وكانت لحيته رقيقة فكنت أراه على المنبر يخطب ويبكى فيسرع الدمع على لحيته حتى تكِفَ لقلة الشعر ولينه ٭ وذكر ابراهيم بن عبد السلام ابن أخى السندىّ بن شاهك السندىّ قال ظفر المنصور برجل من كبراء بنى أمية فقال انى أسألك عن أشياء فاصدقنى ولك الأمان قال نعم فقال له المنصور من أين

أتى بنو أمية حتى انتشر أمرهم قال من تضييع الأخبار قال فأى الأموال وجدوها أنفع قال الجوهر قال فعند من وجدوا الوفاء قال عند مواليهم قال فأراد المنصور أن يستعين فى الأخبار بأهل بيته ثم قال أضع من أقدارهم فاستعان بمواليه * وذكر على بن محمد الهاشمى أن أباه محمد بن سليمان حدثه قال بلغنى أن المنصور أخذ الدواء فى يوم شات شديد البرد فأتيته أسأله عن موافقة الدواء له فأدخلت مدخلا من القصر لم أدخله قط ثم صرت إلى حجيرة صغيرة وفيها بيت واحد ورواق بين يديه فى عرض البيت وعرض الصحن على اسطوانة ساج وقد سدل على وجه الرواق بوارى كما يصنع بالمساجد فدخلت فاذا فى البيت مسح ليس فيه شىء غيره إلا فراشه ومرافقه ودثاره فقلت يا أمير المؤمنين هذا بيت أربأبك عنه فقال يا عم هذا بيت مبيتى قلت ليس هنا غير هذا الذى أرى قال ماهو إلا ماترى قال وسمعته يقول عمن حدثه عن جعفر بن محمد قال قيل إن أبا جعفر يعرف بلباس جبة هروية مرقوعة وأنه يرقع قميصه فقال جعفر الحمد لله الذى لطف له حتى ابتلاه بفقر نفسه أو قال بالفقر فى ملكه قال وحدثنى أبى قال كان المنصور لا يولى أحداً ثم يعزله إلا ألقاه فى دار خالد البطين وكان منزل خالد على شاطئ دجلة ملاصقا لدار صالح المسكين فيستخرج من المعزول مالا فما أخذ من شىء أمر به فعزل وكتب عليه اسم من أخذ منه وعزل فى بيت مال وسماه بيت مال المظالم فكثر ما فى ذلك البيت من المال والمتاع ثم قال للمهدى إنى قد هيأت لك شيئا ترضى به الخلق ولا تغرم من مالك شيئا فاذا أنا مت فادع هؤلاء الذين أخذت منهم هذه الأموال التى سميتها المظالم فاردد عليهم كل ما أخذ منهم فإنك تستحمد إليهم وإلى العامة ففعل ذلك المهدى لما ولى قال على بن محمد فكان المنصور ولى محمد بن عبيد الله بن محمد بن سليمان ابن محمد بن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث البلقاء ثم عزله وأمر أن يحمل اليه مع مال وجد عنده فحمل اليه على البريد وألفى معه ألفا دينار فحملت مع ثقله على البريد وكان مصلى سوسنجرد ومضربة ومرفقة ووسادتين وطستا وابريقا وأشناندانه نحاس فوجد ذلك مجموعا كهيئته الا أن المتاع قد تأكل فأخذ الألفى دينار

واستحيا أن يخرج ذلك المتاع وقال لا أعرفه فتركه ثم ولاه المهدى بعد ذلك اليمن وولى الرشيد ابنه الملقب ربرا المدينة * وذكر أحمد بن الهيثم بن جعفر بن سليمان ابن على قال حدثنى صباح بن خاقان قال كنت عند المنصور حين أتى برأس إبراهيم ابن عبدالله بن حسن فوضع بين يديه فى ترس فأكب عليه بعض السيافة فبصق فى وجهه فنظر اليه أبو جعفر نظرا شديدا وقال لى دق أنفه قال فضربت أنفه بالعمود ضربة لو طُلب له أنف بألف دينار ما وجدو أخذته أعمدة الحرس فما زال يهشم بها حتى خمد ثم جر برجله قال الأصمعى حدثنى جعفر بن سليمان قال قدم أشعب أيام أبى جعفر بغداد فأطاف به فتيان بنى هاشم فغناهم فاذا ألحانه طربة وخلقه على حاله فقال له جعفر لمن هذا الشعر

لِمَنْ طَلَلٌ بِذَاتِ الجَيْ ... ش أمسى دارِسًا خَلَقَا
عَلونَ بظاهِرِ البَيْدا ... ء فالمَحْزُونُ قد قَلِقَا

فقال أخذت الغناءَ من معبد ولقد كنت آخذ عنه اللحن فإذا سئل عنه قال عليكم بأشعب فانه أحسن تأدية له منى قال الأصمعى وقال جعفر بن سليمان قال أشعب لابنه عبيدة إنى أرانى سأخرجك من منزلى وأنتفى منك قال ولم يا أبه قال لأنى أكسب خلق الله لرغيف وأنت ابنى قد بلغت هذا المبلغ من السن وأنت فى عيالى ما تكسب شيئا قال بلى والله انى لأكسب ولكن مثل الموزة لا تحمل حتى تموت أمها * وذكر على بن محمد بن سليمان الهاشمى أن أباه محمداً حدثه أن الاكاسرة كان يطين لها فى الصيف سقف بيت فى كل يوم فتكون قائلة الملك فيه وكان يؤتى بأطنان القصب والخلاف طوالا غلاظا فترصف حول البيت ويؤتى بقطع الثلج العظام فتجعل ما بين أضعافها وكانت بنو أمية تفعل ذلك وكان أول من اتخذ الخيش المنصور * وذكر بعضهم أن المنصور كان يطين له فى أول خلافته بيت فى الصيف يقيل فيه فاتخذ له أبو أيوب الخوزى ثيابا كثيفة تبل وتوضع على سبايك فيجد بردها فاستطابها وقال ما أحب هذه الثياب ان اتخذت أكثف من هذه إلا حملت من الماء أكثر مما تحمل وكانت أبرد فاتخذ له الخيش فكان

ينصب على قبة ثم اتخذ الخلفاء بعده الشرائج واتخذها الناس وقال على بن محمد عن أبيه إن رجلا من الراوندية كان يقال له الابلق وكان أبرص فتكلم بالغلو ودعا بالراوندية اليه فزعم أن الروح التى كانت فى عيسى ابن مريم صارت فى على بن أبى طالب ثم فى الائمة فى واحد بعد واحد إلى ابراهيم بن محمد وأنهم آلهة واستحلوا الحرمات فكان الرجل منهم يدعو الجماعة منهم إلى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته فبلغ ذلك أسد بن عبد الله فقتلهم وصلبهم فلم يزل ذلك فيهم إلى اليوم فعبدوا أبا جعفر المنصور وصعدوا إلى الخضراء فألقوا أنفسهم كأنهم يطيرون وخرج جماعتهم على الناس بالسلاح فأقبلوا يصيحون بأبى جعفر أنت أنت قال فخرج اليهم بنفسه فقاتلهم فأقبلوا يقولون وهم يقاتلون أنت أنت قال فحكى لنا عن بعض مشيختنا أنه نظر إلى جماعة الراوندية يرمون أنفسهم من الخضراء كأنهم يطيرون فلا يبلغ أحدهم الأرض إلا وقد تفتت وخرجت روحه قال أحمد بن ثابت مولى محمد بن سليمان بن علىّ عن أبيه أن عبد الله بن على لما توارى من المنصور بالبصرة عند سليمان بن علىّ أشرف يوما ومعه بعض مواليه ومولى لسليمان بن على فنظر إلى رجل له جمال وكمال يمشى التخاجى ويجر أثوابه من الخيلاء فالتفت إلى مولى لسليمان بن على فقال من هذا قال له فلان بن فلان الأموى فاستشاط غضباً وصفق بيديه عجباً وقال إن فى طريقنا النبكا بعد يا فلان لمولى له انزل فأتنى برأسه وتمثل قول سديف.

عـلامَ وفيمَ نَترُكُ عبدَ شمس ... لهـا فى كلّ راعيـةٍ ثُغاءُ

فمـا بالرَّمْسِ فى حَرانَ منهـا ... ولو قُتِلَتْ بأجمعِهـا وفاءُ

وذكر على بن محمد المدائنى أنه قدم على أبى جعفر المنصور بعد انهزام عبد الله ابن على وظفر المنصور به وحبسه إياه ببغداد وفد من أهل الشأم فيهم الحارث ابن عبد الرحمن فقام عدة منهم فتكلموا ثم قام الحارث بن عبد الرحمن فقال أصلح الله أمير المؤمنين إنا لسنا وفد مباهاة ولكنا وفد توبة وإنا ابتلينا بفتنة استفزت كريمنا واستخفت حليمنا فنحن بما قدمنا معترفون ومما سلف منا معتذرون فإن

تعاقبنا فبما أجرمنا وإن تعف عنا فبفضلك علينا فاصفح عنا إذ ملكت وامنن إذ قدرت وأحسن إذ ظفرت فطالما أحسنت قال أبو جعفر قد فعلت * وذكر عن الهيثم بن عدى عن زيد مولى عيسى بن نهيك قال دعانى المنصور بعد موت مولاى فقال يازيد قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال كم خلف أبو زيد من المال قلت ألف دينار أو نحوها قال فأين هى قلت أنفقتها الحرة فى مأتمه قال فاستعظم ذلك وقال أنفقت الحرة فى مأتمه ألف دينار ما أعجب هذا ثم قال كم خلف من البنات قلت ستاً فأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال اغد إلى باب المهدى فغدوت فقيل لى أمعك بغال فقلت لم أومر بذلك ولا بغيره ولا أدرى لِمَ دعيت قال فأعطيت ثمانين ومائة ألف دينار وأمرت أن أدفع إلى كل واحدة من بنات عيسى ثلاثين ألف دينار ثم دعانى المنصور فقال أقبضت ما أمرنا به لبنات أبى زيد قلت نعم يا أمير المؤمنين قال اغد على بأكفائهن حتى أزوجهن منهم قال فغدوت عليه بثلاثة من ولد العكى وثلاثة من آل نهيك من بنى عمهن فزوج كل واحدة منهن على ثلاثين ألف درهم وأمر أن تحمل إليهن صدقاتهن من ماله وأمرنى أن أشترى بما أمر به لهن ضياعا يكون معاشهن منها ففعلت ذلك وقال الهيثم فرق أبو جعفر على جماعة من أهل بيته فى يوم واحد عشرة آلاف درهم وأمر للرجل من أعمامه بألف ألف ولا نعرف خليفة قبله ولا بعده وصل بها أحداً من الناس وقال العباس ابن الفضل أمر المنصور لعمومته سليمان وعيسى وصالح واسماعيل بنى على بن عبد الله ابن عباس لكل رجل منهم بألف ألف معونة له من بيت المال وكان أول خليفة أعطى ألف ألف من بيت المال فكانت تجرى فى الدواوين * وذكر عن إسحاق ابن ابراهيم الموصلى قال حدثنى الفضل بن الربيع عن أبيه قال جلس أبو جعفر المنصور للمدنيين مجلسا عاما ببغداد وكان وفد إليه منهم جماعة فقال لينتسب كل من دخل على منكم فدخل عليه فيمن دخل شاب من ولد عمرو بن حزم فانتسب ثم قال يا أمير المؤمنين قال الأحوص فينا شعراً أمنعنا أموالنا من أجله منذ ستين سنة فقال أبو جعفر فأنشدنى فأنشده

لا تَأْوِيَنَّ لَحَزْمِيٍّ رأيتَ به فقرًا وإن ألقِىَ الحَزْمِىُّ فى النار

النَّاخِسِين بِمَرْوانَ بذى خُشُبٍ والداخلين على عثمانَ فى الدار

قال والشعر فى المدح للوليد بن عبد الملك فأنشده القصيدة فلما بلغ هذا الموضع قال الوليد أذكرتنى ذنب آل حزم فأمر باستصفاء أموالهم فقال أبو جعفر أعد على الشعر فأعاده ثلاثا فقال له أبو جعفر لا جرم انك تحتظى بهذا الشعر كما حرمت به ثم قال لأبى أيوب هات عشرة آلاف درهم فادفعها إليه لغنائه إلينا ثم أمر أن يكتب إلى عماله أن يرد ضياع آل حزم عليهم ويعطو غلاتها فى كل سنة من ضياع بنى أمية وتقسم أموالهم بينهم على كتاب الله على التناسخ ومن مات منهم وُفِّر على ورثته قال فانصرف الفتى بما لم ينصرف به أحد من الناس * وحدثنى جعفر بن أحمد بن يحيى قال حدثنى أحمد بن أسد قال أبطأ المنصور عن الخروج إلى الناس والركوب فقال الناس هو عليل وكثروا فدخل عليه الربيع فقال يا أمير المؤمنين لأمير المؤمنين طول البقاء والناس يقولون قال ما يقولون قال يقولون عليل فأطرق قليلا ثم قال يا ربيع مالنا وللعامة إنما تحتاج العامة إلى ثلاث خلال فاذا فعل ذلك بها فما حاجتهم إذا أقيم لهم من ينظر فى أحكامهم فينصف بعضهم من بعض ويؤمن سبلهم حتى لا يخافوا فى ليلهم ولا نهارهم ويسد ثغورهم وأطرافهم حتى لا يجيئهم عدوهم وقد فعلنا ذلك بهم ثم مكث أياما وقال يا ربيع اضرب الطبل فركب حتى رآه العامة وذكر على بن محمد قال حدثنى أبى قال وجه أبو جعفر محمد بن أبى العباس بالزنادقة والمجّان فكان فيهم حماد عجرد فأقاموا معه بالبصرة يظهر منهم المجون وإنما أراد بذلك أن يبغضه إلى الناس فأظهر محمد أنه يعشق زينب بنت سليمان بن على فكان يركب إلى المربد فيتصدى لها يطمع أن تكون فى بعض المناظر تنظر إليه فقال محمد لحماد قل لى فيها شعرا فقال فيها أبياتا يقول فيها

يا ساكنَ المِرْبَدِ قد هِجْتَ لى شوقًا فما أنفكُّ بالمِرْبَدِ

قال فحدثنى أبى قال كان المنصور نازلا على أبى سنتين فعرفت الخصيب المتطيب لكثرة اتيانه إياه وكان الخصيب يظهر النصرانية وهو زنديق معطل

لا يبالى من قتل فأرسل اليه المنصور رسولا يأمره أن يتوخى قتل محمد بن أبى العباس فاتخذ سما قاتلا ثم انتظر علة تحدث بمحمد فوجد حرارة فقال له الخصيب خذ شربة دواء فقال هيئها لى فهيأها وجعل فيها ذلك السم ثم سقاه إياها فمات منها فكتبت بذلك أم محمد بن أبى العباس إلى المنصور تعلمه أن الخصيب قتل ابنها فكتب المنصور يأمر بحمله اليه فلما صار اليه ضربه ثلاثين سوطا ضربا خفيفا وحبسه أياما ثم وهب له ثلثمائة درهم وخلاه قال وسمعت أبى يقول كان المنصور شرط لأم موسى الحميرية ألا يتزوج عليها ولا يتسرى وكتبت عليه بذلك كتابا أكدته وأشهدت عليه شهوداً فعزب بها عشرة سنين فى سلطانه فكان يكتب إلى الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز يستفتيه ويحمل اليه الفقيه من أهل الحجاز وأهل العراق فيعرض عليه الكتاب ليفتيه فيه برخصة فكانت أم موسى إذا علمت مكانه بادرته فأرسلت اليه بمال جزيل فاذا عرض عليه أبو جعفر الكتاب لم يفته فيه برخصة حتى ماتت بعد عشر سنين من سلطانه ببغداد فأتته وفاتها بحلوان فأهديت له فى تلك الليلة مائة بكر وكانت أم موسى ولدت له جعفرا والمهدى وذكر عن علىّ بن الجعد أنه قال لما قدم بختيشوع الأكبر على المنصور من السوس ودخل عليه فى قصره بباب الذهب ببغداد أمر له بطعام يتغدى به فلما وضعت المائدة بين يديه قال شراب فقيل له إن الشراب لا يشرب على مائدة أمير المؤمنين فقال لا آكل طعاما ليس معه شراب فأخبر المنصور بذلك فقال دعوه فلما حضر العشاء فعل به مثل ذلك فطلب الشراب فقيل له لا يشرب على مائدة أمير المؤمنين الشراب فتعشى وشرب ماء دجلة فلما كان من الغد نظر إلى مائه فقال ما كنت أحسب شيئا يجزى من الشراب فهذا ماء دجلة يجزى من الشراب وذكر عن يحيى بن الحسن أن أباه حدثه قال كتب المنصور إلى عامله بالمدينة أن بع ثمار الضياع ولا تبعها إلا ممن نغلبه ولا يغلبنا فانما يغلبنا المفلس الذى لا مال له ولا رأى لنا فى عذابه فيذهب بما لنا قبله ولو أعطاك جزيلا وبعها من الممكن بدون ذلك ممن ينصفك ويوفيك وذكر أبو بكر الهذلى أن أبا جعفر كان يقول

ليس بانسان من أسدى اليه معروف فنسيه دون الموت وقال الفضل بن الربيع سمعت المنصور يقول كانت العرب تقول الغَوَى الفادح خير من الرى الفاضح وذكر عن أبان بن يزيد العنبرى أن الهيثم القارئ البصرى قرأ عند المنصور «ولا تبذر تبذيراً» إلى آخر الآية فقال له المنصور وجعل يدعو اللهم جنبنى وبنى التبذير فيما أنعمت به علينا من عطيتك قال وقرأ الهيثم عنده «الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل» فقال الناس لولا إن الأموال حصن السلطان ودعامة للدين والدنيا وعزهما وزينهما ما بت ليلة وأنا أحرز منه ديناراً ولا درهما لما أجد لبذل المال من اللذاذة ولما أعلم فى اعطائه من جزيل المثوبة ودخل على المنصور رجل من أهل العلم فازدراه واقتحمته عينه فجعل لا يسأله عن شىء إلا وجد عنده فقال له أنى لك هذا العلم قال لم أبخل بعلم علمته ولم أستح من علم أتعلمه قال فمن هناك قال وكان المنصور كثيراً ما يقول من فعل بغير تدبير وقال عن غير تقدير لم يعدم من الناس هازئاً أو لاحيا وذكر عن قحطبة قال سمعت المنصور يقول الملوك تحتمل كل شىء من أصحابها إلا ثلاثا افشاء السر والتعرض للحرمة والقدح فى الملك وذكر علىّ بن محمد أن المنصور كان يقول سرك من دمك فانظر من تملكه وذكر الزبير بن بكار عن عمر قال لما حمل عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدىّ إلى المنصور بعد خروجه عليه قال له ياأمير المؤمنين قتلة كريمة قال تركتها وراءك يا ابن اللخناء وذكر عن عمر بن شبة أن قحطبة بن غدانة الجشمى وكان من الصحابة قال سمعت أبا جعفر المنصور يخطب بمدينة السلام سنة ١٥٢ فقال يا عباد الله لا تظالموا فانها مظلمة يوم القيامة والله لولا يد خاطئة وظلم ظالم لمشيت بين أظهركم فى أسواقكم ولو علمت مكان من هو أحق بهذا الأمر منى لأتيته حتى أدفعه اليه وذكر إسحاق الموصلى عن النضر ابن حديد قال حدثنى بعض الصحابة أن المنصور كان يقول عقوبة الحليم التعريض وعقوبة السفيه التصريح وذكر أحمد بن خالد قال حدثنى يحيى بن أبى نصر القرشى أن أبان القارئ قرأ عند المنصور «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها

كل البسط» الآية فقال المنصور ماأحسن ما أدبنا ربنا قال وقال المنصور من صنع مثل ما صُنع اليه فقد كافأ ومن أضعف فقد شكر ومن شكر كان كريما ومن علم أنه إنما صنع إلى نفسه لم يستبطئ الناس فى شكرهم ولم يستزدهم من مودتهم فلا تلتمس من غيرك شكر ما آتيته إلى نفسك ووقيت به عرضك واعلم أن طالب الحاجة اليك لم يكرم وجهه عن وجهك فأكرم وجهك عن رده وذكر عمر بن شبة أن محمد بن عبد الوهاب المهلبى حدثه قال سمعت إسحاق ابن عيسى يقول لم يكن أحد من بنى العباس يتكلم فيبلغ حاجته على البديهة غير أبى جعفر وداود بن على والعباس بن محمد وذكر عن أحمد بن خالد قال حدثنى إسماعيل بن إبراهيم الفهرى قال خطب المنصور ببغداد فى يوم عرفة وقال قوم بل خطب فى أيام منى فقال فى خطبته أيها الناس إنما أنا سلطان الله فى أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده وأنا خازنه على فيئه أعمل بمشيئته وأقسمه بإرادته وأعطيه باذنه قد جعلنى الله عليه قفلا إذا شاء أن يفتحنى لأعطياتكم وقسم فيئكم وأرزاقكم فتحنى وإذا شاء أن يقفلنى أقفلنى فارغبوا إلى الله أيها الناس وسلوه فى هذا اليوم الشريف الذى وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم به فى كتابه إذ يقول تبارك وتعالى «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا» أن يوفقنى للصواب ويسددنى للرشاد ويلهمنى الرأفة بكم والاحسان اليكم ويفتحنى لأعطياتكم وقسم أرزاقكم بالعدل عليكم إنه سميع قريب وذكر عن داود بن رشيد عن أبيه أن المنصور خطب فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فاعترضه معترض عن يمينه فقال أيها الإنسان أذكرك من ذكرت به فقطع الخطبة ثم قال سمعا سمعا لمن حفظ عن الله وذكر به وأعوذ بالله أن أكون جبارا عنيدا وأن تأخذنى العزة بالإثم لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين وأنت أيها القائل فوالله ما أردت بها وجه الله ولكنك حاولت أن يقال قام فقال فعوقب فصبر وأهون بها ويلك لو هممت. فاهتبلها إذ غفرت وإياك وإياكم معشر الناس أختها فان الحكمة علينا نزلت ومن

عندنا فصلت فردوا الأمر إلى أهله توردوه موارده وتصدروه مصادره ثم عاد
فى خطبته فكأنه يقرؤها من كفه فقال وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وذكر
عن أبى توبة الربيع بن نافع عن ابن أبى الجوزاء أنه قال قمت إلى أبى جعفر وهو
يخطب ببغداد فى مسجد المدينة على المنبر فقرأت «ياأيها الذين آمنوا لِمَ تقولون
مالا تفعلون» فأخذت فأدخلت عليه فقال من أنت ويلك إنما أردتَ أن أقتلك
فاخرج عنى فلا أراك قال فخرجت من عنده سليما وقال عيسى بن عبدالله بن حميد
حدثنى إبراهيم بن عيسى قال خطب أبو جعفر المنصور فى هذا المسجد يعنى به
مسجد المدينة ببغداد فلما بلغ اتقوا الله حق تقاته قام اليه رجل فقال وأنت يا عبدالله
فاتق الله حق تقاته فقطع أبو جعفر الخطبة وقال سمعا سمعا لمن ذكَّر بالله هات
يا عبدالله فما اتقى الله فانقطع الرجل فلم يقل شيئاً فقال أبو جعفر الله أيها الناس
فى أنفسكم لا تحملونا من أموركم مالا طاقة لكم به لا يقوم رجل هذا المقام إلا
أوجعت ظهره وأطلت حبسه ثم قال خذه اليك ياربيع قال فوثقنا له بالنجاة
وكانت العلامة فيه إذا أراد بالرجل مكروها قال خذه اليك يا مسيب قال ثم رجع
فى خطبته من الموضع الذى كان قطعه فاستحسن الناس ذلك منه فلما فرغ من
الصلاة دخل القصر وجعل عيسى بن موسى يمشى على هيئته خلفه فأحس به
أبو جعفر فقال أبو موسى فقال نعم يا أمير المؤمنين قال كأنك خفتنى على هذا
الرجل قال والله لقد سبق إلى قلبى بعض ذلك إلا أن أمير المؤمنين أكثر علما
وأعلى نظرا من أن يأتى فى أمره إلا الحق فقال لا تخفنى عليه فلما جلس قال على
بالرجل فأتى به فقال ياهذا إنك لما رأيتنى على المنبر قلت هذا الطاغية لا يسعنى
إلا أن أكلمه ولو شغلت نفسك بغير هذا لكان أمثل لك فاشغلها بظماء الهواجر
وقيام الليل وتغبير قدميك فى سبيل الله أعطه ياربيع أربعمائة درهم واذهب فلا تعد
وذكر عن عبد الله بن صاعد مولى أمير المؤمنين أنه قال حج المنصور بعد بناء
بغداد فقام خطيبا بمكة فكان مما حفظ من كلامه «ولقد كتبنا فى الزبور من بعد
الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون» أمر مبرم وقول عدل وقضاء فصل

والحمد لله الذى أفلج حجته وبعداً للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضا والفيء إرثا وجعلوا القرآن عضين لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون فكم ترى من بئر معطلة وقصر مشيد أهملهم الله حتى بدلوا السنة واضطهدوا العترة وعندوا واعتدوا واستكبروا وخاب كل جبار عنيد ثم أخذهم فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا وذكر الهيثم بن عدىّ عن ابن عياش قال إن الأحداث لما تتابعت على أبى جعفر تمثل

تفرَّقت الظِّباءُ على خِدَاشٍ فما يَدْرِى خداشٌ ما يَصِيدُ

قال ثم أمر بإحضار القوّاد والموالى والصحابة وأهل بيته وأمر حماداً التركى بإسراج الخيل وسليمان بن مجالد بالتقدم والمسيب بن زهير بأخذ الأبواب ثم خرج فى يوم من أيامه حتى علا المنبر قال فأزم عليه طويلا لا ينطق قال رجل لشبيب ابن شبة ما للأمير المؤمنين لا يتكلم فانه والله ممن يهون عليه صعاب القول فما باله قال فافترع الخطبة ثم قال

مالى أُكَفْكِفُ عن سَعْدٍ ويشْتُمُنى ولو شتمتُ بنى سَعْدٍ لقد سكنوا
جهلا علىَّ وجُبْناً عن عَدُوِّهم لبئست الخَلَّتانِ الجَهْلُ والجُبْنُ

ثم جلس وقال

فألقيتُ عن رَأْسِى القناعَ ولم أكنْ لأكشِفَهُ إلا لإحْدَى العظائم

والله لقد عجزوا عن أمر قمنا به فما شكروا الكافى ولقد مهدوا فاستوعروا وغمطوا الحق وغمصوا فماذا حاولوا أشرب رنقا على غصص أم أقيم على ضيم ومضض والله لا أكرم أحداً بإهانة نفسى والله لئن لم يقبلوا الحق ليطلبُنّه ثم لا يجدونه عندى والسعيد من وعظ بغيره قدّم ياغلام ثم ركب وذكر الفقيمى أن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن مولى محمد بن علىّ حدثه أن المنصور لما أخذ عبد الله بن حسن وإخوته والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ياأهل خراسان أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دولتنا ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من هو خير منا وإن أهل

بيتى هؤلاء من ولد علىّ بن أبى طالب تركناهم والله الذى لا إله إلا هو والخلافة فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا كثير فقام فيها علىّ بن أبى طالب فتلطخ وحكم عليه الحكمين فافترقت عنه الأمة واختلفت عليه الكلمة ثم وثبت عليه شيعته وأنصاره وأصحابه وبطانته وثقاته فقتلوه ثم قام من بعده الحسن بن علىّ فوالله ما كان فيها برجل قد عرضت عليه الأموال فقبلها فدسّ اليه معاوية إنى أجعلك ولى عهدى من بعدى فخدعه فانسلخ له مما كان فيه وسلمه اليه فأقبل على النساء يتزوج فى كل يوم واحدة فيطلقها غدا فلم يزل على ذلك حتى مات على فراشه ثم قام من بعده الحسين بن علىّ فخدعه أهل العراق وأهل الكوفة أهل الشقاق والنفاق والإغراق فى الفتن أهل هذه المدرة السوداء وأشار الى الكوفة فوالله ماهى بحرب فأحاربها ولا سلم فأسالمها فرق الله بينى وبينها فخذلوه وأسلموه حتى قتل ثم قام من بعده زيد بن علىّ فخدعه أهل الكوفة وغروه فلما أخرجوه وأظهروه أسلموه وقد كان أتى محمد بن على فناشده فى الخروج وسأله أن لا يقبل أقاويل أهل الكوفة وقال له انا نجد فى بعض علمنا أن بعض أهل بيتنا يصلب بالكوفة وأنا أخاف أن تكون ذلك المصلوب وناشده عمى داود بن علىّ وحذره غدر أهل الكوفة فلم يقبل وأتمّ على خروجه فقتل وصلب بالكناسة ثم وثب علينا بنو أمية فأماتوا شرفنا وأذهبوا عزنا والله ما كانت لهم عندنا ترة يطلبونها وما كان ذلك كله الا فيهم وبسبب خروجهم عليهم فنفونا من البلاد فصرنا مرة بالطائف ومرة بالشأم ومرة بالشراة حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارا فأحيا شرفنا وعزنا بكم أهل خراسان ودمغ بحقكم أهل الباطل وأظهر حقنا وأصار الينا ميراثنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فقر الحق مقره وأظهر مناره وأعز أنصاره وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فلما استقرت الأمور فينا على قرارها من فضل الله فيها وحكمه العادل لنا وثبوا علينا ظلما وحسداً منهم لنا وبغياً لما فضلنا الله به عليهم وأكرمنا به من خلافته وميراث نبيه صلى الله عليه وسلم

جَهْلاً عليّ وجُبْناً عن عدوّهم   لبئست الخُلّتان الجَهْل والجُبُنُ

فإني والله يا أهل خراسان ما أتيت من هذا الأمر ما أتيت بجهالة بلغني عنهم بعض السقم والتعرم وقد دسست لهم رجالا فقلت قم يا فلان قم يا فلان فخذ معك من المال كذا وحذوت لهم مثالا يعملون عليه فخرجوا حتى أتوهم بالمدينة فدسوا اليهم تلك الأموال فوالله ما بقى منهم شيخ ولا شاب ولا صغير ولا كبير إلا بايعهم بيعة استحللت بها دماءهم وأموالهم وحلت لى عند ذلك بنقضهم بيعتى وطلبهم الفتنة والتماسهم الخروج علىّ فلا يرون أنى أتيت ذلك على غير يقين ثم نزل وهو يتلو على درج المنبر هذه الآية (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب) قال وخطب المنصور بالمدائن عند قتل أبى مسلم فقال أيها الناس لا تخرجوا من أنس الطاعة الى وحشة المعصية ولا تسروا غش الأئمة فانه لم يسر أحد قط منكرة الا ظهرت فى آثار يده أو فلتات لسانه وأبداها الله لإمامه بإعزاز دينه واعلاء حقه انا لن نبخسكم حقوقكم ولن نبخس الدين حقه عليكم انه من نازعنا عروة هذا القميص أجزرناه خبىّ هذا الغمد وإن أبا مسلم بايعنا وبايع الناس لنا على أنه من نكث بنا فقد أباح دمه ثم نكث بنا فحكمنا عليه حكمه على غيره لنا ولم تمنعنا رعاية الحق له من اقامة الحق عليه وذكر اسحق بن ابراهيم الموصلىّ أن الفضل بن الربيع أخبره عن أبيه قال قال المنصور قال أبى سمعت أبى علىّ بن عبد الله يقول سادة الدنيا الأسخياء وسادة الآخرة الأنبياء وذكر عن ابراهيم بن عيسى أن المنصور غضب على محمد بن جَمِيل الكاتب وأصله من الربذة فأمر ببطحه فقام بحجته فأمر بإقامته ونظر إلى سراويله فاذا هو كتان فأمر ببطحه وضربه خمس عشرة دِرّة وقال لا تلبس سراويل كتان فانه من السرف وذكر محمد بن إسماعيل الهاشمى أن الحسن بن إبراهيم حدثه عن أشياخه أن أبا جعفر لما قتل محمد بن عبد الله بالمدينة وأخاه إبراهيم بباخمرى وخرج إبراهيم بن حسن بن حسن بمصر فحمل إليه كتب إلى بنى علىّ بن أبى طالب بالمدينة كتابا يذكر لهم فيه إبراهيم بن الحسن بن الحسن وخروجه بمصر وأنه لم

يفعل ذلك إلا عن رأيهم وأنهم يدأبون فى طلب السلطان ويلتمسون بذلك القطيعة والعقوق وقد عجزوا عن عداوة بنى أمية لما نازعوهم السلطان وضعفوا عن طلب ثأرهم حتى وثب بنو أبيه غضبا لهم على بنى أمية فطلبوا بثأرهم فأدركوا بدمائهم وانتزعوا السلطان عن أيديهم وتمثل فى الكتاب بشعر سبيع بن ربيعة بن معاوية اليربوعى.

فَلولا دِفاعى عنكمُ إذ عَجزْتُم ... وبالله أحمى عنكمَ وأدافِعُ
لَضاعَتْ أمورٌ منكمُ لا أرى لها ... كفاةً وما لا يَحْفَظ اللهُ ضائعُ
فَسَمُّوا لنا مَنْ طَحْطَحَ الناسَ عنكمُ ... ومن ذا الذى تُحْنَى عليه الأصابعُ
وما زال منا قد عَلمْتمْ عليكمُ ... على الدهر إفضالٌ يُرى وَمنافِعُ
وما زال منكمْ أهلُ غَدرٍ وجَفوةٍ ... وبالله مُغْترٌّ وللرّحم قاطعُ
وإن نحن غِبْنا عنكمُ وَشَهدْتمُ ... وَقائعَ منكم ثَمَّ فيها مقانِعُ
وإنا لَنرْعاكم وترعون شأنكم ... كذاك الأمورُ خافضاتٌ رَوافِعُ
وهل تعْلونْ أقدامُ قومٍ صُدورَهم ... وهل تعلونْ فوقَ السَّنام الأكارِعُ
وَدَبَّ رِجالٌ لِلرِّئاسَةِ منكمُ ... كما دَرَجتْ تحتَ الغديرِ الضَّفادِعُ

وذكر عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال كان أرزاق الكتاب والعمال أيام أبى جعفر ثلثمائة درهم فلما كانت كذلك لم تزل على حالها إلى أيام المأمون فكان أول من سن زيادة الأرزاق الفضل بن سهل فأما فى أيام بنى أمية وبنى العباس فلم تزل الأرزاق من الثلثمائة إلى مادونها كان الحجاج يجرى على يزيد بن أبى مسلم ثلثمائة درهم فى الشهر وذكر إبراهيم بن موسى بن عيسى بن موسى أن ولاة البريد فى الآفاق كلها كانوا يكتبون إلى المنصور أيام خلافته فى كل يوم بسعر القمح والحبوب والأدم وبسعر كل مأكول وبكل ما يقضى به القاضى فى نواحيهم وبما يعمل به الوالى وبما يرد بيت المال من المال وكل حدث وكانوا إذا صلوا المغرب يكتبون إليه بما كان فى كل ليلة إذا صلوا الغداة فاذا وردت كتبهم نظر فيها فاذا رأى الاسعار على حالها أمسك وإن تغير شىء منها عن حاله كتب إلى الوالى والعامل هناك وسأل عن العلة

التى نقلت ذاك عن سعره فاذا ورد الجواب بالعلة تلطف لذلك برفقة حتى يعود سعره ذلك إلى حاله وإن شك فى شىء مما قضى به القاضى كتب اليه بذلك وسأل من بحضرته عن عمله فإن أنكر شيئا عمل به كتب اليه يوبخه ويلومه وذكر اسحاق الموصلى أن الصباح بن خاقان التميمى قال حدثنى رجل من أهلى عن أبيه قال ذكر الوليد عند المنصور أيام نزوله بغداد وفروغه من المدينة وفراغه من محمد وابراهيم ابنى عبد الله فقالوا لعن الله الملحد الكافر قال وفى المجلس أبو بكر الهذلى وابن عياش المنتوف والشرقى بن القطامى وكل هؤلاء من الصحابة فقال أبو بكر الهذلى حدثنى ابن عم للفرزدق عن الفرزدق قال حضرت الوليد بن يزيد وعنده ندماؤه وقد اصطبح فقال لابن عائشة تغنَّ بشعر ابن الزبعرى

لَيْتَ أشْيَاخى ببَدْرٍ شَهِدُوا جزَعَ الخَزْرَجِ من وقعِ الأَسَلْ
وقتلْنا الضَّعْفَ من ساداتِهِمْ وَعَدَلنا مَيْلَ بدْرٍ فاعْتَدَلْ

فقال ابن عائشة لا أغنى هذا يا أمير المؤمنين فقال غنّه وإلا جدعتُ لهواتك قال فغناه فقال أحسنت والله إنه لعلى دين ابن الزبعرى يوم قال هذا الشعر قال فلعنه المنصور ولعنه جلساؤه وقال الحمد لله على نعمته وتوحيده وذكر عن أبى بكر الهذلى قال كتب صاحب أرمينية إلى المنصور أن الجند قد شغبوا عليه وكسروا أقفال بيت المال وأخذوا ما فيه فوقع فى كتابه اعتزل عملنا مذموما فلو عقلت لم يشغبوا ولو قويت لم ينتهبوا وقال اسحاق الموصلى عن أبيه خرج بعض أهل العبث على أبى جعفر بفلسطين فكتب إلى عامل هناك دمه فى دمك إلا توجّه إلىّ فجدّ فى طلبه فظفر به فأشخص فأمر بادخاله عليه فلما مثل بين يديه قال له أبو جعفر أنت المتوثب على عمالى لأنثرن من لحمك أكثر مما يبقى منه على عظمك فقال له وقد كان شيخا كبير السن بصوت ضعيف ضئيل غير مستعل

أتَرُوضُ عِرْسَكَ بَعدَ ماهَرِمتْ وَمِنَ العَناءِ رياضَةُ الهَرِمِ

فقال فلم تتبين للمنصور مقالته فقال يا ربيع ما يقول فقال يقول

العَبْدُ عبدُكُم والمالُ مالُكُمُ فَهلْ عذابُكَ عنى اليومَ مُنْصَرِفُ

قال يا ربيع قد عفوتُ عنه نخل سبيله واحتفظ به وأحسن ولايته قال ورفع رجل إلى المنصور يشكو عامله أنه أخذ حدّاً من ضيعته فأضافه إلى ماله فوقع إلى عامله فى رقعة المتظلم إن آثرت العدل صحبتك السلامة فانصف هذا المتظلم من هذه الظلامة قال ورفع رجل من العامة اليه رقعة فى بناء مسجد فى محلته فوقع فى رقعته من أشراط الساعة كثرة المساجد فزد فى خطاك تزدد من الثواب قال وتظلم رجل من أهل السواد من بعض العمال فى رقعة رفعها إلى المنصور فوقع فيها ان كنت صادقا فجئ به ملبّبا فقد أذنا لك فى ذلك وذكر عمر بن شبة ان أبا الهذيل العلاف حدثه أن أبا جعفر قال بلغنى أن السيد بن محمد مات بالكرخ أو قال بواسط ولم يدفنوه ولئن حق ذلك عندى لأحرقنّها وقيل ان الصحيح انه مات فى زمان المهدى بكرخ بغداد وانهم تحاموا ان يدفنوه وأنه بعث بالربيع حتى ولى أمره وأمره إن كانوا امتنعوا أن يحرق عليهم منازلهم فدفع ربيع عنهم وقال المدائنىّ لما فرغ المنصور من محمد وابراهيم وعبد الله بن علىّ وعبد الجبار بن عبد الرحمن وصار ببغداد واستقامت له الأمور كان يتمثل هذا البيت

تبيت من البلوَى على حدّ مُرهَفٍ مرارًا ويكفى الله ما أنت خائفُ

قال وأنشدنى عبد الله بن الربيع قال أنشدنى المنصور بعد قتل هؤلاء

وربّ أمورٍ لا تَضِيرُكَ ضَيْرَةً وللقلب من مَخشاتِهنّ وَجيبُ

وقال الهيثم بن عدى لما بلغ المنصور تفرق ولد عبد الله بن حسن فى البلاد هربا من عقابه تمثل

إنّ قناتى لَنبعٌ لا يؤيّسها غَمزُ الثقاف ولا دُهْنٌ ولا نارُ
متى أجر خائفاً تأمَنْ مَسارحه وإن أخِف آمِناً تقلَق به الدارُ
سيروا إلىّ وغُضوا بعض أعْيُنِكم إنى لكل امرئٍ من جاره جارُ

وذكر على بن محمد عن وضح مولى أبى جعفر قال أمرنى أبو جعفر أن أشترى له ثوبين لينين فاشتريتهما له بعشرين ومائة درهم فأتيته بهما فقال بكم فقلت بثمانين درهما قال صالحان استحطه فان المتاع اذا أدخل علينا ثم رُد على صاحبه كسره

ذلك فأخذتُ الثوبين من صاحبهما فلما كان من الغد حملتهما إليه معى فقال ما
صنعت قلت رددتهما عليه فحطى عشرين درهما قال أحسنت اقطع أحدهما قميصا
واجعل الآخر رداء لى ففعلتُ فلبس القميص خمسة عشر يوما لم يلبس غيره
وذكر مولى لعبد الصمد بن على قال سمعت عبد الصمد يقول إن المنصور كان
يأمر أهل بيته بحسن الهيئة واظهار النعمة وبلزوم الوشى والطيب فان رأى أحدا
منهم قد أخل بذلك أو أقل منه قال يا فلان ما أرى وبيص الغالية فى لحيتك وإنى
لأراها تلمع فى لحية فلان فيشحذهم بذلك على الإكثار من الطيب ليتزين بهيئتهم
وطيب أرواحهم عند الرعية ويزينهم بذلك عندهم وإن رأى على أحد منهم وشيا
طاهراً عضه بلسانه وذكر عن احمد بن خالد قال كان المنصور يسأل مالك بن أدهم
كثيرا عن حديث عجلان بن سهيل أخى حوثرة بن سهيل قال كنا جلوسا مع عجلان
إذ مر بنا هشام بن عبد الملك فقال رجل من القوم قد مر الأحول قال من تعنى قال
هشاما قال تسمى أمير المؤمنين بالنَبز والله لولا رحمك لضربت عنقك فقال المنصور
هذا والله الذى ينفع مع مثله المحيا والممات وقال أحمد بن خالد قال ابراهيم بن
عيسى كان للمنصور خادم أصفر إلى الادمة ماهر لا بأس به فقال له المنصور يوما
ما جنسك قال عربى يا أمير المؤمنين قال ومن أى العرب أنت قال من خولان
سبيتُ من اليمن فأخذنى عدوٌّ لنا فجبنى فاسترققت فصرت إلى بعض بنى أمية ثم
صرت اليك قال أما إنك نعم الغلام ولكن لا يدخل قصرى عربىٌّ يخدم حرمى
اخرج عافاك الله فاذهب حيث شئت وذكر أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن داود
ابن معاوية بن بكر وكان من الصحابة أن المنصور ضم رجلا من أهل الكوفة يقال
له الفضيل بن عمران إلى ابنه جعفر وجعله كاتبه وولاه أمره فكان منه بمنزلة
أبى عبيدالله من المهدى وقد كان أبو جعفر أراد أن يبايع لجعفر بعد المهدى فنصبت
أم عبيد الله حاضنة جعفر للفضيل بن عمران فسعت به إلى المنصور وأومأت إلى
أنه يعبث بجعفر قال فبعث المنصور الريان مولاه وهارون بن غزوان مولى عثمان
ابن نهيك إلى الفضيل وهو مع جعفر بحديثة الموصل وقال إذا رأيتما فضيلا فاقتلاه

حيث لقيتماه وكتب لهما كتابا منشوراً وكتب إلى جعفر يعلمه ماأمرهما به وقال لا تدفعا الكتاب إلى جعفر حتى تفرغا من قتله قال فخرجا حتى قدما على جعفر وقعدا على بابه ينتظران الإذن فخرج عليهما فضيل فأخذاه وأخرجا كتاب المنصور فلم يعرض لهما أحد فضربا عنقه مكانه ولم يعلم جعفر حتى فرغا منه وكان الفضيل رجلا عفيفا دينا فقيل للمنصور أن الفضيل كان أبرأ الناس مما رمى به وقد عجلت عليه فوجه رسولا وجعل له عشرة آلاف درهم أن أدركه قبل أن يقتل فقدم الرسول قبل أن يجف دمه فذكر معاوية بن بكر عن سويد مولى جعفر أن جعفراً أرسل اليه فقال ويلك مايقول أمير المؤمنين فى قتل رجل عفيف دين مسلم بلاجرم ولاجناية فقال سويد فقلت هو أمير المؤمنين يفعل مايشاء وهو أعلم بما يصنع فقال ياماص بظر أمه أكلمك بكلام الخاصة وتكلمنى بكلام العامة خذوا برجله فألقوه فى دجلة قال فأخذت فقلت أكلمك فقال دعوه فقلت أبوك إنما يسأل عن فضيل ومتى يسأل عنه وقد قتل عمه عبد الله بن عبدالله بن على وقد قتل عبدالله بن الحسن وغيره من أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلما وقتل أهل الدنيا ممن لايحصى ولايعد هو قبل أن يسأل عن فضيل جرذانة تجب خصى فرعون قال فضحك وقال دعوه إلى لعنة الله وقال قعنب بن محرز أخبرنا محمد بن عائد مولى عثمان بن عفان أن حفصا الأموى الشاعر كان يقال له حفص بن أبى جمعة مولى عباد بن زياد وكان المنصور صيره مؤدبا للمهدى فى مجالسه وكان مداحا لبنى أمية فى أيام بنى أمية وأيام المنصور فلم ينكر عليه ذلك المنصور ولم يزل مع المهدى أيام ولايته العهد ومات قبل أن يلى المهدى الخلافة قال وكان مما مدح به بنى أمية قوله

أينَ رَوْقَا عبد شمسٍ أينَهم ... أين أهلُ الباع منهم والحَسَبْ
لم تكنْ أيدٍ لهم عندكم ... ما فَعلتمْ آل عبدِ المطلب
أيها السائل عنهم أولوا ... جُثث تلمعُ من فوق الخشب
تجُذوا الأصلَ منهمْ سَفهاً ... ياالقَومِ للزمان المنقلب
فاحلبُوا ما شئتمُ فى صَحنكم ... فستسقَون صَرَى ذاك الحلب

وقيل إن حفصا الأموى دخل على المنصور فكلمه فاستخبره فقال له من أنت فقال مولاك يا أمير المؤمنين قال مولى لى مثلك لا أعرفه قال مولى خادمك عبد مناف يا أمير المؤمنين فاستحسن ذلك منه وعلم أنه مولى لبنى أمية فضمه إلى المهدى وقال له احتفظ به وبما رُثى به قول سلم الخاسر

عجباً للذى نَعَى الناعيانِ ... كيف فاهتْ بموته الشَّفتانِ
مَلِكٌ إن غَدَا على الدَّهرِ يومًا ... أصبحَ الدهرُ ساقطا للجرانِ
لَيْت كفًّا حثَتْ عليه ترابًا ... لم تَعُدْ فى يمينها ببَنانِ
حين دانَتْ له البلادُ على العَسْـ ... ـفِ وأغضَى من خوفه الثَّقلانِ
أينَ ربُّ الزَّوْراءِ قد قلَّدَتْهُ الـ ... ـملكَ عشرون حجَّةً واثنتان
إنما المرءُ كالزناد إذا ما ... أخَـذَتْهُ قوادح النيران
ليس يَثْنِى هواه زَجْرٌ ولا يَقْـ ... ـدَحُ فى حبله ذَوُوا الأذهانِ
قَلَّدَتْهُ أعِنَّةُ المُلكِ حتى ... قادَ أعداءَه بغيرِ عِنانِ
يكسِرُ الطَّرْفَ دونه وترى الأيْـ ... ـدِىَ من خوفِهِ على الأذقان
ضمَّ أطراف مُلكه ثم أضحى ... خَلفَ أقصاهُمُ ودون الدانى
هاشِمِىٌّ التَّشميرِ لا يَحْمِلُ الثِّقْـ ... ـلَ على غاربِ الشَّرُودِ الهِدان
ذو أناةٍ ينسَى لها الخائفُ الخَوْ ... فَ وعزمٍ يُلوِى بكلِّ جَنانِ
ذَهبَتْ دونه النفوسُ حِذارًا ... غير أنَّ الأرواحَ فى الأبدان

ذكر أسماء ولده ونسائه

فمن ولده المهدى واسمه محمد وجعفر الأكبر وأمهما أروى بنت منصور أخت يزيد بن منصور الحميرى وكانت تكنى أم موسى وهلك جعفر هذا قبل المنصور وسليمان وعيسى ويعقوب وأمهم فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله وجعفر الأصغر أمه أم ولد كردية كان المنصور اشتراها فتسراها وكان يقال لابنها ابن الكردية وصالح المسكين أمه أم ولد رومية يقال لها قالى الفراشة والقاسم مات قبل المنصور وهو ابن عشرة سنين وأمه أم ولد تعرف بأم القاسم ولها بباب الشأم

بستان يعرف إلى اليوم ببستان أم القاسم والعالية أمها امرأة من بنى أمية زوجها المنصور من اسحاق بن سليمان بن علىّ بن عبد الله بن العباس * وذكر عن اسحاق ابن سليمان أنه قال قال لى أبى زوجتك يا بنى أشرف الناس العالية بنت أمير المؤمنين قال فقلت يا أباه من أكفؤنا قال أعداؤنا من بنى أمية

ذكر الخبر عن وصاياه

* ذكر عن الهيثم بن عدى أن المنصور أوصى المهدى فى هذه السنة لما شخص متوجها إلى مكة فى شوال وقد نزل قصر عبدويه وأقام بهذا القصر أياما والمهدى معه يوصيه وكان انقض فى مقامه بقصر عبدويه كوكب لثلاث بقين من شوال بعد إضاءة الفجر وبقى أثره بينا إلى طلوع الشمس فأوصاه بالمال والسلطان يفعل ذلك كل يوم من أيام مقامه بالغداة والعشى لا يفترعن ذلك ولا يفترقان الا تحريكا فلما كان اليوم الذى أراد أن يرتحل فيه دعا المهدى فقال له إنى لم أدع شيئا الا قد تقدمت اليك فيه وسأوصيك بخصال والله ما أظنك تفعل واحدة منها وكان له سفط فيه دفاتر علمه وعليه قفل لا يأمن على فتحه ومفتاحه أحدا يصر مفتاحه فى كم قميصه قال وكان حماد التركى يقدم اليه ذلك السفط إذا دعا به فاذا غاب حماد أو خرج كان الذى يليه سلمة الخادم فقال للمهدى انظر هذا السفط فاحتفظ به فان فيه علم آبائك ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة فان أحزنك أمر فانظر فى الدفتر الأكبر فان أصبت فيه ما تريد والا فالثانى والثالث حتى بلغ سبعة فان ثقل عليك فالكراسة الصغيرة فإنك واجد فيها ما تريد وما أظنك تفعل وانظر هذه المدينة فاياك أن تستبدل بها فانها بيتك وعزك قد جمعت لك فيها من الأموال ما إن كسر عليك الخراج عشر سنين كان عندك كفاية لأرزاق الجند والنفقات وعطاء الذرية ومصلحة الثغور فاحتفظ بها فانك لا تزال عزيزا مادام بيت مالك عامرا وما أظنك تفعل وأوصيك بأهل بيتك أن تظهر كرامتهم وتقدمهم وتكثر الإحسان اليهم وتعظم أمرهم وتوطئ الناس أعقابهم وتوليهم المنابر فان عزك عزهم وذكرهم لك وما أظنك تفعل وانظر مواليك فأحسن اليهم وقربهم واستكثر

منهم فانهم مادتك لشدة إن نزلت بك وما أظنك تفعل وأوصيك بأهل خراسان خيراً فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم فى دولتك ودماءهم دونك ومن لاتخرج محبتك من قلوبهم أن تحسن اليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم على ما كان منهم وتخلف مَن مات منهم فى أهله وولده وما أظنك تفعل وإياك أن تبنى مدينة الشرقية فإنك لاتتم بناءها وما أظنك تفعل وإياك أن تستعين برجل من بنى سليم وأظنك ستفعل وإياك أن تدخل النساء فى شورتك فى أمرك وأظنك ستفعل وقال غير الهيثم أن المنصور دعا المهدىّ عند مسيره إلى مكة فقال ياأبا عبدالله إنى سائر وانى غير راجع فإنا لله وإنا اليه راجعون فاسئل الله بركة ماأقدم عليه هذا كتاب وصيتى مختوما فإذا بلغك أنى قدمتُّ وصار الأمر اليك فانظر فيه وعلىّ دينٌ فأحب أن تقضيه وتضمنه قال هو علىّ ياأمير المؤمنين قال فانه ثلثمائة ألف درهم ونيف ولست استحلها من بيت مال المسلمين فاضمنها عنى وما يفضى اليك من الأمر أعظم منها قال أفعل هو علىّ قال وهذا القصر ليس هولك هولى وقصرى بنيته بمالى فأحب أن تصير نصيبَك منه لاخوتك الأصاغر قال نعم قال ورقيق الخاصة هم لك فاجعلهم لهم فانك تصير إلى مايغنيك عنهم وبهم إلى ذلك أعظم الحاجة قال أفعل قال أما الضياع فلست أكلفك فيها هذا ولو فعلتَ كان أحب إلىّ قال أفعل قال سلم اليهم ماسألتك من هذا وأنت معهم فى الضياع قال والمتاع والثياب سلمه لهم قال أفعل قال أحسن الله عليك الخلافة ولك الصنع اتق الله فيما خولك وفيما خلفتك عليه ومضى إلى الكوفة فنزل الرصافة ثم خرج منها مهلًّا بالعمرة والحج قد ساق هديه من البدن وأشعر وقلد وذلك لأيام خلت من ذى القعدة ❊ وذكر أبو يعقوب بن سليمان قال حدثتنى جَمرة العطارة عطارة أبى جعفر قالت لما عزم المنصور على الحج دعا ريطة بنت أبى العباس امرأة المهدى وكان المهدى بالرىّ قبل شخوص أبى جعفر فأوصاها بما أراد وعهد اليها ودفع اليها مفاتيح الخزائن وتقدم اليها وأحلفها ووكد الأيمان أن لاتفتح بعض تلك الخزائن ولا تطلع عليها احداً الا المهدىّ ولا هى الا أن يصح عندها

موته فاذا صح ذلك اجتمعت هى والمهدى وليس معهما ثالث حتى يفتحا الخزانة فلما قدم المهدى من الرى إلى مدينة السلام دفعت اليه المفاتيح وأخبرته عن المنصور أنه تقدم اليها فيه ألا يفتحه ولا يطلع عليه أحدا حتى يصح عندها موته فلما انتهى إلى المهدى موت المنصور وولى الخلافة فتح الباب ومعه ريطة فاذا أزج كبير فيه جماعة من قتلاء الطالبيين وفى آذانهم رقاع فيها أنسابهم وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدة كثيرة فلما رأى ذلك المهدى ارتاع لما رأى وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها وعمل عليهم دكان وذكر عن إسحاق ابن عيسى بن على عن أبيه قال سمعت المنصور وهو متوجه إلى مكة سنة ١٥٨ وهو يقول للمهدى عند وداعه إياه يا أبا عبد الله انى ولدت فى ذى الحجة ووليت فى ذى الحجة وقد هجس فى نفسى أنى أموت فى ذى الحجة من هذه السنة وانما حدانى على الحج ذلك فاتق الله فيما أعهد اليك من أمور المسلمين بعدى يجعل لك فيما كربك وحزنك مخرجا أو قال فرجا ومخرجا ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب احفظ يا بنى محمداً صلى الله عليه وسلم فى أمته يحفظ الله عليك أمورك وإياك والدم الحرام فانه حوب عند الله عظيم وعار فى الدنيا لازم مقيم والزم الحلال فان فيه ثوابك فى الآجل وصلاحك فى العاجل وأقم الحدود ولا تعتد فيها فتبور فان الله لو علم أن شيئا أصلح لدينه وأزجر عن معاصيه من الحدود لأمر به فى كتابه واعلم أن من شدة غضب الله لسلطانه أمر فى كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى فى الأرض فسادا مع ماذخر له عنده من العذاب العظيم فقال إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً الآية فالسلطان يا بنى حبل الله المتين وعروته الوثقى ودين الله القيم فاحفظه وحطه وحصنه وذب عنه وأوقع بالملحدين فيه واقمع المارقين منه واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم والمثلات بهم ولا تجاوز ما أمر الله به فى محكم القرآن واحكم بالعدل ولا تشطط فان ذلك أقطع للشغب وأحسم للعدو وأنجع فى الدواء وعف عن الفىء فليس بك اليه حاجة مع ما أخلفه لك وافتتح عملك

بصلة الرحم وبر القرابة وإياك والأثر والتبذير لأموال الرعية واشحن الثغور واضبط الأطراف وأمِّن السبل وخص الواسطة ووسع المعاش وسكن العامة وأدخل المرافق عليهم واصرف المكاره عنهم وأعد الأموال واخزنها وإياك والتبذير فإن النوائب غير مأمونة والحوادث غير مضمونة وهى من شيم الزمان وأعد الرجال والكراع والجند ما استطعت وإياك وتأخير عمل اليوم إلى غد فتتدارك عليك الأمور وتضيع جد فى إحكام الأمور النازلات لأوقاتها أولا فأولا واجتهد وشمر فيها وأعدد رجالا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ورجالا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل وباشر الأمور بنفسك ولا تضجر ولا تكسل ولا تفشل واستعمل حسن الظن بربك وأسىء الظن بعمالك وكتابك وخذ نفسك بالتيقظ وتفقد من يبيت على بابك وسهل إذنك للناس وانظر فى أمر النزاع إليك ووكل بهم عينا غير نائمة ونفسا غير لاهية ولا تنم فان أباك لم ينم منذ ولى الخلافة ولا دخل عينه غمض إلا وقلبه مستيقظ هذه وصيتى اليك والله خليفتى عليك قال ثم ودعه وبكى كل واحد منهما إلى صاحبه * وذكر عمر بن شبة عن سعيد بن هريم قال لما حج المنصور فى السنة التى توفى فيها شيعه المهدى فقال يا بنى إنى قد جمعت لك من الأموال مالم يجمعه خليفة قبلى وجمعت لك من الموالى مالم يجمعه خليفة قبلى وبنيت لك مدينة لم يكن فى الإسلام مثلها ولست أخاف عليك إلا أحد رجلين عيسى بن موسى وعيسى بن زيد فأما عيسى بن موسى فقد أعطانى من العهود والمواثيق ما قبلته ووالله لو لم يكن إلا أن يقول قولا لما خفته عليك فأخرجه من قلبك وأما عيسى بن زيد فأنفق هذه الأموال واقتل هؤلاء الموالى واهدم هذه المدينة حتى تظفر به ثم لا ألومك * وذكر عيسى بن محمد أن موسى بن هارون حدثه قال لما دخل المنصور آخر منزل نزله من طريق مكة نظر فى صدر البيت الذى نزل فيه فاذا فيه مكتوب (بسم الله الرحمن الرحيم)

أبا جعفرٍ حانَتْ وَفاتُكَ وانقضت ... سِنوك وأَمرُ الله لا بد واقعُ
أبا جعفر هل كاهنٌ أو مُنجّمٌ ... لك اليومَ من حَرِّ المَنِيَّةِ مانعُ

قال فدعا بالمتولى لاصلاح المنازل فقال له ألم آمرك ألا يدخل المنزل أحد من الدعار قال يا أمير المؤمنين والله ما دخلها أحد منذ فرغ منها فقال اقرأ ما فى صدر البيت مكتوبا قال ما أرى شيئا يا أمير المؤمنين قال فدعا برئيس الحجبة فقال اقرأ ما على صدر البيت مكتوبا قال ما أرى على صدر البيت شيئا فأملى البيتين فكتبا عنه فالتفت إلى حاجبه فقال اقرأ لى آية من كتاب الله جل وعز تشوقنى إلى الله عز وجل فتلا (بسم الله الرحمن الرحيم) وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فأمر بفكيه فوجئا وقال ماوجدت شيئا تقرأه غير هذه الآية فقال ياأمير المؤمنين محى القرآن من قلبي غير هذه الآية فأمر بالرحيل عن ذلك المنزل تطيراً مما كان وركب فرسا فلما كان فى الوادى الذى يقال له سقر وكان آخر منزل بطريق مكة كبابه الفرس فدق ظهره ومات فدفن ببئر ميمون وذكر عن محمد بن عبدالله مولى بنى هاشم قال أخبرنى رجل من العلماء وأهل الأدب قال هتف بأبى جعفر هاتف من قصره بالمدينة فسمعه يقول:

أما وربِّ السُّكونِ والحَرَكِ إنَّ المنايا كثيرةُ الشرك
عليك يا نفسُ إن أسأتِ وإن أحسنتِ بالقصدِ كل ذاك لكِ
ما اختلفَ الليلُ والنهارُ ولا دارَت نُجومُ السماءِ فى الفلكِ
إلا بنقلِ السلطانِ عن مَلكٍ إذا انقضى مُلكهُ إلى مَلِكِ
حتى يُصيرانه إلى مَلِكٍ ما عز سُلطانه بِمُشترَكِ
ذاك بديعُ السماءِ والأرض والمر سِى الجبالِ المُسخِّرِ الفلكِ

فقال أبو جعفر هذا والله أوان أجلى * وذكر عبد الله بن عبيد الله أن عبد العزيز بن مسلم حدثه أنه قال دخلت على المنصور يوما أسلم عليه فإذا هو باهت لايحير جوابا فوثبت لما أرى منه أريد الانصراف عنه فقال لى بعد ساعة إنى رأيت فيما يرى النائم كأن رجلا ينشدنى هذه الأبيات:

أأخىَّ أخفض مِن مناكا فكأنَّ يومَكَ قد أتاكا
ولقد أراك الدهرُ من تصرِيفه ما قد أراكا

فإذا أَرَدْتَ النّاقِصَ الـ عبدَ الذَّلِيلَ فأنتِ ذاكا
مُلِكْتَ ما مُلِكْتَهُ والأمرُ فيه إلى سواكا *

فهذا الذى ترى من قلقى وغمى لما سمعت ورأيت فقلت خير آرأيت يا أمير المؤمنين فلم يلبث إلى أن خرج إلى الحج فمات لوجهه ذاك ﴿وفى هذه السنة﴾ بويع للمهدى بالخلافة وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس بمكة صبيحة الليلة التى توفى فيها أبو جعفر المنصور وذلك يوم السبت لست ليال خلون من ذى الحجة سنة ١٥٨ كذلك قال هشام بن محمد ومحمد بن عمر وغيرهما ﴿وقال الواقدى﴾ وبويع له ببغداد يوم الخميس لإحدى عشرة بقيت من ذى الحجة من هذه السنة وأم المهدى أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن يزيد بن شمر الحميرى

خلافة المهـــدى

محمد بن عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس

ذكر الخبر عن صفة العقد الذى عقد للمهدى بالخلافة حين مات والده المنصور بمكة

ذكر علىّ بن محمد النوفلى أن أباه حدثه قال خرجت فى السنة التى مات فيها أبو جعفر من طريق البصرة وكان أبو جعفر خرج على طريق الكوفة فلقيته بذات عرق ثم سرت معه فكان كلما ركب عرضت له فسلمت عليه وقد كان ادنف وأشفى على الموت فلما صار ببئر ميمون نزل به ودخلنا مكة فقضيت عمرتى ثم كنت أختلف إلى أبى جعفر إلى مضر به فأقيم فيه إلى قريب من الزوال ثم أنصرف وكذلك كان يفعل الهاشميون وأقبلت علته تشتد وتزداد فلما كان فى الليلة التى مات فيها ولم نعلم فصليت الصبح فى المسجد الحرام مع طلوع الفجر ثم ركبتُ فى ثوبىّ متقلدا السيف عليهما وأنا أساير محمد بن عون بن عبد الله بن الحارث وكان من سادة بنى هاشم ومشايخهم وكان فى ذلك اليوم عليه ثوبان مورّدان قد أحرم فيهما متقلدا السيف عليهما قال وكان مشايخ بنى هاشم يحبون أن يحرموا فى المورد لحديث عمر بن الخطاب وعبد الله بن جعفر وقول علىّ بن أبى طالب فيه فلما

صرنا بالأبطح لقينا العباس بن محمد ومحمد بن سليمان فى خيل ورجال يدخلان مكة فعدلنا اليهما فسلمنا عليهما ثم مضينا فقال لى محمد بن عون ماترى حال هذين ودخولهما مكة قلت أحسب الرجل قد مات فأرادا أن يحصنا مكة فكان ذلك كذلك فبينا نحن نسير إذا رجل خفى الشخص فى طمرين ونحن بعد فى غلس قد جاء فدخل بين أعناق دابتينا ثم أقبل علينا فقال مات والله الرجل ثم خفى عنا فمضينا نحن حتى أتينا العسكر فدخلنا السرادق الذى كنا نجلس فيه فى كل يوم فاذا بموسى بن المهدى قد صدّر عند عمود السرادق وإذا القاسم بن منصور فى ناحية السرادق وقد كان حين لقينا المنصور بذات عرق إذا ركب المنصور بعيره جاء القاسم فسار بين يديه بينه وبين صاحب الشرطة ويؤمر الناس أن يرفعوا القصص اليه قال فلما رأيته فى ناحية السرادق ورأيت موسى مصدرا علمت أن المنصور قد مات قال فبينا أنا جالس إذ أقبل الحسن بن زيد فجلس إلى جنبى فصارت فخذه على فخذى وجاء الناس حتى ملؤا السرادق وفيهم ابن عياش المنتوف فبينا نحن كذلك إذ سمعنا همسا من بكاء فقال لى الحسن أترى الرجل مات قلت لا أحسب ذلك ولكن لعله ثقيل أو أصابته غشية فما راعنا إلا بأبى العنبر الخادم الأسود خادم المنصور قد خرج علينا مشقوق الأقبية من بين يديه ومن خلفه وعلى رأسه التراب فصاح وا أمير المؤمنيناه فما بقى فى السرادق أحدٌ إلا قام على رجليه ثم أهووا نحو مضارب أبى جعفر يريدون الدخول فمنعهم الخدم ودفعوا فى صدورهم وقال ابن عياش المنتوف سبحان الله أما شهدتم موت خليفة قط اجلسوا رحمكم الله فجلس الناس وقام القاسم فشق ثيابه ووضع التراب على رأسه وموسى جالس على حاله وكان صبيا رطبا ما يتحلحل ثم خرج الربيع وفى يده قرطاس فألقى أسفله على الأرض وتناول طرفه ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله المنصور أمير المؤمنين إلى من خلف بعده من بنى هاشم وشيعته من أهل خراسان وعامة المسلمين ثم ألقى القرطاس من يده وبكى وبكى الناس فأخذ القرطاس وقال قد أمكنكم البكاء ولكن هذا عهد عهده أمير المؤمنين لا بد من أن نقرأه عليكم فأنصتوا

رحمكم الله فسكت الناس ثم رجع إلى القراءة أما بعد فإنى كتبت كتابى هذا وأنا حى فى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة وأنا أقرأ عليكم السلام وأسأل الله أن لا يفتنكم بعدى ولا يلبسكم شيعا ولا يُذيق بعضكم بأس بعض يا بنى هاشم ويا أهل خراسان ثم أخذ فى وصيتهم بالمهدى وأذكارهم البيعة له وحضهم على القيام بدولته والوفاء بعهده إلى آخر الكتاب * قال النوفلى قال أبى وكان هذا شيئاً وضعه الربيع ثم نظر فى وجوه الناس فدنا من الهاشميين فتناول يد الحسن بن زيد فقال قم يا أبا محمد فبايع فقام معه الحسن فانتهى به الربيع إلى موسى فأجلسه بين يديه فتناول الحسن يد موسى ثم التفت إلى الناس فقال يا أيها الناس إن أمير المؤمنين المنصور كان ضربنى واصطفى مالى فكلمه المهدى فرضى عنى وكلمه فى رد مالى علىّ فأبى ذلك فأخلفه المهدى من ماله وأضعفه مكان كل علق علقين فمن أولى بأن يبايع لأمير المؤمنين بصدر منشرح ونفس طيبة وقلب ناصح منى ثم بايع موسى للمهدى ثم مسح على يده ثم جاء الربيع إلى محمد بن عون فقدمه للسن فبايع ثم جاء الربيع إلىّ فأنهضنى فكنت الثالث وبايع الناس فلما فرغ دخل المضارب فمكث هنيهة ثم خرج الينا معشر الهاشميين فقال انهضوا فنهضنا معه جميعاً وكنا جماعة كثيرة من أهل العراق وأهل مكة والمدينة ممن حضر الحج فدخلنا فاذا نحن بالمنصور على سريره فى أكفانه مكشوف الوجه فحملناه حتى اتينا به مكة ثلاثة أميال فكأنى أنظر اليه أدنو من قائمة سريره نحمله فتحرك الريح فتطير شعر صدغيه وذلك أنه كان قد وفر شعره للحلاق وقد نصل خضابه حتى أتينا به حفرته فدليناه فيها قال وسمعت أبى يقول كان أول شىء ارتفع به علىّ بن عيسى بن ماهان أنه لما كان الليلة التى مات فيها أبو جعفر أرادوا عيسى بن موسى على بيعة مجددة للمهدى وكان القائم بذلك الربيع فأبى عيسى بن موسى فأقبل القواد الذين حضروا يقربون ويتباعدون فنهض علىّ بن عيسى بن ماهان فاستل سيفه ثم جاء اليه فقال والله ليبايعنّ أو لأضربنّ عنقك فلما رأى ذلك عيسى بايع وبايع الناس بعده (وذكر) عيسى بن محمد أن موسى بن هارون حدثه أن

موسى بن المهدى والربيع مولى المنصور وجها منارة مولى المنصور بخبر وفاة المنصور وبالبيعة للمهدى وبعثا بعد بقضيب النبي صلى الله عليه وسلم وبردته التى يتوارثها الخلفاء مع الحسن الشروى وبعث أبو العباس الطوسى بخاتم الخلافة مع منارة ثم خرجوا من مكة وسار عبد الله بن المسيب بن زهير بالحربة بين يدى صالح بن المنصور على ماكان يسير بها بين يديه فى حياة المنصور فكسرها القاسم بن نصر بن مالك وهو يومئذ على شرطة موسى بن المهدى واندس على بن عيسى بن ماهان لما كان فى نفسه من أذى عيسى بن موسى وما صنع به للراوندية فأظهر الطعن والكلام فى مسيرهم وكان من رؤسائهم أبو خالد المروروذى حتى كاد الأمر يعظم ويتفاقم حتى لبس السلاح وتحرك فى ذلك محمد بن سليمان وقام فيه وغيره من أهل بيته إلا أن محمداً كان أحسنهم قياماً به حتى طفىء ذلك وسكن وكتب به إلى المهدى فكتب بعزل على بن عيسى عن حرس موسى بن المهدى وصير مكانه أبا حنيفة حرب بن قيس وهدأ أمر العسكر وتقدم العباس بن محمد ومحمد ابن سليمان إلى المهدى وسبق إليه العباس بن محمد وقدم منارة على المهدى يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجة فسلم عليه بالخلافة وعزاه وأوصل الكتب إليه وبايعه أهل مدينة السلام * وذكر الهيثم بن عدى عن الربيع أن المنصور رأى فى حجته التى مات فيها وهو بالعذَيب أو غيره من منازل طريق مكة رؤيا وكان الربيع عديله وفزع منها وقال ياربيع ما أحسبنى إلا ميتا فى وجهى هذا وأنك تؤكد البيعة لأبى عبد الله المهدى قال الربيع فقلت له بل يبقيك الله ياأمير المؤمنين ويبلغ أبو عبد الله محبتك فى حياتك إن شاء الله قال وثقل عند ذلك وهو يقول بادر بى إلى حرم ربى وأمنه هارباً من ذنوبى وإسرافى على نفسى فلم يزل كذلك حتى بلغ بئر ميمون فقلت له هذه بئر ميمون وقد دخلت الحرم فقال الحمد لله وقضى من يومه قال الربيع فأمرت بالخيم فضربت وبالفساطيط فهيئت وعمدت إلى أمير المؤمنين فألبسته الطويلة والدراعة وسندته وألقيت فى وجهه كلة رقيقة يرى منها شخصه ولا يفهم أمره وأدنيت أهله من الكلة حيث لا يعلم بخبره ويرى شخصه

ثم دخلت فوقفت بالموضع الذى أوهمهم أنه يخاطبنى ثم خرجت فقلت إن أمير المؤمنين مفيق بمن الله وهو يقرأ عليكم السلام ويقول إنى أحب أن يؤكد الله أمركم ويكبت عدوكم ويسر وليكم وقد أحببت أن تجددوا بيعة أبى عبد الله المهدى لئلا يطمع فيكم عدو ولا باغ فقال القوم كلهم وفق الله أمير المؤمنين نحن إلى ذاك أسرع قال فدخل فوقف ورجع إليهم فقال هلموا للبيعة فبايع القوم كلهم فلم يبق أحد من خاصته والأولياء ورؤساء من حضره إلا بايع المهدى ثم دخل وخرج باكيا مشقوق الجيب لاطما رأسه فقال بعض من حضر ويلى عليك يا ابن شاة يريد الربيع وكانت أمه ماتت وهى ترضعه فأرضعته شاة قال وحفر للمنصور مائة قبر ودفن فى كلها لئلا يعرف موضع قبره الذى هو ظاهر للناس ودفن فى غيرها للخوف عليه قال وهكذا قبور خلفاء ولد العباس لا يعرف لأحد منهم قبر قال فبلغ المهدى فلما قدم عليه الربيع قال يا عبد ألم تمنعك جلالة أمير المؤمنين إن فعلت ما فعلت به وقال قوم إنه ضربه ولم يصح ذلك قال وذكر من حضر حجة المنصور قال رأيت صالح بن المنصور وهو مع أبيه والناس معه وإن موسى بن المهدى لفى تباعه ثم رجع الناس وهم خلف موسى وأن صالحاً معه وذكر عن الأصمعى أنه قال أول من نعى أبا جعفر المنصور بالبصرة خلف الأحمر وذلك أنا كنا فى حلقة يونس فمر بنا فسلم علينا فقال

* قد طَرَّقَت بِبِكرِها أم طَبَق *

قال يونس وماذا قال

تُنتِجوها خيرَ أضخمِ العُنق موتُ الإمامِ فلقةٌ مِن الفِلَق

(وحج) بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد بن على وكان المنصور فيما ذكر أوصى بذلك (وكان) العامل فى هذه السنة على مكة والطائف إبراهيم ابن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وعلى المدينة عبد الصمد بن على وعلى الكوفة عمرو بن زهير الضبى أخو المسيب بن زهير وقيل كان العامل عليها اسماعيل ابن أبى اسماعيل الثقفى وقيل إنه مولى لبنى نصر من قيس وعلى قضائها شريك

ابن عبد الله النخعى وعلى ديوان خراجها ثابت بن موسى وعلى خراسان حميد ابن قحطبة وعلى قضاء بغداد مع قضاء الكوفة شريك بن عبدالله وقيل كان القاضى على بغداد يوم مات المنصور عبيد الله محمد بن صفوان الجمحى وشريك بن عبد الله على قضاء الكوفة خاصة وقيل إن شريكا كان إليه قضاء الكوفة والصلاة بأهلها وكان على الشرط ببغداد يوم مات المنصور فيما ذكر عمر بن عبد الرحمن أخو عبد الجبار بن عبد الرحمن وقيل كان موسى بن كعب وعلى ديوان خراج البصرة وأرضها عمارة بن حمزة وعلى قضائها والصلاة عبيد الله بن الحسن العنبرى وعلى أحداثها سعيد بن دعلج (وأصاب) الناس فيما ذكر محمد بن عمر فى هذه السنة وباء شديد

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة العباس بن محمد الصائفة فيها حتى بلغ أنقرة وكان على مقدمة العباس الحسن الوصيف فى الموالى وكان المهدى ضم إليه جماعة من قواد أهل خراسان وغيرهم وخرج المهدى فعسكر بالبردان وأقام فيه حتى أنفذ العباس بن محمد ومن قطع عليه البعث معه ولم يجعل العباس على الحسن الوصيف ولاية فى عزل ولا غيره ففتح فى غزاته هذه مدينة للروم ومطمورة معها وانصرفوا سالمين لم يصب من المسلمين أحد (وهلك) فى هذه السنة حميد بن قحطبة وهو عامل المهدى على خراسان فولى المهدى مكانه أباعون عبد الملك بن يزيد (وفيها) ولى حمزة بن مالك سجستان وولى جبرئيل بن يحيى سمرقند (وفيها) بنى المهدى مسجد الرصافة (وفيها) بنى حائطها وحفر خندقها (وفيها) عزل المهدى عبد الصمد بن على عن المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم عن موجدة واستعمل عليها مكانه محمد بن عبد الله الكثيرى ثم عزله واستعمل عليها مكانه عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان الجمحى (وفيها) وجه المهدى عبد الملك بن شهاب المسمعى فى البحر إلى بلاد الهند

وفرض معه لألفين من أهل البصرة من جميع الأجناد وأشخصهم معه وأشخص معه من المطوعة الذين كانوا يلزمون المرابطات ألفاً وخمسمائة رجل ووجه معه قائداً من أبناء أهل الشأم يقال له ابن الحباب المذحجى فى سبعمائة من أهل الشأم وخرج معه من مطوعة أهل البصرة بأموالهم ألف رجل فيهم فيما ذكر الربيع بن صبيح ومن الأساوريين والسبابجة أربعة آلاف رجل فولى عبد الملك بن شهاب المنذر بن محمد الجارودى الألف الرجل المطوّعة من أهل البصرة وولى ابنه غسان بن عبد الملك الألفى الرجل الذين من فرض البصرة وولى ابنه عبد الواحد بن عبد الملك الألف والخمسمائة الرجل من مطوعة المرابطات وأفرد يزيد بن الحباب فى أصحابه فخرجوا وكان المهدى وجه لتجهيزهم حتى شخصوا أبا القاسم محرز بن إبراهيم فمضوا لوجههم حتى أتوا مدينة باربد من بلاد الهند فى سنة ١٦٠ ﴿وفيها﴾ توفى معبد بن الخليل بالسند وهو عامل المهدى عليها فاستعمل مكانه روح بن حاتم بمشورة أبى عبيد الله وزيره ﴿وفيها﴾ أمر المهدى باطلاق من كان فى سجن المنصور إلا من كان قبله تباعة من دم أو قتل ومن كان معروفا بالسعى فى الأرض بالفساد أو من كان لأحد قبله مظلمة أو حق فأطلقوا فكان ممن أطلق من المطبق يعقوب ابن داود مولى بنى سليم وكان معه فى ذلك الحبس محبوسا الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب ﴿وفيها﴾ حول المهدى الحسن ابن إبراهيم من المطبق الذى كان فيه محبوسا إلى نصير الوصيف فحبسه عنده

ذكر الخبر عن سبب تحويل المهدى الحسن بن إبراهيم من المطبق إلى نصير

ذكر أن السبب فى ذلك كان أن المهدى لما أمر باطلاق أهل السجون على ما ذكرت وكان يعقوب بن داود محبوسا مع الحسن بن إبراهيم فى موضع واحد فأطلق يعقوب بن داود ولم يطلق الحسن بن إبراهيم ساء ظنه وخاف على نفسه فالتمس مخرجا لنفسه وخلاصا فدس إلى بعض ثقاته فحفر له سربا من موضع مُسَامِت للموضع الذى هو فيه محبوس وكان يعقوب بن داود بعد أن أطلق يطيف بابن علاثة وهو قاضى المهدى بمدينة السلام ويلزمه حتى أنس به وبلغ يعقوب

ماعزم عليه الحسن بن إبراهيم من الهرب فأتى ابن علاثة فأخبره أن عنده نصيحة للمهدى وسأله إيصاله إلى أبى عبيد الله فسأله عن تلك النصيحة فأبى أن يخبره بها وحذره فوتها فانطلق ابن علاثة إلى أبى عبيد الله فأخبره خبر يعقوب وما جاء به فأمره بادخاله عليه فلما دخل عليه سأله إيصاله إلى المهدى ليعلمه النصيحة التى له عنده فأدخله عليه فلما دخل على المهدى شكر له بلاءه عنده فى اطلاقه اياه ومَنّه عليه ثم أخبره أن له عنده نصيحة فسأله عنها بمحضر من أبى عبيد الله وابن علاثة فاستخلاه منهما فأعلمه المهدى ثقته بهما فأبى أن يبوح له بشىء حتى يقوما فأقامهما وأخلاه فأخبره خبر الحسن بن ابراهيم وما أجمع عليه وأن ذلك كائن من ليلته المستقبلة فوجه المهدى من يثق به ليأتيه بخبره فأتاه بتحقيق ما أخبره به يعقوب فأمر بتحويله إلى نصير فلم يزل فى حبسه إلى أن احتال واحتيل له فخرج هاربا وافتقد فشاع خبره فطلب فلم يظفر به وتذكر المهدى دلالة يعقوب إياه كانت عليه فرجا عنده من الدلالة عليه مثل الذى كان منه فى أمره فسأل أبا عبيد الله عنه فأخبره أنه حاضر وقد كان لازم أبا عبيد الله فدعا به المهدى خاليا فذكر له ما كان من فعله فى الحسن بن إبراهيم أولا ونصحه له فيه وأخبره بما حدث من أمره فأخبره يعقوب أنه لا علم له بمكانه وأنه إن أعطاه أمانا يثق به ضمن له أن يأتيه به على أن يتم له على أمانه ويصله ويحسن إليه فأعطاه المهدى ذلك فى مجلسه وضمنه له فقال له يعقوب فاله يا أمير المؤمنين عن ذكره ودع طلبه فان ذلك يوحشه ودعنى وإياه حتى أحتال فآتيك به فأعطاه المهدى ذلك وقال يعقوب يا أمير المؤمنين قد بسطت عدلك لرعيتك وأنصفتهم وعممتهم بخيرك وفضلك فعظم رجاؤهم وانفسحت آمالهم وقد بقيت أشياء لو ذكرتها لك لم تدع النظر فيها بمثل ما فعلت فى غيرها وأشياء مع ذلك خلف بابك يعمل بها لا تعلمها فان جعلت لى السبيل الى الدخول عليك وأذنت لى فى رفعها إليك فعلت فأعطاه المهدى ذلك وجعله إليه وصير سليمان الخادم الأسود خادم المنصور سببه فى اعلام المهدى بمكانه كلما أراد الدخول فكان يعقوب يدخل على المهدى ليلا ويرفع اليه النصائح فى الأمور

الحسنة الجميلة من أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغزاة وتزويج العزاب وفكاك الأسارى والمحبّسين والقضاء على الغارمين والصدقة على المتعففين فخظى بذلك عنده وبما رجا أن ينال به من الظفر بالحسن بن ابراهيم واتخذه أخا فى الله وأخرج بذلك توقيعا وأثبت فى الدواوين فتسبب مائة ألف درهم كانت أول صلة وصله بها فلم تزل منزلته تنمى وتعلو صعداً الى أن صير الحسن بن ابراهيم فى يد المهدى بعد ذلك وإلى أن سقطت منزلته وأمر المهدى بحبسه فقال على بن الخليل فى ذلك

عجباً لتصريف الامو ... ر مَسَرَّةً وكَراهيَهْ
والدهرُ يلعبُ بالرِّجا ... لِ له دوائرُ جاريَه
رَثَتْ بيعقوب بن دا ... وود حِبالُ معاويه
وعَدَتْ على ابن علاثة الـ ... ـقاضى بَوائقُ عافيهْ
قل للوزير أبى عبيـ ... ـد الله هل لك باقيهْ
يعقوب ينظرُ فى الأمو ... ر وأنتَ تنظر ناحيهْ
أدخلته فعَلا عليـ ... ـك كذاك شؤمُ الناصيهْ

(وفى هذه السنة) عزل المهدى اسماعيل بن أبى اسماعيل عن الكوفة وأحداثها واختلف فى من ولى مكانه فقال بعضهم ولى مكانه اسحاق بن الصباح الكندى ثم الأشعثى بمشورة شريك بن عبد الله قاضى الكوفة وقال عمر بن شبة ولى على الكوفة المهدىّ عيسى بن لقمان بن محمد بن حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب ابن وهب بن حذافة بن جمح فولى على شرطه ابن أخيه عثمان بن سعيد بن لقمان ويقال إن شريك بن عبدالله كان على الصلاة والقضاء وعيسى على الأحداث ثم أفرد شريك بالولاية فجعل على شرطه اسحاق بن الصباح الكندى فقال بعض الشعراء

لَسْتَ تَعْدو بأنْ تَكونَ ولَوْ نِلْـ ... ـتَ سُهيْلاً صَنيعَةً لِشريك

قال ويزعمون أن اسحاق لم يشكر لشريك وأن شريكا قال له

صَلى وَصامَ لدُنيا كان يَأملها ... فَقدْ أصاب ولا صلى ولا صاما

(وذكر عمر) أن جعفر بن محمد قاضى الكوفة قال ضم المهدى إلى شريك الصلاة مع القضاء وولى شرطه اسحاق بن الصباح ثم ولى اسحق بن الصباح الصلاة والأحداث بعد ثم ولى اسحق بن الصباح بن عمران بن اسماعيل بن محمد بن الأشعث الكوفة فولى شرطه النعمان بن جعفر الكندى فمات النعمان فولى على شرطه أخاه يزيد بن جعفر (وفيها) عزل المهدى عن أحداث البصرة سعيد بن دَعلج وعزل عن الصلاة والقضاء من أهلها عبيد الله بن الحسن وولى مكانهما عبد الملك ابن أيوب بن ظبيان النميرى وكتب إلى عبد الملك يأمره بانصاف من تظلم من أهل البصرة من سعيد بن دعلج ثم صرفت الأحداث فى هذه السنة عن عبد الملك ابن أيوب إلى عمارة بن حمزة فولاها عمارة رجلا من أهل البصرة يقال له المسور ابن عبد الله بن مسلم الباهلى وأقر عبد الملك على الصلاة (وفيها) عزل قثم بن العباس عن اليمامة عن سخطة فوصل كتاب عزله إلى اليمامة وقد توفى فاستعمل مكانه بشر بن المنذر البجلى (وفيها) عزل يزيد بن منصور عن اليمن واستعمل مكانه رجاء بن روح (وفيها) عزل الهيثم بن سعيد عن الجزيرة واستعمل عليها الفضل بن صالح (وفيها) أعتق المهدى أم ولده الخيزران وتزوجها (وفيها) تزوج المهدى أيضاً أم عبد الله بنت صالح بن علىّ أخت الفضل وعبد الله ابنى صالح لأمهما (وفيها) وقع الحريق فى ذى الحجة فى السفن ببغداد عند قصر عيسى بن علىّ فاحترق ناس كثير واحترقت السفن بما فيها (وفيها) عزل مطر مولى المنصور عن مصر واستعمل مكانه أبو ضمرة محمد بن سليمان (وفيها) كانت حركة من تحرك من بنى هاشم وشيعتهم من أهل خراسان فى خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد وتصيير ذلك لموسى بن المهدي فلما تبين ذلك المهدى كتب فيما ذكر إلى عيسى بن موسى فى القدوم عليه وهو بالكوفة فأحس عيسى بالذى يراد به فامتنع من القدوم عليه (وقال عمر) لما أفضى الأمر الى المهدى سأل عيسى أن يخرج من الأمر فامتنع عليه فأراد الاضرار به فولى على الكوفة روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب فولى على شرطه خالد بن يزيد بن حاتم وكان المهدى يحب أن يحمل روح على عيسى

بعض الحمل فيما لا يكون عليه به حجة وكان لايجد إلى ذلك سبيلا وكان عيسى قد خرج إلى ضيعة له بالرحبة فكان لا يدخل الكوفة إلا فى شهرين من السنة فى شهر رمضان فيشهد الجمع والعيد ثم يرجع إلى ضيعته وفى أول ذى الحجة فإذا شهد العيد رجع إلى ضيعته وكان إذا شهد الجمعة أقبل من داره على دوابه حتى ينتهى إلى أبواب المسجد فينزل على عتبة الأبواب ثم يصلى فى موضعه فكتب روح إلى المهدى أن عيسى بن موسى لا يشهد الجمع ولا يدخل الكوفة إلا فى شهرين من السنة فإذا حضر أقبل على دوابه حتى يدخل رحبة المسجد وهو مصلى الناس ثم يتجاوزها إلى أبواب المسجد فتروث دوابه فى مصلى الناس وليس يفعل ذلك غيره فكتب اليه المهدى أن اتخذ على أفواه السكك التى تلى المسجد خشبا ينزل عنده الناس فاتخذ روح ذلك الخشب فى أفواه السكك فذلك الموضع يسمى الخشبة وبلغ ذلك عيسى ابن موسى قبل يوم الجمعة فأرسل إلى ورثة المختار بن أبى عبيد وكانت دار المختار لزيقة المسجد فابتاعها وأثمن بها ثم أنه عمرها واتخذ فيها حماما فكان إذا كان يوم الخميس أتاها فأقام بها فإذا أراد الجمعة ركب حماراً فدب به إلى باب المسجد فصلى فى ناحية ثم رجع إلى داره ثم أوطن الكوفة وأقام بها وألح المهدى على عيسى فقال إنك إن لم تجبنى إلى أن تنخلع منها حتى أبايع لموسى وهارون استحللت منك بمعصيتك ما يستحل من العاصى وإن أجبتنى عوضتك منها ماهو أجدى عليك وأعجل نفعا فأجابه فبايع لهما وأمر له بعشرة آلاف ألف درهم ويقال عشرين ألف ألف وقطائع كثيرة (وأما غير عمر) فإنه قال كتب المهدى إلى عيسى ابن موسى لماهم بخلعه يأمره بالقدوم عليه فأحس بما يراد به فامتنع من القدوم عليه حتى خيف انتقاضه فانفذ اليه المهدى عمه العباس بن محمد وكتب اليه كتابا وأوصاه بما أحب أن يبلغه فقدم العباس على عيسى بكتاب المهدى ورسالته اليه فانصرف إلى المهدى بجوابه فى ذلك فوجه اليه بعد قدوم العباس عليه محمد بن فروخ أباهريرة القائد فى ألف رجل من أصحابه من ذوى البصيرة فى التشيع وجعل مع كل رجل منهم طبلا وأمرهم أن يضربوا جميعا بطبولهم عند قدومهم الكوفة فدخلها ليلا فى

وجه الصبح فضرب أصحابه بطبولهم فراع ذلك عيسى بن موسى روعا شديدا ثم دخل عليه أبو هريرة فأمره بالشخوص فاعتل بالشكوى فلم يقبل ذلك منه وأشخصه من ساعته إلى مدينة السلام (وحج) بالناس فى هذه السنة يزيد بن منصور خال المهدى عند قدومه من اليمن حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحق ابن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال محمد بن عمر الواقدى وغيره وكان انصراف يزيد بن منصور من اليمن بكتاب المهدى اليه يأمره بالانصراف اليه وتوليته إياه الموسم وإعلامه اشتياقه اليه وإلى قربه وكان أمير المدينة فى هذه السنة عبيد الله بن صفوان الجمحى وعلى صلاة الكوفة وأحداثها اسحاق بن الصباح الكندى وعلى خراجها ثابت بن موسى وعلى قضائها شريك بن عبد الله وعلى صلاة البصرة عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النميرى وعلى أحداثها عمارة بن حمزة وخليفته على ذلك المسور بن عبد الله بن مسلم الباهلى وعلى قضائها عبيد الله بن الحسن وعلى كور دجلة وكور الأهواز وكور فارس عمارة بن حمزة وعلى السند بسطام بن عمرو وعلى اليمن رجاء بن روح وعلى اليمامة بشر بن المنذر وعلى خراسان أبو عون عبد الملك بن يزيد وعلى الجزيرة الفضل بن صالح وعلى افريقية يزيد بن حاتم وعلى مصر محمد بن سليمان أبو ضمرة

ثم دخلت سنة ستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

فمن ذلك ما كان من خروج يوسف بن ابراهيم وهو الذى يقال له يوسف البرم بخراسان منكرا هو ومن تبعه ممن كان على رأيه على المهدى فيما زعم الحال التى هو بها وسيرته التى يسير بها واجتمع معه فيما ذكر بشر من الناس كثير فتوجه اليه يزيد بن مزيد فلقيه واقتتلا حتى صارا إلى المعانقة فأسره يزيد وبعث به إلى المهدى وبعث معه من وجوه أصحابه بعدة فلما انتهى بهم إلى النهروان حمل يوسف البرم على بعير قد حوّل وجهه إلى ذنب البعير وأصحابه على بعير فأدخلوهم الرصافة

على تلك الحال فأدخلوه على المهدى فأمر هرثمة بن أعين فقطع يدى يوسف ورجليه وضرب عنقه وعنق أصحابه وصلبهم على جسر دجلة الأعلى مما يلى عسكر المهدى وانما أمر هرثمة بقتله لانه كان قتل أخا لهرثمة بخراسان ﴿ وفيها ﴾ قدم عيسى بن موسى مع أبى هريرة يوم الخميس لست خلون من المحرم فيما ذكر الفضل ابن سليمان فنزل دارا كانت لمحمد بن سليمان على شاطئ دجلة فى عسكر المهدى فأقام أياما يختلف إلى المهدى ويدخل مدخله الذى كان يدخله لا يكلم بشىء ولا يرى جفوة ولا مكروها ولا تقصيرا به حتى أنس به بعض الأنس ثم حضر الدار يوما قبل جلوس المهدى فدخل مجلسا كان يكون للربيع فى مقصورة صغيرة وعليها باب وقد اجتمع رؤساء الشيعة فى ذلك اليوم على خلعه والوثوب عليه ففعلوا ذلك وهو فى المقصورة التى فيها مجلس الربيع فأغلق دونهم المقصورة فضربوا الباب بجرزهم وعمدهم فهشموا الباب وكادوا يكسرونه وشتموه أقبح الشتم وحصروه هنالك وأظهر المهدى انكارا لما فعلوا فلم يرُعهم ذلك عن فعلهم بل شدوا فى أمره وكانوا بذلك هو وهم أياما إلى أن كاشفه ذوو الأسنان من أهل بيته بحضرة المهدى فأبوا الا خلعه وشتموه فى وجهه وكان أشدهم عليه محمد بن سليمان فلما رأى المهدى ذلك من رأيهم وكراهتهم لعيسى وولايته دعاهم إلى العهد لموسى فصار إلى رأيهم وموافقتهم وألحّ على عيسى فى إجابته وإياهم إلى الخروج مما له من العهد فى أعناق الناس وتحليلهم منه فأبى وذكر أن عليه أيمانا محرّجة فى ماله وأهله فأحضر له من الفقهاء والقضاة عدة منهم محمد بن عبد الله ابن عُلاثة والزنجى بن خالد المكى وغيرهما فأتوه بما رأوا وصار إلى المهدى ابتياع ماله من البيعة فى أعناق الناس بما يكون له فيه رضى وعِوض مما يخرج له من ماله لما يلزمه من الحنث فى يمينه وهو عشرة آلاف ألف درهم وضياع بالزاب الأعلى وكسكر فقبل ذلك عيسى وبقى منذ فاوضه المهدى على الخلع إلى أن أجاب محتسباً عنده فى دار الديوان من الرصافة إلى أن صار إلى الرضى بالخلع والتسليم وإلى أن خُلع يوم الأربعاء لأربع بقين من المحرم بعد صلاة العصر فبايع للمهدى ولموسى من

بعده من الغد يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم لارتفاع النهار ثم أذن المهدى لأهل بيته وهو فى قبة كان محمد بن سليمان أهداها له مضروبة فى صحن الأبواب ثم أخذ بيعتهم رجلا رجلا لنفسه ولموسى بن المهدى من بعده حتى أتى إلى آخرهم ثم خرج إلى مسجد الجماعة بالرصافة فقعد على المنبر وصعد موسى حتى كأنه دونه وقام عيسى على أول عتبة من المنبر فحمد الله المهدىّ وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر بما أجمع عليه أهل بيته وشيعته وقواده وأنصاره وغيرهم من أهل خراسان من خلع عيسى بن موسى وتصيير الأمر الذى كان عقد له فى أعناق الناس لموسى ابن أمير المؤمنين لاختيارهم له ورضاهم به وما رأى من اجابتهم إلى ذلك لما رجامن مصلحتهم وألفتهم وخاف مخالفتهم فى نياتهم واختلاف كلمتهم وأن عيسى قد خلع تقدّمه وحللهم مما كان له من البيعة فى أعناقهم وأن ما كان له من ذلك فقد صار لموسى ابن أمير المؤمنين بعقد من أمير المؤمنين وأهل بيته وشيعته فى ذلك وأن موسى عامل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بأحسن السيرة وأعدلها فبايعوا معشر مَن حضر وسارعوا إلى ما سارع اليه غيركم فإن الخير كله فى الجماعة والشر كله فى الفرقة وأنا أسأل الله لنا ولكم التوفيق برحمته والعمل بطاعته ومايرضيه وأستغفر الله لى ولكم وجلس موسى دونه معتزلا للمنبر لئلا يحول بينه وبين من صعد إليه يبايعه ويمسح على يده ولا يستر وجهه وثبت عيسى قائما فى مكانه وقُرِئَ عليه كتاب ذكر الخلع له وخروجه مما كان اليه من ولاية العهد وتحليله جماعة من كان له فى عنقه بيعة مما عقدوا له فى أعناقهم وأن ذلك من فعله وهو طائع غير مكره راض غير ساخط محب غير مجبر فأقرّ عيسى بذلك ثم صعد فبايع المهدى ومسح على يده ثم انصرف وبايع أهل بيت المهدىّ على أسنانهم يبايعون المهدى ثم موسى ويمسحون على أيديهما حتى فرغ آخرهم وفعل من حضر من أصحابه ووجوه القواد والشيعة مثل ذلك ثم نزل المهدى فصار إلى منزله ووكل ببيعة من بقى من الخاصة والعامة خاله يزيد بن منصور فتولى ذلك حتى فرغ من جميع الناس ووفى المهدىّ لعيسى بما أعطاه وأرضاه مما خلعه منه من ولاية العهد وكتب

عليه بخلعه إياه كتابا أشهد عليه فيه جماعة أهل بيته وصحابته وجميع شيعته وكتابه وجنده فى الدواوين ليكون حجة على عيسى وقطعا لقوله ودعواه فيما خرج منه وهذه نسخة الشرط الذى كتبه عيسى على نفسه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ هذا كتاب لعبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين ولولى عهد المسلمين موسى بن المهدى ولأهل بيته وجميع قواده وجنوده من أهل خراسان وعامة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وحيث كان كائن منهم كتبته للمهدى محمد أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين موسى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على فيما جعل إليه من العهد إذ كان إلى حتى اجتمعت كلمة المسلمين واتسق أمرهم وائتلفت أهواؤهم على الرضى بولاية موسى بن المهدى محمد أمير المؤمنين وعرفت الحظ فى ذلك على والخط فيه لى ودخلت فيما دخل فيه المسلمون من الرضى بموسى ابن أمير المؤمنين والبيعة له والخروج مما كان لى فى رقابهم من البيعة وجعلتكم فى حل من ذلك وسعة من غير حرج يدخل عليكم أو على أحد من جماعتكم وعامة المسلمين وليس فى شىء من ذلك قديم ولا حديث لى دعوى ولا طلبة ولا حجة ولا مقالة ولا طاعة على أحد منكم ولا على عامة المسلمين ولا بيعة فى حياة المهدى محمد أمير المؤمنين ولا بعده ولا بعد ولى عهد المسلمين موسى ولا ما كنت حيا حتى أموت وقد بايعت لمحمد المهدى أمير المؤمنين ولموسى ابن أمير المؤمنين من بعده وجعلت لهما ولعامة المسلمين من أهل خراسان وغيرهم الوفاء بما شرطت على نفسى فى هذا الأمر الذى خرجت منه والتمام عليه على بذلك عهد الله وما اعتقد أحد من خلقه من عهد أو ميثاق أو تغليظ أو تأكيد على السمع والطاعة والنصيحة للمهدى محمد أمير المؤمنين وولى عهده موسى ابن أمير المؤمنين فى السر والعلانية والقول والفعل والنية والشدة والرجاء والسراء والضراء والموالاة لهما ولمن والاهما والمعاداة لمن عاداهما كائنا من كان فى هذا الأمر الذى خرجت منه فإن أنا نكبت أو غيرت أو بدلت أو دغلت أو نويت غير ما أعطيت عليه هذه الايمان أو دعوت إلى خلاف شىء مما حملت على نفسى فى هذا الكتاب للمهدى محمد أمير المؤمنين ولولى عهده موسى ابن

أمير المؤمنين ولعامة المسلمين أو لم أف بذلك فكل زوجة عندي يوم كتبت هذا الكتاب أو أتزوجها إلى ثلاثين سنة طالق ثلاثا البتة طلاق الحرج وكل مملوك عندي اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة أحرارا لوجه الله وكل مال لى نقد أو عرض أو قرض أو أرض أو قليل أو كثير تالد أو طارف أو أستفيده فيما بعد اليوم إلى ثلاثين سنة صدقة على المساكين يضع ذلك الوالى حيث يرى وعلىَّ من مدينة السلام المشى حافيا إلى بيت الله العتيق الذى بمكة نذرا واجبا ثلاثين سنة لا كفارة لى ولا مخرج منه إلا الوفاء به والله على الوفاء بذلك راع كفيل شهيد وكفى بالله شهيدا وشهيد على عيسى بن موسى بإقراره بما فى هذا الشرط أربعمائة وثلاثون من بنى هاشم ومن الموالى والصحابة من قريش والوزراء والكتاب والقضاة وكتب فى صفر سنة ١٦٠ وختم عيسى بن موسى فقال بعض الشعراء

كَرِهَ الموت أبو موسى وقد ... كان فى الموت نجاءٌ وكَرَمْ
خَلَعَ الملكَ وأضحى مُلبَسًا ... ثوبَ لومٍ ما تُرى منه القَدم

(وفى سنة ١٦٠) وافى عبد الملك بن شهاب المسمعى مدينة باربد بمن توجه معه من المطوعة وغيرهم فناهضوها بعد قدومهم بيوم وأقاموا عليها يومين فنصبوا المنجنيق وناهضوها بجميع الآلة وتحاشد الناس وحض بعضهم بعضاً بالقرآن والتذكير ففتحها الله عليهم عنوة ودخلت خيلهم من كل ناحية حتى ألجؤوهم إلى بدّهم فأشعلوا فيها النيران والنفط فاحترق منهم من احترق وجاهد بعضهم المسلمين فقتلهم الله أجمعين واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلا وأفاءها الله عليهم وهاج البحر فلم يقدروا على ركوبه والانصراف فأقاموا إلى أن يطيب فأصابهم فى أفواههم داء يقال له حمام قرفمات نحو من ألف رجل منهم الربيع بن صبيح ثم انصرفوا لما أمكنهم الانصراف حتى بلغوا ساحلا من فارس يقال له بحر حمران فعصفت عليهم فيه الريح ليلا فكسرت عامة مراكبهم فغرق منهم بعض ونجا بعض وقدموا معهم بسبي من سبيهم فيهم بنت ملك باربد على محمد بن سليمان وهو يومئذ والى البصرة (وفيها) صير أبان بن صدقة كاتبا لهارون بن

المهدى ووزيرا له (وفيها) عزل أبو عون عن خراسان عن سخطة وولى مكانه معاذ بن مسلم (وفيها) غزا ثمامة بن الوليد العبسى الصائفة (وفيها) غزا الغمر ابن العباس الخثعمى بحر الشأم (وفيها) رد المهدى آل أبى بكرة من نسبهم فى ثقيف إلى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سبب ذلك أن رجلا من آل أبى بكرة رفع ظلامة إلى المهدى وتقرب إليه فيها بولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المهدى إن هذا نسب واعتزاء ماتقرون به إلا عند حاجة تعرض لكم وعند اضطراركم إلى التقرب به إلينا فقال الحكم يا أمير المؤمنين من جحد ذلك فإنا سنقر أنا أسألك أن تردنى ومعشر آل أبى بكرة إلى نسبنا من ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمر بآل زياد بن عبيد فيخرجوا من نسبهم الذى ألحقهم به معاوية رغبة عن قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الولد للفراش وللعاهر الحجر فيردوا إلى نسبهم من عبيد فى موالى ثقيف فأمر المهدى فى آل أبى بكرة وآل زياد أن يرد كل فريق منهم إلى نسبه وكتب إلى محمد بن سليمان كتابا وأمره أن يقرأ فى مسجد الجماعة على الناس وأن يرد آل أبى بكرة إلى ولائهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبهم إلى نفيع بن مسروح وأن يرد على من أقر منهم ما أمر برده عليهم من أموالهم بالبصرة مع نظرائهم ممن أمر برد ماله عليه وأن لا يرد على من أنكر منهم وأن يجعل الممتحن منهم والمستبرئ لما عندهم الحكم بن سمرقند فأنفذ محمد ما أتاه فى آل أبى بكرة إلا فى أناس منهم غيب عنهم وأما آل زياد فانه مما قوى رأى المهدى فيهم فيما ذكر على بن سليمان أن أباه حدثه قال حضرت المهدى وهو ينظر فى المظالم إذ قدم عليه رجل من آل زياد يقال له الصغدى بن سلم بن حرب فقال له من أنت قال ابن عمك قال أى ابن عمى أنت فانتسب إلى زياد فقال له المهدى يا ابن سمية الزانية متى كنت ابن عمى وغضب وأمر به فوجئ فى عنقه وأخرج ونهض الناس قال فلما خرجت لحقنى عيسى بن موسى أو موسى بن عيسى فقال أردت والله أن أبعث إليك أن أمير المؤمنين التفت الينا بعد خروجك فقال من عنده علم من آل زياد فوالله ما كان عند أحد منا من ذاك شىء فما عندك يا أبا

عبدالله فلمازلت أحدثه فى زياد وآل زياد حتى صرنا إلى منزله بباب المحول فقال أسألك بالله والرحم لما كتبت لى هذا كله حتى أروح به إلى أمير المؤمنين وأخبره عنك فانصرفت فكتبت وبعثت به اليه فراح إلى المهدى فأخبره فأمر المهدى بالكتاب إلى هارون الرشيد وكان والى البصرة من قبله يأمره أن يكتب إلى واليها يأمره أن يخرج آل زياد من قريش وديوانهم والعرب وأن يعرض ولد أبى بكرة على ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أقر منهم ترك ماله فى يده ومن انتمى إلى ثقيف اصطفى ماله فعرضهم فأقروا جميعا بالولاء الا ثلاثة نفر فاصطفيت أموالهم ثم ان آل زياد بعد ذاك رشوا الديوان حتى ردهم إلى ما كانوا عليه فقال خالد النجار فى ذلك : إن زياداً ونافعاً وأبا بكرةَ عندى من أعجبِ العجب ذا قرشىٌّ كما يقول وذا مولى وهذا بزعمه عربى

نسخة كتاب المهدى إلى والى البصرة فى رد آل زياد إلى نسبهم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أما بعد فان أحق ما حمل عليه ولاة المسلمين أنفسهم وخواصهم وعوامهم فى أمورهم وأحكامهم العمل بينهم بما فى كتاب الله واتباع لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصبر على ذلك والمواظبة عليه والرضى به فيما وافقهم وخالفهم للذى فيه من إقامة حدود الله ومعرفة حقوقه واتباع مرضاته واحراز جزائه وحسن ثوابه ولما فى مخالفة ذلك والصدود عنه وغلبة الهوى لغيره من الضلال والخسار فى الدنيا والآخرة وقد كان من رأى معاوية ابن أبى سفيان فى استلحاقه زياد بن عبيد عبد آل علاج من ثقيف وادعائه ما أباه بعد معاوية عامة المسلمين وكثير منهم فى زمانه لعلمهم بزياد وأبى زياد وأمه من أهل الرضى والفضل والفقه والورع والعلم ولم يدع معاوية إلى ذلك ورع ولا هدى ولا اتباع سنة هادية ولا قدوة من أئمة الحق ماضية الا الرغبة فى هلاك دينه وآخرته والتصميم على مخالفة الكتاب والسنة والعجب بزياد فى جلده ونفاذه وما رجا من معونته وموازرته إياه على باطل ما كان يركن اليه فى سيرته وآثاره وأعماله الخبيثة * وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر وقال من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة

والناس أجمعين لا تقبل الله منه لا صرفا ولا عدلا ولعمرى ماولد زياد فى حجر أبى سفيان ولا على فراشه ولا كان عبيد عبدا لأبى سفيان ولا سمية أمة له ولا كانا فى ملكه ولا صارا اليه لسبب من الأسباب ولقد قال معاوية فيما يعلمه أهل الحفظ للأحاديث عند كلام نصر بن الحجاج بن علاط السلمى ومن كان معه من موالى بنى المغيرة المخزوميين وإرادتهم استلحاقه واثبات دعوته وقد أعد لهم معاوية حجرا تحت بعض فرشه فألقاه اليهم فقالوا له نسوغ لك مافعلت فى زياد ولا تسوغ لنا مافعلنا فى صاحبنا فقال قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خير لكم من قضاء معاوية فخالف معاوية بقضائه فى زياد واستلحاقه إياه وما صنع فيه وأقدم عليه أمر الله جل وعز وقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع فى ذلك هواه رغبة عن الحق ومجانبة له وقد قال الله عز وجل (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) وقال لداود صلى الله عليه وسلم وقد آتاه الحكم والنبوة والمال والخلافة (يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) الآية إلى آخرها فأمير المؤمنين يسأل الله أن يعصم له نفسه ودينه وأن يعيذه من غلبة الهوى ويوفقه فى جميع الأمور لما يحب ويرضى إنه سميع قريب وقد رأى أمير المؤمنين أن يرد زيادا ومن كان من ولده إلى أمهم ونسبهم المعروف ويلحقهم بأبيهم عبيد وأمهم سمية ويتبع فى ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أجمع عليه الصالحون وأئمة الهدى ولا يجيز لمعاوية ما أقدم عليه مما يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكان أمير المؤمنين أحق من أخذ بذلك وعمل به لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه آثاره وإحيائه سنته وإبطاله سنن غيره الزائغة الجائرة عن الحق والهدى وقد قال الله جل وعز (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) فاعلم أن ذلك من رأى أمير المؤمنين فى زياد وما كان من ولد زياد فألحقهم بأبيهم زياد بن عبيد وأمهم سمية واحملهم عليه وأظهره لمن قبلك من المسلمين حتى يعرفوه ويستقيم فيهم فان أمير المؤمنين قد كتب إلى قاضى البصرة وصاحب ديوانهم بذلك والسلام عليك ورحمة

الله وبركاته وكتب معاوية بن عبيد الله فى سنة ١٥٩ فلما وصل الكتاب إلى محمد ابن سليمان وقع بإنفاذه ثم كلم فيهم فكف عنهم وقد كان كتب إلى عبد الملك ابن أيوب بن ظبيان النميرى بمثل ما كتب به إلى محمد فلم ينفذه لموضعه من قيس وكراهته أن يخرج أحد من قومه إلى غيرهم (وفيها) كانت وفاة عبيد الله بن صفوان الجمحى وهو وال على المدينة فولى مكانه محمد بن عبد الله الكثيرى فلم يلبث الا يسيرا حتى عزل وولى مكانه زفر بن عاصم الهلالى وولى المهدى قضاء المدينة فيها عبد الله بن محمد بن عمران الطلحى (وفيها) خرج عبد السلام الخارجى فقتل (وفيها) عزل بسطام بن عمرو عن السند واستعمل عليها روح بن حاتم (وحج بالناس) فى هذه السنة المهدى واستخلف على مدينته حين شخص عنها ابنه موسى وخلف معه يزيد بن منصور خال المهدى وزيرا له ومدبراً لأمره وشخص مع المهدى فى هذه السنة ابنه هارون وجماعة من أهل بيته وكان ممن شخص معه يعقوب ابن داود على منزلته التى كانت له عنده فأتاه حين وافى مكة الحسن بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن الذى استأمن له يعقوب من المهدى على أمانه فأحسن المهدى صلته وجائزته وأقطعه مالا من الصوافى بالحجاز (وفيها) نزع المهدى كسوة الكعبة التى كانت عليها وكساها كسوة جديدة وذلك أن حجبة الكعبة فيما ذكر رفعوا اليه أنهم يخافون على الكعبة أن تهدم لكثرة ماعليها من الكسوة فأمر أن يكشف عنها ماعليها من الكسوة حتى بقيت مجردة ثم طلى البيت كله بالخلوق وذكر أنهم لما بلغوا الى كسوة هشام ووجدوها ديباجا تخينا جيداً ووجدوا كسوة من كان قبله عامتها من متاع اليمن * وقسم المهدى فى هذه السنة بمكة فى أهلها فيما ذكر مالا عظيما وفى أهل المدينة كذلك فذكر أنه نظر فيما قسم فى تلك السفرة فوجد ثلاثين ألف ألف درهم حملت معه ووصلت اليه من مصر ثلثمائة ألف دينار ومن اليمن مائتا ألف دينار قسم ذلك كله وفرق من الثياب مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب ووسع فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بنزع المقصورة التى فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فنزعت وأراد أن

ينقص منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعيده إلى ما كان عليه ويلقى منه ما كان معاوية زاد فيه فذكر عن مالك بن أنس أنه شاور فى ذلك فقيل له إن المسامير قد سلكت فى الخشب الذى أحدثه معاوية وفى الخشب الأول وهو عتيق فلا نأمن إن خرجت المسامير التى فيه وزعزعت أن يتكسر فتركه المهدىّ وأمر أيام مقامه بالمدينة بإثبات خمسمائة رجل من الأنصار ليكونوا معه حرسا له بالعراق وأنصاراً وأجرى عليهم أرزاقا سوى أعطياتهم وأقطعهم عند قدومهم معه ببغداد قطيعة تعرف بهم وتزوج فى مقامه بها برقية بنت عمرو العثمانية (وفى هذه السنة) حمل محمد بن سليمان الثلج للمهدى حتى وافى به مكة فكان المهدىّ أول من حُمل له الثلج إلى مكة من الخلفاء (وفيها) رد المهدىّ على أهل بيته وغيرهم قطائعهم التى كانت مقبوضة عنهم * وكان على صلاة الكوفة وأحداثها فى هذه السنة اسحق بن الصباح الكندى وعلى قضائها شريك وعلى البصرة وأحداثها وأعمالها المفردة وكور دجلة والبحرين وعمان وكور الأهواز وفارس محمد بن سليمان وكان على قضاء البصرة فيها عبيد الله بن الحسن وعلى خراسان معاذ بن مسلم وعلى الجزيرة الفضل ابن صالح وعلى السند روح بن حاتم وعلى افريقية يزيد بن حاتم وعلى مصر محمد ابن سليمان أبو ضمرة

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان من ذلك خروج حكيم المقنع بخراسان من قرية من قرى مرو وكان فيما ذكر يقول بتناسخ الأرواح يعود ذلك إلى نفسه فاستغوى بشراً كثيرا وقوى وصار إلى ماوراء النهر فوجه المهدىّ لقتاله عدة من قواده فيهم معاذ بن مسلم وهو يومئذ على خراسان ومعه عقبة بن مسلم وجبرئيل بن يحيى وليث مولى المهدى ثم أفرد المهدى لمحاربته سعيدا الحرشىّ وضمّ اليه القواد وابتدأ المقنع بجمع الطعام عدة للحصار فى قلعة بكش (وفيها) ظفر نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعىّ بعبد الله

ابن مروان بالشأم فقدم به على المهدىّ قبل أن يوليه السند فحبسه المهدى فى المطبق فذكر أبو الخطاب أن المهدىّ أُتى بعبد الله بن مروان بن محمد وكان يكنى أبا الحكم فجلس المهدىّ مجلسا عاما فى الرصافة فقال مَنْ يعرف هذا فقام عبد العزيز بن مسلم العقيلى فصار معه قائما ثم قال له أبو الحكم قال نعم ابن أمير المؤمنين قال كيف كنت بعدى ثم التفت إلى المهدىّ فقال نعم يا أمير المؤمنين هذا عبد الله بن مروان فعجب الناس من جرأته ولم يعرض له المهدى بشىء قال ولما حبس المهدى عبد الله ابن مروان احتيل عليه فجاء عمرو بن سهلة الأشعرى فادعى أن عبد الله بن مروان قتل أباه فقدمه إلى عافية القاضى فتوجه عليه الحكم أن يقاد به وأقام عليه البينة فلما كان الحكم يبرم جاء عبد العزيز بن مسلم العقيلى إلى عافية القاضى يتخطى رقاب الناس حتى صار اليه فقال يزعم عمرو بن سهلة أن عبد الله بن مروان قتل أباه كذب والله ماقتل أباه غيرى أنا قتلته بأمر مروان وعبد الله بن مروان من دمه برئ فزالت عن عبد الله بن مروان ولم يعرض المهدىّ لعبد العزيز بن مسلم لأنه قتله بأمر مروان (وفيها) غزا الصائفة ثمامة بن الوليد فنزل دابق وجاشت الروم وهو مغتر فأتت طلائعه وعيونه بذلك فلم يحفل بما جاؤا به وخرج إلى الروم وعليها ميخائيل بسرعان الناس فأصيب من المسلمين عدة وكان عيسى بن علىّ مرابطا بحصن مرعش يومئذ فلم يكن للمسلمين فى ذلك العام صائفة من أجل ذلك (وفيها) أمر المهدى ببناء القصور فى طريق مكة أوسع من القصور التى كان أبو العباس بناها من القادسية إلى زبالة وأمر بالزيادة فى قصور أبى العباس وترك منازل أبى جعفر التى كان بناها على حالها وأمر باتخاذ المصانع فى كل منهل وبتجديد الأميال والبرك وحفر الركايا مع المصانع وولى ذلك يقطين بن موسى فلم يزل ذلك اليه إلى سنة ١٧١ وكان خليفة يقطين فى ذلك أخوه أبو موسى (وفيها) أمر المهدىّ بالزيادة فى مسجد الجامع بالبصرة فزيد فيه من مقدمه مما يلى القبلة وعن يمينه مما يلى رحبة بنى سليم وولى بناء ذلك محمد بن سليمان وهو يومئذ والى البصرة (وفيها) أمر المهدى بنزع المقاصير من مساجد الجماعات وتقصير المنابر وتصييرها الى المقدار الذى عليه

منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب بذلك إلى الآفاق فعمل به ﴿وفيها﴾ أمر المهدى يعقوب بن داود بتوجيه الأمناء فى جميع الآفاق فعمل به فكان لا ينفذ للمهدى كتاب إلى عامل فيجوز حتى يكتب يعقوب بن داود إلى أمينه وثقته بإنفاذ ذلك ﴿وفيها﴾ اتضعت منزلة أبى عبيدالله وزير المهدى وضم يعقوب اليه من متفقهة البصرة وأهل الكوفة وأهل الشأم عددا كثيرا وجعل رئيس البصريين والقائم بأمرهم إسماعيل بن علية الأسدى ومحمد بن ميمون العنبرى وجعل رئيس أهل الكوفة وأهل الشأم عبد الأعلى بن موسى الحلبى

ذكر السبب الذى من أجله تغيرت منزلة أبى عبيد الله عند المهدى

﴿قد ذكرنا﴾ سبب اتصاله كان به قبل فى أيام المنصور وضم المنصور إياه إلى المهدى حين وجهه إلى الرى عند خلع عبد الجبار بن عبد الرحمن المنصور فذكر أبو زيد عمر بن شبة أن سعيد بن إبراهيم حدثه أن جعفر بن يحيى حدثه أن الفضل بن الربيع أخبره أن الموالى كانوا يشنعون على أبى عبيدالله عند المهدى ويسعون عليه عنده فكانت كتب أبى عبيد الله تنفذ عند المنصور بما يريد من الأمور وتتخلى الموالى بالمهدى فيبلغونه عن أبى عبيد الله ويحرضونه عليه قال الفضل وكانت كتب أبى عبيد الله تصل إلى أبى تترى يشكو الموالى وما يلقى منهم ولا يزال يذكره عند المنصور ويخبره بقيامه ويستخرج الكتب عنه إلى المهدى بالوصاة به وترك القبول فيه قال فلما رأى أبو عبيد الله غلبة الموالى على المهدى وخلوتهم به نظر إلى أربعة رجال من قبائل شتى من أهل الأدب والعلم فضمهم إلى المهدى فكانوا فى صحابته فلم يكونوا يدعون الموالى يتخلون به ثم أبا عبيد الله كلم المهدى فى بعض أمره إذ اعترض رجل من هؤلاء الأربعة فى الأمر الذى تكلم فيه فسكت عنه أبو عبيد الله فلم يراده وخرج فأمره أن يحجب عن المهدى فحجبه عنه وبلغ ذلك من خبره أبى قال وحج أبى مع المنصور فى السنة التى مات فيها وقام أبى من أمر المهدى بما قام به من أمر البيعة وتجديدها على بيت المنصور والقواد والموالى فلما قدم تلقيته بعد المغرب فلم أزل معه حتى تجاوز منزله وترك

دار المهدى ومضى إلى أبى عبيد الله فقال يابنى هو صاحب الرجل وليس ينبغى أن نعامله على ما كنا نعامله عليه ولا أن نحاسبه بما كان منا فى أمره من نصرتنا له قال فمضينا حتى أتينا باب أبى عبيد الله فما زال واقفا حتى صليت العتمة فخرج الحاجب فقال ادخل فثنى رجله وثنيت رجلى قال إنما استأذنت لك ياأبا الفضل وحدك قال اذهب فأخبره أن الفضل معى قال ثم أقبل على فقال وهذا أيضا من ذلك قال فخرج الحاجب فأذن لنا جميعا فدخلنا أنا وأبى وأبو عبيد الله فى صدر المجلس على مصلى متكئ على وسادة فقلت يقوم إلى أبى إذا دخل اليه فلم يقم اليه فقلت يستوى جالسا اذا دنا فلم يفعل فقلت يدعو له بمصلى فلم يفعل فقعد أبى بين يديه على البساط وهو متكئ فجعل يسائله عن مسيره وسفره وحاله وجعل أبى يتوقع أن يسأله عما كان منه فى أمر المهدى وتجديد بيعته فأعرض عن ذلك فذهب أبى يبتدئه بذكره فقال قد بلغنا نبأكم قال فذهب أبى لينهض فقال لا أرى الدروب إلا وقد غلقت فلو أقمت قال فقال أبى إن الدروب لا تغلق دونى قال بلى قد أغلقت قال فظن أبى أنه يريد أن يحتبسه ليسكن من مسيره ويريد أن يسأله قال فأقيم قال يافلان اذهب فهيئ لأبى الفضل فى منزل محمد بن أبى عبيد الله مبيتا فلما رأى أنه يريد أن يخرج من الدار قال فليس تغلق الدروب دونى فأعتزم ثم قام فلما خرجنا من الدار أقبل على فقال يابنى أنت أحمق قلت وما حمقى أنا قال تقول لى كان ينبغى لك ألا تجىء وكان ينبغى إذا جئت فحجبنا ألا تقيم حتى صليت العتمة وأن تنصرف ولا تدخل وكان ينبغى إذا دخلت فلم يقم إليك أن ترجع ولا تقيم عليه ولم يكن الصواب إلا ما عملت كله ولكن والله الذى لا إله إلا هو واستغلق فى اليمين لأخلعن جاهى ولأنفقن مالى حتى أبلغ من أبى عبيد الله قال ثم جعل يضطرب بجهده فلا يجد مساغا إلى مكروهه ويحتال الجد إذ ذكر القشيرى الذى كان أبو عبيد الله حجبه فأرسل إليه فجاءه فقال انك قد علمت ماركبك به أبو عبيد الله وقد بلغ منى كل غاية من المكروه وقد أرغت أمره بجهدى فما وجدت عليه طريقا فعندك حيلة فى أمره فقال انما يؤتى أبو عبيد الله من أحد وجوه أذكرها

لك يقال هو رجل جاهل بصناعته وأبو عبيد الله أحذق الناس أو يقال هو ظنين فى الدين بتقليده وأبو عبيد الله أعف الناس لو كان بنات المهدىّ فى حجره لكان لهنّ موضعا أو يقال هو يميل إلى أن يخالف السلطان فليس يؤتى أبو عبيد الله من ذلك الا أنه يميل الى القدر بعض الميل وليس يتسلق عليه بذاك أن يقال هو متهم ولكن هذا كله مجتمع لك فى ابنه قال فتناوله الربيع فقبل بين عينيه ثم دبّ لابن أبى عبيد الله فوالله مازال يحتال ويدس الى المهدى ويتهمه ببعض حُرَمِ المهدىّ حتّى استحكم عند المهدى الظنة بمحمد بن أبى عبيد الله فأمر فأحضر وأخرج أبو عبيد الله فقال يا محمد اقرأ فذهب ليقرأ فاستعجم عليه القرآن فقال يامعاوية ألم تعلمنى أن ابنك جامع للقرآن قال أخبرتك ياامير المؤمنين ولكن فارقنى منذ سنين وفى هذه المدة التى نأى فيها عنى نسى القرآن قال قم فتقرب الى الله فى دمه فذهب ليقوم فوقع فقال العباس بن محمد إن رأيت ياأمير المؤمنين أن تعفى الشيخ قال ففعل وأمر به فأخرج فضربت عنقه قال فاتهمه المهدى فى نفسه فقال له الربيع قتلت ابنه وليس ينبغى أن يكون معك ولا أن تثق به فأوحش المهدىّ وكان الذى كان من أمره وبلغ الربيع ما أراد واشتفى وزاد * وذكر محمد بن أبى عبد الله يعقوب بن داود قال أخبرنى أبى قال ضرب المهدى رجلا من الأشعريين فأوجعه فتعصب أبو عبيد الله له وكان مولى لهم فقال القتل أحسن من هذا ياأمير المؤمنين فقال له المهدى يايهودىّ اخرج من عسكرى لعنك الله قال ماأدرى إلى أين أخرج إلا إلى النار قال قلت ياأمير المؤمنين أَحْرِبهذا أن لمثلها يتوقع قال فقال لى سبحان الله ياأباعبد الله (وفيها) غزا الغمر بن العباس فى البحر (وفيها) ولى نصر بن محمد بن الأشعث السند مكان روح بن حاتم وشخص اليها حتى قدمها ثم عُزل وولى مكانه محمد بن سليمان فوجّه اليها عبد الملك ابن شهاب المسمعى فقدمها على نصر فبغته ثم أذن له فى الشخوص فشخص حتى نزل الساحل على ستة فراسخ من المنصورة فأتى نصر بن محمد عهده على السند فرجع إلى عمله وقد كان عبد الملك أقام بها ثمانية عشر يوما فلم يعرض له فرجع

إلى البصرة ﴿وفيها﴾ استقضى المهدىّ عافية بن يزيد الأزدى فكان هو وابن علاثة يقضيان فى عسكر المهدى فى الرصافة وكان القاضى بمدينة الشرقية عمر بن حبيب العدوى ﴿وفيها﴾ عزل الفضل بن صالح عن الجزيرة واستعمل عليها عبد الصمد ابن علىّ ﴿وفيها﴾ استعمل عيسى بن لقمان على مصر ﴿وفيها﴾ ولى يزيد بن منصور سواد الكوفة وحسان الشَروىّ الموصل وبسطام بن عمرو التغلبى آذر بيجان ﴿وفيها﴾ عزِل أبا أيوب المسمى سليمان المكىّ عن ديوان الخراج وولى مكانه أبو الوزير عمر بن مطرف ﴿وفيها﴾ توفى نصر بن مالك من فالج أصابه ودفن فى مقابر بنى هاشم وصلى عليه المهدى ﴿وفيها﴾ صرف أبان بن صدقة عن هارون ابن المهدى إلى موسى بن المهدى وجعله له كاتبا ووزيراً وجعل مكانه مع هارون ابن المهدى يحيى بن خالد بن برمك ﴿وفيها﴾ عزل محمد بن سليمان أبا ضمرة عن مصر فى ذى الحجة المهدى وولاها سلمة بن رجاء ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة موسى ابن محمد بن عبد الله الهادى وهو ولى عهد أبيه * وكان عامل الطائف ومكة واليمامة فيها جعفر بن سليمان وعلى صلاة الكوفة وأحداثها إسحاق بن الصباح الكندى وعلى سوادها يزيد بن منصور

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من مقتل عبد السلام الخارجىّ بقنسرين

ذكر الخبر عن مقتله

ذكر أن عبد السلام بن هاشم اليشكرى هذا خرج بالجزيرة وكثر بها أتباعه واشتدت شوكته فلقيه من قواد المهدى عدة منهم عيسى بن موسى القائد فقتله فى عدة ممن معه وهزم جماعة من القواد فوجه اليه المهدى الجنود فنكب غير واحد من القواد منهم شبيب بن واج المروروذى ثم ندب إلى شبيب ألف فارس أعطى كل رجل منهم ألف درهم معونة وألحقهم بشبيب فوافوه فخرج شبيب فى أثر

عبد السلام فهرب منهم حتى أتى قنسرين فلحقه بها فقتله (وفيها) وضع المهدى دواوين الأزمّة وولى عليها عمر بن بزيع مولاه فولى عمر بن بزيع النعمان بن عثمان أبا حازم زمام خراج العراق (وفيها) أمر المهدى أن يجرى على المجذّمين وأهل السجون فى جميع الآفاق (وفيها) ولى ثمامة بن الوليد العبسى الصائفة فلم يتم ذلك (وفيها) خرجت الروم إلى الحدث فهدموا سورها وغزا الصائفة الحسن بن قحطبة فى ثلاثين ألف مرتزق سوى المطّوّعة فبلغ حمة أذرولية فأكثر التحريب والتحريق فى بلاد الروم من غير أن يفتح حصنا ويلقى جمعا وسمّته الروم التنين وقيل إنه إنما أتى هذه الحمة الحسن ليستنقع فيها للوضح الذى كان به ثم قفل بالناس سالمين وكان على قضاء عسكره وما يجتمع من الفىء حفص بن عامر السلمى (قال وفيها) غزا يزيد بن أسيد السلمى من باب قاليقلا فغنم وفتح ثلاثة حصون واصاب سبيا كثيراً وأسرى (وفيها) عزل على بن سليمان عن اليمن وولى مكانه عبد الله بن سليمان (وفيها) عزل سلمة بن رجاء عن مصر ووليها عيسى بن لقمان فى المحرم ثم عزل فى جمادى الآخرة ووليها واضح مولى المهدى ثم عزل فى ذى القعدة ووليها يحي الحرشى (وفيها) ظهرت المحمرة بجرجان عليهم رجل يقال له عبد القهار فغلب على جرجان وقتل بشراً كثيراً فغزاه عمر بن العلاء من طبرستان فقتل عبد القهار وأصحابه (وحج) بالناس فى هذه السنة ابراهيم بن جعفر بن المنصور وكان العباس بن محمد استأذن المهدى فى الحج بعد ذلك فعاتبه على ألا يكون استأذنه قبل أن يولى الموسم أحدا فيوليه إياه فقال يا أمير المؤمنين عمداً أخرت ذلك لأنى لم أرد الولاية * وكانت عمال الأمصار عمالها فى السنة التى قبلها ثم إن الجزيرة كانت فى هذه السنة إلى عبد الصمد بن على وطبرستان والرويان إلى سعيد بن دعلج وجرجان إلى مهاهل ابن صفوان

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك ما كان فيها من هلاك المقنع وذلك أن سعيداً الحرشي حصره بكش فاشتد عليه الحصار فلما أحس بالهلكة شرب سما وسقاه نساءه وأهله فمات وماتوا فيما ذكر جميعا ودخل المسلمون قلعته واحتزوا رأسه ووجهوا به إلى المهدي وهو بحلب (وفيها) قطع المهدي البعوث للصائفة على جميع الأجناد من أهل خراسان وغيرهم وخرج فعسكر بالبردان فأقام به نحواً من شهرين يتعبأ فيه ويتهيأ ويعطي الجنود وأخرج بها صلات لأهل بيته الذين شخصوا معه فتوفي عيسى بن علي في آخر جمادى الآخرة ببغداد وخرج المهدي من الغد إلى البردان متوجها إلى الصائفة واستخلف ببغداد موسى بن المهدي وكاتبه يومئذ أبان بن صدقة وعلى خاتمه عبد الله بن علاثة وعلى حرسه علي بن عيسى وعلى شرطه عبد الله بن حازم فذكر العباس بن محمد أن المهدي لما وجه الرشيد إلى الصائفة سنة ١٦٣ خرج يشيعه وأنا معه فلما حاذى قصر مسلمة قلت يا أمير المؤمنين إن لمسلمة في أعناقنا منة كان محمد بن علي مر به فأعطاه أربعة آلاف دينار وقال له يا ابن عم هذان ألفان لدينك وألفان لمعونتك فإذا نفدت فلا تحتشمنا فقال لما حدثته الحديث أحضروا من ههنا من ولد مسلمة ومواليه فأمر لهم بعشرين ألف دينار وأمر أن تجرى عليهم الأرزاق ثم قال يا أبا الفضل كافينا مسلمة وقضينا حقه قلت نعم وزدت يا أمير المؤمنين وذكر إبراهيم بن زياد عن الهيثم بن عدي أن المهدي أغزى هارون الرشيد بلاد الروم وضم إليه الربيع الحاجب والحسن بن قحطبة قال محمد بن العباس إني لقاعد في مجلس أبي في دار أمير المؤمنين وهو على الحرس إذ جاء الحسن بن قحطبة فسلم علي وقعد على الفراش الذي يقعد أبي عليه فسأل عنه فأعلمته أنه راكب فقال لي يا حبيبي أعلمه أني جئت وأبلغه السلام عني وقل له إن أحب أن يقول لأمير المؤمنين يقول الحسن بن

قحطبة يا أمير المؤمنين جعلنى الله فداك أغزيت هارون وضممتنى والربيع إليه وأنا قريع قوادك والربيع قريع مواليك وليس تطيب نفسى بأن نخلى جميعا بابك وإما أغزيتنى مع هارون وأقام الربيع وإما أغزيت الربيع وأقمت ببابك قال فجاء أبى فأبلغته الرسالة فدخل على المهدى فأعلمه فقال أحسن والله الاستعفاء لا كما فعل الحجام بن الحجام يعنى عامر بن اسماعيل وكان استعفى من الخروج مع إبراهيم فغضب عليه واستصفى ماله وذكر عبد الله بن أحمد بن الوضاح قال سمعت جدى أبا بديل قال أغزى المهدى الرشيد وأغزى معه موسى بن عيسى وعبد الملك بن صالح بن على وموليَىْ أبيه الربيع والحاجب والحسن الحاجب فلما فصل دخلت عليه بعد يومين أو ثلاثة فقال ما خلفك عن ولى العهد عن أخويك خاصة يعنى الربيع والحسن الحاجب قلت أمر أمير المؤمنين ومقامى بمدينة السلام حتى يأذن لى قال فسر حتى تلحق به وبهما واذكر ما تحتاج إليه قال قلت ما أحتاج إلى شىء من العدة فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى وداعه فقال لى متى تراك خارجا قال قلت من غد قال فودعته وخرجت فلحقت القوم قال فأقبلت أنظر إلى الرشيد يخرج فيضرب بالصوالجة وأنظر إلى موسى بن عيسى وعبد الملك بن صالح وهما يتضاحكان منه قال فصرت إلى الربيع والحسن وكنا لا نفترق فقلت لا جزاكما الله عمن وجهكما ولا عمن وجهتما معه خيراً فقال إيه وما الخبر قال قلت موسى ابن عيسى وعبد الملك بن صالح يتضاحكان من ابن أمير المؤمنين أو ما كنتما تقدران أن تجعلا لهما مجلساً يدخلان عليه فيه ولمن كان معه من القواد فى الجمعة ولا يدخلون عليه فى سائر أيامه كما يريد قال فبينا نحن فى ذلك المسير إذ بعثا إلىّ فى الليل قال فجئت وعندهما رجل فقالا لى هذا غلام الغمر بن يزيد وقد أصبنا معه كتاب الدولة قال ففتحت الكتاب فنظرت فيه إلى سنى المهدى فاذا هى عشر سنين قال فقلت ما فى الأرض أعجب منكما أتريان أن خبر هذا الغلام يخفى وأن هذا الكتاب يستتر قالا كلا قلت فاذا كان أمير المؤمنين قد نقص من سنيه ما نقص ألستم أول من نعى اليه نفسه قال فتلبدوا والله وسُقط فى أيديهما فقالا

فما الحيلة قلت يا غلام علىّ بعنبسة يعنى الورّاق الاعرابى مولى آل أبى بديل فأتى به فقلت خط مثل هذا الخط وورقة مثل هذه الورقة وصير مكان عشر سنين أربعين سنة وصيرّها فى الورقة قال فوالله لولا أنى رأيتُ العشر فى تلك والأربعين فى هذه ما شككت أن الخط ذلك الخط وأن الورقة تلك الورقة قال ووجه المهدى خالد بن برمك مع الرشيد وهو ولى العهد حين وجهه لغزو الروم وتوجه معه الحسن وسليمان ابنا برمك ووجه معه على أمر العسكر ونفقاته وكتابته والقيام بأمره يحيى بن خالد وكان أمر هارون كله اليه وصُير الربيع الحاجب مع هارون يغزو عن المهدى وكان الذى بين الربيع ويحيى على حسب ذلك وكان يشاورهما ويعمل برأيهما ففتح الله عليهم فتوحا كثيرة وأبلاهم فى ذلك الوجه بلاء جميلا وكان لخالد فى ذلك بسمالو أثر جميل لم يكن لأحد وكان منجمهم يسمى البرمكى تبركا به ونظرا اليه قال ولما ندب المهدى هارون الرشيد لما ندبه له من الغزو أمر أن يدخل عليه كتاب أبناء الدعوة لينظر اليهم ويختار له منهم رجلا ﴿ قال يحيى ﴾ فأدخلونى عليه معهم فوقفوا بين يديه ووقفت آخرهم قال لى يا يحيى أدن فدنوت ثم قال لى اجلس فجلست فجثوت بين يديه فقال لى إنى قد تصفحت أبناء شيعتى وأهل دولتى واخترت منهم رجلا لهارون ابنى أضمه إليه ليقوم بأمر عسكره ويتولى كتابته فوقعت عليك خيرتى له ورأيتك أولى به اذ كنت مربّيه وخاصته وقد وليتك كتابته وأمر عسكره قال فشكرتُ ذلك له وقبلت يده وأمر لى بمائة ألف درهم معونة على سفرى فوجهت فى ذلك العسكر لما وجهت له قال وأوفد الربيعُ سليمانَ بن برمك الى المهدى وأوفد معه وفداً فأكرم المهدى وفادته ونضله وأحسن إلى الوفد الذين كانوا معه ثم انصرفوا من وجههم ذلك ﴿ وفى هذه السنة ﴾ سنة مسير المهدى مع ابنه هارون عزل المهدى عبد الصمد بن علىّ عن الجزيرة وولى مكانه زفر بن عاصم الهلالى

ذكر السبب فى عزله إياه

ذكر ان المهدى سلك فى سفرته هذه طريق الموصل وعلى الجزيرة عبد الصمد

ابن على فلما شخص المهدى من الموصل وصار بأرض الجزيرة لم يتلقه عبدالصمد ولا هيأ له نُزولا ولا أصلح له قناطر فاضطغن ذلك عليه المهدى فلما لقيه تجهمه وأظهر له جفاء فبعث اليه عبد الصمد بألطاف لم يرضها فردها عليه وازداد عليه سخطا وأمر بأخذه بإقامة النزل له فتعبث فى ذلك وتقنّع ولم يزل يربى ما يكرهه إلى أن نزل حصن مسلمة فدعا به وجرى بينهما كلام أغاظ له فيه القول المهدى فرد عليه عبد الصمد ولم يحتمله فأمر بحبسه وعزله عن الجزيرة ولم يزل فى حبسه فى سفره ذلك وبعد أن رجع إلى أن رضى عنه وأقام له العباس بن محمد النزُل حتى انتهى إلى حلب فأتته البشرى بها بقتل المقنع وبعث وهو بها عبد الجبار المحتسب لجلب من بتلك الناحية من الزنادقة ففعل وأتاه بهم وهو بدابق فقتل جماعة منهم وصلبهم وأتى بكتب من كتبهم فقطعت بالسكاكين ثم عرض بها جنده وأمر بالرحلة وأشخص جماعة من وافاه من أهل بيته مع ابنه هارون إلى الروم وشيع المهدى ابنه هارون حتى قطع الدرب وبلغ جيحان وارتاد بها المدينة التى تسمى المهدية وودع هارون على نهر جيحان فسار هارون حتى نزل رستاقا من رساتيق أرض الروم فيه قلعة يقال لها سمالو فأقام عليها ثمانيا وثلاثين ليلة وقد نصب عليها المجانيق حتى فتحها الله بعد تخريب لها وعطش وجوع أصاب أهلها وبعد قتل وجراحات كانت فى المسلمين وكان فتحها على شروط شرطوها لأنفسهم لا يقتلوا ولا يُرحلوا ولا يُفرق بينهم فأعطوا ذلك فنزلوا ووفى لهم وقفل هارون بالمسلمين سالمين الا من كان أصيب منهم بها ﴿ وفى هذه السنة ﴾ وفى سفرته هذه صار المهدى إلى بيت المقدس فصلى فيه ومعه العباس بن محمد والفضل بن صالح وعلى ابن سليمان وخاله يزيد بن منصور ﴿وفيها﴾ عزل المهدى ابراهيم بن صالح عن فلسطين فسأله يزيد بن منصور حتى رده عليها ﴿وفيها﴾ ولى المهدى ابنه هارون المغرب كله وآذربيجان وأرمينية وجعل كاتبه على الخراج ثابت بن موسى وعلى رسائله يحيى بن خالد بن برمك ﴿وفيها﴾ عزل زفر بن عاصم عن الجزيرة وولى مكانه عبدالله بن صالح بن على وكان المهدى نزل عليه فى مسيره إلى بيت المقدس.

فأعجب بما رأى من منزله بسلمية (وفيها) عزل معاذ بن مسلم عن خراسان ووولاها المسيب بن زهير (وعزل فيها) يحيي الحرشي عن أصبهان وولى مكانه الحكم ابن سعيد (وعزل فيها) سعيد بن دعلج عن طبرستان والرويان وولاهما عمر ابن العلاء (وفيها) عزل مهلهل بن صفوان عن جرجان وولاها هشام بن سعيد (وحج) بالناس فى هذه السنة علىّ بن المهدى وكان على اليمامة والمدينة ومكة والطائف فيها جعفر بن سليمان وعلى الصلاة والأحداث بالكوفة إسحاق بن الصباح وعلى قضائها شريك وعلى البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان والفُرَض وكور الأهواز وكور فارس محمد بن سليمان وعلى خراسان المسيب بن زهير وعلى السند نصر بن محمد بن الأشعث

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب من درب الحدث فأقبل اليه ميخائيل البطريق فيما ذكر فى نحو من تسعين ألفا فيهم طازاذ الأرمنى البطريق ففشل عنه عبد الكبير ومنع المسلمين من القتال وانصرف فأراد المهدىّ ضرب عنقه فكلم فيه فحبسه فى المطبق (وفيها) عزل المهدى محمد بن سليمان عن أعماله ووجه صالح بن داود على ما كان إلى محمد بن سليمان ووجه معه عاصم بن موسى الخراسانىّ الكاتب على الخراج وأمره بأخذ حماد بن موسى كاتب محمد بن سليمان وعبيد الله بن عمر خليفته وعماله وتكشيفهم (وفيها) بنى المهدى بعيساباذ الكبرى قصراً من لبن إلى أن أسس قصره الذى بالآجر الذى سماه قصر السلامة وكان تأسيسه إياه يوم الأربعاء فى آخر ذى القعدة (وفيها) شخص المهدى حين أسس هذا القصر إلى الكوفة حاجا فأقام برصافة الكوفة أياما ثم خرج متوجها إلى الحج حتى انتهى إلى العقبة فغلا عليه وعلى من معه الماء وخاف ألا يحمله ومن معه ما بين أيديهم وعرضت له مع ذلك

حمى فرجع من العقبة وغضب على يقطين بسبب الماء لأنه كان صاحب المصانع واشتد على الناس العطش فى منصرفهم وعلى ظهرهم حتى أشفوا على الهلكة ﴿وفيها﴾ توفى نصر بن محمد بن الأشعث بالسند ﴿وفيها﴾ عزل عبد الله بن سليمان عن اليمن عن سخطة ووجه من يستقبله ويفتش متاعه ويحصى ما معه ثم أمر بحبسه عند الربيع حين قدم حتى أقر من المال والجوهر والعنبر بما أقر به فرده اليه وخلى سبيله واستعمل مكانه منصور بن يزيد بن منصور ﴿وفيها﴾ وجه المهدى صالح بن أبى جعفر المنصور من العقبة عند انصرافه عنها إلى مكة ليحج بالناس فأقام صالح للناس الحج فى هذه السنة وكان العامل على المدينة ومكة والطائف واليمامة فيها جعفر بن سليمان وعلى اليمن منصور بن يزيد بن منصور وعلى صلاة الكوفة وأحداثها هاشم بن سعيد بن منصور وعلى قضائها شريك بن عبد الله وعلى صلاة البصرة وأحداثها وكور دجلة والبحرين وعمان والفرض وكور الأهواز وفارس صالح بن داود بن على وعلى السند سطيح بن عمر وعلى خراسان المسيب بن زهير وعلى الموصل محمد بن الفضل وعلى قضاء البصرة عبيد الله بن الحسن وعلى مصر إبراهيم بن صالح وعلى افريقية يزيد بن حاتم وعلى طبرستان والرويان وجرجان يحيى الحرشى وعلى دنباوند وقومس فراشة مولى أمير المؤمنين وعلى الرى خلف بن عبد الله وعلى سجستان سعيد بن دعلج

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة هارون بن محمد المهدى الصائفة ووجهه أبوه فيما ذكر يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة غازيا إلى بلاد الروم وضم اليه الربيع مولاه فوغل هارون فى بلاد الروم فافتتح ماجدة ولقيته خيول نقيطا قومس القوامسة فبارزه يزيد بن مزيد فأرجل يزيد ثم سقط نقيطا فضربه يزيد حتى أثخنه وانهزمت الروم وغلب يزيد على عسكرهم وسار إلى الدمستق بنقمودية

وهو صاحب المسالح وسار هارون فى خمسة وتسعين ألفا وسبعمائة وثلاثة وتسعين رجلا وحمل لهم من العين مائة ألف دينار وأربعة وتسعين ألفا وأربعمائة وخمسين ديناراً ومن الورق أحداً وعشرين ألف ألف وأربعمائة ألف وأربعة عشر ألفا وثمانمائة درهم وسار هارون حتى بلغ خليج البحر الذى على القسطنطينية وصاحب الروم يومئذ أغسطه امرأة أليون وذلك أن ابنها كان صغيراً قد هلك أبوه وهو فى حجرها فجرت بينهما وبين هارون بن المهدى الرسل والسفراء فى طلب الصلح والموادعة وإعطاء الفدية فقبل ذلك منها هارون وشرط عليها الوفاء بما أعطت له وأن تقيم له الأدلاء والأسواق فى طريقه وذلك أنه دخل مدخلا صعبا مخوفا على المسلمين فأجابته إلى ماسأل والذى وقع عليه الصلح بينه وبينها تسعون أو سبعون ألف دينار تؤديها فى نيسان الأول فى كل سنة وفى حزيران فقبل ذلك منها فأقامت له الأسواق فى منصرفه ووجهت معه رسولا إلى المهدى بما بذلت على أن تؤدى ماتيسر من الذهب والفضة والعرض وكتبوا كتاب الهدنة إلى ثلاث سنين وسلمت الأسارى وكان الذى أفاء الله على هارون إلى أن أذعنت الروم بالجزية خمسة آلاف رأس وستمائة وثلاثة وأربعين رأسا وقتل من الروم فى الوقائع أربعة وخمسون ألفا وقتل من الأسارى صبراً ألفان وتسعون أسيراً ومما أفاء الله عليه من الدواب الذُلل بأدراتها عشرون ألف دابة وذبح من البقر والغنم مائة ألف رأس وكانت المرتزقة سوى المطّوعة وأهل الأسواق مائة ألف وبيع البرذون بدرهم والبغل بأقل من عشرة دراهم والدرع بأقل من درهم وعشرين سيفا بدرهم فقال مروان بن أبى حفصة فى ذلك

أطفتَ بِقُسْطنطِينيةِ الروم مُسْنداً ... إليها القَنا حتى اكتَسَى الذلَّ سورها
وما رُمْتَها حتى أتتك مُلوكها ... بِجِزْيتها والحَربُ تغلِى قدورُها

(وفيها) عزل خلف بن عبد الله عن الرى وولاها عيسى مولى جعفر

(وحج) بالناس فى هذه السنة صالح بن أبى جعفر المنصور وكانت عمال الأمصار فى هذه السنة هم عمالها فى السنة الماضية غير أن العامل على أحداث البصرة

والصلاة بأهلها كان روح بن حاتم وعلى كور دجلة والبحرين وعمان وكسكر وكور الأهراز وفارس وكرمان كان المعلى مولى أمير المؤمنين المهدى وعلى السنة الليث مولى المهدى

ثم دخلت سنة ست وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك قفول هارون بن المهدى ومن كان معه من خليج قسطنطينية فى المحرم لثلاث عشرة ليلة بقيت منه وقدمت الروم بالجزية معهم وذلك فيما قيل أربعة وستون ألف دينار عدد الرومية وألفان وخمسمائة دينار عربية وثلاثون ألف رطل مرعِزّى (وفيها) أخذ المهدى البيعة على قواده لهارون بعد موسى ابن المهدى وسماه الرشيد (وفيها) عزل عبيد الله بن الحسن عن قضاء البصرة وولى مكانه خالد بن طليق بن عمران بن حصين الخزاعى فلم يحمد ولايته فاستعفى أهل البصرة منه (وفيها) عزل جعفر بن سليمان عن مكة والمدينة وما كان اليه من العمل (وفيها) سخط المهدى على يعقوب بن داود

ذكر الخبر عن غضب المهدى على يعقوب

ذكر على بن محمد النوفلى قال سمعت أبى يذكر قال كان داود بن طهمان وهو أبو يعقوب بن داود واخوته كتابا لنصر بن سيار وقد كتب داود قبله لبعض ولاة خراسان فلما كانت أيام يحيى بن زيد كان يدس اليه والى أصحابه بما يسمع من نصر ويحذرهم فلما خرج أبو مسلم يطالب بدم يحيى بن زيد ويقتل قَتَلَته والمعينين عليه من أصحاب نصر أتاه داود بن طهمان مطمئنا لما كان يعلم مما جرى بينه وبينه فآمنه أبو مسلم ولم يعرض له فى نفسه وأخذ أمواله التى استفاد أيام نصر وترك منازله وضيَعَه التى كانت له ميراثا بمرو فلما مات داود خرج ولده أهل أدب وعلم بأيام الناس وسيرهم وأشعارهم ونظروا فاذا ليست لهم عند بنى العباس منزلة فلم يطمعوا فى خدمتهم لحال أبيهم من كتابة نصر فلما رأوا ذلك أظهروا مقالة

الزيدية ودنوا من آل الحسين وطمعوا أن يكون لهم دولة فيعيشوا فيها فكان يعقوب يجول البلاد منفرداً بنفسه ومع إبراهيم بن عبد الله أحيانا فى طلب البيعة لمحمد بن عبد الله فلما ظهر محمد وإبراهيم بن عبد الله كتب على بن داود وكان أسنّ من يعقوب لإبراهيم بن عبد الله وخرج يعقوب مع عدة من إخوته مع إبراهيم فلما قتل محمد وإبراهيم تواروا من المنصور فطلبهم فأخذ يعقوب وعليا فحبسهما فى المطبق أيام حياته فلما توفى المنصور منّ عليهما المهدى فيمن منّ عليه بتخلية سبيله وأطلقهما وكان معهما فى المطبق إسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن وكانا لا يفارقانه وإخوته الذين كانوا محتبسين معه فجرت بينهم بذلك الصداقة وكان إسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن يرى أن الخلافة قد تجوز فى صالحى بنى هاشم جميعا فكان يقول كانت الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصلح إلا فى بنى هاشم وهى فى هذا الدهر لا تصلح إلا فيهم وكان يكثر فى قوله للأكبر من بنى عبد المطلب وكان هو ويعقوب بن داود يتجاريان ذلك فلما خلى المهدى سبيل يعقوب مكث المهدى برهة من دهره يطلب عيسى بن زيد والحسن بن إبراهيم بن عبد الله بعد هرب الحسن من حبسه فقال المهدى يوما لو وجدت رجلا من الزيدية له معرفة بآل حسن وبعيسى بن زيد وله فقه فأجتلبه إلى على طريق الفقه فيدخل بينى وبين آل حسن وعيسى بن زيد فدل على يعقوب بن داود فأتى به فأدخل عليه وعليه يومئذ فَرْوٌ وخفا كبل وعمامة كرابيس وكساء أبيض غليظ فكلمه وفاتحه فوجده رجلا كاملا فسأله عن عيسى بن زيد فزعم الناس أنه وعده الدخول بينه وبينه وكان يعقوب ينتفى من ذلك إلا أن الناس قد رموه بأن منزلته عند المهدى إنما كانت للسعاية بآل على ولم يزل أمره يرتفع عند المهدى ويعلو حتى استوزره وفوض اليه أمر الخلافة فأرسل إلى الزيدية فأتى بهم من كل أوب وولاهم من أمور الخلافة فى المشرق والمغرب كل جليل وعمل نفيس والدنيا كلها فى يديه ولذلك يقول بشار بن برد

بَنِى أُمَيَّـةَ هُبوا طال نَوَمكمُ ... إنَّ الخَليفَـةَ يعقوبُ بن داوُدِ

ضاعتْ خلافتُكم يا قومِ فاطّلِبوا خليفةَ الله بينَ الدُفّ والعود

قال فحسده موالى المهدى فسعوا عليه ومما حظى به يعقوب عند المهدى أنه استأمنه للحسن بن ابراهيم بن عبد الله ودخل بينه وبينه حتى جمع بينهما بمكة قال ولما علم آل الحسن بن على بصنيعه استوحشوا منه وعلم يعقوب أنه إن كانت لهم دولة لم يعش فيها وعلم أن المهدى لا يناظره لكثرة السعاية به اليه فمال يعقوب إلى اسحق بن الفضل وأقبل يربص له الأمور وأقبلت السعايات ترد على المهدى بإسحق حتى قيل له إن المشرق والمغرب فى يد يعقوب وأصحابه وقد كاتبهم وإنما يكفيه أن يكتب اليهم فيثوروا فى يوم واحد على ميعاد فيأخذوا الدنيا لإسحق بن الفضل فكان ذلك قد ملأ قلب المهدى عليه قال علىّ بن محمد النوفلى فذكر لى بعض خدم المهدى أنه كان قائما على رأسه يوما يذب عنه إذ دخل يعقوب فجثا بين يديه فقال يا أمير المؤمنين قد عرفت اضطراب أمر مصر وأمرتنى أن ألتمس لها رجلا يجمع أمرها فلم أزل أرتاد حتى أصبت لها رجلا يصلح لذلك قال ومن هو قال ابن عمك اسحاق بن الفضل فرأى يعقوب فى وجهه التغير فنهض فخرج وأتبعه المهدى طرفه ثم قال قتلنى الله إن لم أقتلك ثم رفع رأسه إلىّ وقال اكتم علىّ ويلك قال ولم يزل مواليه يحرضونه عليه ويوحشونه منه حتى عزم على إزالة النعمة عنه (وقال موسى) بن ابراهيم المسعودى قال المهدى وُصف لى يعقوب بن داود فى منامى فقيل لى ان اتخذه وزيرا فلما رآه قال هذه والله الخلقة التى رأيتها فى منامى فاتخذه وزيرا وحظى عنده غاية الحظوة فمكث حيناً حتى بنى عيساباذ فأتاه خادم من خدمه وكان حظيا عنده فقال له ان أحمد بن اسماعيل بن على قال لى قد بنى متنزها أنفق عليه خمسين ألف ألف من بيت مال المسلمين فحفظها عن الخادم ونسى أحمد بن اسماعيل وتوهمها على يعقوب بن داود فبينا يعقوب بين يديه اذ لببه فضرب به الأرض فقال مالى ولك يا أمير المؤمنين قال ألست القائل إنى أنفقت على متنزه لى خمسين ألف ألف فقال يعقوب والله ما سمعته أذناى ولا كتبه الكرام الكاتبون فكان هذا أول سبب أمره قال وحدثنى أبى قال كان يعقوب بن داود قد عرف عن المهدى خلعاً واستهتارا بذكر النساء والجماع وكان

يعقوب بن داود يصف من نفسه فى ذلك شيئا كثيرا وكذلك كان المهدى فكانوا يخلون بالمهدى ليلا فيقولون هو على أن يصبح فيثور بيعقوب فإذا أصبح غدا عليه يعقوب وقد بلغه الخبر فاذا نظر اليه تبسم فيقول إن عندك لخيرا فيقول نعم فيقول اقعد بحياتى فحدثنى فيقول خلوت بجاريتى البارحة فقالت وقلت فيصنع لذلك حديثاً فيحدث المهدى بمثل ذلك ويفترقان على الرضى فيبلغ ذلك من يسعى على يعقوب فيتعجب منه قال وقال لى الموصلى قال يعقوب بن داود للمهدى فى أمر أراده هذا والله السرف فقال ويلك وهل يحسن السرف إلا بأهل الشرف ويلك يا يعقوب لولا السرف لم يعرف المكثرون من المقترين وقال على بن يعقوب بن داود عن أبيه قال بعث إلى المهدى يوماً فدخلت عليه فاذا هو فى مجلس مفروش بفرش مورّد متناه فى السرو على بستان فيه شجر ورؤوس الشجر مع صحن المجلس وقد اكتسى ذلك الشجر بالأوراد والأزهار من الخوخ والتفاح فكل ذلك مورد يشبه فرش المجلس الذى كان فيه فما رأيت شيئاً أحسن منه وإذا عنده جارية ما رأيت أحسن منها ولا أشط قواماً ولا أحسن اعتدالا عليها نحو تلك الثياب فما رأيت أحسن من جملة ذلك فقال لى يعقوب كيف ترى مجلسنا هذا قلت على غاية الحسن فمتع الله أمير المؤمنين به وهنأه إياه فقال هو لك احمله بما فيه وهذه الجارية ليتم سرورك به قال فدعوت له بما يجب قال ثم قال يعقوب ولى اليك حاجة قال فوثبت قائماً ثم قلت يا أمير المؤمنين ما هذا إلا من موجدة وأنا أستعيذ بالله من سخط أمير المؤمنين قال لا ولكن أحب أن تضمن لى قضاء هذه الحاجة فانى لم أسألكها من حيث تتوهم وانما قلت ذلك على الحقيقة فأحب أن تضمن لى هذه الحاجة وأن تقضيها لى فقلت الأمر لأمير المؤمنين وعلى السمع والطاعة قال والله قلت والله ثلاثاً قال وحياة رأسى قلت وحياة رأسك قال فضع يدك عليه واحلف به قال فوضعت يدى عليه وحلفت له به لأعملن بما قال ولأقضين حاجته قال فلما استوثق منى فى نفسه قال هذا فلان بن فلان من ولد على أحب أن تكفينى ...نته وتريحنى منه وتعجل ذلك قال قلت أفعل قال فخذه اليك فحولته إلى وحولت

الجارية وجميع ما كان فى البيت من فرش وغير ذلك وأمر لى معه بمائة ألف درهم قال فحملت ذلك جملة ومضيت به فلشدة سرورى بالجارية صيرتها فى مجلس بينى وبينها ستر وبعثت الى العلوى فأدخلته على نفسى وسألته عن حاله فأخبرنى بها وبجمل منها وإذا هو ألب الناس وأحسنهم إبانة قال وقال لى فى بعض ما يقول ويحك يا يعقوب تلقى الله بدمى وأنا رجل من ولد فاطمة بنت محمد قال قلت لا والله فهل فيك خير قال ان فعلتَ خيراً شكرت ولك عندى دعاء واستغفار قال فقلت له أى الطرق أحب اليك قال طريق كذا وكذا قلتُ فمن هناك ممن تأنس به وتثق بموضعه قال فلان وفلان قلت فابعث اليهما وخذ هذا المال وامض معهما مصاحبا فى ستر الله وموعدك وموعدهما للخروج من دارى الى موضع كذا وكذا الذى اتفقوا عليه فى وقت كذا وكذا من الليل واذا الجارية قد حفظت على قولى فبعثت به مع خادم لها الى المهدى وقالت هذا جزاؤك من الذى آثرته على نفسك صنع وفعل كذا وكذا حتى ساقت الحديث كله قال وبعث المهدى من وقته ذلك فشحن تلك الطرق والمواضع التى وصفها يعقوب والعلوى برجاله فلم يلبث أن جاؤه بالعلوى بعينه وصاحبيه والمال على السجية التى حكتها الجارية قال وأصبحت من غد ذلك اليوم فاذا رسول المهدى يستحضرنى قال وكنت خالى الذرع غير ملقًى إلى أمر العلوى الا حتى أدخُل على المهدى وأجده على كرسى بيده مخصرة فقال يا يعقوب ما حال الرجل قلتُ يا أمير المؤمنين قد أراحك الله منه قال مات قلت نعم قال والله قلت والله قال قم فضع يدك على رأسى قال فوضعت يدى على رأسه وحلفت له به قال فقال يا غلام أخرج الينا ما فى هذا البيت قال ففتح بابه عن العلوىّ وصاحبيه والمال بعينه قال فبقيتُ متحيراً وسقط فى يدى وامتنع منى الكلام فما أدرى ما أقول قال فقال المهدى لقد حل لى دمك لو آثرت إراقته ولكن احبسوه فى المطبق ولا أذكر به فحبستُ فى المطبق واتخذ لى فيه بئرٌ فدُليت فيها فكنت كذلك أطولَ مدة لا أعرف عدد الأيام وأُصِبتُ ببصرى وطال شعرى حتى استرسل كهيئة شعور البهائم قال فإنى لكذلك اذ دعى بى فمضى

بى إلى حيث لا أعلم أين هو فلم أعدُ أن قيل لى سلم على أمير المؤمنين فسلمت فقال أى أمير المؤمنين أنا قلت المهدى قال رحم الله المهدى قلت فالهادى قال رحم الله الهادى قلت فالرشيد قال نعم قلت ما أشك فى وقوف أمير المؤمنين على خبرى وعلتى وما تناهت اليه حالى قال أجل كل ذلك عندى وعرف أمير المؤمنين فسل حاجتك قال قلت المقام بمكة قال نفعل ذلك فهل غير هذا قال قلت ما بقى فىَّ مستمتعٌ لشىء ولا بلاغ قال فراشداً قال فخرجت فكان وجهى إلى مكة قال ابنه ولم يزل بمكة فلم تطُل أيامه بها حتى مات قال محمد بن عبد الله قال لى أبى قال يعقوب ابن داود وكان المهدى لا يشرب النبيذ إلا تحرّجا ولكنه كان لا يشتهيه وكان أصحابه عمر بن بزيع والمعلى مولاه والمفضل ومواليه يشربون عنده بحيث يراهم قال وكنت أعظه فى سقيهم النبيذ وفى السماع وأقول إنه ليس على هذا استوزرتنى ولا على هذا صحبتك أبعد الصلوات الخمس فى المسجد الجامع يُشرب عندك النبيذ وتسمع السماع قال فكان يقول قد سمع عبد الله بن جعفر قال قلت ليس هذا من حسناته لو أن رجلا سمع فى كل يوم كان ذلك يزيده قربة من الله أو بعداً وقال محمد بن عبد الله حدثنى أبى قال كان أبى يعقوب بن داود قد ألح على المهدىّ فى حسمه عن السماع وإسقائه النبيذ حتى ضيّق عليه وكان يعقوب قد ضجر بموضعه فتاب إلى الله مما هو فيه واستقبل وقدّم النية فى تركه موضعه قال فكنت أقول للمهدى يا أمير المؤمنين والله لشربةُ خمر أشربها أتوب إلى الله منها أحبّ إلىّ مما أنا فيه وإنى لأركب إليك فأتمنى يداً خاطئة تصيبنى فى الطريق فأعفنى وولّ غيرى من شئت فانى أحب أن أسلم عليك أنا وولدى ووالله إنى لأتفزع فى النوم وليتنى أمور المسلمين وإعطاء الجند وليس دنياك عوضا من آخرتى قال فكان يقول لى اللهم غفراً اللهم أصلح قلبه قال فقال شاعر له

فَدَعْ عنك يعقوبَ بنَ داودَ جانبًا وأقبِلْ على صَهباءَ طَيّبةِ النَّشْرِ

(قال عبد الله بن عمر) وحدثنى جعفر بن أحمد بن زيد العلوىّ قال قال ابن سلام وهب المهدى لبعض ولد يعقوب بن داود جارية وكان بِضعف قال فلما كان

بعد أيام سأله عنها فقال يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلها ما وضعتُ بيني وبين الأرض مطية أوطأ منها حاشى سامع فالتفت المهدى إلى يعقوب فقال له من تراه يَعْنِى يعنيني أو يعنيك فقال له يعقوب من كل شيء تحفظ الأحمق إلا من نفسه وقال على ابن محمد النوفلى حدّثنى أبى قال كان يعقوب بن داود يدخل على المهدى فيخلو به ليلا يحادثه ويسامره فبينما هو ليلة عنده وقد ذهب من الليل أكثره خرج يعقوب من عنده وعليه طيلسان مصبوغ هاشمى وهو الأزرق الخفيف وكان الطيلسان قد دُق دقًا شديدا فهو يتقعقع وغلام آخذ بعنان دابته دابة له شهباء وقد نام الغلام فذهب يعقوب يسوى طيلسانه فتقعقع فنفر البرذون ودنا منه يعقوب فاستدبره فضربه ضربة على ساقه فكسرها وسمع المهدى الوجبة فخرج حافيا فلما رأى ما به أظهر الجزع والفزع ثم أمر به فحمل فى كرسى إلى منزله ثم غدا عليه المهدى مع الفجر وبلغ ذلك الناس فغدوا عليه فعاده أياما ثلاثة متتابعة ثم قعد عن عيادته وأقبل يرسل اليه يسأله عن حاله فلما فُقد وجهه تمكن السعاة من المهدى فلم تأت عليه عاشرة حتى أظهر السخط عليه فتركه فى منزله يعالج ونادى فى أصحابه ألا يوجد أحد عليه طيلسان يعقوبى وقلنسوة يعقوبية إلا أخذت ثيابه ثم أمر بيعقوب فحبس فى سجن نصر قال النوفلى وأمر المهدى بعزل أصحاب يعقوب عن الولايات فى الشرق والغرب وأمر أن يؤخذ أهل بيته وأن يحبسوا ففعل ذلك بهم وقال على بن محمد لما حبس يعقوب بن داود وأهل بيته وتفرّق عماله واختفوا وتشردوا أذكر المهدى قصته وقصة إسحاق بن الفضل فأرسل إلى إسحاق ليلا وإلى يعقوب فأتى به من محبسه فقال ألم تخبرنى بأن هذا وأهل بيته يزعمون أنهم أحق بالخلافة منا أهل البيت وأن لهم الكبر علينا فقال له يعقوب ما قلت لك هذا قط قال وتكذبنى وترد على قولى ثم دعا له بالسياط فضربه اثنى عشر سوطا ضربا مبرحا وأمر به فرد إلى الحبس قال وأقبل إسحاق يحلف أنه لم يقل هذا قط وأنه ليس من شأنه وقال فيما يقول وكيف أقول هذا يا أمير المؤمنين وقدمات جدّى فى الجاهلية وأبوك الباقى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووارثه فقال أخرجوه

فلما كان من الغد دعا بيعقوب فعاود ذلك الكلام الذى كلمه فى ليلته فقال يا أمير المؤمنين لا تعجل علىّ حتى أذكرك أتذكر وأنت فى طارمة على النهر وأنت فى البستان وأنا عندك إذ دخل أبو الوزير قال على وكان أبو الوزير ختن يعقوب بن داود على ابنة صالح بن داود فخبرك هذا الخبر عن إسحاق قال صدقت يا يعقوب قد ذكرتُ ذلك فاستحى المهدى واعتذر اليه من ضربه ثم ردّه إلى الحبس فمكث محبوسا أيام المهدى وأيام موسى كلها حتى أخرجه الرشيد بميله كان اليه فى حياة أبيه (وفيها) خرج موسى الهادى إلى جرجان وجعل على قضائه أبا يوسف يعقوب ابن إبراهيم (وفيها) تحول المهدى إلى عيساباذ فنزلها وهى قصر السلامة ونزل الناس بها معه وضرب بها الدنانير والدراهم (وفيها) أمر المهدى بإقامة البريد بين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين مكة واليمن بغالا وإبلا ولم يقم هنالك بريد قبل ذلك وفيها اضطربت خراسان على المسيب بن زهير فولاها الفضل بن سليمان الطوسى أبا العباس وضم اليه معها سجستان فاستخلف على سجستان تميم بن سعيد بن دعلج بأمر المهدى * وفيها أخذ داود بن روح بن حاتم وإسماعيل بن سليمان بن مجالد ومحمد بن أبى أيوب المكى ومحمد بن طيفور فى الزندقة فأقروا فاستتابهم المهدى وخلى سبيلهم وبعث بداود بن روح إلى أبيه روح وهو يومئذ بالبصرة عاملا عليها فمن عليه وأمره بتأديبه * وفيها قدم الوضاح الشروى بعبدالله بن أبى عبيدالله الوزير وهو معاوية بن عبيد الله الأشعرى من أهل الشأم وكان الذى يسعى به ابن شبابة وقدرمى بالزندقة * وقد ذكرنا أمره ومقتله قبل * وفيها ولى إبراهيم ابن يحيى بن محمد على المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الطائف ومكة عبيد الله بن قثم * وفيها عزل منصور بن يزيد بن منصور عن اليمن واستعمل مكانه عبد الله بن سليمان الربعىّ * وفيها حلى المهدى عبد الصمد بن علىّ من حبسه الذى كان فيه * وحج بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن يحيي بن محمد * وكان عامل الكوفة فى هذه السنة على الصلاة وأحداثها هاشم بن سعيد وعلى صلاة البصرة وأحداثها روح بن حاتم وعلى قضائها خالد بن طليق وعلى كور دجلة

وكسكر وأعمال البصرة والبحرين وكور الاهواز وفارس وكرمان المعلى مولى أمير المؤمنين وعلى خراسان وسجستان الفضل بن سليمان الطوسى وعلى مصر إبراهيم بن صالح وعلى إفريقية يزيد بن حاتم وعلى طبرستان والرويان وجرجان يحيى الحرشى وعلى دنباوند وقومس فراشة مولى المهدى وعلى الرى سعد مولى أمير المؤمنين ولم يكن فى هذه السنة صائفة للهدنة التى كانت فيها

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة

ذكر الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك ماكان من توجيه المهدى ابنه موسى فى جمع كثيف من الجند وجهاز لم يُجهز فيما ذكر أحد بمثله الى جرجان لحرب ونداهرمز وشروين صاحبى طبرستان وجعل المهدى حين جهز موسى اليها أبان بن صدقة على رسائله ومحمد بن جميل على جنده ونفيعاً مولى المنصور على حجابته وعلىّ بن عيسى بن ماهان على حرسه وعبدالله بن خازم على شرطه فوجه موسى الجنود إلى ونداهرمز وشروين وأمّر عليهم يزيد بن مزيد فحاصرهما (وفيها) توفى عيسى بن موسى بالكوفة ووالى الكوفة يومئذ روح بن حاتم فأشهد روح بن حاتم على وفاته القاضى وجماعة من الوجوه ثم دفن وقيل إن عيسى بن موسى توفى وروح على الكوفة لثلاث بقين من ذى الحجة فحضر روح جنازته فقيل له تقدم فأنت الأمير فقال ماكان الله ليرى روحا يصلى على عيسى بن موسى فليتقدم أكبر ولده فأبوا عليه وأبى عليهم فتقدم العباس بن عيسى فصلى على أبيه وبلغ ذلك المهدى فغضب على روح وكتب اليه * قد بلغنى ماكان من نكوصك عن الصلاة على عيسى أبنفسك أم بأبيك أم بجدك كنت تصلى عليه أو ليس إنما ذلك مقامى لو حضرت فإذ غبتَ كنتُ أنت أولى به لموضعك من السلطان فأمر بمحاسبته وكان يلى الخراج مع الصلاة والأحداث وتوفى عيسى والمهدى واجد عليه وعلى ولده وكان يكره التقدم عليه لجلالته (وفيها) جدّ المهدى فى طلب الزنادقة والبحث عنهم فى الآفاق

وقتلهم وولى أمرهم عمر الكلواذى فأخذ يزيد بن الفيض كاتب المنصور فأقر فيما ذكر فحبس فهرب من الحبس فلم يقدر عليه (وفيها) عزل المهدى أبا عبيد الله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسائل وولاه الربيع الحاجب فاستخلف عليه سعيد بن واقد وكان أبو عبيد الله يدخل على مرتبته (وفيها) فشا الموت وسعال شديد ووباء شديد ببغداد والبصرة (وفيها) توفى أبان بن صدقة بجرجان وهو كاتب موسى على رسائله فوجه المهدىّ مكانه أبا خالد الأحول يزيد خليفة أبى عبيد الله (وفيها) أمر المهدى بالزيادة فى المسجد الحرام فدخلت فيه دور كثيرة وولى بناء مازيد فيه يقطين بن موسى فكان فى بنائه إلى أن توفى المهدى (وفيها) عُزل يحيى الحرشى عن طبرستان والرُّويان وما كان اليه من تلك الناحية وولىها عمر بن العلاء وولى جرجان فراشة مولى المهدى وعزل عنها يحيى الحرشى (وفيها) اظلمت الدنيا لليال بقين من ذى الحجة حتى تعالى النهار ولم يكن فيها صائفة للهدنة التى كانت بين المسلمين والروم وحج بالناس فى هذه السنة ابراهيم بن يحيى بن محمد وهو على المدينة ثم توفى بعد فراغه من الحج وقدومه المدينة بأيام وولى مكانه اسحق بن عيسى بن على (وفيها) طُعن عقبة بن سلم الهنائى بعيساباذ وهو فى دار عمر بن بزيع اغتاله رجل فطعنه بخنجر فمات فيها وكان العامل على مكة والطائف فيها عبيد الله بن قثم وعلى اليمن سليمان بن يزيد الحارثى وعلى اليمامة عبد الله بن مصعب الزبيرى وعلى صلاة الكوفة وأحداثها روح بن حاتم وعلى صلاة البصرة وأحداثها محمد بن سليمان وعلى قضائها عمر بن عثمان التيمى وعلى كور دجلة وكسكر وأعمال البصرة والبحرين وعمان وكور الأهواز وفارس وكرمان المعلى مولى المهدى وعلى خراسان وسجستان الفضل بن سليمان الطوسى وعلى مصر موسى بن مصعب وعلى افريقية يزيد بن حاتم وعلى طبرستان والرويان عمر بن العلاء وعلى جرجان ودنباوند وقومس فراشة مولى المهدى وعلى الرى سعد مولى أمير المؤمنين

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

فمن ذلك ما كان من نقض الروم الصلح الذى كان جرى بينهم وبين هارون ابن المهدى الذى ذكرناه قبل وغدرهم وذلك فى شهر رمضان من هذه السنة فكان بين أول الصلح وغدر الروم ونكثهم به اثنان وثلاثون شهراً فوجه على ابن سليمان وهو يومئذ على الجزيرة وقنسرين يزيد بن بدر بن البطال فى سرية إلى الروم فغنموا وظفروا (وفيها) وجه المهدى سعيد الحرشى إلى طبرستان فى أربعين ألف رجل (وفيها) مات عمر الكلواذى صاحب الزنادقة وولى مكانه حمدَوَيه وهو محمد بن عيسى من أهل ميسان (وفيها) قتل المهدى الزنادقة ببغداد (وفيها) رد المهدى ديوانه وديوان أهل بيته إلى المدينة ونقله من دمشق اليها (وفيها) خرج المهدى إلى نهر الصلة أسفل واسط وإنما سمى نهر الصلة فيما ذكر لأنه أراد أن يُقطع أهل بيته وغيرهم غُلته يصلهم بذلك (وفيها) ولى المهدى على ابن يقطين ديوان زمام الأزمة على عمر بن بزيع * وذكر أحمد بن موسى بن حمزة عن أبيه قال أول من عمل ديوان الزمام عمر بن بزيع فى خلافة المهدى وذلك أنه لما جمعت له الدواوين تفكر فاذا هو لا يضبطها إلا بزمام يكون له على كل ديوان فاتخذ دواوين الأزمة وولى كل ديوان رجلا فكان واليه على زمام ديوان الخراج إسماعيل بن صبيح ولم يكن لبنى أمية دواوين أزمة (وحج) بالناس فى هذه السنة على بن محمد المهدى الذى يقال له ابن ريطة

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

فمما كان فيها من ذلك خروج المهدى فى المحرم إلى ماسَبَذان

ذكر الخبر عن خروجه اليها

ذكر أن المهدى كان فى آخر أمره قد عزم على تقديم هارون ابنه على ابنه

موسى الهادى وبعث اليه وهو بجرجان بعض أهل بيته ليقطع أمر البيعة ويقدم الرشيد فلم يفعل فبعث اليه المهدى بعض الموالى فامتنع عليه موسى من القدوم وضرب الرسول فخرج المهدى بسبب موسى وهو يريده بجرجان فأصابه ما أصابه * وذكر الباهلى أن أبا شاكر أخبره وكان من كتاب المهدى على بعض دواوينه قال سأل على بن يقطين المهدى أن يتغدى عنده فوعده أن يفعل ثم اعتزم على إتيان ماسَبَذان فوالله لقد أمر بالرحيل كأنه يساق اليها سوقا فقال له على يا أمير المؤمنين إنك قد وعدتنى أن تتغدى عندى غدا قال فاحمل غداءك إلى النهروان قال فحمله فتغدى بالنهروان ثم انطلق (وفيها) توفى المهدى

ذكر الخبر عن سبب وفاته

اختلف فى ذلك فذكر عن واضح قهرمان المهدى قال خرج المهدى يتصيد بقرية يقال لها الرذ بماسبذان فلم أزل معه إلى بعد العصر وانصرفت إلى مضربى وكان بعيدا من مضربه فلما كان فى السحر الأكبر ركبت لإقامة الوظائف فإنى لأسير فى برية وقد انفردت عمن كان معى من غلمانى وأصحابى إذ لقينى أسود عريان على قتود رحل فدنا منى ثم قال لى أبا سهل عظم الله أجرك فى مولاك أمير المؤمنين فهممت أن أعلوه بالسوط فغاب من بين يدى فلما انتهيت إلى الرواق لقينى مسرور فقال لى أبا سهل عظم الله أجرك فى مولاك أمير المؤمنين فدخلت فإذا أنا به مسجًّى فى قبة فقلت فارقتكم بعد صلاة العصر وهو أسر ما كان حالا وأصحه بدنا فما كان الخبرُ قال طردت الكلابُ ظبياً فلم يزل يتبعها فاقتحم الظبى باب خربة فاقتحمت الكلاب خلفه واقتحم الفرس خلف الكلاب فدُقَّ ظهرُه فى باب الخربة فمات من ساعته * وذكر أن على بن أبى نعيم المروزى قال بعثت جارية من جوارى المهدى إلى ضرة لها بلباء فيه سم وهو قاعد فى البستان بعد خروجه من عيساباذ فدعا به فأكل منه ففرِقت الجارية أن تقول له إنه مسموم * وحدثنى أحمد بن محمد الرازى أن المهدى كان جالساً فى عُلّيّة فى قصر بماسَبَذان يشرف من منظرة فيها على سفله وكانت جاريته حسنة قد عمدت لى كمثراتين كبيرتين فجعلتهما فى صينية

وسمت واحدة منهما وهى أحسنهما وأنضجهما فى أسفلها وردت القمع فيها ووضعتها فى أعلى الصينية وكان المهدى يعجبه الكمثرى وأرسلت بذلك مع وصيفة لها إلى جارية للمهدى وكان يتحظاها تريد بذلك قتلها فمرت الوصيفة بالصينية التى فيها تلك الكمثرى تريد دفعها إلى الجارية التى أرسلتها حسنة إليها بحيث يراها المهدى من المنظرة فلما رآها ورأى معها الكمثرى دعا بها فمد يده إلى الكمثراة التى فى أعلى الصينية وهى المسمومة فأكلها فلما وصلت إلى جوفه صرخ جوفى وسمعت حسنة الصوت وأخبرت الخبر فجاءت تلطم وجهها وتبكى وتقول أردت أن أنفرد بك فقتلتك يا سيدى فهلك من يومه * وذكر عبد الله بن اسماعيل صاحب المراكب قال لما صرنا إلى ماسبذان دنوت إلى عنانه فأمسكت به وما به علة فوالله ما أصبح إلا ميتا فرأيت حسنة وقد رجعت وان على قبتها المسوح فقال أبو العتاهية فى ذلك

رُحْنَ فى الوَشْى وأَصْبَحْـ   ـنَ عليهنّ المُسُوحُ
كل نَطّاحٍ مِنَ الدَّهْـ   ـرِ له يومٌ نَطوحُ
لَسْتَ بالباقى ولو عُـ   ـمِّرْتَ ما عُمِّرَ نوحُ
فَعَلى نفسِكَ نُحْ إن   كنتَ لا بُدَّ تَنُوحُ

وذكر صالح القارئ أن علىّ بن يقطين قال كنا مع المهدى بماسبذان فأصبح يوما فقال إنى أصبحت جائعاً فأتى بأرغفة ولحم بارد مطبوخ بالخل فأكل منه ثم قال إنى داخلٌ إلى البهو ونائم فيه فلا تنبهونى حتى أكون أنا الذى أنتبه ودخل البهو فنام وبينما نحن فى الدار فى الرواق فانتبهنا ببكائه فقمنا اليه مسرعين فقال أما رأيتم ما رأيت قلنا ما رأينا شيئا قال وقف على الباب رجل لو كان فى ألف أو فى مائة ألف رجل ما خفى علىّ فأنشد يقول

كأنى بهذا القصرِ قد بادَ أهلهُ   وأوحَش منه رَبْعُهُ ومنازلُهْ
وصار عميدُ القومِ مِنْ بعدِ بهجة   ومُلكٍ إلى قبر عليه جنادله
فلم يَبْقَ إلا ذكرُهُ وحديثُهُ   تُنادى عليه معْولاتٍ حلائله

قال فما أتت عليه عاشرة حتى مات وكانت وفاته فيما قال أبو معشر والواقدى

فى سنة ١٦٩ ليلة الخميس لثمان بقين من المحرم وكانت خلافته عشر سنين وشهرا ونصف شهر وقال بعضهم كانت خلافته عشر سنين وتسعة وأربعين يوما وتوفى وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وقال هشام بن محمد ملك أبو عبد الله المهدى محمد بن عبد الله سنة ١٥٨ فى ذى الحجة لست ليال خلون منه فملك عشر سنين وشهرا واثنين وعشرين يوما ثم توفى سنة ١٦٩ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة.

ذكر الخبر عن الموضع الذى دفن فيه ومن صلى عليه

ذكر أن المهدى توفى بقرية من قرى ما سبذان يقال لها الرذّ وفى ذلك يقول بكار بن رباح.

أَلَا رحمةُ الرحمنِ فى كلِّ ساعة على رِمَّةٍ رَمَّتْ بِماسَبَذانِ
لقد غَيَّبَ القبرُ الذى تم سُودَدا وَكَفَّيْنِ بالمعروفِ تَبْتَدِرانِ

وصلى عليه ابنه هارون ولم توجد له جنازة يُحمل عليها فحُمل على باب ودفن تحت شجرة جوز كان يجلس تحتها وكان طويلا مصمر الخلق جعدا واختلف فى لونه فقال بعضهم كان أسمر وقال بعضهم كان أبيض وكان فى عينه اليمنى فى قول بعضهم نكتة بياض وقال بعضهم كان ذلك بعينه اليسرى وكان وُلد بإيذج

ذكر بعض سير المهدى وأخباره

ذكر عن هارون بن أبى عبيد الله قال كان المهدىّ إذا جلس للمظالم قال أدخلوا علىّ القضاة فلو لم يكن ردى للمظالم إلا للحياء منهم لكفى * وذكر الحسن بن أبى سعيد قال حدثنى علىّ بن صالح قال جلس المهدى ذات يوم يعطى جوائز تقسم بحضرته فى خاصته من أهل بيته والقواد وكان يُقرأ عليه الأسماء فيأمر بالزيادة العشرة الآلاف والعشرين الألف وما أشبه ذلك فعرض عليه بعض القواد فقال يُحط هـذا خمسمائة قال لم حططتنى يا أمير المؤمنين قال لأنى وجهتك إلى عدو لنا فانهزمت قال كان يسرك أن أقتـل قال لا قال فوالذى أكرمك بما أكرمك به من الخلافة لو ثبت لقتلت فاستحى المهدى منه وقال زده خمسة آلاف قال الحسن وحدثنى على بن صالح قال غضب المهدى على بعض القواد وكان عتب

عليه غير مرة فقال له إلى متى تذنب إلىّ وأعفو قال إلى أبد نسىء ويبقيك الله فتعفو عنا فكررها عليه مرات فاستحى منه ورضى عنه وذكر محمد بن عمر عن حفص مولى مزينة عن أبيه قال كان هشام الكلبى صديقا لى فكنا نتلاقى فنتحدث ونتناشد فكنت أراه فى حال رثة وفى أخلاق على بغلة هزيل والضر فيه بيّن وعلى بغلته فما راعنى إلا وقد لقينى يوما على بغلة شقراء من بغال الخلافة وسرج ولجام من سروج الخلافة ولجمها فى ثياب جياد ورائحة طيبة فأظهرت السرور ثم قلت له أرى نعمة ظاهرة قال لى نعم أخبرك عنها فاكتم بينا أنا فى منزلى منذ أيام بين الظهر والعصر إذ أتانى رسول المهدى فسرت اليه ودخلت عليه وهو جالس خال ليس عنده أحد وبين يديه كتاب فقال ادنُ ياهشام فدنوت فجلست بين يديه فقال خذ هذا الكتاب فاقرأه لا يمنعك مافيه مما تستفظعه أن تقرأه قال فنظرت فى الكتاب فلما قرأت بعضه استفظعته فألقيته من يدى ولعنت كاتبه فقال لى قد قلت لك إن استفظعته فلا تلقه اقرأه بحقى عليك حتى تأتى على آخره قال فقرأته فإذا كتاب قد ثلبه فيه كاتبه ثلباً عجيباً لم يبقِ له فيه شيئاً فقلت ياأمير المؤمنين من هذا الملعون الكذاب قال هذا صاحب الأندلس قال قلت فالثلب والله ياأمير المؤمنين فيه وفى آبائه وفى أمهاته قال ثم اندرأت أذكر مثالبهم قال فسُرّ بذلك وقال أقسمت عليك لما أمللت مثالبهم كلها على كاتب قال ودعا بكاتب من كتاب السر فأمره فجلس ناحية وأمرنى فضرت اليه فصدر الكاتب من المهدى جواباً وأمللت عليه مثالبهم فأكثرت فلم أبق شيئا حتى فرغت من الكتاب ثم عرضته عليه فأظهر السرور ثم لم أبرح حتى أمر بالكتاب فختم وجُعل فى خريطة ودُفع إلى صاحب البريد وأمر بتعجيله إلى الأندلس قال ثم دعا لى بمنديل فيه عشرة أثواب من جياد الثياب وعشرة آلاف درهم وهذه البغلة بسرجها ولجامها فأعطانى ذلك وقال لى اكتم ماسمعت قال الحسن وحدثنى مسور بن مساور قال ظلمنى وكيل للمهدى وغصبنى ضيعة لى فأتيت سلاما صاحب المظالم فتظلمت منه وأعطيته رقعة مكتوبة فأوصل الرقعة إلى المهدى وعنده عمه العباس بن محمد وابن علاثة وعافية القاضى قال فقال لى المهدى ادنه فدنوت فقال ما تقول

قلت ظلمتنى قال فترضى بأحد هذين قال قلت نعم قال فادن منى فدنوت منه حتى التزقت بالفراش قال تكلم قلت أصلح الله القاضى انه ظلمنى فى ضيعتى هذا فقال القاضى ماتقول ياأمير المؤمنين قال ضيعتى وفى يدى قال قلت أصلح الله القاضى سله صارت الضيعة اليه قبل الخلافة أو بعدها قال فسأله ماتقول ياأمير المؤمنين قال صارت إلى بعد الخلافة قال فأطلقها له قال قد فعلت فقال العباس بن محمد والله ياأمير المؤمنين لهذا المجلس أحب الى من عشرين ألف ألف درهم قال وحدثنى عبد الله بن الربيع قال سمعت مجاهداً الشاعر يقول خرج المهدى متنزها ومعه عمر بن بزيع مولاه قال فانقطعنا عن العسكر والناس فى الصيد فأصاب المهدى جوع فقال ويحك هل من شىء قال مامن شىء قال أرى كوخاً وأظنها مبقلة فقصدنا قصده فاذا نبطى فى كوخ ومقبلة فسلمنا عليه فرد السلام فقلنا له هل عندك شىء نأكل قال نعم عندى ربيثاء وخبز شعير فقال المهدى إن كان عندك زيت فقد أكملت قال نعم ماشئت وتمر قال فعدا نحو المبقلة فأتاهم ببقل وكراث وبصل فأكلا أكلا كثيراً وكراث قال نعم وشبعا فقال المهدى لعمر بن بزيع قل فى هذا شعراً فقال

إِنَّ مَنْ يُطْعِمُ الرُّبَيْثاءَ بالزَّيـ ... ـتِ وخُبزَ الشعير بالكُرّاث
لحقيقٌ بِصَفْعَةٍ أو بِثِنْتَيـ ... ـنِ لِسوءِ الصَّنيعِ أَوْ بِثَلَاثِ

فقال المهدى بئس ماقلت ليس هكذا

لحقيقٌ بِبَدْرَةٍ أَوْ بِثِنْتَيـ ... ـنِ لحسْنِ الصَّنيعِ أَوْ بِثَلَاثِ

قال ووافى العسكر والخزائن والخدم فأمر للنبطى بثلاث بدر وانصرف ❊ وذكر محمد بن عبد الله ❊ قال أخبرنى أبو غانم قال كان زيد الهلالى رجلا شريفا سخياً مشهورا من بنى هلال وكان نقش خاتمه أفلح يازيد من زكى عمله فبلغ ذلك المهدى فقال زيد الهلالى نقش خاتمه أفلح يازيد من زكى عمله قال وقال الحسن الوصيف أصابتنا ريح فى أيام المهدى حتى ظننا أنها تسوقنا إلى المحشر فخرجت أطلب أمير المؤمنين فوجدته واضعا خده على الأرض يقول اللهم احفظ محمداً فى أمته اللهم لاتشمت بنا أعداءنا من الأمم اللهم إن كنت أخذت هذا العالم

بذنبى فهذه ناصيتى بين يديك قال فما لبثنا إلا يسيراً حتى انكشفت الريح وانجلى ما كنا فيه وقال الموصلى قال عبد الصمد بن علىّ قلت للمهدى ياأمير المؤمنين انا أهل بيت قد أشرب قلوبنا حب موالينا وتقديمهم وإنك قد صنعت من ذلك ما أفرطت فيه قد وليتهم أمورك كلها وخصصتهم فى ليلك ونهارك ولا آمن تغيير قلوب جندك وقوادك من أهل خراسان قال ياأبا محمد ان الموالى يستحقون ذلك ليس أحد يجتمع لى فيه أن أجلس للعامة فأدعو به فأرفعه حتى تحك ركبته ركبتى ثم يقوم من ذلك المجلس فاستكفيه سياسة دابتى فيكفيها لا يرفع نفسه عن ذلك إلا موالى هؤلاء فانهم لا يتعاظمهم لى ذلك ولو أردت هذا من غيرهم لقال أين وليك والمتقدم فى دعوتك وأين من سبق إلى دعوتك لا أدفّعه عن ذلك قال على بن محمد قال الفضل بن الربيع قال المهدى لعبد الله ابن مالك صارع مولاى هذا فصارعه فأخذ بعنقه فقال المهدى شدّ فلما رأى ذلك عبد الله أخذ برجله فسقط على رأسه فصرعه فقال عبد الله للمهدى ياأمير المؤمنين قمت من عندك وأنا من أحب الناس إليك فلم تزل علىّ مع مولاك قال أما سمعت قول الشاعر

وَمَوْلَاكَ لا يُهْضَمْ لديْكَ فإنما هضيمةُ مولى القومِ جَدْعُ المناخِرِ

قال أبو الخطاب لما حضرت القاسم ين مجاشع التميمىّ من أهل مرو بقرية يقال لها باران الوفاة أوصى إلى المهدى فكتب شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام إلى آخر الآية ثم كتب والقاسم بن مجاشع يشهد بذلك ويشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن علىّ بن أبى طالب وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووارث الإمامة بعده قال فعُرضت الوصية على المهدىّ فلما بلغ هذا الموضع رمى بها ولم ينظر فيها قال أبو الخطاب فلم يزل ذلك فى قلب أبى عبيد الله الوزير فلما حضرته الوفاة كتب فى وصيته هذه الآية قال وقال الهيثم بن عدىّ دخل على المهدى رجل فقال ياأمير المؤمنين إن المنصور شتمنى وقذف أمى فإما

أمرتنى أن أحله وإلا عوضتنى واستغفرت الله له قال ولم شتمك قال شتمت عدوه بحضرته فغضب قال ومن عدوه الذى غضب لشتمه قال إبراهيم بن عبد الله ابن حسن قال إن إبراهيم أمس به رحما وأوجب عليه حقا فان كان شتمك كما زعمت فعن رحمه ذبّ وعن عِرضه دفع وما أساء من انتصر لابن عمه قال إنه كان عدواً له قال فلم ينتصر للعداوة وإنما انتصر للرحم فأسكت الرجل فلما ذهب ليولى قال لعلك أردت أمراً فلم تجد له ذريعة عندك أبلغ من هذه الدعوى قال نعم قال فتبسم وأمر له بخمسة آلاف درهم قال وأتى المهدىّ برجل قد تنبأ فلما رآه قال أنت نبىّ قال نعم قال وإلى من بعثت قال وتركتمونى أذهب إلى من بعثت إليه وجهت بالغداة فأخذتمونى بالعشىّ ووضعتمونى فى الحبس قال فضحك المهدى منه وخلى سبيله * وذكر أبو الأشعث الكندىّ قال حدثنى سليمان بن عبد الله قال قال الربيع رأيت المهدىّ يصلى فى بهو له فى ليلة مقمرة فما أدرى أهو أحسن أم البهو أم القمر أم ثيابه قال فقرأ هذه الآية (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) قال فتمّ صلاته والتفت الىّ فقال يا ربيع قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال علىّ بموسى وقام الى صلاته قال فقلت من موسى ابنه موسى أو موسى بن جعفر وكان محبوسا عندى قال فجعلت أفكر قال فقلت ماهو الا موسى بن جعفر قال فأحضرته قال فقطع صلاته وقال ياموسى انى قرأت هذه الآية «فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطّعوا أرحامكم» فخفت أن أكون قد قطعت رحمك فوثق لى أنك لاتخرج علىّ قال فقال نعم فوثق له وخلاه * وذكر ابراهيم بن أبى على قال سمعت سليمان ابن داود يقول سمعت المهدى يحدر بنا فى محراب المسجد على اللحن اليتيم «ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يُؤمنون بالجبْت والطاغوت» فى سورة النساء * وذكر على بن محمد بن سليمان قال حدّثنى أبى قال حضرتُ المهدىّ وقد جلس للمظالم فتقدم اليه رجل من آل الزبير فذكر ضيعة اصطفاها عن أبيه بعض مُلوك بنى أمية ولا أدرى الوليد أم سليمان فأمر أبا عبيد الله أن يخرج ذكرها

من الديوان العتيق ففعل فقرأ ذكرها على المهدى وكان ذلك أنها عُرضت على عدة منهم لم يروا ردّها منهم عمر بن عبد العزيز فقال المهدى يا زبيرى هذا عمر بن عبد العزيز وهو منكم معشر قريش كما علمتم لم يرر دّها قال وكلّ أفعال عمر ترضى قال وأى أفعاله لا ترضى قال منها أنه كان يفرض للسقط من بنى أمية فى خرقه فى الشرف من العطاء ويفرض للشيخ من [بنى هاشم فى ستين قال يا معاوية أ كذلك كان يفعل عمر قال نعم قال اردد على الزبيرى ضيعته * وذكر عمر بن شبّة أن أبا سلمة الغفارى حدّثه قال كتب المهدى إلى جعفر بن سليمان وهو عامل المدينة أن يحمل اليه جماعة اتهموا بالقدر فحمل اليه رجالا منهم عبد الله بن أبى عبيدة بن محمد ابن عمار بن ياسر وعبد الله بن يزيد بن قيس الهذلىّ وعيسى بن يزيد بن داب الليثىّ وابراهيم بن محمد بن أبى بكر الأسامى فادخلوا على المهدى فانبرى له عبد الله ابن أبى عبيدة من بينهم فقال هذا دين أبيك ورأيهُ قال لا ذاك عمى داود قال لا إلا أبوك على هذا فارَقنا وبه كان يدين فأطلقهم * وذكر علىّ بن محمد بن سليمان النوفلى قال حدّثنى أبى عن محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب قال رأيت فيما يرى النائم فى آخر سلطان بنى أمية كأنى دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعت رأسى فنظرت فى الكتاب الذى فى المسجد بالفسافسا فاذا فيه مما أمر به أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وإذا قائل يقول يمحو هذا الكتاب ويكتب مكانه اسم رجل من بنى هاشم يقال له محمد قال فقلت أنا محمد وأنا من بنى هاشم فابن من قال ابن عبد الله قلت فأنا ابن عبد الله فاين مَن قال ابن محمد قلت فأنا ابن محمد فابن من قال ابن على قلت فأنا ابن على فابن مَن قال ابن عبد الله قلت فأنا ابن عبد الله فأين مَن قال ابن عباس فلو لم أكن بلغت العباس ما شككت أنى صاحب الأمر قال فتحدثت بهذه الرؤيا فى ذلك الدهر ونحن لا نعرف المهدى فتحدّث الناس بها فدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه فنظر فرأى اسم الوليد فقال وانى لأرى اسم الوليد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليوم فدعا بكرسىّ فألقى له فى صحن المسجد

وقال ماأنا ببارح حتى يمحى ويكتب اسمى مكانه وأمر أن يحضر العُمّال والسلاليم ومايحتاج اليه فلم يبرح حتى غير وكتب اسمه * وذكر أحمد بن الهيثم القُرَشى قال حدثنا عبدالله بن محمد بن عطاء قال خرج المهدى بعد هدأة من الليل يطوف بالبيت فسمع أعرابيّة من جانب المسجد وهى تقول قومى مقترون نبت عنهم العيون وفدحتهم الديون وعضتهم السنون بادت رجالهم وذهبت أموالهم وكثر عيالهم أبناء سبيل وإنضاء طريق وصية الله ووصية الرسول فهل من آمر لى بخير كلأه الله فى سفره وخلفه فى أهله قال فأمر نصيراً الخادم فدفع اليها خمسمائة درهم * وذكر على بن محمد بن سليمان قال سمعت أبى يقول كان أول من افترش الطبرى المهدى وذلك أن أباه كان أمره بالمقام بالرىّ فأهدى اليه الطبرى من طبرستان فافترشه وجعل الثلج والخلاف حوله حتى فُتح لهم الخيش فطاب لهم الطبرى فيه * وذكر محمد بن زياد قال قال المفضل قال لى المهدى اجمع لى الأمثال مما سمعتها من البدو وماصح عندك قال فكتبت له الأمثال وحروب العرب مما كان فيها فوصلنى وأحسن إلى قال على بن محمد كان رجل من ولد عبد الرحمن بن سمرة أراد الوثوب بالشأم فحمل إلى المهدى فخلى سبيله وأكرمه وقرب مجلسه فقال له يوما أنشدنى قصيدة زهير التى هى على الراء وهى

لِمَنِ الدّيَارُ بِقُنّةِ الحَجْرِ

فأنشده فقال السمرى ذهب والله من يقال فيه مثل هذا الشعر فغضب المهدى واستجهله ونحاه ولم يعاقبه واستحمقه الناس * وذكر أن أباعون عبد الملك بن يزيد مرض فعاده المهدى فاذا منزل رث وبناء سوء وإذا طاق صفته التى هو فيها لبن قال وإذا مضربة ناعمة فى مجلسه فجلس المهدى على وسادة وجلس أبوعون بين يديه فبره المهدى وتوجع لعلته وقال أبوعون أرجو عافية الله ياأمير المؤمنين وألا يمتنى على فراشى حتى أقتل فى طاعتك وإنى لواثق بأن لاأموت حتى أبلى الله فى طاعتك ماهو أهله فإنا قد رُوينا ورَوينا قال فأظهر له المهدى رأيا جميلا وقال أوصنى بحاجتك وسلنى ماأردت واحتكم فى حياتك ومماتك فوالله لئن عجز

مالك عن شيء توصى به لاحتملنه كائنا ماكان فقل وأوص قال فشكر أبو عون ودعا وقال ياأمير المؤمنين حاجتى أن ترضى عن عبد الله بن أبى عون وتدعو به فقد طالت موجدتك عليه قال فقال ياأباعون إنه على غير الطريق وعلى خلاف رأينا ورأيك إنه يقع فى الشيخين أبى بكر وعمر ويسيء القول فيهما قال فقال أبو عون هو والله ياأمير المؤمنين على الأمر الذى خرجنا عليه ودعونا اليه فان كان قد بدا لكم فمرونا بما أحببتم حتى نُطيعكم قال فانصرف المهدى فلما كان فى الطريق قال لبعض من كان معه من ولده وأهله مالكم لاتكونون مثل أبى عون والله ما كنت أظن منزله إلا مبنيا بالذهب والفضة وأنتم إذا وجدتم درهما بنيتم بالساج والذهب * وذكر أبو عبد الله قال حدثنى أبى قال خطب المهدى يوما فقال عباد الله اتقوا الله فقام اليه رجل فقال وأنت فاتق الله فإنك تعمل بغير الحق قال فأخذ فُحمل فجعلوا يتلقونه بنعال سيوفهم فلما أدخل عليه قال ياابن الفاعلة تقول لى وأنا على المنبر اتق الله قال سوءة لك لو كان هذا من غيرك كنت المستعدى بك عليه قال ماأراك الا نبطيا قال ذاك أوكد للحجة عليك أن يكون نبطى يأمرك بتقوى الله قال فرأى الرجل بعد ذلك فكان يحدث بما جرى بينه وبين المهدى قال فقال أبى وأنا حاضر إلا أنى لم أسمع الكلام وقال هارون بن ميمون الخزاعى حدثنا أبو خزيمة البادغيسى قال قال المهدى ومانوسل إلى أحد بوسيلة ولا تذرع بذريعة هى أقرب من تذكيره إياى يدا سلفت منى اليه أتبعها أختها فأحسن ربها لأن منع الأواخر يقطع شكر الأوائل قال وذكر خالد بن يزيد بن وهب بن جرير أن أباه حدثه قال كان بشار بن برد بن يرجوخ هجا صالح بن داود بن طهمان أخا يعقوب بن داود حين ولى البصرة فقال

هُمُ حَمَلوا فوقَ المنابر صالحاً أخاكَ فَضَجّتْ مِنْ أخيك المنابرُ

فبلغ يعقوب بن داود هجاؤه فدخل على المهدى فقال ياأمير المؤمنين ان هذا الأعمى المشرك قد هجا أمير المؤمنين قال ويلك وما قال قال يعفينى أمير المؤمنين من إنشاده ذلك قال فأبى عليه إلا أن ينشده فأنشده

خليفةٌ يَزْنى بِعَمّاتِهِ يَلعَبُ بالدَّبُّوقِ والصَّولجَانْ
أبْدَلَنا اللهُ به غيرَهُ وَدَسَّ موسى فى حرِ الخيزُران

قال فوجه فى حمله فخاف يعقوب بن داود أن يقدم على المهدى فيمتدحه فيعفو عنه فوجه اليه من يلقيه فى البطيحة فى الخرّارة * وذكر عبد الله بن عمرو حدثنى جدى أبو الحى العبسى قال لما دخل مروان بن أبى حفصة على المهدى فأنشده شعره الذى يقول فيه

أَنَّى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ لِبَنِى البناتِ وِراثَةُ الأعمامِ

فأجازه بسبعين ألف درهم فقال مروان

بسبعين ألفاً راشَنى من حِبَائِهِ وما نالها فى الناس من شاعرٍ قبلى

وذكر أحمد بن سليمان قال أخبرنى أبو عدنان السلمى قال قال المهدى لعمارة ابن حمزة من أرق الناس شعرا قال والبة بن الحباب الأسدى وهو الذى يقول

ولها وَلا ذَنبَ لها حُبٌّ كأطْرافِ الرِّماحِ
فى القلبِ يَقدَحُ والحشا فالقلبُ مجروحُ النَّواحى

قال صدقت والله قال فما يمنعك من منادمته يا أمير المؤمنين وهو عربى شريف شاعر ظريف قال يمنعنى والله من منادمته قوله

قلتُ لساقينا على خَلوةٍ أَدْنِ كذا رأسَكَ مِنْ رأسى
وَنمْ على وجهك لى ساعةً إنى امرؤٌ أنكِحُ جَلّاسى

أفتريد أن تكون جلاسه على هذه الشريطة * وذكر محمد بن سلام أنه كان فى زمان المهدى إنسان ضعيف يقول الشعر إلى أن مدح المهدى قال فأدخل عليه فأنشده شعراً يقول فيه * وَجَوارٍ زَفرَاتٍ * فقال له المهدى أى شىء زفرات قال وما تعرفها أنت يا أمير المؤمنين قال لا والله قال فأنت أمير المؤمنين وسيد المسلمين وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعرفها اعرفها أنا كلا والله قال ابن سلام أخبرنى غير واحد أن طريح بن اسماعيل الثقفى دخل على المهدى فانتسب له وسأله أن يسمع منه فقال ألست الذى يقول للوليد بن يزيد

أنت ابنُ مُسْلنطِح البِطاح ولَمْ يَطرُقْ عليك الحَنِىُّ والولَجُ

والله لا تقول لى فى مثل هذا أبداً ولا أسمع منك شعرا وإن شئت وصلتك

وذكر أن المهدى أمر بالصوم سنة ٦٦ ليستسقى للناس فى اليوم الرابع فلما كان فى الليلة الثالثة أصابهم الثلج فقال لقيط بن بكير المحاربى فى ذلك

يا إمام الهدى سُقينا بك الغيـ ـثَ وزالتْ عنا بك اللأواء
بِتَّ تعنِي بالحفظِ والناسُ نُوّا مٌ عليهم مِن الظلامِ غِطاءُ
رَقَدوا حيثُ طال ليلكَ فيهمْ لك خوفٌ تضرُّعٌ وبكاءُ
قد عَنتكَ الأمورُ منهم على الغفـ ـلة مِن مَعْشرٍ عَصوا وأساؤا
وسُقينا وقد قُحِطنا وقلنا سنةٌ قد تنكَّرَتْ حمراءُ
بِدُعاءٍ أخلصتَهُ فى سوادِ الـ ـليلِ لله فاستُجيب الدعاءُ
بثلوجٍ تُحْيِي بها الأرض حتى أصبَحَت وهْيَ زهرَةٌ خضراءُ

* وذكر أن الناس فى أيام المهدى صاموا شهر رمضان فى صميم الصيف وكان أبو دلامة إذ ذاك يطالب بجائزة وعدها إياه المهدى فكتب إلى المهدى رقعة يشكو إليه فيها مالقى من الحر والصوم فقال فى ذلك

أَدْعُوكَ بالرَّحِمِ التى جَمَعَتْ لنا فى القربِ بين قريبنا والأبْعَدِ
ألا سمعتَ وأنت أكرمُ مَنْ مَشَى مِنْ مُنْشِدٍ يَرجو جزاءَ المُنشِدِ
حَل الصيامُ فصمتُهُ مُتعَبّداً أرجو ثوابَ الصائم المُتعبِّدِ
وسَجدتُ حتى جَبْهَتى مشجوجةٌ مما أكافُ مِنْ نطاح المسجد

قال فلما قرأ المهدى الرقعة دعا به فقال أى قرابة بينى وبينك يا ابن اللخناء قال رحم آدم وحواء فضحك منه وأمر له بجائزة * وذكر على بن محمد قال حدثنى أبى عن إبراهيم بن خالد المعيطى قال دخلت على المهدى وقد وصف له غنائى فسألنى عن الغناء وعن علمى به وقال لى تغنى النواقيس قلت نعم والصليب يا أمير المؤمنين فصرفنى وبلغنى أنه قال معيطى ولا حاجة لى إليه فيمن أدنيه من خلوى ولا آنس به ولمعبد المغنى النواقيس فى هذا الشعر

سَلى دارَ لَيلى هل تُجيبُ فَتَنطقُ وأَنَّى تَرُدُّ القولَ بَيْداءُ سَمْلَقُ
وانَّى تَرُدُ القول دارٌ كأنها لِطُولِ بلاها والتَّقادُمِ مُهْرَقُ

* وذكر قعنب بن محرز أبو عمرو الباهلى أن الأصمعى حدثه قال رأيت حكم الوادى حين مضى المهدى إلى بيت المقدس فعرض له فى الطريق وكان له شعيرات وأخرج دفاله يضرب به وقال أنا القائل

فَمَتى تَخرُجُ العروُسُ فقد طال حبسُها
قد دنا الصبحُ أو بدا وَهْىَ لم تقض لُبسُها

فتسرع إليه الحرس فصيَّح بهم كفوا وسأل عنه فقيل حكم الوادى فأدخله إليـه ووصله * وذكر على بن محمد أنه سمع أباه يقول دخل المهدى بعض دوره يوما فإذا جارية له نصرانية وإذا جيبها واسع وقد انكشف عما بين ثدييها وإذا صليب من ذهب معلق فى ذلك الموضع فاستحسنه فمد يده إليه فجذبه فأخذه فولولت على الصليب فقال المهدى فى ذلك

يوم نازَعتُها الصليبَ فقالت وَيْح نفسى أما تَحِل الصليبا

قال وأرسل إلى بعض الشعراء فأجازه وأمر به فغنى فيـه وكان معجباً بهذا الصوت قال وسمعت أبى يقول إن المهدى نظر الى جارية له عليها تاج فيـه نرجس من ذهب وفضة فاستحسنه فقال * ياحبذا النرجس فى التاج *

فارتج عليه فقال من بالحضرة قالوا عبد الله بن مالك فدعاه فقال إنى رأيت جارية لى فاستحسنت تاجا عليها فقلت * ياحبذا النرجس فى التاج

فتستطيع أن تزيد فيه قال نعم يا أمير المؤمنين ولكن دعنى أخرج فأفكر قال شأنك فخرج وأرسل الى مؤدب لولده فسأله أجازته فقال

* على جَبينٍ لاحَ كالعاجِ *

وأتمها أبياتا أربعة فأرسل بها عبد الله الى المهدى فأرسل اليه المهدى بأربعين ألفا فأعطى المؤدب منها أربعة آلاف وأخذ الباقى لنفسه وفيها غناء معروف * وذكر أحمد بن موسى بن مضر أبو على قال أنشدنى التوزى فى حسنة جاريته

أرى ماءً وبِى عَطَشٌ شديدٌ ولكن لا سبيل إلى الورُودِ
أما يكفيك أنكِ تملكينى وأنَّ الناسَ كلهُم عبيدى
وأنكِ لو قطعْتِ يدَى ورجلى لقلتُ مِنَ الرّضى أَحسَنتِ زيدى

* وذكر على بن محمد عن أبيه قال رأيت المهدى وقد دخل البصرة من قبل سكة قريش فرأيته يسير والبانوقة بين يديه بينه وبين صاحب الشرطة عليها قباء أسود متقلدة سيفا فى هيئة الغلمان قال وإنى لأرى فى صدرها شيئا من ثديها قال علىٌّ وحدثنى أبى قال قدم المهدى إلى البصرة فمر فى سكة قريش وفيها منزلنا وكانت الولاة لا تمر فيها إذا قدم الوالى كانوا يتشاءمون بها قلّ وال مر فيها فأقام فى ولايته إلا يسيرا حتى يعزل ولم يمر فيها خليفة قط إلا المهدى كانوا يمرون فى سكة عبد الرحمن ابن سمرة وهى تساوى سكة قريش فرأيت المهدى يسير وعبد الله بن مالك على شرطه يسير أمامه فى يده الحربة وابنته البانوقة تسير بينه بين يديه وبين صاحب الشرطة فى هيئة الفتيان عليها قباء أسود ومنطقة وشاشية متقلدة السيف وإنى لأرى ثدييها قد رفعا القباء لنهودهما قال وكانت البانوقة سمراء حسنة القد حلوة فلما ماتت وذلك ببغداد أظهر عليها المهدى جزعا لم يسمع بمثله فجلس للناس يعزونه وأمر ألا يحجب عنه أحدا فأكثر الناس فى التعازى واجتهدوا فى البلاغة وفى الناس من ينتقد هذا عليهم من أهل العلم والأدب فأجمعوا على أنهم لم يسمعوا تعزية أوجز ولا أبلغ من تعزية شبيب بن شيبة فإنه قال يا أمير المؤمنين الله خير لها منك وثواب الله خير لك منها وأنا أسأل الله ألا يحزنك ولا يفتنك * وذكر صباح ابن عبد الرحمن قال حدثنى أبى قال توفيت البانوقة بنت المهدى فدخل عليه شبيب ابن شيبة فقال أعطاك الله يا أمير المؤمنين على مارزئت أجرا وأعقبك صبرا لا أجهد الله بلاءك بنقمة ولا نزع منك نعمة ثواب الله خير لك منها ورحمة الله خير لها منك وأحق ماصبر عليه مالا سبيل إلى رده

خلافة الهادى

(وفى هذه السنة) بويع لموسى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله ابن العباس بالخلافة يوم توفى المهدى وهو مقيم بجرجان يحارب أهل طبرستان وكانت وفاة المهدى بماسبذان ومعه ابنه هارون ومولاه الربيع ببغداد خلفه بها فذكر أن الموالى والقواد لما توفى المهدى اجتمعوا إلى ابنه هارون وقالوا له إن علم الجند بوفاة المهدى لم تأمن الشغب والرأى أن يحمل وتنادى فى الجند بالقفل حتى تواريه ببغداد فقال هارون ادعوا إلىّ أبى يحيى بن خالد البرمكى وكان المهدى ولى هارون المغرب كله من الأنبار إلى افريقية وأمر يحيى بن خالد أن يتولى ذلك فكانت إليه أعماله ودواوينه يقوم بها ويخلفه على مايتولى منها إلى أن توفى قال فصار يحيى بن خالد إلى هارون فقال له ياأبت ماتقول فيما يقول عمر بن بزيع ونصير والمفضل قال وما قالوا فأخبره قال ماأرى ذلك قال ولمَ قال لأن هذا مالايخفى ولا آمن اذا علم الجند أن يتعلقوا بمحمله ويقولوا لانخليه حتى نعطى لثلاث سنين وأكثر ويتحكموا ويشتطوا ولكن أرى أن يوارى رحمه الله ههنا وتوجه نصيراً الى أمير المؤمنين الهادى بالخاتم والقضيب والتهنئة والتعزية فان البريد الى نصير فلا ينكر خروجه أحدا إذكان على بريد الناحية وأن تأمر لمن معك من الجند بجوائز مائتين مائتين وتنادى فيهم بالقفول فانهم اذا قبضوا الدراهم لم تكن لهم همة سوى أهاليهم وأوطانهم ولا عرجة على شىء دون بغداد قال ففعل ذلك وقال الجند لما قبضوا الدراهم بغداد بغداد يتبادرون اليها ويبعثون على الخروج من ماسبذان فلما وافوا بغداد وعلموا خبر الخليفة ساروا الى باب الربيع فأحرقوه وطالبوا بالأرزاق وضجوا وقدم هارون بغداد فبعثت الخيزران الى الربيع والى يحيى بن خالد تشاورهما فى ذلك فأما الربيع فدخل عليها وأما يحيى فلم يفعل ذلك لعلمه بشدة غيرة موسى قال وجمعت الأموال حتى أعطى الجند لسنتين فسكتوا وبلغ الخبر الهادى فكتب الى الربيع كتابا يتوعده فيه

بالقتل وكتب الى يحيي بن خالد يجزيه الخير ويأمره أن يقوم من أمر هارون بما لم يزل يقوم به وأن يتولى أموره وأعماله على مالم يزل يتولاه قال فبعث الربيع الى يحيي بن خالد وكان يوده ويثق به ويعتمد على رأيه ياأبا على ماترى فانه لاصبر لى على جر الحديد قال أرى ألا تبرح موضعك وأن توجه ابنك الفضل يستقبله ومعه من الهدايا والطرف ماأمكنك فانى لأرجو أن لايرجع الا وقد كفيت ماتخاف ان شاء الله قال وكانت أم الفضل ابنه بحيث تسمع منهما مناجاتهما فقلت له نصحك والله قال فانى أحب أن أوصى اليك فانى لا أدرى مايحدث فقالت لست أنفرد لك بشىء ولا أدع مايجب وعندى فى هذا وغيره ماتحب ولكن أشرك معى فى ذلك الفضل ابنك وهذه المرأة فانها جزلة مستحقة لذلك منك ففعل الربيع ذلك وأوصى اليهم قال الفضل بن سليمان ولما شغب الجند على الربيع ببغداد وأخرجوا من كان فى حبسه وأحرقوا أبواب دوره فى الميدان حضر العباس بن محمد وعبد الملك بن صالح ومحرز بن ابراهيم ذلك فرأى العباس أن يرضوا وتطيب أنفسهم وتفرق جماعتهم باعطائهم أرزاقهم فبذل ذلك لهم فلم يرضوا ولم يثقوا بما ضمن لهم من ذلك حتى ضمنه محرز بن ابراهيم فقنعوا بضمانه وتفرقوا فوفى لهم بذلك وأعطوا رزق ثمانية عشر شهراً وذلك قبل قدوم هارون فلما قدم وكان هو خليفة موسى الهادى ومعه الربيع وزيرا له فوجه الوفود الى الأمصار ونعى اليهم المهدى وأخذ بيعتهم لموسى الهادى وله بولاية العهد من بعده وضبط أمر بغداد وقد كان نصير الوصيف شخص من ماسبذان من يومه إلى جرجان بوفاة المهدى والبيعة له فلما صار إليه نادى بالرحيل وخرج من فوره على البريد جواداً ومعه من أهل بيته إبراهيم وجعفر ومن الوزراء عبيد الله بن زياد الكاتب صاحب رسائله ومحمد بن جميل كاتب جنده فلما شارف مدينة السلام استقبله الناس من أهل بيته وغيرهم وقد كان احتمل على الربيع ماكان منه وما صنع من توجيه الوفود وإعطائه الجنود قبل قدومه وقد كان الربيع وجه ابنه الفضل فتلقاه بما أعد له من الهدايا فاستقبله بهمذان فأدناه وقربه وقال كيف خلفت

مولاى فكتب بذلك إلى أبيه فاستقبله الربيع فعاتبه الهادى فاعتذر اليه وأعلمه السبب الذى دعاه إلى ذلك فقبله وولاه الوزارة مكان عبيدالله بن زياد بن أبى ليلى وضم اليه ما كان عمر بن بزيع يتولاه من الزمام وولى محمد بن جميل ديوان خراج العراقين وولى عبيدالله بن زياد خراج الشأم وما يليه وأقر على حرسه علىّ بن عيسى ابن ماهان وضم اليه ديوان الجند وولى شرطه عبدالله بن مالك مكان عبدالله بن حازم وأقر الخاتم فى يد علىّ بن يقطين وكانت موافاة موسى الهادى بغداد عند منصرفه من جرجان لعشر بقين من صفر من هذه السنة سار فيماذكر عنه من جرجان إلى بغداد فى عشرين يوما فلما قدمها نزل القصر الذى يسمى الخلد فأقام به شهرا ثم تحول إلى بستان أبى جعفر ثم تحول إلى عيساباذ ﴿وفى هذه السنة﴾ هلك الربيع مولى أبى جعفر المنصور ﴿وقد ذكر﴾ على بن محمد النوفلىّ أن أباه حدثه أنه كانت لموسى الهادى جارية وكانت حظية عنده وكانت تحبه وهو بجرجان حين وجهه اليها المهدىّ فقالت أبياتا وكتبت اليه وهو مقيم بجرجان منها

يابَعيدَ المَحَلِّ أمسى بجرجانَ نازِلا

قال فلما جاءته البيعة وانصرف إلى بغداد لم تكن له همة غيرها فدخل عليها وهى تغنى بأبياتها فأقام عندها يومه وليلته قبل أن يظهر لأحد من الناس ﴿وفى هذه السنة﴾ اشتد طلب موسى الزنادقة فقتل منهم فيها جماعة فكان ممن قتل منهم يزدان بن باذان كاتب يقطين وابنه علىّ بن يقطين من أهل النهروان ذكر عنه أنه حج فنظر إلى الناس فى الطواف يهرولون فقال ماأشبههم إلا ببقر تدوس فى البيدر وله يقول العلاء بن الحداد الأعمى

أيا أمينَ اللهِ فى خَلقِهِ ... ووارثَ الكعبةِ والمِنبر
ماذا تَرَى فى رجلٍ كافرٍ ... يُشَبِّهُ الكعبةَ بالبَيْدَرْ
ويجعلُ الناسَ إذا ماسَعَوْا ... حُمرًا تدوسُ البُرَّ والدَّوْسَرْ

فقتله موسى ثم صلبه فسقطت خشبته على رجل من الحاج فقتلته وقتلت حماره

وقتل من بنى هاشم يعقوب بن الفضل * وذكر عن على بن محمد الهاشمى قال كان
المهدى أتى بابن لداود بن على زنديقا وأتى بيعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن
ابن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب زنديقا فى مجلسين متفرقين فقال لكل
واحد منهما كلاما واحدا وذلك بعد أن أقرا له بالزندقة أما يعقوب بن الفضل
فقال له أقر بها بينى وبينك فأما أن أظهر ذلك عند الناس فلا أفعل ولو قرضتنى
بالمقاريض فقال له ويلك لو كشفت لك السموات وكان الأمر كما تقول كنت
حقيقا أن تعصب لمحمد ولولا محمد صلى الله عليه وسلم من كنت هل كنت الا
إنسانا من الناس أما والله لولا أنى كنت جعلت لله على عهداً إذ ولانى هذا الأمر
ألا أقتل هاشميا لما ناظرتك ولقتلتك ثم التفت إلى موسى الهادى فقال ياموسى
أقسمت عليك بحقى إن وليت هذا الأمر بعدى ألا تناظرهما ساعة واحدة فمات
ابن داود بن على فى الحبس قبل وفاة المهدى وأما يعقوب فبقى حتى مات المهدى
وقدم موسى من جرجان فساعة دخل ذكر وصية المهدى فأرسل إلى يعقوب
من ألقى عليه فراشا وأقعدت الرجال عليه حتى مات ثم لهى عنه ببيعته وتشديد
خلافته وكان ذلك فى يوم شديد الحر فبقى يعقوب حتى مضى من الليل هدء فقيل
لموسى ياأمير المؤمنين إن يعقوب قد انتفخ وأروح قال ابعثوا به إلى أخيه إسحاق
ابن الفضل فخبروه أنه مات فى السجن فجعل فى زورق وأتى به إسحاق فنظر فاذا
ليس فيه موضع للغسل فدفنه فى بستان له من ساعته وأصبح فأرسل إلى الهاشميين
يخبرهم بموت يعقوب ويدعوهم إلى الجنازة وأمر بخشبة فعملت فى قدّ الإنسان
فغشيت قطنا وألبسها أكفانا ثم حملها على السرير فلم يشك من حضرها أنه شىء
مصنوع وكان ليعقوب ولد من صلبه عبد الرحمن والفضل وأروى وفاطمة فاما
فاطمة فوجدت حبلى منه وأقرت بذلك قال على بن محمد قال أبى فأدخلت فاطمة
وامرأة يعقوب بن الفضل وليست بهاشمية يقال لها خديجة على الهادى أو على
المهدى من قبل فأقرتا بالزندقة وأقرت فاطمة أنها حامل من أبيها فأرسل بهما
إلى ريطة بنت أبى العباس فرأتهما مكتحلتين مختضبتين فعذلتهما وأكثرت على

الابنة خاصة فقالت أكرهني قالت فما بال الخضاب والكحل والسرور إن كنت مكرهة ولعنتهما قال فخبرت أنهما فزعتا فماتتا فزعا ضُرب على رؤوسهما بشيء يقال له الرعبوب ففزعتا منه فماتتا وأما أروى فبقيت فتزوجها ابن عمها الفضل ابن اسماعيل بن الفضل وكان رجلا لا بأس به فى دينه (وفيها) قدم ونداهرمز صاحب طبرستان إلى موسى بأمان فأحسن صلته ورده إلى طبرستان

ذكر بقية الخبر عن الأحداث التى كانت سنة تسع وستين ومائة

ومما كان فيها خروج الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبى طالب المقتول بفخ

ذكر الخبر عن خروجه ومقتله

* ذكر عن محمد بن موسى الخوارزمى أنه قال كان بين موت المهدى وخلافة الهادى ثمانية أيام قال ووصل اليه الخبر وهو بجرجان وإلى أن قدم مدينة السلام إلى خروج الحسين بن على بن الحسن وإلى أن قتل الحسين تسعة أشهر وثمانية عشر يوما * وذكر محمد بن صالح أن أبا حفص السلمى حدثه * قال كان إسحاق بن عيسى بن علىّ على المدينة فلما مات المهدى واستخلف موسى شخص إسحاق وافداً إلى العراق إلى موسى واستخلف على المدينة عمر ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب * وذكر الفضل بن إسحق الهاشمى أن إسحق بن عيسى بن على استعفى الهادى وهو على المدينة واستأذنه فى الشخوص إلى بغداد فأعفاه وولى مكانه عمر بن عبد العزيز وأن سبب خروج الحسين بن علىّ بن الحسن كان أن عمر بن عبد العزيز لما تولى المدينة كما ذكر الحسين ابن محمد عن أبى حفص السلمىّ أخذ أبا الزفت الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن ومسلم بن جندُب الشاعر الهذلىّ وعمر بن سلام مولى آل عمر على شراب لهم فأمر بهم فضربوا جميعا ثم أمر بهم فجُعل فى أعناقهم حبال وطيف بهم فى المدينة فكلم فيهم وصار اليه الحسين بن علىّ فكلمه وقال ليس هذا عليهم وقد ضربتهم ولم يكن لك أن تضربهم لأن أهل العراق لا يرون به بأساً فلمَ تطوف بهم فبعث اليهم وقد

بلغوا البلاط فردهم وأمر بهم إلى الحبس فحبسوا يوما وليلة ثم كلم فيهم فأطلقهم جميعا وكانوا يُعرضون ففقد الحسن بن محمد وكان الحسين بن على كفيله قال محمد ابن صالح وحدثنى عبد الله بن محمد الانصارى أن العُمَرى كان كفل بعضهم من بعض فكان الحسين بن على بن الحسن ويحيى بن عبد الله بن الحسن كفيلين بالحسن ابن محمد بن عبد الله بن الحسن وكان قد تزوج مولاة لهم سوداء ابنة أبى ليث مولى عبد الله بن الحسن فكان يأتيها فيقيم عندها فغاب عن العرض يوم الأربعاء والخميس والجمعة وعرضهم خليفة العمرى عشية الجمعة فأخذ الحسين بن على ويحيى بن عبد الله فسألهما عن الحسن بن محمد فغلّظ عليهم بعض التغليظ ثم انصرف إلى العمرى فأخبره خبرهم وقال له أصلحك الله الحسن بن محمد غائب مذ ثلاث فقال ائتنى بالحسين ويحيى فذهب فدعاهما فلما دخلا عليه قال لهما أين الحسن بن محمد قالا والله ما ندرى إنما غاب عنا يوم الأربعاء ثم كان يوم الخميس فبلغنا أنه اعتل فكنا نظن أن هذا اليوم لا يكون فيه عرض فكلمهما بكلام أغاظ لهما فيه فحلف يحيى بن عبد الله ألا ينام حتى يأتيه به أو يضرب عليه باب داره حتى يعلم أنه قد جاءه به فلما خرجا قال له الحسين سبحان الله ما دعاك إلى هذا ومن أين تجد حسنا حلفت له بشىء لا تقدر عليه قال انما حلفتُ على حسن قال سبحان الله فعلى أى شىء حلفت قال والله لا نمت حتى أضرب عليه باب داره بالسيف قال فقال حسين نكسر بهذا ما كان بيننا وبين أصحابنا من الصلة قال قد كان الذى كان فلا بد منه وكانوا قد تواعدوا على أن يخرجوا بمنى أو بمكة فى الموسم فيما ذكروا وقد كان قوم من أهل الكوفة من شيعتهم وممن كان بايع لحسين متكمنين فى دار فانطلقوا فعملوا فى ذلك من عشيتهم ومن ليلتهم حتى إذا كان فى آخر الليل خرجوا وجاء يحيى بن عبد الله حتى ضرب باب دار مروان على العمرى فلم يجده فيها فجاء إلى منزله فى دار عبد الله بن عمر فلم يجده أيضاً فيها وتوارى منهم فجاؤا حتى اقتحموا المسجد حتى إذا أذنوا بالصبح فجلس الحسين على المنبر وعليه عمامة بيضاء وجعل الناس يأتون المسجد فإذا رأوهم رجعوا ولا يصلون فلما صلى الغداة

جعل الناس يأتونه ويبايعونه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم للمرتضى من آل محمد وأقبل خالد البربرى وهو يومئذ على الصوافى بالمدينة قائد على مائتين من الجند مقيمين بالمدينة وأقبل فيمن معه وجاء العمرى ووزير ابن اسحاق الأزرق ومحمد بن واقد الشروى ومعهم ناس كثير فيهم الحسين بن جعفر بن الحسين بن الحسين على حمار واقتحم خالد البربرى الرحبة وقد ظاهر بين درعين وبيده السيف وعمود فى منطقته مصلتا سيفه وهو يصيح بحسين أنا كسكاس قتلنى الله إن لم أقتلك وحمل عليهم حتى دنا منهم فقام اليه ابنا عبد الله بن حسن يحيى وإدريس فضربه يحيى على أنف البيضة فقطعها وقطع أنفه وشرقت عيناه بالدم فلم يبصر فبرك يذبب عن نفسه بسيفه وهو لا يبصر واستدار له إدريس من خلفه فضربه وصرعه وعلواه بأسيافهما حتى قتلاه وشد أصحابهما على درعيه فخلعوهما عنه وانتزعوا سيفه وعموده فجاءوا به ثم أمروا به فجر إلى البلاط وحملوا على أصحابه فانهزموا قال عبد الله بن محمد هذا كله بعينى * وذكر عبد الله بن محمد أن خالداً ضرب يحيى بن عبد الله فقطع البرنس وخلعت ضربته إلى يد يحيى فأثرت وضربه يحيى على وجهه واستدار رجل أعور من أهل الجزيرة فأتاه من خلفه فضربه على رجليه واعتوروه بأسيافهم فقتلوه قال عبد الله بن محمد ودخل عليهم المسودة المسجد حين دخل الحسين بن جعفر على حماره وشدت المبيضة فأخرجوهم وصاح بهم الحسين ارفقوا بالشيخ يعنى الحسين بن جعفر وانتهب بيت المال فأصيب فيه بضعة عشر ألف دينار فضلت من العطاء وقيل إن ذلك كان سبعين ألف دينار كان بعث بها عبد الله بن مالك يفرض بها من خزاعة قال وتفرق الناس وأغلق أهل المدينة عليهم أبوابهم فلما كان من الغد اجتمعوا واجتمعت شيعة ولد العباس فقاتلوهم بالبلاط فيما بين رحبة دار الفضل والزوراء وجعل المسودة يحملون على المبيضة حتى يبلغوا بهم رحبة دار الفضل وتحمل المبيضة عليهم حتى يُبلغ بهم الزوراء وفشت الجراحات بين الفريقين جميعاً فاقتتلوا إلى الظهر ثم افترقوا فلما كان فى آخر النهار من اليوم الثانى يوم الأحد جاء الخبر بأن مباركا التركى ينزل

بئر المطلب فنشط الناس فخرجوا اليه فكلموه أن يجىء فجاء من الغد حتى أتى الثنية واجتمع اليه شيعة بنى العباس ومن أراد القتال فاقتتلوا بالبلاط أشد قتال إلى انتصاف النهار ثم تفرقوا وجاء هؤلاء إلى المسجد ومضى الآخرون إلى مبارك التركى إلى دار عمر بن عبدالعزيز بالثنية يقيل فيها وواعد الناس الرواح فلما غفلوا عنه جلس على رواحله فانطلق وراح الناس فلم يجدوه فناوشوهم شيئاً من القتال إلى المغرب ثم تفرقوا وأقام حسين وأصحابه أياما يتجهزون وكان مقامهم بالمدينة أحد عشر يوما ثم خرج يوم أربعة وعشرين لست بقين من ذى القعدة فلما خرجوا من المدينة عاد المؤذنون فأذنوا وعاد الناس إلى المسجد فوجدوا فيه العظام التى كانوا يأكلون وآثارهم فجعلوا يدعون الله عليهم فعل الله بهم وفعل قال محمد بن صالح فحدثنى بصير بن عبدالله بن ابراهيم الجمحى أن حسيناً لما انتهى إلى السوق متوجها إلى مكة التفت إلى أهل المدينة وقال لا خلف الله عليكم بخير فقال الناس وأهل السوق لا بل أنت لا خلف الله عليك بخير ولا ردك وكان أصحابه يحدثون فى المسجد فملؤوه قذراً وبولا فلما خرجوا غسل الناس المسجد قال وحدثنى ابن عبد الله بن ابراهيم قال أخذ أصحاب الحسين ستور المسجد فجعلوها خفاتين لهم قال ونادى أصحاب الحسين بمكة أيما عبد أتانا فهو حر فأتاه العبيد وأتاه عبد كان لأبى فكان معه فلما أراد الحسين أن يخرج أتاه أبى فكلمه وقال له عمدت إلى مماليك لم تملكهم فأعتقتهم بم تستحل ذلك فقال حسين لأصحابه اذهبوا به فأى عبد عرفه فادفعوه اليه فذهبوا معه فأخذ غلامه وغلامين لجيران لنا وانتهى خبر الحسين إلى الهادى وقد كان حج فى تلك السنة رجال من أهل بيته منهم محمد بن سليمان ابن علىّ والعباس بن محمد وموسى بن عيسى سوى من حج من الأحداث وكان على الموسم سليمان بن أبى جعفر فأمر الهادى بالكتاب بتولية محمد بن سليمان على الحرب فقيل له عمك العباس بن محمد قال دعونى لا والله لا أخدع عن ملكى فنفذ الكتاب بولاية محمد بن سليمان بن علىّ على الحرب فلقيهم الكتاب وقد انصرفوا عن الحج وكان محمد بن سليمان قد خرج فى عدة من السلاح والرجال وذلك

لأن الطريق كان مخوفا معوراً من الأعراب ولم يحتشد لهم حسين فأتاه خبرهم فهم بصوبه فخرج بخدمه وإخوانه وكان موسى بن علىّ بن موسى قدصار ببطن نخل على الثلاثين من المدينة فانتهى الخبر ومعه إخوانه وجواريه وانتهى الخبر إلى العباس ابن محمد بن سليمان وكاتبهم وساروا إلى مكة فدخلوا فأقبل محمد بن سليمان وكانوا أحرموا بعمرة ثم صاروا إلى ذى طوى فعسكروا بها ومعهم سليمان بن أبى جعفر فانضم اليهم من وافى فى تلك السنة من شيعة ولد العباس ومواليهم وقوادهم وكان الناس قد اختلفوا فى تلك السنة فى الحج وكثروا جداً ثم قدم محمد بن سليمان قدامه تسعين حافراً ما بين فرس إلى بغل وهو على نجيب عظيم وخلفه أربعون راكباً على النجائب عليها الرحال وخلفهم ما بين راكب على الحمير سوى من كان معهم من الرجالة وغيرهم وكثروا فى أعين الناس جداً وملؤا فظنوا أنهم أضعافهم فطافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة وحلوا من عمرتهم ثم مضوا فأتوا ذا طوى ونزلوا وذلك يوم الخميس فوجه محمد بن سليمان أبا كامل مولى لاسماعيل بن على فى نيف وعشرين فارسا وذلك يوم الجمعة فلقيهم وكان فى أصحاب رجل يقال له زيد كان انقطع إلى العباس فأخرجه معه حاجا لما رأى من عبادته فلما رأى القوم قلب ترسه وسيفه وانقلب اليهم وذلك ببطن مرّ ثم ظفروا به بعد ذلك مشدّخا بالأعمدة فلما كان ليلة السبت وجهوا خمسين فارساً كان أول من ندبوا صباح أبو الذيال ثم آخر ثم آخر فكان أبو خلوة الخادم مولى محمد خامسا فأتوا المفضل مولى المهدى فأرادوا أن يصيروه عليهم فأبى وقال لا ولكن صيروا عليهم غيرى وأكون أنا معهم فصيروا عليهم عبد الله بن حميد بن رزين السمرقندى وهو يومئذ شاب ابن ثلاثين سنة فذهبوا وهم خمسون فارسا وذلك ليلة السبت فدنا القوم ورجعت الخيل وتعبأ الناس فكان العباس بن محمد وموسى بن عيسى فى الميسرة ومحمد بن سليمان فى الميمنة وكان معاذ بن مسلم فيما بين محمد بن سليمان والعباس بن محمد فلما كان قبل طلوع الفجر جاء حسين وأصحابه فشد ثلاثة من موالى سليمان بن علىّ أحدهم زنجويه غلام حسان فجاءوا برأس فطرحوه قدام محمد

ابن سليمان وقد كانوا قالوا من جاء برأس فله خمسمائة درهم وجاء أصحاب محمد فعرقبوا الإبل فسقطت محاملها فقتلوهم وهزموهم وكانوا اخرجوا من تلك الثنايا فكان الذين خرجوا مما يلى محمد بن سليمان أقلهم وكان جلهم خرجوا مما يلى موسى بن عيسى وأصحابه فكانت الصدمة بهم فلما فرغ محمد بن سليمان ممن يليه وأسفروا انظروا إلى الذين يلون موسى ابن عيسى فإذاهم مجتمعون كأنهم كبة غزل التفّت القلب والميمنة عليهم وانصرفوا نحو مكة لا يدرون ما حال الحسين فما شعروا وهم بذى طوى أو قريباً منها إلا برجل من أهل خراسان يقول البشرى البشرى هذا رأس حسين فأخرجه وبجبهته ضربة طولا وعلى قفاه ضربة أخرى وكان الناس نادوا بالأمان حين فرغوا فجاء الحسن ابن محمد أبو الزفت مغمضا إحدى عينيه قد أصابها شىء فى الحرب فوقف خلف محمد والعباس واستدار به موسى بن عيسى وعبد الله بن العباس فأمر به فقتل فغضب محمد بن سليمان من ذلك غضباً شديداً ودخل محمد بن سليمان مكة من طريق والعباس ابن محمد من طريق واحتزت الرؤس فكانت مائة رأس ونيّفا فيها رأس سليمان بن عبدالله بن حسن وذلك يوم التروية وأخذت أخت الحسين وكانت معه فصيرت عند زينب بنت سليمان واختلطت المنهزمة بالحجاج فذهبوا وكان سليمان بن أبى جعفر شاكيا فلم يحضر القتال ووافى عيسى بن جعفر الحج تلك السنة وكان مع أصحاب حسين رجل أعمى يقص عليهم فقتل ولم يقتل أحد منهم صبرا قال الحسين بن محمد ابن عبدالله وأسر موسى بن عيسى أربعة نفر من أهل الكوفة ومولى لبنى عجل وآخر قال محمد بن صالح حدثنى محمد بن داود بن على قال حدثنا موسى بن عيسى قال قدمت معى بستة أسارى وقال الهادى هيه تقتل أسيرى فقلت يا أمير المؤمنين إنى فكرت فيه فقلت تجىء عائشة وزينب إلى أم أمير المؤمنين فتبكيان عندها وتكلمانها فتكلم له أمير المؤمنين فيطلقه ثم قال هات الأسرى فقلت إنى جعلت لهم العهد والمواثيق بالطلاق والعتاق فقال ائتنى بهم وأمر باثنين فقتلا وكان الثالث منكرا فقلت يا أمير المؤمنين هذا أعلم الناس بآل أبى طالب فإن استبقيته ذلك على كل بغية لك فقال نعم والله يا أمير المؤمنين إنى أرجو أن يكون بقائى صنعاً لك فأطرق ثم قال

والله لإفلاتك من يدى بعد أن وقعت فى يدى لشديد فلم يزل يكلمه حتى أمر به أن يؤخر وأمر أن يكتب له طلبته وأما الآخر فصفح عنه وأمر بقتل عذافر الصيرفى وعلى بن السابق الفلاس الكوفى وأن يصلبا فصلبوهما بباب الجسر وأسرا بفخ وغضب على مبارك التركى وأمر بقبض أمواله وتصييره فى ساسة الدواب وغضب على موسى بن عيسى لقتله الحسن بن محمد وأمر بقبض أمواله وقال عبد الله بن عمرو الثلجى حدثنى محمد بن يوسف بن يعقوب الهاشمى قال حدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى قال أفلت إدريس بن عبد الله بن حسن ابن حسن بن على بن أبى طالب من وقعة فخ فى خلافة الهادى فوقع إلى مصر وعلى بريد مصر واضح مولى لصالح بن أمير المؤمنين المنصور وكان رافضياً خبيثا فحمله على البريد إلى أرض المغرب فوقع بأرض طنجة بمدينة يقال لها وليلة فاستجاب له من بها وبأعراضها من البربر فضرب الهادى عنق واضح وصلبه ويقال إن الرشيد الذى ضرب عنقه وأنه دس إلى إدريس الشماخ اليمامى مولى المهدى وكتب له كتابا إلى إبراهيم بن الأغلب عامله على أفريقية فخرج حتى وصل إلى وليلة وذكر أنه متطبب وأنه من أوليائهم ودخل على ادريس فأنس به واطمأن إليه وأقبل الشماخ يريه الإعظام له والميل إليه والإيثار له فنزل عنده بكل منزلة ثم إنه شكا إليه علة فى أسنانه فأعطاه سنونا مسموما قاتلا وأمره أن يستن به عند طلوع الفجر لليلته فلما طلع الفجر استن إدريس بالسنون وجعل يرده فى فيه ويكثر منه فقتله وطلب الشماخ فلم يظفر به وقدم على إبراهيم بن الأغلب فأخبره بما كان منه وجاءته بعد مقدمه الأخبار بموت إدريس فكتب ابن الأغلب إلى الرشيد بذلك فولى الشماخ بريد مصر وأخباره فقال فى ذلك بعض الشعراء أظنه الهنازى

أَتَظُن يا إِدْرِيسُ أَنَّكَ مُفْلِتٌ كَيْدَ الخَلِيفَةِ أَوْ يُفِيدُ فِرارُ
فَلْيُدْرِكَنَّكَ أَوْ تَحِلَّ بِبَلْدَةٍ لا يَهْتَدِى فِيها إِلَيْكَ نَهارُ
إِنَّ السُّيُوفَ إِذا انْتَضاها سُخْطُهُ طالَتْ وَقَصَّرَ دُونَها الأَعْمارُ
مَلِكٌ كأَنَّ المَوْتَ يَتْبَعُ أَمْرَهُ حتى يقالَ تُطِيعُهُ الأَقْدارُ

وذكر الفضل بن إسحاق الهاشمى أن الحسين بن على لما خرج بالمدينة وعليها العمرى لم يزل العمرى مختفيا مقام الحسين بالمدينة حتى خرج إلى مكة وكان الهادى وجه سليمان بن أبى جعفر لولاية الموسم وشخص معه من أهل بيته ممن أراد الحج العباس بن محمد وموسى بن عيسى واسماعيل بن عيسى بن موسى فى طريق الكوفة ومحمد بن سليمان وعدة من ولد جعفر بن سليمان على طريق البصرة ومن الموالى مبارك التركى والمفضل الوصيف وصاعد مولى الهادى وكان صاحب الأمر سليمان ومن الوجوه المعروفين يقطين بن موسى وعبيد بن يقطين وأبو الورد عمر بن مطرف فاجتمعوا عند الذى بلغهم من توجه الحسين ومن معه الى مكة ورأسوا عليهم سليمان بن أبى جعفر لولايته وكان قد جعل أبو كامل مولى اسماعيل على الطلائع فلقوه بفخ وخلفوا عبيد الله بن قثم بمكة للقيام بأمرها وأمر أهلها وقد كان العباس بن محمد أعطاهم الأمان على ما أحدثوا وضمن لهم الإحسان اليهم والصلة لأرحامهم وكان رسولهم فى ذلك المفضل الخادم فأبوا قبول ذلك فكانت الوقعة فقتل من قتل وانهزم الناس ونودى فيهم بالأمان ولم يتبع هارب وكان فيمن هرب يحيى وادريس ابنا عبد الله بن حسن فأما ادريس فلحق بتاهَرْت من بلاد المغرب فلجأ اليهم فأعظموه فلم يزل عندهم الى أن تُلطف له واحتيل عليه فهلك وخلفه ابنه إدريس بن إدريس فهو إلى اليوم بتلك الناحية مالكين لها وانقطعت عنهم البعوث قال المفضل بن سليمان لما بلغ العمرى وهو بالمدينة مقتل الحسين بفخ وثب على دار الحسين ودور جماعة من أهل بيته وغيرهم ممن خرج مع الحسين فهدمها وحرق النخل وقبض مالم يحرقه وجعله فى الصوافى والمقبوضة قال وغضب الهادى على مبارك التركى لما بلغه من صدوده عن لقاء الحسين بعد أن شارف المدينة وأمر بقبض أمواله وتصييره فى سياسة دوابه فلم يزل كذلك إلى وفاة الهادى وسخط على موسى بن عيسى لقتله الحسن بن محمد بن عبد الله أبى الزفت وتركه أن يقدم به أسيرا فيكون المحكم فى أمره وأمَرَ بقبض أمواله فلم تزل مقبوضة إلى أن توفى موسى وقدم على موسى ممن أسر بفخ الجماعة وكان فيهم عذافر الصيرفى وعلى بن سابق

الفلاس الكوفى فأمر بضرب أعناقهما وصلبهما بباب الجسر ببغداد ففعل ذلك
قال ووجه مهرويه مولاه إلى الكوفة وأمره بالتغليظ عليهم لخروج من خرج
منهم مع الحسين وذكر على بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن نوفل بن الحارث
ابن عبد المطلب قال حدثنى يوسف البرم مولى آل الحسن وكانت أمه مولاة فاطمة
بنت حسن قال كنت مع حسين أيام قدم على المهدى فأعطاه أربعين ألف دينار
ففرقها فى الناس ببغداد والكوفة والله ماخرج من الكوفة وهو يملك شيئا يلبسه
إلا فروآ ماتحته قميص وإزار الفراش ولقدكان فى طريقه إلى المدينة إذا نزل
استقرض من مواليه ما يقوم بمؤونتهم فى يومهم قال على وحدثنى السرى أبو بشر
وهو حليف بنى زهرة قال صليت الغداة فى اليوم الذى خرج فيه الحسين بن على
ابن الحسن صاحب فخ فصلى بنا حسين وصعد المنبر منبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجلس وعليه قميص وعمامة بيضاء قد سدلها من بين يديه ومن خلفه وسيفه
مسلول قد وضعه بين رجليه إذ أقبل خالد البربرى فى أصحابه فلما أراد أن يدخل
المسجد بدره يحيى بن عبد الله فشد عليه البربرى وإنى لأنظر اليه فبدره يحيى بن
عبد الله فضربه على وجهه فأصاب عينيه وأنفه فقطع البيضة والقلنسوة حتى نظرت
الى قحفه طائرآ عن موضعه وحمل على أصحابه فانهزموا ثم رجع الى حسين فقام بين يديه
وسيفه مسلول يقطر دما فتكلم حسين فحمد الله وأثنى عليه وخطب الناس فقال فى
آخر كلامه ياأيها الناس أنا ابن رسول الله فى حرم رسول الله وفى مسجد رسول الله
وعلى منبر نبى الله أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فإن لم أف
لكم بذلك فلا بيعة لى فى أعناقكم قال وكان أهل الزيارة فى عامهم ذلك كثيرا
فكانوا قد ملؤا المسجد فاذا رجل قد نهض حسن الوجه طويل القامة عليه رداء
ممشق أخذ بيد ابن له شاب جميل جلد فتخطى رقاب الناس حتى انتهى إلى المنبر
فدنا من حسين وقال ياابن رسول الله خرجت من بلد بعيد وابنى هذا معى وأنا
أريد حج بيت الله وزيارة قبر نبيه صلى الله عليه وسلم وماخطر ببالى هذا الأمر
الذى حدث منك وقد سمعتُ ماقلتَ فعندك وفاء بما جعلت على نفسك قال نعم

قال ابسط يدك فأبايعك قال فبايعه ثم قال لابنه ادن فبايع قال فرأيت والله رؤسهما فى الرؤس بمنىً وذلك أنى حججت فى ذلك العام قال وحدثنى جماعة من أهل المدينه أن مباركا التركى أرسل إلى حسين بن علىّ والله لأن أسقط من السماء فتخطفنى الطير أوتهوى بى الريح فى مكان سحيق أيسر علىّ من أن أشوكك بشوكة أو أقطع من رأسك شعرة ولكن لابد من الاعذار فبيّتنى فانى منهزم عنك فأعطاه بذلك عهد الله وميثاقه قال فوجه اليه الحسين أو خرج اليه فى نفر يسير فلما دنوا من عسكره صاحوا وكبروا فانهزم وانهزم أصحابه حتى لحق بموسى ابن عيسى وذكر أبو المضرحىّ الكلابىّ قال أخبرنى المفضل بن محمد بن المفضل بن حسين بن عبيد الله بن العباس بن علىّ بن أبى طالب أن الحسين بن على بن حسن ابن حسن قال يومئذ فى قوم لم يخرجوا معه وكان قد وعدوه أن يوافوه فتخلفوا عنه متمثلا

من عاذَ بالسّيْفِ لَاقَى فُرْصَةً عجبًا ... مَوْتاً على عجلٍ أو عاش منتصِفاً
لا تَقْربوا السَّهْلَ إنّ السَّهْلَ يُفسِدُكمْ ... لَنْ تُدْرِكوا المجْدَ حتى تضربُوا عُنفا

وذكر الفضل بن العباس الهاشمى أن عبد الله بن محمد المنقرى حدثه عن أبيه قال دخل عيسى بن دأب على موسى بن عيسى عند منصرفه من فخ فوجده خائفا يلتمس عذراً مِن قتل مَن قتل فقال له أصلح الله الأمير أنشدك شعراً كتب به يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة يعتذر فيه من قتل الحسين بن علىّ رضى الله عنه قال أنشدنى فأنشده فقال

يا أيها الراكبُ الغادِى لِطِيّتِهِ ... على عَذافرةٍ فى سَيْرِها قُحَمُ
أَبلغْ قريشاً على شَحْطِ المَزارِ بها ... بيْنِى وبيْنَ حُسَينِ اللّهُ والرَّحِمُ
ومَوْقِفٍ بِفِناءِ البيْتِ أنْشدُهُ ... عهْدَ الإلهِ ومَا ترعى له الذمَمُ
عنفتمُ قومكمْ فخرًا بأمكمُ ... أمٌّ حِصانٌ لعَمْرى بَرّةٌ كرَمُ
هى التى لا يُدانى فَضلَها أحد ... بنتُ النبىِّ وخَيْرِ الناسِ قدْ علموا
وفَضلُها لكُمُ فضل وغيرُكُم ... مِنْ قومكمْ لهُمُ مِن فضلها قِسَمُ

إنى لأعلَمُ أو ظنًا كعالِمِه والظن يَصْدُقُ أحيانًا فَينْتَظِمْ
أن سوف يَتْرُكُكم ماتطلبونَ بها قتلى تهاداكُم العُقبان والرَّخَمُ
ياقومَنا لاتشبُّوا الحربَ إذ خَمِدَتْ وَمسكوا بِحبالِ السِّلْمِ واعْتَصموا
لاتركبوا البَغْىَ إنَّ البغىَ مَصْرَعَةٌ وَإنَّ شاربَ كاسِ البَغيِ يتَّخِمُ
قَدْ جَرَّبَ الحَرْبَ من كان قبلكُمُ مِنَ القرونِ وقد بادتْ بها الأمَمُ
فأنْصفوا قومكم لاتهلكوا بذخا فَرُبَّ ذِى بَذخٍ زَلَّتْ بِهِ القَدَمُ

قال فسرى عن موسى بن عيسى بعض ماكان فيه وذكر عبدالله بن عبدالرحمن ابن عيسى بن موسى أن العلاء حدثه أن الهادى أمير المؤمنين لما ورد عليه خلع أهل فخ حلاليه يكتب كتابا بخطه فاغتمّ بخلوته مواليه وخاصته فدسوا غلاما له فقالوا اذهب حتى تنظر إلى أى شىء انتهى الخبر قال فدنا من موسى فلما رآه قال مالك فاعتل عليه قال فأطرق ثم رفع رأسه اليه فقال

رَقدَ الالى ليس السُّرى مِنْ شأنِهِمْ وكَفاهُمُ الإدْلاجَ من لم يَرْقُدِ

وذكر أحمد بن معاوية بن بكر الباهلىّ قال حدثنا الأصمعى قال قال محمد بن سليمان ليلة فخ لعمرو بن أبى عمرو المدنى وكان يرمى بين يديه بين الهدفين ارمِ قال لاوالله لا أرمى ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى إنما صحبتك لأرمى بين يديك بين الهدفين ولم أصحبك لأرمى المسلمين قال فقال المخزومى ارْمِ فرمى فما مات إلا بالبرص قال ولما قتل الحسين بن علىّ وجاء برأسه يقطين بن موسى فوضع بين يدى الهادى قال كأنكم والله جئتم برأس طاغوت من الطواغيت إن أقل ماأجزيكم به أن أحرمكم جوائزكم قال فحرمهم ولم يعطهم شيئا وقال موسى الهادى لما قتل الحسين متمثلا

قدْأنصفَ القارَةَمَنْ راماها إنا إذاً مافِئَةً نلقاها نَرُدُ أولاها على أُخراها

وغزا الصائفة فى هذه السنة معيوف بن يحيى من درب الراهب وقدكانت الروم أقبلت مع البطريق إلى الحدث فهرب الوالى والجند وأهل الأسواق فدخلها العدو ودخل أرض العدو معيوف بن يحيى فبلغ مدينة أشنة فأصابوا سبايا

وأسارى وغنموا (وحج) بالناس فى هذه السنة سليمان بن أبى جعفر المنصور وكان على المدينة عمر بن عبد العزيز العمرى وعلى مكة والطائف عبيد الله بن قثم وعلى اليمن إبراهيم بن سلم بن قتيبة وعلى اليمامة والبحرين سويد بن أبى سويد القائد الخراسانى وعلى عمان الحسن بن تسنيم الحوارى وعلى صلاة الكوفة وأحداثها وصدقاتها وبِهْقُبَاذ الأسفل موسى بن عيسى وعلى صلاة البصرة وأحداثها محمد بن سليمان وعلى قضائها عمر بن عثمان وعلى جرجان الحجاج مولى الهادى وعلى قومس زياد بن حسان وعلى طبرستان والرويان صالح بن شيخ ابن عميرة الأسدى وعلى أصبهان طيفور مولى الهادى

ثم دخلت سنة سبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك وفاة يزيد بن حاتم بافريقية فيها ووليها بعده روح بن حاتم (وفيها) مات عبدالله بن مروان بن محمد فى المطبق (وفيها) توفى موسى الهادى بعيساباذ واختلف فى السبب الذى كان به وفاته فقال بعضهم كانت وفاته من قرحة كانت فى جوفه وقال آخرون كانت وفاته من قبل جوار لامه الخيزران كانت أمرتهن بقتله لأسباب نذكر بعضها

ذكر الخبر عن السبب الذى من أجله كانت أمرتهن بقتله

ذكر يحيى بن الحسن أن الهادى نابذ أمه ونافرها لما صارت اليه الخلافة فصارت خالصة اليه يوما فقالت إن أمك تستكسيك فأمر لها بخزانة مملوءة كسوة قال ووجد للخيزران فى منزلها من قراقر الوشى ثمانية عشر ألف قرقر قال وكانت الخيزران فى أول خلافة موسى تفتات عليه فى أموره وتسلك به مسلك أبيه من قبله فى الاستبداد بالأمر والنهى فأرسل اليها ألا تخرجى من خفر الكفاية إلى بذاذة التبذل فإنه ليس من قدر النساء الاعتراض فى أمر الملك وعليك بصلاتك وتسبيحك وتبتلك ولك بعد هذا طاعة مثلك فيما يجب لك قال وكانت الخيزران

فى خلافة موسى كثيرا ماتكلمه فى الحوائج فكان يجيبها إلى كل ماتسأله حتى
مضى لذلك أربعة أشهر من خلافته وانثال الناس عليها وطمعوا فيها فكانت
المواكب تغدو إلى بابها قال فكلمته يوما فى أمر لم يجد إلى إجابتها اليه سبيلا فاعتل
بعلة فقالت لابد من إجابتى قال لا أفعل قالت فإنى قد تضمنت هذه الحاجة لعبدالله
ابن مالك قال فغضب موسى وقال ويل على ابن الفاعلة قد علمتُ أنه صاحبها
والله لاقضيتها لك قالت إذاً والله لاأسألك حاجة أبداً قال إذاً والله لاأبالى وحمى
وغضب فقامت مغضبة فقال مكانك تستوعى كلامى والله وإلا فأنا نفىٌّ من قرابتى
من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغنى أنه وقف ببابك أحد من قوادى
أوأحد من خاصتى أوخدمى لأضربنّ عنقه ولأقبضنّ ماله فمن شاء فليلزم ذلك
ماهذه المواكب التى تغدو وتروح إلى بابك فى كل يوم أمالك مغزل يشغلك
أومصحف يُذكرك أوبيت يصونك إياك ثم إياك مافتحت بابك لملىٍّ أولذمى
فانصرفت ماتعقل ماتطأ فلم تنطق عنده بحلوة ولا مرة بعدها قال يحيى بن الحسن
وحدثنى أبى قال سمعت خالصة تقول للعباس بن الفضل بن الربيع بعث موسى
إلى أمه الخيزران بأرزّة وقال استطبتها فأكلتُ منها فكلى منها قالت خالصة فقلت
لها أمسكى حتى تنظرى فإنى أخاف أن يكون فيها شىء تكرهينه فجاؤا بكلب
فأكل منها فتساقط لحمه فأرسل اليها بعد ذلك كيف رأيت الأرزّة فقالت وجدتها
طيبة فقال لم تأكلى ولو أكلت لكنت قد استرحت منك متى أفلح خليفة له أمّ
قال وحدثنى بعض الهاشميين أن سبب موت الهادى كان أنه لما جد فى خلع هارون
والبيعة لابنه جعفر وخافت الخيزران على هارون منه دست اليه من جواريها
لما مرض من قتله بالغم والجلوس على وجهه ووجهت إلى يحيى بن خالد إن الرجل
قد توفى فاجدد فى أمرك ولا تقصر وذكر محمد بن عبد الرحمن بن بشار أن الفضل
ابن سعيد حدثه عن أبيه قال كان يتصل بموسى وصولُ القواد إلى أمه الخيزران
يؤملون بكلامها فى قضاء حوائجهم عنده قال وكانت تريد أن تغلب على أمره كما
غلبت على أمر المهدى فكان يمنعها من ذلك ويقول ماللنساء والكلام فى أمر

الرجال فلما كثر عليه مصير من يصير اليها من قواده قال يوما وقد جمعهم أيما خير أنا أوأنتم قالوا بل أنت ياأمير المؤمنين قال فأيما خير أمى أو أمهاتكم قالوا بل أمك ياأمير المؤمنين قال فأيكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه فيقولوا فعلت أمّ فلان وصنعت أم فلان وقالت أم فلان قالوا ماأحدنا يحب ذلك قال فما بال الرجال يأتون أمى فيتحدثون بحديثها فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها البتة فشق ذلك عليها فاعتزلته وحلفت ألا تكلمه فما دخلت عليه حتى حضرته الوفاة وكان السبب فى إرادة موسى الهادى خلع أخيه هارون حتى اشتد عليه فى ذلك وجدّ فيما ذكر صالح بن سليمان أن الهادى لما أفضت اليه الخلافة أقر يحيى ابن خالد على ما كان يلى هارون من عمل المغرب فأراد الهادى خلع هارون الرشيد والبيعة لابنه جعفر بن موسى الهادى وتابعه على ذلك القواد منهم يزيد بن مزيد وعبدالله بن مالك وعلىّ بن عيسى ومن أشبههم فخلعوا هارون وبايعوا لجعفر ابن موسى ودسوا إلى الشيعة فتكلموا فى أمره وتنقصوه فى مجلس الجماعة وقالوا لانرضى به وصعب أمرهم حتى ظهر وأمر الهادى ألا يسار قدام الرشيد بحربة فاجتنبه الناس وتركوه فلم يكن أحد يجترئ أن يسلم عليه ولا يقربه وكان يحيى ابن خالد يقوم بإنزال الرشيد ولا يفارقه هو وولده فيما ذكر قال صالح وكان اسماعيل بن صبيح كاتب يحيى بن خالد فأحب أن يضعه موضعا يستعلم له فيه الأخبار وكان إبراهيم الحرانى فى موضع الوزارة لموسى فاستكتب إسماعيل ورفع الخبر إلى الهادى وبلغ ذلك يحيى بن خالد فأمر اسماعيل أن يشخص الى حران فصار اليها فلما كان بعد أشهر سأل الهادى ابراهيم الحرانى من كاتبك قال فلان كاتب وسماه فقال أليس بلغنى أن اسماعيل بن صبيح كاتبك قال باطل يا أمير المؤمنين اسماعيل بحران قال وسُعى الى الهادى بيحيى بن خالد وقيل له انه ليس عليك من هارون خلاف وانما يفسده يحيى بن خالد فابعث إلى يحيى وتهدده بالقتل وارمه بالكفر فأغضب ذلك موسى الهادى على يحيى بن خالد وذكر أبو حفص الكرمانى ان محمد بن يحيى بن خالد حدثه قال بعث الهادى إلى يحيى ليلا فأيس من

من نفسه وودع أهله وتحنط وجدد ثيابه ولم يشك انه يقتله فلما أدخل عليه قال يا يحيي مالى ولك قال أنا عبدُك ياأمير المؤمنين فما يكون من العبد إلى مولاه إلا طاعته قال فلم تدخل بيني وبين أخي وتفسده على قال ياأمير المؤمنين من أنا حتى أدخل بينكما إنما صيرنى المهدى معه وأمرنى بالقيام بأمره فقمت بما أمرنى به ثم أمرتنى بذلك فانتهيت إلى أمرك قال فما الذى صنع هارون قال ماصنع شيئا ولا ذلك فيه ولا عنده قال فسكن غضبه وقد كان هارون طاب نفساً بالخلع فقال له يحيي لا تفعل فقال أليس يترك لى الهنيء والمريء فهما يسعاننى وأعيش مع ابنة عمى وكان هارون يجد بأم جعفر وجداً شديداً فقال له يحيي وأين هذا من الخلافة ولعلك ألا يترك هذا فى يدك حتى يخرج أجمع ومنعه من الاجابة قال الكرمانى فحدثنى صالح بن سليمان قال بعث الهادى إلى يحيي بن خالد وهو بعيساباذ ليلا فراعه ذلك فدخل عليه وهو فى خلوة فأمر بطلب رجل كان أخافه فتغيب عنه وكان الهادى يريد أن ينادمه ويمنعه مكانه من هارون فنادمه وكلمه يحيي فيه فآمنه وأعطاه خاتم ياقوت أحمر فى يده وقال هذا أمانة وخرج يحيي فطلب الرجل وأتى الهادى به فسر بذلك قال وحدثنى غير واحد أن الرجل الذى طلبه كان ابراهيم الموصلى قال صالح بن سليمان قال الهادى يوما للربيع لا يدخل علىَّ يحيي بن خالد إلا آخر الناس قال فبعث اليه الربيع وتفرغ له قال فلما جلس من غد أذن حتى لم يبق أحد ودخل عليه يحيي وعنده عبد الصمد ابن علىّ والعباس بن محمد وجلة أهله وقواده فمازال يدنيه حتى أجلسه بين يديه وقال له إنى كنت أظلمك وأكفرك فاجعلنى فى حل فتعجب الناس من اكرامه إياه وقوله فقبّل يحيي يده وشكر له فقال له الهادى من الذى يقول فيك يايحيي :

لو يَمَسُّ البَخِيلُ راحةَ يحيي لَسَخَتْ نَفْسُه بِبَذْلِ النَّوالِ

قال تلك راحتك ياأمير المؤمنين لا راحة عبدك قال وقال يحيي للهادى فى خلع الرشيد لما كلمه فيه ياأمير المؤمنين إنك إن حملت الناس على نكث الأيمان هانت عليهم أيمانهم وإن تركتهم على بيعة أخيك ثم بايعت لجعفر من بعده كان ذلك أوكد لبيعته فقال صدقت ونصحت ولى فى هذا تدبير قال الكرمانى وحدثنى

خزيمة بن عبد الله قال أمر الهادى بحبس يحيى بن خالد على ماأراده عليه من خلع الرشيد فرفع اليه يحيى رقعة إن عندى نصيحة فدعابه فقال ياأمير المؤمنين أخلنى فأخلاه فقال ياأمير المؤمنين أرأيت إن كان الأمر أسأل الله ألا نبلغه وأن يقدمنا قبله أتظن أن الناس يسلمون الخلافة لجعفر وهولم يبلغ الحُلُم ويرضون به لصلاتهم وحجهم وغزوهم قال والله ماأظن ذلك قال ياأمير المؤمنين أفتأمن أن يسمو اليها أهلك وجلتهم مثل فلان وفلان ويطمع فيها غيرهم فتخرج من ولد أبيك فقال له نبهتنى يايحيى قال وكان يقول ماكلمت أحداً من الخلفاء كان أعقل من موسى قال وقال له لوأن هذا الأمر لم يعقد لأخيك أما كان ينبغى أن تعقده له فكيف بأن تحله عنه وقد عقده المهدى له ولكن أرى أن تقر هذا الأمر ياأمير المؤمنين على حاله فإذا بلغ جعفر وبلغ الله به أتيته بالرشيد فخلع نفسه وكان أول من يبايعه ويعطيه صفقة يده فقال فقبل الهادى قوله ورأيه وأمر بإطلاقه وذكر الموصلى عن محمد بن يحيى قال كان عزم الهادى بعد كلام أبى له على خلع الرشيد وحمله عليه جماعة من مواليه وقواده أجابه إلى الخلع أولم يجبه واشتد غضبه منه وضيق عليه وقال يحيى لهارون استأذنه فى الخروج إلى الصيد فاذا خرجت فاستبعد ودافع الأيام فرفع هارون رقعة يستأذن فأذن له فمضى إلى قصر مقاتل فأقام به أربعين يوما حتى أنكر الهادى أمره وغمه احتباسه وجعل يكتب اليه ويصرفه فتعلل عليه حتى تفاقم الأمر وأظهر شتمه وبسط مواليه وقواده ألسنتهم فيه والفضل ابن يحيى إذذاك خليفة أبيه والرشيد بالباب فكان يكتب اليه بذلك فانصرف وطال الأمر قال الكرمانى فحدثنى يزيد مولى يحيى بن خالد قال بعثت الخيزران عاتكة ظئراً كانت لهارون إلى يحيى فشقت جيبها بين يديه وتبكى اليه وتقول له قالت لك السيدة الله الله فى ابنى لاتقتله ودعه يجيب أخاه إلى مايسأله ويريده منه فبقاؤه أحب إلىّ من الدنيا بجمع مافيها قال فصاح بها وقال لها وماأنت وهذا إن يكن ماتقولين فانى وولدى وأهلى سنقتَلُ قبله فإن اتهمت عليه فلست بمتهم على نفسى ولاعليهم قال ولمالم ير الهادى يحيى بن خالد يرجع عما كان عليه لهارون بمابذل له

من اكرام ولا أقطاع ولا صلة بعث اليه يتهدده بالقتل إن لم يكف عنه قال فلم تزل تلك الحال من الخوف والخطر وماتت أم يحيى وهو فى الخلد ببغداد لأن هارون كان ينزل الخلد ويحيى معه وهو ولى العهد نازل فى داره يلقاه فى ليله ونهاره وذكر محمد بن القاسم بن الربيع قال أخبرنى محمد بن عمرو الرومى قال حدثنى أبى قال جلس موسى الهادى بعد ماملك فى أول خلافته جلوسا خاصاً ودعا بابراهيم بن جعفر بن أبى جعفر وابراهيم بن سلم بن قتيبة والحرانى" فجلسوا عن يساره ومعهم خادم له أسود يقال له أسلم ويكنى أباسليمان وكان يثق به ويقدمه فبيناهو كذلك إذ دخل صالح صاحب المصلى فقال هارون بن المهدى فقال ائذن له فدخل فسلم عليه وقبّل يديه وجلس عن يمينه بعيداً من ناحية فأطرق موسى ينظر اليه وأدمن ذلك ثم التفت اليه فقال ياهارون كأنى بك تحدث نفسك بتمام الرؤيا وتؤمل ما أنت منه بعيد ودون ذلك خرط القتاد تؤمل الخلافة قال فبرك هارون على ركبتيه وقال ياموسى إنك إن تجبرت وُضعت وإن تواضعت رُفعت وإن ظلمت خُتلت وإنى لأرجو أن يفضى الأمر إلىّ فأنصف إن ظلمت وأصل من قطعت وأصير أولادك أعلى من أولادى وأزوجهم بناتى وأبلغ مايجب من حق الامام المهدى قال فقال له موسى ذلك الظن بك ياأبا جعفر ادن منى فدنا منه فقبّل يديه ثم ذهب يعود الى مجلسه فقال له لا والشيخ الجليل والملك النبيل أعنى أباك المنصور لا جلست إلا معى وأجلسه فى صدر المجلس معه ثم قال ياحرانى" احمل إلى أخى ألف ألف دينار واذا افتتح الخراج فاحمل اليه النصف منه واعرض عليه مافى الخزائن من مالنا وما أخذ من أهل بيت اللعنة فيأخذ جميع ماأراد قال ففعل ذلك ولما قام قال لصالح أدن دابته إلى البساط قال عمرو الرومى" وكان هارون يأنس بى فقمت إليه فقلت ياسيدى ما الرؤيا التى قال لك أمير المؤمنين قال قال المهدى" أريت فى منامى كأنى دفعت إلى موسى قضيبا وإلى هارون قضيبا فأورق من قضيب موسى أعلاه قليلا فأما هارون فأورق قضيبه من أوله إلى آخره فدعا المهدى الحكم بن موسى الضمرى" وكان يكنى أبا سفيان فقال له عبِّر هذه الرؤيا فقال يملكان جميعا فأما موسى فتقل" أيامه وأما هارون

فيبلغ مدى ماعاش خليفة وتكون أيامه أحسن أيام ودهره أحسن دهر قال ولم يلبث إلا أياما يسيرة ثم اعتل موسى ومات وكانت علته ثلاثة أيام قال عمرو الرومى أفضت الخلافة إلى هارون فزوج حمدونة من جعفر بن موسى وفاطمة من إسماعيل بن موسى ووفى بكل ماقال وكان دهره أحسن الدهور * وذكر أن الهادى كان قد خرج إلى الحديثة حديثة الموصل فمرض بها واشتد مرضه فانصرف فذكر عمرو اليشكرى وكان فى الخدم قال انصرف الهادى من الحديثة بعد ما كتب إلى جميع عماله شرقا وغربا بالقدوم عليه فلما نقل اجتمع القوم الذين كانوا بايعوا لجعفر ابنه فقالوا إن صار الأمر إلى يحيى قتلَنا ولم يستبقنا فتآمروا على أن يذهب بعضهم إلى يحيى بأمر الهادى فيضرب عنقه ثم قالوا لعل أمير المؤمنين يفيق من مرضه فما عذرنا عنده فأمسكوا ثم بعث الخيزران إلى يحيى تعلمه أن الرجل لمآبه وتأمره بالاستعداد لما ينبغى وكانت المستولية على أمر الرشيد وتدبير الخلافة إلى أن هلك فأحضر الكتاب وجمعوا فى منزل الفضل بن يحيى فكتبوا لليلتهم كتبا من الرشيد إلى العمال بوفاة الهادى وأنهم قد ولاهم الرشيد ماكانوا يلون فلما مات الهادى أنفذوها على البرد * وذكر الفضل بن سعيد أن أباه حدثه أن الخيزران كانت قد حلفت ألا تكلم موسى الهادى وانتقلت عنه فلما حضرته الوفاة وأتاها الرسول فأخبرها بذلك فقالت وما أصنع به فقالت لها خالصة قومى الى ابنك أيتها الحرة فليس هذا وقت تعتب ولا تغضب فقالت أعطونى ماء أتوضأ للصلاة ثم قالت أما أنا كنا نتحدث أنه يموت فى هذه الليلة خليفة ويملك خليفة ويولد خليفة قال فمات موسى وملك هارون وولد المأمون قال الفضل فحدثت بهذا الحديث عبد الله بن عبيد الله فساقه لى مثل ماحدثنيه أبى فقلت فمن أين كان للخيزران هذا العلم قال إنها كانت قد سمعت من الأوزاعى * ذكر يحيى بن الحسن أن محمد بن سليمان بن على حدثه قال حدثتنى عمتى زينب ابنة سليمان قالت لما مات موسى بعيساباذ أخبرتنا الخيزران الخبر ونحن أربع نسوة أنا وأختى وأم الحسن وعائشة بُنيات سليمان ومعنا ريطة أم على فجاءت خالصة فقالت لها مافعل الناس

قالت ياسيدتى مات موسى ودفنوه قالت ان كان مات موسى فقد بقى هارون هات لى سويقا فجاءت بسويق فشربت وسقتنا ثم قالت هات لساداتى أربعمائة ألف دينار ثم قالت مافعل ابنى هارون قالت حلف ألا يصلى الظهر الا ببغداد قالت هاتوا الرحائل فما جلوسى ههنا وقد مضى فلحقته ببغداد

ذكر الخبر عن وقت وفاته ومبلغ سنه وقدر ولايته ومن صلى عليه

قال أبو معشر توفى موسى الهادى ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الأول حدثنا بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحق وقال الواقدى مات موسى بعيساباذ للنصف من شهر ربيع الأول وقال هشام بن محمد هلك موسى الهادى لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ليلة الجمعة فى سنة ١٧٠ وقال بعضهم توفى ليلة الجمعة لستة عشر يوما منه وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر وقال هشام ملك أربعة عشر شهرا وتوفى وهو ابن ست وعشرين سنة وقال الواقدى كانت ولايته سنة وشهراً واثنين وعشرين يوما وقال غيرهم توفى يوم السبت لعشر خلت من ربيع الأول أو ليلة الجمعة وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وكانت خلافته سنة وشهراً وثلاثة وعشرين يوما وصلى عليه أخوه هارون بن محمد الرشيد وكان كنيته أبا محمد وأمه الخيزران أم ولد ودفن بعيساباذ الكبرى فى بستانه * وذكر الفضل بن اسحق أنه كان طويلا جسيما جميلا أبيض مشربا حمرة وكان بشفته العليا تقلص وكان يلقب موسى أَطْبِق وكان ولد بالسيروان من الرى

ذكر أولاده

وكان له من الأولاد تسعة: سبعة ذكور وابنتان فأما الذكور أحدهم جعفر وهو الذى كان يرشحه للخلافة والعباس وعبد الله واسحق واسماعيل وسليمان وموسى بن موسى الأعمى كلهم من أمهات أولاد وكان الأعمى وهو موسى ولد بعد موت أبيه والابنتان إحداهما أم عيسى كانت عند المأمون والأخرى أم العباس بنت موسى تلقب نونة

ذكر بعض أخباره وسيره

ذكر ابراهيم بن عبد السلام ابن أخى السندى أبو طوطة قال حدثنى السندى بن شاهك قال كنت مع موسى بجرجان فأتاه نعى المهدى والخلافة فركب البريد الى بغداد ومعه سعيد بن سلم ووجهنى الى خراسان فحدثنى سعيد بن سلم قال سرنا بين أبيات جرجان وبساتينها قال فسمع صوتا من بعض تلك البساتين من رجل يتغنى فقال لصاحب شرطته علىّ بالرجل الساعة قال فقلت يا أمير المؤمنين ما أشبه قصة هذا الخائن بقصة سليمان بن عبد الملك قال وكيف قال قلت له كان سليمان بن عبد الملك فى متنزه له ومعه حُرَمه فسمع من بستان آخر صوت رجل يتغنى فدعا صاحب شرطته فقال علىّ بصاحب الصوت فأتى به فلما مثل بين يديه قال له ما حملك على الغناء وأنت الى جنبى ومعى حرمى أما علمت أن الرماك اذا سمعت صوت الفحل حنت اليه يا غلام جُبَّه فجُبّ الرجل فلما كان فى العام المقبل رجع سليمان إلى ذلك المتنزه فجلس مجلسه الذى فيه فذكر الرجل وما صنع به فقال لصاحب شرطته علىّ بالرجل الذى كنا جببناه فأحضره فلما مثل بين يديه قال له إما بِعْتَ فوفيناك وإما وهبتَ فكافأناك قال فوالله ما دعاه بالخلافة ولكنه قال له يا سليمان الله الله إنك قطعت نسلى فذهبت بماء وجهى وحرمتنى لذتى ثم تقول إما وهبت فكافأناك وإما بعت فوفيناك لا والله حتى أقف بين يدى الله قال فقال موسى يا غلام رد صاحب الشرطة فرده فقال لا تعرض للرجل * وذكر أبو موسى هارون ابن محمد بن إسماعيل بن موسى الهادى أن على بن صالح حدثه أنه كان يوما على رأس الهادى وهو غلام وقد كان جفا المظالم عامة ثلاثة أيام فدخل عليه الحرانى فقال له يا أمير المؤمنين إن العامة لا تنقاد على ما أنت عليه لم تنظر فى المظالم منذ ثلاثة أيام فالتفت إلى وقال يا على ائذن للناس على بالجَفَلى لا بالنَقَرى فخرجت من عنده أطير على وجهى ثم وقفت فلم أدر ما قال لى فقلت أراجع أمير المؤمنين فيقول أتحجبنى ولا تعلم كلامى ثم أدركنى ذهنى فبعثت إلى أعرابى كان قد وفد وسألته عن الجفلى والنقرى فقال الجفلى جفالة والنقرى ينقر خواصهم فأمرت

بالستور فرفعت وبالأبواب ففتحت فدخل الناس على بَكْرَة أبيهم فلم يزل ينظر فى المظالم إلى الليل فلما تقوَّض المجلس مثلت بين يديه فقال كأنك تريد أن تذكر شيئا ياعلى قلت نعم ياأمير المؤمنين كلمتنى بكلام لم أسمعه قبل يومى هذا وخفت مراجعتك فتقول أتحجبنى وأنت لم تعلم كلامى فبعثت إلى أعرابى كان عندنا ففسر لى الكلام فكافئه عنى ياأمير المؤمنين قال نعم مائة ألف درهم تحمل اليه فقلت له ياأمير المؤمنين إنه أعرابىّ جلف وفى عشرة آلاف درهم ماأغناه وكفاه فقال ويلك ياعلى أجود وتَبْخَل قال وحدثنى علىّ بن صالح قال ركب الهادىّ يوما يريد عيادة أمه الخيزران من علة كانت وجدتها فاعترضه عمر بن بزيع فقال له ياأمير المؤمنين ألا أدلك على وجه هو أعود عليك من هذا فقال وما هو ياعمر قال المظالم لم تنظر فيها منذ ثلاث قال فأومأ إلى المطرّقة أن يميلوا إلى دار المظالم ثم بعث إلى الخيزران بخادم من خدمه يعتذر اليها من تخلفه وقال قل لها إن عمر بن بزيع أخبرنا من حق الله بما هو أوجب علينا من حقك فملنا اليه ونحن عائدون اليك فى غد إن شاء الله * وذكر عن عبدالله بن مالك أنه قال كنت أتولى الشرطة للمهدىّ وكان المهدىّ يبعث إلى ندماء الهادى ومغنيه ويأمرنى بضربهم وكان الهادى يسألنى الرفق بهم والترفيه لهم ولا ألتفت إلى ذلك وأمضى لما أمرنى به المهدىّ قال فلما ولى الهادى الخلافة أيقنت بالتلف فبعث إلىّ يوما فدخلت عليه متكفنا متحنطا وإذا هو على كرسىّ والسيف والنطع بين يديه فسلمت فقال لاسلم الله على الآخر تذكر يوم بعثت اليك فى أمر الحرانى وماأمر أمير المؤمنين به من ضربه وحبسه فلم تجبنى وفى فلان وفلان فجعل يعدد ندماءه فلم تلتفت إلى قولى ولا أمرى قلت نعم ياأمير المؤمنين أفتأذن فى استيفاء الحجة قال نعم قلت ناشدتك بالله ياأمير المؤمنين أيسرك أنك وليتنى ماولانى أبوك فأمرتنى بأمر فبعث إلى بعض بنيك بأمر يخالف به أمرك فاتبعت أمره وعصيتُ أمرك قال لاقلت فكذلك أنا لك وكذا كنت لأبيك فاستدنانى فقبلت يديه فأمر بخلع فصبّت علىّ وقال قد وليتك ما كنت تتولاه فامض راشدا فخرجت من عنده

فصرت إلى منزلى مفكراً فى أمرى وأمره وقلت حَدَثٌ يشرب والقوم الذين عصيته فى أمرهم ندماؤه ووزراؤه وكتابه فكأنى بهم حين يغلب عليهم الشراب قد أزالوا رأيه فىّ وحملوه من أمرى على ما كنت أكره وأتخوفه قال فإنى لجالس وبين يدى بنية لى فىّ وقتى ذلك والكانون بين يدى ورقاق أشطره بكامخ وأسخنه وأضعه للصبية وإذا ضجة عظيمة حتى توهمت أن الدنيا قد اقتلعت وتزلزلت بوقع الحوافر وكثرة الضوضاء فقلت هاه كان والله ما ظننت ووافانى من أمره ما تخوفت فاذا الباب قد فتح وإذا الخدم قد دخلوا وإذا أمير المؤمنين الهادى على حمار فى وسطهم فلما رأيته وثبت عن مجلسى مبادراً فقبلت يده ورجله وحافر حماره فقال لى يا عبد الله إنى فكرت فى أمرك فقلت يسبق إلى قلبك أنى إذا شربت وحولى أعداؤك أزالوا ما حسن من رأيى فيك فأقلقك وأوحشك فصرت إلى منزلك لأونسك وأعلمك أن السخيمة قد زالت عن قلبى لك فهات فأطعمنى مما كنت تأكل فافعل فيه ما كنت تفعل لتعلم أنى قد تحرمت بطعامك وأنست بمنزلك فيزول خوفك ووحشتك فأدنيت اليه ذلك الرقاق والسكُرُّجة التى فيها الكامخ فأكل منها ثم قال هاتوا الزلة التى أزللتها لعبد الله من مجلسى فأدخلت إلى أربعمائة بغل موقرة دراهم وقال هذه زلتك فاستعن بها على أمرك واحتفظ لى هذه البغال عندك لعلى أحتاج اليها يوما لبعض أسفارى ثم قال أظلك الله بخير وانصرف راجعا * فذكر موسى بن عبد الله أن أباه أعطاه بستانه الذى كان وسط داره ثم بنى حوله معالف لتلك البغال وكان هو يتولى النظر اليها والقيام عليها أيام حياة الهادى كلها * وذكر محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود ابن طهمان السلمى قال أخبرنى أبى قال كان على بن عيسى بن ماهان يغضب غضب الخليفة ويرضى رضى الخليفة وكان أبى يقول ما للعربى ولا للعجمى عندى ما للعلى بن عيسى فانه دخل إلى الحبس وفى يده سوط فقال أمرنى أمير المؤمنين موسى الهادى أن أضربك مائة سوط قال فأقبل يضعه على يدى ومنكبى يمسنى به مسا إلى أن عدّ مائة وخرج فقال له ما صنعت بالرجل قال صنعت به ما أمرت

قال فما حاله قال مات قال إنا لله وإنا اليه راجعون ويلك فضحتنى والله عند الناس هذا رجل صالح يقول الناس قتل يعقوب بن داود قال فلما رأى شدة جزعه قال هو حى يا أمير المؤمنين لم يمت قال الحمد لله على ذلك قال وكان الهادى قد استخلف حجابته بعد الربيع ابنه الفضل فقال له لا تحجب عنى الناس فان ذلك يزيل عنى البركة ولا تلق إلىّ أمراً اذا كشفته أصبته باطلا فان ذلك يوقع الملك ويضر بالرعية وقال موسى بن عبد الله أتى موسى برجل فجعل يقرّعه بذنوبه ويتهدده فقال له الرجل يا أمير المؤمنين اعتذارى مما تقرّعنى به رَدٌّ عليك واقرارى يوجب علىّ ذنبا ولكنى أقول

فإن كنتَ ترجو فى العقوبةِ رحمةً فلا تَزْهَدَنْ عندَ المُعافاة فى الأجرِ

قال فأمر بإطلاقه * وذكر عمر بن شبة أن سعيد بن سلم كان عند موسى الهادى فدخل عليه وفد الروم وعلى سعيد بن سلم قلنسوة وكان قد صَلِعَ وهو حدث فقال له موسى ضع قلنسوتك حتى تتشايخ بصلعتك * وذكر يحيى بن الحسن بن عبد الخالق أن أباه حدثه قال خرجت إلى عيساباذ أريد الفضل بن الربيع فلقيتُ موسى أمير المؤمنين وهو خليفة وأنا لا أعرفه فاذا هو فى غلالة على فرس وبيده قناة لا يدرك أحدا إلا طعنه فقال لى يا ابن الفاعلة قال فرأيت انسانا كأنه صنم وكنت رأيته بالشأم وكان نخذاه كفخذى بعير فضربت يدى إلى قائم السيف فقال لى رجل ويلك أمير المؤمنين فحرّكت دابتى وكان شِهريا حملنى عليه الفضل بن الربيع وكان اشتراه بأربعة آلاف درهم فدخلت دار محمد بن القاسم صاحب الحرس فوقف على الباب وبيده القناة وقال اخرج يا ابن الفاعلة فلم أخرج ومرّ فمضى قلت للفضل فانى رأيت أمير المؤمنين وكان من القصة كذا وكذا فقال لا أرى لك وجها إلا ببغداد إذا جئتُ أصلى الجمعة فالقنى قال فما دخلت عيساباذ حتى هلك الهادى * وذكر الهيثم بن عروة الأنصارى أن الحسين بن معاذ بن مسلم وكان رضيع موسى الهادى قال لقد رأيتنى أخلو مع موسى فلا أجد له هيبة فى قلبى عند الخلوة لما كان يبسطنى وصارعنى فأصرعه غير هائب له وأضرب به الأرض فاذا تلبّس لبسة

الخلافة ثم جلس مجلس الأمر والنهى قمتُ على رأسه فوالله ما أملك نفسى من الرعدة والهيبة له ❊ وذكر يحيي بن الحسن بن عبد الخالق أن محمد بن سعيد بن عمر ابن مهران حدّثه عن أبيه عن جدّه قال كانت المرتبة لابراهيم بن سلم بن قتيبة عند الهادى فمات ابن لابراهيم يقال له سلم فأتاه موسى الهادى يعزيه عنه على حمار أشهب لا يُمنع مُقبل ولا يُردّ عنه مسلم حتى نزل فى رواقه فقال له يا ابراهيم سَرّك وهو عدو وفتنة وحزَنك وهو صلاة ورحمة فقال يا أمير المؤمنين ما بقى منى جزء كان فيه حزن إلا وقد امتلأ عزاء قال فلما مات ابراهيم صارت المرتبة لسعيد بن سلم بعده ❊ وذكر عمر بن شبة أن علىّ بن الحسين بن علىّ بن الحسين ابن علىّ بن أبى طالب كان يلقب بالجزرى تزوج رقية بنت عمرو العثمانية وكانت تحت المهدى فبلغ ذلك موسى الهادى فى أول خلافته فأرسل اليه فجهّله وقال أعياك النساء إلا امرأة أمير المؤمنين فقال ما حرّم الله على خلقه إلا نساء جدّى صلى الله عليه وسلم فأما غيرهن فلا ولا كرامة فشجّه بمخصرة كانت فى يده وأمر بضربه خمسمائة سوط فضرب وأراده أن يطلقها فلم يفعل فحُمل من بين يديه فى نطع فألقى ناحية وكان فى يده خاتم سرى فرآه بعض الخدم وقد غشى عليه من الضرب فأهوى إلى الخاتم فقبض على يد الخادم فدقها فصاح وأتى موسى فأراه يده فاستشاط وقال يفعل هذا بخادمى مع استخفافه بأبى وقوله لى وبعث اليه ما حملك على ما فعلت قال قل له وسله ومره أن يضع يده على رأسك وليصدقك ففعل ذلك موسى فصدقه الخادم فقال أحسن والله أنا أشهدُ أنه ابن عمى لو لم يفعل لانتفيتُ منه وأمر بإطلاقه ❊ وذكر أبو ابراهيم المؤذن أن الهادى كان يثب على الدابة وعليه درعان وكان المهدى يسميه رَيحانتى ❊ وذكر محمد بن عطاء بن مقدم الواسطى أن أباه حدّثه أن المهدى قال لموسى يوما وقد قدم اليه زنديق فاستتابه فأبى أن يتوب فضرب عنقه وأمر بصلبه يا بنىّ إن صار لك هذا الأمر فتجرّد لهذه العصابة يعنى أصحاب مانى فانها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد فى الدنيا والعمل للآخرة ثم تخرجها إلى تحريم اللحم ومس

الماء الطهور وترك قتل الهوام تحرّجا وتحوّبا ثم تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين أحدهما النور والآخر الظلمة ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الأطفال من الطرق لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور فارفع فيها الخشب وجرد فيها السيف وتقرّب بأمرها إلى الله لا شريك له فانى رأيت جدك العباس فى المنام قلدنى بسيفين وأمرنى بقتل أصحاب الاثنين قال فقال موسى بعد أن مضت من أيامه عشرة أشهر أما والله لئن عشتُ لأقتلن هذه الفرقة كلها حتى لا أترك منها عينا تطرف ويقال إنه أمر أن يهيأ له ألف جذع فقال هذا فى شهر كذا ومات بعد شهرين * وذكر أيوب بن عناية أن موسى بن صالح بن شيخ حدثه أن عيسى بن دأب كان أكثر أهل الحجاز أدبا وأعذبهم ألفاظا وكان قد حَظِىَ عند الهادى حظوة لم تكن عنده لأحد وكان يدعو له بمتكإ وما كان يفعل ذلك بأحد غيره فى مجلسه وكان يقول ما استطلت بك يوما ولا ليلة ولا غبتَ عن عينى إلا تمنيتُ ألا أرى غيرك وكان لذيذ المفاكهة طيب المسامرة كثير النادرة جيد الشعر حسن الانتزاع له قال فأمر له ذات ليلة بثلاثين ألف دينار فلما أصبح ابن دأب وجه قهرمانه إلى باب موسى وقال له الق الحاجب وقل له يوجه الينا بهذا المال فلقى الحاجب فأبلغه رسالته فتبسم وقال هذا ليس إلىّ فانطلق إلى صاحب التوقيع ليخرج له كتابا إلى الديوان فتدبّره هناك ثم تفعل فيه كذا وكذا فرجع إلى ابن دأب فأخبره فقال دعها ولا تعرض لها ولا تسأل عنها قال فبينا موسى فى مستشرف له ببغداد اذ نظر إلى ابن دأب قد أقبل وليس معه إلا غلام واحد فقال لابراهيم الحرّانى أما ترى ابن دأب ما غيّر من حاله ولا تزيّن له وقد بررناه بالأمس ليرُى أثرُنا عليه فقال له ابراهيم فان أمرنى أمير المؤمنين عرضت له بشىء من هذا قال لا هو أعلم بأمره ودخل ابن دأب فأخذ فى حديثه إلى أن عرض له موسى بشىء من أمره فقال أرى ثوبك غسيلا وهذا شتاء يُحتاج فيه إلى الجديد اللين فقال يا أمير المؤمنين باعى قصير عما أحتاج اليه قال وكيف وقد صرفنا اليك من برنا

ماظننا أن فيه صلاح شأنك قال ماوصل إلىّ ولا قبضته فدعا صاحب بيت مال الخاصة فقال عجل له الساعة ثلاثين ألف دينار فأحضرت وحملت بين يديه * وذكر علىّ بن محمد أن أباه حدثه عن على بن يقطين قال إنى لعند موسى ليلة مع جماعة من أصحابه إذ أتاه خادم فساره بشىء فنهض سريعا وقال لاتبرحوا ومضى فأبطأثم جاء وهو يتنفس فألقى بنفسه على فراشه يتنفس ساعة حتى استراح ومعه خادم يحمل طبقا مغطى بمنديل فقام بين يديه فأقبل يرعد فعجبنا من ذلك ثم جلس وقال للخادم ضع مامعك فوضع الطبق وقال ارفع المنديل فرفعه فاذا فى الطبق رأسا جاريتين لم أر والله أحسن من وجوههما قط ولا من شعورهما وإذا على رؤسهما الجوهر منظوم على الشعر وإذا رائحة طيبة تفوح فأعظمنا ذلك فقال أتدرون ماشأنهما قلنا لاقال بلغنا أنهما تتحابّان قد اجتمعتا على الفاحشة فوكلت هذا الخادم بهما يُنهى إلى أخبارهما فجاءنى فأخبرنى أنهما قد اجتمعتا فجئت فوجدتهما فى لحاف واحد على الفاحشة فقتلتهما ثم قال ياغلام ارفع الرأسين قال ثم رجع فى حديثه كأن لم يصنع شيئا * وذكر أبو العباس بن أبى مالك اليمامى أن عبد الله بن محمد البواب قال كنت أحجب الهادى خليفة الفضل بن الربيع قال فإنه ذات يوم جالسٌ وأنا فى داره وقد تغدى ودعا بالنبيذ وقد كان قبل ذلك دخل على أمه الخيزران فسألته أن يولى خاله الغطريف اليمن فقال أذكرينى به قبل أن أشرب قال فلما عزم على الشرب وجّهتْ اليه منيرة أوزهرة تذكره فقال ارجعى فقولى اختارى له طلاق ابنته عبيدة أوولاية اليمن فلم تفهم إلاقوله اختارى له فمرت فقالت قد اخترت له ولاية اليمن فطلق ابنته عبيدة فسمع الصياح فقال مالكم فأعلمته الخبر فقال أنت اخترت له فقالت ماهكذا أديت إلىّ الرسالة عنك قال فأمر صالحا صاحب المصلى أن يقف بالسيف على رؤس الندماء ليطلقوا نساءهم فخرج إلى بذلك الخدم ليعلمونى ألا آذن لأحد قال وعلى الباب رجل واقف متلفع بطيلسانه يراوح بين قدميه فعنّ لى بيتان فأنشدتهما وهما

خليلَىَّ مِنْ سَعْدٍ أَلِمَّا فَسَلِّمَا على مريمٍ لا يُبْعِدِ اللهُ مَرْيَمَا

وقولا لها هـذا الفِراقُ عَزَمتِهِ ... فهلْ مِنْ نوالٍ بَعد ذاك فيُعـلَما

قال فقال لى الرجل المتلفع بطيلسانه فنعلما فقلت ماالفرق بين يعلما ونعلما فقال إن الشعر يصلحه معناه ويفسده معناه ماحاجتنا إلى أن يعلم الناس أَسرارنا فقلت له أنا أعلم بالشعر منك قال فلمن الشعر قلت للأسود بن عمارة النوفلى فقال لى فأنا هو فدنوت منه فأخبرته خبرموسى واعتذرت اليه من مراجعتى إياه قال فصرف دابته وقال هذا أحق منزل بأن يترك قال مصعب الزبيرى قال أبو المعافى أنشدت العباس بن محمد مديحا فى موسى وهارون

ياخيزرانُ هَناكِ ثم هناكِ ... إنَّ العبادَ يَسوسُهمْ إبْناك

قال فقال لى إنى أنصحك قال اليمانى لاتذكر أمى بخير ولا بشر * وذكر أحمد بن صالح بن أبى فنن قال حدثنى يوسف الصيقل الشاعر الواسطى قال كنا عند الهادى بجرجان قبل الخلافة ودخوله بغداد فصعد مستشرفا له حسنا فغُنى بهذا الشعر

واسْتَقَلَّتْ رِجالُهُمْ ... بالرُّدَيْنِىِّ شُرَّعا

فقال كيف هذا الشعر فأنشدوه فقال كنت أشتهى أن يكون هذا الغناء فى شعر أرقّ من هذا اذهبوا إلى يوسف الصيقل حتى يقول فيه قال فأتونى فأخبرونى الخبر فقلت

لا تَلُمْنى أنْ أَجزَعا ... سيِّدِى قد تَمَنَّعا

وابَلائى إن كان ما ... بيننا قد تَقطَّعـا

إنَّ موسى بفضلِهِ ... جَمَعَ الفضـل أجمعا

قال فنظر فاذا بعير أمامه فقال أوقروا هذا دراهم ودنانير واذهبوا بها اليه قال فأتونى بالبعير موقراً * وذكر محمد بن سعد قال حدثنى أبو زهير قال كان ابن دأب أحظى الناس عند الهادى فخرج الفضل بن الربيع يوما فقال إن أمير المؤمنين يأمر مَن ببابه بالانصراف فأما أنت يا ابن دأب فادخل قال ابن دأب فدخلت عليه وهو منبطح على فراشه وإن عينيه لحمراوان من السهر وشرب الليل فقال لى

حدثنى بحديث فى الشراب فقلت نعم ياأمير المؤمنين خرجت رجلة من كنانة يلتجعون الخمر من الشأم فمات أخ لأحدهم فجلسوا عند قبره يشربون فقال أحدهم

لا تُصَرِّدْ هامَةً مِن شَرْبِها أَسْقِهِ الخمرَ وإنْ كان قَبَرْ
أَسقِ أوصالاً وهامًا وصَدَى قاشِعًا يَقشَعُ قَشْعَ المُبْتَكَرْ
كان حُرًّا فهَوَى فيمن هوى كُل عُودٍ وفُنونٍ مُنكسِرْ

قال فدعا بدواة فكتبها ثم كتب إلى الحرانى بأربعين ألف ألف درهم وقال عشرة آلاف لك وثلاثون ألف للثلاثة الأبيات قال فأتيت الحرانى فقال صالحنا على عشرة آلاف على أنك تحلف لنا ألا تذكرها لأمير المؤمنين فحلفت ألا أذكرها لأمير المؤمنين حتى يبدأنى فمات ولم يذكرها حتى أفضت الخلافة إلى الرشيد *

وذكر أبو دعامة أن سلم بن عمرو الخاسر مدح موسى الهادى فقال

بعيساباذَ حُرٌّ مِن قريشٍ على جَنباتِهِ الشَّرْبُ الرِّواءُ
يَعوذُ المسلمونَ بِحَقوَتيهِ إذا ماكان خَوف أو رجاءُ
وبالمَيْدانِ دُورٌ مُشْرِفات يُشَيِّدُهُنَّ قَوم أَدعياءُ
وكم من قائل إنى صحيح وتأباهُ الخلائقُ والرُّواءُ
له حسبٌ يَضن به ليبقَى وليس لما يضن به بقاءُ
على الضبِّ لوم ليس يخفى يُغَطيهِ فينكشِفُ الغطاءُ
لعمرى لو أقامَ أبو خَديجٍ بِناء الدَّارِ ما انهدَمَ البِناءُ

قال وقال سلم الخاسر لما تولى الهادى الخلافة بعد المهدى

لقد فاز موسى بالخلافةِ والهدى ومات أميرُ المؤمنينَ مُحمدُ
فماتَ الذى عمَّ البريةَ فقدُهُ وقام الذى يكفيكَ مَنْ يَتفقَّدُ

وقال أيضاً

تخفَى المُلوكُ لموسى عندَ طلعتِهِ مثلَ النجوم لِقَرنِ الشمسِ إذْ طلعا
وليس خَلق يرَى بدرًا وطلعتَهُ منَ البَرِيّةِ إلَّا ذلَّ أو خَضَعا

وقال أيضاً

لولا الخليفةُ موسى بعد والِدِهِ ماكان للناسِ مِنْ مَهْدِيّهم خلَفُ
أَلا ترَى أُمّـــةَ الأُمّىّ واردَةً كأنها من نواحى البَحْرِ تغترِفُ
مِنْ راحتَىْ مَلِكٍ قد عَمَّ نائلهُ كأنَّ نائله مِنْ جودِهِ سَرَفُ

وذكر إدريس بن أبى حفصة أن مروان بن أبى حفصة حدّثه قال لما ملك موسى الهادى دخلت عليه فأنشدته

إنْ خُلِدَتْ بعـــد الإمامِ محمـــد نفسى لَما فَرِحَتْ بِطُول بقائها

قال ومدحت فقلت فيه

بسبعينَ أَلفاً شدَّ ظهرى وراشنى أبُوكَ وقدعاينَتُ مِنْ ذاك مُشْهَدا
وَإنى أَميرَ المؤمنـــين لواثق بأنْ لا يُرَى شرْبى لديك مُصَرْدا

فلما أنشدته قال ومن يبلغ مدى المهدى ولـكنا سنبلغ رضاك قال وعاجلته المنية فلم يعطنى شيئاً ولا أخذتُ من أحد درهما حتى قام الرشيد * وذكر هارون ابن موسى القَرَوىّ قال حدّثنى أبو غُزيّة عن الضحاك بن معن السلمى قال دخلت على موسى فأنشدته

يا مَنزِلَىْ شَجْو الفؤاد تَـكلَّمَا فلقد أَرَى بكما الرَّباب وكلْثُما
مامنزلان على التّقـادُم والبلى أبكَى لِما تحت الجوانِـح منكما
رُدَّ السلامَ على كبير شاقهُ طَلَلان قد دَرسا فهاجَ فَسلما

قال ومدحته فيها فلما بلغت

سَـبِط الأنامِلِ بالفعالِ أحاله أن ليس يَترُكُ فى الخزائنِ درهما

التفت الى احمد الخازن فقال ويحك يا احمد كأنه نظر الينا البارحة قال وكان قد أخرج تلك الليـلة مالا كثيراً ففرّقه * وذكر عن اسحاق الموصلىّ أو غيره عن إبراهيم قال كنا يوما عند موسى وعنده ابن جامع ومُعاذ بن الطبيب وكان أول يوم دخل علينا معاذ وكان معاذ حاذقا بالأغانى عارفا بأقدمها فقال من أطربنى منكم فله حُكمه فغناه ابن جامع غناء فلم يحركه وفهمتُ غرضـــه فى الأغانى فقال هات يا إبراهيم فغنّيته

سُليمى أجمعَتْ بينا فأينَ نقولها أينا

فطرب حتى قام من مجلسه ورفع صوته وقال أَعِد فأعدتُ فقال هذا غرضى فاحتكم فقلت يا أمير المؤمنين حائط عبد الملك وعينه الخرارة فدارت عيناه فى رأسه حتى صارتا كأنهما جمرتان ثم قال يا ابن اللخناء أردت أن تسمع العامة أنك أطربتنى وأنى حكمتك فأقطعتك أما والله لولا بادرة جهلك التى غلبت على صحيح عقلك لضربت الذى فيه عيناك ثم أطرق هُنَيْئة فرأيت ملك الموت بينى وبينه ينتظر أمره ثم دعا إبراهيم الحرانى فقال خذ بيد هذا الجاهل فأدخله بيت المال فليأخذ منه ما شاء فأدخلنى الحرانى بيت المال فقال كم تأخذ قلت مائة بدرة قال دعنى أؤامره قال قلت فثمانين قال حتى أؤامره فعملت ما أراد فقلت سبعين بدرة لى وثلاثين لك قال الآن جئت بالحق فشأنك فانصرفت بسبعمائة ألف وانصرف ملك الموت عن وجهى وذكر علىّ بن محمد قال حدثنى صالح بن علىّ بن عطية الأضخم عن حكم الوادىّ قال كان الهادى يشتهى من الغناء الوسط الذى يقل ترجيعه ولا يبلغ أن يستخف به جدّاً قال فبينا نحن ليلة عنده وعنده ابن جامع والموصلىّ والزبير ابن دحمان والغَنَوىّ إذ دعا بثلاث بدور وأمر بهنّ فوُضعن فى وسط المجلس ثم ضم بعضهن إلى بعض وقال من غنانى صوتا فى طريقى الذى أشتهيه فهن له كلهن قال وكان فيه خُلق حسن كان إذا كره شيئاً لم يوقف عليه وأعرض عنه فغناه ابن جامع فأعرض عنه وغنى القوم كلهم فأقبل يعرض حتى تغنيت فوافقت ما يشتهى فصاح أحسنت أحسنت اسقونى فشرب وطرب فقمت فجلست على البدور وعلمت انى قد حَوَيْتها فحضر ابن جامع فأحسن المحضر وقال يا أمير المؤمنين هو والله كما قلتَ وما منا أحد إلا وقد ذهب عن طريقك غيره قال فقال هى لك وشرب حتى بلغ حاجته على الصوت ونهض فقال مُروا ثلاثة من الفرّاشين يحملونها معه فدخل وخرجنا نمشى فى الصحن منصرفين فلحقنى ابن جامع فقلت جعلت فداك يا أبا القاسم فعلتَ ما يفعل مثلك فى نسبك فانظر فيها بما شئت فقال هنأك الله ودِدْنا أنا زِدناك ولحقنا الموصلى فقال أجزنا فقلت ولِمَ لم تحسن محضرك

لا والله ولا درهماً واحداً وذكر محمد بن عبد الله قال قال لى سعيد القارئ العلاف
وكان صاحب أبان القارئ إنه كان عند موسى جلساؤه فيهم الحرّانى وسعيد بن سلم
وغيرهما وكانت جارية لموسى تسقيهم وكانت ماجنة فكانت تقول لهذا يا جلفى
وتعبث بهذا وهذا ودخل يزيد بن مزيد فسمع ما تقول لهم فقال لها والله الكبير لئن قلت لى
مثل ما تقولين لهم لأضربنك ضربة بالسيف فقال لها موسى ويلك إنه والله يفعل
ما يقول فإياك قال فأمسكت عنه ولم تعابثه قط قال وكان سعيد العلاف وأبان
القارئ أباضيين وذكر أحمد بن إبراهيم بن اسماعيل بن داود الكاتب قال حدثنى
ابن القداح قال كانت للربيع جارية يقال لها أمة العزيز فائقة الجمال ناهدة الثديين
حسنة القوام فأهداها إلى المهدى فلما رأى جمالها وهيئتها قال هذه لموسى أصلح
فوهبها له فكانت أحب الخلق إليه وولدت له بنيه الأكابر ثم إن بعض أعداء
الربيع قال لموسى إنه سمع الربيع يقول ما وُضعت بينى وبين الأرض مثل أمة
العزيز فغار موسى من ذلك غيرة شديدة وحلف لَيَقْتُلَنّ الربيع فلما استخلف دعا
الربيع فى بعض الأيام فتغدى معه وأكرمه وناوله كأساً فيها شراب عسل قال
فقال الربيع فعلمت أن نفسى فيها وأنى إن رددت الكأس ضرب عنقى مع ما قد علمت
أن فى قلبه على من دخولى على أمّه وما بلغه عنى ولم يسمع منى عذراً فشربتها وانصرف
الربيع إلى منزله فجمع ولده وقال لهم إنى ميت فى يومى هذا أو من غد فقال له ابنه
الفضل ولم تقول هذا جعلت فداك فقال إن موسى سقانى شربة سم بيده فأنا أجد
عملها فى بدنى ثم أوصى بما أراد ومات فى يومه أو من غده ثم تزوج الرشيد أمة
العزيز بعد موت موسى الهادى فأولدها على بن الرشيد وزعم الفضل بن سليمان
ابن إسحاق الهاشمى أن الهادى لما تحول إلى عيساباذ فى أول السنة التى ولى الخلافة
فيها عزل الربيع عما كان يتولاه من الوزارة وديوان الرسائل وولى مكانه عمر
ابن بزيع وأقر الربيع على الزمام فلم يزل عليه إلى أن توفى الربيع وكانت وفاته بعد
ولاية الهادى بأشهر وأوذن بموته فلم يحضر جنازته وصلى عليه هارون الرشيد
وهو يومئذ ولى عهد وولى موسى مكان الربيع إبراهيم بن ذكوان الحرانى واستخلف

على ما تولاه اسماعيل بن صَبيح ثم عزله واستخلف يحيي بن سليم وولى اسماعيل زمام ديوان الشأم وما يليها وذكر يحيي بن الحسن بن عبد الخالق خال الفضل بن الربيع أن أباه حدثه أن موسى الهادى قال أريد قتل الربيع فما أدرى كيف أفعل به فقال له سعيد بن سلم تأمر رجلا باتخاذ سكين مسموم وتأمر بقتله ثم تأمر بقتل ذلك الرجل قال هذا الرأى فأمر رجلا فجلس له فى الطريق وأمره بذلك فخرج بعض خلفاء الربيع فقال له إنه قد أمر فيك بكذا وكذا فأخذ فى غير ذلك الطريق فدخل منزله فتمارض فمرض بعد ذلك ثمانية أيام فمات ميتة نفسه وكانت وفاته سنة ١٦٩ وهو الربيع بن يونس

خلافة هارون الرشيد

بويع للرشيد هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بالخلافة ليلة الجمعة الليلة التى توفى فيها أخوه موسى الهادى وكانت سنه يوم ولى اثنتين وعشرين سنة وقيل كان يوم بويع بالخلافة ابن إحدى وعشرين سنة وأمه أم ولد يمانية جُرَشية يقال لها خيزران وولد بالرى لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ١٤٥ فى خلافة المنصور وأما البرامكة فإنها فيما ذكر تزعم أن الرشيد ولد أول يوم من المحرم سنة ١٤٩ وكان الفضل بن يحيي ولد قبله بسبعة أيام وكان مولد الفضل لسبع بقين من ذى الحجة سنة ١٤٨ فجعلت أم الفضل ظئرا للرشيد وهى زينب بنت منير فأرضعت الرشيد بلبان الفضل وأرضعت الخيزران الفضل بلبان الرشيد وذكر سليمان بن أبى شيخ أنه لما كان الليلة التى توفى فيها موسى الهادى أخرج هَرْثمةُ بن أعين هارون الرشيد ليلا فأقعده للخلافة فدعا هارون يحيي بن خالد بن برمك وكان محبوسا وقد كان عزم موسى على قتله وقتل هارون الرشيد فى تلك الليلة قال فحضر يحيي وتقلد الوزارة ووجه الى يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب فأحضره وأمره بانشاء الكتب فلما كان غداة تلك الليلة وحضر القواد قام يوسف بن القاسم فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم

تكلم بكلام أبلغ فيه وذكر موت موسى وقيام هارون بالأمر من بعده وما أمر به للناس من الأعطيات وذكر أحمد بن القاسم أنه حدثه عمه على بن يوسف بن القاسم هذا الحديث فقال حدثنى يزيد الطبرى مولانا أنه كان حاضراً يحمل دواة أبى يوسف بن القاسم فحفظ الكلام قال قال بعد الحمد لله عز وجل والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم إن الله بمنه ولطفه منَّ عليكم معاشر أهل بيت نبيه بيت الخلافة ومعدن الرسالة وإياكم أهل الطاعة من أنصار الدولة وأعوان الدعوة من نعمه التى لا تحصى بالعدد ولا تنقضى مدى الأبد وأياديه التامة أن جمع أُلفتكم وأعلى أمركم وشد عضدكم وأوهن عدوكم وأظهر كلمة الحق وكنتم أولى بها وأهلها فأعزكم الله وكان الله قوياً عزيزا فكنتم أنصار دين الله المرتضى والذابين بسيفه المنتضى عن أهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم وبكم استنقذهم من أيدى الظلمة أئمة الجور والناقضين عهد الله والسافكين الدم الحرام والآكلين الفىء والمستأثرين به فاذكروا ما أعطاكم الله من هذه النعمة واحذروا أن تغيروا فيغيِّر بكم وأن الله جل وعز استأثر بخليفته موسى الهادى الإمام فقبضه إليه وولى بعده رشيداً مرضيا أمير المؤمنين بكم رءوفا رحيما من محسنكم قبولا وعلى مسيئكم بالعفو عطوفا وهو أمتعه الله بالنعمة وحفظ له ما استرعاه إياه من أمر الأمة وتولاه بما تولى به أولياءه وأهل طاعته يعدكم من نفسه الرأفة بكم والرحمة لكم وقسم أعطياتكم فيكم عند استحقاقكم ويبذل لكم من الجائزة مما أفاء الله على الخلفاء مما فى بيوت الأموال ماينوب عن رزق كذا وكذا شهراً غير مقاص لكم بذلك فيما تستقبلون من أعطياتكم وحاملا باقى ذلك للدفع عن حريمكم وما لعله أن يحدث فى النواحى والأقطار من العصاة المارقين إلى بيوت الأموال حتى تعود الأموال إلى جمامها وكثرتها والحال التى كانت عليها فاحمدوا الله وجددوا شكراً يوجب لكم المزيد من إحسانه إليكم بما جدد لكم من رأى أمير المؤمنين وتفضل به عليكم أيده الله بطاعته وارغبوا إلى الله له فى البقاء ولكم به فى إدامة النعماء لعلكم ترحمون واعطوا صفقة أيمانكم وقوموا إلى بيعتكم حاطكم الله وحاط عليكم وأصلح بكم وعلى أيديكم

وتولاكم ولاية عباده الصالحين وذكر يحيي بن الحسن بن عبد الخالق قال حدثني محمد ابن هشام المخزومى قال جاء يحيي بن خالد إلى الرشيد وهو نائم فى لحاف بلا إزار لما توفى موسى فقال قم يا أمير المؤمنين فقال له الرشيد كم تروعنى إعجابا منك بخلاقى وأنت تعلم حالى عند هذا الرجل فإن بلغه هذا فما تكون حالى فقال له هذا الحرانى وزير موسى وهذا خاتمه قال فقعد فى فراشه فقال أشر علىّ قال فبينما هو يكلمه إذ طلع رسول آخر فقال قد وُلد لك غلام فقال قد سميته عبد الله ثم قال ليحيي أشر علىّ فقال أشير عليك أن تقعد لحالك على أرمينيّته قال قد فعلت ولا والله لا صليت بعيساباذ إلا عليها ولا صليت الظهر إلا ببغداد وإلا ورأس أبى عصمة بين يدى قال ثم لبس ثيابه وخرج فصلى عليه وقدَّم أبا عصمة فضرب عنقه وشد جمته فى رأس قناة ودخل بها بغداد وذلك أنه كان مضى هو وجعفر بن موسى الهادى راكبين فبلغا إلى قنطرة من قناطر عيساباذ فالتفت أبو عصمة إلى هارون فقال له مكانك حتى يجوز ولىّ العهد فقال هارون السمع والطاعة للأمير فوقف حتى جاز جعفر فكان هذا سبب قتل أبى عصمة قال ولما صار الرشيد إلى كرسى الجسر دعا بالغواصين فقال كان المهدى وهب لى خاتما شراؤه مائة ألف دينار يسمى الجبل فدخلتُ على أخى وهو فى يدى فلما انصرفت لحقنى سليم الأسود على الكرسىّ فقال يأمرك أمير المؤمنين أن تعطيني الخاتم فرميت به فى هذا الموضع فغاصوا فأخرجوه فسر به غاية السرور قال محمد بن اسحق الهاشمى حدثنى غير واحد من أصحابنا منهم صباح بن خاقان التميمى أن موسى الهادى كان خلع الرشيد وبايع لابنه جعفر وكان عبد الله بن مالك على الشرط فلما توفى الهادى هجم خزيمة بن خازم فى تلك الليلة فأخذ جعفراً من فراشه وكان خزيمة فى خمسة آلاف من مواليه معهم السلاح فقال والله لأضربن عنقك أو تخلعها فلما كان من الغد ركب الناس إلى باب جعفر فأتى به خزيمة فأقامه على باب الدار فى العُلو والأبواب مغلقة فأقبل جعفر ينادى يا معشر المسلمين من كانت لى فى عنقه بيعة فقد أحللته منها والخلافة لعمّى هارون ولا حق لى فيها وكان سبب مشى عبد الله بن مالك الخزاعى إلى مكة على اللبود

لأنه كان شطور الفقهاء فى أيمانه التى حلف بها لبيعة جعفر فقالوا له كل يمين لك تخرج منها إلا المشى إلى بيت الله ليس فيه حيلة فحج ماشيا وحظى خزيمة بذلك عند الرشيد وذكر أن الرشيد كان ساخطا على ابراهيم الحرانى وسلام الأبرش يوم مات موسى فأمر بحبسهما وقبض أموالهما فحبس ابراهيم عند يحيى بن خالد فى داره فكلم فيه محمد ابن سليمان هارون وسأله الرضى عنه وتخلية سبيله والإذن له فى الانحدار معه إلى البصرة فأجابه إلى ذلك ﴿وفى هذه السنة﴾ عزل الرشيد عمر بن عبد العزيز العُمَرىّ عن مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان اليه من عملها وولى ذلك اسحاق بن سليمان بن علىّ ﴿وفيها﴾ ولد محمد بن هارون الرشيد وكان مولده فيما ذكر أبو حفص الكرمانى عن محمد بن يحيى بن خالد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال من هذه السنة وكان مولد المأمون قبله فى ليلة الجمعة النصف من شهر ربيع الأول ﴿وفيها﴾ قلد الرشيد يحيى بن خالد الوزارة وقال له قد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقى اليك فاحكم فى ذلك بما ترى من الصواب واستعمل من رأيت واعزل من رأيت وأمض الأمور على ما ترى ودفع اليه خاتمه ففى ذلك يقول ابراهيم الموصلىّ :

أَلَمْ تَرَ أنّ الشَّمْسَ كانَتْ سَقيمة ... فلما وَلِي هارونُ أشْرَقَ نُورُها
بِيُمْنِ أَمينِ اللهِ هارونَ ذى النَّدَى ... فهارونُ وَالِيها وَيَحْيَى وَزيرُها

وكانت الخيزران هى الناظرة فى الأمور وكان يحيى يعرض عليها ويصدر عن رأيها ﴿وفيها﴾ أمر هارون بسهم ذوى القربى فقسم بين بنى هاشم السوية ﴿وفيها﴾ آمن من كان هاربا أو مستخفياً غير نفر من الزنادقة منهم يونس بن فروة ويزيد ابن الفيض وكان ممن ظهر من الطالبيين طَبَاطَبا وهو ابراهيم بن اسماعيل وعلىّ بن الحسن بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن ﴿وفيها﴾ عزل الرشيد الثغور كلها عن الجزيرة وقنسرين وجعلها حيزاً واحداً وسميت العواصم ﴿وفيها﴾ عمرت طَرَسُوس على يدى أبى سليم فرج الخادم التركى ونزلها الناس ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة هارون الرشيد من مدينة السلام فأعطى أهل الحرمين عطاء كثيرا وقسم

فيهم مالا جليلا وقد قيل إنه حج فى هذه السنة وغزا فيها وفى ذلك يقول داود بن رزين :

بِهارونَ لاحَ النورُ فى كلِّ بَلْدَةٍ وَقامَ بِهِ فى عَدْلِ سيرتِهِ النَهْجُ
إمام بِذاتِ اللهِ أصْبَحَ شُغْلُهُ وَأكثرُ ما يُعْنَى بِهِ الغزْوُ والحَجُ
تضيقُ عُيونُ الناس عَن نُورِ وَجْهِهِ إذا ما بَدا للنّاسِ مَنْظَرُهُ البَلْجُ
وَإنَّ أمينَ اللهِ هارونَ ذا النَّدَى يُنيلُ الذى يَرْجوهُ أضعافَ ما يَرْجو

وغزا الصائفة فى هذه السنة سليمان بن عبدالله البكائى وكان العامل فيها على المدينة اسحق بن سليمان الهاشمى وعلى مكة والطائف عبيدالله بن قثم وعلى الكوفة موسى ابن عيسى وخليفته عليها ابنه العباس بن موسى وعلى البصرة والبحرين والفرض وعمان واليمامة وكور الأهواز وفارس محمد بن سليمان بن على

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك قدوم أبى العباس الفضل بن سليمان الطوسى مدينة السلام منصرفا عن خراسان وكان خاتمُ الخلافة حين قدم مع جعفر بن محمد بن الأشعث فلما قدم أبو العباس الطوسى أخذه الرشيد منه فدفعه إلى أبى العباس ثم لم يلبث أبو العباس الا يسيراً حتى توفى فدفع الخاتم إلى يحيى بن خالد فاجتمعت ليحيى الوزارتان ﴿وفيها﴾ قتل هارون أبا هُرَيرة محمد بن فروخ وكان على الجزيرة فوجه اليه هارون أبا حنيفة حرب بن قيس فقدم به مدينة السلام فضرب عنقه فى قصر الخلد ﴿وفيها﴾ أمر هارون باخراج من كان فى مدينة السلام من الطالبيين إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم خلا العباس بن الحسن بن عبد الله بن على ابن أبى طالب وكان أبوه الحسن بن عبدالله فيمن أشخص وخرج الفضل بن سعيد الحرورى فقتله أبو خالد المرْوَروذى ﴿وفى هذه السنة﴾ كان قدوم رَوْح بن حاتم أفريقية وخرجت فى هذه السنة الخيزران إلى مكة فى شهر رمضان فأقامت بها إلى

وقت الحج فحجت (وحج) بالناس فى هذه السنة عبد الصمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك شخوص الرشيد فيها إلى مرج القلعة مرتاداً بها منزلا ينزله

ذكر السبب فى ذلك

ذكر أن الذى دعاه إلى الشخوص اليها أنه استثقل مدينة السلام فكان يسميها البخار فخرج إلى مرج القلعة فاعتل بها فانصرف وسميت تلك السفرة سفرة المرتاد (وفيها) عزل الرشيد يزيد بن مزيد عن أرمينية وولاها عبيد الله بن المهدىّ * وغزا الصائفة فيها اسحاق بن سليمان بن علىّ (وحج) بالناس فى هذه السنة يعقوب ابن أبى جعفر المنصور (وفيها) وضع هارون عن أهل السّواد العشر الذى كان يؤخذ منهم بعد النصف

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك وفاة محمد بن سليمان بالبصرة لليال بقين من جمادى الآخرة منها وذكر أنه لما مات محمد بن سليمان وجه الرشيد إلى كلّ ماخلفه رجلا أمره باصطفائه فأرسل إلى ماخلف من الصامت من قبل صاحب بيت ماله رجلا وإلى الكسوة بمثل ذلك وإلى الفرش والرقيق والدوابّ من الخيل والإبل وإلى الطيب والجوهر وكلّ آلة برجلٍ من قِبَل الذى يتولى كلّ صنف من الأصناف فقدموا البصرة فأخذوا جميع ما كان لمحمد مما يصلح للخلافة ولم يتركوا شيئا الا الخُرْثِى الذى لا يصلح للخلفاء وأصابوا له ستين ألف ألف فحملوها مع ماحمل فلما صارت فى السفُن أخبر الرشيد بمكان السفن التى حملت ذلك فأمر أن يُدخَل جميعُ ذلك خزائنه الا المال فإنه أمر بصكاك فكُتبت للندماء وكتبت للمغنين صكاك صغار

لم تُدَر فى الديوان ثم دفع إلى كلّ رجل صكا بما رأى أن يهب له فأرسلوا وكلاءهم إلى السفن فأخذوا المال على ما أمر لهم به فى الصكاك أجمع لم يدخل منه بيتَ ماله دينار ولا درهم واصطفى ضياعه وفيها ضيعة يقال لها بَرَشيد بالأهواز لها غلة كثيرة * وذكر على بن محمد عن أبيه قال لما مات محمد بن سليمان أصيب فى خزانته لباسه مذ كان صبيّا فى الكُتّاب إلى أن مات مقادير السنين فكان من ذلك ما عليه آثار النقس قال وأخرج من خزانته ما كان يُهدَى له من بلاد السند ومُكران وكرمان وفارس والأهواز واليمامة والرى وعمان من الالطاف والأدهان والسمك والحبوب والجبن وما أشبه ذلك ووُجد أكثره فاسدا وكان من ذلك خمسمائة كَنْعَدَة ألقيَتْ من دار جعفر ومحمد فى الطريق فكانت بلاءً قال فمكثنا حينا لا نستطيع أن نمرّ بالمربد من نتنها (وفيها) توفيت الخيزران أم هارون الرشيد وموسى الهادى

ذكر الخبر عن وقت وفاتها

ذكر يحيى بن الحسن أن أباه حدثه قال رأيت الرشيد يوم ماتت الخيزران وذلك فى سنة ١٧٣ وعليه جُبة سعدية وطيلسان خِرَقٌ أزرق قد شدّ به وسطُه وهو آخذ بقائمة السرير حافيا يعدو فى الطين حتى أتى مقابر قريش فغسل رجليه ثم دعا بخف وصلى عليها ودخل قبرها فلما خرج من المقبرة وُضع له كرسى فجلس عليه ودعا الفضل بن الربيع فقال له وحق المهدى وكان لا يحلف بها الا اذا اجتهد انى لأهمّ لك من الليل بالشىء من التولية وغيرها فتمنعنى أمّى فأطيع أمرها فخذ الخاتم من جعفر فقال الفضل بن الربيع لاسماعيل بن صبيح أنا أجل أبا الفضل عن ذلك بأن أكتب اليه وآخذه ولكن إن رأى أن يبعث به قال وولى الفضل نفقات العامة والخاصة ببادوريا والكوفة وهى خمسة طساسيج فأقبلت حاله تنمى إلى سنة ١٨٧ وقيل إن وفاة محمد بن سليمان والخيزران كانت فى يوم واحد (وفيها) أقدم الرشيد جعفر بن محمد بن الأشعث من خراسان وولاها ابنه العباس بن جعفر ابن محمد بن الأشعث (وحج) بالناس فيها هارون وذكر أنه خرج محرما من مدينة السلام

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

فمن ذلك ما كان بالشام من العصبية فيها (وفيها) ولى الرشيد اسحاق بن سليمان الهاشمى السند ومكران (وفيها) استقضى الرشيد يوسف بن أبى يوسف وأبوه حى (وفيها) هلك روح بن حاتم (وفيها) خرج الرشيد إلى باقَرْدَى وبازَبْدَى وبنى بباقردى قصراً فقال الشاعر فى ذلك

بقردى وبازبدى مَصيف ومَرْبَعٌ ... وعَذْبٌ يُحاكِى السلسبيلَ برودُ
وبَغْدادُ ما بَغـداد أمّا تُرابُها ... فَخُرءٌ وأما حَرها فَشديدُ

وغزا الصائفة عبد الملك بن صالح (وحج) بالناس فيها هارون الرشيد فبدأ بالمدينة فقسم فى أهلها مالا عظيما ووقع الوباء فى هذه السنة بمكة فأبطأ عن دخولها هارن ثم دخلها يوم التروية وفقضى طوافه وسعيه ولم ينزل بمكة

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك عقد الرشيد لابنه محمد بمدينة السلام من بعده ولاية عهد المسلمين وأخذه له بذلك بيعة القوّاد والجند وتسمية إياه الأمين وله يومئذ خمس سنين فقال سلم الخاسر:

قد وفّقَ اللهُ الخليفـةَ إذ بنى ... بَيتَ الخليفةِ لِلهجانِ الأزهرِ
فهو الخليفةُ عن أبيه وجدّهِ ... شَهِدا عليه بِمَنظرٍ وبِمَخبرِ
قد بايَعَ الثقلان فى مهدِ الهدى ... لمحمدِ بن زُبيدَةَ ابنـةِ جعفرِ

ذكر الخبر عن سبب بيعة الرشيد له

وكان السبب فى ذلك فيما ذكر روح مولى الفضل بن يحيى بن خالد أنه رأى عيسى بن جعفر قد صار إلى الفضـل بن يحيى فقال له أنشدك الله لما عملت فى البيعة لابن أختى يعنى محمد بن زبيدة بنت جعفر بن المنصور فانه ولد لك

وخلافته لك فوعده أن يفعل وتوجه الفضل على ذلك وكانت جماعة من بنى العباس قد مدّوا أعناقهم إلى الخلافة بعد الرشيد لأنه لم يكن له ولى عهد فلما بايع له أنكروا بيعته لصغر سنه قال وقد كان الفضل لما تولى خراسان أجمع على البيعة لمحمد * فذكر محمد بن الحسين بن مصعب أن الفضل بن يحيى لما صار إلى خراسان فرق فيهم أموالا وأعطى الجند أعطيات متتابعات ثم أظهر البيعة لمحمد بن الرشيد فبايع الناس له وسماه الأمين فقال فى ذلك النمرى :

أَمسَتْ بمرو على التوفيقِ قد صَفَقَتْ ... على يدِ الفضل أيدِى العُجْمِ والعربِ
ببيعةٍ لِوَلِىّ العهدِ أحكمَها ... بالنصح منه وبالإشفاقِ والحَدَبِ
قد وكَّد الفضلُ عقدًا لا انتِقاض له ... لمصطفًى من بنى العباسِ مُنتَخَبِ

قال فلما تناهى الخبر إلى الرشيد بذلك وبايع له أهل المشرق بايع لمحمد وكتب إلى الآفاق فبويع له فى جميع الأمصار فقال أبان اللاحقىّ فى ذلك :

عَزَمْتَ أمير المؤمنينَ على الرشْدِ ... بِرَأْىِ هُدًى فالحمدُ لله ذِى الحمدِ

وعزل فيها الرشيد عن خراسان العباس بن جعفر وولاها خاله الغطريف ابن عطاء ﴿وفيها﴾ صار يحيى بن عبدالله بن حسن إلى الديلم فتحرك هناك * وغزا الصائفة فيها عبدالرحمن بن عبدالملك بن صالح فبلغ إقرِيطِيَة وقال الواقدىّ الذى غزا الصائفة فى هذه السنة عبد الملك بن صالح قال وأصابهم فى هذه الغزاة برد قطع أيديهم وأرجلهم ﴿وحج﴾ بالناس فيها هارون الرشيد

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تولية الرشيد الفضل بن يحيى كور الجبال وطبرستان ودنباوند وقومس وأرمينية وآذربيجان ﴿وفيها﴾ ظهر يحيى بن عبدالله بن حسن ابن حسن بن على بن أبى طالب بالديلم

ذكر الخبر عن مخرج يحيي وما كان من أمره

ذكر أبو حفص الكرمانىّ قال كان أول خبر يحيي بن عبد الله بن حسن ابن حسن بن علىّ بن أبي طالب أنه ظهر بالديلم واشتدّت شوكته وقوى أمره ونزع اليه الناس من الأمصار والكور فاغتم لذلك الرشيد ولم يكن فى تلك الأيام يشرب النبيذ فندب إليه الفضل بن يحيي فى خمسين ألف رجل ومعه صناديد القواد وولاه كور الجبال والرّى وجرجان وطبرستان وقومس ودنباوند والرويان وحُملت معه الأموال ففرّق الكور على قوّاده فولى المثنى بن الحجاج ابن قتيبة بن مسلم طبرستان وولى على بن الحجاج الخزاعى جرجان وأمر له بخمسمائة ألف درهم وعسكر بالنهرين وامتدحه الشعراء فأعطاهم فأكثر وتوسل اليه الناس بالشعر ففرق فيهم أموالا كثيرة وشخص الفضل بن يحيي واستخلف منصور بن زياد بباب أمير المؤمنين تجرى كتبه على يديه وتنفذ الجوابات عنها اليه وكانوا يثقون بمنصور وابنه فى جميع أمورهم لقديم صحبته لهم وحرمته بهم ثم مضى من معسكره فلم تزل كتب الرشيد تتابع اليه بالبر واللطف والجوائز والخلع فكاتب يحيي ورفق به واستماله وناشده وحذره وأشار عليه وبسط أمله ونزل الفضل بطالقان الرى ودَسْتَبى بموضع يقال له أشب وكان شديد البرد كثير الثلوج ففى ذلك يقول أبان بن عبد الحميد اللاحقى:

لَدُورُ أمَس بالدُولا ... بِ حيثُ السّببُ يَنعرجُ

أحب إلىَّ مِنْ دور ... أشَبَّ إذا هُمُ ثَلَجُ

قال فأقام الفضل بهذا الموضع وواتر كتبه على يحيي وكاتب صاحب الديلم وجعل له ألف ألف درهم على أن يسهل له خروج يحيي إلى ماقبله وحملت اليه فأجاب يحيي إلى الصلح والخروج على يديه على أن يكتب له الرشيد أمانا بخطه على نسخة يبعث بها اليه فكتب الفضل بذلك إلى الرشيد فسّره وعظُم موقعه عنده وكتب أمانا ليحيي بن عبد الله وأشهد عليه الفقهاء والقضاة وجلة بنى هاشم ومشايخهم منهم عبد الصمد بن على والعباس بن محمد ومحمد بن إبراهيم وموسى بن عيسى ومن أشبههم

ووجه به مع جوائز وكرامات وهدايا فوجه الفضل بذلك اليه فقدم يحيي بن عبد الله عليه وورد به الفضل بغداد فلقيه الرشيد بكل ما أحب وأمر له بمال كثير وأجرى له أرزاقا سنية وأنزله منزلا سريا بعد أن أقام فى منزل يحيي بن خالد أياما وكان يتولى أمره بنفسه ولا يَكِلُ ذلك إلى غيره وأمر الناس بإتيانه بعد انتقاله من منزل يحيي والتسليم عليه وبلغ الرشيد الغاية فى اكرام الفضل ففى ذلك يقول مروان بن أبى حفصة

ظَفِرتَ فلا شَلت يدٌ بَرْمَكيَّةٌ ... رَتَقْتَ بها الفَتْقَ الذى بين هاشمِ
على حينِ أعيي الراتقينَ التِئامُهُ ... فكفوا وقالوا ليس بالمُتلاءِم
فأَصْبَحْتَ قد فازَتْ يداك بِخطَّةٍ ... من المجدِ باقٍ ذكرُها فى المواسمِ
وما زالَ قدحُ المُلكِ يَخرُجُ فائزاً ... لكمْ كلما ضُمت قِداحُ المَساهِمِ

قال وأنشدنى أبو ثمامة الخطيب لنفسه فيه

للفضل يومُ الطَّالَقانِ وقبلهُ ... يومٌ أناخَ بهِ على خاقانِ
ما مثلُ يوميهِ اللذينِ توالَيا ... فى غَزْوَتَيْنِ توالتا يومانِ
سَدَّ الثغورَ وَرَدَّ أُلفَةَ هاشِمٍ ... بعدَ الشَّتاتِ فَشَعْبُها مُتَدانِ
عَصَمَتْ حكومَتَهُ جماعةَ هاشم ... مِنْ أنْ يُجَرَّدَ بينها سيفانِ
تلك الحكومةُ لا التى عن لَبْسِها ... عَظُمَ النبا وتفرّقَ الحَكَمانِ

فأعطاه الفضل مائة ألف درهم وخلع عليه وتغنى إبراهيم به * وذكر أحمد ابن محمد بن جعفر عن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن قال لما قدم يحيي بن عبد الله من الديلم أتيته وهو فى دار على بن أبى طالب فقلت يا عم ما بعدك مخبر ولا بعدى مخبر فأخبرنى خبرك فقال يا ابن أخى والله إن كنت إلا كما قال حُيَي بن أخطب

لعمرُكَ مالامَ ابنُ أخطَبَ نفسَهُ ... ولكنَّهُ مَن يَخذُلِ اللهُ يُخذَلِ
يجاهدُ حتى أبلغَ النفسَ حَمدَها ... وقلقلَ يَبغى العِزَّ كلَّ مقلقَلِ

وذكر الضبي أن شيخاً من النوفليين قال دخلنا على عيسى بن جعفر وقد

وضعت له وسائد بعضها فوق بعض وهو قائم متكئ عليها وإذا هو يضحك
من شيء فى نفسه متعجباً منه فقلنا ما الذى يضحك الأمير أدام الله سروره قال
لقد دخلنى اليوم سرور ما دخلنى مثله قط فقلنا تمم الله للأمير سروره وزاده
سروراً فقال والله لا أحدثكم به إلا قائماً واتكأ على الفرش وهو قائم فقال
كنت اليوم عند أمير المؤمنين الرشيد فدعا بيحيى بن عبد الله فأخرج من السجن
مكبلا فى الحديد وعنده بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير
وكان بكار شديد البغض لآل أبى طالب وكان يبلغ هارون عنهم ويسىء بأخبارهم
وكان الرشيد ولاه المدينة وأمره بالتضييق عليهم قال فلما دعى بيحيى قال له
الرشيد هيهْ هِيهْ متضاحكا وهذا يزعم أيضاً أنا سممناه فقال يحيى ما معنى يزعم
ها هو داء لسانى قال وأخرج لسانه أخضر مثل السلق قال فتربد هارون
واشتد غضبه فقال يحيى يا أمير المؤمنين إن لنا قرابة ورحماً ولسنا بترك ولا
ديلم يا أمير المؤمنين إنا وأنتم أهل بيت واحد فأذكرك الله وقرابتنا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم علام تحبسنى وتعذبنى قال فرق له هارون وأقبل الزبيرى
على الرشيد فقال يا أمير المؤمنين لا يغرك كلام هذا فانه شاق عاص وإنما
هذا منه مكر وخبث إن هذا أفسد علينا مدينتنا وأظهر فيها العصيان قال فأقبل
يحيى عليه فوالله ما استأذن أمير المؤمنين فى الكلام حتى قال أفسد عليكم مدينتكم
ومن أنتم عافاكم الله قال الزبيرى هذا كلامه قدامك فكيف إذا غاب عنك
يقول ومن أنتم استخفافا بنا قال فأقبل عليه يحيى فقال نعم ومن أنتم عافاكم
الله المدينة كانت مهاجر عبد الله بن الزبير أم مهاجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن أنت حتى تقول أفسد علينا مدينتنا وإنما بآبائى وآباء هذا هاجر
أبوك إلى المدينة ثم قال يا أمير المؤمنين إنما الناس نحن وأنتم فان خرجنا
عليكم قلنا أكلتم وأجعتمونا ولبستم وأعريتمونا وركبتم وأرجلتمونا فوجدنا
بذلك مقالا فيكم ووجدتم بخروجنا عليكم مقالا فينا فتكافأ فيه القول ويعود
أمير المؤمنين على أهله بالفضل يا أمير المؤمنين فلم يجترئ هذا وضرباؤه على

أهل بيتك يسعى بهم عندك إنه والله ما يسعى بنا إليك نصيحة منه لك وإنه يأتينا فيسعى بك عندنا عن غير نصيحة منه لنا إنما يريد أن يباعد بيننا ويشتفى من بعض ببعض والله يا أمير المؤمنين لقد جاء إلى هذا حيث قتل أخى محمد بن عبد الله فقال لعن الله قاتله وأنشدنى فيه مرثية قالها نحواً من عشرين بيتا وقال إن تحركت فى هذا الأمر فأنا أول من يبايعك وما يمنعك أن تلحق بالبصرة فأيدينا مع يدك قال فتغير وجه الزبيرى واسود فأقبل عليه هارون فقال أى شىء يقول هذا قال كاذب يا أمير المؤمنين ما كان مما قال حرف قال فأقبل على يحيى بن عبد الله فقال تروى القصيدة التى رثاه بها قال نعم يا أمير المؤمنين أصلحك الله قال فأنشدها إياه فقال الزبيرى والله يا أمير المؤمنين الذى لا إله إلا هو حتى أتى على آخر اليمين الغموس ما كان مما قال شىء ولقد يقول على مالم أقل قال فأقبل الرشيد على يحيى بن عبد الله فقال قد حلف فهل من بينة سمعوا هذه المرثية منه قال لا يا أمير المؤمنين ولكن أستحلفه بما أريد قال فاستحلفه قال فأقبل على الزبيرى فقال قل أنا برىء من حول الله وقوته موكل إلى حولى وقوتى إن كنت قلته فقال الزبيرى يا أمير المؤمنين أى شىء هذا من الحلف أحلف له بالله الذى لا إله إلا هو ويستحلفنى بشىء لا أدرى ما هو قال يحيى بن عبد الله يا أمير المؤمنين إن كان صادقاً فما عليه أن يحلف بما أستحلفه به فقال له هارون احلف له ويلك قال فقال أنا برئ من حول الله وقوته موكل إلى حولى وقوتى قال فاضطرب منها وأرعد فقال يا أمير المؤمنين ما أدرى أى شىء هذه اليمين التى يستحلفنى بها وقد حلفت له بالله العظيم أعظم الأشياء قال فقال هارون له لتحلفن له أو لأصدقن عليك ولأعاقبنك قال فقال أنا برىء من حول الله وقوته موكل إلى حولى وقوتى إن كنت قلته قال فخرج من عند هارون فضربه الله بالفالج فمات من ساعته قال فقال عيسى بن جعفر والله ما يسرنى أن يحيى مانقصه حرفا مما كان جرى بينهما ولا قصر فى شىء من مخاطبته إياه قال وأما الزبيريون فيزعمون أن امرأته قتلته وهى من ولد عبد الرحمن ابن عوف وذكر إسحاق بن محمد النخعى أن الزبير بن هشام حدثه عن أبيه أن

بكار بن عبد الله تزوج امرأة من ولد عبد الرحمن بن عوف وكان له من قلبها موضع فاتخذ عليها جارية وأغارها فقالت لغلامين له زنجيين إنه قد أراد قتلكما هذا الفاسق ولاطفتهما فتعاونانى على قتله قالا نعم فدخلت عليه وهو نائم وهما جميعا معها فقعدا على وجهه حتى مات قال ثم إنها سقتهما نبيذا حتى تهوعا حول الفراش ثم أخرجتهما ووضعت عند رأسه قنينة فلما أصبح اجتمع أهله فقالت سكر فقاء فشرق فمات فأخذ الغلامان فضربا ضربا مبرحا فأقرا بقتله وأنها أمرتهما بذلك فأخرجت من الدار ولم تورث * وذكر أبو الخطاب أن جعفر بن يحيي ابن خالد حدثه ليلة وهو فى سمره قال دعا الرشيد اليوم بيحيي بن عبد الله بن حسن وقد حضره أبو البخترى القاضى ومحمد بن الحسن الفقيه صاحب أبى يوسف وأحضر الأمان الذى كان أعطاه يحيي فقال لمحمد بن الحسن ما تقول فى هذا الأمان أصحيح هو قال هو صحيح فحاجه فى ذلك الرشيد فقال له محمد بن الحسن ما تصنع بالأمان لو كان محاربا ثم ولى كان آمنا فاحتملها الرشيد على محمد بن الحسن ثم سأل أبا البخترى أن ينظر فى الأمان فقال أبو البخترى هذا منتقض من وجه كذا وكذا فقال الرشيد أنت قاضى القضاة وأنت أعلم بذلك فمزق الأمان وتفل فيه أبو البخترى وكان بكار بن عبد الله بن مصعب حاضر المجلس فأقبل على يحيي ابن عبد الله بوجهه فقال شققت العصا وفارقت الجماعة وخالفت كلمتنا وأردت خليفتنا وفعلت بنا وفعلت فقال يحيي ومن أنتم رحمكم الله قال جعفر فوالله ما تمالك الرشيد أن ضحك ضحكا شديدا قال وقام يحيي ليمضى إلى الحبس فقال له الرشيد انصرف أما ترون به أثر علة هذا الآن إن مات قال الناس سموه قال يحيي كلا ما زلت عليلا منذ كنت فى الحبس وقبل ذلك أيضا كنت عليلا قال أبو الخطاب فما مكث يحيي بعد هذا إلا شهرا حتى مات وذكر أبو يونس إسحاق بن إسمعيل قال سمعت عبد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علىّ الذى يعرف بالخطيب قال كنت يوما على باب الرشيد أنا وأبى وحضر ذلك اليوم من الجند والقواد مالم أر مثلهم على باب خليفة قبله ولا بعده قال فخرج الفضل

ابن الربيع إلى أبى فقال له ادخل ومكث ساعة ثم خرج إلىّ فقال ادخل فدخلت فإذا أنا بالرشيد معه امرأة يكلمها فأومأ إلىّ أبى أنه لا يريد أن يدخل اليوم أحد فاستأذنت لك لكثرة من رأيت حضر الباب فإذا دخلت هذا المدخل زادك ذلك نبلا عند الناس فما مكثنا إلا قليلا حتى جاء الفضل بن الربيع فقال إن عبد الله ابن مصعب الزبيرىّ يستأذن فى الدخول فقال إنى لا أريد أن أدخل اليوم أحدا فقال قال إن عندى شيئا أذكره فقال قل له يقله لك قال قد قلت له ذلك فزعم أنه لا يقوله إلا لك قال أدخله وخرج ليدخله وعادت المرأة وشغل بكلامها وأقبل علىّ أبى فقال إنه ليس عنده شىء يذكره وإنما أراد الفضل بهذا ليوهم من على الباب أن أمير المؤمنين لم يدخلنا لخاصة خصصنا بها وإنما أدخلنا لأمر نسأل عنه كما دخل هذا الزبيرى وطلع الزبيرى فقال يا أمير المؤمنين ههنا شىء أذكره فقال له قل فقال له إنه سر فقال ما من العباس سرّ فنهضت فقال ولا منك يا حبيبى فجلست فقال قل فقال إنى والله قد خفت على أمير المؤمنين من امرأته وبنته وجاريته التى تنام معه وخادمه الذى يناوله ثيابه وأخص خلق الله به من قواده وأبعدهم منه قال فرأيته قد تغير لونه فقال فماذا قال جاءتنى دعوة يحيى بن عبد الله بن حسن فعلمت أنها لم تبلغنى مع العداوة بيننا وبينهم حتى لم يبق على بابك أحدا إلا وقد أدخله فى الخلاف عليك قال فتقول له هذا فى وجهه قال نعم قال الرشيد أدخله فدخل فأعاد القول الذى قال له فقال يحيى بن عبد الله والله يا أمير المؤمنين لقد جاء بشىء لو قيل لمن هو أقل منك فيمن هو أكثر منى وهو مقتدر عليه لما أفلت منه أبدا ولى رحم وقرابة فلم لا تؤخر هذا الأمر ولا تعجل فلعلك أن تكفى مؤنتى بغير يدك ولسانك وعسى بك أن تقطع رحمك من حيث لا تعلمه أباهله بين يديك وتصبر قليلا فقال يا عبد الله قم فصل إن رأيت ذلك وقام يحيى فاستقبل القبلة فصلى ركعتين خفيفتين وصلى عبد الله ركعتين ثم برك يحيى ثم قال ابرك ثم شبك يمينه فى يمينه وقال اللهم إن كنت تعلم أنى دعوت عبد الله بن مصعب إلى الخلاف على هذا ووضع يده عليه وأشار إليه فاسحتنى بعذاب من عندك وكلنى

إلى حولى وقوتى وإلا فكله إلى حوله وقوته واسحته بعذاب من قبلك آمين رب العالمين فقال عبد الله آمين رب العالمين فقال يحيي بن عبد الله لعبد الله بن مصعب قل كما قلت فقال عبد الله اللهم إن كنت تعلم أن يحيي بن عبد الله لم يدعنى إلى الخلاف على هذا فكلنى إلى حولى وقوتى واسحتنى بعذاب من عندك وإلا فكله إلى حوله وقوته واسحته بعذاب من عندك آمين رب العالمين وتفرقا فأمر بيحيي فحبس فى ناحية من الدار فلما خرج وخرج عبد الله بن مصعب أقبل الرشيد على أبى فقال فعلت به كذا وكذا وفعلت به كذا وكذا فعدد أياديه عليه فكلمه أبى بكلمتين لا يدفع بهما عن عصفور خوفا على نفسه وأمرنا بالانصراف فانصرفنا فدخلت مع أبى أنزع عنه لباسه من السواد وكان ذلك من عادتى فبينما أنا أحلّ عنه منطقته إذ دخل عليه الغلام فقال رسول عبد الله بن مصعب فقال أدخله فلما دخل قال له ما وراءك قال يقول لك مولاى أنشدك الله ألا بلغت إلىّ فقال أبى للغلام قل له لم أزل عند أمير المؤمنين إلى هذا الوقت وقد وجهت اليك بعبد الله فما أردت أن تلقيه إلىّ فألقه اليه وقال للغلام اخرج فانه يخرج فى أثرك وقال لى إنما دعانى ليستعين بى على ماجاء به من الإفك فان أعنته قطعت رحمى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن خالفته سعى بى وإنما يتدرّق الناس بأولادهم ويتقون بهم المكاره فاذهب اليه فكلّ ماقال لك فليكن جوابك له أخبر أبى فقد وجهتك وما آمن عليك وقد كان قال لى أبى حين انصرفنا وذاك أنا احتبسنا عند الرشيد أما رأيت الغلام المعترض فى الدار لا والله ماصرَفنا حتى فرغ منه يعنى يحيي إنا لله وإنا اليه راجعون وعبد الله يحتسب أنفسنا فخرجت مع الرسول فلما صِرتُ فى بعض الطريق وأنا مغموم بما أقدم عليه قلت للرسول ويحك ماأمره وماأزعجه بالإرسال إلى أبى فى هذا الوقت فقال إنه لما جاء من الدار فساعة نزل عن الدابة صاح بطنى بطنى قال عبد الله بن عباس فما حفلت بهذا الكلام من قول الغلام ولا التفت اليه فلما صرنا على باب الدرب وكان فى درب لا منفذ له فتح البابين فاذا النساء قد خرجن منشورات الشعور مختزمات بالحبال يلطمن وجوههن وينادين بالويل وقدمات

الرجل فقلت والله مارأيت أمراً أعجب من هذا وعطفت دابتى راجعاً أركض ركضاً لم أركض مثله قبله ولا بعده إلى هذه الغاية والغلمان والحشم ينتظروننى لتعلق قلب الشيخ بى فلما رأونى دخلوا يتعادون فاستقبلنى مرعوباً فى قميص ومنديل ينادى ماوراءك يا بنى" قلت إنه قدمات قال الحمد لله الذى قتله وأراحك وإيانا منه فما قطع كلامه حتى ورد خادم الرشيد يأمر أبى بالركوب وإياى معه فقال أبى ونحن فى الطريق نسير لوجاز أن يُدَّعى ليحيي نبوة لادعاها أهله رحمة الله عليه وعند الله نحتسبه ولا والله مانشك فى أنه قد قتل فمضينا حتى دخلنا على الرشيد فلما نظر إلينا قال ياعباس بن الحسن أماعلمت بالخبر فقال أبى بلى ياأمير المؤمنين فالحمد لله الذى صرعه بلسانه ووقاك الله ياأمير المؤمنين قطع أرحامك فقال الرشيد الرجل والله سليم على مايحب ورفع الستر فدخل يحيي وأنا والله أتبينُ الارتياع فى الشيخ فلما نظر اليه الرشيد صاح به ياأبامحمد أماعلمت أن الله قد قتل عدوك الجبار قال الحمد لله الذى أبان لأمير المؤمنين كذب عدوه على وأعفاه من قطع رحمه والله ياأمير المؤمنين لو كان هذا الأمر مما أطلبه وأصلحُ له وأريده فكيف ولستُ بطالب له ولا مُريده ولم يكن الظفر به إلا بالاستعانة به ثم لم يبق فى الدنيا غيرى وغيرك وغيره ماتقويت به عليك أبداً وهذا والله من إحدى آفاتك وأشار إلى الفضل بن الربيع والله لو وهبت له عشرة آلاف درهم ثم طمع معى فى زيادة تمرة لباعك بها فقال أماالعباسى فلا تقل له إلا خيراً وأمر له فى هذا اليوم بمائة ألف دينار وكان حبسه بعض يوم قال أبو يونس كان هارون حبسه ثلاث حبسات مع هذه الحبسة وأوصل اليه أربعمائة ألف دينار

(وفى هذه السنة) هاجت العصبية بالشأم بين النزارية واليمانية ورأس للنزارية يومئذ أبو الهيذام

ذكر الخبر عن هذه الفتنة

ذكر أن هذه الفتنة هاجت بالشأم وعامل السلطان بها موسى بن عيسى فقتل بين النزارية واليمانية على العصبية من بعضهم لبعض بشر كثير فولى الرشيد موسى

ابن يحيي بن خالد الشأم وضم اليه من القواد والأجناد ومشايخ الكتاب جماعة فلما ورد الشأم أحلت لدخوله إلى صالح بن علىّ الهاشمى فأقام موسى بها حتى أصلح بين أهلها وسكنت الفتنة واستقام أمرها فانتهى الخبر إلى الرشيد بمدينة السلام ورد الرشيد الحكم فيهم إلى يحيي فعفا عنهم وعما كان بينهم وأقدمهم بغداد وفى ذلك يقول إسحاق بن حسان الخزيمى

مَنْ مُبْلِغٌ يحيي ودون لقائهِ ... زأراتُ كلِّ خنابِسٍ هَمْهامِ
يا راعىَ الإسْلامِ غيرَ مُفَرِّطِ ... فى لِينِ مُغْتَبَطٍ وَطِيبِ مَشامٍ
تَعذَى مَشارِبهُ وتَسْقِى شربة ... وَيَبيتُ بِالرَّبَوات والأعلام
حتى تَنخنَخَ ضارباً بجرانهِ ... ورَسَتْ مَراسيهِ بدار سلام
فلكل ثَغر حارِسٌ من قلبهِ ... وَشُعاعُ طَرفٍ ما يُفَتِّرُ سام

وقال فى موسى غيرُ أبى يعقوب

قد هاجت الشأمُ هَيْجا ... يُشيبُ رأسَ وَليدِهِ
فَصُبَّ موسى عليها ... بخيله وجودِهِ
فَدانَتِ الشأمُ لما ... أتى بسنح وَحيده
هو الجوادُ الذى بُـ ... ذَّ كلَّ جُودٍ بجنوده
أعداهُ جودُ أبيه ... يحيي وجودُ جُدوده
فجادَ موسى بن يحيي ... بطارِفٍ وتَليدِهِ
وَنالَ موسى ذرَى المجـ ... ـدِ وَهوَ حَشوُ مُهُودِهِ
خصصْتُهُ بمديحى ... مَنْثورِهِ وقَصيدِهِ
مِنَ البرامك عَوْدٌ ... له فأكرِم بعوده
حَوَوْا على الشعر طُرًّا ... خفيفِهِ وَمديدِهِ

(وفيها) عزل الرشيد الغطريف بن عطاء عن خراسان وولاها حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعى وكان حمزة يلقب بالعروس (وفيها) ولى الرشيد جعفر ابن يحيي بن خالد بن برمك مصر فولاها عمر بن مهران

ذكر الخبر عن سبب تولية الرشيد جعفراً مصر وتولية جعفر عمر إياها

ذكر محمد بن عمر أن أحمد بن محمد بن مهران حدثه أن الرشيد بلغه أن موسى بن عيسى عازم على الخلع وكان على مصر فقال والله لاأعزله إلا بأخس من على بابى انظروا الى رجلا فذكر عمر بن مهران وكان إذ ذاك يكتب للخيزران ولم يكتب لغيرها وكان رجلا أحول مشوّه الوجه وكان لباسه لباساً خسيسا أرفع ثيابه طيلسانه وكانت قيمته ثلاثين درهما وكان يشمر ثيابه ويقصر أكمامه ويركب بغلا وعليه رسن ولجام حديد ويردف غلامه خلفه فدعا به فولاه مصر خراجها وضياعها وحربها فقال يا أمير المؤمنين أتولاها على شريطة قال وماهى قال يكون أذنى إلى إذا أصلحتُ البلاد انصرفت فجعل ذلك له فمضى إلى مصر واتصلت ولاية عمر بن مهران بموسى بن عيسى فكان يتوقع قدومه فدخل عمر بن مهران مصر على بغل وغلامه أبو درة على بغل ثقل فقصد دار موسى بن عيسى والناس عنده فدخل فجلس فى أخريات الناس فلما تفرق أهل المجلس قال موسى بن عيسى لعمر ألك حاجة ياشيخ قال نعم أصلح الله الأمير ثم قام بالكتب فدفعها اليه فقال يقدم أبو حفص أبقاه الله قال فأنا أبو حفص قال أنت عمر بن مهران قال نعم قال لعن الله فرعون حين يقول أليس لى ملك مصر ثم سلم له العمل ورحل فتقدم عمر بن مهران إلى أبى درة غلامه فقال له لا تقبل من الهدايا إلا مايدخل فى الجراب لاتقبل دابة ولا جارية ولا غلاما فجعل الناس يبعثون بهداياهم فجعل يرد ما كان من الألطاف ويقبل المال والثياب ويأتى بها عمر فيوقع عليها أسماء من بعث بها ثم وضع الجباية وكان بمصر قوم قد اعتادوا المطل وكسر الخراج فبدأ برجل منهم فلواه فقال والله لاتؤدى ماعليك من الخراج إلا فى بيت المال بمدينة السلام ان سلمت قال فأنا أؤدى فتحمل عليه فقال قد حلفت ولا أحنث فأشخصه مع رجلين من الجند وكان العمال إذ ذاك يكاتبون الخليفة فكتب معهم إلى الرشيد إنى دعوت بفلان بن فلان وطالبته بما عليه من الخراج فلوانى واستنظرنى فأنظرته ثم دعوته فدافع ومال إلى الإلطاط فآليت ألا يؤديه إلا فى بيت المال بمدينة

السلام وجملة ماعليه كذا وكذا قد أنفذته مع فلان بن فلان وفلان بن فلان من جند أمير المؤمنين من قيادة فلان بن فلان فان رأى أمير المؤمنين أن يكتب إلى بوصوله فعل إن شاء الله تعالى قال فلم يلوه أحد بشىء من الخراج فاستأدى الخراج النجم الأول والنجم الثانى فلما كان فى النجم الثالث وقعت المطالبة والمطل فأحضر أهل الخراج والتجار فطالبهم فدافعوه وشكوا الضيقة فأمر باحضار تلك الهدايا التى بعث بها اليه ونظر فى الأكياس وأحضر الجهبذ فوزن مافيها وأجزاها عن أهلها ثم دعا بالأسفاط فنادى على مافيها فباعها وأجزى أثمانها عن أهلها ثم قال ياقوم حفظت عليكم هداياكم إلى وقت حاجتكم اليها فأدوا الينا مالنا فأدوا اليه حتى أغلق مال مصر فانصرف ولا يُعلم أنه أغلق مال مصر غيره وانصرف فخرج على بغل وأبو درة على بغل وكان إذنه اليه ﴿وغزا﴾ الصائفة فى هذه السنة عبد الرحمن بن عبد الملك فافتتح حصنا ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة سليمان ابن أبى جعفر المنصور وحجت معه فيما ذكر الواقدى زبيدة زوجة هارون وأخوها معها

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك عزل الرشيد فيما ذكر جعفر بن يحيي عن مصر وتوليته إياها إسحاق بن سليمان وعزله حمزة بن مالك عن خراسان وتوليته إياها الفضل ابن يحيي إلى ماكان يليه من الأعمال من الرّىّ وسجستان ﴿وغزا﴾ الصائفة فيها عبد الرزاق بن عبد الحميد التغلبي ﴿وكان فيها﴾ فيما ذكر الواقدىّ ريح وظلمة وحمرة ليلة الأحد لأربع ليال بقين من المحرم ثم كانت ظلمة ليلة الأربعاء لليلتين بقيتا من المحرم من هذه السنة ثم كانت ريح وظلمة شديد يوم الجمعة لليلة خلت من صفر ﴿وحج﴾ بالناس فيها هارون الرشيد

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

فمما كان فيها من ذلك وثوب الحوفية بمصر من قيس وقضاعة وغيرهم بعامل الرشيد عليهم إسحاق بن سليمان وقتالهم إياه وتوجيه الرشيد إليه هرثمة بن أعين فى عدة من القواد المضمومين اليه مدداً لاسحاق بن سليمان حتى أذعن أهل الحوف ودخلوا فى الطاعة وأدوا ما كان عليهم من وظائف السلطان وكان هرثمة إذ ذاك عامل الرشيد على فلسطين فلما انقضى أمر الحوفية صرف هارون إسحاق بن سليمان عن مصر وولاها هرثمة نحوا من شهر ثم صرفه وولاها عبد الملك بن صالح ﴿وفيها﴾ كان وثوب أهل إفريقية بعبدويه الأنبارى ومن معه من الجند هنالك فقتل الفضل بن روح بن حاتم وأخرج من كان بها من آل المهلب فوجه الرشيد اليهم هرثمة بن أعين فرجعوا إلى الطاعة وقد ذكر أن عبدويه هذا لما غلب على أفريقية وخلع السلطان عظم شأنه وكثر تبعه ونزع اليه الناس من النواحى وكان وزير الرشيد يومئذ يحيى بن خالد بن برمك فوجه اليه يحيى بن خالد بن برمك يقطين بن موسى ومنصور بن زياد كاتبه فلم يزل يحيى بن خالد يتابع على عبدويه الكتب بالترغيب فى الطاعة والتخويف المعصية والاعذار اليه والاطماع والعدة حتى قبل الأمان وعاد إلى الطاعة وقدم بغداد فوفى له يحيى بما ضمن له وأحسن اليه وأخذ له أمانا من الرشيد ووصله ورأسه ﴿وفى هذه السنة﴾ فوض الرشيد أموره كلها إلى يحيى بن خالد بن برمك ﴿وفيها﴾ خرج الوليد بن طريف الشارى بالجزيرة وحكم بها ففتك بإبراهيم بن خازم بن خزيمة بنصيبين ثم مضى منها إلى أرمينية ﴿وفيها﴾ شخص الفضل بن يحيى إلى خراسان واليا عليها فأحسن السيرة بها وبنى بها المساجد والرباطات غزا ما وراء النهر فخرج اليه خاراخره ملك أشروسنة وكان ممتنعا وذكر أن الفضل بن يحيى اتخذ بخراسان جنداً من العجم سماهم العباسية وجعل ولاءهم لهم وأن عدتهم بلغت خمسمائة ألف رجل وأنه قدم منهم بغداد

عشرون ألف رجل فسموا ببغداد الكرنبية وخلف الباقى منهم بخراسان على أسمائهم ودفاترهم وفى ذلك يقول مروان بن أبى حفصة

ما الفضلُ إلا شهاب لا أفول له ... عندَ الحروب إذا ما تأفلُ الشُّهبُ
حامٍ على مُلكِ قوم غُرٍّ سهمهمِ ... مِنَ الوراثةِ فى أيديهم سببُ
أمستْ يَد لبنى ساقى الحجيج بها ... كتائب مالها فى غيرهم أرَبُ
كتائب لبنى العباسِ قد عَرفَت ... ما ألَّفَ الفضلُ منها العجمُ والعرَبُ
أثبَت خمسَ مئينَ فى عِدادِهمِ ... من الألوفِ التى أحصَت لكَ الكتب
يُقارعون عن القومِ الذين همُ ... أولى بأحمَدَ فى الفرقان ن نسبوا
إن الجوادَ ابن يحيي الفضلَ لاورق ... يبقى على جُود كفيه ولا ذهبُ
مامر يوم له مُذ شد مِئزرَهُ ... ألا تَمَوَّلَ أقوام بما يَهَبُ
كم غاية فى الندى والبأسِ أحرزَها ... للطالبينَ مداها دونها تَعَبُ
يُعطِى اللهى حِينَ لا يُعطِى الجوادُ ولا ... يَنبو إذا سُلَّتِ الهِندِيَّةُ العَضبُ
ولا الرِّضى والرِّضى لله غايتُه ... إلى سِوى الحقِّ يَدعوهُ ولا الغَضبُ
قَدْ فاضَ عُرْفُكَ حتى مايُعادِلهُ ... غَيْث مُغِيث ولا بحر له حَدَبُ

قال وكان مروان بن أبى حفصة قد أنشد الفضل فى معسكره قبل خروجه إلى خراسان

ألم ترَ أنَّ الجودَ مِنْ لدُنِ آدمَ ... تحدَّرَ حتى صارَ فى راحةِ الفَضلِ
إذا ما أبو العبَّاسِ راحت سَماؤهُ ... فيالكَ مِنْ هَطل ويالكَ مِنْ وَبْلِ
إذا أم طِفل راعها جوعُ طِفلِها ... دَعَتْهُ بِاسْمِ الفَضلِ فاعتصَمَ الطِّفلُ
لَيُحيَى بكَ الإسلامُ إنَّكَ عِزهُ ... وإنَّكَ مِن قومٍ صَغيرُهُمُ كهْلُ

وذكر محمد بن العباس ان الفضل بن يحيي أمر له بمائة ألف درهم وكساه وحمله على بغلة قال وسمعته يقول أصبتُ فى قدمتى هذه سبعمائة ألف درهم وفيه يقول

تخيَّرْتُ للمدْحِ ابنَ يحيى بْنِ خالدِ ... فحسبى ولم أظلِمْ بِأنْ أتخيرا
له عادةٌ أنْ يَبسُطَ العدْلَ والنَّدى ... لِمَنْ ساسَ من قحطانَ أوْ مَن تَنزَّرا

إلى المِنبرِ الشَّرْقىّ سارَ ولم يزَلْ ... له وَالدٌ يَعلو سَريرًا وَمِنبَرَا

يُعَدُّوا وَيحيي البَرْمَكِيُّ وَلا يُرَى ... له الدَّهرَ إلا قائداً أو مُؤَمَّرا

ومدحه سلم الخاسر فقال

وَكَيفَ تخافُ مِن بُؤسٍ بدارٍ ... تَكَنَّفَها البَرامكَةُ البُحُورُ

وَقَوْمٌ مِنهُمُ الفضلُ بْنُ يحيي ... نَفيرٌ مّا يُوازِنُهُ نَفيرُ

لهُ يومانِ يَوْمُ ندًى وباسٍ ... كأنَّ الدَّهرَ بَينَهُما أسيرُ

إذا ما البَرْمَكِيُّ غدَا ابنَ عَشرٍ ... فَهِمَّتُهُ وَزيرٌ أوْ أميرُ

وذكر الفضل بن إسحاق الهاشمى أن إبراهيم بن جبريل خرج مع الفضل بن يحيي إلى خراسان وهو كاره للخروج فأحفظ الفضل عليه ذلك قال إبراهيم فدعانى يوما بعد ما أغفلنى حينا فدخلت عليه فلما صرت بين يديه سلمت فما ردّ علىّ فقلت فى نفسى شر والله وكان مضطجعاً فاستوى جالساً ثم قال ليفرج روعك يا ابراهيم فان قدرتى عليك تمنعنى منك قال ثم عقدلى على سجستان فلما حملت خراجها وهبه لى وزادنى خمسمائة ألف درهم قال وكان ابراهيم على شرطه وحرسه فوجهه إلى كابُل فافتتحها وغنم غنائم كثيرة قال وحدثنى الفضل بن العباس بن جبريل وكان مع عمه إبراهيم قال وصل إلى إبراهيم فى ذلك الوجه سبعة آلاف ألف وكان عنده من مال الخراج أربعة آلاف ألف درهم فلما قدم بغداد وبنى داره فى البغَيين استزار الفضل ليريه نعمته عليه وأعدّ له الهدايا والطرَف وآنية الذهب والفضة وأمر بوضع الأربعة الآلاف ألف فى ناحية من الدار قال فلما قعد الفضل بن يحيي قدّم إليه الهدايا والطرَف فأبى أن يقبل منها شيئاً وقال له لم آتك إلا لأسليك فقال انها نعمتك أيها الأمير قال ولك عندنا مزيد قال فلم يأخذ من جميع ذلك إلا سوطاً سِجزياً وقال هذا من آلة الفرسان فقال له هذا المال من مال الخراج فقال هو لك فأعاد عليه فقال أما لك بيت يسعه فسوغه ذلك وانصرف قال ولما قدم الفضل بن يحيي من خراسان خرج الرشيد إلى بستان أبى جعفر يستقبله وتلقاه بنوهاشم والناس من القواد والكتاب والأشراف فجعل يصل الرجل

بالألف ألف وبالخمسمائة ألف ومدحه مروان بن أبي حفصة فقال

حَمِدنا الذى أدَّى ابْنَ يحيَ فأصْبحتْ بِمَقدَمِهِ تجرى لنا الطَّيْرُ أسْعَدا
وما هُجِعَتْ حتى رَأتهُ عيونُنا وَما زِلنَ حتى آبَ بالدَّمْعِ حُشَّدا
لقَدْ صَبَحتْنا خيلَهُ وَرِجالهُ بأرْوَعَ بَدءِ الناسِ بأسًا وَسَوْدَدا
نَفَى عَن خُراسانَ العَدُوَّ كما نفَى ضُحَى الصبْحِ جِلْبابَ الدجى فتَغرَّدا
لقَدْ راعَ مَن أمسَى بِمَرْوَ مسيرُهُ إلينا وَقالوا شَعْبُنا قد تَبَدَّدا
عَلَى حِينِ ألقَى قُفْلَ كلِّ ظلامةٍ وَأطْلَقَ بالعفْوِ الأسيرَ المقَيَّدا
وَأفشَى بِلاَ مَنٍّ مع العَدْلِ فيهمِ أيادِىَ عُرْفٍ باقياتٍ وَعُوَّدا
فأذهَبَ رَوْعاتِ المخاوِفِ عنهُمُ وَأصْدَرَ باغى الأمْنِ فيهِمْ وَأورَدا
وَأجْدَى على الأيتام فيهم بِعُرفِهِ فكانَ مِنَ الآباءِ أحْنَى وَأعْوَدا
إذا الناسُ راموا غايَةَ الفضل فى النَّدَى وَفى البأسِ ألفوها مِنَ النَّجمِ أبعَدا
سما صاعِداً بالفَضلِ يحيِ وخالد إلى كلِّ أمر كانَ أسْنَى وَأمْجدا
يَلِينِ لِمَنْ أعطى الخليفَةَ طاعَةً وَيُسْقِى دمَ العاصِى الحسامَ المُهَنَّدا
أذلتْ معَ الشِّرْكِ النِّفاقَ سُيوفُهُ وَكانَتْ لأهلِ الدِّينِ عزًّا مُؤبَّدا
وَشدَّ القُوَى مِن بَيْعةِ المُصْطَفى الذى على فضلِهِ عَهْدَ الخليفَةِ قلدا
سَمِىِّ النَّبىِّ الفاتِحِ الخاتِمِ الذى بِهِ اللهُ أعطى كلَّ خيْرٍ وَسَدَّدا
أَنحْتَ جِبالَ الكابُلِىِّ ولم تَدَعْ بِهِنَّ لِنِيرانِ الضَّلالَةِ مُوقَدا
فأطْلَعتَها خيْلا وطَأنَ جُموعَهُ قتيلا وَمَاسورًا وَفَلاًّ مُشَرَّدا
وعادَت على ابْنِ البَرْمِ نَعمَاكَ بعدَما تَحَوَّبَ مخذولا يَرَى المَوتَ مُفرَدا

وذكر العباس بن جرير إن حفص بن مسلم وهو أخو رزام بن مسلم مولى خالد ابن عبدالله القسرى حدثه أنه قال دخلت على الفضل بن يحي مقدمه من خراسان وبين يديه بدر تفرق بخواتيمها فما فضت بدرة منها فقلت

كفى اللهُ بالفضل بن يحيي بن خالدٍ وَجَوْدِ يدَيهِ بُخلَ كلِّ بخيلِ

قال فقال لى مروان بن أبي حفصة وددت أنى سبقتك إلى هذا البيت وأن

على غرم عشرة آلاف درهم (وغزا) فيها الصائفة معاوية بن زفر بن عاصم وغزا الشاتية فيها سليمان بن راشد ومعه البيد بطريق صقلية (وحج) بالناس فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن عليّ وكان على مكة

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك انصراف الفضل بن يحيي عن خراسان واستخلافه عليها عمرو بن شُرَحبيل (وفيها) ولى الرشيد خراسان منصور بن يزيد بن منصور الحميرى (وفيها) شرى بخراسان حمزة بن اترك السجستان (وفيها) عزل الرشيد محمد بن خالد بن برمك عن الحجبة وولاها الفضل بن الربيع (وفيها) رجع الوليد بن طريف الشارى إلى الجزيرة واشتدت شوكته وكثر تبعه فوجه الرشيد اليه يزيد بن مزيد الشيبانى فراوغه يزيد ثم لقيه وهو مغتر فوقهيت فقتله وجماعة كانوا معه وتفرق الباقون فقال الشاعر:

وَائل بَعْضُها يقتـلُ بَعْضا لا يفُلُّ الحديدَ إلا الحديدُ

قالت الفارعة أخت الوليد:

أيا شجَرَ الخابورِ مالك مُورقا كأنكَ لم تجزع على ابن طَريف
فتى لا يُحِب الزّادَ إلا مِنَ التُقى وَلا المـالَ إلا مِن قناً وسُيوفِ

واعتمر الرشيد فى هذه السنة فى شهر رمضان شكراً لله على ما أبلاه فى الوليد بن طريف فلما قضى عمرته انصرف إلى المدينة فأقام بها إلى وقت الحج ثم حج بالناس فمشى من مكة إلى منى ثم إلى عرفات وشهد المشاهد والمشاعر ماشياً ثم انصرف على طريق البصرة وأما الواقدى فانه قال لما فرغ من عمرته أقام بمكة حتى أقام للناس حجهم

ثم دخلت سنة ثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك العصبية التى هاجت بالشأم بين أهلها

ذكر الخبر عما صار اليه أمرها

ذكر أن هذه العصبية لما حدثت بالشأم بين أهلها وتفاقم أمرها اغتم بذلك من أمرهم الرشيد فعقد لجعفر بن يحيي على الشأم وقال له إما أن تخرج أنت أو أخرج أنا فقال له جعفر بل أقيك بنفسى فشخص فى جلة القواد والكراع والسلاح وجعل على شرطه العباس بن محمد بن المسيب بن زهير وعلى حرسه شبيب بن حميد بن قحطبة فأتاهم فأصلح بينهم وقتل زواقيلهم والمتلصصة منهم ولم يدع بها رمحا ولا فرسا فعادوا إلى الأمن والطمأنينة وأطفأ تلك النائرة فقال منصور النمرى لما شخص جعفر

لَقَدْ أوقِدَت بِالشأمِ نيرانُ فِتْنَةٍ ... فهذا أوانُ الشأمِ تُخمدُ نارُها

إذا جاشَ مَوْجُ البحرِ مِنْ آلِ بَرْمكٍ ... عليها خَبَتْ شُهْبانها وشَرَارُها

رماها أميرُ المؤمنينَ بجعفر ... وَفيهِ تلافِى صَدْعها وانجبارُها

رَماها بميمونِ النَّقيبةِ ماجِد ... تَراضى به قَحْطانُها وَنِزارُها

تَدلتْ عَليهِمْ صَخْرة بَرْمكيَّة ... دَموغ لهامِ الناكِثينَ انحِدارُها

غَدوْتَ تُزجى غابَة فى رُؤسها ... نُجومُ الثريّا والمنايا ثِمارُها

إذا خفقَتْ رَاياتها وتجرَّسَتْ ... بها الرِّيحُ هال السَّامعينَ انبهارُها

فقولوا لأهْلِ الشأمِ لا يَسْلبَنَّكُمْ ... حجاكُمْ طويلاتُ المُنَى وَقِصارُها

فإنَّ أميرَ المُؤمنينَ بنفسِه ... أتاكُمْ وإلا نفْسُهُ فَخِيارُها

هو المَلكُ المأمولُ لِلبرِّ والتقَى ... وَصَوْلاتُه لا يُسْتَطاعُ خِطارُها

وزيرُ أميرِ المؤمنينَ وَسَيْفُهُ ... وَصَعْدَتُهُ والحَربُ تَدمى شِفارُها

وَمَنْ تُطو أسْرارُ الخَليفَةِ دونَهُ ... فِعِنْدَكَ مأْواها وَأنتَ قَرارُها

وَفَيْتَ فلَمْ تَغدِرْ لقَوْمٍ بِذِمّةٍ وَلَمْ تَدْنُ مِنْ حالٍ يَنالكَ عارُها
طَبيبٌ بإحياءِ الأمورِ إذا التوَتْ مِنَ الدّهْرِ أعناقٌ فأنتَ جبارُها
إذا ماابنُ يحيي جعفرٌ قَصَدَتْ لَهُ مُلِمّاتُ خَطْبٍ لم ترُعْهُ كِبارُها
لقدْ نَشَأت بالشّأمِ مِنك غمامةٌ يُؤَمّلُ جدواها وَيُخشى دَمارُها
فطوبَى لأهلِ الشأمِ ياوَيلَ أمّها أتاها حَياها أو أتاها بَوارُها
فإنْ سالموا كانَتْ غمامَةَ نائلٍ وغَيثٌ وإلا فالدّماءُ قِطارُها
أبوكَ أبو الأملاكِ يحيي بنُ خالدٍ أخوالجُودِ والنعْمى الكِبارُ صغارُها
كأيِّنْ تَرَى فى البَرْمكِيينَ مِنْ نَدًى وَمِنْ سابقاتٍ ما يُشَقُّ غبارُها
غَدا بِنجومِ السّعدِ مَنْ حلّ رَحلهُ إلَيْكَ وَعزّتْ عصبَةٌ أنتَ جارُها
عَذيرى مِنَ الأقدارِ هلْ عَزَماتُها مُخلفتى عن جعفرٍ وَاقتسارُها
فعَيْنُ الأسَى مَطروفةٌ لفراقِهِ وَنفسى إلَيهِ ما يَنامُ اذّكارُها

وولى جعفر بن يحيى صالح بن سليمان البلقاء وما يليها واستخلف على الشأم عيسى بن العكى وانصرف فازداد الرشيد له إكراما فلما قدم على الرشيد دخل عليه فيما ذكر فقبل يديه ورجليه ثم مثل بين يديه فقال الحمد لله يا أمير المؤمنين الذى أنس وحشتى وأجاب دعوتى ورحم تضرعى وأنسأ فى أجلى حتى أرانى وجه سيدى وأكرمنى بقربه وامتن على بتقبيل يده وردنى إلى خدمته فوالله إن كنت لأذكر غيبتى عنه ومخرجى والمقادير التى أزعجتنى فأعلم أنها كانت بمعاص لحقتنى وخطايا أحاطت بى ولو طال مقامى عنك يا أمير المؤمنين جعلنى الله فداك لخفت ان يذهب عقلى إشفاقا على قربك وأسفا على فراقك وأن يعجل بى عن إذنك الاشتياق إلى رؤيتك والحمد لله الذى عصمنى فى حال الغيبة وأمتعنى بالعافية وعرفنى الإجابة ومسكنى بالطاعة وحال بينى وبين استعمال المعصية فلم أشخص إلا عن رأيك ولم أقدم الا عن إذنك وأمرك ولم يخترمنى أجل دونك والله يا أمير المؤمنين فلا أعظم من اليمين بالله لقد عاينت مالو تعرض لى الدنيا كلها لاخترت عليها قربك ولما رأيتها عوضا من المقام معك ثم قال له بعقب هذا الكلام فى هذا المقام إن الله

يا أمير المؤمنين لم يزل يبليك فى خلافتك بقدر ما يعلم من نيتك ويريك فى رعيتك
غاية أمنيتك فيصلح لك جماعتهم ويجمع ألفتهم ويلم شعثهم حفظا لك فيهم ورحمة لهم
وإنما هذا للتمسك بطاعتك والاعتصام بحبل مرضاتك والله المحمود على ذلك
وهو مستحقه وفارقت يا أمير المؤمنين أهل كور الشأم وهم منقادون لأمرك
نادمون على مافرط من معصيتهم لك متمسكون بحبلك نازلون على حكمك طالبون
لعفوك واثقون بحلمك مؤملون فضلك آمنون بادارتك حالهم فى ائتلافهم كحالهم
كانت فى اختلافهم وحالهم فى ألفتهم كحالهم كانت فى امتناعهم وعفو أمير المؤمنين
عنهم وتغمده لهم سابق لمعذرتهم وصلة أمير المؤمنين لهم وعطفه عليهم متقدم
عنده لمسألتهم وايم الله يا أمير المؤمنين لئن كنت قد شخصت وقد أخمد الله شرارهم
وأطفأ نارهم ونفى مُرّاقهم وأصلح دهماؤهم وأولانى الجميل فيهم ورزقنى الانتصار
منهم فما ذلك كله إلا ببركتك ويمنك وريحك ودوام دولتك السعيدة الميمونة الدائمة
وتخوفهم منك ورجائهم لك والله يا أمير المؤمنين ما تقدمت إليهم إلا بوصيتك
وما عاملتهم إلا بأمرك ولا سرت فيهم إلا على حد ما مثلته لى ورسمته ووقفتنى
عليه ووالله ما انقادوا إلا لدعوتك وتوحُّدِ الله بالصنع لك وتخوفهم من سطوتك
وماكان الذى كان منى وإن كنت بذلت جهدى وبلغت مجهودى قاضياً ببعض
حقك على بل ما ازدادت نعمتك على عظما إلا ازددت عن شكرك عجزاً وضعفا
وما خلق الله أحداً من رعيتك أبعد من أن يطمع نفسه فى قضاء حقك منى وماذلك
إلا أن أكون باذلا مهجتى فى طاعتك وكل مايقرب إلى موافقتك ولكنى أعرف
من أياديك عندى ما لا أعرف مثلها عند غيرى فكيف بشكرى وقد أصبحت
واحد أهل دهرى فيما صنعته فىّ وبى أم كيف بشكرى وإنما أقوى على شكرك
بإكرامك إياى وكيف بشكرى ولو جعل الله شكرى فى إحصاء ما أوليتنى لم يأت
على ذلك عدّى وكيف بشكرى وأنت كهفى دون كل كهف لى وكيف بشكرى
وأنت لا ترضى لى ما أرضاه لى وكيف بشكرى وأنت تجدد من نعمتك عندى
ستغرق كل ما سلف عندك لى أم كيف بشكرى وأنت تنسينى ما تقدم من

إحسانك إلى بما تجدده لى أم كيف بشكرى وأنت تقدمنى بطولك على جميع أكفائى أم كيف بشكرى وأنت وليّ أم كيف بشكرى وأنت المكرم لى وأنا أسأل الله الذى رزقنى ذلك منك من غير استحقاق له إذا كان الشكر مقصراً عن بلوغ تأدية بعضه بل دون شقص من عشر عشيره أن يتولى مكافأتك عنى بما هو أوسع له وأقدر عليه وأن يقضى عنى حقك وجليل منتك فإن ذلك بيده وهو القادر عليه ﴿وفى هذه السنة﴾ أخذ الرشيد الخاتم من جعفر بن يحيي فدفعه إلى أبيه يحيي بن خالد ﴿وفيها﴾ ولى جعفر بن يحيي خراسان وسجستان واستعمل جعفر عليهما محمد بن الحسن بن قحطبة ﴿وفيها﴾ شخص الرشيد من مدينة السلام مريدا الرقة على طريق الموصل فلما نزل البردان ولى عيسى بن جعفر خراسان وعزل عنها جعفر بن يحيي فكانت ولاية جعفر بن يحيي إياها عشرين ليلة ﴿وفيها﴾ ولى جعفر بن يحيي الحرس ﴿وفيها﴾ هدم الرشيد سور الموصل بسبب الخوارج الذين خرجوا منها ثم مضى الى الرقة فنزلها واتخذها وطنا ﴿وفيها﴾ عزل هرثمة بن أعين عن أفريقية وأقفله الى مدينة السلام فاستخلفه جعفر بن يحيي على الحرس ﴿وفيها﴾ كانت بأرض مصر زلزلة شديدة فسقط رأس منارة الاسكندرية ﴿وفيها﴾ حكم خُراشة الشيبانىّ وشَرَى بالجزيرة فقتله مسلم بن بكار بن مسلم العُقيلى ﴿وفيها﴾ خرجت المحمّرة بجرجان فكتب على بن عيسى بن ماهان ان الذى هيج ذلك عليه عمرو بن محمد العمركىّ وأنه زنديق فأمر الرشيد بقتله فقتل بمرو ﴿وفيها﴾ عزل الفضل بن يحيي عن طبرستان والرّويان وولى ذلك عبد الله ابن خازم وعزل الفضل أيضا عن الرىّ ووليها محمد بن يحيي بن الحارث بن شخير وولى سعيد بن سلم الجزيرة * وغزا الصائفة فيها معاوية بن زفر بن عاصم ﴿وفيها﴾ صار الرشيد إلى البصرة منصرفه من مكة فقدمها فى المحرم منها فنزل المحدثة أياما ثم تحول منها إلى قصر عيسى بن جعفر بالخريبة ثم ركب فى نهر سيحان الذى احتفره يحيي بن خالد حتى نظر اليه وسكر نهر الأُبلة ونهر معقل حتى استحكم أمر سيحان ثم شخص عن البصرة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من المحرم فقدم مدينة السلام

ثم شخص إلى الحيرة فسكنها وابتنى بها المنازل وأقطع من معه الخطط وأقام نحواً من أربعين يوما فوثب به أهل الكوفة وأساءوا مجاورته فارتحل إلى مدينة السلام ثم شخص من مدينة السلام إلى الرقة واستخلف بمدينة السلام حين شخص إلى الرقة محمداً الأمين وولاه العراقين ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة موسى بن عيسى ابن موسى بن محمد بن على

ثم دخلت سنة احدى وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فكان فيها غزو الرشيد أرض الروم فافتتح بها عنوةً حصن الصفصاف فقال مروان بن أبى حفصة

إنَّ أميرَ المؤمنينَ المصطفى قد ترك الصَّفصافَ قاعاً صَفصفا

﴿وفيها﴾ غزا عبدالملك بن صالح الروم فبلغ أنقرة وافتتح مطمورة ﴿وفيها﴾ توفى الحسن بن قحطبة وحمزة بن مالك ﴿وفيها﴾ غلبت المحمرة على جرجان ﴿وفيها﴾ أحدث الرشيد عند نزوله الرقة فى صدور كتبه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة هارون الرشيد فأقام للناس الحج ثم صدر معجلا وتخلف عنه يحيي بن خالد ثم لحقه بالغمرة فاستعفاه من الولاية فأعفاه فرد اليه الخاتم وسأله الاذن فى المقام بمكة فأذن له فانصرف إلى مكة

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فكان فيها انصراف الرشيد من مكة ومسيره إلى الرقة وبيعته بها لابنه عبدالله المأمون بعد ابنه محمد الأمين وأخذُ البيعة له على الجند بذلك بالرقة وضمّه إياه إلى جعفر بن يحيي ثم توجيهه إياه إلى مدينة السلام ومعه من أهل بيته جعفر بن أبى جعفر المنصور وعبدالملك بن صالح ومن القواد علىّ بن عيسى فبويع له بمدينة السلام حين قدمها وولاه أبوه خراسان ومايتصل بها إلى همذان وسماه المأمون ﴿وفيها﴾

حملت ابنة خاقان ملك الخزر إلى الفضل بن يحيي فماتت ببرذعة وعلى أرمينية يومئذ سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلى فرجع من كان معها من الطراخنة إلى أبيها فأخبروه أن ابنته قتلت غيلة فحنق لذلك وأخذ فى الأهبة لحرب المسلمين وانصرف فيها يحيي بن خالد إلى مدينة السلام وغزا فيها الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح فبلغ دفسوس مدينة أصحاب الكهف (وفيها) سملت الروم عينى ملكهم قسطنطين بن اليون وأقروا أمه رينى وتلقب أغسطه (وحج) بالناس فيها موسى ابن عيسى بن موسى بن محمد بن على

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك خروج الخزر بسبب ابنة خاقان من باب الأبواب وإيقاعهم بالمسلمين هنالك وأهل الذمة وسبيهم فيما ذكر أكثر من مائة ألف فانتهكوا أمرا عظيما لم يسمع فى الإسلام بمثله فولى الرشيد أرمينية يزيد بن مزيد مع آذربيجان وقواه بالجند ووجهه وأنزل خزيمة بن خازم نصيبين ردءاً لأهل أرمينية * وقد قيل فى سبب دخول الخزر أرمينية غير هذا القول وذلك ماذكره محمد بن عبد الله أن أباه حدثه أن سبب دخول الخزر أرمينية فى زمان هارون كان أن سعيد بن سلم ضرب عنق المنجم السلمى بفأس فدخل ابنه بلاد الخزر واستجاشهم على سعيد فدخلوا أرمينية من الثلمة فانهزم سعيد ونكحوا المسلمات وأقاموا فيها أظن سبعين يوماً فوجه هارون خزيمة بن خازم ويزيد بن مزيد إلى أرمينية حتى أصلحا ما أفسد سعيد وأخرجا الخزر وسُدّت الثلمة (وفيها) كتب الرشيد إلى علىّ بن عيسى بن ماهان وهو بخراسان بالمصير اليه وكان سبب كتابه اليه بذلك أنه كان حُمل عليه وقيل له إنه قد أجمع على الخلاف فاستخلف علىّ بن عيسى ابنه يحيي على خراسان فأقره الرشيد فوافاه على وحمل اليه مالا عظيما فرده الرشيد إلى خراسان من قبل ابنه المأمون لحرب أبى الخصيب فرجع (وفيها) خرج بنَسا من خراسان أبو الخصيب

وُهيب بن عبدالله النسائى مولى الحريش (وفيها) مات موسى بن جعفر بن محمد ببغداد ومحمد بن السماك القاضى (وفيها) حج بالناس العباس بن موسى الهادى بن محمد بن عبدالله بن محمد بن على

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها قدم هارون مدينة السلام فى جمادى الآخرة منصرفا اليها من الرقة فى الفرات فى السفن فلما صار اليها أخذ الناس بالبقايا وولى استخراج ذلك فيما ذكر عبدالله بن الهيثم بن سام بالحبس والضرب وولى حماد البربرىّ مكة واليمن وولى داود بن يزيد بن حاتم المهلبىّ السند ويحيى الحرشىّ الجبل ومهرويه الرازىّ طبرستان وقام بأمر افريقية إبراهيم الأغلب فولاها إياه الرشيد (وفيها) خرج أبو عمرو الشارى فوجه اليه زهير القصاب فقتله بشَهْرَزُور (وفيها) طلب أبو الخصيب الأمان فأعطاه ذلك علىّ بن عيسى فوافاه بمرو فأكرمه (وحج) بالناس فيها ابراهيم بن محمد بن عبدالله بن محمد بن على

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من قتل أهل طبرستان مَهْرُوَيه الرازىّ وهو واليها فولى الرشيد مكانه عبدالله بن سعيد الحرشىّ (وفيها) قتل عبدالرحمن الأنبارى أبان ابن قحطبة الخارجىّ بمرج القلعة (وفيها) عاث حمزة الشارى بباذغيس من خراسان فوثب عيسى بن على بن عيسى على عشرة آلاف من أصحاب حمزة فقتلهم وبلغ كابُل وزابُلستان والقُندُهار فقال أبو الغدافر فى ذلك

كادَ عيسى يكونُ ذا القرنَينِ ... بَلَغَ المشرقَينِ والمغربينِ
لمْ يدَعْ كابُلاً ولَا زابِلِسْتا ... نَ فما حولها إلى الرُّخَّجينِ

(وفيها) خرج أبو الخصيب ثانية بنسا وغلب عليها وعلى أبيوَرد وطوس

ونيسابور وزحف إلى مرو فأحاط بها فهزم ومضى نحو سرخس وقوى أمره (وفيها) مات يزيد بن مزيد ببرذعة فولى مكانه أسد بن يزيد (وفيها) مات يقطين ابن موسى ببغداد (وفيها) مات عبد الصمد بن على ببغداد فى جمادى الآخرة ولم يكن ثُغرقط فأدخل القبر بأسنان الصبي وما نقص له سنّ (وشخص) فيها الرشيد إلى الرقة على طريق الموصل (واستأذنه) فيها يحيى بن خالد فى العمرة والجوار فأذن له فخرج فى شعبان واعتمر عمرة شهر رمضان ثم رابط بجدّة إلى وقت الحج ثم حج ووقعت فى المسجد الحرام صاعقة فقتلت رجلين (وحج) بالناس فيها منصور بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علىّ

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها كان خروج علىّ بن عيسى بن ماهان من مرو لحرب أبى الخصيب إلى نسا فقتله بها وسبى نساءه وذراريه واستقامت خراسان (وفيها) حبس الرشيد ثمامة ابن أشرس لوقوفه على كذبه فى أمر أحمد بن عيسى بن زيد (وفيها) مات جعفر ابن أبى جعفر المنصور عند هرثمة وتوفى العباس بن محمد ببغداد (وحج) بالناس فيها هارون الرشيد وكان شخوصه من الرقة للحج فى شهر رمضان من هذه السنة فمر بالأنبار ولم يدخل مدينة السلام ولكنه نزل منزلا على شاطئ الفرات يدعى الدارات بينه وبين مدينة السلام سبعة فراسخ وخلف بالرّقة إبراهيم بن عثمان بن نهيك وأخرج معه ابنيه محمدا الأمين وعبدالله المأمون وليّى عهده فبدأ بالمدينة فأعطى أهلها ثلاثة أعطية كانوا يقدمون اليه فيعطيهم عطاءً ثم إلى محمد فيعطيهم عطاءً ثانيا ثم إلى المأمون فيعطيهم عطاء ثالثا ثم صار إلى مكة فأعطى أهلها عطاء فبلغ ذلك ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار وكان الرشيد عقد لابنه محمد ولاية العهد فيما ذكر محمد بن يزيد عن ابراهيم بن محمد الحجبي يوم الخميس فى شعبان سنة ١٧٣ وسماه الأمين وضم اليه الشأم والعراق فى سنة ١٧٥ ثم بايع لعبدالله المأمون بالرقة فى سنة ١٨٣ وولاه

من حدّ همذان إلى آخر المشرق فقال فى ذلك سلم بن عمرو الخاسر

بايَعَ هارون إمامُ الهُدَى لِذِى الحِجَى والخُلُقِ الفاضِلِ
المُخلِفِ المُتلفِ أموالَهُ والضامِنِ الأثقالِ للحاملِ
والعالِمِ الناقِدِ فى علمِهِ والحاكِمِ الفاضِلِ والعادِلِ
والرّاتِقِ الفاتِقِ حلفَ الهدى والقائِلِ الصادِقِ والفاعِلِ
لخَيرِ عباسٍ إذا حُصِّلوا والمفضِلِ المجدى على العائلِ
أبَرِّهِمْ بِرًّا وأولاهُمُ بالعُرفِ عند الحدثِ النازلِ
لِمُشبِهِ المنصورِ فى ملكه إذا تدجَّتْ ظُلمَةُ الباطل
فَتَمّ بالمأمونِ نورُ الهدى وانكشفَ الجهلُ عن الجاهِل

وذكر الحسن بن قريش أن القاسم بن الرشيد كان فى حجر عبدالملك بن صالح فلما بايع الرشيد لمحمد والمأمون كتب اليه عبدالملك بن صالح

يا أيها الملِكُ الذى لو كان نجمًا كان سَعْدا
إعْقِدْ لقاسِم بيعة واقدح له فى المُلكِ زَنْدا
اللهُ فرد واحِد فاجعل ولاةَ العهدِ فردا

فكان ذلك أول ماحضّ الرشيد على البيعة للقاسم ثم بايع للقاسم ابنه وسماه المؤتمن وولاه الجزيرة والثغور والعواصم فقال فى ذلك

حُب الخليفةِ حُبٌّ لايدينُ به مَنْ كان للهِ عاصٍ يَعمَلُ الفِتَنا
اللهُ قَلدَ هاروناً سِياسَتَنا لمّا اصطفاهُ فأحيا الدينَ والسننا
وقلدَ الأرضَ هارونٌ لرأفتِهِ بنا أميناً ومأموناً ومؤتمنا

قال ولما قسم الأرض بين أولاده الثلاثة قال بعض العامة قد أحكم أمر الملك وقال بعضهم بل قد ألقى بأسهم بينهم وعاقبة ماصنع فى ذلك مخوفة على الرعية وقالت الشعراء فى ذلك فقال بعضهم

أقولُ لِغمّةٍ فى النفسِ منى ودمعُ العَينِ يَطّرِدُ اطّرادا
خُذى للهوْلِ عُدّتَهُ بِحزمٍ ستلقَىْ ماسَيمْنَعكِ الرقادا

فانكَ إنْ بَقيتَ رأيتَ أمرًا ... يُطِيلُ لكَ الكآبةَ والسهادا
رأى المَلِكُ المُهذَّبُ شَرَّ رأيٍ ... بِقسمتِهِ الخلافة والبلادا
رأى مالو تَعقَّبَهُ بعلمٍ ... لَبيَّضَ من مَفارِقِهِ السَّوادا
أرادَ به ليَقطعَ عن بَنيه ... خِلافَهُم ويَبتذِلوا الودادا
فقد غَرَسَ العداوةَ غيرَ آلٍ ... وأورثَ شَملَ أُلفتِهِم بدادا
وألقحَ بَيْنَهُمْ حربًا عوانا ... وَسلسَ لاجتنابِهِمُ القيادا
فويلٌ للرَّعيةِ عن قليلٍ ... لقد أهدى لها الكربُ الشِّدادا
وألبَسَها بلاءً غيرَ فانٍ ... وألزمَها التضعضُعَ والفسادا
ستَجْرِى من دمائِهِم بحورٌ ... زواخِرُ لا يرَونَ لها نفادا
فوِزْرُ بلائِهِمْ أبداً عليه ... أغيًّا كانَ ذلكَ أمْ رشادا

قال وحج هارون ومحمد وعبد الله معه وقواده ووزراؤه وقضاته فى سنة ١٨٦ وخلف بالرقة ابراهيم بن عثمان بن نهيك العكى على الحرم والخزائن والأموال والعسكر وأشخص القاسم ابنه إلى منبج فأنزله إياها بمن ضم اليه من القواد والجند فلما قضى مناسكه كتب لعبد الله المأمون ابنه كتابين أجهد الفقهاء والقضاة آراءهم فيهما أحدهما على محمد بما اشترط عليه من الوفاء بما فيه من تسليم ما ولى عبد الله من الأعمال وصير اليه من الضياع والغلات والجواهر والأموال والآخر نسخة البيعة التى أخذها على الخاصة والعامة والشروط لعبد الله على محمد وعليهم وجعل الكتابين فى البيت الحرام بعد أخذه البيعة على محمد واشهاده عليه بها الله وملائكته ومن كان فى الكعبة معه من سائر ولده وأهل بيته ومواليه وقواده ووزرائه وكتابه وغيرهم وكانت الشهادة بالبيعة والكتاب فى البيت الحرام وتقدم إلى الحجبة فى حفظهما ومنع من أراد إخراجهما والذهاب بهما فذكر عبد الله ابن محمد ومحمد بن يزيد التيمى وإبراهيم الحجبى أن الرشيد حضر وأحضر وجوه بنى هاشم والقواد والفقهاء وأدخلوا البيت الحرام وأمر بقراءة الكتاب على عبد الله ومحمد وأشهد عليهما جماعة من حضر ثم رأى أن يعلق الكتاب فى الكعبة

فلما رُفع ليعلق وقع فقيل إن هذا الأمر سريع انتقاضه قبل تمامه وكانت نسخة الكتاب ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين كتبه محمد بن هارون أمير المؤمنين فى صحة من عقله وجواز من أمره طائعا غير مكره ان أمير المؤمنين ولانى العهد من بعده وصيّر البيعة لى فى رقاب المسلمين جميعا وولى عبد الله بن هارون أمير المؤمنين العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين بعدى برضًى منى وتسليم طائعا غير مكره وولاه خراسان وثغورها وكورها وحربها وجندها وخراجها وطرزها وبريدها وبيوت أموالها وصدقاتها وعشرها وعشورها وجميع أعمالها فى حياته وبعده وشرطت لعبد الله هارون أمير المؤمنين برضى منى وطيب نفسى ان لأخى عبد الله بن هارون علىّ الوفاء بما عقد له هارون أمير المؤمنين من العهد والولاية والخلافة وأمور المسلمين جميعا بعدى وتسليم ذلك له وما جعل له من ولاية خراسان وأعمالها كلها وبما أقطعه أمير المؤمنين من قطعية أو جعل له من عُقدة أو ضيعة من ضياعه أو ابتاع من الضياع والعقد وما أعطاه فى حياته وصحته من مال أو حلى أو جوهر أو متاع أو كسوة أو منزل أو دوابّ أو قليل أو كثير فهو لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين موفراً مسلماً اليه وقد عرفت ذلك كله شيئا شيئا فان حدث بأمير المؤمنين حدثُ الموت وأفضت الخلافة إلى محمد بن أمير المؤمنين فعلى محمد إنفاذ ما أمره به هارون أمير المؤمنين فى تولية عبد الله بن هارون أمير المؤمنين خراسان وثغورها ومن ضم اليه من أهل بيت أمير المؤمنين بقرَماسين وإن يمض عبد الله بن أمير المؤمنين إلى خُراسان والرّىّ والكور التى سماها أمير المؤمنين حيث كان عبد الله بن أمير المؤمنين من معسكر أمير المؤمنين وغيره من سلطان أمير المؤمنين وجميع من ضم اليه أمير المؤمنين حيث أحبّ من لدن الرّى إلى أقصى عمل خُراسان ليس لمحمد بن أمير المؤمنين أن يحوّل عنه قائداً ولا مفقوداً ولا رجلا واحداً ممن ضم اليه من أصحابه الذين ضمهم إلى أمير المؤمنين ولا يحول عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولايته التى ولاه إياها هارون أمير المؤمنين من ثغور خراسان

وأعمالها كلها ما بين عمل الرّى مما يلى همذان إلى أقصى خراسان وثغورها وبلادها وما هو منسوب إليها ولا يشخصه اليه ولا يفرق أحداً من أصحابه وقواده عنه ولا يولى عليه أحدا ولا يبعث عليه ولا على أحد من عماله وولاة أموره بندارا ولا محاسبا ولا عاملا ولا يدخل عليه فى صغير من أمره ولا كبير ضرراً ولا يحول بينه بين العمل فى ذلك كله برأيه وتدبيره ولا يعرض لاحد ممن ضم اليه أمير المؤمنين من أهل بيته وصحابته وقضاته وعماله وكتابه وقواده وخدمه ومواليه وجنده بما يلتمس إدخال الضرر والمكروه عليهم فى أنفسهم ولا قراباتهم ولا مواليهم ولا أحد يتنسل منهم ولا فى دمائهم ولا فى أموالهم ولا فى ضياعهم ودورهم ورباعهم وأمتعتهم ورقيقهم ودوابهم شيئا من ذلك صغيرا ولا كبيرا ولا لأحد من الناس بأمره ورأيه وهواه وبترخيص له فى ذلك وادهان منه فيه لأحد من ولد آدم ولا يحكم فى أمرهم ولا أحد من قضاته ومن عماله وممن كان بسبب منه بغير حكم عبد الله ابن أمير المؤمنين ورأيه ورأى قضاته وإن نزع اليه أحد ممن ضم أمير المؤمنين إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين من أهل بيت أمير المؤمنين وصحابته وقواده وعماله وكتابه وخدمه ومواليه وجنده ورفض اسمه ومكتبه ومكانه مع عبد الله ابن أمير المؤمنين عاصيا له أو مخالفا عليه فعلى محمد ابن أمير المؤمنين رده إلى عبد الله بن أمير المؤمنين بصغر له وقمإ حتى ينفذ فيه رأيه وأمره فإن أراد محمد ابن أمير المؤمنين خلع عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية العهد من بعده أو عزل عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية خراسان وثغورها وأعمالها والذى من حد عملها مما يلى همذان والكور التى سماها أمير المؤمنين فى كتابه هذا أو صرف أحد من قواده الذين ضمهم أمير المؤمنين اليه ممن قدم قرماسين أو أن ينتقصه قليلا أو كثيراً مما جعله أمير المؤمنين له بوجه من الوجوه أو بحيلة من الحيل صغرت أو كبرت فلعبد الله ابن هارون أمير المؤمنين الخلافة بعد أمير المؤمنين وهو المقدم على محمد ابن أمير المؤمنين وهو ولىّ الأمر من بعد أمير المؤمنين والطاعة من جميع قواد أمير المؤمنين هارون من أهل خراسان وأهل العطاء

وجميع المسلمين فى جميع الأجناد والأمصار لعبد الله ابن أمير المؤمنين والقيام معه والمجاهدة لمن خالفه والنصر له والذبّ عنه ما كانت الحياة فى أبدانهم وليس لأحد منهم جميعاً من كانوا أو حيث كانوا أن يخالفه ولا يعصيه ولا يخرج من طاعته ولا يطيع محمد ابن أمير المؤمنين فى خلع عبد الله بن هارون أمير المؤمنين وصرف العهد عنه من بعده إلى غيره أو ينتقصه شيئاً مما جعله له أمير المؤمنين هارون فى حياته وصحته واشترط فى كتابه الذى كتبه عليه فى البيت الحرام وفى هذا الكتاب وعبد الله ابن أمير المؤمنين المصدق فى قوله وأنتم فى حل من البيعة التى فى أعناقكم لمحمد ابن أمير المؤمنين هارون إن نقص شيئا مما جعله له أمير المؤمنين هارون وعلى محمد بن هارون أمير المؤمنين أن ينقاد لعبد الله ابن أمير المؤمنين هارون ويسلم له الخلافة وليس لمحمد بن أمير المؤمنين هارون ولا لعبد الله ابن أمير المؤمنين أن يخلعا القاسم ابن أمير المؤمنين هارون ولا يقدما عليه أحداً من أولادهما وقراباتهما ولا غيرهم من جميع البرية فاذا أفضت الخلافة إلى عبد الله بن أمير المؤمنين فالأمر اليه فى امضاء ما جعله أمير المؤمنين من العهد للقاسم بعده أو صرف ذلك عنه إلى من رأى من ولده واخوته وتقديم من أراد أن يقدم قبله وتصيير القاسم ابن أمير المؤمنين بعد من يقدم قبله يحكم فى ذلك بما أحب ورأى فعليكم معشر المسلمين انفاذ ما كتب به أمير المؤمنين فى كتابه هذا وشرط عليهم وأمر به وعليكم السمع والطاعة لأمير المؤمنين فيما ألزمكم وأوجب عليكم لعبد الله ابن أمير المؤمنين وعهد الله وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمم المسلمين والعهود والمواثيق التى أخذ الله على الملائكة المقربين والنبيين والمرسلين ووكدها فى أعناق المؤمنين والمسلمين لَتَفُنَّ لعبد الله أمير المؤمنين بما سمى ولمحمد وعبد الله والقاسم بنى أمير المؤمنين بما سمى وكتب فى كتابه هذا واشترط عليكم وأقررتم به على أنفسكم فإن أنتم بدلتم من ذلك شيئا أو غيرتم أو نكثتم أو خالفتم ما أمركم به أمير المؤمنين واشترط عليكم فى كتابه هذا فبرئت منكم ذمة الله وذمه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم

وذمم المؤمنين والمسلمين وكل مال هو اليوم لكل رجل منكم أو يستفيده إلى خمسين سنة فهو صدقة على المساكين وعلى كل رجل منكم المشى إلى بيت الله الحرام الذى بمكة خمسين حجة نذراً واجبا لا يقبل الله منه إلا الوفاء بذلك وكل مملوك لأحد منكم أو يملكه فيما يستقبل إلى خمسين سنة حر وكل امرأة له فهى طالق ثلاثاً البتة طلاق الحرج لا مثنوية فيها والله عليكم بذلك كفيل وراع وكفى بالله حسيبا.

نسخة الشرط الذى كتب عبد الله ابن أمير المؤمنين بخط يده فى الكعبة

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين كتبه له عبد الله بن هارون أمير المؤمنين فى صحة من عقله وجواز من أمره وصدق نية فيما كتب فى كتابه هذا ومعرفة بما فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته وجماعة المسلمين إن أمير المؤمنين هارون ولانى العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين فى سلطانه بعد أخى محمد بن هارون وولانى فى حياته ثغور خراسان وكورها وجميع أعمالها وشرط على محمد بن هارون الوفاء بما عقد لى من الخلافة وولاية أمور العباد والبلاد بعده وولاية خراسان وجميع أعمالها ولا يعرض لى فى شىء مما أقطعنى أمير المؤمنين وابتاع لى من الضياع والعقد والرباع وابتعت منه من ذلك وما أعطانى أمير المؤمنين من الأموال والجوهر والكساء والمتاع والدواب والرقيق وغير ذلك ولا يعرض لى ولا لأحد من عمالى وكتابى بسبب محاسبة ولا يتبع لى فى ذلك ولا لأحد منهم أبداً ولا يدخل على ولا عليهم ولا على من كان معى ومن استعنتُ به من جميع الناس مكروها فى نفس ولا دم ولا شعر ولا بشر ولا مال ولا صغير من الأمور ولا كبير فأجابه إلى ذلك وأقر به وكتب له كتابا أكد فيه على نفسه ورضى به أمير المؤمنين هارون وقبله وعرف صدق نيته فيه فشرطتُ لأمير المؤمنين وجعلت له على نفسى أن أسمع لمحمد وأطيع ولا أعصيه وأنصحه ولا أغشه وأوفى ببيعته وولايته ولا أغدر ولا أنكث وأنفذ كتبه وأموره وأحسن موازرته وجهاد عدوه فى ناحيتى ما وفى لى بما شرط

لأمير المؤمنين فى أمرى وسمى فى الكتاب الذى كتبه لأمير المؤمنين ورضى به أمير المؤمنين ولم يتبعنى بشىء من ذلك ولم ينقض أمراً من الأمور التى شرطها أمير المؤمنين لى عليه فان احتاج محمد ابن أمير المؤمنين إلى جند وكتب إلىّ يأمرنى بأشخاصه اليه أو الى ناحية من النواحى أو الى عدو من أعدائه خالفه أو أراد نقص شىء من سلطانه أو سلطانى الذى أسنده أمير المؤمنين إلينا وولانا إياه فعلىّ أن أنفذ أمره ولا أخالفه ولا أقصر فى شىء كتب به إلىّ وإن أراد محمد أن يولى رجلا من ولده العهد والخلافة من بعدى فذلك له ماوفى لى بما جعله أمير المؤمنين إلى واشترطه لى عليه وشرط على نفسه فى أمرى وعلى انفاذ ذلك والوفاء له به ولا أنقص من ذلك ولا أغيره ولا أبدله ولا أقدم قبله أحداً من ولدى ولا قريبا ولا بعيداً من الناس أجمعين الا أن يولى أمير المؤمنين هارون أحداً من ولده العهد من بعدى فيلزمنى ومحمداً الوفاء له وجعلتُ لأمير المؤمنين ومحمد على الوفاء بما شرطت وسميت فى كتابى هذا ماوفى لى محمد بجميع مااشترط لى أمير المؤمنين عليه فى نفسى وماأعطانى أمير المؤمنين من جميع الأشياء المسماة فى هذا الكتاب الذى كتبه لى وعلىّ عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين وذمتى وذمم آبائى وذمم المؤمنين وأشد ماأخذ الله على النبيين والمرسلين من خلقه أجمعين من عهوده ومواثيقه والأيمان المؤكدة التى أمر الله بالوفاء بها ونهى عن نقضها وتبديلها فان أنا نقضت شيئا مما شرطت وسميت فى كتابى هذا أو غيرت أو بدلت أو نكثت أو غدرت فبرئت من الله عز وجل ومن ولايته ودينه ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقيت الله يوم القيامة كافراً مشركا وكل امرأة هى لى اليوم أو أتزوجها إلى ثلاثين سنة طالق ثلاثا البتة طلاق الحرج وكل مملوك هو لى اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله وعلى المشى إلى بيت الله الحرام الذى بمكة ثلاثين حجة نذراً واجبا علىّ فى عنقى حافيا راجلا لا يقبل الله منى إلا الوفاء بذلك وكل مال لى أو أملكه إلى ثلاثين سنة هدى بالغ الكعبة وكل ماجعلت لأمير المؤمنين وشرطت فى كتابى هذا لازم لى لا أضمر غيره ولا أنوى غيره وشهد سليمان ابن

أمير المؤمنين وفلان وفلان وكتب فى ذى الحجة سنة ست وثمانين ومائة

نسخة كتاب هارون بن محمد الرشيد إلى العمال

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الله ولى أمير المؤمنين وولىّ ماولاه والحافظ لما استرعاه وأكرمه به من خلافته وسلطانه والصانع له فيما قدم وأخر من أموره والمنعم عليه بالنصر والتأييد فى مشارق الأرض ومغاربها والكالئ والحافظ والكافى من جميع خلقه وهو المحمود على جميع آلائه المسؤل تمام حسن ماأمضى من قضائه لأمير المؤمنين وعادته الجميلة عنده وإلهام مايرضى به ويوجب له عليه أحسن المزيد من فضله وقد كان من نعمة الله عز وجل عند أمير المؤمنين وعندك وعند عوام المسلمين ماتولى الله من محمد وعبد الله ابنى أمير المؤمنين من تبليغه بهما أحسن ماأملت الأمة ومدّت اليه أعناقها وقذف الله لهما فى قلوب العامة من المحبة والمودة والسكون اليهما والثقة بهما لعماد دينهم وقوام أمورهم وجمع ألفتهم وصلاح دهمائهم ودفع المحذور والمكروه من الشتات والفرقة عنهم حتى ألقوا اليهما أزمتهم وأعطوهما بيعتهم وصفقات أيمانهم بالعهود والمواثيق ووكيد الأيمان المغلظة عليهم أراد الله فلم يكن له مرد وأمضاه فلم يقدر أحد من العباد على نقضه ولا إزالته ولا صرف له عن محبته ومشيئته وماسبق فى علمه منه وأمير المؤمنين يرجو تمام النعمة عليه وعليهما فى ذلك وعلى الأمة كافة لاعاقب لأمر الله ولا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه ولم يزل أمير المؤمنين منذ اجتمعت الأمة على عقد العهد لمحمد ابن أمير المؤمنين من بعد أمير المؤمنين لعبد الله ابن أمير المؤمنين من بعد محمد ابن أمير المؤمنين يعمل فكره ورأيه ونظره ورؤيته فيما فيه الصلاح لهما ولجميع الرعية والجمع للكلمة واللمّ للشعث والدفع للشتات والفرقة والحسم لكيد أعداء النعم من أهل الكفر والنفاق والغل والشقاق والقطع لآمالهم من كل فرصة يرجون إدراكها وانتهازها منهما بانتقاص حقهما ويستخير الله أمير المؤمنين فى ذلك ويسأله العزيمة له على مافيه الخيرة لهما ولجميع الأمة والقوة فى أمر الله وحقه وائتلاف أهوائهما وصلاح ذات بينهما وتحصينهما من كيد أعداء النعم ورد

حسدهم ومكرهم وبغيهم وسعيهم بالفساد بينهما فعزم الله لأمير المؤمنين على الشخوص بهما إلى بيت الله وأخذ البيعة منهما لأمير المؤمنين بالسمع والطاعة والانفاذ لأمره واكتتاب الشرط على كل واحد منهما لأمير المؤمنين ولهما بأشد المواثيق والعهود وأغلظ الأيمان والتوكيد والأخذ لكل واحد منهما على صاحبه بما التمس به أمير المؤمنين اجتماع ألفتهما ومودتهما وتواصلهما وموازرتهما ومكانفتهما على حسن النظر لأنفسهما ولرعية أمير المؤمنين التى استرعاهما والجماعة لدين الله عز وجل وكتابه وسنن نبيه صلى الله عليه وسلم والجهاد لعدو المسلمين من كانوا وحيث كانوا وقطع طمع كل عدو مظفر للعداوة ومسر لها وكل منافق ومارق وأهل الأهواء الضالة المضلة من فرقة تكيد بكيد توقعه بينهما وبدحس يدحس به لهما ومايلتمس أعداء الله وأعداء النعم وأعداء دينه من الضرب بين الأمة والسعى بالفساد فى الأرض والدعاء إلى البدع والضلالة نظراً من أمير المؤمنين لدينه ورعيته وأمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومناصحة لله ولجميع المسلمين وذباً عن سلطان الله الذى قدره وتوحد فيه للذى حمله إياه والاجتهاد فى كل مافيه قربة إلى الله وماينال به رضوانه والوسيلة عنده فلما قدم مكة أظهر لمحمد وعبد الله رأيه فى ذلك ومانظر فيه لهما فقبلا كل مادعاهما اليه من التوكيد على أنفسهما بقبوله وكتبا لأمير المؤمنين فى بطن بيت الله الحرام بخطوط أيديهما بمحضر ممن شهد الموسم من أهل بيت أمير المؤمنين وقواده وصحابته وقضاته وحجبة الكعبة وشهاداتهم عليهما كتابين استودعهما أمير المؤمنين الحجبة وأمر بتعليقهما فى داخل الكعبة فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك كله فى داخل بيت الله الحرام وبطن الكعبة أمر قضاته الذين شهدوا عليهما وحضروا كتابهما أن يعلموا جميع من حضر الموسم من الحاج والعمار ووفود الأمصار ماشهدوا عليه من شرطهما وكتابهما وقراءة ذلك عليهم ليفهموه ويعوه ويعرفوه ويحفظوه ويؤدوه إلى إخوانهم وأهل بلدانهم وأمصارهم ففعلوا ذلك وقرئ عليهم الشرطان جميعا فى المسجد الحرام فانصرفوا وقد اشتهر ذلك

عندهم وأثبتوا الشهادة عليه وعرفوا نظر أمير المؤمنين وعنايته بصلاحهم وحقن دمائهم ولمّ شعثهم وإطفاء جمرة أعداء الله أعداء دينه وكتابه وجماعة المسلمين عنهم وأظهروا الدعاء لأمير المؤمنين والشكر لما كان منه فى ذلك وقد نسخ لك أمير المؤمنين ذينك الشرطين اللذين كتبهما لأمير المؤمنين ابناه محمد وعبد الله فى بطن الكعبة فى أسفل كتابه هذا فاحمد الله عز وجل على ماصنع لمحمد وعبد الله وليَّىْ عهد المسلمين حمدا كثيرا واشكره ببلائه عند أمير المؤمنين وعند وليي عهد المسلمين وعندك وعند جماعة أمة محمد صلى الله عليه وسلم كثيراً واقرأ كتاب أمير المؤمنين على مَن قِبلك من المسلمين وأفهمهم إياه وقم به بينهم وأثبته فى الديوان قِبلك وقِبل قواد أمير المؤمنين ورعيته قِبلك واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون فى ذلك إن شاء الله وحسبنا الله ونعم الوكيل وبه الحول والقوة والطول وكتب إسماعيل بن صبيح يوم السبت لسبع ليال بقين من المحرم سنة ست وثمانين ومائة قال وأمر هارون الرشيد لعبد الله المأمون بمائة ألف دينار وحملت له إلى بغداد من الرقة قال وكان الرشيد بعد مقتل جعفر بن يحيى بالعمر صار إلى الرقة ثم قدم بغداد وقد كانت توالت عليه الشكاية من علىّ بن عيسى بن ماهان من خراسان وكثر عليه القول عنده فأجمع على عزله من خراسان وأحب أن يكون قريبا منه فلما صار الى بغداد شخص بعد مدة منها الى قرماسين وذلك فى سنة ١٨٩ وأشخص اليها عدة رجال من القضاة وغيرهم وأشهدهم أن جميع ماله فى عسكره من الاموال والخزائن والسلاح والكراع وما سواه أجمع لعبد الله المأمون وأنه ليس له فيه قليل ولا كثير بوجه ولا سبب وجدد البيعة له على من كان معه ووجه هرثمة بن أعين صاحب حرسه إلى بغداد فأعاد أخذ البيعة على محمد بن هارون أمير المؤمنين وعلى من كان بحضرته لعبد الله والقاسم على النسخة التى كان أخذها عليه الرشيد بمكة وجعل أمر القاسم فى خلعه وإقراره إلى عبد الله إذا أفضت إليه الخلافة فقال إبراهيم الموصلىّ فى بيعة هارون لابنيه فى الكعبة

خيرُ الأمورِ مَغَبّـة وأحق أمرٍ بالتمامِ

أمرٌ قضى إحكامه الرحمنُ في البيْت الحْرامِ

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك قتل الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد وإيقاعه بالبرامكة

ذكر الخبر عن سبب قتله إياه وكيف كان قتله وما فعل به وبأهل بيته

أما سبب غضبه عليه الذى قتله عنده فانه مختلف فيه فمن ذلك ماذكر عن بختيشوع ابن جبريل عن أبيه انه قال إنى لقاعد فى مجلس الرشيد إذ طلع يحيى بن خالد وكان فيما مضى يدخل بلا إذن فلما دخل وصار بالقرب من الرشيد وسلم رد عليه ردًّا ضعيفا فعلم يحيى أن أمرهم قد تغير قال ثم أقبل علىَّ الرشيد فقال ياجبريل يدخل عليك وأنت فى منزلك أحد بلا إذنك فقلت لا ولا يطمع فى ذلك قال فما بالنا يدخل علينا بلا إذن فقام يحيى فقال يا أمير المؤمنين قدمنى الله قبلك والله ما ابتدأت ذلك الساعة وما هو إلا شىء كان خصنى به أمير المؤمنين ورفع به ذكرى حتى ان كنت لأدخل وهو فى فراشه مجرداً حينا وحينا فى بعض إزاره وماعلمت أن أمير المؤمنين كره ما كان يحب وإذ قد علمت فإنى أكون عنده فى الطبقة الثانية من أهل الإذن أو الثالثة إن أمرنى سيدى بذلك قال فاستحيى قال وكان من أرق الخلفاء وجها وعيناه فى الأرض مايرفع إليه طرفه ثم قال ماأردت ماتكره ولكن الناس يقولون قال فظننت أنه لم يسنح له جواب يرتضيه فأجاب بهذا القول ثم أمسك عنه وخرج يحيى وذكر عن أحمد بن يوسف أن ثمامة بن أشرس قال أول ماأنكر يحيى بن خالد من أمره أن محمد بن الليث رفع رسالة إلى الرشيد يعظه فيها ويذكر أن يحيى بن خالد لا يغنى عنك من الله شيئا وقد جعلته فيما بينك وبين الله فكيف أنت إذا وقفت بين يديه فسألك عما عملت فى عباده وبلاده فقلت ياربّ إنى استكفيت يحيى أمور عبادك أتراك تحتج بحجة يرضى بها مع كلام فيه توبيخ وتقريع فدعا الرشيد

يحيى وقد تقدم إليه خبر الرسالة فقال تعرف محمد بن الليث قال نعم قال فأىّ الرجال
هو قال متهم على الإسلام فأمر به فوضع فى المطبق دهرا فلما تنكر الرشيد
للبرامكة ذكره فأمر بإخراجه فأحضر فقال له بعد مخاطبة طويلة يا محمد أتحبنى قال
لا والله يا أمير المؤمنين قال تقول هذا قال نعم وضعت فى رجلى الأكبال وحُلت
بينى وبين العيال بلا ذنب أتيت ولا حدث أحدثت سوى قول حاسد يكيد
الإسلام وأهله ويحب الإلحاد وأهله فكيف أحبك قال صدقت وأمر بإطلاقه
ثم قال يا محمد أتحبنى قال لا والله يا أمير المؤمنين ولكن قد ذهب مافى قلبى فأمر
أن يعطى مائة ألف درهم فأحضرت فقال يا محمد أتحبنى قال أما الآن فنعم قد أنعمت
علىّ وأحسنت إلىّ قال انتقم الله ممن ظلمك وأخذ لك بحقك ممن بعثنى عليك
قال فقال الناس فى البرامكة فأكثروا وكان ذلك أول ماظهر من تغير حالهم قال
وحدثنى محمد بن الفضل بن سفيان مولى سليمان بن أبى جعفر قال دخل يحيى بن
خالد بعد ذلك على الرشيد فقام الغلمان إليه فقال الرشيد لمسرور الخادم مُر
الغلمان ألا يقوموا ليحيى إذا دخل الدار قال فدخل فلم يقم إليه أحد فاربدّ
لونه قال وكان الغلمان والحجاب بعد إذ رأوه أعرضوا عنه قال فكان ربما
استسقى الشربة من الماء أو غيره فلا يسقونه وبالحرى إن سقوه أن يكون
ذلك بعد أن يدعو بها مرارا وذكر أبو محمد اليزيدى وكان فيما قيل من أعلم الناس
بأخبار القوم قال من قال إن الرشيد قتل جعفر بن يحيى بغير سبب يحيى بن عبد الله
ابن حسن فلا تصدقه وذلك أن الرشيد دفع يحيى إلى جعفر فحبسه ثم دعا به ليلة
من الليالى فسأله عن شىء من أمره فأجابه الى أن قال اتق الله فى أمرى ولا تتعرض
أن يكون خصمك غدا محمد صلى الله عليه وسلم فوالله ماأحدثت حدثا ولا آويت
محدثا فرق عليه وقال له اذهب حيث شئت من بلاد الله قال وكيف أذهب ولا آمن
أن أوخذ بعد قليل فأرد اليك أو إلى غيرك فوجه معه من أداه إلى مأمنه وبلغ
الخبر الفضل بن الربيع من عين كانت له عليه من خاص خدمه فعلا الأمر فوجده
حقا وانكشف عنده فدخل على الرشيد فأخبره فأراه أنه لايعبأ بخبره وقال

وما أنت وهذا لا آمّ لك فلعل ذلك عن أمرى فانكسر الفضل وجاءه جعفر فدعا بالغداء فأكلا وجعل يلقمه ويحادثه إلى أن كان آخر مادار بينهما أن قال مافعل يحيى بن عبدالله قال بحاله ياأمير المؤمنين فى الحبس الضيق والأكبال قال بحياتى فأحجمَ جعفر وكان من أدقّ الخلق ذهنا وأصحهم فكرا فهجس فى نفسه انه قد علم بشىء من أمره فقال لا وحياتك ياسيدى ولكن أطلقته وعلمتُ أنه لا حياة به ولا مكروه عنده قال نِعمَ مافعلتَ ماعدوتَ ما كان فى نفسى فلما خرج أتبعه بصره حتى كاد أن يتوارى عن وجهه ثم قال قتلنى الله بسيف الهدى على عمل الضلالة إن لم أقتلك فكان من أمره ما كان وحدث إدريس بن بدر قال عرض رجل للرشيد وهو يناظر يحيى فقال ياأمير المؤمنين نصيحة فادعُ بى اليك فقال لهرثمة خذ الرجل إليك وسله عن نصيحته هذه فسأله فأبى أن يخبره وقال هى سرّ من أسرار الخليفة فأخبر هرثمة الرشيد بقوله قال فقل له لا يبرح الباب حتى أفرغ له قال فلما كان فى الهاجرة انصرف من كان عنده ودعا به فقال أخلنى فالتفت هارون إلى بنيه فقال انصرفوا يافتيان فوثبوا وبقى خاقان وحُسين على رأسه فنظر إليهما الرجل فقال الرشيد تَنَحّيا عنى ففعلا ثم أقبل على الرجل فقال هات ماعندك فقال على أن تؤمننى قال على أن أؤمنك وأحسن إليك قال كنت بحلوان فى خان من خاناتها فاذا أنا بيحيى بن عبدالله فى دراعة صوف غليظة وكساء صوف أخضر غليظ وإذا معه جماعة ينزلون إذا نزل ويرحلون إذا رحل ويكونون منه بصدد يوهمون مَنْ رآهم انهم لا يعرفونه وهم من أعوانه ومع كل واحد منهم منشور يأمن به إن عرض له قال أو تعرف يحيى بن عبد الله قال أعرفه قديما وذلك الذى حقق معرفتى به بالأمس قال فِصفه لى قال مربوع أسمر رقيق السمرة أجلح حسن العينين عظيم البطن قال صدقتَ هو ذاك قال فما سمعته يقول قال ماسمعته يقول شيئا غير إنى رأيته يصلى ورأيت غلاما من غلمانه أعرفه قديما جالسا على باب الخان فلما فرغ من صلاته أتاه بثوب غسيل فألقاه فى عنقه ونزع جبة الصوف فلما كان بعد الزوال صلى صلاة ظننتها العصر وأنا أرمقه أطال

فى الأوّلتين وخفف فى الآخرتين فقال لله أبوك لجاد ماحفظت عليه نعم تلك صلاة العصر وذاك وقتها عند القوم أحسن الله جزاءك وشكر سعيَك فمن أنت قال أنا رجل من أعقاب أبناء هذه الدولة وأصلى من مرو ومولدى مدينة السلام قال فمنزلك بها قال نعم فأطرق ملياً ثم قال كيف احتمالك لمكروه تمتحن به فى طاعتى قال أبلغُ من ذلك حيث أحبّ أمير المؤمنين قال كن بمكانك حتى أرجع فظفر فى حجزة كانت خلف ظهره فأخرج كيسا فيه ألفا دينار فقال خذ هذه ودعنى وما أدبر فيك فأخذها وضم عليها ثيابه ثم قال ياغلام فأجابه خاقان وحسين فقال أصفعا ابن اللخناء فصفعاه نحوا من مائة صفعة ثم قال أخرجاه إلى من بقى فى الدار وعمامته فى عنقه وقولا هذا جزاء من يسعى بباطنة أمير المؤمنين وأوليائه ففعلا ذلك وتحدثوا بخبره ولم يعلم بحال الرجل أحد ولا بما كان ألقى إلى الرشيد حتى كان من أمر البرامكة ما كان وذكر يعقوب بن إسحاق ان إبراهيم بن المهدى حدثه قال أتيت جعفر بن يحيى فى داره التى ابتناها فقال لى أما تعجب من منصور بن زياد قال قلت فيماذا قال سألته هل ترى فى دارى عيبا قال نعم ليس فيها لبِنة ولا صنوبرة قال إبراهيم فقلت الذى يعيبها عندى انك أنفقت عليها نحواً من عشرين ألف ألف درهم وهو شىء لا آمنه عليك غداً بين يدى أمير المؤمنين قال هو يعلم انه قد وصلنى بأكثر من ذلك وضعف ذلك سوى ماعرضنى له قال قلت إن العدو إنما يأتيه فى هذا من جهة أن يقول ياأمير المؤمنين إذا أنفق على دارعشرين ألف ألف درهم فأين نفقاته وأين صِلاته وأين النوائب التى تنوبه وما ظنك ياأمير المؤمنين بما وراء ذلك وهذه جملة سريعة إلى القلب والموقف على الحاصل منها صعب قال إن سمع منى قلتُ إن لأمير المؤمنين نعما على قوم قد كفروها بالستر لها أو بإظهار القليل من كثيرها وأنا رجل نظرت إلى نعمته عندى فوضعتها فى رأس جبل ثم قلت للناس تعالوا فانظروا وذكر زيد بن علىّ بن حسين بن زيد ان إبراهيم بن المهدى حدثه أن جعفر بن يحيى قال له يوماوكان جعفر بن يحيى صاحبه عند الرشيد وهو الذى قرّبه منه إنى قداستربت

بأمر هذا الرجل يعنى الرشيد وقد ظننت أن ذلك لسابق سبق فى نفسى منه فأردت أن أعتبر ذلك بغيرى فكنت أنت فارمق ذلك فى يومك هذا وأعلمنى ماترى منه قال ففعلت ذلك فى يومى فلما نهض الرشيد من مجلسه كنت أول أصحابه نهض عنه حتى صرت إلى شجر فى طريقى فدخلتها ومن معى وأمرتهم بإطفاء الشمع وأقبل الندماء يمرون بى واحداً واحداً فأراهم ولا يرونى حتى إذا لم يبق منهم أحد إذا أنا بجعفر قد طلع فلما جاوز الشجر قال اخرج ياحبيبى قال فخرجت فقال ماعندك فقلت حتى تعلمنى كيف علمت أنى ههنا قال عرفت عنايتك بما أعنى به وإنك لم تكن لتنصرف أو تعلمنى مارأيت منه وعلمت أنك تكره أن ترى واقفاً فى مثل هذا الوقت وليس فى طريقك موضع أستر من هذا الموضع فقضيتُ بأنك فيه قلت نعم قال فهاتِ ماعندك قلت رأيت الرجل يهزل إذا جددت ويجد إذا هزلتَ قال كذا هو عندى فانصرف ياحبيبى قال فانصرفت قال وحدثنى علىّ بن سليمان أنه سمع جعفر بن يحيى يوما يقول ليس لدارنا هذه عيب إلا أن صاحبها فيها قليل البقاء يعنى نفسه وذكر عن موسى بن يحيى قال خرج أبى الى الطواف فى السنة التى أصيب فيها وأنا معه من بين ولده فجعل يتعلق بأستار الكعبة ويردد الدعاء ويقول اللهم ذنوبى جمة عظيمة لا يحصيها غيرك ولا يعرفها سواك اللهم ان كنت تعاقبنى فاجعل عقوبتى فى الدنيا وإن أحاط ذلك بسمعى وبصرى ومالى وولدى حتى تبلغ رضاك ولا تجعل عقوبتى فى الآخرة قال وحدثنى أحمد بن الحسن بن حرب قال رأيت يحيى وقد قابل البيت وتعلق بأستار الكعبة وهو يقول اللهم إن كان رضاك فى أن تسلبنى نعمتك عندى فاسلبنى اللهم إن كان رضاك فى أن تسلبنى أهلى وولدى فاسلبنى اللهم إلا الفضل قال ثم ولى ليمضى فلما قرب من باب المسجد كر مسرعا ففعل مثل ذلك وجعل يقول اللهم إنه سمج بمثلى أن يرغب اليك ثم يستثنى عليك اللهم والفضل قال فلما انصرفوا من الحج نزلوا الأنبار ونزل الرشيد بالعمر ومعه وليا العهد الأمين والمأمون ونزل الفضل مع الأمين وجعفر مع المأمون ويحيى فى منزل خالد بن عيسى كاتبه ومحمد بن يحيى فى منزل ابن نوح صاحب

الطراز ونزل محمد بن خالد مع المأمون بالعمر مع الرشيد قال وخلا الرشيد بالفضل ليلا ثم خلع عليه وقلده وأمره أن ينصرف مع محمد الأمين ودعا بموسى بن يحيى فرضى عنه وكان غضب عليه بالحيرة فى بدأته لأن علىّ بن عيسى بن ماهان اتهمه عند الرشيد فى أمر خراسان وأعلمه طاعة أهلها له ومحبتهم إياه وأنه يكاتبهم ويعمل على الانسلال اليهم والوثوب به معهم فوقر ذلك فى نفس الرشيد عليه وأوحشه منه وكان موسى أحد الفرسان الشجعان فلما قدح علىّ بن عيسى فيه أسرع ذلك فى الرشيد وعمل فيه القليل منه ثم ركب موسى دَيْنٌ واختفى من غرمائه فتوهم الرشيد أنه صار إلى خراسان كما قيل له فلما صار إلى الحيرة فى هذه الحجة وافاه موسى من بغداد فحبسه الرشيد عند العباس بن موسى بالكوفة فكان ذلك أول ثلمة ثلموا بها فركبت أم الفضل بن يحيى فى أمره ولم يكن يردها فى شىء فقال يضمنه أبوه فقد رُفع إلىّ فيه فضمنه يحيى ودفعه اليه ثم رضى عنه وخلع عليه وكان الرشيد قد عتب على الفضل بن يحيى وثقل مكانه عليه لتركه الشرب معه فكان الفضل يقول لو علمت أن الماء ينقص من مروتى ما شربته وكان مشغوفا بالسماع قال وكان جعفر يدخل فى منادمة الرشيد حتى كان أبوه ينهاه عن منادمته ويأمره بترك الانس به فيترك أمر أبيه ويدخل معه فيما يدعوه اليه * وذكر عن سعيد ابن هريم أن يحيى كتب إلى جعفر حين أعيته حيلته فيه إنى انما أهملتك ليعثر الزمان بك عثرة تعرف بها أمرك وإن كنت لأخشى أن تكون التى لا شوى لها قال وقد كان يحيى قال للرشيد يا أمير المؤمنين أنا والله أكره مداخلة جعفر معك ولست آمن أن ترجع العاقبة فى ذلك علىّ منك فلو أعفيته واقتصرت به على ما يتولاه من جسيم أعمالك كان ذلك واقعا بموافقتى وآمن لك على قال الرشيد يا أبت ليس بك هذا ولكنك إنما تريد أن تقدم عليه الفضل * وقد حدثنى أحمد ابن زهير أحسبه عن عمه زاهر بن حرب أن سبب هلاك جعفر والبرامكة أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدى وكان يحضرهما إذا جلس للشرب وذلك بعد أن أعلم جعفراً قلة صبره عنه وعنها وقال لجعفر أزوجكها

ليحل لك النظر اليها إذا أحضرتها مجلسى و تقدم اليه ألا يمسها ولا يكون منه شيء مما يكون للرجل إلى زوجته فزوجها منه على ذلك فكان يحضرهما مجلسه إذا جلس للشرب ثم يقوم عن مجلسه ويخليهما فيثملان من الشراب وهما شابان فيقوم اليها جعفر فيجامعها فحملت منه وولدت غلاما فخافت على نفسها من الرشيد إن علم بذلك فوجهت بالمولود مع حَواضِنَ له من مماليكها إلى مكة فلم يزل الأمر مستورا عن هارون حتى وقع بين عباسة وبين بعض جوازيها شر فأنهت أمرها وأمر الصبى إلى الرشيد وأخبرته بمكانه ومع مَن هو من جواريها وما معه من الحلى الذى كانت زينته به أمه فلما حج هارون هذه الحجة أرسل إلى الموضع الذى كانت الجارية أخبرته أن الصبى به من يأتيه بالصبى وبمن معه من حواضنه فلما أحضروا سأل اللواتى معهن الصبى فأخبرنه بمثل القصة التى أخبرته بها الرافعة على عباسة فأراد فيما زُعم قتل الصبى ثم تحوب من ذلك وكان جعفر يتخذ للرشيد طعاما كلما حج بعسفان فيقريه إذا انصرف شاخصا من مكة إلى العراق فلما كان فى هذا العام اتخذ الطعام جعفر كما كان يتخذه هنالك ثم استزاره فاعتل عليه الرشيد ولم يحضر طعامه ولم يَزل جعفر معه حتى نزل منزله من الأنبار فكان من أمره وأمر أبيه ما أنا ذاكره إن شاء الله تعالى

ذكر الخبر عن مقتل جعفر

ذكر الفضل بن سليمان بن علىّ أن الرشيد حج فى سنة ١٨٦ وأنه انصرف من مكة فوافى الحيرة فى المحرم من سنة ١٨٧ عند انصرافه من الحج فأقام فى قصر عون العبادى أياما ثم شخص فى السفن حتى نزل العمر الذى بناحية الأنبار فلما كان ليلة السبت لانسلاخ المحرم أرسل مسرورا الخادم ومعه حماد بن سالم أبو عصمة فى جماعة من الجند فأطافوا بجعفر بن يحيى ليلا ودخل عليه مسرور وعنده ابن بختيشوع المتطبّب وأبو زكار الأعمى المغنى الكلوذانى وهو فى لهوه فأخرجه إخراجا عنيفا يقوده حتى أتى به المنزل الذى فيه الرشيد فحبسه وقيده بقيد حمار وأخبر الرشيد بأخذه إياه ومجيئه به فأمر بضرب عنقه ففعل ذلك ٭ وذكر عن

علىّ بن أبى سعيد أن مسرورا الخادم حدثه قال أرسلنى الرشيد لآتيه بجعفر بن يحيى لما أراد قتله فأتيته وعنده أبو زكار الأعمى المغنى وهو يغنيه

فلا تَبعد فكل فتى سيأتى عليه الموتُ يَطرُقُ أو يُغادِى

قال فقلت له يا أبا الفضل الذى جئت له من ذلك قد والله طرقك أجب أمير المؤمنين قال فرفع يديه ووقع على رجلىّ يقبلهما وقال حتى أدخل فأوصى قلت أما الدخول فلا سبيل اليه ولكن أوص بما شئت فتقدم فى وصيته بما أراد وأعتق مماليكه ثم أتتنى رسل أمير المؤمنين تستحثنى به قال فمضيت به اليه فأعلمته فقال لى وهو فى فراشه ائتنى برأسه فأتيت جعفرا فأخبرته فقال يا أبا هاشم الله الله والله ما أمرك بما أمرك به إلا وهو سكران فدافع بأمرى حتى أصبح أوآمِره فىَّ ثانية فعدت لأوامره فلما سمع حسى قال يا ماصّ بظر أمّه ائتنى برأس جعفر فعدت إلى جعفر فأخبرته فقال عاوده فى ثالثة فأتيته فحذفنى بعمود ثم قال نفيت من المهدىّ إن أنت جئتنى ولم تأتنى برأسه لأرسلن اليك من يأتينى برأسك أولا ثم برأسه آخرا قال فخرجت فأتيته برأسه قال وأمر الرشيد فى تلك الليلة بتوجيه من أحاط بيحيى بن خالد وجميع ولده ومواليه ومن كان منهم بسبيل فلم يفلت منهم أحد كان حاضرا وحوّل الفضل ابن يحيى ليلا فحُبس فى ناحية من منازل الرشيد وحُبس يحيى بن خالد فى منزله وأخذ ما وجد لهم من مال وضياع ومتاع وغير ذلك ومنع أهل العسكر من أن يخرج منهم خارج إلى مدينة السلام أو إلى غيرها ووجه من ليلته رَجاء الخادم إلى الرقة فى قبض أموالهم وما كان لهم وأخذ كل ما كان من رقيقهم ومواليهم وحشمهم وولاه أمورهم وفرق الكتب من ليلته إلى جميع العمال فى نواحى البلدان والأعمال بقبض أموالهم وأخذ وكلائهم فلما أصبح بعث بجثة جعفر بن يحيى مع شعبة الخفتانى وهَرْثمة بن أعْيَن وابراهيم بن حميد المَرْورُّوذىّ وأتبعهم عدّةً من خدمه وثقاته منهم مسرور الخادم إلى منزل جعفر بن يحيى وابراهيم بن حميد وحسين الخادم إلى منزل الفضل بن يحيى ويحيى بن عبد الرحمن ورشيد الخادم إلى منزل يحيى ومحمد بن يحيى وجعل معه هرثمة بن أعين وأمر بقبض جميع مالهم

وكتب إلى السندى الحرشى بتوجيه جيفة جعفر إلى مدينة السلام ونصب رأسه على الجسر الأوسط وقطع جثته وصلب كل قطعة منها على الجسر الأعلى والجسر الأسفل ففعل السندى ذلك وأمضى الخدم ما كانُوا وجهوا فيه وحمل عدة من أولاد الفضل وجعفر ومحمد الأصاغر إلى الرشيد فأمر بإطلاقهم وأمر بالنداء فى جميع البرامكة ألا أمان لمن آواهم الا محمد بن خالد وولده وأهله وحشمه فانه استثناهم لما ظهر من نصيحة محمد له وعَرَف براءته مما دخل فيه غيره من البرامكة وخلى سبيل يحيى قبل شخوصه من العُمْر ووكل بالفضل ومحمد وموسى بنى يحيى وبأبى المهدى صهرهم حفظة من قِبل هَرْثمة بن أعين إلى أن وافى بهم الرقة فأمر الرشيد بقتل أنس بن أبى شيْخ يوم قدم الرقة وتولى قتله إبراهيم بن عثمان بن نهيك ثم صلب وحُبس يحيى بن خالد مع الفضل ومحمد فى دَير القائم وجعل عليهم حفظة من قِبل مسرور الخادم وهرثمة بن أعين ولم يفرق بينهم وبين عدة من خدمهم ولا مايحتاجون اليه وصير معهم زبيدة بنت مُنير أم الفضل ودَنانير جارية يحيى وعدة من خدمهم وجواريهم ولم تزل حالهم سهلة إلى أن سخط الرشيد على عبد الملك ابن صالح فعمّهم بالتثقيف بسخطه وجُدّد له ولهم التهمة عند الرشيد فضيق عليهم وذكر الزبير بن بكار أن جعفر بن الحسين اللهبى حدثه أن الرشيد أتى بأنس ابن أبى شيخ صبح الليلة التى قتل فيها جعفر بن يحيى فدار بينه وبينه كلام فأخرج الرشيد سيفا من تحت فراشه وأمر أن تضرب عنقه وجعل يتمثل ببيت قيل فى قتل أنس قبل ذلك

تَلَمَّظَ السَّيْفُ من شَوْق إلى أنسٍ ... فَالسيف يَلحَظُ وَالأقدارُ تَنتَظِر

قال فضرب عنقه فسبق السيف الدم فقال الرشيد رحم الله عبدالله بن مصعب وقال الناس إن السيف كان سيف الزبير بن العوام وذكر بعضهم أن عبدالله بن مصعب كان على خبر الناس للرشيد فكان أخبره عن أنس أنه على الزندقة فقتله لذلك وكان أحد أصحاب البرامكة وذكر محمد بن اسحاق أن جعفر بن محمد بن حكيم الكوفى حدثه قال حدثنى السندى بن شاهك قال إنى لجالس يوما فإذا أنا بخادم

قد قدم على البريد ودفع إلىّ كتابا صغيراً ففضضته فإذا كتاب الرشيد بخطه فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) ياسندى إذا نظرت فى كتابى هذا فان كنت قاعداً فقم وإن كنت قائما فلا تقعد حتى تصير إلىّ قال السندى فدعوت بدوابى ومضيت وكان الرشيد بالعمر فحدثنى العباس بن الفضل بن الربيع قال جلس الرشيد فى الزو فى الفرات ينتظرك وارتفعت غبرة فقال لى ياعباس ينبغى أن يكون هذا السندى وأصحابه قلت ياأمير المؤمنين ما أشبهه أن يكون هو قال فطلعت قال السندى فنزلت عن دابتى ووقفت فأرسل إلىّ الرشيد فصرت اليه ووقفت ساعة بين يديه فقال لمن كان عنده من الخدم قوموا فقاموا فلم يبق الا العباس بن الفضل وأنا ومكث ساعة ثم قال للعباس اخرج ومُرْ برفع التخاتج المطروحة على الزوّ ففعل ذلك فقال لى ادنُ منى فدنوت منه فقال لى تدرى فيم أرسلت اليك قلت لا والله ياأمير المؤمنين قال قد بعثت اليك فى أمر لو علم به زر قميصى رميت به فى الفرات ياسندى من أوثق قوادى عندى قلت هرثمة قال صدقت فمن أوثق خدمى عندى قلت مسرور الكبير قال صدقت امض من ساعتك هذه وجد فى سيرك حتى توافى مدينة السلام فاجمع ثقات أصحابك وأرباعك ومُرهم أن يكونوا وأعوانهم على أهبة فإذا انقطعت الرجل فصر إلى دور البرامكة فوكل بكل باب من أبوابهم صاحب ربع ومُره أن يمنع من يدخل ويخرج خلا باب محمد بن خالد حتى يأتيك أمرى قال ولم يكن حرّك البرامكة فى ذلك الوقت قال السندى فجئت أركض حتى أتيت مدينة السلام فجمعت أصحابى وفعلت ما أمرنى به قال فلم ألبث أن أقدم علىّ هرثمة ابن أعين ومعه جعفر بن يحيى على بغل بلا أكاف مضروب العنق وإذا كتاب أمير المؤمنين يأمرنى أن أشطره باثنين وأن أصلبه على ثلاثة جسور قال ففعلت ما أمرنى به قال محمد بن اسحاق فلم يزل جعفر مصلوبا حتى أراد الرشيد الخروج إلى خراسان فمضيت فنظرت اليه فلما صار بالجانب الشرقى على باب خزيمة ابن خازم دعا بالوليد بن جشم الشارى من الحبس وأمر أحمد بن الجنيد الخُتّلى وكان سيّافه فضرب عنقه ثم التفت إلى السندى فقال ينبغى أن يحرق هذا

يعنى جعفراً فلما مضى جمع السندى له شوكا وحطبا وأحرقه وقال محمد بن اسحاق لما قتل الرشيد جعفر بن يحيى قيل ليحيى بن خالد قتل أمير المؤمنين ابنك جعفرا قال كذلك يقتل ابنه قال فقيل له خربت ديارك قال كذلك تخرب دورهم وذكر الكرمانى أن بشار التركى حدثه أن الرشيد خرج الى الصيد وهو بالعمر فى اليوم الذى قتل جعفرا فى آخره فكان ذلك اليوم يوم جمعة وجعفر ابن يحيي معه قد خلا به دون ولاة العهد وهو يسير معه وقد وضع يده على عاتقه وقبل ذلك ماغلفه بالغالية بيد نفسه ولم يزل معه مايفارقه حتى انصرف مع المغرب فلما أراد الدخول ضمه إليه وقال له لولا أنى على الجلوس الليلة مع النساء لم أفارقك فأقم أنت فى منزلك واشرب أيضا واطرب لتكون أنت فى مثل حالى فقال لا والله ماأشتهى ذلك إلا معك فقال له بحياتى لما شربت فانصرف عنه إلى منزله فلم تزل رسل الرشيد عنده ساعة بعد ساعة تأتيه بالأنقال والابخرة والرياحين حتى ذهب الليل ثم بعث إليه مسروراً فحبس عنده وأمر بقتله وحبس الفضل ومحمد وموسى ووكل سلاما الأبرش بباب يحيي بن خالد ولم يعرض لمحمد بن خالد ولا لأحد من ولده وحشمه قال فحدثنى العباس بن بزيع عن سلّام قال لما دخلت على يحيي فى ذلك الوقت وقد هُتكت الستور وجُمع المتاع قال لى ياأباسلمة هكذا تقوم الساعة قال سلام فحدثت بذلك الرشيد بعدماانصرفت إليه فأطرق مفكرا قال وحدثنى أيوب بن هارون بن سليمان بن علىّ قال كان سكنى إلى يحيي فلما نزلوا الأنبار خرجت إليه فأنا معه فى تلك العشية التى كان آخر أمره وقد صار إلى أمير المؤمنين فى حرّاقته فدخل إليه من باب صاحب الخاصة فكلمه فى حوائج الناس وغيرها من إصلاح الثغور وغزو البحر ثم خرج فقال للناس قد أمر أمير المؤمنين بقضاء حوائجكم وبعث إلى أبى صالح يحيي بن عبد الرحمن يأمره بإنفاذ ذلك ثم لم يزل يحدثنا عن أبى مسلم وتوجيه معاذ بن مسلم حتى دخل منزله بعد المغرب ووافانا فى وقت السحر خبر مقتل جعفر وزوال أمرهم قال فكتبت إلى يحيي أعزيه فكتب إلىّ أنا بقضاء الله راض وبالخيار منه عالم ولا يؤاخذ الله

العباد إلا بذنوبهم وما ربك بظلام للعبيد وما يعفو الله أكثر ولله الحمد قال وقتل جعفر بن يحيي فى ليلة السبت أول ليلة من صفر سنة ١٨٧ وهو ابن سبع وثلاثين سنة وكانت الوزارة إليهم سبع عشرة سنة وفى ذلك يقول الرقاشى

أيا سَبتُ يا شر السبوت صَبيحة ... ويا صفَرُ المشؤوم ماجئتَ أشأما
أتى السبت بالأمر الذى هَدَّ ركننا ... وفى صَفَرٍ جاءَ البلاءُ مُصَمَّما

قال وذكر عن مسرور أنه أعلم الرشيد أن جعفرا سأله أن تقع عينه عليه فقال لا لأنه يعلم إن وقعت عينى عليه لم أقتله قال وفيهم يقول الرقاشى وقد ذكر أن هذا الشعر لأبى نواس

ألآنَ استرحنا واستراحت رِكابُنا ... وأمسَكَ من يُحدَى ومن كان يحتدِ
فقل للمطايا قد أمِنتِ من السرَى ... وطَىّ الفيافى فَدفَدًا بعدَ فَدفَدِ
وقل للمَنايا قد ظَفِرتِ بجعفرٍ ... ولن تَظفَرى من بعدهِ بمُسَوَّدِ
وقل للعطايا بعدَ فضلٍ تَعَطلِى ... وقل للرزايا كلَّ يومٍ تجَدَّدى
ودُونَكَ سيفاً برمكيًّا مُهَنَّداً ... أصيبَ بسيفٍ هاشمىٍّ مُهَنَّدِ

وفيهم يقول فى شعر له طويل

إن يغدرِ الزَّمَنُ الخُؤون بنا فقد ... غدر الزمانُ بجعفرٍ ومحمدِ
حتى إذا وضَحَ النهارُ تكشَّفَت ... عن قتلِ أكرمِ هالكٍ لم يُلحَدِ
والبِيضُ لولا أنها مأمورةٌ ... ما فُلَّ حد مهندٍ بمهندِ
يا آلَ برمَكَ كم لكم من نائلٍ ... ونداً كَعَدِّ الرملِ غيرِ مُصَرَّدِ
إن الخليفةَ لا يُشَكُّ أخوكمُ ... لكنه فى برمَكٍ لم يُولَدِ
نازعتموه رضاعَ أكرمِ حُرَّةٍ ... مخلوقَةٍ من جَوهرٍ وزبرجدِ
مَلِكٌ له كانت يدٌ فَيَّاضةٌ ... أبداً تجودُ بطارفٍ وبمتلَدِ
كانت يداً للجودِ حتى غلها ... قَدَرٌ فأضحى الجود مغلولَ اليدِ

وفيهم يقول سيف بن إبراهيم

هَوَت أنجُمُ الجدوَى وشلَّت يدُ النَّدَى ... وغاضَت بُحورُ الجودِ بعدَ البرامِكِ

حوت أنجم كانت لابناء برمكٍ بها يعرِفُ الحادى طريقَ المسالكِ

وقال ابن أبى كريمة

كل مُعيرٍ أعِيرَ مَرتبةً بعدَ فتى برمكٍ على غَرَرِ
صالَت عليه من الزمانِ يدٌ كان بها صائلا على البَشرِ

وقال العطوى أبو عبد الرحمن

أمَا والله لولا قولُ واشٍ وعينٌ للخليفة لا تنامُ
لَطفنا حولَ جِذعِكَ واستلمنا كما للناس بالحجر استلامُ
على الدنيا وَساكِنِها جميعًا وَدَوْلَةِ آل برمكٍ السلامُ

وفى قتل جعفر قال أبو العتاهية

قولا لمن يرتجى الحياةَ أَمَا فى جعفر عِبرَةٌ وَيحياه
كانا وَزيرَى خليفة الله ها رونَ هما ما هما خليلاهُ
فذاكُم جعفرٌ برمّته فى حالق رأْسُهُ ونصفاهُ
والشيخ يحيي الوزيرُ أصبح قد نحّاهُ عن نفسه وَأقصاهُ
شُتّتَ بعدَ التجميع شملُهُمُ فأصبحوا فى البلاد قد تاهُوا
كذاكَ مَن يُسْخِطِ الإلهَ بما يُرضِى به العبدَ يَجزِهِ اللهُ
سبحانَ من دانَتِ الملوك له أشهدُ أن لا إلهَ إلا هُو
طُوبى لمن تابَ بعدَ غِرّتِهِ فتابَ قبلَ المماتِ طُوباهُ

قال وفى هذه السنة هاجت العصبية بدمشق بين المضرية واليمانية فوجه الرشيد محمد بن منصور بن زياد فأصلح بينهم (وفيها) زلزلت المصيصة فانهدم بعض سورها ونضب ماؤهم ساعة من الليل (وفيها) خرج عبد السلام بآمد فحكم فقتله يحيي بن سعيد العقيلى (وفيها) مات يعقوب بن داود بالرقة (وفيها) أغزى الرشيد ابنه القاسم الصائفة فوهبه لله وجعله قربانا له ووسيلة وولاه العواصم (وفيها) غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح وحبسه

ذكر الخبر عن سبب غضبه عليه وما أوجب حبسه

ذكر احمد بن ابراهيم بن اسماعيل ان عبد الملك بن صالح كان له ابن يقال له عبد الرحمن كان من رجال الناس وكان عبد الملك يكنى به وكان لابنه عبد الرحمن لسان على فأفاة فيه فنصب لأبيه عبدالملك وقمامة فسعيا به إلى الرشيد وقالا له انه يطلب الخلافة ويطمع فيها فأخذه وحبسه عند الفضل بن الربيع فذكر أن عبدالملك ابن صالح أدخل على الرشيد حين سخط عليه فقال له الرشيد أكفراً بالنعمة وجحوداً لجليل المنة والتكرمة فقال يا أمير المؤمنين لقد بؤت إذاً بالندم وتعرضت لاستحلال النقم وما ذاك إلا بغىُ حاسد نافسنى فيك مودة القرابة وتقديم الولاية إنك يا أمير المؤمنين خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمته وأمينه على عترته لك عليها فرض الطاعة وأداء النصيحة ولها عليك العدل فى حكمها والتثبت فى حادثها والغفران لذنوبها فقال له الرشيد أتضع لى من لسانك وترفع لى من جنانك هذا كاتبك قمامة يخبر بغلّك وفساد نيتك فاسمع كلامه فقال عبد الملك أعطاك ما ليس فى عقده ولعله لا يقدر أن يعضهن ولا يبهتنى بما لم يعرفه منى وأحضر قمامة فقال له الرشيد تكلم غير هائب ولا خائف قال أقول إنه عازم على الغدر بك والخلاف عليك فقال عبد الملك أهو كذاك يا قمامة قال قمامة نعم لقد أردت ختل أمير المؤمنين فقال عبد الملك كيف لا يكذب علىّ من خلفى وهو يبهتنى فى وجهى فقال له الرشيد وهذا ابنك عبد الرحمن يخبرنى بعتوّك وفساد نيتك ولو أردت أن أحتج عليك بحجة لم أجد أعدل من هذين لك فبم تدفعهما عنك فقال عبد الملك بن صالح هو مأمور أوعاق مجبور فان كان مأموراً فمعذور وإن كان عاقاً ففاجر كفور أخبر الله عز وجل بعداوته وحذر منه بقوله (إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) قال فنهض الرشيد وهو يقول أما أمرك فقد وضح ولكنى لا أعجل حتى أعلم الذى يرضى الله فيك فانه الحكم بينى وبينك فقال عبد الملك رضيت بالله حكما وبأمير المؤمنين حاكما فانى أعلم أنه يؤثر كتاب الله على هواه وأمر الله على رضاه قال فلما كان بعد ذلك

جلس مجلساً آخر فسلم لما دخل فلم يرد عليه فقال عبد الملك ليس هذا يوما أحتج فيه ولا أجاذب منازعا وخصما قال ولِمَ قال لأن أوله جرى على غير السُّنة فأنا أخاف آخره قال وما ذاك قال لم تردّ علىّ السلام أنصف نصفة العوام قال السلام عليكم اقتداء بالسنة وإيثاراً للعدل واستعمالا للتحية ثم التفت نحو سليمان ابن أبى جعفر فقال وهو يخاطب بكلامه عبد الملك

أريدُ حياتَهُ ويريدُ قتلى * البيت - ثم قال أما والله لكأنى أنظر إلى شؤبوبها قد همع وعارضها قد لمع وكأنى بالوعيد قد أورى ناراً تستطع فأقلع عن براجم بلا معاصم ورؤس بلا غلاصم فهلا مهلا فبى والله سُهِّل لكم الوعر وصفا لكم الكدر وألقت اليكم الأمور أثناء أزمتها فنذار لكم نذار قبل حلول داهية خبوط باليد لبوط بالرجل فقال عبد الملك اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك وفى رعيته التى استرعاك ولا تجعل الكفر مكان الشكر ولا العقاب موضع الثواب فقد نخلت لك النصيحة ومحضت لك الطاعة وشددت أواخى ملكك بأثقل من رُكنى يَلملم وتركتُ عدوك مشتغلا فاللهَ اللهَ فى ذى رحمك أن تقطعه بعد أن بلّته بظن أفصح الكتابُ لى بعضه أو ببغى باغ ينهس اللحم ويالغ الدم فقد والله سهلتُ لك الوعور وذللت لك الأمور وجمعت على طاعتك القلوب فى الصدور فكم من ليل تمام فيك كابدته ومقام ضيق لك قمته كنت فيه كما قال أخو بنى جعفر بن كلاب

وَمَقامٍ ضَيِّقٍ فَرجتُهُ ببَنانى وَلسانى وَجَدَل
لو يقومُ الفيلُ أو فَيالهُ زلَّ عن مثلِ مقامى وزَحَلْ

قال فقال له الرشيد أما والله لولا الإبقاء على بنى هاشم لضربت عنقك وذكر زيد بن علىّ بن الحسين العلوى قال لما حبس الرشيد عبد الملك بن صالح دخل عليه عبد الله بن مالك وهو يومئذ على شُرطه فقال أفى إذنٍ أنا فأتكلم قال لا والله العظيم يا أمير المؤمنين ما علمت عبد الملك إلا ناصحا فعلام حبسته قال ويحك بلغنى عنه ما أوحشنى ولم آمنه أن يضرب بين ابنىّ هذين يعنى الأمين والمأمون فان كنت ترى أن نطلقه من الحبس أطلقناه قال أما اذا حبسته يا أمير المؤمنين فلست

أرى فى قرب المدة أن تطلقه ولكن أرى أن تحبسه محبساً كريما يشبه محبس مثلك مثله قال فانى أفعل قال فدعا الرشيد الفضل بن الربيع فقال امض إلى عبد الملك بن صالح إلى محبسه فقل له انظر ما تحتاج اليه فى محبسك فأْمر به حتى يقام لك فذكر قصته وما سأل قال وقال الرشيد يوما لعبد الملك بن صالح فى بعض ما كلمه ما أنت لصالح قال فلمن أنا قال لمروان الجعدى قال ما أبالى أى الفحلين غلب علىّ فحبسه الرشيد عند الفضل بن الربيع فلم يزل محبوسا حتى توفى الرشيد فأطلقه محمد وعقد له على الشأم فكان مقيما بالرقة وجعل لمحمد عهد الله وميثاقه لئن قتل وهو حى لا يعطى المأمون طاعة أبداً فمات قبل محمد فدُفن فى دار من دور الإمارة فلما خرج المأمون يريد الروم أرسل إلى ابن له حوّل أباك من دارى فنبشت عظامه وحُوّلت وكان قال لمحمد إن خفت فالجأ إلىّ فوالله لأصوننك وذكر أن الرشيد بعث فى بعض أيامه إلى يحيى بن خالد أن عبد الملك بن صالح أراد الخروج ومنازعتى فى الملك وقد علمت ذلك فأعلمنى ماعندك فيه فانك إن صدقتنى أعدتك إلى حالك فقال والله يا أمير المؤمنين مااطلعت من عبد الملك على شىء من هذا ولو اطلعت عليه لكنت صاحبه دونك لأن ملكك كان ملكى وسلطانك كان سلطانى والخير والشر كان فيه علىّ ولى فكيف يجوز لعبد الملك أن يطمع فى ذلك منى وهل كنت إذا فعلت ذلك به يفعل بى أكثر من فعلك أعيذك بالله أن تظن بى هذا الظن ولكنه كان رجلا محتملا يسرنى أن يكون فى أهلك مثله فوليته لما أحمدت من مذهبه وملت إليه لأدبه واحتماله قال فلما أتاه الرسول بهذا أعاد اليه فقال إن أنت لم تقر عليه قتلت الفضل ابنك فقال له أنت مسلط علينا فافعل ما أردت على أنه إن كان من هذا الأمر شىء فالذنب فيه لى فبم يدخل الفضل فى ذلك فقال الرسول للفضل قم فإنه لا بد لى من انفاذ أمر أمير المؤمنين فيك فلم يشك أنه قاتله فودع أباه وقال له ألست راضياً عنى قال بلى فرضى الله عنك ففرق بينهما ثلاثة أيام فلما لم يجد عنده من ذلك شيئاً جمعهما كما كانا وكان يأتيهم منه أغلظ رسائل لما كان أعداؤهم يقرفونهم به عنده فلما أخذ

مسرور بيد الفضل لما أعلمه به بلغ من يحيى فأخرج ما فى نفسه فقال له قل له يُقتل ابنك مثله قال مسرور فلما سكن عن الرشيد الغضب قال كيف قال فأعدت عليه القول قال قد خفت والله قوله لأنه قلّ ما قال لى شيئاً إلا رأيت تأويله ٭ وقيل بينما الرشيد يسير وفى موكبه عبد الملك بن صالح إذ هتف به هاتف وهو يساير عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين طأطئ من أشرافه وقصِّر من عنانه واشدد من شكائمه وإلا أفسد عليك ناحيته فالتفت إلى عبد الملك فقال ما يقول هذا يا عبد الملك فقال عبد الملك مقال باغ ودسيس حاسد فقال له هارون صدقت نَقَصَ القوم ففضلتَهم وتخلقوا وتقدمتهم حتى برز شأوك فقصر عنه غيرك ففى صدورهم جمرات التخلف وحزازات النقص فقال عبد الملك لا أطفأها الله وأضرمها عليهم حتى تورثهم كمداً دائماً أبداً وقال الرشيد لعبد الملك بن صالح وقد مر بمنبج وبها مستقر عبد الملك هذا منزلك قال هو لك يا أمير المؤمنين ولى بك قال كيف هو قال دون بناء أهلى وفوق منازل منبج قال فكيف ليلها قال سحر كله (وفى هذه السنة) دخل القاسم بن الرشيد أرض الروم فى شعبان فأناخ على قرة وحاصرها ووجه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث فأناخ على حصن سنان حتى جهدوا فبعثت اليه الروم تبذل له ثلثمائة وعشرين رجلا من أسارى المسلمين على أن يرحل عنهم فأجابهم إلى ذلك ورحل عن قرة وحصن سنان صلحا ومات على بن عيسى بن موسى فى هذه الغزاة بأرض الروم وهو مع القاسم (وفى هذه السنة) نقض صاحب الروم الصلح الذى كان جرى بين الذى قبله وبين المسلمين ومنع ما كان ضمنه الملك لهم قبله

ذكر الخبر عن سبب نقضهم ذلك

وكان سبب ذلك أن الصلح كان جرى بين المسلمين وصاحب الروم وصاحبتهم يومئذ رِينَى وقد ذكرنا قبل سبب الصلح الذى كان بين المسلمين وبينها فعادت الروم على رينى فخلعتها وملكت عليها نقفور والروم تذكر أن نقفور هذا من أولاد جفنة من غسان وأنه قبل الملك كان يلى ديوان الخراج ثم ماتت رينى

بعد خمسة أشهر من خلع الروم إياها فذكر أن نقفور لما ملك واستوثقت له الروم بالطاعة كتب إلى الرشيد من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب أما بعد فإن الملكة التى كانت قبلى أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثالها اليها لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن فإذا قرأت كتابى فاردد ما حصل قبلك من أموالها وافتد نفسك بما يقع به المصادرة لك وإلا فالسيف بيننا وبينك قال فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب حتى لم يمكن أحداً أن ينظر إليه دون أن يخاطبه وتفرق جلساؤه خوفا من زيادة قول أو فعل يكون منهم واستعجم الرأى على الوزير من أن يشير عليه أو يتركه يستبد برأيه دونه فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون أن تسمعه والسلام ثم شخص من يومه وسار حتى أناخ بباب هرقلة ففتح وغنم واصطفى وأفاد وخرب وحرق واصطلم فطلب نقفور الموادعة على خراج يؤديه فى كل سنة فأجابه إلى ذلك فلما رجع من غزوته وصار بالرقة نقض نقفور العهد وخان الميثاق وكان البرد شديدا فيئس نقفور من رجعته إليه وجاء الخبر بارتداده عما أخذ عليه فما تهيأ لأحد إخباره بذلك إشفاقا عليه وعلى أنفسهم من الكرة فى مثل تلك الأيام فاحتيل له بشاعر من أهل جندة يكنى أبا محمد عبد الله بن يوسف ويقال هو الحجاج بن يوسف التيمى فقال

نَقَضَ الذى أعْطيتَهُ نِقْفُورُ ... وعليْـهِ دائرَةُ البَوارِ تدورُ
أبْشِرْ أمير المؤمنين فإنهُ ... غُنْمٌ أتاكَ بِهِ الإلهُ كبيرُ
فلقَدْ تباشَرَتِ الرَّعيَّة أنْ أتى ... بالنَّقْضِ عَنْهُ وافِدٌ وبَشيرُ
وَرَجَتْ يمينَكَ أنْ تعجّلَ غزوَةً ... تشفِي النُّفوسَ مكانُها مَذكورُ
أعطاكَ جِزيَتَهُ وطأطأ خَدَّهُ ... حَذَرُ الصَّوارِمِ والرَّدَى مَحْذورُ
فأجَرْتَهُ مِن وَقعِها وكأنّها ... بأكفِّنا شُعَلُ الضِّرامِ تطيرُ

وَصَرَفْتَ بالطَّولِ العساكِر قافِلا عنْهُ وَجارُكَ آمِنٌ مَسْرورُ
نِقْفُورُ إنَّكَ حينَ تَغْدِرُ إنْ نأى عنكَ الإمامُ لجاهِل مَغْرُورُ
أظننْتَ حين غَدرتَ أنكَ مُفْلِت هبِلَتْكَ أمُّكَ ما ظنَنْتَ غُرور
ألقاكَ حَيْنُكَ فى زواخِرِ بَحْرِه فَطَمَتْ عليكَ مِنَ الإمامِ بُحورُ
إنَّ الإمامَ على اقْتِسارِكَ قادِر قَرُبَتْ دِيارُكَ أمْ نأتْ بِكَ دُورُ
ليسَ الإمامُ وَإنْ غَفلنا غافِلا عمَّا يَسوسُ بِحَزْمِهِ ويُدِيرُ
مَلِكٌ تَجَرَّد للجِهادِ بِنَفسِهِ فَعَدُوهُ أبداً بهِ مَقْهورُ
يامَنْ يُرِيدُ رِضى الإلٰهِ بِسَعْيِهِ واللهُ لا يَخْفَى عليْهِ ضَمِيرُ
لا نُصح يَنْفَعُ مَنْ يَغُش إمامَهُ والنصْحُ مِنْ نُصحائِهِ مشكورُ
نصحُ الإمامِ على الأنامِ فَرِيضَةٌ ولأهلها كفارةٌ وطُهورُ

وفى ذلك يقول إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية

إمامَ الهُدَى أصْبَحْتَ بالدِّينِ مَعْنيًا وأصبَحْتَ تَسْقِى كلَّ مُسْتمطِرٍ رِيًّا
لكَ اسْمانِ شُقَّا مِنْ رَشادٍ وَمِنْ هُدًى فأنتَ الذى تدعى رَشيداً ومَهْدِيا
إذا ماسَخِطْتَ الشَّىءَ كانَ مُسَخَّطًا وإنْ تَرْضَ شيئاً كانَ فى الناسِ مَرْضِيا
بَسطتَ لنا شَرْقاً وَغرْبًا يدَ العُلى فأوْسَعْتَ شَرْقيا وأوْسعْتَ غَرْبِيا
ووشَّيْتَ وجهَ الأرضِ بالجودِ والنَّدَى فأصبحَ وجْهُ الأرضِ بالجودِ مُوشيا
قضى اللهُ أنْ صفا لهارونَ مُلكُهُ وكانَ قضاءُ اللهِ فى الخَلقِ مَقضِيا
تحلَّبَتِ الدنيا لهارونَ بالرِّضى فأصْبَحَ نِقفُورُ لهارونَ ذِمِّيا

وقال التيمى :

لَجَّتْ بِنِقْفُور أسبابُ الرَّدَى عَبثا لمَّا رأتْهُ بِغِيلِ الليثِ قَدْ عَبِثا
ومَنْ يَزُرْ غِيلَهُ لا يَخْلُ مِنْ فَزَعٍ إن فاتَ أنيابَهُ والمِخْلَبَ الشَّثِنا
خانَ العُهودَ وَمَنْ يَنكُثْ بِها فعَلَى حوبائهِ لاعلى أعدائِهِ نكثا
كانَ الإمامُ الذى تُرْجى فواضِلُهُ أذاقَهُ ثَمَرَ الحِلْمِ الذى ورِثا
فَردَ أُلفتَهُ مِنْ بَعدِ أنْ عطفتْ أزواجُهُ مَرِهاً يَبْكِينَهُ شعثا

فلما فرغ من إنشاده قال أو قد فعل نقفور ذلك وعلم أن الوزراء قد احتالوا فى ذلك فكر راجعا فى أشد محنة وأغلظ كلفة حتى أناخ بفنائه فلم يبرح حتى رضى وبلغ ما أراد فقال أبو العتاهية

ألا نادَتْ هِرَقلَةُ بالخَرابِ مِنَ المَلِكِ المُوفقِ بِالصوابِ
غدا هارونُ يَرْعُدُ بالمنايا وَيبْرُقُ بالمُذكرةِ القِضابِ
وَرَاياتٍ يَحِلُ النَّصْرُ فيها تَمُر كأنَّها قِطَعُ السَّحابِ
أَمير المؤمنينَ ظَفِرتَ فاسلَم وأَبشِرْ بالغنيمَةِ وَالإِيابِ

(وفيها) قتل فى قول الواقدى إبراهيم بن عثمان بن نهيك وأماغير الواقدى فإنه قال فى سنة ١٨٨

ذكر الخبر عن سبب مقتله

ذكر عن صالح الأعمى وكان فى ناحية إبراهيم بن عثمان بن نهيك قال كان إبراهيم بن عثمان كثيراً ما يذكر جعفر بن يحيي والبرامكة فيبكى جزعاً عليهم وحباً لهم إلى أن خرج من حد البكاء ودخل فى باب طالبى الثأر والإحن فكان إذا خلا بجواريه وشرب وقوى عليه النبيذ قال يا غلام سيفى ذا المنية وكان قد سمى سيفه ذا المنية فيجيئه غلامه بالسيف فينتضيه ثم يقول واجعفراه واسيداه والله لأقتلن قاتلك ولأثأرن بدمك عن قليل فلما كثر هذا من فعله جاء ابنه عثمان إلى الفضل بن الربيع فأخبره بقوله فدخل الفضل فأخبر الرشيد فقال أدخله فدخل فقال ما الذى قال الفضل عنك فأخبره بقول أبيه وفعله فقال الرشيد فهل سمع هذا أحد معك قال نعم خادمه نوال فدعا خادمه سرا فسأله فقال لقد قال ذاك غير مرة ولا مرتين فقال الرشيد مايحل لى أن أقتل وليا من أوليائى بقول غلام وخصى لعلهما تواصيا على هذا لمنافسة الابن على المرتبة ومعاداة الخادم لطول الصحبة فترك ذلك أياما ثم أراد أن يمتحن إبراهيم بن عثمان بمحنة تزيل الشك عن قلبه والخاطر عن وهمه فدعا الفضل بن الربيع فقال إنى أريد محنة إبراهيم بن عثمان فيما رفع ابنه عليه فإذا رفع الطعام فادع بالشراب وقل له أجب أمير المؤمنين

فينادمك إذا كنت منه بالمحل الذى أنت به فإذا شرب فاخرج وأخلنى وإياه ففعل ذلك الفضل بن الربيع وقعد إبراهيم للشراب ثم وثب حين وثب الفضل بن الربيع للقيام فقال له الرشيد مكانك ياابراهيم فقعد فلما طابت نفسه أومأ الرشيد إلى الغلمان فتنحوا عنه ثم قال يا ابراهيم كيف أنت وموضع السر منك قال يا سيدى إنما أنا كأخص عبيدك وأطوع خدمك قال ان فى نفسى أمراً أريد أن أودعكه وقد ضاق صدرى به وأسهرت به ليلى قال ياسيدى إذاً لايرجع عنى اليك أبدا وأخفيه عن جنبى أن يُعلمه ونفسى أن تذيعه قال ويحك انى ندمت على قتل جعفر ابن يحيى ندامة ما أحسن أن أصفها فوددت أنى خرجت من ملكى وأنه كان بقى لى فما وجدت طعم النوم منذ فارقته ولا لذة العيش منذ قتلته قال فلما سمعها إبراهيم أسبل دمعه وأذرى عبرته وقال رحم الله أبا الفضل وتجاوز عنه والله ياسيدى لقد أخطأت فى قتله وأوطئت العشوة فى أمره وأين يوجد فى الدنيا مثله وقد كان منقطع القرين فى الناس أجمعين دينا فقال الرشيد قم عليك لعنة الله يا ابن اللخناء فقام ما يعقل مايطأ فانصرف الى أمه فقال ياأمّ ذهبتْ والله نفسى قالت كلا إن شاء الله وماذاك يا بنى قال ذاك ان الرشيد امتحننى بمحنة والله ولو كان لى ألف نفس لم أنج بواحدة منها فما كان بين هذا وبين أن أدخل عليه ابنه فضربه بسيفه حتى مات إلا ليال قلائل (وحج) بالناس فى هذه السنة عبيد الله بن العباس بن محمد بن على

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائه

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزو ابراهيم بن جبريل الصائفة ودخوله أرض الروم من درب الصَّفْصاف فخرج للقائه نقفور فورد عليه من ورائه أمرٌ صرفه عن لقائه فانصرف ومر بقوم من المسلمين فجرح ثلاث جراحات وانهزم وقتل من الروم فيما ذكر أربعون ألفاً وسبعمائة وأخذ أربعة آلاف دابة (وفيها) رابط القاسم بن الرشيد بدابق (وحج) بالناس فيها الرشيد فجعل طريقه على المدينة

فأعطى أهلها نصف العطاء وهذه الحجة هى آخر حجة حجها الرشيد فيما زعم الواقدى وغيره

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من شخوص هارون الرشيد أمير المؤمنين فيها الى الرىّ

ذكر الخبر عن سبب شخوصه اليها وما أحدث فى خرجته تلك فى سفره

ذكر أن الرشيد كان استشار يحيى بن خالد فى تولية خراسان علىّ بن عيسى ابن ماهان فأشار عليه أن لا يفعل فخالفه الرشيد فى أمره وولاه اياها فلما شخص علىّ بن عيسى اليها ظلم الناس وعسر عليهم وجمع مالا جليلا ووجه الى هارون منها هدايا لم يُرَ مثلها قط من الخيل والرقيق والثياب والمسك والأموال فقعد هارون بالشَّمَّاسية على دكان مرتفع حين وصل مابعث به علىّ اليه وأحضرت تلك الهدايا فعرضت عليه فعظمت فى عينه وجلّ عنده قدرها والى جانبه يحيى بن خالد فقال له ياأبا علىّ هذا الذى أشرت علينا ألا نوليه هذا الثغر فقد خالفناك فيه فكان فى خلافك البركة وهو كالمازح معه إذ ذاك فقد ترى ما أنتج رأينا فيه وماقل من رأيك فقال يا أمير المؤمنين جعلنى الله فداك أنا وان كنت أحبّ ان أصيب فى رأيى وأوفَّق فى مشورتى فأنا أحبّ من ذلك أن يكون رأى أمير المؤمنين أعلى وفراسته أثقب وعلمه أكثر من علمى ومعرفته فوق معرفتى وما أحسن هذا وأكثره ان لم يكن وراءه ما يكره أمير المؤمنين وما أسأل الله أن يعيذه ويعفيه من سوء عاقبته ونتائج مكروهه قال وماذاك فأعلمه قال ذاك انى أحسب أن هذه الهدايا مااجتمعت له حتى ظلم فيها الأشراف وأخذ أكثرها ظلماً وتعدّياً ولو أمرنى أمير المؤمنين لأتيته بضعفها الساعة من بعض تجّار الكرخ قال وكيف ذاك قال قد ساومنا عوناً على السفط الذى جاءنا به من الجوهر وأعطيناه به سبعة آلاف ألف فأبى أن يبيعه فأبعثُ إليه الساعة

بحاجبي يأمره أن يرده إلينا لنعيد فيه نظرنا فاذا جاء به جحدناه وربحنا سبعة آلاف ألف ثم كنا نفعل بتاجرين من كبار التجار مثل ذلك وعلى أن هذا أسلم عاقبة وأستر أمراً من فعل علىّ بن عيسى فى هذه الهدايا بأصحابها فأجمعُ لأمير المؤمنين فى ثلاث ساعات أكثر من قيمة هذه الهدايا بأهون سعى وأيسر أمر وأجمل جباية مما جمع علىّ فى ثلاث سنين فوقرت فى نفس الرشيد وحفظها وأمسك عن ذكر علىّ بن عيسى عنده فلما عاث علىّ بن عيسى بخراسان ووتر أشرافها وأخذ أموالهم واستخف برجالهم كتب رجال من كبرائها ووجوهها إلى الرشيد وكتبت جماعة من كورها إلى قراباتها وأصحابها تشكو سوء سيرته وخبْث طعمته ورداءة مذهبه وتسأل أمير المؤمنين أن يبدلها به من أحبّ من كفاته وأنصاره وأبناء دولته وقواده فدعا يحيي بن خالد فشاوره فى أمر علىّ بن عيسى وفى صرفه وقال أشر علىّ برجل ترضاه لذلك الثغر يُصلح ماأفسد الفاسق ويرتق فأشار عليه بيزيد بن مزيد فلم يقبل مشورته وكان قيل للرشيد إن علىّ ابن عيسى قد أجمع على خلافك فشخص إلى الرىّ من أجل ذلك منصرفه من مكة فعسكر بالنهروان لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى ومعه ابناه عبدالله المأمون والقاسم ثم سار إلى الرى فلما صار بقرماسين أشخص اليه جماعة من القضاة وغيرهم وأشهدهم أن جميع ماله فى عسكره ذلك من الأموال والخزائن والسلاح والكراع وما سوى ذلك لعبد الله المأمون وأنه ليس له فيه قليل ولا كثير وجدد البيعة له على من كان معه ووجه هرثمة بن أعيَن صاحب حرسه إلى بغداد فأعاد أخذ البيعة على محمد بن هارون الرشيد وعلى من بحضرته لعبد الله والقاسم وجعل أمر القاسم فى خلعه وإقراره إلى عبد الله إذا أفضت الخلافة اليه ثم مضى الرشيد عند انصراف هرثمة اليه الى الرىَ فأقام بها نحواً من أربعة أشهر حتى قدم عليه على بن عيسى من خراسان بالأموال والهدايا والطرف من المتاع والمسك والجوهر وآنية الذهب والفضة والسلاح والدواب وأهدى بعد ذلك إلى جميع من كان معه من ولده وأهل بيته وكتابه وخدمه وقواده على

قدر طبقاتهم ومراتبهم ورأى منه خلاف ما كان ظن به وغير ما كان يقال فيه فرضي عنه ورده الى خراسان وخرج وهو مشيع له فذكر أن البيعة أخذت للمأمون والقاسم بولاية العهد بعد أخويه محمد وعبد الله وسمى المؤتمن حين وجه هارون هرثمة لذلك بمدينة السلام يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب من هذه السنة فقال الحسن بن هانئ فى ذلك

تبارَكَ مَنْ سَاسَ الأمورَ بِعِلْمِهِ وَفَضَّلَ هاروناً على الخُلفاءِ
نزالُ بِخَيْرٍ ما انطوينا على التقَى وَما سَاسَ دنيانا أبو الأمناءِ

(وفى هذه السنة) حين صار الرشيد الى الرى بعث حسيناً الخادم الى طبرستان فكتب له ثلاثة كتب من ذلك كتاب فيه أمان لشروين أبى قارن والآخر فيه أمان لونداهرمز جد مازيار والثالث فيه أمان لمرزبان بن جستان صاحب الديلم فقدم عليه صاحب الديلم فوهب له وكساه ورده وقدم عليه سعيد الحرشى بأربعمائة بطل من طبرستان فأسلموا على يد الرشيد وقدم ونداهرمز وقبل الأمان وضمن السمع والطاعة وأداء الخراج وضمن على شروين مثل ذلك فقبل ذلك منه الرشيد وصرفه ووجه معه هرثمة فأخذ ابنه وابن شروين رهينه وقدم عليه الرى أيضاً خزيمة بن خازم وكان والى أرمينية فأهدى هدايا كثيرة (وفى هذه السنة) ولى هارون عبد الله بن مالك طبرستان والرىّ والرويان ودنباوند وقومس وهمذان وقال أبو العتاهية فى خرجة هارون هذه وكان هارون ولد بالرى

إنّ أمينَ اللهِ فى خلقِهِ حَنَّ به البِرِ إلى مَوْلِدِهْ
ليُصْلِحَ الرَّىَّ وأقطارَها وَيُمطِرَ الخيْرَ بها مِنْ يَدِهْ

وولى هارون فى طريقه محمد بن الجنيد الطريق ما بين همذان والرى وولى عيسى بن جعفر بن سليمان عمان فقطع البحر من ناحية جزيرة ابن كاوان فافتتح حصنا بها وحاصر آخر فهجم عليه ابن مجلد الأزدى وهو غارٌّ فأسره وحمله إلى عمان فى ذى الحجة وانصرف الرشيد بعد ارتحال على بن عيسى إلى خراسان عن الرى بأيام فأدركه الأضحى بقصر اللصوص فضحى بها ودخل مدينة السلام

يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذى الحجة فلما مر بالجسر أمر بإحراق جثة جعفر ابن يحيي وطوى بغداد ولم ينزلها ومضى من فوره متوجها إلى الرقة فنزل السيلحين وذكر عن بعض قواد الرشيد أن الرشيد قال لما ورد بغداد والله إنى لأطوى مدينة ماوضعت بشرق ولا غرب مدينة أيمن ولا أيسر منها وإنها لوطنى ووطن آبائى ودار مملكة بنى العباس مابقوا وحافظوا عليها ومارأى أحد من آبائى سوءا ولا نكبة منها ولا سِيء بها أحد منهم قط ولنعم الدار هى ولكنى أريد المناخ على ناحية أهل الشقاق والنفاق والبغض لأئمة الهدى والحب لشجرة اللعنة بنى أمية مع مافيها من المارقة والمتلصصة ومخيفى السبيل ولولا ذلك مافارقت بغداد ماحييت ولا خرجت عنها أبداً وقال العباس بن الأحنف فى طىّ الرشيد بغداد

ما أنخنا حتى ارتحلنا فما نَفْـ رِقُ بينَ المناخِ والارْتحالِ
سائلونا عن حالنا إذْ قَدِمنا فَقَرنَّا وَدَاعَهم بالسؤال

(وفى هذه السنة) كان الفداء بين المسلمين والروم فلم يبق بأرض الروم مسلم إلا فودى به فيما ذكر فقال مروان بن أبى حفصة فى ذلك

وفُكّتْ بِكَ الأسرَى التى شُيّدَت لها محابِس ما فيها حَمِيمٌ يَزورُها
على حِينِ أعيَا المسلمينَ فِكاكُها وقالوا سُجُونُ المُشرِكينَ قبورُها

ورابط فيها القاسم بدابق (وحج) بالناس فيها العباس بن موسى بن عيسى بن موسى

ثم دخلت سنة تسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ماكان من ظهور رافع بن ليث بن نصر بن سيار بسمرقند مخالفا لهارون وخلعه إياه ونزعه يده من طاعته

ذكر الخبر عن سبب ذلك

وكان سبب ذلك فيما ذكر لنا أن يحيي بن الأشعث بن يحيي الطائى تزوج ابنة

لعمه أبى النعمان وكانت ذات يسار ولسان فأقام بمدينة السلام وتركها بسمرقند فلما طال مقامه بها وبلغها أنه قد اتخذ أمهات أولاد التمست سببا للتخلص منه فعىّ عليها وبلغ رافعاً خبرها فطمع فيها وفى مالها فدس إليها من قال لها إنه لا سبيل لها إلى التخلص من صاحبها إلا أن تشرك بالله وتحضر لذلك قوماعدولا وتكشف شعرها بين أيديهم ثم تتوب فتحل للأزواج ففعلت ذلك وتزوجها رافع وبلغ الخبر يحيى بن الأشعث فرفع ذلك إلى الرشيد فكتب إلى علىّ بن عيسى يأمره أن يفرق بينهما وأن يعاقب رافعاً ويجلده الحد ويقيده ويطوف به فى مدينة سمرقند مقيدا على حمار حتى يكون عظة لغيره فدرأ سليمان بن حميد الأزدى عنه الحد وحمله على حمار مقيداً حتى طلقها ثم حبسه فى سجن سمرقند فهرب من الحبس ليلا من عند حميد بن المسيح وهو يومئذ على شرط سمرقند فلحق بعلىّ بن عيسى ببلخ فطلب الأمان فلم يجبه على إليه وهم بضرب عنقه فكلمه فيه ابنه عيسى بن على وجدد طلاق المرأة وأذن له فى الانصراف الى سمرقند فانصرف اليها فوثب بسليمان ابن حميد عامل علىّ بن عيسى فقتله فوجه على بن عيسى اليه ابنه فمال الناس الى سباع بن مسعدة فرأسوه عليهم فوثب على رافع فقيده فوثبوا على سباع فقيدوه ورأسوا رافعا وبايعوه وطابقه من وراء النهر ووافاه عيسى بن على فلقيه رافع فهزمه فأخذ على بن عيسى فى فرض الرجال والتأهب للحرب ﴿وفى هذه السنة﴾ غزا الرشيد الصائفة واستخلف ابنه عبد الله المأمون بالرقة وفوض إليه الأمور وكتب الى الآفاق بالسمع له والطاعة ودفع اليه خاتم المنصور يتيمن به وهو خاتم الخاصة نقشه : الله ثقى آمنت به ﴿وفيها﴾ أسلم الفضل بن سهل على يد المأمون ﴿وفيها﴾ خرجت الروم الى عين زربة وكنيسة السوداء فأغارت وأسرت فاستنقذ أهل المصيصة ماكان فى أيديهم ﴿وفيها﴾ فتح الرشيد هرقلة وبث الجيوش والسرايا بأرض الروم وكان دخلها فيما قيل فى مائة ألف وخمسة وثلاثين ألف مرتزق سوى الاتباع وسوى المطوعة وسوى من لا ديوان له وأناخ عبد الله بن مالك على ذى الكلاع ووجه داود بن عيسى بن موسى سائحا فى أرض الروم فى سبعين ألفا وافتتح شراحيل

ابن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودبسة وافتتح يريد بن مخلد الصفصاف وملقوبية وكان فتح الرشيد هرقلة فى شوال وأخربها وسبى أهلها بعد مقام ثلاثين يوما عليها وولى حميد بن معيوف سواحل بحر الشأم إلى مصر فبلغ حميد قُبْرُس فهدم وحرق وسبى من أهلها ستة عشر ألفا فأقدمهم الرافقة فتولى بيعهم أبو البخترى القاضى فبلغ أسقف قُبرس ألفى دينار وكان شخوص هارون إلى بلاد الروم لعشر بقين من رجب واتخذ قلنسوة مكتوبا عليها غاز حاجّ فكان يلبسها فقال أبو المعالى الكلابى

فَمَنْ يَطْلُبْ لقاءَكَ أو يُرِدْهُ فَبِالحَرَمينِ أو أقصى الثغورِ
فَفِى أَرْضِ العَدُوِّ على طِمِرٍّ وفى أرضِ التَرَفُّهِ فَوْقَ كُورِ
وما حازَ الثغورَ سِواكَ خَلْق مِنَ المُتخلّفينَ على الأمورِ

ثم صار الرشيد إلى الطوانة فعسكر بها ثم رحل عنها وخلف عليها عقبة بن جعفر وأمره ببناء منزل هنالك وبعث نقفور إلى الرشيد بالخراج والجزية عن رأسه وولى عهده وبطارقته وسائر أهل بلده خمسين ألف دينار منها عن رأسه أربعة دنانير وعن رأس ابنه استبراق دينارين وكتب نقفور مع بطريقين من عظماء بطارقته فى جارية من سبى هرقلة كتابا نسخته لعبد الله هارون أمير المؤمنين من نقفور ملك الروم سلام عليكم أما بعد أيها الملك إن لى اليك حاجة لا تضرك فى دينك ولا دنياك هنية يسيرة أن تهب لابنى جارية من بنات أهل هرقلة كنت قد خطبتها على ابنى فإن رأيت أن تسعفنى بحاجتى فعلت والسلام عليك ورحمة الله وبركاته واستهداه أيضاً طيباً وسرادقا من سرادقاته فأمر الرشيد بطلب الجارية فأحضرت وزيّنت وأجلست على سرير فى مضربه الذى كان نازلا فيه وسلمت الجارية والمضرب بما فيه من الآنية والمتاع إلى رسول نقفور وبعث اليه بما سأل من العطر وبعث اليه من التمور والأخبصة والزبيب والترياق فسلم ذلك كله اليه رسول الرشيد فأعطاه نقفور وقر دراهم إسلامية على برذون كميت كان مبلغه خمسين ألف درهم ومائة ثوب ديباج ومائتى ثوب بزيون واثنى عشر

بازيا وأربعة أكلب من كلاب الصيد وثلاثة براذين وكان نقفور اشترط ألا يخرب ذا الكلاع ولا صمله ولا حصن سنان واشترط الرشيد عليه ألا يعمر هرقلة وعلى أن يحمل نقفور ثلثمائة ألف دينار (وخرج) فى هذه السنة خارجىّ من عبد القيس يقال له سيف بن بكر فوجه اليه الرشيد محمد بن يزيد بن مزيد فقتله بعين النورة ونقض أهل قبرس العهد فغزاهم معيوف بن يحيى فسبى أهلها (وحج) بالناس فيها عيسى بن موسى الهادى

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من خروج خارجىّ يقال له ثروان بن سيف بناحية حولايا فكان ينتقل بالسواد فوجه اليه طوق بن مالك فهزمه طوق وجرحه وقتل عامة أصحابه وظن طوق أنه قد قتل ثروان فكتب بالفتح وهرب ثروان مجروحاً (وفيها) خرج أبو النداء بالشأم فوجه الرشيد فى طلبه يحيى بن معاذ وعقد له على الشأم (وفيها) وقع الثلج بمدينة السلام (وفيها) ظفر حماد البربرىّ بهيصم اليمانى (وفيها) غلظ أمر رافع بن ليث بسمرقند (وفيها) كتب أهل نسف إلى رافع يعطونه الطاعة ويسألونه أن يوجه اليهم من يعينهم على قتل عيسى بن علىّ فوجه صاحب الشاش فى اتراكه وقائدا من قواده فأتوا عيسى بن علىّ فأحدقوا به وقتلوه فى ذى القعدة ولم يعرضوا لأصحابه (وفيها) ولى الرشيد حمَّوَيه الخادم بريد خراسان (وفيها) غزا يزيد بن مخلد الهبيرىّ أرض الروم فى عشرة آلاف فأخذت الروم عليه المضيق فقتلوه على مرحلتين من طرسوس فى خمسين رجلا وسلم الباقون (وفيها) ولى الرشيد غزو الصائفة هرثمة بن أعين وضم إليه ثلاثين ألفا من جند خراسان ومعه مسرور الخادم اليه النفقات وجميع الأمور خلا الرئاسة ومضى الرشيد إلى درب الحدث فرتب هنالك عبد الله بن مالك ورتب سعيد بن سلم بن قتيبة بمرعش فأغارت الروم عليها وأصابوا من المسلمين وانصرفوا

وسعيد بن سلم مقيم بها وبعث محمد بن يزيد بن مزيد إلى طرسوس فأقام الرشيد بدرب الحدث ثلاثة أيام من شهر رمضان ثم انصرف إلى الرقة (وفيها) أمر الرشيد بهدم الكنائس بالثغور وكتب إلى السندى بن شاهك يأمره بأخذ أهل الذمة بمدينة السلام بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين فى لباسهم وركوبهم (وفيها) عزل الرشيد على بن عيسى بن ماهان عن خراسان وولاها هرثمة.

ذكر الخبر عن سبب عزل الرشيد على بن عيسى وسخطه عليه

قال أبو جعفر قد ذكرنا قبل سبب هلاك ابن على بن عيسى وكيف قتل ولما قتل ابنه عيسى خرج على عن بلخ حتى أتى مرو مخافة أن يسير اليها رافع ابن الليث فيستولى عليها وكان ابنه عيسى دفن فى بستان داره ببلخ أموالا عظيمة قيل إنها كانت ثلاثين ألف ألف ولم يعلم بها على بن عيسى ولا اطلع على ذلك إلا جارية كانت له فلما شخص على عن بلخ أطلعت الجارية على ذلك بعض الخدم وتحدث به الناس فاجتمع قُراء أهل بلخ ووجوهها فدخلوا البستان فانتهبوه وأباحوه للعامة فبلغ الرشيد الخبر فقال خرج على من بلخ عن غير أمرى وخلف مثل هذا المال وهو يزعم أنه قد أفضى إلى حلى نسائه فيما أنفق على محاربة رافع فعزله عند ذلك وولى هرثمة بن أعين واستصفى أموال على بن عيسى فبلغت أمواله ثمانين ألف ألف وذكر عن بعض الموالى أنه قال كنا بجرجان مع الرشيد وهو يريد خراسان فوردت خزائن على بن عيسى التى أخذت له على ألف وخمسمائة بعير وكان على مع ذلك قد أذل الأعالى من أهل خراسان وأشرافهم وذكر أنه دخل عليه يوما هشام بن فرخسرو والحسين بن مصعب فسلما عليه فقال للحسين لاسلم الله عليك ياملحد بن الملحد والله إنى لأعرف ماأنت عليه من عداوتك للإسلام وطعنك فى الدين وما أنتظر بقتلك الا اذن الخليفة فيه فقد أباح الله دمك وأرجو أن يسفكه الله على يدى عن قريب ويعجلك إلى عذابه ألست المرجف بى فى منزلى هذا بعد ماثملت من الخمر وزعمت أنه جاءتك كتب من مدينة السلام بعزلى اخرج إلى سخط الله لعنك الله فعن قريب ماتكونن من

أهلها فقال له الحسين أعيذ بالله الأمير أن يقبل قول واش أو سعاية باغ فإنى برىء مما قرفت به قال كذبت لا أمّ لك قد صح عندى أنك ثملت من الخمر وقلت ما وجب عليك به أغلظ الأدب ولعل الله أن يعاجلك ببأسه ونقمته اخرج عنى غير مستور ولا مصاحب فجاء الحاجب فأخذ بيده فأخرجه وقال لهشام بن فرخسر وصارت دارك دار الندوة تجمع فيها اليك السفهاء وتطعن على الولاة سفك الله دمى إن لم أسفك دمك فقال هشام جُعلت فداء الأمير أنا والله مظلوم مرحوم والله ما أَدَعُ فى تقريض الأمير جهدا وفى وصفه قولا إلا خصصته به وقلته فيه فان كنت إذا قلت خيراً نقل اليك شرّ فما حيلتى قال كذبت لا أمّ لك لأنا أعلم بما ينطوى عليه جوانحُك من ولدك وأهلك فاخرج فعن قريب أريح منك نفسى فخرج فلما كان فى آخر الليل دعا ابنته عالية وكانت من أكبر ولده فقال لها أى بنية إنى أريد أن أفضى اليك بأمر إن أنت أظهرته قتلتُ وإن حفظته سلمتُ فاختارى بقاء أبيك على موته قالت وما ذاك جُعلت فداك قال إنى أخاف هذا الفاجر علىّ بن عيسى على دمى وقد عزمت على أن أظهر أن الفالج أصابنى فاذا كان فى السحر فاجمعى جواريك وتعالى إلى فراشى وحرّكينى فاذا رأيت حركتى قد ثقلت فصيحى أنت وجواريك وابعثى إلى أخوتك فأعليهم علتى وإياك ثم إياك أن تطلعى على صحة بدنى أحداً من خلق الله من قريب أو بعيد ففعلت وكانت عاقلة حازمة فأقام مطروحا على فراشه حينا لا يتحرّك الا إن حُرّك فيقال إنه لم يعلم من أهل خراسان أحد من عزل علىّ بن عيسى بخبر ولا أثر غيرُ هشام فانه توهّم عزله فصح توهّمه ويقال إنه خرج فى اليوم الذى قدم فيه هرثمة لتلقيه فرآه فى الطريق رجل من قوّاد علىّ بن عيسى فقال صح الجسم فقال مازال صحيحا بحمد الله وقال بعضهم بل رآه علىّ بن عيسى فقال أين بك فقال أتلقى أميرنا أبا حاتم قال ألم تكن عليلا قال بلى فوهب الله العافية وعزل الله الطاغية فى ليلة واحدة وأما الحسين بن مصعب فانه خرج إلى مكة مستجيرا بالرشيد من علىّ بن عيسى فأجاره ولما عزل الرشيد على عزل على بن عيسى دعا فيما بلغنى هرثمة بن أعين مستخليا

به فقال إنى لم أشاور فيك أحداً ولم أطلعه على سرى فيك وقد اضطرب على ثغور المشرق وأنكر أهل خراسان أمر علىّ بن عيسى إذ خالف عهدى ونبذه وراء ظهره وقد كتب يستمدّ ويستجيش وأنا كاتب اليه فأخبره أنى أمده بك وأوجه اليه معك من الأموال والسلاح والقوّة والعدّة ما يطمئنّ اليه قلبه وتتطلع اليه نفسه وأكتب معك كتابا بخطّى فلا تفضنه ولا تطلعن فيه حتى تصل إلى مدينة نيسابور فاذا نزلتها فاعمل بما فيه وامتثله ولا تجاوزه إن شاء الله وأنا موجه معك رجاءً الخادم بكتاب أكتبه إلى علىّ بن عيسى بخطّى ليتعرف ما يكون منك ومنه وهوّن عليه أمر علىّ فلا تظهرنه عليه ولا تعلمنه ما عزمتُ عليه وتأهب للمسير وأظهر لخاصتك وعامتك انى أوجهك مدداً لعلىّ بن عيسى وعوناله قال ثم كتب إلى على ابن عيسى بن ماهان كتابا بخطه نسخته ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ يا ابن الزانية رفعتُ من قدرك ونوّهتُ باسمك وأوطأتُ سادة العرب عقبك وجعلتُ أبناء ملوك العجم خوَلك وأتباعك فكان جزائى أن خالفتَ عهدى ونبذتَ وراء ظهرك أمرى حتى عثت فى الأرض وظلمت الرعية وأسخطت الله وخليفته بسوء سيرتك ورداءة طعمتك وظاهر خيانتك وقد وليت هَرثَمة بن أعْين مولاى ثغر خُراسان وأمرته أن يشدو طأته عليك وعلى ولدك وكتابك وعمالك ولا يترك وراء ظهوركم درهما ولا حقا لمسلم ولا معُاهد الا أخذكم به حتى ترده إلى أهله فان أبَيْتَ ذلك وأباه ولدك وعمالك فله أن يبسط عليكم العذاب ويصبّ عليكم السياط ويحل بكم ما يحل بمن نكث وغيّر وبدل وخالف وظلم وتعدى وغشم انتقاما لله عز وجل باديا ولخليفته ثانيا وللمسلمين والمعاهدين ثالثا فلا تعرض نفسك للتى لا شَوَى لها وأخرج مما يلزمك طائعا أو مكرها وكتب عهد هرثمة بخطه هذا ما عهد هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى هرثمة بن أعين حين ولاه ثغر خراسان وأعماله وخراجه أمَرَه بتقوى الله وطاعته ورعاية أمر الله ومراقبته وأن يجعل كتاب الله إماما فى جميع ما هو بسبيله فيحل حلاله ويحرم حرّامه ويقف عند متشابهه ويسأل عنه أولى الفقه فى دين الله وأولى العلم بكتاب الله أو يرده إلى إمامه ليريه الله عز وجل فيه رأيه ويعزم له على رشده وأمره أن

يستوثق من الفاسق علىّ بن عيسى وولده وعماله وكتابه وأن يشد عليهم وطأته ويحل بهم سطوته ويستخرج منهم كل مال يصح عليهم من خراج أمير المؤمنين وفىء المسلمين فاذا استنظف ماعندهم وقبلهم من ذلك نظر فى حقوق المسلمين والمعاهدين وأخذهم بحق كل ذى حق حتى يردوه اليهم فان ثبتت قبلهم حقوق لأمير المؤمنين وحقوق للمسلمين فدافعوا بها وجحدوها أن يصب عليهم سوط عذاب الله وأليم نقمته حتى يبلغ بهم الحال التى إن تخطاها بأدنى أدب تلفت أنفسهم وبطلت أرواحهم فاذا خرجوا من حق كل ذى حق أشخصهم كما تشخص العصاة من خشونة الوطاء وخشونة المطعم والمشرب وغلظ الملبس مع الثقات من أصحابه إلى باب أمير المؤمنين إن شاء الله فاعمل يا أباحاتم بما عهدت اليك فإنى آثرت الله ودينى على هواى وإرادتى فكذلك فليكن عملك وعليه فليكن أمرك ودبّر فى عمّال الكور الذين تمر بهم فى صعودك مالا يستوحشون معه إلى أمر يريبهم وظن يرعبهم وابسط من آمال أهل ذلك الثغر ومن أمانهم وعذرهم ثم اعمل بما يرضى الله منك وخليفته ومن ولاك الله أمره إن شاء الله هذا عهدى وكتابى بخطى وأنا أشهد الله وملائكته وحملة عرشه وسكان سمواته وكفى بالله شهيدا وكتب أمير المؤمنين بخط يده لم يحضره إلا الله وملائكته ثم أمر أن يكتب كتاب هرثمة الى علىّ بن عيسى فى معاونته وتقوية أمره والشد على يديه فكتب وظهر الأمر بها وكانت كتب حَمَّوَيْه وردت على هارون ان رافعا لم يخلع ولا نزع السواد ولا من شايعه وانما غايتهم عزل على ابن عيسى الذى قد سامهم المكروه ٭ ومن ذلك ماكان من شخوص هرثمة بن أعين الى خراسان واليا عليها

ذكر الخبر عما كان من أمره فى شخوصه اليها وأمر على بن عيسى وولده

ذكر أن هرثمة مضى فى اليوم السادس من اليوم الذى كتب له عهده الرشيد وشيعه الرشيد وأوصاه بمايحتاج اليه فلم يعرّج هرثمة على شىء ووجه الى على بن عيسى فى الظاهر أموالا وسلاحا وخلعا وطيبا حتى اذا نزل نيسابور جمع جماعة

من ثقات أصحابه وأولى السن والتجربة منهم فدعا كل رجل منهم سراً وخلا به ثم أخذ عليهم العهود والمواثيق أن يكتموا أمره ويطووا سره وولى كل رجل منهم كورة على نحو ما كانت حاله عنده فولى جُرجان ونيسابور والطَّبَسين ونسا وسرخس وأمر كل واحد منهم بعد أن دفع اليه عهده بالمسير الى عمله الذى ولاه على أخفى الحالات وأسترها والتشبه بالمجتازين فى ورودهم الكور ومقامهم فيها الى الوقت الذى سماه لهم وولى اسماعيل بن حفص بن مصعب جُرجان بأمر الرشيد ثم مضى حتى إذا صار من مرو على مرحلة دعا جماعة من ثقات أصحابه وكتب لهم أسماء ولد على بن عيسى وأهل بيته وكتابه وغيرهم فى رقاع ودفع إلى كل رجل منهم رقعة باسم من وكله بحفظه إذا هو دخل عليه مرو خوفاً من أن يهربوا إذا ظهر أمره ثم وجه إلى علىّ بن عيسى إن أحب الأمير أكرمه الله أن يوجه ثقاته لقبض ما معى من أموال فعَلَ فإنه إذا تقدم المال أمامى كان أقوى للأمير وأفتّ فى عضد أعدائه وأيضا فانى لا آمن عليه إن خلفته وراء ظهرى أن يطمع فيه بعض من تَسمُو إليه نفسه إلى أن يقتطع بعضه ويفترض غفلتنا عند دخول المدينة فوجه على ابن عيسى جهابذته وقهارمته لقبض المال وقال هرثمة لخزانه اشغلوهم هذه الليلة واعتلوا عليهم فى حمل المال بعلة تقرب من اطماعهم وتزيل الشك عن قلوبهم ففعلوا وقال لهم الخزان حتى نؤامر أبا حاتم فى دواب المال والبغال ثم ارتحل نحو مدينة مرو فلما صار منها على ميلين تلقاه على بن عيسى فى ولده وأهل بيته وقواده بأحسن لقاء وآنسِهِ فلما وقعت عين هرثمة عليه ثنى رجله لينزل عن دابته فصاح به علىّ والله لئن نزلت لأنزلن فثبت على سرجه ودنا كل منهما من صاحبه فاعتنقا وسارا وعلىّ يسأل هرثمة عن أمر الرشيد وحاله وهيئته وحال خاصته وقواده وأنصار دولته وهرثمة يجيبه حتى صارا إلى قنطرة لا يجوزها إلا فارس فحبس هرثمة لجام دابته وقال لعلىّ سر على بركة الله فقال علىّ لا والله لا أفعل حتى تمضى أنت فقال إذاً والله لا أمضى فأنت الأمير وأنا الوزير فمضى وتبعه هرثمة حتى دخلا مرو وصارا إلى منزل علىّ ورجاء الخادم لا يفارق هرثمة فى ليل ولا

نهار ولا ركوب ولا جلوس فدعا على بالغداء فطعما وأكل معهما رجاء الخادم وكان عازما على أن لا يأكل معهما فغمزه هرثمة وقال كل فانك جائع ولا أرى لجائع ولا حاقن فلما رفع الطعام قال له على قد أمرت أن يفرغ لك قصر على الماشان فان رأيت أن تصير إليه فعلت فقال له هرثمة إن معى من الأمور ما لا يحتمل تأخير المناظرة فيها ثم دفع رجاء الخادم كتاب الرشيد إلى على وأبلغه رسالته فلما فض الكتاب فنظر إلى أول حرف منه سقط فى يده وعلم أنه قد حل به ما يخافه ويتوقعه ثم أمر هرثمة بتقييده وتقييد ولده وكتابه وعماله وكان رحل ومعه وقر من قيود وأغلال فلما استوثق منه صار الى المسجد الجامع فخطب وبسط من آمال الناس وأخبر أن أمير المؤمنين ولاه ثغورهم لما انتهى اليه من سوء سيرة الفاسق على ابن عيسى وما أمره به وفيه وفى عماله وأعوانه وأنه بالغ من ذلك ومن انصاف العامة والخاصة والأخذ لهم بحقوقهم أقصى مواضع الحق وأمر بقراءة عهده عليهم فأظهروا السرور بذلك وانفسحت آمالهم وعظم رجاؤهم وعلت بالتكبير والتهليل أصواتهم وكثر الدعاء لأمير المؤمنين بالبقاء وحسن الجزاء ثم انصرف فدعا بعلى ابن عيسى وولده وعماله وكتابه فقال اكفونى مؤنتكم واعفونى من الإقدام بالمكروه عليكم ونادى فى أصحاب ودائعهم ببراءة الذمة من رجل كانت لعلى عنده وديعة أو لأحد من ولده أو كتابه أو عماله وأخفاها ولم يظهر عليها فأحضره الناس ما كانوا أودعوا الا رجلا من أهل مرو وكان من أبناء المجوس فانه لم يزل يتلطف للوصول الى على بن عيسى حتى صار اليه فقال له سرا لك عندى مال فان احتجت إليه حملته اليك أولا فأولا وصبرت للقتل فيك ايثارا للوفاء وطلبا لجميل الثناء وان استغنيت عنه حبسته عليك حتى ترى فيه رأيك فعجب على منه وقال لو اصطنعت مثلك ألف رجل ما طمع فى السلطان ولا الشيطان أبدا ثم سأله عن قيمة ما عنده فذكر له أنه أودعه مالا وثيابا ومسكا وأنه لا يدرى ما قدر ذلك غير أنه أودعه بخطه وأنه محفوظ لم يشذ منه شىء فقال له دعه فان ظهر عليه سلمته ونجوت بنفسك وان سلمت به رأيت فيه رأيى وجزاه الخير وشكر له فعله ذلك

أحسن شكر وكافأه عليه وبره وكان يُضرب به المثل بوفائه فذكر أنه لم يتستر عن هرثمة من مال علىّ الا ما كان أودعه هذا الرجل وكان يقال له العلاء بن ماهان فاستنظف هرثمة ما وراء ظهورهم حتى حلى نسائهم فكان الرجل يدخل الى المنزل فيأخذ جميع ما فيه حتى اذا لم يبق فيه إلا صوف أو خشب أو مالا قيمة له قال للمرأة هاتى ما عليك من الحلى فتقول للرجل اذا دنا منها لينزع ما عليها ياهذا ان كنت محسنا فاصرف بصرك عنى فوالله لاتركت شيئا من بغيتك علىّ الا دفعته اليك فان كان الرجل يتحوّب من الدنوّ اليها أجابها الى ذلك حتى ربما نبذت اليه بالخاتم والخلخال وما قيمته عشرة دراهم ومن كان بخلاف هذه الصفة قال لا أرضى حتى أفتشك لا تكونين قد خبأت ذهبا أو دُرّا أو ياقوتا فيضرب يده الى مغابنها وأرفاغها فيطلب فيها ما يظن أنها قد سترته عنه حتى اذا ظن أنه قد أحكم هذا كله وجهه على بعير بلا وطاء تحته وفى عنقه سلسلة وفى رجله قيود ثقال ما يقدر معها على نهوض واعتماد فذكر عمن شهد أمر هرثمة وأمره أن هرثمة لما فرغ من مطالبة علىّ بن عيسى وولده وكتابه وعماله بأموال أمير المؤمنين أقامهم لمظالم الناس فكان إذا بَرَدَ للرجل عليه أو على أحد من أصحابه حق قال اخرج للرجل من حقه وإلا بسطت عليك فيقول علىّ أصلح الله الأمير أجّلنى يوما أو يومين فيقول ذلك إلى صاحب الحق فإن شاء فعل ثم يُقبل على الرجل فيقول أترى أن تدَعه فان قال نعم قال فانصرف وعُدْ اليه فيبعث علىّ إلى العلاء بن ماهان فيقول له صالح فلانا عنى من كذا وكذا على كذا وكذا أو على ما رأيت فيصالحه ويُصلح أمره * وذكر أنه قام إلى هرثمة رجل فقال له أصلح الله الأمير ان هذا الفاجر أخذ منى درقة ثمينة لم يملك أحد مثلها فاشتراها على كره منى ولم أرِدْ بيعها بثلاثة آلاف درهم فأتيت قهرمانه أطلب ثمنها فلم يعطِنى شيئا فأقمت حولا أنتظر ركوب هذا الفاجر فلما ركب عرضت له وصحت به أيها الأمير أنا صاحب الدرقة ولم آخذ لها ثمنا إلى هذه الغاية فقذف أمى ولم يعطنى حتى نخذ لى بحقى من مالى وقذفه أمى فقال لك بينة قال نعم جماعة حضروا كلامه فأحضرهم

فأشهدهم على دعواه فقال هرثمة وجب عليك الحد قال ولمَ قال لقذفك أمّ هذا من قال من فقهك وعلمك هذا قال هذا دين المسلمين قال فأشهد أن أمير المؤمنين قد قذفك غير مرة ولا مرتين وأشهد أنك قد قذفت بنيك مالا أحصى مرة حاتما ومرة أعين فمن يأخذ لهؤلاء بحدودهم منك ومن يأخذ لك من مولاك فالتفت هرثمة إلى صاحب الدرقة فقال أرى لك أن تطالب هذا الشيطان بدرقتك أو ثمنها وتترك مطالبته بقذفه أمك ولما حمل هرثمة عليا إلى الرشيد كتب اليه كتابا يخبره ماصنع نسخته (بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعد فإن الله عز وجل لم يزل يبلى أمير المؤمنين فى كل ماقلده من خلافته واسترعاه من أمور عباده وبلاده أجمل البلاء وأكمله ويعرفه فى كل ماحضره ونأى عنه من خاص أموره وعامها ولطيفها وجليلها أتم الكفاية وأحسن الولاية ويعطيه فى ذلك كله أفضل الأمنية ويبلغه فيه أقصى غاية الهمة امتنانا منه عليه وحفظا لما جعل اليه مما تكفل بإعزازه وإعزاز أوليائه وأهل حقه وطاعته فنستتم الله أحسن ماعوّده وعوّدنا من الكفاية فى كل مايؤدينا اليه ونسأله توفيقا لما نقضى به المفترض من حقه فى الوقوف عند أمره والاقتصار على رأيه ولم أزل أعز الله أمير المؤمنين مذ فصلت عن معسكر أمير المؤمنين ممتثلا ماأمرنى به فيما أنهضنى له لا أجاوز ذلك ولا أتعداه إلى غيره ولا أتعرف اليمن والبركة إلا فى امتثاله إلى أن حللت أوائل خراسان صائنا للأمر الذى أمرنى أمير المؤمنين بصيانته وستره لا أفضى ذلك إلى خاصىّ ولا إلى عامىّ ودبرت فى مكاتبة أهل الشاش وفَرْغانة وخذلها عن الخائن وقطع طمعه وطمع من قبله عنهما ومكاتبة من ببلخ بما كنت كتبت به إلى أمير المؤمنين وفسرت له فلما نزلت نيسابور عملت فى أمر الكور التى اجتزت عليها بتولية من وليت عليها قبل مجاوزتى إياها كجرجان ونَيْسابور ونَسا وسَرَخْس ولم آل الاحتياط فى ذلك واختيار الكفاة وأهل الأمانة والصحة من ثقات أصحابى وتقدمت اليهم فى ستر الأمر وكتمانه وأخذت عليهم بذلك أيمان البيعة ودفعت إلى كل رجل منهم عهده بولايته وأمرتهم بالمسير إلى كور أعمالهم على

أخفى الحالات وأسترها والتشبه بالمجتازين فى ورودهم الكور ومقامهم بها إلى الوقت الذى سميت لهم وهو اليوم الذى قدرت فيه دخولى إلى مرو والتقائى وعلى ابن عيسى وعملت فى استكفائى إسماعيل بن حفص بن مصعب أمر جرجان بما كنت كتبت به إلى أمير المؤمنين فنفذ أولئك العمال لأمرى وقال كل رجل منهم فى الوقت الذى وقت له بضبط عمله وإحكام ناحيته وكفى الله أمير المؤمنين المؤنة فى ذلك بلطيف صنعه ولما صرت من مدينة مرو على منزل اخترت عدة من ثقات أصحابى وكتبت بتسمية ولد علىّ بن عيسى وكتابه وأهل بيته وغيرهم رقاعا ودفعت إلى كل رجل منهم رقعة باسم من وكلته بحفظه فى دخولى ولم آمن لو قصرت فى ذلك وأخرته أن يصيروا عند ظهور الخبر وانتشاره إلى التغيب والانتشار فعملوا بذلك ورحلت عن موضعى نحو مدينة مرو فلما صرت منها على ميلين تلقانى علىّ بن عيسى فى ولده وأهل بيته وقواده فلقيته بأحسن لقاء وآنسته وبلغت من توقيره وتعظيمه والتماس النزول اليه أول ما بصرت به ما ازداد به انسا وثقة إلى ما كان ركن اليه قبل ذلك مما كان يأتيه من كتبى فانها لم تنقطع عنه بالتعظيم والاجلال منى له والالتماس لألقى سوء الظن عنه لئلا يسبق إلى قلبه أمر ينتقض به ما دبر أمير المؤمنين فى أمره وأمرنى به فى ذلك وكان الله تبارك وتعالى هو المنفرد بكفاية أمير المؤمنين الأمر فيه إلى أن ضمنى وإياه مجلسه وصرت إلى الأكل معه فلما فرغنا من ذلك بدأنى يسألنى المصير إلى منزل كان ارتاده لى فأعلمته ما معى من الأمور التى لا تحتمل تأخير المناظرة فيها ثم دفع اليه رجاء الخادم كتاب أمير المؤمنين وأبلغه رسالته فعلم عند ذلك أن قد حل به الأمر الذى جناه على نفسه وكسبته يداه من سخط أمير المؤمنين وتغيرت رأيه بخلافه أمره وتعدّيه سيرته ثم صرت إلى التوكيل به ومضيت إلى المسجد الجامع فبسطت آمال الناس ممن حضر وافتتحت القول بما حملنى أمير المؤمنين اليهم وأعلمتهم إعظام أمير المؤمنين ما أتاه ووضح عنده من سوء سيرة علىّ وما أمرنى به فيه وفى عماله وأعوانه وإنى بالغ من ذلك ومن انصاف العامة والخاصة والأخذ لهم بحقوقهم أقصى غايتهم وأمرت

بقراءة عهدى عليهم وأعلمتهم أن ذلك مثالى وإمامى وإنى به أقتدى وعليه أحتذى فمتى زلت عن باب واحد من أبوابه فقد ظلمت نفسى وأحللت بها مايحل بمن خالف رأى أمير المؤمنين وأمره فأظهروا السرور بذلك والاستبشار وعلت بالتكبير والتهليل أصواتهم وكثرة دعاؤهم لأمير المؤمنين بالبقاء وحسن الجزاء ثم انكفأت إلى المجلس الذى كان علىّ بن عيسى فيه فصرت إلى تقييده وتقييد ولده وأهل بيته وكتابه وعماله والاستيثاق منهم جميعا وأمرتهم بالخروج إلىّ من الأموال التى احتجنوها من أموال أمير المؤمنين وفىء المسلمين وإعفائى بذلك من الإقدام عليهم بالمكروه والضرب وناديت فى أصحاب ودائعهم بإخراج ماكان عندهم فحملوا إلىّ إلى أن كتبت إلى أمير المؤمنين صدرا صالحا من الورق والعين وأرجو أن يعين الله على استيفاء ما قِبلهم واستنظاف ما وراء ظهورهم ويسهل الله من ذلك أفضل مالم يزل يعوّده أمير المؤمنين من الصنع فى مثله من الأمور التى يعنى بها إن شاء الله تعالى ولم أدع عند قدومى مرو التقدم فى توجيه الرسل وانفاذ الكتب البالغة فى الإعذار والإنذار والتبصير والإرشاد إلى رافع ومن قِبله من أهل سمرقند وإلى من ببلخ على حسن ظنى بهم فى الإجابة ولزوم الطاعة والاستقامة ومهما تنصرف به رسلى إلىّ يا أمير المؤمنين من أخبار القوم فى اجابتهم وامتناعهم أعمل على حسبه من أمرهم وأكتب بذلك إلى أمير المؤمنين على حقه وصدقه وأرجو أن يعرف الله أمير المؤمنين فى ذلك من جميل صنعه ولطيف كفايته مالم تزل عادته جارية به عنده بمنّه وطوله وقوّته والسلام

الجواب من الرشيد

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك بقدومك مرو فى اليوم الذى سميت وعلى الحال التى وصفت وما فسرت وما كنت قدمت من الحيل قبل ورودك إياها وعملت به فى أمر الكور التى سميت وتولية من وليت عليها قبل نفوذك عنها ولطفت له من الأمر الذى استجمع لك به ماأردت من أمر الخائن على بن عيسى وولده وأهل بيته ومن صار فى يدك من عماله

وأصحاب عماله واحتذائك فى ذلك كله ما كان أمير المؤمنين مثل لك ووفقك وفهم أمير المؤمنين كل ما كتبت به وحمد الله على ذلك كثيرا وعلى تسديده إياك وما أعانك به من توفيقه حتى بلغت ارادة أمير المؤمنين وأدركت طلبته وأحسنت ما كان يحب بك وعلى يديك أحكامه مما كان اشتد به اعتناؤه ولج به اهتمامه وجزاك الخير على نصيحتك وكفايتك فلا أعدم الله أمير المؤمنين أحسن ما عرفه منك فى كل ما أهاب بك اليه واعتمد بك عليه وأمير المؤمنين يأمرك أن تزداد جدا واجتهاداً فيما أمرك به من تتبع أموال الخائن علىّ بن عيسى وولده وكتابه وعماله ووكلائه وجهابذته والنظر فيما اختانوا به أمير المؤمنين فى أمواله وظلموا به الرعية فى أموالهم وتتبّع ذلك واستخراجه من مظانه ومواضعه التى صارت اليه ومن أيدى أصحاب الودائع التى استودعوها إياهم واستعمال اللين والشدة فى ذلك كله حتى تصير إلى استنظاف ما وراء ظهورهم ولا تبقى من نفسك فى ذلك بقية وفى انصاف الناس منهم فى حقوقهم ومظالمهم حتى لا تبقى لمتظلم منهم قبلهم ظلامة إلا استقضيت ذلك له وحملته وإياهم على الحق والعدل فيها فإذا بلغت أقصى غاية الأحكام والمبالغة فى ذلك فأشخص الخائن وولده وأهل بيته وكتابه وعماله إلى أمير المؤمنين فى وثاق وعلى الحال التى استحقوها من التغيير والتنكيل بما كسبت أيديهم وما الله بظلام للعبيد ثم اعمل بما أمرك به أمير المؤمنين من الشخوص إلى سمرقند ومحاولة ما قِبل خامل ومن كان على رأيه ممن أظهر خلافا وامتناعا من أهل كور ماوراء النهر وطخارستان بالدعاء إلى الفيئة والمراجعة وبسط أمانات أمير المؤمنين التى حمّلكها اليهم فإن قبلوا وأنابوا وراجعوا ما هو أملكَ بهم وفرقوا جموعهم فهو ما يحب أمير المؤمنين أن يعاملهم به من العفو عنهم والاقالة لهم إذ كانوا رعيته وهو الواجب على أمير المؤمنين لهم إذا أجابهم إلى طلبتهم وآمن روعهم وكفاهم ولاية من كرهوا ولايته وأمر بإنصافهم فى حقوقهم وظلاماتهم وإن خالفوا ما ظن أمير المؤمنين فحاكمهم إلى الله إذ طغوا وبغوا وكرهوا العافية وردوها فإن أمير المؤمنين قد قضى ما عليه فغيّر ونكل وعزل واستبدل وعفا عمن أحدث وصفح عمن اجترم

وهو يشهد الله عليهم بعد ذلك فى خلاف إن آثروه وعنود إن أظهروه وكفى بالله شهيدا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم اليه يتوكل واليه ينيب والسلام وكتب اسماعيل بن صبيح بين يدى أمير المؤمنين (وحج) بالناس فى هذه السنة الفضل بن العباس بن محمد بن علىّ وكان والى مكة ولم يكن للمسلمين بعد هذه السنة صائفة إلى سنة ٢١٥

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

(وفيها) ففيها كان الفداء بين المسلمين والروم على يدى ثابت بن نصر بن مالك وافى الرشيد من الرقة فى السفن مدينة السلام يريد الشخوص إلى خراسان لحرب رافع وكان مصيره ببغداد يوم الجمعة لخمس ليال بقين من شهر ربيع الآخر واستخلف بالرقة ابنه القاسم وضم اليه خزيمة بن خازم ثم شخص من مدينة السلام عشية الاثنين لخمس خلون من شعبان بعد صلاة العصر من الخيزرانية فبات فى بستان أبى جعفر ثم سار من غد إلى النهروان فعسكر هنالك ورد حماداً البربرىّ إلى أعماله واستخلف ابنه محمدا بمدينة السلام * وذكر عن ذى الرئاستين أنه قال قلت للمأمون لما أراد الرشيد الشخوص إلى خراسان لحرب رافع لست تدرى ما يحدث بالرشيد وهو خارج إلى خراسان وهى ولايتك ومحمد المقدم عليك وإن أحسن ما يصنع بك أن يخلعك وهو ابن زبيدة وأخواله بنو هاشم وزبيدة وأموالها فاطلب اليه أن يشخصك معه فسأله الإذن فأبى عليه فقلت له قل له أنت عليل وإنما أردت أن أخدمك ولست أكلفك شيئا فأذن له وسار فذكر محمد بن الصباح الطبرىّ أن أباه شيع الرشيد حين خرج إلى خراسان فمضى معه إلى النهروان فجعل يحادثه فى الطريق إلى أن قال له يا صباح لا أحسبك ترانى أبدا قال فقلت بل يردك الله سالما قد فتح الله عليك وأراك فى أملك قال يا صباح ولا أحسبك تدرى ما أجد قلت لا والله قال فتعال حين أريك قال فانحرف عن الطريق قدر مائة ذراع فاستظل بشجرة وأومأ إلى خدمه الخاصة

فتنحوا ثم قال أمانة الله يا صباح أن تكتم علىّ فقلت ياسيدى عبدك الذليل تخاطبه مخاطبة الولد قال فكشف عن بطنه فاذا عصابة حرير حوالى بطنه فقال هذه علة أكتمها الناس كلهم ولكل واحد من ولدى علىّ رقيب فمسرور رقيب المأمون وجبريل بن بختيشوع رقيب الأمين وسمى الثالث فذهب عنى اسمه ومامنهم أحد إلا وهو يحصى أنفاسى ويعد أيامى ويستطيل عمرى فان أردت أن تعرف ذلك فالساعة أدعو بدابة فيجيئونى ببرذون أعجف قطوف ليزيد فى علتى فقلت ياسيدى ماعندى فى هذا الكلام جواب ولا فى ولاة العهود غير أنى أقول جعل الله من يشناك من الجن والإنس والقريب والبعيد فداك وقدمهم إلى تلك قبلك ولاأرانا فيك مكروها أبداً وعمر بك الله الإسلام ودعم ببقائك أركانه وشد بك أرجاءه وردك الله مظفراً مفلحاً على أفضل أملك فى عدوك ومارجوت من ربك قال أما أنت فقد تخلصت من الفريقين قال ثم دعا ببرذون فجاءوا به كما وصف فنظر إلىّ فركبه وقال انصرف غير مودع فإن لك أشغالا فودعته وكان آخر العهد به (وفيها) تحرك الخرمية بناحية آذربيجان فوجه اليهم الرشيد عبد الله بن مالك فى عشرة آلاف فارس فأسر وسبى ووافاه بقرماسين فأمر بقتل الأسارى وبيع السبى (وفيها) مات علىّ بن ظبيان القاضى بقصر اللصوص (وفيها) قدم يحيى بن معاذ بأبى النداء على الرشيد وهو بالرقة فقتله (وفيها) فارق عجيف بن عنبسة والأحوص بن مهاجر فى عدّة من أبناء الشيعة رافع بن ليث وصاروا إلى هرثمة (وفيها) قدم بابن عائشة وبعدّة من أهل أحواف مصر (وفيها) ولى ثابت بن نصر بن مالك الثغور وغزا فافتتح مطمورة (وفيها) كان الفداء بالبُدَندون (وفيها) تحرّك ثروان الحرورى وقتل عامل السلطان بطف البصرة (وفيها) قدم بعلىّ بن عيسى بغداد فحبس فى داره (وفيها) مات عيسى بن جعفر بطرارستان وقيل بالدسكرة وهو يريد اللحاق بالرشيد (وفيها) قتل الرشيد الهيصم اليمانى (وحج) بالناس فى هذه السنة العباس بن عبيد الله بن جعفر بن أبى جعفر المنصور

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

فمن ذلك وفاة الفضل بن يحيي بن خالد بن برمك فى الحبس بارقة فى المحرم وكان بدء علته فيما ذكر من ثقل أصابه فى لسانه وشقه وكان يقول ما أحبّ أن يموت الرشيد فيقال له أما تحب أن يفرّج الله عنك فيقول إن أمرى قريب من أمره ومكث يعالج أشهرا ثم صلح فجعل يتحدّث ثم اشتدّ عليه فعُقد لسانه وطرفه ووقع لمابه فمكث فى تلك الحال يوم الخميس ويوم الجمعة وتوفى مع اذان الغداة قبل وفاة الرشيد بخمسة أشهر وهو فى خمس وأربعين سنة وجزع الناس عليه وصلى عليه إخوانه فى القصر الذى كانوا فيه قبل إخراجه ثم أخرج فصلى عليه الناس على جنازته (وفيها) مات سعيد الطبرىّ المعروف بالجوهرىّ (وفيها) وافى هارون جرجان فى صفر فوافاه بها خزائن علىّ بن عيسى على ألف بعير وخمسمائة بعير ثم رحل من جرجان فيما ذكر فى صفر وهو عليل إلى طُوس فلم يزل بها إلى أن توفى واتهم هرثمة فوجّه ابنه المأمون قبل وفاته بثلاث وعشرين ليلة إلى مرو ومعه عبد الله بن مالك ويحيي بن معاذ وأسد بن يزيد بن مزيد والعباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث والسندىّ بن الحرشى ونعيم بن حازم وعلى كتابته ووزارته أيوب بن أبى سمير ثم اشتدّ بهارون الوجع حتى ضعف عن السير * وكانت بين هرثمة وأصحاب رافع فيها وقعة فتح فيها بخارى وأسر أخا رافع بشير ابن الليث فبعث به إلى الرشيد وهو بطوس * فذكر عن ابن جامع المروزىّ عن أبيه قال كنت فيمن جاء إلى الرشيد بأخى رافع قال فدخل عليه وهو على سرير مرتفع عن الأرض بقدر عظم الذراع وعليه فرش بقدر ذلك أو قال أكثر وفى يده مرآة ينظر إلى وجهه قال فسمعته يقول إنا لله وإنا اليه راجعون ونظر إلى أخى رافع فقال أما والله يا ابن اللخناء إنى لأرجو أن لا يفوتنى خامل يريد رافعا كما لم تفتنى فقال له يا أمير المؤمنين قد كنت لك حربا وقد أظفرك الله بى فافعل

ما يحب الله أكن لك سلما ولعل الله أن يلين لك قلب رافع إذا علم أنك قدمنت على فغضب وقال والله لو لم يبق من أجلى إلا أن أحرك شفتى بكلمة لقلت اقتلوه ثم دعا بقصاب فقال لا تشحذ مداك اتركها على حالها وفصل هذا الفاسق وعجل لا يحضرن أجلى وعضوان من أعضائه فى جسمه ففصله حتى جعله أشلاء فقال عد أعضاءه فعددت له أعضاءه فإذا هى أربعة عشر عضوا فرفع يديه إلى السماء فقال اللهم كما مكنتنى من ثأرك وعدوك فبلغت فيه رضاك فمكنى من أخيه ثم أغمى عليه وتفرق من حضره (وفيها) مات هارون الرشيد

ذكر الخبر عن سبب وفاته والموضع الذى توفى فيه

* ذكر عن جبريل بن بختيشوع أنه قال كنت مع الرشيد بالرقة وكنت أول من يدخل عليه فى كل غداة فأتعرف حاله فى ليلته فاذا كان أنكر شيئاً وصفه ثم ينبسط فيحدثنى بحديث جواريه وما عمل فى مجلسه ومقدار شربه وساعات جلوسه ثم يسألنى عن أخبار العامة وأحوالها فدخلت عليه فى غداة يوم فسلمت فلم يكد يرفع طرفه ورأيته عابسا مفكرا مهموما فوقفت بين يديه مليا من النهار وهو على تلك الحال فلما طال ذلك أقدمت عليه فقلت يا سيدى جعلنى الله فداك ما حالك هكذا أعلة فأخبرنى بها فلعله يكون عندى دواؤها أو حادثة فى بعض من تحب فذاك ما لا يدفع ولا حيلة فيه إلا التسليم والغم لادرك فيه أو فتق ورد عليك فى ملكك فلم تخل الملوك من ذلك وأنا أولى من أفضيت إليه بالخبر وتروحت إليه بالمشورة فقال ويحك ياجبريل ليس غمى وكربى لشىء مما ذكرت ولكن لرؤيا رأيتها فى ليلتى هذه وقد أفزعتنى وملأت صدرى وأفرحت قلبى قلت فرجت عنى يا أمير المؤمنين فدنوت منه فقبلت رجله وقلت أهذا الغم كله الرؤيا إنما تكون من خاطر أو بخارات ردية أو من تهاويل السوداء وإنما هى أضغاث أحلام بعد هذا كله قال فأقصها عليك رأيت كأنى جالس على سريرى هذا إذ بدت من تحتى ذراع أعرفها وكف أعرفها لاأفهم اسم صاحبها وفى الكف تربة حمراء فقال لى قائل أسمعه ولا أرى شخصه هذه التربة التى تدفن فيها فقلت

وأين هذه التربة قال بطوس وغابت اليد وانقطع الكلام وانتبهت فقلت ياسيدى هذه والله رؤيا بعيدة ملتبسة أحسبك أخذت مضجعك ففكرت فى خراسان وحروبها وما قد ورد عليك من انتقاض بعضها قال قد كان ذاك قال قلت فلذلك الفكر خالطك فى منامك ماخالطك فولد هذه الرؤيا فلا تحفل بها جعلنى الله فداك وأتبع هذا الغمّ سرورا يخرجه من قلبك لا يولد علة قال فما برحت أطيّب نفسه بضروب من الحيل حتى سلى وانبسط وأمر بإعداد مايشتهيه ويزيد فى ذلك اليوم فى لهوه ومرت الأيام فنسى ونسينا تلك الرؤيا فما خطرت لأحد منا ببال ثم قدر مسيره إلى خراسان حين خرج رافع فلما صار فى بعض الطريق ابتدأت به العلة فلم تزل تتزايد حتى دخلنا طوس فنزلنا فى منزل الجنيد بن عبد الرحمن فى ضيعة له تعرف بسناباذ فبينا هو يمرض فى بستان له فى ذلك القصر إذ ذكر تلك الرؤيا فوثب متحاملا يقوم ويسقط فاجتمعنا إليه كلّ يقول ياسيدى ماحالك وما دهاك فقال ياجبريل تذكر رؤياى بالرقة فى طوس ثم رفع رأسه إلى مسرور فقال جئنى من تربة هذا البستان فمضى مسرور فأتى بالتربة فى كفه حاسراً عن ذراعه فلما نظر إليه قال هذه والله الذراع التى رأيتها فى منامى وهذه والله الكف بعينها وهذه والله التربة الحمراء ماخرمت شيئا وأقبل على البكاء والنحيب ثم مات بها والله بعد ثلاثة ودفن فى ذلك البستان * وذكر بعضهم أن جبريل بن بختيشوع كان غلط على الرشيد فى علته فى علاج عالجه به كان سبب منيته فكان الرشيد همّ ليلة مات بقتله وأن يفصله كما فصل أخا رافع ودعا بجبريل بن بختيشوع ليفعل ذلك به فقال له جبريل أنظرنى إلى غد ياأمير المؤمنين فانك ستصبح فى عافية فمات فى ذلك اليوم * وذكر الحسن بن علىّ الربعى أن أباه حدثه عن أبيه وكان جمّالا معه مائة جمل قال هو حمل الرشيد الى طوس قال قال الرشيد احفروا لى قبرا قبل أن أموت فحفروا له قال فحملته فى قبة أقود به حتى نظر اليه قال فقال ياابن آدم تصير الى هذا * وذكر بعضهم أنه لما اشتدت به العلة أمر بقبره فحفر فى موضع من الدار التى كان فيها نازلا بموضع يسمى المثقب فى دار حميد بن أبى غانم الطائى

فلما فرغ من حفر القبر أنزل فيه قوما فقرؤا فيه القرآن حتى ختموا وهو فى محفة على شفير القبر وذكر محمد بن زياد بن محمد بن حاتم بن عبيد الله بن أبى بكرة أن سهل بن مساعد حدثه قال كنت عند الرشيد فى بيته الذى قبض فيه وهو يجود بنفسه فدعا بملحفة غليظة فاحتبى بها وجعل يقاسى مايقاسى فنهضت فقال لى اقعد ياسهل فقعدت وطال جلوسى لا يكلمنى ولا أكلمه والملحفة تنحل فيعيد الاحتباء بها فلما طال ذلك نهضت فقال لى الى أين ياسهل قلت ياأمير المؤمنين مايسع قلبى أن أرى أمير المؤمنين يعانى من العلة مايعانى فلو اضطجعت ياأمير المؤمنين كان أروح لك قال فضحك ضحكا صحيحا ثم قال ياسهل انى أذكر فى هذه الحال قول الشاعر

وَإِنّى مِنْ قَوْمٍ كِرامٍ يَزِيدُهُمْ شِماسًا وَصَبْرًا شِدةُ الْحَدَثانِ

وذكر عن مسرور الكبير قال لما حضرت الرشيد الوفاة وأحس بالموت أمرنى أن أنشر الوشى فآتيه بأجود ثوب أقدر عليه وأغلاه قيمة فلم أجد ذلك فى ثوب واحد ووجدت ثوبين أغلى شىء قيمة وجدته متقاربين فى أثمانهما الا أن أحدهما أغلى من الآخر شيئا وأحدهما أحمر والآخر أخضر فجئته بهما فنظر اليهما وخبرته قيمتهما فقال اجعل أحسنهما كفنى والآخر الى موضعه وتوفى فيما ذكر فى موضع يدعى المثقب فى دار حميد بن أبى غانى نصف الليل ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة من هذه السنة وصلى عليه ابنه صالح وحضر وفاته الفضل بن الربيع واسماعيل بن صبيح ومن خدمه مسرور وحسين ورشيد وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوما أولها ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠ وآخرها ليلة السبت لثلاث ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ١٩٣ وقال هشام بن محمد استخلف أبو جعفر الرشيد هارون بن محمد ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠ وهو يومئذ ابن اثنتين وعشرين سنة وتوفى ليلة الأحد غرة جمادى الأولى وهو ابن خمس وأربعين سنة سنة ١٩٣ فملك ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وستة عشر يوما وقيل كان سنه يوم توفى سبعا وأربعين سنة وخمسة أشهر

وخمسة أيام أولها لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ١٤٥ وآخرها يومان مضيا من جمادى الآخرة سنة ١٩٣ وكان جميلا وسيما أبيض جعدا وقد وخطه الشيب

ذكر ولاة الأمصار فى أيام هارون الرشيد

ولاة المدينة إسحاق بن عيسى بن علىّ، عبد الملك بن صالح بن علىّ؛ محمد بن عبد الله، موسى بن عيسى بن موسى، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم علىّ بن عيسى بن موسى، محمد بن إبراهيم، عبد الله بن مصعب الزبيرى؛ بكار بن عبد الله بن مصعب؛ أبو البخترى وهب بن وهب (ولاة مكة) العباس بن محمد بن إبراهيم؛ سليمان بن جعفر بن سليمان، موسى بن عيسى بن موسى، عبد الله بن محمد بن إبراهيم؛ عبد الله بن قثم بن العباس؛ محمد بن إبراهيم؛ عبيد بن قثم؛ عبد الله بن محمد بن عمران، عبد الله بن محمد بن إبراهيم؛ العباس بن موسى بن عيسى، علىّ بن موسى بن عيسى؛ محمد بن عبد الله العثمانىّ؛ حماد البربرىّ؛ سليمان بن جعفر بن سليمان؛ أحمد بن إسماعيل بن على؛ الفضل بن العباس ابن محمد (ولاة الكوفة) موسى بن عيسى بن موسى؛ يعقوب بن أبى جعفر؛ موسى ابن عيسى بن موسى؛ العباس بن عيسى بن موسى؛ إسحاق بن الصباح الكندى؛ جعفر ابن جعفر بن أبى جعفر؛ موسى بن عيسى بن موسى؛ العباس بن عيسى بن موسى؛ موسى بن عيسى بن موسى (ولاة البصرة) محمد بن سليمان بن علىّ؛ سليمان بن أبى جعفر، عيسى بن جعفر بن أبى جعفر: خزيمة بن خازم؛ عيسى بن جعفر؛ جرير بن يزيد؛ جعفر بن سليمان؛ جعفر بن أبى جعفر؛ عبد الصمد بن على، مالك بن على الخزاعى، إسحاق بن سليمان بن علىّ؛ سليمان بن أبى جعفر؛ عيسى بن جعفر؛ الحسن بن جميل مولى أمير المؤمنين؛ إسحاق بن عيسى بن على (ولاة خراسان) أبو العباس الطوسى، جعفر بن محمد بن الأشعث. العباس بن جعفر، الغطريف بن عطاء؛ سليمان بن راشد على الخراج، حمزة بن مالك، الفضل بن يحيى، منصور بن يزيد بن منصور، جعفر ابن يحيى خليفته بها على بن الحسن بن قحطبة، على بن عيسى بن ماهان، هرثمة بن أعين

ذكر بعض سير الرشيد

ذكر العباس بن محمد عن أبيه عن العباس قال كان الرشيد يصلى فى كل يوم

مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا إلا أن تعرض له علة وكان يتصدق من صلب ماله فى كل يوم بألف درهم بعد زكاته وكان إذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الباهرة وكان يقتفى آثار المنصور ويطلب العمل بها إلا فى بذل المال فإنه لم ير خليفة قبله كان أعطى منه للمال ثم المأمون من بعده وكان لا يضيع عنده إحسان محسن ولا يؤخر ذلك فى أول ما يجب ثوابه وكان يحب الشعراء والشعر ويميل إلى أهل الأدب والفقه ويكره المراء فى الدين ويقول هو شىء لا نتيجة له وبالحرى ألا يكون فيه ثواب وكان يحب المديح ولا سيما من شاعر فصيح ويشتريه بالثمن الغالى وذكر بن أبى حفصة أن مروان بن أبى حفصة دخل عليه فى سنة ١٨١ يوم الأحد لثلاث خلون من شهر رمضان فأنشده شعره الذى يقول فيه

وَسُدَّتْ بِهارونَ الثغورُ فأحكِمَتْ ... به مِنْ أمورِ المُسلِمينَ المَرائِرُ
وما انفكَّ مَعْقُودًا بنَصْرٍ لواؤُهُ ... له عسكرٌ عنهُ تُشَظَّى العَساكِرُ
وكلُّ مُلوكِ الرُّومِ أعطاهُ جِزْيَةً ... على الرغمِ قسرًا عَنْ يَدٍ وَهْوَ صاغِرُ
لقد تَرَكَ الصَّفْصافَ هارونُ صَفْصَفًا ... كأنْ لم يُدَمِّنْهُ مِنَ الناسِ حاضِرُ
أناخَ على الصَّفْصافِ حتى اسْتَباحَهُ ... فكابَرَهُ فيها ألجُّ مُكابِرُ
إلى وجْهِهِ تَسْمُو العُيونُ وَما سَمَتْ ... إلى مثلِ هارونَ العيونُ النّواظِرُ
ترى حَوْلَهُ الأملاكَ مِنْ آلِ هاشِمٍ ... كما حَفَّتِ البَدْرَ النجومُ الزَّواهِرُ
يَسُوقُ يَدَيْهِ مِن قُرَيْشٍ كِرامُها ... وكِلتاهُما بَحْرٌ على الناسِ زاخِرُ
إذا فقدَ الناسُ الغَمامَ تتابعَتْ ... عليهِمْ بِكَفَّيْكَ الغُيُومُ المَواطِرُ
على ثِقَةٍ ألقَتْ إليْكَ أمورَها ... قُرَيْشٌ كما ألقى عَصاهُ المُسافِرُ
أمورٌ بِميراثِ النَّبيِّ وَلِيتَها ... فأنتَ لها بالحَزْمِ طاوٍ وَناشِرُ
إليكُمْ تناهَتْ فاستَقَرَّتْ وَإنَّما ... إلى أهلِهِ صارَتْ بِهِنَّ المَصايِرُ
خلَفتَ لنا المَهْدِيَّ فى العَدْلِ والنَّدى ... فلا العُرْفُ منزورٌ ولا الحُكْمُ جائِرُ
وَأبناءُ عباسٍ نُجومٌ مُضيئَةٌ ... إذا غابَ نَجْمٌ لاحَ آخَرُ زاهِرُ

أوائلُ من مَعْروفكمْ وَأواخِر علىَّ بَنِي ساقى الحَجيجِ تتابعَتْ
مَدَى شُكرِ نُعماكمْ وَإِنى لَشاكِرُ فأصْبحْتُ قد أيقَنْتُ أنْ لَستُ بالِغاً
وَذُو نَهَلٍ بالرِّىّ عنهنَّ صادِرُ وما الناسُ إلا واردٌ لحِياضِكمْ
صُدورُ العوالِي والسُّيوفُ البَواتِرُ حُصونُ بَنِي العَباسِ فى كلِّ مَأزِقٍ
وَطَوْرًا بأيْدِيهِمْ تُهَزُّ المَحاضِرُ فَطَوْرًا يَهُزّونَ القَواطِعَ والقَنا
بِهِمْ للعَطايا والمَنايا بَوادِرُ بأيْدِى عِظام النَّفعِ والضّرِّ لا تَنِي
أَسِرَّتُهُ مُختالَةٌ والمَنابِرُ لِيَهنِكُمُ المُلكُ الذى أصبحتْ بِكُمْ
وَإِنْ رَغَمتْ مِنْ حاسِدِيكَ المَناخِرُ أبوكَ وَلِيُّ المُصطفى دونَ هاشِمٍ

فأعطاه خمسة آلاف دينار فقبضها بين يديه وكساه خلعته وأمر له بعشرة من رقيق الروم وحمله على برذون من خاص مراكبه وذكر أنه كان مع الرشيد ابن أبى مريم المدنى وكان مضحاكا له محداثا فكيها فكان الرشيد لا يصبر عنه ولا يملّ محادثته وكان ممن قد جمع إلى ذلك المعرفة بأخبار أهل الحجاز وألقاب الأشراف ومكايد المجان فبلغ من خاصته بالرشيد أن بوأه منزلا فى قصره وخلطه بحرمه وبطانته ومواليه وغلمانه فجاء ذات ليلة وهو نائم وقد طلع الفجر وقام الرشيد إلى الصلاة فألفاه نائما فكشف اللحاف عن ظهره ثم قال له كيف أصبحت قال يا هذا ما أصبحت بعد اذهب إلى عملك قال ويلك قم إلى الصلاة قال هذا وقت صلاة أبى الجارود وأنا من أصحاب أبى يوسف القاضى فمضى وتركه نائما وتأهب الرشيد للصلاة فجاء غلامه فقال أمير المؤمنين قد قام إلى الصلاة فقام فألقى عليه ثيابه ومضى نحوه فاذا الرشيد يقرأ فى صلاة الصبح فانتهى اليه وهو يقرأ «ومالىَ لا أعبد الذى فطرنى» فقال ابن أبى مريم لا أدرى والله فما تمالك الرشيد أن ضحك فى صلاته ثم التفت اليه وهو كالمغضب فقال يا ابن أبى مريم فى الصلاة أيضا قال يا هذا وما صنعتُ قال قطعت علىّ صلاتى قال والله ما فعلت إنما سمعت منك كلاما غمنى حين قلت «ومالىَ لا أعبد الذى فطرنى» فقلت لا أدرى والله فعاد فضحك وقال إياك والقرآن والدين ولك ما شئت بعدهما وذكر بعض خدم الرشيد أن العباس بن محمد أهدى غالية إلى الرشيد فدخل عليه

وقد حملها معه فقال يا أمير المؤمنين جعلنى الله فداك قد جئتك بغالية ليس لأحد
مثلها أما مسكها فمن سُرَر الكلاب التبتية العتيقة وأما عنبرها فمن عنبر بحر عدن
وأما بانها فمن فلان المدنى المعروف بجودة عمله وأما مركبها فانسان بالبصرة عالم
بتأليفها حاذق بتركيبها فان رأى أمير المؤمنين أن يمنّ علىّ بقبولها فعل فقال الرشيد
لخاقان الخادم وهو على رأسه يا خاقان أدخل هذه الغالية فأدخلها خاقان فاذا هى
فى برنية عظيمة من فضة وفيها ملعقة فكشف عنها وابن أبى مريم حاضر فقال
يا أمير المؤمنين هَبْها لى قال خذها اليك فاغتاظ العباس وطار أسفاً وقال ويلك
عمدت إلى شىء منعته نفسى وآثرت به سيدى فأخذته فقال أمه فاعلة ان دهن بها
لأسته قال فضحك الرشيد ثم وثب ابن أبى مريم فألقى طرف قميصه على رأسه
وأدخل يده فى البرنية فجعل يخرج منها ما حملت يده فيضعه فى استه مرة وفى أرفاغه
ومغابنه أخرى ثم سود بها وجهه ورأسه وأطرافه حتى أتى على جميع جوارحه
وقال لخاقان أدخل إلىّ غلامى فقال الرشيد وما يعقل مما هو فيه من الضحك ادع
غلامه فدعاه فقال له اذهب بهذه الباقية إلى فلانة امرأته فقل لها ادهنى بهذا حِرَكِ
إلى أن أنصرف فآتيك فأخذها الغلام ومضى والرشيد يضحك قد ذهب به الضحك
ثم أقبل على العباس فقال والله أنت شيخ أحمق تجىء إلى خليفة الله فتمدح عنده
غالية أما تعلم أن كل شىء تمطر السماء وكل شىء تخرج الأرض له وكل شىء هو فى
الدنيا فملك يده وتحت خاتمه وفى قبضته وأعجب من هذا أنه قيل لملك الموت انظر
كل شىء يقول لك هذا فأنفذه فمثل هذا يمدح عنده الغالية ويخطب فى ذكرها كأنه
بقال أو عطار أو تمار قال فضحك الرشيد حتى كاد ينقطع نفسه ووصل ابن أبى مريم
فى ذلك اليوم بمائة ألف درهم وذكر عن زيد بن علىّ بن حسين بن زيد بن علىّ بن
الحسين بن علىّ بن أبى طالب قال أراد الرشيد أن يشرب الدواء يوما فقال له ابن
أبى مريم هل لك أن تجعلنى حاجبك غدا عند أخذك الدواء وكل شىء أكسبه فهو
بينى وبينك قال افعل فبعث إلى الحاجب الزم غداً منزلك فانى قد وليت ابن أبى مريم
الحجابة وبكر ابن أبى مريم فوضع له الكرسى وأخذ الرشيد دواءه وبلغ الخبر بطانته

فجاء رسول أم جعفر يسأل عن أمير المؤمنين وعن دوائه فأوصله اليه و تعرف حاله وانصرف بالجواب وقال للرسول أعلِم السيدة مافعلت فى الإذن لك قبل الناس فأعلمها فبعثت اليه بمال كثير ثم جاء رسول يحيي بن خالد ففعل به مثل ذلك ثم جاء رسول جعفر و الفضل ففعل كذلك فبعث اليه كل واحد من البرامكة بصلة جزيلة ثم جاء رسول الفضل بن الربيع فرده ولم يأذن له وجاءت رسل القواد و العظماء فما أحد سهل اذنه إلا بعث اليه بصلة جزيلة فما صار العصر حتى صار اليه ستون ألف دينار فلما خرج الرشيد من العلة و نقى بدنه من الدواء دعاه فقال له ماصنعت فى يومك هذا قال ياسيدى كسبت ستين ألف دينار فاستكثرها وقال وأين حاصلى قال معزول قال قد سوغناك حاصلنا فأهد الينا عشرة آلاف تفاحة ففعل فكان أربح مَن تاجره الرشيد وذكر عن اسماعيل بن صبيح قال دخلت على الرشيد فإذا جارية على رأسه وفى يدها صحفة وملعقة فى يدها الأخرى وهى تلعقه أولا فأولا قال فنظرت إلى شىء أبيض رقيق فلم أدر ماهو قال وعلم أنى أحب أن أعرفه فقال يااسماعيل بن صبيح قلت لبيك ياسيدى قال تدرى ماهذا قلت لا قال هذا جشيش الأرزّ والحنطة وماء نخالة السميد وهو نافع للأطراف المعوجة وتشنيج الأعصاب ويصفى البشرة ويذهب بالكلف ويسمن البدن ويجلو الأوساخ قال فلم تكن لى همة حين انصرفت إلا أن دعوت الطباخ فقلت بكّرْ علىّ كلّ غداة بالجشيش قال وماهو فوصفت له الصفة التى سمعتها قال تضجر من هذا فى اليوم الثالث فعمله فى اليوم الأول فاستطبته وعمله فى اليوم الثانى فصار دونه وجاء به فى اليوم الثالث فقلت لاتقدمه وذكر أن الرشيد اعتل علة فعالجه الأطباء فلم يجد من علته افاقة فقال له أبو عمر الأعجمىّ بالهند طبيب يقال له منكه رأيتهم يقدمونه على كل من بالهند وهو أحد عُبادهم وفلاسفتهم فلو بعث اليه أمير المؤمنين لعل الله أن يبعث له الشفاء على يده قال فوجه الرشيد من حمله ووجه اليه بصلة تعينه على سفره قال فقدم فعالج الرشيد فبرئ من علته بعلاجه فأجرى له رزقا واسعاً وأموالا كافية فبينا منكه مارّ بالخلد إذا هو برجل من المانيين قد بسط كساءه وألقى عليه عقاقير كثيرة وقام

يصف دواء عنده معجونا فقال فى صفته هذا دواء للحمّى الدائمة وحمى الغب وحمى الربع والمثلثة ولوجع الظهر والركبتين والبواسير والرياح ولوجع المفاصل ووجع العينين ولوجع البطن والصداع والشقيقة ولتقطير البول والفالج والارتعاش فلم يدع علة فى البدن إلا ذكر أن ذلك الدواء شفاء منها فقال منكه لترجمانه مايقول هذا فترجم له ماسمع فتبسم منكه وقال على كل حال ملك العرب جاهل وذاك أنه إن كان الأمر على ماقال هذا فلمَ حملنى من بلادى وقطعنى عن أهلى وتكلف الغليظ من مؤنتى وهو يجد هذا نصب عنه وبإزائه وإن كان الأمر ليس كما يقول هذا فلم لا يقتله فإن الشريعة قد أباحت دمه ودم من أشبهه لأنه إن قتل فإنما هى نفس يحيى بقتلها خلق كثير وإن ترك هذا الجاهل قتل فى كل يوم نفسا وبالحرى أن يقتل اثنتين وثلاثا وأربعاً فى كل يوم وهذا فساد فى التدبير ووهن فى المملكة وذكر أن يحيى بن خالد ابن برمك ولى رجلا بعض أعمال الخراج بالسّواد فدخل إلى الرشيد يودعه وعنده يحيى وجعفر بن يحيى فقال الرشيد ليحيى وجعفر أوصياه فقال له يحيى وفّرْ واعمرْ وقال له جعفر أنصف وانتصف فقال له الرشيد أعدلْ وأحسنْ وذكر عن الرشيد أنه غضب على يزيد بن مزيد الشيبانى ثم رضى عنه وأذن له فدخل عليه فقال ياأمير المؤمنين الحمد لله الذى سهل لنا سبيل الكرامة وحلّ لنا النعمة بوجه لقائك وكشف عنا صبابة الكرب بأفضالك فجزاك الله فى حال سخطك رضى المنيبين وفى حال رضاك جزاء المنعمين الممتنين المتطولين فقد جعلك الله وله الحمد تنيب تحرجا عند الغضب وتتطول ممتناً بالنعم وتعفو عن المسىء تفضلا بالعفو وذكر مصعب بن عبد الله الزبيرى أن أباه عبد الله بن مصعب أخبره أن الرشيد قال له ماتقول فى الذين طعنوا على عثمان قال قلت ياأمير المؤمنين طعن عليه ناس وكان معه ناس فأما الذين طعنوا عليه فتفرقوا عنه فهم أنواع الشيع وأهل البدع وأنواع الخوارج وأما الذين كانوا معه فهم أهل الجماعة إلى اليوم فقال لى ماأحتاج أن أسأل بعد هذا اليوم عن هذا قال مصعب وقال أبى وسألنى عن منزلة أبى بكر وعمر كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقلت له كانت منزلتهما فى حياته منه منزلتهما فى مماته فقال كفيتنى ما أحتاج اليه قال وولى سلام أورشيد الخادم بعض خدام الخاصة ضياع الرشيد بالثغور والشأمات فتواترت الكتب بحسن سيرته وتوقيره وحمد الناس له فأمر الرشيد بتقديمه والإحسان اليه وضم ما أحب أن يضم اليه من ضياع الجزيرة ومصر قال فقدم فدخل عليه وهو يأكل سفرجلا قد أتى به من بلخ وهو يقشره ويأكل منه فقال له يا فلان ما أحسن ما انتهى إلى مولاك عنك ولك عنده ما تحب وقد أمرت لك بكذا وكذا ووليتك كذا وكذا فسل حاجتك قال فتكلم وذكر حسن سيرته وقال أنسَيْتهم والله يا أمير المؤمنين سيرة العمرين قال فغضب واستشاط وأخذ سفرجلة فرماه بها وقال يا ابن اللخناء العمرين العمرين العمرين هبنا احتملناها لعمر بن عبد العزيز نحتملها لعمر بن الخطاب * وذكر عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عبدالعزيز بن عبد الله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب أن أبا بكر ابن عبدالرحمن بن عبيدالله بن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز حدثه عن الضحاك ابن عبد الله وأثنى عليه خيرا قال أخبرنى بعض ولد عبد الله بن عبد العزيز قال قال الرشيد والله ما أدرى ما آمر فى هذا العُمَرى أكره أن أقدم عليه وله خلف أكرههم وإنى لأحب أن أعرف طريقه ومذهبه وما أثق بأحد أبعثه اليه فقال عمر بن بزيع والفضل بن الربيع فنحن يا أمير المؤمنين قال فأنتما فخرجا من العرجْ إلى موضع من البادية يقال له خَلص وأخذوا معهما أدلاء من أهل العرج حتى إذا وردا عليه فى منزله أتَياه مع الضحى فاذا هو فى المسجد فأناخا راحلتيهما ومن كان معهما من أصحابهما ثم أتياه على زىّ الملوك من الريح والثياب والطيب فجلسا إليه وهو فى مسجد له فقالا له يا أبا عبدالرحمن نحن رسل من خلفنا من أهل المشرق يقولون لك اتق الله ربك فإذا شئت فقم فأقبل عليهما وقال ويحكما فيمن ولمن قالا أنت والله ما أحب أنى لقيت الله بمحجمة دم امرئ مسلم وأن لى ما طلعت عليه الشمس فلما أيسا منه قالا فإن معنا شيئاً تستعين به على دهرك قال لا حاجة لى فيه أنا عنه فى غنى فقالا له إنها عشرون ألف دينار قال

لا حاجة لى فيها قالا فأعطها من شئت قال أنتما فأعطياها من رأيتما ما أنا لكما بخادم ولاعون قال فلما يئسا منه ركبا راحلتيهما حتى أصبحا مع الخليفة بالسقيا فى المنزل الثانى فوجدا الخليفة ينتظرهما فلما دخلا عليه حدثاه بما كان بينهما وبينه فقال ما أبالى ماأصنع بعد هذا فحج عبد الله فى تلك السنة فبينا هو واقف على بعض أولئك الباعة يشترى لصبيانه إذا هارون يسعى بين الصفا والمروة على دابة إذ عرض له عبد الله وترك مايريد فأتاه حتى أخذ بلجام دابته فأهوت اليه الأجناد والأحراس فكفهم عنه هارون فكلمه قال فرأيت دموع هارون وإنها لتسيل على معرفة دابته ثم انصرف * وذكر محمد بن أحمد مولى بنى سليم قال حدثنى الليث بن عبد العزيز الجوزجانى وكان مجاوراً بمكة أربعين سنة أن بعض الحجبة حدثه أن الرشيد لما حج دخل الكعبة وقام على أصابعه وقال يامن يملك حوائج السائلين ويعلم ضمير الصامتين فان لكل مسألة منك رداً حاضراً وجواباً عتيدا ولكل صامت منك علم محيط ناطق بمواعيدك الصادقة وأياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا يامن لاتضره الذنوب ولاتخفى عليه العيوب ولا تنقصه مغفرة الخطايا يامن كبس الأرض على الماء وسد الهواء بالسماء واختار لنفسه الأسماء صل على محمد وخر لى فى جميع أمرى يامن خشعت له الأصوات بألوان اللغات يسألونك الحاجات إن من حاجتى اليك أن تغفر لى إذا توفيتنى وصرتُ فى لحدى وتفرق عنى أهلى وولدى اللهم لك الحمد حمداً يفضل على كل حمد كفضلك على جميع الخلق اللهم صل على محمد صلاة تكون له رضى وصل على محمد صلاة تكون له حرزا وأجزه عنا خير الجزاء فى الآخرة والأولى اللهم أحينا سعداء وتوفنا شهداء واجعلنا سعداء مرزوقين ولاتجعلنا أشقياء محرومين * وذكر على بن محمد عن عبد الله قال أخبرنى القاسم بن يحيى قال بعث الرشيد إلى ابن أبى داود والذين يخدمون قبر الحسين بن على فى الحيْر قال فأتى بهم فنظر اليه الحسن بن راشد وقال مالك قال بعث إلىّ هذا الرجل يعنى الرشيد فأحضرنى ولست آمنه على نفسى قال له فإذا

دخلتَ عليه فسألك فقل له الحسن بن راشد وضعنى فى ذلك الموضع فلما دخل عليه قال هذا القول قال ما أخلق أن يكون هذا من تخليط الحسن احضروه قال فلما حضر قال ماحملك على أن صيّرت هذا الرجل فى الحير قال رحم الله من صيره فى الحير أمرتنى أم موسى أن أصيره فيه وأن أجرى عليه فى كل شهر ثلاثين درهما فقال ردوه إلى الحير وأجروا عليه ما أجرته أم موسى وأم موسى هى أم المهدى ابنة يزيد بن منصور وذكر على بن محمد أن أباه حدثه قال دخلت على الرشيد فى دار عون العبادى فإذا هو فى هيئة الصيف فى بيت مكشوف وليس فيه فرش على مقعد عند باب فى الشق الأيمن من البيت وعليه غلالة رقيقة وإزار رشيدى عريض الأعلام شديد التضريج وكان لا يخيش البيت الذى هو فيه لأنه كان يؤذيه ولكنه كان يدخل عليه برد الخيش ولا يجلس فيه وكان أول من اتخذ فى بيت مقيله فى الصيف سقفاً دون سقف وذلك أنه لما بلغه أن الأكاسرة كانوا يطينون ظهور بيوتهم فى كل يوم من خارج ليكف عنهم حر الشمس فاتخذ هو سقفاً يلى سقف البيت الذى يقيل فيه وقال علىّ عن أبيه خُبرت أنه كان له فى كل يوم القيظ تغار من فضة يعمل فيه العطار الطيب والزعفران والأفاويه وماء الورد ثم يدخل إلى بيت مقيله ويدخل معه سبع غلائل قصب رشيدية تقطيع النساء ثم تغمس الغلائل فى ذلك الطيب ويؤتى فى كل يوم بسبع جوار فتنخلع عن كل جارية ثيابها ثم تخلع عليها غلالة وتجلس على كرسى مثقب وترسل الغلالة على الكرسى فتجلله ثم تبخر من تحت الكرسى بالعود المدرج فى العنبر أمداً حتى يجف القميص عليها يفعل ذلك بهن ويكون ذلك فى بيت مقيله فيعبق ذلك البيت بالبخور والطيب * وذكر على بن حمزة أن عبد الله بن عباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن على بن أبى طالب قال قال لى العباس بن الحسن قال لى الرشيد أراك تكثر من ذكر ينبع وصفتها فصفها لى وأوجز قال قلت بكلام أو بشعر قال بكلام وشعر قال قلت جدتها فى أصل عذقها وعذقها مسرح شأنها قال فتبسم فقلت له

يا وادِىَ القصرِ نِعمَ القصرُ والوادى ... مِن مَنزِلٍ حاضِرٍ إن شئتَ أو بادِى
ترى قراقيره والعِيسَ واقفةً ... والضبَّ والنونَ والملّاح والحادِى

وذكر محمد بن هارون عن أبيه قال حضرت الرشيد وقال له الفضل بن الربيع يا أمير المؤمنين قد أحضرت ابن السماك كما أمرتنى قال أدخله فدخل فقال له عظنى قال يا أمير المؤمنين اتق الله وحده لا شريك له واعلم أنك واقف غدا بين يدى الله ربك ثم مصروف إلى إحدى منزلتين لا ثالثة لهما جنة أو نار قال فبكى هارون حتى اخضلت لحيته فأقبل الفضل على ابن السماك فقال سبحان الله وهل يتخالج أحداً شك فى أن أمير المؤمنين مصروف إلى الجنة إن شاء الله لقيامه بحق الله وعدله فى عباده وفضله قال فلم يحفل بذلك ابن السماك من قوله ولم يلتفت اليه وأقبل على أمير المؤمنين فقال يا أمير المؤمنين إن هذا يعنى الفضل ابن الربيع ليس والله معك ولا عندك فى ذلك اليوم فاتق الله وانظر لنفسك قال فبكى هارون حتى شفقنا عليه وأفحم الفضل بن الربيع فلم ينطق بحرف حتى خرجنا قال ودخل ابن السماك على الرشيد يوما فبينا هو عنده إذ استسقى ماء فأتى بقلة من ماء فلما أهوى بها إلى فيه ليشربها قال له ابن السماك على رِسْلك يا أمير المؤمنين بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو مُنعت هذه الشربة بكم كنت تشتريها قال بنصف ملكى قال اشرب هنأك الله فلما شربها قال له أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتريها قال بجميع ملكى قال ابن السماك إن ملكا قيمته شربة ماء لجدير ألا ينافس فيه فبكى هارون فأشار الفضل بن الربيع إلى ابن السماك بالانصراف فانصرف قال ووعظ الرشيد عبد الله بن عبد العزيز العمرى فتلقى قوله نعم يا عم فلما ولى لينصرف بعث اليه بألفى دينار فى كيس مع الأمين والمأمون فاعترضاه بها وقالا يا عم يقول لك أمير المؤمنين خذها وانتفع بها أو فرقها فقال هو أعلم بمن يفرقها عليه ثم أخذ من الكيس ديناراً وقال كرهت أن أجمع سوء القول وسوء الفعل وشخص إليه إلى بغداد بعد ذلك فكره الرشيد مصيره إلى بغداد وجمع العُمَريين فقال مالى ولابن عمكم احتملته بالحجاز فشخص إلى دار مملكتى يريد أن يفسد علىّ أوليائى ردوه عنى فقالوا لا يقبل منا فكتب إلى

موسى بن عيسى أن يرفق به حتى يرده فدعا له عيسى ببُنى عشر سنين قد حفظ الخطب والمواعظ فكلمه كلاما كثيرا ووعظه بما لم يسمع العمرى بمثله ونهاه عن التعرض لأمير المؤمنين فأخذ نعله وقام وهو يقول «فاعترفوا بِذَنْبِهِمْ فسحقا لأصحاب السعير» ٭ وذكر بعضهم أنه كان مع الرشيد بالرقة بعد أن شخص من بغداد فخرج يوما مع الرشيد إلى الصيد فعرض له رجل من النساك فقال ياهارون اتق الله فقال لإبراهيم بن عثمان بن نهيك خذ هذا الرجل إليك حتى أنصرف فلما رجع دعا بغدائه ثم أمر أن يطعم الرجل من خاص طعامه فلما أكل وشرب دعا به فقال يا هذا انصفنى فى المخاطبة والمسألة قال ذاك أقل ما يجب لك قال فأخبرنى أنا شر وأخبث أم فرعون قال بل فرعون قال أنا ربكم الأعلى وقال ما علمت لكم من إله غيرى قال صدقت فأخبرنى فمن خير أنت أم موسى ابن عمران قال موسى كليم الله وصفيه اصطنعه لنفسه وأتمنه على وحيه وكلمه من بين خلقه قال صدقت أفما تعلم أنه لما بعثه وأخاه إلى فرعون قال لهما قولا له قولا لينا لعله يتذكّر أو يخشى ٭ ذكر المفسرون أنه أمرهما أن يكنياه وهذا وهو فى عتوه وجبريته على ما قد علمت وأنت جئتنى وأنا بهذه الحالة التى تعلم أؤدى أكثر فرائض الله علىّ ولا أعبد أحداً سواه أقف عند أكبر حدوده وأمره ونهيه فوعظتنى بأغلظ الألفاظ وأشنعها وأخشن الكلام وأفظعه فلا بأدب الله تأدبت ولا بأخلاق الصالحين أخذت فما كان يؤمنك أن أسطو بك فاذاً أنت قد عرضت نفسك لما كنت عنه غنياً قال الزاهد أخطأت يا أمير المؤمنين وأنا استغفرك قال قد غفر لك الله وأمر له بعشرين ألف درهم فأبى أن يأخذها وقال لا حاجة لى فى المال أنا رجل سائح فقال هرثمة وخزرة ترد على أمير المؤمنين يا جاهل صلته فقال الرشيد امسك عنه ثم قال له لم نعطك هذا المال لحاجتك اليه ولكن من عادتنا أنه لا يخاطب الخليفة أحد ليس من أوليائه ولا أعدائه إلا وصله ومنحه فاقبل من صلتنا ماشئت وضعها حيث أحببت فأخذ من المال ألفى درهم وفرّقها على الحجاب ومن حضر الباب

ذكر من كان عند الرشيد من النساء المهائر

قيل إنه تزوج زبيدة وهى أمّ جعفر بنت جعفر بن المنصور وأعرس بها فى سنة ١٦٥ فى خلافة المهدىّ ببغداد فى دار محمد بن سليمان التى صارت بعد للعباسة ثم صارت للمعتصم بالله فولدت له محمداً الأمين وماتت ببغداد فى جمادى الأولى سنة ٢١٦ وتزوج أمة العزيز أم ولد موسى فولدت له علىّ بن الرشيد وتزوج أمّ محمد ابنة صالح المسكين وأعرس بها بالرّقة فى ذى الحجة سنة ١٨٧ وأمها أم عبدالله ابنة عيسى بن علىّ صاحبة دار أم عبد الله بالكرخ التى فيها أصحاب الدبس كانت أملكت من إبراهيم بن المهدىّ ثم خلعت منه فتزوجها الرشيد وتزوج العباسة ابنة سليمان بن أبى جعفر وأعرس بها فى ذى الحجة سنة ١٨٧ حُملت هى وأمّ محمد ابنة صالح اليه وتزوج عزيزة ابنة الغطريف وكانت قبله عند سليمان بن أبى جعفر فطلقها فخلف عليها الرشيد وهى ابنة أخى الخيزران وتزوج الجرشية العثمانية وهى ابنة عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان وسميت الجرشية لأنها ولدت بجرش باليمن وجدّة أبيها فاطمة بنت الحسين بن علىّ بن أبى طالب وعم أبيها عبد الله بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم ومات الرشيد عن أربع مهائر أم جعفر وأم محمد ابنة صالح وعباسة ابنة سليمان والعثمانية وولد للرشيد من الرجال (محمد الأكبر) وأمه زبيدة (وعبدالله المأمون) وأمه أم ولد يقال لها مراجل (والقاسم المؤتمن) وأمه أم ولد يقال لها قصف (ومحمد أبو إسحاق المعتصم) وأمه أم ولد يقال لها ماردة (وعلى) أمه أمة العزيز (وصالح) وأمه أم ولد يقال لها رئم (ومحمد أبو عيسى) وأمه أم ولد يقال لها عرابة (ومحمد أبو يعقوب) وأمه أم ولد يقال لها شذرة (ومحمد أبو العباس) وأمه أم ولد يقال لها خُبث (ومحمد أبو سليمان) وأمه أم ولد يقال لها رواح (ومحمد أبو على) وأمه أم ولد يقال لها دواج (ومحمد أبو احمد) أمه أم ولد يقال لها كتمان * ومن النساء سكينة وأمها قصف وهى أخت القاسم وأم حبيب أمها ماردة وهى أخت أبى إسحاق المعتصم وأروى أمها حلوب وأم الحسن وأمها

عرابة وأم محمد وهى حمدونة وفاطمة وأمها غصص واسمها مصفى وأم أبيها وأمها سكر وأم سلمة وأمها رخنق وخديجة وأمها شجر وهى أخت كريب وأم القاسم وأمها حزق ورملة أم جعفر وأمها حلى وأم على أمها أنيق وأم الغالية أمها سَمَنْدَل وريطة وأمها زينة ﴿ ذكر يعقوب بن إسحاق الاصفهانى قال قال المفضل بن محمد الضبى وجه إلى الرشيد فما علمت إلا وقد جاءنى الرسل ليلا فقالوا أجب أمير المؤمنين فخرجت حتى صرت اليه وذلك فى يوم خميس وإذا هو متكئ ومحمد بن زبيدة عن يساره والمأمون عن يمينه فسلمت فأومأ إلى فجلست فقال لى يا مفضل قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال كم اسم فى « فَسَيَكْفِيكَهُمُ » قلت ثلاثة أسماء يا أمير المؤمنين قال وماهى قلت الكاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهاء والميم وهى للكفار والياء وهى لله عز وجل قال صدقت هكذا أفادنا هذا الشيخ يعنى الكسائى ثم التفت إلى محمد فقال له أفهمت يا محمد قال نعم قال أعد على المسألة كما قال المفضل فأعادها ثم التفت إلى فقال يا مفضل عندك مسألة تسألنا عنها بحضرة هذا الشيخ قلت نعم يا أمير المؤمنين قال وماهى قلت قول الفرزدق

أَخَذْنا بآفاقِ السماءِ عليكم لنا قَمَراها والنجومُ الطَّوالِعُ

قال هيهات أفادناها متقدماً قبلك هذا الشيخ لنا قمراها يعنى الشمس والقمر كما قالوا سنة العمرين سنة أبى بكر وعمر قال قلت فأزيد فى السؤال قال زد قلت فلمَ استحسنوا هذا قال لأنه إذا اجتمع اسمان من جنس واحد وكان أحدهما أخف على أفواه القائلين غلبوه وسموا به الآخر فلما كانت أيام عمر أكثر أيام أبى بكر وفتوحه أكثر واسمه أخف غلبوه وسموا أبا بكر باسمه قال الله عز وجل « بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ) وهو المشرق والمغرب قلت قد بقيت زيادة فى المسألة فقال يقال فى هذا غير ماقلنا قال هذا أوفى ماقالوا وتمام المعنى عند العرب قال ثم التفت إلى فقال ماالذى بقى قلت بقيت الغاية التى اليها أجرى الشاعر المفتخر فى شعره قال وماهى قلت أراد بالشمس إبراهيم وبالقمر محمداً صلى الله عليه وسلم وبالنجوم الخلفاء الراشدين من آبائك الصالحين قال فاشرأب أمير المؤمنين وقال يا فضل

ابن الربيع احمل اليه مائة ألف درهم لقضاء دينه وانظر من بالباب من الشعراء فيؤذن لهم فاذا العُمَانىّ ومنصور النمرىّ فأذن لهما فقال أدن منى الشيخ فدنا منه وهو يقول

قل للإمامِ المقتدِى بأمِّهِ ماقاسِمٌ دون مَدَى ابن أمِّهِ فقد رَضِيناه فقم فَسَمِّهِ

فقال الرشيد ماترضى أن تدعو إلى عقد البيعة له وأنا جالس حتى تهضى قائما قال قيام عزم ياأمير المؤمنين لاقيام حتم فقال يوتى بالقاسم فأتى به وطبطب فى أرجوزته فقال الرشيد للقاسم إن هذا الشيخ قد دعا إلى عقد البيعة لك فأجزل له العطية فقال حكم أمير المؤمنين قال وماأنا وذاك هات النمرى فدنا منه وأنشده

ما تَنقضِى حسرةٌ منا ولاجَزَعُ - حتى بلغ -

ما كان أحسن أيامَ الشبابِ وما أبقى حلاوةَ ذِكْراهُ التى تَدَعُ

ما كنتُ أوفِى شَبابى كنهَ غرَّتهِ حتى مضى فإذا الدنيا له تَبَعُ

قال للرشيد لاخير فى دنيا لا يُخطَر فيها ببرد الشباب ❊ وذكر أن سعيد بن سلم الباهلى دخل على الرشيد فسلم عليه فأومأ اليه الرشيد فجلس فقال ياأمير المؤمنين أعرابى من باهلة واقف على باب أمير المومنين مارأيت قط أشعر منه قال أما أنك أسبحت هذين يعنى العمانى ومنصور النمرى وكاناحاضريه نُهَبى لهما احجارَك قال هما ياأمير المؤمنين يهبانى لك فيؤذن للأعرابى فأذن له فإذا أعرابىّ فى جبة خز ورداء يمان قد شدّوسطه ثم ثناه على عاتقه وعمامة قد عصبها على خدّيه وأرخى لها عذبة فمثل بين يدى أمير المؤمنين وألقيت الكراسىّ فجلس الكسائىّ والمفضل وابن سلم والفضل بن الربيع فقال ابن سلم للأعرابى خذ فى شرف أمير المؤمنين فاندفع الأعرابىّ فى شعره فقال أمير المؤمنين أسمعك مستحسنا وأنكرك متهما عليك فان يكن هذا الشعر لك وأنت قلته من نفسك فقل لنا فى هذين بيتين يعنى محمداً والمأمون وهما حفافاه فقال ياأمير المؤمنين حملتنى على القدر فى غير الحذر روعة الخلافة وبهرَ البديهة ونفور القوافى على الروية فيمهلنى أمير المؤمنين يتألف إلىّ نافراتها ويسكن روعى قال قد أمهلتك ياأعرابىّ وجعلت اعتذارك بدلا من

امتحانك فقال يا أمير المؤمنين نفّست الخناق وسهّلت ميدان النفاق ثم أنشأ يقول

هُما طَنَبـاها بارَكَ اللهُ فيهما وأنتَ أميرَ المؤمنينَ عمودُها
بَنَيْتَ بِعَبْدِ اللهِ بَعـدَ مُحمدٍ ذرَى قبّةِ الإسلامِ فاهـتزّ عُودُها

فقال وأنت يا اعرابىّ بارك الله فيك فسَلنا ولا تكن مسألتك دون إحسانك قال الهنيدة يا أمير المؤمنين قال فتبسم أمير المؤمنين وأمر له بمائة ألف درهم وسبع خلع * وذكر أن الرشيد قال لابنه القاسم وقد دخل عليه قبل أن يبايع له أنت للمأمون ببعض حمل هذا قال ببعض حظه وقال للقاسم يوما قبل البيعة له قد أوصيت الأمين والمأمون بك قال أمّا أنت يا أمير المؤمنين فقد توليتَ النظر لهما ووكلتَ النظر لى إلى غيرك وقال مصعب بن عبدالله الزبيرى قدم الرشيد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه ابناه محمد الأمين وعبدالله المأمون فأعطى فيها العطايا وقسم فى تلك السنة فى رجالهم ونسائهم ثلاثة أعطية فكانت الثلاثة الأعطية التى قسمها فيهم ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار وفرض فى تلك السنة لخمسمائة من وجوه موالى المدينة ففرض لبعضهم فى الشرف منهم يحيى بن مسكين وابن عثمان ومخراق مولى بنى تميم وكان يقرأ القرآن بالمدينة وقال إسحاق الموصلى لما بايع الرشيد لولده كان فيمن بايع عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير فلما قدم ليبايع قال

لَا قصّرا عنها ولا بلغتهُما حتى يطولَ على يديكَ طِوالها

فاستحسن الرشيد ما تمثل وأجزل له صلته قال والشعر لطُريح بن اسماعيل قاله فى الوليد بن يزيد وفى ابنيه وقال أبو الشيص يرثى هارون الرشيد

غَربَتْ فى الشّرقِ شمْسٌ فلها عَيْنانِ تدْمَعْ
ما رأينا قطُّ شَمْسـا غربت مِن حيثُ تطلَعْ

وقال أبو نواس الحسن بن هانئ

جَرتْ جَوارٍ بالسّعدِ والنحسِ فنحنُ فى مأتمٍ وفى عُرْسِ
القلبُ يَبكى والسّنُّ ضاحكةٌ فنحن فى وحْشَـةٍ وفى أُنْسِ

يُضحِكُنا القائمُ الأمينُ ويُبْـ كينا وَفاةُ الإمامِ بالأمْس
بَدْرانِ بدرًا ضحى ببَغدادَ بالـ خُلدِ وبَدرٌ بطوسَ فى رَمْسِ

وقيل مات هارون الرشيد وفى بيت المال تسعمائة ألف ألف ونيف

خلافة الأمين

(وفى هذه السنة) بويع لمحمد الأمين بن هارون بالخلافة فى عسكر الرشيد وعبدالله بن هارون المأمون يومئذ بمرو وكان فيما ذكر قد كتب حَمّويْه مولى المهدى صاحب البريد بطُوسَ إلى أبى مسلم سلام مولاه وخليفته ببغداد على البريد والأخبار يعلمه وفاة الرشيد فدخل على محمد فعزاه وهنأه بالخلافة وكان أوّل الناس فعل ذلك ثم قدم عليه رجاء الخادم يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة كان صالح بن الرشيد أرسله اليه بالخبر بذلك وقيل ليلة الخميس للنصف من جمادى الآخرة فأظهرَ يوم الجمعة وستر خبره بقية يومه وليلته وخاض الناس فى أمره ولما قدم كتاب صالح على محمد الأمين مع رجاء الخادم بوفاة الرشيد وكان نازلا فى قصره بالخلد تحوّل إلى قصر أبى جعفر بالمدينة وأمر الناس بالحضور ليوم الجمعة فحضروا وصلى بهم فلما قضى صلاته صعد المنبر فحمدالله وأثنى عليه ونعى الرشيد إلى الناس وعزى نفسه والناس ووعدهم خيرا وبسط الآمال وآمن الأسود والأبيض وبايعه جلة أهل بيته وخاصته ومواليه وقوّاده ثم دخل ووكل ببيعته على من بقى منهم عمّ أبيه سليمان بن أبى جعفر فبايعهم وأمر السندىّ بمبايعة جميع الناس من القواد وسائر الجند وأمر للجند ممن بمدينة السلام برزق أربعة وعشرين شهرا ولخواص من كانت له خاصة لهذه الشهور (وفى هذه السنة) كان بدء اختلاف الحال بين الأمين محمد وأخيه المأمون وعزم كلّ واحد منهما بالخلاف على صاحبه فيما كان والدهما هارون أخذ عليهما العمل به فى الكتاب الذى ذكرنا أنه كان كتب عليهما وبينهما

ذكر الخبر عن السبب الذى كان أوجب اختلاف حالهما فيما ذكرت

(قال أبو جعفر) قد ذكرنا قبل أن الرشيد جدّد حين شخص إلى خراسان البيعة للمأمون على القوّاد الذين معه وأشهد من معه من القوّاد وسائر الناس وغيرهم أن جميع من معه من الجند مضمومون إلى المأمون وأن جميع مامعه من مال وسلاح وآلة وغير ذلك للمأمون فلما بلغ محمد بن هارون أن أباه قد اشتدّت علته وأنه لمابه بعث من يأتيه بخبره فى كل يوم فأرسل بكر بن المعتمر وكتب معه كتباً وجعلها فى قوائم صناديق منقورة ألبسها جلود البقر وقال لا يظهرنّ أمير المؤمنين ولا أحدٌ ممن فى عسكره على شىء من أمرك وما توجهت فيه ولا مامعك ولو قتلت حتى يموت امير المؤمنين فاذا مات فادفع إلى كل رجل منهم كتابه فلما قدم بكر بن المعتمر طوس بلغ هارون قدومه فدعا به فسأله ماأقدمك قال بعثنى محمد لأعلم له علم خبرك وآتيه به قال فهل معك كتاب قال لا فأمر بما معه ففتش فلم يصيبوا معه شيئاً فهدده بالضرب فلم يقر بشىء فأمر به فحبس وقيد فلما كان فى الليلة التى مات فيها هارون أمر الفضل بن الربيع أن يصير إلى محبس بكر بن المعتمر فيقرره فإن أقر وإلا ضرب عنقه فصار إليه فقرره فلم يقر بشىء ثم غشى على هارون فصاح النساء فأمسك الفضل عن قتله وصار إلى هارون ليحضره ثم أفاق هارون وهو ضعيف قد شغل عن بكر وعن غيره لحس الموت ثم غشى عليه غشية ظنوا أنها هى وارتفعت الضجة فبعث بكر بن المعتمر برقعة منه إلى الفضل بن الربيع مع عبد الله بن أبى نعيم يسأله أن لا تعجلوا بأمر ويعلمه أن معه أشياء يحتاجون إلى علمها وكان بكر محبوسا عند حسين الخادم فلما توفى هارون فى الوقت الذى توفى فيه دعا الفضل بن الربيع ببكر من ساعته فسأله عما عنده فأنكر أن يكون عنده شىء وخشى على نفسه من أن يكون هارون حيا حتى صح عنده موتُ هارون وأدخله عليه فأخبره أن عنده كتبا من أمير المؤمنين محمد وأنه لا يجوز له إخراجها وهو على حاله فى قيوده وحبسه فامتنع حسين الخادم من إطلاقه حتى أطلقه الفضل فأتاهم بالكتب التى عنده وكانت فى قوائم

المطابخ المجلدة بجلود البقر فدفع إلى كل إنسان منهم كتابه وكان فى تلك الكتب كتاب من محمد بن هارون إلى حسين الخادم بخطه يأمره بتخلية بكر بن المعتمر وإطلاقه فدفعه إليه وكتاب إلى عبد الله المأمون فاحتبس كتاب المأمون عنده ليبعثه إلى المأمون بمرو وأرسلوا إلى صالح بن الرشيد وكان مع أبيه بطوس وذلك أنه كان أكبر من يحضر هارون من ولده فأتاهم فى تلك الساعة فسألهم عن أبيه هارون فأعلموه فجزع جزعا شديداً ثم دفعوا إليه كتاب أخيه محمد الذى جاء به بكر وكان الذين حضروا وفاة هارون هم الذين ولوا أمره وغسله وتجهيزه وصلى عليه ابنه صالح

وكانت نسخة كتاب محمد إلى أخيه عبد الله المأمون

إذا ورد عليك كتاب أخيك أعاذه الله من فقدك عند حلول ما لامردّ له ولا مدفع بما قد أخف وتناسخ الأمم الخالية والقرون الماضية بما عزاك الله به واعلم أن الله جل ثناؤه قد اختار لأمير المؤمنين أفضل الدارين وأجزل الحظين فقبضه الله طاهراً زاكيا قد شكر سعيه وغفر ذنبه إن شاء الله فقم فى أمرك قيام ذى الحزم والعزم والناظر لأخيه ونفسه وسلطانه وعامة المسلمين وإياك أن يغلب عليك الجزع فانه يحبط الأجر ويعقب الوزر وصلوات الله على أمير المؤمنين حيا وميتا وإنا لله وإنا إليه راجعون وخُذِ البيعة على من قِبلك من قوّادك وجندك وخاصتك وعامتك لأخيك ثم لنفسك ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين على الشريطة التى جعلها لك أمير المؤمنين من نسخها له وإثباتها فانه مقلد من ذاك ما قلدك الله وخليفته وأعلِمْ مَنْ قِبلك رأيي فى صلاحهم وسد خلتهم والتوسعة عليهم فمن أنكرته عند بيعته أو اتهمته على طاعته فابعث إلىّ برأسه مع خبره وإياك وإقالته فان النار أولى به واكتب إلى عمال ثغورك وأمراء أجنادك بما طرقك من المصيبة بأمير المؤمنين وأعلمهم أن الله لم يرض الدنيا له ثوابا حتى قبضه إلى روحه وراحته وجنته مغبوطا محموداً قائدا لجميع خلفائه إلى الجنة ان شاء الله ومُرهم أن يأخذوا البيعة على أجنادهم وخواصهم وعوامهم على مثل ما أمرتك به من أخذها

على مَن قِبلك وأوعز اليهم فى ضبط ثغورهم والقوة على عدوهم انى متفقد حالاتهم ولامٌّ شعثهم وموسع عليهم ولا آنٍ فى تقوية أجنادى وأنصارى وليكن كتبك اليهم كتبا عامة لتقرأ عليهم فان ذلك ما يسكنهم ويبسط أملهم واعمل بما نأمر به لمن حضرك أو نأى عنك من أجنادك على حسب ما ترى وتشاهد فان أخاك يعرف حسن اختيارك وصحة رأيك وبُعد نظرك وهو يستحفظ الله لك ويسأله أن يشد بك عضده ويجمع بك أمره انه لطيف لما يشاء وكتب بكر بن المعتمر بين يدىّ وأملائى فى شوال سنة ١٩٢

وإلى أخيه صالح

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ اذا ورد عليك كتابى هذا عند وقوع ماقد سبق فى علم الله ونفذ من قضائه فى خلفائه وأوليائه وجرت به سنته فى الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين فقال (كلّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فاحمدوا الله على ما صار اليه أمير المؤمنين من عظيم ثوابه ومرافقة أنبيائه صلوات الله عليهم انا اليه راجعون واياه نسأل أن يحسن الخلافة على أمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد كان لهم عصمة وكهفا وبهم رءوفا رحيما فشمر فى أمرك واياك أن تلقى بيديك فان أخاك قداختارك لما استنهضك له وهو متفقد مواقع فقدانك لحقق ظنه ونسأل الله التوفيق وخذ البيعة على من قِبلك من ولد أمير المؤمنين وأهل بيته ومواليه وخاصته وعامته لمحمد أمير المؤمنين ثم لعبد الله ابن أمير المؤمنين ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين على الشريطة التى جعلها أمير المؤمنين صلوات الله عليه من فسخها على القاسم أو اثباتها فان السعادة واليمن فى الأخذ بعهده والمضى على مناهجه وأعلم من قبلك من الخاصة والعامة رأيى فى استصلاحهم ورد مظالمهم وتفقد حالاتهم وأداء أرزاقهم وأعطياتهم عليهم فان شغب شاغب أو نعر ناعر فاسط به سطوة تجعله نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين واضمم الى الميمون ابن الميمون الفضل بن الربيع ولد أمير المؤمنين وخدمه وأهله ومره بالمسير معهم فيمن معه وجنده ورابطته وصير الى عبد الله بن مالك أمر

العسكر وأحداثه فانه ثقة على ما يلي مقبول عند العامة واضمم اليه جميع جند الشرط من الروابط وغيرهم الى من معه من جنده ومره بالجد والتيقظ وتقديم الحزم فى أمره كله ليله ونهاره فان أهل العداوة والنفاق لهذا السلطان يغتنمون مثل حلول هذه المصيبة وأقر حاتم بن هرثمة على ما هو عليه ومُره بحراسة ما يحفظ به قصور أمير المؤمنين فانه ممن لا يُعرف إلا بالطاعة ولا يدين إلا بها بمعاقد من الله بما قدّم له من حال أبيه المحمود عند الخلفاء ومر الخدم بإحضار روابطهم من يُمتدّ بهم وبأجنادهم مواضع الخلل من عسكرك فانهم حدّ من حدودك وصيّر مقدّمتك إلى أسد بن يزيد بن مزيد وساقتك إلى يحيى بن معاذ فيمن معه من الجنود ومُرْهما بمناوبتك فى كل ليلة والزم الطريق الأعظم ولا تَعدُونّ المراحل فان ذلك أرفق بك ومر أسد بن يزيد أن يتخير رجلا من أهل بيته أو قواده فيصير إلى مقدمته ثم يصير أمامه لتهيئة المنازل أو بعض الطريق فان لم يحضرك فى عسكرك بعض من سميتُ فاختر لمواضعهم من تثق بطاعته ونصيحته وهيبته عند العوام فان ذلك لن يُعوِزك من قوّادك وأنصارك إن شاء الله وإياك أن تنفذ رأيا أو تبرم أمراً إلا برأى شيخك وبقية آبائك الفضل بن الربيع وأقْرِر جميع الخدم على ما فى أيديهم من الأموال والسلاح والخزائن وغير ذلك ولا تخرجنّ أحداً منهم من ضمن ما يلى إلى أن تقدم علىّ وقد أوصيت بكر بن المعتمر بما سيلمغكه واعمل فى ذلك بقدر ما تشاهد وترى وان أمرت لاهل العسكر بعطاء أو رزق فليكن الفضل بن الربيع المتولى لاعطائهم على دواوين يتخذها لنفسه بمحضر من أصحاب الدواوين فان الفضل بن الربيع لم يزل مثل ذلك لمهمات الأمور وأنفذ إلىّ عند وصول كتابى هذا اليك اسماعيل بن صبيح وبكر بن المعتمر على مركبيهما من البريد ولا يكون لك عرجة ولا مهلة بموضعك الذى أنت فيه حتى توجه إلىّ بعسكرك بما فيه من الأموال والخزائن إن شاء الله أخوك يستدفع الله عنك ويسأله لك حسن التأييد برحمته وكتب بكر بن المعتمر بين يدىّ وإملائى فى شوال سنة ١٩٢ وخرج رجاء الخادم بالخاتم والقضيب والبردة وبنعى هارون حين دفن

حتى قدم بغداد ليلة الخميس وقيل يوم الأربعاء فكان من الخبر ما قد ذكرت قبل وقيل إن نعى الرشيد لما ورد بغداد صعد اسحاق بن عيسى بن على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أعظم الناس رزئة وأحسن الناس بقية رزؤنا فانه لم يرزأ أحد كرزئنا فمن له مثل عوضنا ثم نعاه إلى الناس وحض الناس على الطاعة ☼ وذكر الحسن الحاجب أن الفضل بن سهل أخبره قال استقبل الرشيد وجوه أهل خراسان وفيهم الحسين بن مصعب قال ولقيني فقال لى الرشيد ميت أحد هذين اليومين وأمر محمد بن الرشيد ضعيف والأمر أمر صاحبك مُدّ يدك فمدّ يده فبايع للمأمون بالخلافة قال ثم أتانى بعد أيام ومعه الخليل بن هشام فقال هذا ابن أخى وهو لك ثقة خذ بيعته وكان المأمون قد رحل من مرو إلى قصر خالد بن حماد على فرسخ من مرو يريد سمرقند وأمر العباس بن المسيب بإخراج الناس واللحوق بالعسكر فمر به اسحاق الخادم ومعه نعى الرشيد فغم العباس قدومه فوصل إلى المأمون فأخبره فرجع المأمون إلى مرو ودخل دار الامارة دار أبى مسلم ونعى الرشيد على المنبر وشق ثوبه ونزل وأمر للناس بمال وبايع لمحمد ولنفسه وأعطى الجند رزق اثنى عشر شهراً قال ولما قرأ الذين وردت عليهم كتب محمد بطوس من القواد والجند وأولاد هارون تشاوروا فى اللحاق بمحمد فقال الفضل بن الربيع لا أدعُ ملكا حاضراً لآخر لا يدرى ما يكون من أمره وأمرَ الناس بالرحيل ففعلوا ذلك محبة منهم للحوق بأهلهم ومنازلهم ببغداد وتركوا العهود التى كانت أخذت عليهم للمأمون فانتهى الخبر بذلك من أمرهم إلى المأمون بمرو فجمع من معه من قواد أبيه فكان معه منهم عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ وشبيب ابن حميد بن قحطبة والعلاء مولى هارون والعباس بن المسيب بن زهير وهو على شرطته وأيوب بن أبى سمير وهو على كتابته وكان معه من أهل بيته عبد الرحمن ابن عبد الملك بن صالح وذو الرئاستين وهو عنده من أعظم الناس قدراً وأخصهم به فشاورهم وأخبرهم الخبر فأشاروا عليه أن يلحقهم فى ألفى فارس جريدة فيردّهم وسمى لذلك قوم فدخل عليه ذو الرئاستين فقال له إن فعلت ما

أشاروا به عليك جعلت هؤلاء هدية إلى محمد ولكن الرأى أن تكتب اليهم كتابا وتوجه اليهم رسولا فتذكرهم البيعة وتسألهم الوفاء وتحذرهم الحنث وما يلزمهم فى ذلك فى الدنيا والدين قال قلت له إن كتابك ورسلك تقوم مقامك فتستبرئ ما عند القوم وتوجه سهل بن صاعد وكان على قهرمته فانه يأملك ويرجو أن ينال أمله فلن يألوك نصحا وتوجه نوفلا الخادم مولى موسى أمير المؤمنين وكان عاقلا فكتب كتابا ووجههما فلحقاهم بنيسابور قد رحلوا ثلاث مراحل فذكر الحسن بن أبى سعد عن سهل بن صاعد أنه قال لما أوصلت إلى الفضل بن الربيع كتابه فقال لى انما أنا واحد منهم قال لى سهل وشد علىّ عبدالرحمن ابن جبلة بالرمح فأمره على جنبى ثم قال قل لصاحبك والله لو كنت حاضراً لوضعت الرمح فى فيك هذا جوابى قال ونال من المأمون فرجعت بالخبر قال الفضل بن سهل فقلت للمأمون أعداء قد استرحت منهم ولكن افهم عنى ما أقول لك ان هذه الدولة لم تكن قط أعز منها أيام أبى جعفر فخرج عليه المقنع وهو يدّعى الربوبية وقال بعضهم طلب بدم أبى مسلم فتضعضع العسكر بخروجه بخراسان فكفاه الله المؤنة ثم خرج بعده يوسف البرم وهو عند بعض المسلمين كافر فكفى الله المؤنة ثم خرج أستاذسيس يدعو إلى الكفر فسار المهدىّ من الرىّ إلى نيسابور فكفى المؤنة ولكن ما أصنع أكبر عليك أخبرنى كيف رأيت الناس حين ورد عليهم خبر رافع قال رأيتهم اضطربوا اضطرابا شديدا قلت وكيف بك وأنت نازل فى اخوالك وبيعتك فى أعناقهم كيف يكون اضطراب أهل بغداد اصبر وأنا أضمن لك الخلافة ووضعت يدى على صدرى قال قد فعلتُ وجعلتُ الأمر اليك فقم به قال قلت والله لأصدقنك إن عبدالله بن مالك ويحيى بن معاذ ومن سمينا من أمراء الرؤساء إن قاموا لك بالأمر كان أنفع منى لك برئاستهم المشهورة ولما عندهم من القوة على الحرب فمن قام بالأمر كنت خادما له حتى تصير إلى محبتك وترى رأيك فىّ فلقيتهم فى منازلهم وذكرتهم البيعة التى فى أعناقهم وما يجب عليهم من الوفاء قال فكأنى جئتهم بجيفة على طبق فقال بعضهم هذا لا يحل اخرج وقال بعضهم من الذى يدخل

بين أمير المؤمنين وأخيه فجئت وأخبرته قال قم بالأمر قال قلت قد قرأت القرآن وسمعت الأحاديث وتفقهت فى الدين فالرأى أن تبعث إلى من بالحضرة من الفقهاء فتدعوهم إلى الحق والعمل به وإحياء السنة وتقعد على اللبود وترد المظالم ففعلنا وبعثنا إلى الفقهاء وأكرمنا القواد والملوك وأبناء الملوك فكنا نقول للتميمى نقيمك مقام موسى بن كعب وللربعى مقام أبى داود خالد بن إبراهيم ولليمانى نقيمك مقام قحطبة ومالك بن الهيثم فكنا ندعو كل قبيلة إلى نقباء ورؤساء الدولة كاستمالتنا الرؤس وقلنا مثل ذلك وحططنا عن خراسان ربع الخراج فحسن موقع ذلك منهم وسروا به وقالوا ابن أختنا وابن عم النبى صلى الله عليه وسلم قال على بن إسحاق لما أفضت الخلافة إلى محمد وهدأ الناس ببغداد أصبح صبيحة السبت بعد بيعته بيوم فأمر ببناء ميدان حول قصر أبى جعفر فى المدينة للصوالجة واللعب فقال فى ذلك شاعر من أهل بغداد

بَنَى أمين اللهِ مَيدانا وصَيَّرَ الساحةَ بستانا
وكانتِ الغِزلانُ فيه بَانَا يُهدَى إليه فيه غزلانا

(وفى هذه السنة) شخصت أم جعفر من الرقة بجميع ما كان معها هنالك من الخزائن وغير ذلك فى شعبان فتلقاها ابنها محمد الأمين بالانبار فى جميع من كان ببغداد من الوجوه وأقام المأمون على ما كان يتولى من عمل خراسان ونواحيها إلى الرى وكاتب الأمين وأهدى اليه هدايا كثيرة وتوارت كتب المأمون إلى محمد بالتعظيم والهدايا اليه من طرف خراسان من المتاع والآنية والمسك والدواب والسلاح (وفى هذه السنة) دخل هرثمة حائط سمرقند ولجأ رافع إلى المدينة الداخلة وراسل رافع الترك فوافوه فصار هرثمة بين رافع والترك ثم انصرف الترك فضعف رافع * وقتل فى هذه السنة نقفور ملك الروم فى حرب برجان وكان ملكه فيما قيل سبع سنين وملك بعده استبراق بن نقفور وهو مجروح فبقى شهرين فمات وملك ميخائيل بن جورجس ختنه على أخته (وحج بالناس) فى هذه السنة داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على وكان والى مكة * وأقر محمد

ابن هارون أخاه القاسم بن هارون فى هذه السنة على ما كان أبوه هارون ولاه من عمل الجزيرة واستعمل عليها خزيمة بن خازم وأقر القاسم على قنسرين والعواصم

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

فمن ذلك ما كان من مخالفة أهل حمص عاملهم إسحاق بن سليمان وكان محمد ولاه إياها فلما خالفوه انتقل إلى سلمية فصرفه محمد عنهم وولى مكانه عبد الله بن سعيد الحرشى ومعه عافية بن سليمان فحبس عدة من وجوههم وضرب مدينتهم من نواحيها بالنار وسألوه الأمان فأجابهم وسكنوا ثم هاجوا فضرب أيضا أعناق عدة منهم (وفيها) عزل محمد أخاه القاسم عن جميع ما كان أبوه هارون ولاه من عمل الشأم وقنسرين والعواصم والثغور وولى مكانه خزيمة بن خازم وأمره بالمقام بمدينة السلام (وفى هذه السنة) أمر محمد بالدعاء لابنه موسى على المنابر بالإمرة (وفيها) مكر كل واحد منهما بصاحبه محمد الأمين وعبد الله المأمون وظهر بينهما الفساد

ذكر الخبر عن سبب ذلك

ذكر أن الفضل بن الربيع فكر بعد مقدمه العراق على محمد منصرفا عن طوس وناكثا للعهود التى كان الرشيد أخذها عليه لابنه عبد الله وعلم أن الخلافة إن أفضت إلى المأمون يوما وهو حى لم يبق عليه وكان فى ظفره به عطبه فسعى فى إغراء محمد به وحثه على خلعه وصرف ولاية العهد من بعده إلى ابنه موسى ولم يكن ذلك من رأى محمد ولا عزمه بل كان عزمه فيما ذكر عنه الوفاء لأخويه عبد الله والقاسم بما كان أخذ عليه لهما والده من العهود والشروط فلم يزل الفضل به يصغر فى عينه شأن المأمون ويزين له خلعه حتى قال له ما تنتظر يا أمير المؤمنين بعبد الله والقاسم أخويك فان البيعة كانت لك متقدمة قبلهما وإنما أدخلا فيها بعدك واحدا بعد واحد وأدخل فى ذلك من رأيه معه على بن عيسى بن ماهان والسندى وغيرهما ممن بحضرته

فأزال محمدا عن رأيه فأول مابدأبه محمد عن رأى الفضل بن الربيع فيما دبر من ذلك أن كتب إلى جميع العمال فى الأمصار كلها بالدعاء لابنه موسى بالامرة بعد الدعاء له وللمأمون والقاسم بن الرشيد فذكر الفضل بن إسحاق بن سليمان أن المأمون لما بلغه ماأمر محمد من الدعاء لابنه موسى وعزله القاسم عما كان الرشيد ضم اليه من الأعمال وإقدامه اياه مدينة السلام علم أنه يدبر عليه فى خلعه فقطع البريد عن محمد وأسقط اسمه من الطرز وكان رافع بن الليث بن نصر بن سيار لما انتهى اليه من الخبر عن المأمون وحسن سيرته فى أهل عمله وإحسانه اليهم بعث فى طلب الأمان لنفسه فسارع إلى ذلك هرثمة وخرج رافع فلحق بالمأمون وهرثمة بعد مقيم بسمرقند فأكرم المأمون رافعا وكان مع هرثمة فى حصار رافع طاهر بن الحسين ولما دخل رافع فى الأمان استأذن هرثمة المأمون فى القدوم عليه فعبر نهر بلخ بعسكره والنهر جامد فتلقاه الناس وولاه المأمون الحرس فأنكر ذلك كله محمد فبدأ بالتدبير على المأمون فكان من التدبير أنه كتب إلى العباس بن عبدالله بن مالك وهو عامل المأمون على الرى وأمره أن يبعث اليه بغرائب غروس الرى مريداً بذلك امتحانه فبعث اليه ماأمره به وكتب المأمون وذا الرئاستين فبلغ ذلك من أمره المأمون فوجه الحسن بن علىّ المأمونى وأردفه بالرسهمى على البريد وعزل العباس بن عبدالله بن مالك فذكر عن الرسهمى أنه لم ينزل عن دابته حتى اجتمع اليه ألف رجل من أهل الرى ووجه محمد إلى المأمون ثلاثة أنفس رسلا أحدهم العباس بن موسى بن عيسى والآخر صالح صاحب المصلى والثالث محمد بن عيسى بن نهيك وكتب معهم كتابا إلى صاحب الرى أن استقبلهم بالعدة والسلاح الظاهر وكتب إلى والى قومس ونيسابور وسرخس بمثل ذلك ففعلوا ثم وردت الرسل مرو وقد أعد لهم من السلاح وضروب العدد والعتاد ثم صاروا إلى المأمون فأبلغوه رسالة محمد بمسألته تقديم موسى على نفسه ويذكر له أنه سماه الناطق بالحق وكان الذى أشار عليه بذلك علىّ بن عيسى بن ماهان وكان يخبره أن أهل خراسان يطيعونه فرد المأمون ذلك وأباه قال فقال لى ذو الرئاستين قال العباس بن موسى بن عيسى بن موسى وماعليك أيها الأمير من

ذلك فهذا جدى عيسى بن موسى قد خلع فما ضره ذلك قال فصحْت به اسكت فان جدك كان فى أيديهم أسيراً وهذا بين أخواله وشيعته قال فانصرفوا وأنزل كل واحد منهم منزلا قال ذو الرئاستين فأعجبنى مارأيت من ذكاء العباس بن موسى فخلوت به فقلت يذهب عليك فى فهمك وسنك أن تأخذ بحظك من الإمام وسُمّى المأمون فى ذلك اليوم بالإمام ولم يسم بالخلافة وكان سبب ماسمى به الإمام ماجاء من خلع محمد له وقد كان محمد قال للذين أرسلهم قد تسمى المأمون بالإمام فقال لى العباس قد سميتموه الامام قال قلت له قد يكون امام المسجد والقبيلة فان وفيتم لم يضركم وإن غدرتم فهو ذاك قال ثم قلت للعباس لك عندى ولاية الموسم ولا ولاية أشرف منها ولك من مواضع الأعمال بمصر ماشئت قال فما برح حتى أخذت عليه البيعة للمأمون بالخلافة فكان بعد ذلك يكتب الينا بالأخبار ويشير علينا بالرأى قال فأخبرنى علىّ بن يحيي السَرَخسيّ قال مر بى العباس بن موسى ذاهبا إلى مرو وقد كنت وصفت له سيرة المأمون وحسن تدبير ذى الرئاستين واحتماله الموضع فلم يقبل ذلك منى فلما رجع مر بى فقلت له كيف رأيت قال ذو الرئاستين أكثر مما وصفت فقلت صافحت الإمام قال نعم قلت امسح يدك على رأسى قال ومضى القوم إلى محمد فأخبروه بامتناعه قال فألحّ الفضل بن الربيع وعلىّ بن عيسى على محمد فى البيعة لابنه وخلع المأمون وأعطى الفضل الأموال حتى بايع لابنه موسى وسماه الناطق بالحق وأحضنه علىّ بن عيسى وولاه العراق قال وكان أول من أخذ له البيعة بشر بن السَّمَيدع الأزدى وكان واليا على بلد ثم أخذها صاحب مكة وصاحب المدينة على خواص من الناس قليل دون العامة قال ونهى الفضل بن الربيع عن ذكر عبدالله والقاسم والدعاء لهما على شىء من المنابر ودس لذكر عبدالله والوقيعة فيه ووجه إلى مكة كتابا مع رسول من حجبة البيت يقال له محمد بن عبد الله بن عثمان بن طلحة فى أخذ الكتابين اللذين كان هارون كتبهما وجعلهما فى الكعبة لعبدالله على محمد فقدم بهما عليه وتكلم فى ذلك بقية الحجبة فلم يحفل بهم وخافوا على أنفسهم فلما صار بالكتابين إلى محمد قبضهما منه وأجازه بجائزة عظيمة ومزقهما

وأبطلهما وكان محمد فيما ذكر كتب إلى المأمون قبل مكاشفة المأمون إياه بالخلاف عليه يسأله أن يتجافى له عن كور من كور خراسان سماها وأن يوجه العمال اليها من قِبَل محمد وأن يحتمل توجيه رجل من قِبله يوليه البريد عليه ليكتب اليه بخبره فلما ورد إلى المأمون الكتاب بذلك كبر ذلك عليه واشتد فبعث إلى الفضل بن سهل وإلى أخيه الحسن فشاورهما فى ذلك فقال الفضل الأمر مخطر لك من شيعتك وأهل بيتك بطانة ولهم تأنيس بالمشاورة وفى قطع الأمر دونهم وحشة وظهور قلة ثقة فرأى الأمير فى ذلك وقال الحسن كان يقال شاور فى طلب الرأى من تثق بنصيحته وتألف العدو فيما لا اكتتام له بمشاورته فأحضر المأمون الخاصة من الرؤساء والأعلام وقرأ عليهم الكتاب فقالوا جميعاً له أيها الأمير تشاور فى مخطر فاجعل لبديهتنا حظا من الروية فقال المأمون ذلك هو الحزم وأجلهم ثلاثا فلما اجتمعوا بعد ذلك قال أحدهم أيها الأمير قد حملت على كرهين ولست أرى خطأ مدافعة بمكروه أولهما مخافة مكروه آخرهما وقال آخر كان يقال أيها الأمير أسعدك الله إذا كان الأمر مخطراً فإعطاؤك من نازعك طرفا من بغيته أمثلُ من أن تصير بالمنع إلى مكاشفته وقال آخر إنه كان يقال إذا كان علم الأمور مغيبا عنك فخذ ما أمكنك من هدية يومك فإنك لا تأمن أن يكون فساد يومك راجعا بفساد غدك وقال آخر لئن خفت للبذل عاقبة إن أشد منها لما يبعث إلا نأمن الفرقة وقال آخر لا أرى مفارقه منزلة سلامة فلعلى أعطى معها العافية فقال الحسن فقد وجب حقكم باجتهادكم وإن كنت من الرأى على مخالفتكم قال المأمون فناظرهم قال لذلك ما كان الاجتماع وأقبل الحسن عليهم فقال هل تعلمون أن محمدا تجاوز إلى طلب شىء ليس له بحق قالوا نعم ويحتمل ذلك لمن نخاف من ضرر منعه قال تثقون بكفه بعد إعطائه إياها فلا يتجاوز الطلب إلى غيرها قالوا لا ولعل سلامة تقع من دون ما تخاف وتتوقع قال فان تجاوز بعدها بالمسألة أفما ترونه قد توهن بما بذل منها فى نفسه قالوا ندفع ما يعرض له فى عاقبه بمدافعة ما تتجزون فى عاجله قال فهذا خلاف ما سمعناه من قول الحكماء قبلنا قالوا استصلح عاقبة أمرك باحتمال

ماعرض من كره يومك ولا تلتمس هدية يومك باخطار أدخلته على نفسك فى غدك قال المأمون للفضل ماتقول فيما اختلفوا فيه قال أيها الأمير أسعدك الله هل يؤمن محمد أن يكون طلبك بفضل قوتك ليستظهر بها عليك غدا على مخالفتك وهل يصير الحازم إلى فضلة من عاجل الدعة بخطر يتعرض له فى عاقبه بل إنما أشار الحكماء بحمل ثقل فيما يرجون به صلاح عواقب أمورهم فقال المأمون بل بإيثار العاجلة صار من صار إلى فساد العاقبة فى أمر دنيا وآخرة قال القوم قد قلنا بمبلغ الرأى والله يؤيد الأمير بالتوفيق فقال اكتب يافضل اليه فكتب قد بلغنى كتاب أمير المؤمنين يسأل التجافى عن مواضع سماها مما أثبته الرشيد فى العقد وجعل أمره إلىّ وماأمر رآه أمير المؤمنين أحد يجاوز أكثره غير أن الذى جعل إلىّ الطرف الذى أنا به لاظنين فى النظر لعامته ولا جاهل بما أسند إلىّ من أمره ولو لم يكن ذلك مثبتاً بالعهود والمواثيق المأخوذة ثم كنت على الحال التى أنا عليها من إشراف عدو مخوف الشوكة وعامة لا تتألف عن هضمها وأجناد لا يستتبع طاعتها الا بالأموال وطرف من الإفضال لكان فى نظر أمير المؤمنين لعامته ومايحب من لمّ أطرافه مايوجب عليه أن يقسم له كثيراً من عنايته وأن يستصلحه ببذل كثير من ماله فكيف بمسألة ماأوجبه الحق ووكدته مأخوذة العهد وإنى لأعلم أن أمير المؤمنين لو علم من الحال ماعلمتُ لم يُطلع ما كتب بمسألته إلىّ ثم أنا على ثقة من القبول بعد البيان إن شاء الله وكان المأمون قد وجه حارسة إلى الحد فلا يجوز رسول من العراق حتى يوجهوه مع ثقات من الأمناء ولا يدعه يستعلم خبراً ولا يؤثر أثراً ولا يستتبع بالرغبة ولا بالرهبة أحداً ولا يبلغ أحداً قولا ولا كتاباً فحصر أهل خراسان من أن يستمالوا برغبة أوأن تودع صدورهم رهبة أو يحمّلوا على منوّل خلاف أو مفارقة ثم وضع على مراصد الطرق ثقات من الحراس لايجوز عليهم إلامن لايدخل الظنة فى أمره ممن أتى بجواز فى مخرجه إلى دار مآبه أو تاجر معروف مأمون فى نفسه ودينه ومُنع الأشتاتات من جواز السبل والقطع بالمتاجر والوغول فى البلدان فى هيئة الطارئة والسابلة وفتشت

الكتب وكان أول من أقبل من قبل محمد مناظراً فى منعه ما كان سأل جماعة وإنما وُجّهوا ليعْلَم أنهم قدعاينوا وسمعوا ثم يلتمس منهم أن يبذلوا ويحرموا فيكون مما قالوا حجة يحتج بها أو ذريعة إلى ماالتمس فلما صاروا إلى حدّ الرىّ وجدوا تدبيراً مؤيداً وعقداً مستحصداً متأكداً وأخذتهم الأحراس من جوانبهم فحفظوا فى حال خلعهم وإقامتهم من أن يخبروا أو يستخبروا وكتب بخبرهم من مكانهم فجاء الإذن فى حملهم فحملوا محرسين لاخبر يصل اليهم ولا خبر يتطلع منهم إلى غيرهم وقد كانوا مُعَدّين لبثّ الخبر فى العامة وإظهار الحجة المفارقة والدعاء لأهل القوة إلى المخالفة يبذلون الأموال ويضمنون لهم معظم الولايات والقطائع والمنازل فوجدوا جميع ذلك ممنوعا محسوما حتى صاروا إلى باب المأمون وكان الكتاب النافذ إلى المأمون أما بعد فان أمير المؤمنين الرشيد وإن كان أفردك بالطرف وضم ماضم اليك من كور الجبل تأييداً لأمرك وتحصينا لطرفك فان ذلك لا يوجب لك فضلة المال عن كفايتك وقد كان هذا الطرف وخراجه كافياً لحدثه ثم تتجاوز بعد الكفاية إلى مايفضل من رده وقد ضم لك إلى الطرف كوراً من أمهات كور الأموال لا حاجة لك فيها فالحق فيها أن تكون مردودة فى أهلها ومواضع حقها فكتبت إليك أسألك رد تلك الكور إلى ما كانت عليه من حالها ليكون فضول ردها مصروفة إلى مواضعها وأن تأذن لقائم بالخبر يكون بحضرتك يؤدى إلينا علم ما نعنى به من خبر طرفك فكتبت تلط دون ذلك بما إن تم أمرك عليه صيرنا الحق إلى مطالبتك فاثن عن همك أثن عن مطالبتك إن شاء الله فلما قرأ المأمون الكتاب كتب مجيباً له أما بعد فقد بلغنى كتاب أمير المؤمنين ولم يكتب فيما جهل فأكشف له عن وجهه ولم يسأل مالا يوجبه حق فيلزمنى الحجة بترك اجابته وانما يتجاوز المناظر إن منزلة النصفة ما ضاقت النصفة عن أهلها فمتى تجاوز متجاوز وهى موجودة الوسع ولم يكن تجاوزها إلا عن نقضها واحتمال مافى تركها فلا تبعثنى يا ابن أبى على مخالفتك وأنا مذعن بطاعتك ولا على قطيعتك وأنا على ايثار ما تحب من صلتك وارض بما حكم به الحق فى أمرك أكن بالمكان

الذى أنزلنى به الحق فيما بينى وبينك والسلام ثم أحضر الرسل فقال إن أمير المؤمنين كتبت اليه فى أمر كتب إلىّ جوابه فأبلغوه الكتاب وأعلموه أنى لا أزال على طاعته حتى يضطرنى بترك الحق الواجب إلى مخالفته فذهبوا يقولون فقال قفوا أنفسكم حيث وقفنا بالقول بكم وأحسنوا تأدية ما سمعتم فقد أبلغتمونا من كتابنا مالا عسى أن تقولوه لنا فانصرف الرسل فلم يثبتوا لأنفسهم حجة ولم يحملوا اخبراً يؤدونه الى صاحبهم ورأوا اجداً غير مشوب بهزل فى منع مالهم من حقهم الواقع بزعمهم فلما وصل كتاب المأمون الى محمد وصل منه مافظع به وتخمط غيظا بما تردد منه وأمر عند ذلك بما ذكرناه من الإمساك للدعاء له على المنابر وكتب اليه أما بعد فقد بلغنى كتابك عامطاً لنعمة الله عليك فيما مكّن لك من ظلها متعرضا لحراق نار لا قِبل لك بها ولحطك عن الطاعة كان أودع وان كان قد تقدم منى متقدم فليس بخارج من مواضع نفعك إذ كان راجعا على العامة من رعيتك وأكثر من ذلك ما يمكن لك من منزلة السلامة ويثبت لك من حال الهدنة فأعلمنى رأيك أعمل عليه ان شاء الله وذكر سهل بن هارون عن الحسن بن سهل ان المأمون قال لذى الرئاستين ان ولدى وأهلى ومالى الذى أفرده الرشيد لى بحضرة محمد وهو مائة ألف ألف وأنا اليها محتاج وهى قِبله فما ترى فى ذلك وراجعه مراراً فقال له ذو الرئاستين أيها الأمير بك حاجة الى فضلة مالك وأن يكون أهلك فى دارك وجنابك وان أنت كتبت فيه كتاب عزمة فمنعك صار الى خلع عهده فان فعل حملك ولو بالكره على محاربته وأنا أكره ان تكون المستفتح باب الفرقة ما أرتجه الله دونك ولكن تكتب كتاب طالب لحقك وتوجه أهلك على ما لا يوجب عليه المنع نكثا لعهدك فان أطاع فنعمة وعافية وان أبى لم تكن تبعث على نفسك حربا فاكتب اليه فكتب عنه أما بعد فإن نظر أمير المؤمنين للعامة نظر من لا يقتصر عنه على اعطاء النصفة من نفسه حتى يتجاوزها اليهم ببره وصلته اذ كان ذلك رأيه فى عامته فأحر بأن يكون على مجاوزة ذلك بصنوه وقسيم نسبه فقد تعلم ياأمير المؤمنين حالا أنا عليها من ثغور حللت بين لهواتها وأجناد لا تزاله

موقنة بنشر غيها وبنكث آرائها وقلة الخرج قبلى والأهل والولد والمال قبل أمير المؤمنين وما للأهل وإن كانوا فى كفاية من بر أمير المؤمنين فكان لهم والدا بُد من الإشراف والنزوع إلى كنفى ومالى بالمال من القوة والظهير على لمّ الشعث بحضرتى وقد وجهت لحمل العيال وحمل ذلك المال فرأى أمير المؤمنين فى إجازة فلان إلى الرقة فى حمل ذلك المال والأمر بمعونته عليه غير محرج له فيه إلى ضيقة تقع بمخالفته أو حامل له على رأى يكون على غير موافقة والسلام فكتب إليه محمد أما بعد فقد بلغنى كتابك بما ذكرت مما عليه رأى أمير المؤمنين فى عامته فضلا عما يجب من حق لذى حرمته وخليط نفسه ومحلك بين لهوات ثغور وحاجتك لمحلك بينها إلى فضلة من المال لتأييد أمرك والمال الذى سمى لك من مال الله وتوجيهك من وجهت فى حمله وحمل أهلك من قبل أمير المؤمنين ولعمرى ما ينكر أمير المؤمنين رأيا هو عليه مما ذكرت لعامته وما يوجب عليه من الحوق أقربيه وعامته وبه إلى ذلك المال الذى ذكرت حاجة فى تحصين أمور المسلمين فكان أولى به إجراؤه منه على فرائضه ورده على مواضع حقه وليس بخارج من نفعك ما عاد بنفع العامة من رعيتك وأما ما ذكرت من حمل أهلك فان رأى أمير المؤمنين تولى أمرهم وإن كنت بالمكان الذى أنت به من حق القرابة ولم أر من حملهم على سفرهم مثل الذى رأيت من تعريضهم بالسفر للتشتت وإن رأى ذلك من قبلى أوجههم إليك مع الثقة من رسلى إن شاء الله والسلام قال ولما ورد الكتاب على المأمون قال لاَطَّ دون حقنا يريد أن نتوهن مما يمنع من قوتنا ثم يتمكن للوهنة من الفرصة فى مخالفتنا فقال له ذو الرئاستين أو ليس من المعلوم دفع الرشيد ذلك المال إلى الأمين لجمعه وقبض الأمين إياه على أعين الملإ من عامته على أنه يحرسه قنية فهو لا ينزع إليها فلا تأخذ عليه مضايقها وأمل له ما لم يضطرك جريرته إلى مكاشفته بها والرأى لزوم عروة الثقة وحسم الفرقة فان تطلع إليها فقد تعرض لله بالمخالفة وتعرضت منه بالإمساك للتأييد والمعونة قال وعلم المأمون والفضل أنه سيحدث بعد كتابه من الحدث ما يحتاج إلى علمه ومن الخبر ما يحتاج

أن يباشره بالثقة من أصحابه وأنه لايحدث فى ذلك حدثاً دون مواطأة رجال النباهة والأقدار من الشيعة وأهل السابقة فرأى أن يختار رجلا يكتب معه إلى أعيان أهل العسكر من بغداد فان أحدث محمد خلعا للمأمون صار إلى ذويها وتلطف لعلم حالات أهلها وإن لم يفعل من ذلك شىء حبس فى حقته وأمسك عن إيصالها وتقدم إليه فى التعجيل ولما قدم واصل الكتب وكان كتابه مع الرسول الذى وجهه لعلم الخبر أما بعد فان أمير المؤمنين كأعضاء البدن يحدث العلة فى بعضها فيكون كره ذلك مؤلما لجميعها وكذلك الحدث فى المسلمين يكون فى بعضهم فيصل كره ذلك إلى سائرهم للذى يجمعهم من شريعة دينهم ويلزمهم من حرمة آخرتهم ثم ذلك من الأئمة أعظم للمكان الذى به الأئمة من سائر أممهم وقد كان من الخبر مالا أحسبه إلا سيعود عن مجيئه ويسفر وعما ستر وما اختلف مختلفان فكان أحدهما أزمع على الغدر إلا كان أول معونة المسلمين وموالاتهم فى ذات الله وأنت يرحمك الله من الأمر بمرأى ومسمع وبحيث إن قلت آذن لقولك وإن لم تجد للقول مساغا فأمسكت عن مخوف أقتدى فيه بك ولن يضيع على الله ثواب الإحسان مع مايجب علينا بالإحسان من حقك وحُظّ حازلك النصيبين أو إحداهما أمثل من الإشراف لأحد الحظين مع التعرض لغدمهما فاكتب إلىّ برأيك وأعلم ذلك لرسولى ليؤديه إلىّ عنك إن شاء الله وكتب إلى رجال النباهة من أهل العسكر بمثل ذلك قال فوافق قدوم الرسول بغداد ماأمر به من الكفّ عن الدعاه للمأمون فى الخطبة يوم الجمعة وكان بمكان الثقة من كل من كتب اليه معه فمنهم من أمسك عن الجواب وأعرب للرسول عما فى نفسه ومنهم من أجاب عن كتابه وكتب أحدهم أمابعد فقد بلغنى كتابك وللحقّ برهان يدل على نفسه يثبت به الحجة على كل من صار إلى مفارقته فكفى غبناً بإضاعة حظ من حظ العاقبة لما مُوّل من حظ عاجله وأبين فى الغبن إضافة حظ عاقبه فى التعرض للنكبة والوقائع ولى من العلم بمواضع خطر ماأرجو أن يحسن معه النظر منى لنفسى ويضع عنى مؤنة استزادتى إن شاء الله قال وكتب الرسول الموجه إلى

بغداد إلى المأمون وذى الرئاستين أما بعد فانى وافيت البلدة وقد أعلن خليطك بتنكيره وقدّم علماً من اعتراضه ومفارقته بحضرته ودفعت كتبك فوجدت أكثر الناس ولاة السريرة ونقاة العلانية ووجدت المستمالين بالرغبة لا يحوطون إلا عنها ولا ينالون ما احتملوا فيها والمنازع مختلج الرأى لا يجد دافعا منه عن همه ولا راغبا فى عامه والمحلون بأنفسهم تحلون تمام الحدث ليسلموا من منهزم حدثهم والقوم على جد ولا تجعلوا للتوادى إن شاء الله والسلام قال ولما قدم على محمد من معسكر المأمون سعيد بن مالك بن قادم وعبدالله بن حميد بن قحطبة والعباس ابن الليث مولى أمير المؤمنين ومنصور بن أبى مطر وكثير بن قادرة فألطفهم وقربهم وأمر لمن كان قبض منهم الستة الأشهر برزق اثنى عشر شهراً وزادهم فى الخاصة والعامة ولمن لم يقبضها بثمانية عشر شهراً قال ولما عزم محمد على خلع المأمون دعا يحيى بن سليم فشاوره فى ذلك فقال يحيى يا أمير المؤمنين كيف بذلك لك مع ما قد وكد الرشيد من بيعته وتوثق بها من عهده والأخذ للإيمان والشرائط فى الكتاب الذى كتبه فقال له محمد إنّ رأى الرشيد كان فلتة شبهها عليه جعفر بن يحيى بسحره واستماله برقاه وعقده فغرس لنا غرسا مكروها لا ينفعنا ما نحن فيه معه إلا بقطعه ولا يستقيم لنا الأمور إلا باجتثاثه والراحة منه فقال أما إذا كان رأى أمير المؤمنين خلعه فلا تجاهره مجاهرة فيستنكرها الناس ويستشنعها العامة ولكن تستدعى الجند بعد الجند والقائد بعد القائد وتؤنسه بالإلطاف والهدايا وتفرق ثقاته ومن معه وترغبهم بالأموال وتستميلهم بالأطماع فاذا أوهنتَ قوته واستفرغتَ رجاله أمرته بالقدوم عليك فان قدم صار إلى الذى تريد منه وإن أبى كنت قد تناولته وقد كلّ حده وهيض جناحه وضعف ركنه وانقطع عزه فقال محمد ما أقطع أمراً كصريمة أنت مهذار خطيب ولستَ بذى رأى فزل عن هذا الرأى إلى الشيخ الموفق والوزير الناصح قم فالحق بمدادك وأقلامك فقال يشوبه صدق ونصيحة وأشرت إلى رأى يخالطه غش وجهل قال فوالله ما ذهبت الأيامُ حتى ذكر كلامه وفرعنه بخطئه وخُرْفِه وقال سهل بن هارون

وقد كان الفضل بن سهل دس قوما اختارهم ممن يثق به من القواد والوجوه ببغداد ليكاتبوه بالأخبار يوما يوما فلما هم محمد بخلع المأمون بعث الفضل بن الربيع إلى أحد هؤلاء الرجال يشاوره فيما يرى من ذلك فعظم الرجل عليه أمر نقض العهد للمأمون وقبح الغدر به فقال له الفضل صدقت ولكن عبد الله قد أحدث الحدث الذى وجب به نكض ما أخذ الرشيد له قال أفثبتت الحجة عند العوام بمعلوم حدثه كما تثبت الحجة بما جدد من عهده قال لا قال أفحدث هذا منكم يوجب عند العامة نقض عهدكم مالم يكن حدثه معلوما يجب به فسخ عهده قال نعم قال الرجل ورفع صوته بالله ما رأيت كاليوم رأى رجل يرتاد به النظر يشاور فى رفع ملك فى يده بالحجة ثم يصير إلى مطالبته بالعناد والمغالبة قال فأطرق الفضل مليا ثم قال صدقتنى الرأى وأجملت نقل الأمانة ولكن أخبرنى إن نحن أعضنا من قالة العامة ووجدنا مساعدين من شيعتنا وأجنادنا فما القول قال أصلحك الله وهل أجنادك إلا من أحد عامتك فى أحد بيعتهم وتمكن برهان الحق فى قلوبهم أفليسوا وإن أعطوك ظاهر طاعتهم مع ما تأكد من وثائق العهد فى معارفهم فانه لا طاعة دون أن يكون على تثبت من البصائر قال نرغبهم بتشريف حظوظهم قال إذاً يصيروا إلى الثقل ثم إلى خذلانك عند حاجتك إلى مناصحتهم قال فما ظنك بأجناد عبد الله قال قوم على بصيرة من أمرهم لتقدم سعيهم وما يتعاهدون من خطبهم قال فما ظنك بعامتهم قال قوم كانوا فى بلوى عظيمة من تحيف ولاتهم فى أموالهم ثم فى أنفسهم صاروا به إلى الأمنية من المال والرفاغة فى المعيشة فهم يدافعون عن نعمة حادثة لهم ويتذكرون بلية لا يأمنون العودة اليها فلا سبيل إلى استفساد عظماء البلاد عليه ليكون محاربتنا إياه بالمكيدة من ناحيته ولا بالزحوف نحوه لمناجزته لمحبة الضعفاء له قد صاروا إليها لما نالوا به من الأمان والنصفة وأما ذو القوة فلم يجدوا مطعنا ولا موضع حجة والضعفاء السواد الأكبر قال ما أراك بقيت لنا موضع رأى فى اعتراء الى أجناده ولا تمكن النظر فى ناحيته بأجنادنا ثم أشد من ذلك ماقلت به من وهنة أجنادنا وقوة أجناده فى مخالفته وما تسخو نفس أمير المؤمنين

بترك مايعرف من حقه ولا نفسى بالهدنة مع تقدم جرى فى أمره وربما أقبلت الأمور مشرفة بالمخافة ثم تكشف عن الصلح والدرك فى العاقبة ثم تفرقا قال وكان الفضل بن الربيع أخذ بالمراصد لئلا تجاوز الكتب الحد فكتب الرسول مع امرأة وجعل الكتاب وديعة فى عود منقور من أعواد الأكاف وكتب الى صاحب البريد بتعجيل الخبر وكانت المرأة تمضى على المسالح كالمجتازة من القرية الى القرية لاتهاج ولا تفتش وجاء الخبر الى المأمون موافقا لسائر ماورد عليه من الكتب قد شهد بعضها ببعض فقال لذى الرئاستين هذه أمور قد كان الرأى أخبر عن عينها ثم هذه طوالع تخبر عن أواخرها وكفانا أن تكون مع الحق ولعل كرها يسوق خيراً قال وكان أول مادبّره الفضل بن سهل بعد ترك الدعاء للمأمون وصحة الخبر أن جَمَعَ الأجناد التى كان أعدها بجنبات الرىّ مع أجناد قد كان مكنها فيها وأجناد للقيام بأمرهم وكان البلاد أجدبت بحضرهم فأعدلهم من الحمولة مايحمل اليهم من كل فج وسبيل حتى مافقدوا شيئا احتاجوا اليه وأقاموا بالحد لا يتجاوزونه ولا يطلقون يداً بسوء فى عامة ولا مجتاز ثم أشخص طاهر بن الحسين فيمن ضم اليه من قواده وأجناده فسار طاهر مغذاً لا يلوى على شىء حتى ورد الرى فنزلها ووكل بأطرافها ووضع مسالحه وبث عيونه وطلائعه فقال بعض شعراء خراسان

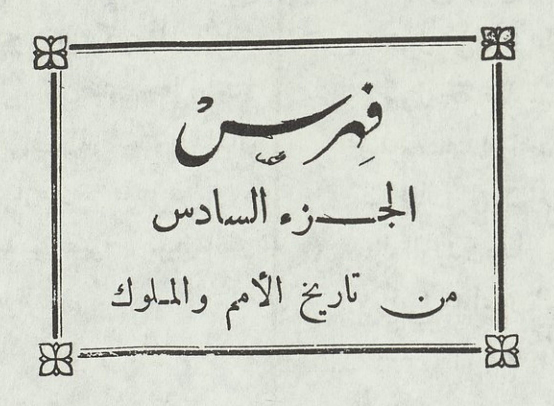
رمى أهلَ العراقِ ومن عليها إمامُ العَدْلِ والملكُ الرشيدُ
بأحْزَمِ مَنْ مَشَى رأياً وحَزْما وَكيداً نافذاً فيما يَكِيدُ
بِدَاهِيَــةٍ تَأدُّ خنفَقيــقٍ يَشِيبُ لِهَوْلِ صَوْلَتِها الوَليدُ

وذكر أن محمداً وجه عِصمة بن حماد بن سالم إلى همذان فى ألف رجل وولاه حرب كور الجبل وأمره بالمقام بهمذان وأن يوجه مقدمته إلى ساوةَ واستخلف أخاه عبد الرحمن بن حماد على الحرس وجعل الفضلُ بن الربيع وعلى بن عيسى يلهّبان محمداً ويبعثانه على خلع المأمون والبيعة لابنه موسى ﴿وفى هذه السنة﴾ عقد محمد بن هارون فى شهر ربيع الأول لابنه موسى على جميع ما استخلفه عليه وجعل صاحب أمره كله علىّ بن عيسى بن ماهان وعلى شُرطه محمد بن عيسى بن

نهيك وعلى حرسه عثمان بن عيسى بن نهيك وعلى خراجه عبد الله بن عبيدة وعلى ديوان رسائله علىّ بن صالح صاحب المصلى ﴿ وفى هذه السنة ﴾ وثب الروم على ميخائيل صاحب الروم فهرب وترهب وكان ملكه سنتين فيما قيل ﴿ وفيها ﴾ ملك على الروم ليون القائد ﴿ وفيها ﴾ صرف محمد بن هارون اسحاق بن سليمان عن حمص وولاها عبد الله بن سعيد الحرشى ومعه عافية بن سليمان فقتل عدة من وجوههم وحبس عدة وحرق مدينتهم من نواحيها بالنار فسألوه الأمان فأجابهم فسكنوا ثم هاجوا فضرب أعناق عدة منهم

(تمّ - بعون الله وحسن توفيقه - الجزء السادس)

(ويليه - إن شاء الله - الجزء السابع ؛ وأوله : سنة خمس وتسعين ومائة)



فهرس

الجزء السادس

من تاريخ الأمم والملوك

صفحة

٢ (سنة ١٢٨) وقتل الحارث بن سريج بخراسان
١٥ قتل الضحاك بن قيس الخارجى وذكر الخبر عن سبب مقتله
١٦ قتل الخيبرى الخارجى وسبب مقتله
١٧ توجيه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة إلى العراق لحرب من بها من الخوارج
١٨ (سنة ١٢٩) هلاك شيبان بن عبد العزيز اليشكرى أبى الدلفاء
٢٢ أمر ابراهيم بن محمد بن على أبا مسلم بالانصراف إلى شيعته بخراسان
٢٨ تغلب خازم بن خزيمة علي مرو روذ وقتله عامل نصر بن سيار الذى كان عليها
٣٢ تحالف من كان بخراسان من قبائل العرب علي قتال أبى مسلم
٣٥ ذكر الخبر عن مقتل جديع بن علي الكرمانى وصلبه
٣٨ غلب عبد الله بن معاوية على فارس وذكر سبب الغلبة عليها
٤١ خبر أبو حمزة الخارجى واظهاره الخلاف علي مروان بن محمد
٤٣ (سنة ١٣٠) دخول أبى مسلم حائط مرو ونزوله دار الامارة بها
٥٠ قتل شيبان بن سلمة الحرورى وقتل أبو مسلم عليا وعثمان ابنى جديع الكرمانى
٥٢ قدوم قحطبة بن شبيب علي أبى مسلم خراسان وتوجيهه إلى نيسابور للقاء نصر
٥٤ قتل نباتة بن حنظلة وذكر الخبر عن مقتله
٥٦ الوقعة التى كانت بقديد بين أبى حمزة الخارجى وأهل المدينة
٦٠ دخول أبى حمزة الخارجى مدينة رسول الله صلي الله عليه وسلم وهروب عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلى الشأم
٦٢ بناء الوليد بن هشام حصن مرعش ووقوع الطاعون بالبصرة
٦٣ (سنة ١٣١) وذكر ما فيها من الأحداث
٦٤ تحول أبى مسلم من مرو إلى نيسابور وقتل عامر بن ضبارة وسبب مقتله
٦٦ وقعة قحطبة بنهاوند
٦٨ وقعة أبى عون بشهرزور ومسير قحطبة نحو ابن هبيرة
٧٠ (سنة ١٣٢) هلاك قحطبة بن شبيب
٧٤ خروج محمد بن خالد بالكوفة
٧٨ حلافة أبى العباس عبد الله بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس

صفحة

٨٧ وقعة مروان بن محمد بالزاب
٩١ قتل ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس
٩٢ قتل مروان بن محمد بن مروان ابن الحكم
٩٧ قتل عبد الله بن على من قتل بنهر أبى فطرس من بنى أمية وخلع أبى الورد أبا العباس بقنسرين
١٠٠ خلع حبيب بن مرة المرى وذكر خبر تبييض أهل الجزيرة وخلعهم أبا العباس
١٠٢ شخوص أبى جعفر إلى أبى مسلم بخراسان وما كان من أمره وأمر أبى مسلم
١٠٤ توجيه أبى العباس أخاه أبا جعفر إلى واسط لحرب يزيد بن عمر ابن هبيرة
١١١ (سنة ١٣٣) توجيه أبى العباس عمه سليمان بن علي واليا على البصرة وتوجيه عمه اسماعيل على كور الاهواز . وقتل داود بن على من كان أخذ من بنى أمية بمكة والمدينة وموت داود بن على
١١٣ (سنة ١٣٤) وذكر ما كان فيها من الاحداث
١١٤ شخوص خازم بن خزيمة إلى عمان
١١٥ غزو أبو داود خالد بن ابراهيم أهل كش وتوجيه أبي العباس موسى ابن كعب إلى الهند

صفحة

١١٦ وفاة محمد بن يزيد بن عبد الله وعزل مجاشع بن يزيد عن أذربيجان
١١٧ (سنة ١٣٥) وذكر ما فيها من الاحداث
١١٨ (سنة ١٣٦) قدوم أبى مسلم العراق من خراسان على أبى العباس أمير المؤمنين
١١٩ حج أبى جعفر المنصور ومعه أبو مسلم ومقدمهما على أبى العباس
١٢١ خلافة أبى جعفر المنصور
١٢٣ (سنة ١٣٧) وذكر ما كان فيها من الاحداث
١٢٧ قتل أبى مسلم وذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك
١٤٠ تولية أبى جعفر المنصور أبا داود خراسان وخروج سنباذ بخراسان يطلب بدم أبى مسلم وخروج ملبد بن حرملة الشيبانى بناحية الجزيرة
١٤٢ (سنة ١٣٨) دخول قسطنطين طاغية الروم ملطية ومبايعة عبد الله ابن على لابى جعفر وخلع جهور ابن مرار العجلى المنصور وقتل الملبد الخارجى وذكر الخبر عن مقتله

صفحة

١٤٤ (سنة ١٣٩) الفداء الذى جرى بين المنصور وصاحب الروم ومسير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الى الأندلس

١٤٥ أمر أبى جعفر بحبس عبد الله بن على وبحبس من كان معه وذكر الخبر عن ذلك

١٤٦ (سنة ١٤٠) هلاك عامل خراسان وتوليه أبى جعفر عبد الجبار بن عبد الرحمن خراسان وخروج أبى جعفر المنصور حاجا

١٤٧ (سنة ١٤١) خروج الراوندية وذكر الخبر عن أمرهم وأمر أبى جعفر المنصور معهم

١٤٩ توجيه المنصور ولده محمدا الى خراسان وخلع عبد الجبار العامل على خراسان

١٥١ الفراغ من بناء المصيصة

١٥٢ عزل زياد بن عبيد الله الحارثى عن المدينه ومكة والطائف ووفاه موسى بن كعب

١٥٢ (سنة ١٤٢) خلع عيينة بن موسى ابن كعب بالسند ونقض اصبهبد طبرستان العهد بينه وبين المسلمين وذكر الخبر عن أمره وأمر المسلمين

١٥٤ بناء المنصور لأهل البصرة قبلتهم التى يصلون اليها ووفاة سليمان بن على بن عبد الله

١٥٤ (سنة ١٤٣) ندب المنصور الناس الى غزو الديلم

١٥٥ (سنة ١٤٤) وذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

١٧٣ ذكر الخبر عن سبب حمل ولد حسن بن حسن بن علي من المدينة الى العراق

١٨٣ (سنة ١٤٥) خروج محمد بن عبد الله بالمدينة وخروج أخيه ابراهيم بالبصرة ومقتلهما

١٩٥ كتاب المنصور الى محمد بن عبد الله وكتاب محمد بن عبد الله اليه

٢٣٠ وثوب السودان بالمدينة بعبد الله ابن الربيع

٢٣٤ ذكر الخبر عن سبب بناء أبى جعفر المنصور مدينة بغداد

٢٥٠ ظهور ابراهيم بن عبد الله بالبصرة وخبر مقتله وكيف كان

٢٦٣ (سنة ١٤٦) استتمام أبى جعفر مدينة بغداد وصفة بنائه اياها

٢٦٨ عزل المنصور سلم بن قتيبة عن البصرة وتوليته محمد بن سليمان اياها وعزل عبد الله بن الربيع عن المدينة وتولية جعفر بن سليمان

٢٦٩ (سنة ١٤٧) اغارة استرخان الخوارزمى على المسلمين بأرمينية

صفحة

ومهلك عبد الله بن على
٢٧١ خلع المنصور عيسى بن موسى ومبايعته لابنه المهدى
٢٨٤ (سنة ١٤٨)
٢٨٥ (سنة ١٤٩و١٥٠) وذكر الخبر عما كان فيهما من الاحداث
٢٨٨ (سنة ١٥١) إغارة الكرك على جدة وعزل عمر بن حفص عن السند وتوليته افريقية واستعمال هشام بن عمرو على السند
٢٩١ قدوم المهدى على المنصور من خراسان وابتداء المنصور بناء الرصافة
٢٩٤ (سنة ١٥٢) ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها
٢٩٥ (سنة ١٥٣) قتل عمر بن حفص وأخذ المنصور الناس بلبس القلانس الطوال
٢٩٦ (سنة ١٥٤)
٢٩٧ (سنة ١٥٥) وذكر الأحداث الكائنة فيها
٣٠٠ (سنة ١٥٦) مقتل عمرو بن شداد وذكر الخبر عن سبب الظفر به
٣٠١ (سنة ١٥٧) وذكر ما كان فيها من الاحداث
٣٠٢ (سنة ١٥٨) ومافيهامن الأحداث
٣٠٨ ذكر الخبر عن صفة أبى جعفر المنصور وذكر بعض سيره

صفحة

٣٤١ ذكر أسماء ولده ونسائه
٣٤٢ ذكر الخبر عن وصاياه
٣٤٧ خلافة المهدى
٣٥٢ (سنة ١٥٩) وذكر مافيها من الأحداث
٣٥٣ أمر المهدى بإطلاق من كان فى سجن المنصور
٣٥٥ عزل المهدى اسماعيل بن أبى اسماعيل عن الكوفة
٣٥٨ (سنة ١٦٠) وذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٣٦٣ رد المهدى آل أبى بكرة من نسبهم فى ثقيف إلى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٦٧ (سنة ١٦١) خروج حكيم المقنع بخراسان بقرية من قرى مرو
٣٦٩ ذكر السبب الذى من أجله تغيرت منزلة أبى عبيد الله عند المهدى
٣٧٢ (سنة ١٦٢) مقتل عبد السلام الخارجى بقنسرين وذكر الخبر عن مقتله
٣٧٤ (سنة ١٦٣) ومافيهامن الأحداث
٣٧٨ (سنة ١٦٤) وذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٣٧٩ (سنة ١٦٥) ومافيهامن الاحداث
٣٨١ (سنة ست وستين ومائة) قفول هارون بن المهدى ومن كان معه-

صفحة

من خليج قسطنطينية وأخذ المهدى البيعة على قواده لهارون وعزله عبيد الله بن الحسن عن قضاء البصرة وعزل جعفر بن سليمان عن مكة والمدينة
٣٨١ ذكر الخبر عن غضب المهدى على يعقوب بن داود بن طهمان
٣٨٨ خروج موسى الهادى إلى جرجان وتحول المهدى إلى عيساباذ
٣٨٩ (سنة سبع وستين ومائة) وفاة عيسى ابن موسى بالكوفة
٣٨٩ جد المهدى فى طلب الزنادقة وعزله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسائل ووفاة أبان بن صدقة بجرجان وأمر المهدى بالزيادة فى المسجد الحرام
٣٩٠ (سنة ثمان وستين ومائة) نقض الروم الصلح الذى كان جرى بينهم وبين هارون بن المهدى وتوجيه المهدى سعيد الحرشى إلى طبرستان وموت عمر الكلواذى صاحب الزنادقة وقتل المهدى الزنادقة ببغداد ورده ديوانه وديوان أهل بيته إلى المدينة وخروجه إلى نهر الصلة وتوليته علي بن يقطين ديوان زمام الأزمة
٣٩١ (سنة تسع وستين ومائة) خروج المهدى إلى ماسبذان

صفحة

٣٩٢ وفاة المهدى وذكر الخبر عن سببها
٣٩٤ ذكر الخبر عن الموضع الذى دفن فيه ومن صلى عليه وذكر بعض سيره وأخباره
٤٠٦ خلافة الهادى
٤٠٨ موت الربيع مولى أبى جعفر المنصور واشتداد طلب موسى للزنادقة وقتله جماعة منهم
٤١٠ قدوم ونداهرمز صاحب طبرستان إلى موسى وخروج الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب وذكر الخبر عن خروجه ومقتله
٤٢١ (سنة سبعين ومائة) موت عبد الله ابن مروان بن محمد فى المطبق ووفاة موسى الهادى بعيساباذ وذكر الخبر عن السبب الذى من أجله قتل
٤٢٨ ذكر الخبر عن وقت وفاته ومبلغ سنه وقدر ولايته ومن صلى عليه وذكر أولاده وذكر بعض أخباره وسيره
٤٤١ خلافة هارون الرشيد
٤٤٤ عزل الرشيد عمر بن عبد العزيز العمرى عن المدينة
٤٤٤ ميلاد محمد بن الرشيد وتقليد الرشيد يحيى بن خالد الوزارة وأمره

صفحة

بسهم ذوى القربى فقسم بين بنى هاشم بالسوية وأمنه من كان هارباً أو مستخفياً وعزله الثغور كلها عن الجزيرة وقنسرين وحجه بالناس من مدينة السلام

٤٤٥ (سنة إحدى وسبعين ومائة) وذكر مافيها من الاحداث

٤٤٥ قتل هارون أبا هريرة محمد بن فروخ وأمره باخراج من كان فى مدينة السلام من الطالبيين

٤٤٦ (سنة اثنتين وسبعين ومائة) شخوص الرشيد إلى مرج القلعة وعزله يزيد ابن مزيد عن أرمينية ووضعه عن أهل السواد العشر

٤٤٦ (سنة ثلاث وسبعين ومائة) وذكر مافيها من الأحداث

٤٤٧ وفاة الخيزران أم هارون الرشيد واقدام الرشيد جعفر بن محمد من خراسان

٤٤٨ (سنة أربع وسبعين ومائة) تولية الرشيد اسحاق بن سليمان الهاشمى السند ومكران وتوليته يوسف أبى يوسف القضاء وهلاك روح ابن حاتم وخروجه إلى باقردى وبازبدى

٤٤٨ (سنة خمس وسبعين ومائة) عقد الرشيد لابنه محمد بمدينة السلام

صفحة

وأخذ البيعة له

٤٤٩ (سنة ست وسبعين ومائة) ظهور يحيى بن عبدالله بن حسن بن حسن ابن على بن أبى طالب بالديلم وذكر الخبر عن مخرجه وما كان من أمره

٤٥٧ هياج الفتنة بالشأم بين النزارية واليمانية

٤٥٨ عزل الرشيد الغطريف بن عطاء عن خراسان وتوليته إياها حمزة ابن مالك بن الهيثم وتوليته جعفر ابن يحيى بن خالد بن برمك مصر فولاها عمر بن مهران وذكر الخبر عن سبب تولية الرشيد جعفراً مصر وتولية جعفر عمر إياها

٤٦٠ (سنة سبع وسبعين ومائة) عزل الرشيد جعفر عن مصر وتوليته إياها اسحاق بن سليمان

٤٦١ (سنة ثمان وسبعين ومائة) وثوب الحوفية بمصر من قيس وقضاعة وغيرهم بعامل الرشيد عليهم ووثوب أهل أفريقية بعبدويه الأنبارى وتفويض الرشيد أموره كلها الى يحيى بن خالد وخروج الوليد بن طريف الشارى بالجزيرة وشخوص الفضل بن يحيى إلى خراسان والياً عليها

٤٦٥ (سنة تسع وسبعين ومائة) تولية

صفحة
الرشيد خراسان منصور بن يزيد
ابن منصور الحميرى وعزله محمد
ابن خالد بن برمك عن الحجبة
ورجوع الوليد بن طريف الشارى
إلى الجزيرة واشتداد شوكته
٤٦٦ (سنة ثمانين ومائة) وذكر ما كان
فيها من الأحداث
٤٦٩ أخذ الرشيد الخاتم من جعفر
وشخوصه من مدينة السلام وهدمه
سور الموصل بسبب الخوارج
وعزله هرثمة بن أعين عن أفريقية
والزلزلة بأرض مصر وخروج
المحمرة بجرجان
٤٧٠ (سنة إحدى وثمانين ومائة) غزو
الرشيد أرض الروم وفتح حصن
الصفصاف ووفاة الحسن بن
قحطبة وإحداث الرشيد فى صدور
كتبه الصلاة على محمد صلى الله
عليه وسلم
٤٧٠ (سنة اثنتين وثمانين ومائة) بيعة
الرشيد لابنه المأمون بعد ابنه
الأمين
٤٧٠ موت ابنة خاقان ملك الخزر
وتسميل الروم عينى ملكهم قسطنطين
٤٧١ (سنة ثلاث وثمانين ومائة) خروج
الخزر بسبب ابنة خاقان وخروج
أبو الخصيب بنسا من خراسان

صفحة
وموت موسى بن جعفر ومحمد
ابن السماك القاضى
٤٧٢ (سنة أربع وثمانين ومائة) وذكر
الخبر عما كان فيها من الأحداث
٤٧٢ (سنة خمس وثمانين ومائة) قتل
مهرويه الرازى وقتل أبان بن
قحطبة وموت يزيد بن مزيد
وموت يقطين بن موسى وموت
عبد الصمد بن على
٤٧٣ (سنة ست وثمانين ومائة) حبس
الرشيد ثمامة بن أشرس وموت
جعفر بن أبى جعفر المنصور
٤٧٥ حج هارون ومحمد وعبد الله
المأمون والشروط لعبد الله على
محمد فى البيت الحرام
٤٧٦ نسخة كتاب محمد بن هارون
٤٧٩ نسخة الشرط الذى كتب عبد الله
ابن أمير المؤمنين بخط يده فى الكعبة
٤٨١ نسخة كتاب هارون بن محمد الرشيد
إلى العمال
٤٨٤ (سنة سبع وثمانين ومائة) قتل
الرشيد جعفر بن يحيى وإيقاعه
بالبرامكة وذكر الخبر عن سبب
قتله إياه وكيف كان قتله وما فعل
به وبأهل بيته
٤٩٦ خروج عبد السلام بآمد وموت
يعقوب بن داود وغضب الرشيد

صفحة

على عبد الملك بن صالح
٥٠٠ دخول القاسم بن الرشيد أرض الروم ونقض صاحب الروم الصلح الذى كان جرى بين الذى قبله وبين المسلمين
٥٠٣ ذكر الخبر عن مقتل ابراهيم بن عثمان بن نهيك
٥٠٤ (سنة ثمان وثمانين ومائة) وذكر مافيها من الاحداث
٥٠٥ (سنة تسع وثمانين ومائة) شخوص هارون الرشيد إلى الرى
٥٠٧ تولية عبد الله بن مالك طبرستان والرى والرويان ودنباوند وقومس وهمذان والفداء بين المسلمين والروم
٥٠٨ (سنة تسعين ومائة) ظهور رافع ابن ليث بن نصر بن سيار بسمرقند مخالفا لهارون وفتح الرشيد هرقلة
٥١١ (سنة إحدى وتسعين ومائة) وذكر ما كان فيها من الاحداث
٥١١ خروج أبى الفداء بالشام وظفر حماد البربرى بهيصم اليمانى وغزو يزيد بن مخلد الهبيرى أرض الروم وأمر الرشيد بهدم الكنائس وعزله على بن عيسى عن خراسان
٥١٢ كتاب الرشيد لعلى بن عيسى وإرساله هرثمة بن أعين

صفحة

٥١٩ كتاب هرثمة إلى الرشيد مع على ابن عيسى وحمله اليه
٥٢١ الجواب من الرشيد إلى هرثمة
٥٢٣ (سنة اثنتين وتسعين ومائة) وذكر ما كان فيها من الاحداث
٥٢٤ تحرك الخرمية بناحية آذربيجان وموت على بن ظبيان وموت عيسى ابن جعفر
٥٢٥ (سنة ثلاث وتسعين ومائة) ووفاة الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك
٥٢٥ موت هارون الرشيد وذكر سبب وفاته والموضع الذى توفى فيه
٥٢٩ ذكر ولاة الأمصار فى أيام هارون الرشيد
٥٣٩ ذكر بعض سير الرشيد
٥٤٠ ذكر من كان عند الرشيد من النساء المهائر
٥٤٤ خلافة الأمين وبدء اختلاف الحال بين الأمين وأخيه المأمون
٥٤٦ نسخة كتاب محمد إلى أخيه عبدالله المأمون
٥٤٧ كتاب الأمين إلى أخيه صالح
٥٥١ شخوص أم جعفر من الرقة بالخزائن ودخول هرثمة حائط سمرقند وقتل نقفور ملك الروم
٥٥٢ (سنة أربع وتسعين ومائة) ومخالفة أهل حمص عاملهم وعزل محمد

صفحة		صفحة	
	الأمين أخاه القاسم عن جميع ما كان أبوه ولاه وأمره بالدعاء لابنه موسى على المنابر بالإمرة ومكر كل واحد منهما بصاحبه وذكر الخبر عن سبب ذلك		على جميع ما استخلفه ووثوب الروم على ميخائيل ملكهم وتملك ليون القائد وعزل اسحاق بن سليمان عن حمص وولاية عبدالله بن سعيد الحرشي
٥٦٣	عقد محمد بن هارون لابنه موسى		

(تم الفهرس)

فهرست الكتب "القسم العربى" منشورات المكتبة الارومية قم

١	مفتاح العلوم	ابى يعقوب السكاكى
٢	تدريج الادانى	شرح السعد على تصريف الزنجانى
٣	سعديهٔ محشى	تأليف سعد الدين التفتازانى
٤	قصص الانبياء	لسيد نعمة اله الجزائرى
٥	ادب الدّنيا والدين للماوردى	
٦	اسرار البلاغة فى علم البيان عبد القاهر الجرجانى	
٧	دلائل الاعجاز	عبد القاهر الجرجانى
٨	فتوح البلدان	للبلاذرى
٩	الفاظ الكتابيه	لعبد الرحمن بن عيسى الهمدانى
١٠	اعجاز البيان	لصدر الدين القنيوى
١١	دوائر العلوم	العلامة ميرزا محمد الاخبارى
١٢	منتخب للشيخ الطريحى	
١٣	ديوان السيد حيدر الحلّى المسمى بدر اليتيم	
١٤	ديوان الامام على ابن ابى طالب عليه السلام	
١٥	كلمة الطيب فى الادعيه لسيد على خان ويليه حرز اليمانى لسيد بحر العلوم	
١٦	ضياء الصالحين فى الادعيه و الزيارت	
١٧	مثلثات فى الاوفاق للغزالى	
١٨	للطب الروحانى للغزالى	
١٩	مقتل الحسين	للخوارزمى
٢٠	الجواهر العقليه فى الزاجة الكبرى محى الدين العربى	

أسرار البلاغة

في علم البيان

تأليف

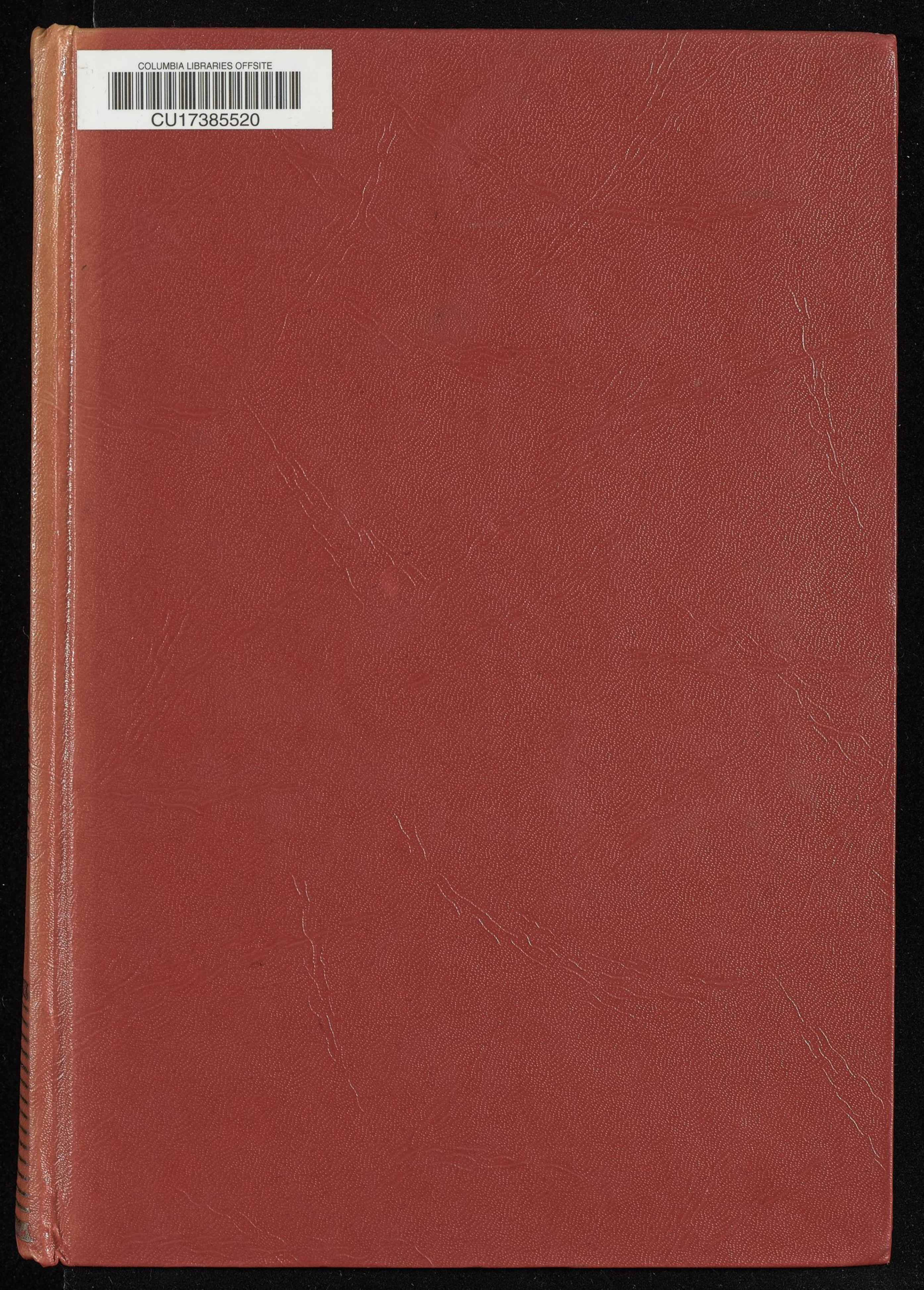
الإمام عبد القاهر الجرجاني

دلائل الإعجاز

﴿ في علم المعاني ﴾

تأليف

الإمام عبد القاهر الجرجاني


COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU17385520